



صدر من دار الثقافة المسيحية ص . ب . ١٣٠٤ - القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر أو طبع
بالرونيو الكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده حق إعادة
الطبع) ٣٢٢/١٠ ط ٨٠/١ (أ) ٥ - ٥ رقم الإيداع بدار الكتب ٨٠/١٩٨٠
والرقم الدولى ٢-١٩-٧٣١١/٩٧٧

طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

تمهيد

المدخل إلى العهد الجديد كتاب لازم لكل من يرغب أن يفهم كلمة الله ويدرسها دراسة واعية سواء أكان الدارس متخصصاً (كالخدام وطلبة اللاهوت) أو علمانياً يريد أن يتعمق في درس الكتاب .

كتب هذا الكتاب أستاذ متخصص في دراسات العهد الجديد فتناوله بأسلوب يجمع بين دقة العلم ويسر الفهم . فهو لا يتحدث برطانة العلماء ولا ينزل إلى البسيط المؤلف ، لكنه يقدم لنا دراسة جديدة متكاملة للعهد الجديد كله .

والكتاب يناقش مصادر العهد الجديد ومخطوطاته بالشرح والتحليل كما يقدم لكل سفر على حدة بدراسة تمهيدية تشرح سبب كتابته والمشاكل التي تعرض لها .

وهو يقسم العهد الجديد أقساماً بحسب الكاتين ليبين تسلسل الفكرة والأسلوب من سفر لآخر . نأمل أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل الدارسين وللكنيسة العامة . كما نأمل أن نلحقه بدراسات أخرى عميقة تثرى المكتبة العربية .

دار الثقافة المسيحية

في هذا الكتاب

صفحة	
٣	تمهيد
٨	مقدمة
١١	الباب الأول : مقدمة عامة
١٢	الفصل الأول - الخلفية اليهودية
١٢	١ - الحالة السياسية
٢٩	٢ - الأحزاب اليهودية
٤٩	٣ - الفكر اليهودي في فترة ما بين العهدين
٥٨	الفصل الثاني - الخلفية الهلينية
٥٨	١ - الثقافة الهلينية وعناصرها
٦٦	٢ - العلاقة التي تربط العهد الجديد بالثقافة الهلينية
٧٦	الفصل الثالث - نمو العهد الجديد
٧٧	١ - الحقيقة
٨١	٢ - الشهود
٨٧	٣ - الشهادة
١١١	الفصل الرابع - كيف وصل إلينا العهد الجديد
١١١	١ - كيف كتب النص
١١٦	٢ - مستندات نص العهد الجديد
١٤٤	٣ - قانونية أسفار العهد الجديد
٢٥٧	الباب الثاني : الأناجيل
١٥٨	الفصل الأول - نظرة عامة إلى الأناجيل ومقارنتها
١٥٨	١ - ماهية الأناجيل
١٦١	٢ - صلة الأناجيل بعضها ببعض
١٧٦	٣ - الفكر المشترك في الأناجيل (لاهوت الأناجيل الثلاثة الأولى)
٢١٥	الفصل الثاني - إنجيل مرقس
٢٤٢	الفصل الثالث - إنجيل متى
٢٧٠	الفصل الرابع - إنجيل لوقا وسفر الأعمال

صفحة

٣٤٢	الباب الثالث : كتابات الرسول بولس
٣٤٤	مقدمة
٣٥٣	الفصل الأول - رسائل الرحلة الثانية
٣٥٣	الرسالتان الى كنيسة تسالونيكي
٣٦١	رسالة تسالونيكي الثانية
٣٦٦	الفصل الثاني - رسائل الرحلة الثالثة
٣٦٦	رسالة رومية
٤٠٥	رسالتا كورنثوس
٤٥٣	رسالة غلاطية
٤٦٨	الفصل الثالث - رسائل السجن
٤٧١	رسالة كولوسي
٤٨٢	رسالة افسس
٥٠٢	رسالة فليمون
٥٠٨	رسالة فيلبى
٥٢٠	الفصل الرابع - الرسائل الرعوية
٥٤٥	الباب الرابع : كتابات يوحنا
٥٤٦	الفصل الأول - الانجيل والرسائل
٥٤٦	مقدمة الانجيل
٥٨١	انجيل القديس يوحنا ورسائله
٦٣٢	رسائل يوحنا
٦٤٠	الفصل الثاني - سفر الرؤيا
٦٨١	الباب الخامس : الرسائل العامة
٦٨٢	الفصل الأول - العبرانيين
٧٠٦	الفصل الثاني - الرسائل الجامعة
٧٠٦	مقدمة
٧١٠	رسالة يعقوب
٧٢٧	رسالة بطرس الاولى
٧٤٣	رسالة بطرس الثانية
٧٥٧	رسالة يهوذا

مقدمة

نبت هذا الكتاب في الفصل. والجزء الأول كله يكون مجموعة المحاضرات التي تلقى لطلبة كلية اللاهوت الإنجيلية في دراسة مقدمات العهد الجديد. ولقد أكمل الكتاب كله لهذا الغرض نفسه أى ليكون ما نسميه « بالكتاب المدرس » لهذا العلم ». ومع ذلك فلم يكن الهدف الأساسى له أن يعيدش بين جدران الكلية ، بل قصد به أن يكون مدخلا إلى دراسة جادة متسعة في العهد الجديد ، لعله يكون نافعا لكل مسيحي سواء أكان في حقل الخدمة أو خارجها . وأود أن أذكر هنا بعض الأمور التي كانت نصب عيني في كتابة هذا الكتاب .

١ - مما يمتاز به المراجع العلمية الحواشى الكثيرة التي تجلو بعض الأفكار الجانبية أو تذكر اسم المرجع الذي يؤيد الفكرة أو يعارضها . وقد رأيت أن أستغنى عن هذه الحواشى لأنها قد تشير إلى بعض المراجع الغير موجودة في المكتبة العربية عندنا ولأنى أردت ألا أتشعب إلى أفكار جانبية كثيرة ووضعت في النص ما أردت أن أقوله . ومع ذلك فقد وضعت بأسماء المراجع التي استخدمتها في الدراسة لكل من يريد أن يتوسع في موضوع ما ، عالما أن معظم هذه المراجع لا توجد إلا في مكتبة كليات اللاهوت .

٢ - لم أرد أن يقتصر الكتاب على مقدمات خاصة لأسفار العهد الجديد وكفى ، بل كان الهدف أن يعطى القارئ فكرة متكاملة عن البيئة التي ولد فيها العهد الجديد ، وكيف نما واتسع حتى صار هكذا ، ثم ما هي صلة الأناجيل

بعضها ببعض ، ثم ماذا يقول كل سفر أو ما هي الرسالة التي اعتقد أن كل كاتب يريد أن يقولها - بالروح القدس - لمن كتب لإيهم . وبذلك يلم القارئ ولو بصورة مبدئية بما يحتويه العهد الجديد والخلفية والرسالة لكل كتاب فيه . ومع ذلك فالكتاب لا يدعى أنه ألم برسالة العهد الجديد ، فإذا يكون دلو مملوء بالماء من محيط هائل !

٣- في معرض الدراسة جاءت أفكار ونظريات يظن كثيرون منا أنها ليست ضرورية : مثل « قضية الأناجيل الثلاثة الأولى » وكم رسالة كتب الرسول بولس « وغير ذلك ، لكنني أعتقد أن الوقت قد جاء ليعرف القارئ المسيحي المصري ، كيف يدرس العلماء في الخارج الكتاب المقدس . إن هذه النظريات تأتينا الآن من الخارج عن طريق قنوات أخرى وبكيفية لا نخدم الغرض الذي من أجله ندرس المقدمات ، فلماذا لا ندرسها نحن في كليتنا ، ولماذا لا نفهمها عن طريق من يتمسكون بالكتاب المقدس ككتاب الله ؟ لماذا نتخشى من هذه الدراسات الحديثة ؟ إن الأساس الأكمل للإيمان المسيحي هو المسيح نفسه ، والكتاب المقدس هو شهادة له ، ونحن نريد أن الجميع يقرأونه سواء بقصد الهجوم أو المعرفة لأن الكتاب المقدس لا يحتوي على كلمات مطبوعة بل هو شهادة حية . . إنجيل . . فيه يأتي المسيح مواجهاً للشخص . فسواء أكانت رسالة العبرانيين من قلم الرسول بولس أم من قلم غيره ، ففيها أواجه سيدى ليدور حوار بيني وبينه يتكلم لي وأنا أصغى له ، وفي هذا الحوار أنسى كل شيء عن الكاتب أو أساليب كتابته ، ولا يكون في هذا الموقف إلا المسيح وحده ونحن في حضرة .

لا تخشوا على الكتاب المقدس ولا تخافوا من أي هجوم فتجنوا لا تعبدوا كتاباً وليكننا نعبد السيد الموجود بين دفتي هذا الكتاب ، هو الذي يعطي للكلمات تأثيرها وعملها فصيح إنجيلاً . . بشاره « كارنجما » .

٤ - رجائي من القارئ أن يكون الكتاب المقدس في يديه عندما يقرأ هذا الكتاب ، لأنني لم أستطع أن أكتب كل الشواهد الكتابية حتى لا يزداد حجم الكتاب أكثر ، وحتى يشترك القارئ في دراسة الكتاب المقدس نفسه فيكتشف لنفسه أعماقاً لم يستطع أن يأخذها من هذا الكتاب .

والإله الذي هو مركز الكتاب المقدس وحياته يعطي نعمة لجميعنا حتى نفهم كلمته يوماً فيوماً فننمو في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح .

المؤلف

الباب الأول

مقدمة عامة

إن دراسة العهد الجديد تستلزم دراسة الفترة التي سبقت عصر كتابة كتبه . فالعهد الجديد لا يرتبط بكتيب العهد القديم فقط ، بل يتصل أيضاً وبطريقة مباشرة بالفترة التي تقع بين عصرى العهدين . ويقدرها العلماء بما لا يقل عن ٣٠٠ سنة ويطلقون عليها اسم «ما بين العهدين» . فهناك أشياء كثيرة واضحة في العهد الجديد عامة والأنجيل خاصة لا ذكر ولا وجود لها في العهد القديم ، ولكنها بدأت تظهر وتؤثر في مجريات الأمور في هذه الفترة التي تعيننا الآن - وهي فترة « ما بين العهدين » مثال ذلك الأحزاب اليهودية كالفريسيين والصدوقيين والخيورين . فدراسة العهد الجديد تتطلب الوقوف على الحوادث السياسية والتغيرات الاجتماعية من دينية وثقافية وغيرها التي حدثت في تلك الفترة .

ومع أن السيد المسيح وكنيسته الأولى نبتت في بيئة يهودية إلا أن الكنيسة انتشرت بسرعة باللغة بين الأمم ووقفت وجهاً لوجه مع الثقافة الهلينية التي غزت العالم كله ولهذا لزم أن ندرس أيضاً صلة العهد الجديد بالثقافة الهلينية .

الفصل الأول

الخلفية اليهودية

- ١ - الحالة السياسية .
- ٢ - الأحزاب اليهودية .
- ٣ - عناصر التفكير الديني اليهودي .

١ - الحالة السياسية

كان الحدث العظيم الذي أوجد تغييراً اجتماعياً هائلاً في عصر ما بين العهدين هو ظهور الإسكندر المقدوني . فبمجيئه ظهر مفهوم جديد في معنى وتكوين الامبراطورية العالمية يختلف كثيراً عما فهمه المصريون والأشوريون والفرس منها . فالامبراطوريات التي سبقت هذا الفاتح العظيم كانت تبنى أولاً وقبل كل شيء على السيف والقتال والجيوش الجرارة ثم دفع الضرائب الباهظة والهدايا الثمينة ، أما الاسكندر الأكبر فقد فعل شيئاً آخر أعطاه اسماً يفوق أسماء الحكام والفتاحين الذين سبقوه .

ولسنا الآن في مجال تعداد فتوحاته ووصفه كفائد معجزة ، إذ أن سرعته في اكتساح العالم القديم عندما غزا آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر ثم هزم داريوس في موقعتين هامتين أدت إلى سقوط دولة الفرس ، ثم صار إلى الجنوب الشرقي حتى وصل إلى حدود الهند تقريباً . هذا كله يشهد بكفاءته النادرة كفائد حربي محنك .

وقد امتاز الاسكندر عن جميع من سبقوه من قادة عسكريين أنه لم يكون
امبراطورية سياسية وعسكرية فقط . بل أقام امبراطورية ثقافية بقيت طويلاً
جداً بعد زوال الامبراطورية العسكرية . . فقد كان هذا الرجل يحب ثقافته
اليونانية ولغته فأخذ يزرعها وينشرها أينما حل ، وجعل من آداب اليونانية
وثقافتها ولغتها رباطاً قوياً يربط به أجزاء امبراطوريته ، وبذلك ربط العالم في
وحدة ثقافية أدبية مهدت السبيل لانتشار المسيحية التي جاءت لكل لغة وعصر
وأمة ودين . .

مات الاسكندر صغير السن ، وتكالب قادة جيشه على التركة الواسعة ،
فانقسمت الامبراطورية إلى أربعة أقسام ، لا يعنينا منها إلا قسمان اثنان :
الأول مصر وجاءت من نصيب بطليموس الذي أسس أسرة البطالسة أو
البطالمة في مصر ، ثم سيلقوس الذي أسس حكم السلوقيين في سوريا وإيران .
أما فلسطين فقد جاءت من نصيب البطالمة أولاً ثم الساوقيين وظلت تتأرجح
بين الإثنين حتى جاءت ثورة المكابيين كما ستعرف فيما بعد .

١ - اليهود تحت ظل الحكم المصري :

كان أول من استولى على فلسطين من البطالمة هو بطليموس الأول
« أو بطليموس لايجي » في سنة ٣٠١ م حين انتصر الجنرال الثالث على
الجنرال الرابع « انديجونوس » الذي أراد أن يتشبه بالاسكندر ، في موقعة
أبسوس استولى بطليموس الأول عليها . ثم استمرت تحت حكمهم لمدة قرن
من الزمان تقريباً دون أن تخرج عن سيطرتهم وكانت حالة اليهود في هذه
الفترة مجهولة فلا يعرف عنها إلا القليل « ولعل ذلك يرجع إلى أن البطالمة
لم يحدوا تغييراً كبيراً في نظام الحكم والإدارة اللذين كانا سائدين تحت حكم
الفرس ، ولهذا فلم تحدث أزمات أو تغييرات شاملة تستحق التسجيل التاريخي .

أما في مصر فقد كانت هناك جالية يهودية كبيرة تقطن في كثير من مدنها وخاصة مدينة الإسكندرية . وعندما رجع بطليموس لايحيى من حملته التي استولى فيها على فلسطين أحضر معه أعداداً كبيرة منهم ، وأسكنهم الإسكندرية . ولهذا فقد أصبحت هذه المدينة يهودية في شكلها . ولكن اليهود لم يبقوا في ثقافتهم الشرقية بل تأثروا كثيراً بالثقافة اليونانية وتبنوها ، وأصبحت اللغة اليونانية هي اللغة التي يتخاطبون بها .

ومع ذلك فلم ينسوا كتبهم المقدسة فقاموا بأعظم عمل عملوه وهو ترجمة العهد القديم وكتب الأبوكريفا من لغتها العبرية إلى اليونانية ، وهذه الترجمة هي ما تسمى « بالترجمة السبعينية » . ولا يمكن معرفة الدوافع الأصلية لهذه الترجمة ، ولا متى بدأت أو متى انتهت ، وانتشرت بخصوصها بعض الأساطير وكان من أهمها تلك التي بنيت على خطاب اسمه « خطاب أرسبتاس » ومفاده أن يده تريوس ، رئيس مكتبة الإسكندرية ، صور لبطليموس فلادلفيوس المكاسب الضخمة التي يجنيها إذا ترجم الكتب العبرية ، وعرف القوانين اليهودية . فوافق الملك وطلب من رئيس الكهنة اليهودي في فلسطين أن يرسل جماعة من علماء اليهود : فأرسل ستة شيوخ من كل سبط ، ثم ذهبوا إلى الإسكندرية ومن هناك أرسلهم إلى جزيرة ، ووضعهم منفصلين ليرجموا الكتب ، فترجمها كل فريق منهم في ٧٢ يوماً ، وجاءت الترجمات متطابقة ، بعضها مع البعض تمام المطابقة ومن هنا نشأ اسمها « السبعينية » . ولعل هذه الأسطورة نشأت لكي تظهر أن هذه الترجمة لها قوة الأصل العبري وسلطانه ؛ وقد أدت السبعينية خدمة جليلة في فتح الباب بين الأمم واليهود وعملت على إعداد الطريق للمسيحية .

٢- اليهود تحت حكم السلوقيين :

لم يهدأ بال السلوقيين عن فتح فلسطين ، فقد حاول أنطيوخس أن يغزو جنوب غرب سوريا ثم فلسطين وكاد ينجح في غزوات متتالية بين سنتي ٢٢١- ٢١٧ ، لكنه انهزم أمام جيوش بطليموس فيلوبيتير في ربيع ٢١٧ ق.م. ولم يسكت بل عاود المحاولة مرة أخرى بعد موت بطليموس فيلوبيتير (الرابع) وبعد عدة معارك تمكن من الاستيلاء على فلسطين بعد موقعة بانيوم Panium ؛ ودخل إلى أورشليم سنة ١٩٨ ق.م. ورحب به اليهود كمخلص لهم من حكم المصريين .

ولكن اليهود كانوا مخطئين ، فقد كان حكم البطالمة حكماً متسامحاً ، إذ سمح لهم بالقيام بشعائرهم الدينية وعبادتهم ، ولكن ما أن حكمهم السلوقيون حتى بدأوا حملة قاسية لكي ينشروا بينهم الثقافة اليونانية ويجبرونهم على تبني ديانة الأمم . وحدث ذلك بالكيفية التالية :

عندما انتصر أنطيوخس واستقبله اليهود بفرح قام هذا برد جميلهم ، إذ بدأ معهم حكماً متسامحاً جداً . فدعا اللاجئين للعودة إلى بلادهم وترك للبلاد الضرائب المتأخرة لمدة ٣ سنوات ، وخفف عنهم عبء الضرائب وساعد في ترميم الهيكل على حساب الدولة وفرح اليهود فرحاً عظيماً .

ولكن ذلك لم يدم طويلاً ، فقد كانت هناك عوامل أخرى داخلية وخارجية تعمل بقوة على خلخلة المجتمع اليهودي ، أفساها جميعاً هو انتشار الثقافة الهلينية في كل العالم المتحضر في ذلك الوقت . فقد انتشرت ، نتيجة للخطة المنظمة التي وضعها الإسكندر المقدوني أثناء فتوحاته ، الثقافة اليونانية وظهرت مقاطعات ومدن بأكلها في مصر وسوريا وعبر الأردن وغيرها تحيا الحياة اليونانية وتفكر نفس تفكيرها ، وزاد في هذا الانتشار الهجرة.

الواسعة التي حدثت من بلاد اليونان إلى غيرها من البلدان ، والزيجات العديدة التي عقدتها الإسكندر بين ضباطه وجنوده وبين بنات الشرق . وعمت اللغة وطرق الحياة اليونانية في تلك البلاد بشكل منظم عميق .

ولم يكن اليهود بمنأى عن هذه التأثيرات . فقد تأثر يهود الشتات إلى حد كبير بهذه العوامل القوية ، وكان للإسكندرية وهي المركز الأعظم للثقافة الهلينية ضلع كبير في تثقيف اليهود الذين فيها ، فتبنوا كثيراً من العادات الهلينية وتسموا بأسماء يونانية ، وقام منهم مفكرون عظام كان لهم أثر كبير في المحيط اليهودي مثل فيلو وأرتسبلوس . ولكن هذا الأمر لم يقتصر على يهود الشتات بل تعداه إلى يهود فلسطين أنفسهم ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا هذا التيار . نعم كان هناك من لم يتزحزح قيد أنملة عن تراثه الثقافي اليهودي ، ولكن كان هناك أيضاً من تأثر بالعدوى الهلينية إما عن طريق التقليد والمجاعة أو عن طريق يهود الشتات الذين كانوا يأتون إلى أورشليم في وقت الأعياد حاملين معهم بذور هذه الثقافة الغريبة .

وبسبب ذلك انشق المجتمع اليهودي إلى قسمين : قسم يحافظ على التراث اليهودي مهما كان الثمن ، حتى ولو أدى إلى بذل الحياة نفسها ، وقسم آخر شعر بأنهم جماعة صغيرة أضعف من أن تقاوم تيار الهلينية الضخم فارتجوا في أحضانها ، ومن هنا بدأ الصراع العنيف في اليهودية بين الثقافتين ، تماماً كما كان الصراع قائماً بين عبادة يهوه وعبادة الأوثان قبل السبي .

ولعل أبرز اثنين يمثلان الثقافتين المتصارعتين : أونياس الثالث رئيس الكهنة في عهد أنطيوخوس الرابع ثم أخوه ياسون وكان الأول يمثل اليهود المحافظين المتعصبين لشريعتهم ، وكان الثاني متمسكاً بالثقافة اليونانية بكل ما تعنى هذه الثقافة .

الصراع في ذروته : عندما احتل أنطيوخوس الثالث فلسطين وشعر بالقوة والسطوة جرد حملة ليحارب روما - القوة الفتية الجديدة - تحت إغراء وتحريض هانيبال ، القائد القرطاجي ، الذي هرب بعد هزيمته إلى الشرق . وغزت جيوش أنطيوخوس الثالث اليونان ولكنه ارتد على أعقابها عندما هزيمته قوات روما وأجبرته على توقيع صلح مخزي سلم فيه أسطوله وأفياله وابنه الصغير أنطيوخوس رهينة لدفع ضريبة . ولم تطل حياته بعد هزيمته فقتل سنة ١٨٧ م (دانيال ١١ : ١٩) .

وخلفه ابنه سليوقس الرابع (١٨٧ - ١٧٥ ق. م .) . واختلف سليوقس الرابع مع أونياس رئيس الكهنة ، فذهب أونياس إليه لكي يعمل صلحاً ، ولكن سليوقس قتل قبل الصلح وخلفه أخوه انطيوخوس الرابع أو انطيوخوس أبيفانس (١٧٥ - ١٦٣ ق. م .) .

كان أول ما عمله أنطيوخوس أبيفانس هو عزل أونياس من رئاسة الكهنوت ووضع ياسون الذي وعده بأن يدفع له جزية أضخم وأثمن عوضاً عنه ، وقد ضرب أنطيوخوس بذلك عصفورين بحجر واحد ، إذ أخذ مالاً أوفر ، ثم دفع إلى السلطة شخصاً محباً للثقافة اليونانية حاول كل جهده أن يدخل عادات اليونانيين وتقاليدهم وألعابهم الرياضية ومسارحهم إلى اليهودية (٢ مكابن ٤ : ٧ - ٩) .

ولكن ياسون لم يبق طويلاً في الكهنوت ، فلم يستمر سوى ثلاث سنوات ثم قام بينه وبين أحد أتباعه ومساعديه خلاف كبير . وكان هذا الرجل الجديد يسمى مينلاوس الذي أسرع وذهب إلى أبيفانس وطلب منه أن يولييه رئاسة الكهنوت . فاستجاب له وأعطاه الوظيفة رغم أنه كان من سبط بنيامين فأثار ذلك حفيظة كل اللاويين محافظين كانوا أو متحررين ، ولكنهم لم

يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً في ذلك الوقت ، فهرب ياسون إلى عبر الأردن.
(٢ مكابن ٤ : ٢٣ - ٢٦) . أما مينلاوس فقد طلب منه أن يدفع جزية أكبر ولكنه عجز ، فحاول أن يسرق الهيكل . فعارضه أونياس الذي قيل إنه كان في أنطاكية ولكن مينلاوس عمل على قتله وقتله (٢ مكا ٤ : ٢٧ - ٣٨) واستمرت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ إلى أن راجت إشاعة أن أنطيوخوس « أيفانس » قد مات في حملة قادها ضد مصر ، وعند هذا هجم ياسون بقوة قوامها ألف رجل واستولى على أورشليم ثم أجبر مينلاوس على الالتجاء إلى الحصن . وأخذ ياسون يعمل بجنون في القتل والاضطهاد ، حتى فاجأه أنطيوخوس عائداً من مصر ، فحطم قوته وأجبره على الفرار . واعتبر أنطيوخوس أن هذا العمل ثورة ضد حكمه ، فانتقم من اليهود ونهب الهيكل وأرجع مينلاوس إلى مركزه في رئاسة الكهنة ، ولكن الأزمة بلغت القمة سنة ١٦٨ ق. م . حين غزا أيفانس مصر مرة أخرى واستولى على ممفيس ، ولكنه عندما توجه إلى الإسكندرية وصلته رسالة من مجلس شيوخ روما هي عبارة عن أمر حازم له بالخروج من مصر فوراً ، ولم يجده أنطيوخوس بداً من الخضوع لهذا الأمر القاسي فرجع في غيظ (دانيال ١١ : ٢٩) . وفي رجوعه بلغته أخبار من أورشليم أن الناس هناك يترقبون الفرصة للانقضاض على حكمه وعلى عملائه ، فما كان منه إلا أن أرسل قائده إليها ، فدخلها في مكر وخديعة ، واستدار على الناس الأمنين وقتل الكثيرين منهم ، وهدم جزءاً كبيراً من المدينة ، وبنى فيها قلعة أقام فيها صورة لأيفانس . ثم أصدر أمراً مشدداً قاسياً بإبطال كل مراسم وطقوس العبادة اليهودية . فأبطلت الذبيحة والسبت والأعياد والختان ، وكان عقاب كل من يخالف ذلك الموت . وختم كل هذا بإقامة تمثال لزيوس في الهيكل سنة ١٦٧ ق.م وقدم عليه خنزيراً ،

ذبيحة ، مما جعله نجساً ، وهذا ما أطلق عليه دانيال « رجسة الفساد » وأجبر اليهود على عبادة باخوس وغيره من الآلهة اليونانيين .

الميكائيلين :

كان رد الفعل عند اليهود غير موحد إذ اختلف من جماعة إلى أخرى ، فبينما قبل اليهود المثقفون بالثقافة اليونانية كل هذه الأوامر والقوانين ، رفضها اليهود المحافظون بكل شدة ، غير مباليين بأية تضحية مهما كانت ثقيلة . وكان أنطيوخوس يعتبر أن كل مخالفة لأوامره موجهة إليه شخصياً ، فاشتط في الاضطهاد والقسوة ، وظن - وكان مخطئاً في ذلك - أنه يستطيع في وقت قصير أن يتغلب على كل مواجهة وعناد وقد حدث يوماً دعا ضابط سوري واحداً من كهنة إحدى القرى واسمها مودين أن يقدم ذبيحة للوثن ، ولكنه رفض في عناد وإصرار ، فما كان من أحد اليهود المدعورين إلا أن تقدم بنفسه لكي يقدم الذبيحة ، ولكن الكاهن العجوز - وكان اسمه متياوس - وقد التهب بالغيظ ، تقدم إلى الأمام وقتل هذا الرجل اليهودي وقتل الضابط السوري الذي كان يأمرهم بتقديم الذبيحة ، ثم تقدم مع أبنائه الخمسة وهدموا المذبح الوثني ثم هربوا معاً إلى الجبال ، ومن ذلك الوقت بدأت ثورة الميكائيلين .

ولقد اتخذت ثورة الميكائيلين طابع حرب العصابات أولاً ، فقد انضم إليهم كثيرون من الذين كانوا يسمون « الهسدِيم » أو الأتقياء ، ثم أخذوا يغيرون على المدن والقرى ، يقتلون أتباع أنطيوخوس واليهود المشيعين له ، ويهدمون مذابح الوثن ويختنون الأطفال بالقوة . وعندما أراد السوريون أن يستفيدوا من شريعة تقديس السبت ليقتلوا الكثيرون منهم ، أفتى متياوس بجواز الحرب الدفاعية يوم السبت .

يهودا المكابي :

وبعد بضعة شهور مات ميثاوس سنة ١٦٦ ق. م. ، وأوصى بأن يخلفه في قيادة القوات ابنه الثالث واسمه يهوذا المكابي أو « يهوذا المطرقة » الذي كان رجلاً شجاعاً مقتدرًا ، فحول حرب العصابات هذه إلى حرب مقدسة شاملة للاستقلال . أما أنطيوخوس فقد ظنهم أولاً عصابات ضعيفة سرعان ما يتغلب عساكره عليهم ، ولذلك لم يرسل إليهم إلا جنوده وضباطه الأصغر ، أما بقية قواته فقد وجهها لإخماد ثورة أخرى في الشرق . ولكنه كان أيضاً مخطئاً ، فعندما أرسل أحد قادته الكبار ليؤدب يهوذا المكابي قابله هذا وهزمه وقتله ، ثم هزم جيشاً آخر مما جعل كثيرين من اليهود يتشجعون ويرفعون راية العصيان وينضمون إلى قوات المكابيين . وأخيراً طلب أنطيوخوس من ليسيلاس أحد رجاله الأقوياء أن يتكفل بإخماد هذه الثورة ، ولكن يهوذا هزمه في موقعة عمواس ، ثم انتصر عليه نصرة ساحقة في معركة أخرى « بيت زور » . وكانت هذه انتصارات معجزية مذهلة .

بعد ذلك تقدم يهوذا المكابي إلى أورشليم وحاصر السوريين في قلعتهم ، ثم تقدم إلى الهيكل وطهره من مذابح الوثن ومن الذبائح النجسة ، وأقام الأعياد وأرجع السبت ، ومن ذلك الوقت بدأ عيد جديد اسمه عيد التجديد سنة ١٦٥ ق. م. ، ثم عمل مع ليسيلاس القائد السوري معاهدة بمقتضاها تخلى القلعة من الأسلحة على أن يعطى لليهود الحرية الدينية ، وأن يخلع مينلاوس رئيس الكهنة ويأخذ منصبه الياقيم . ومع أن يهوذا لم يرض بهذه المعاهدة لكن مجمع اليهود المقدس قبلها دون رضاه فما كان منه إلا أن ترك أورشليم إلى الجبال وتبعه كل مخلص له . وتحققت مخاوفه وتعجرف الياقيم وقتل كثيرين من اليهود وطلب معونة ، السوريين وأراد أن يقتل يهوذا ولكن يهوذا هزمه بعد أن دفع حياته ثمناً لهذا الانتصار .

يونانان المكابي:

بعد أن مات يهوذا هرب اخوته الثلاثة : سمعان ، يونانان ، يوحنا إلى عبر الأردن وتبعهم مئات من المكابيين ، وصار يونانان قائداً للجماعة ، وقد حاول السوريون أن يهزموهم ولكنهم فشلوا .

أما يونانان فقد انتصر أخيراً ، لا بالقوة بل بالسياسة . فقد حاول أحدهم أن يغتصب عرش سوريا من وارثه الشرعي ، ونشبت الحرب بينهما وأراد كل منهما أن يستنجد باليهود لا عن طريق الياقيم رئيس الكهنة بل عن طريق يونانان الذي لعب دوره الدبلوماسي البارع ، ودخل أورشليم وطرد الياقيم وصار هو رئيس الكهنة . ولقد حاولت روما عدوة سوريا أن تتقرب من اليهود ولكن رد الفعل اليهودي لم يكن مشجعاً .

وأخيراً مات يونانان مقتولاً بعد أن بدأ الانتعاش يدب في أنحاء البلاد فخلفه أخوه سمعان في رئاسة الكهنوت .

سمعان :

كان سمعان رجلاً دبلوماسياً تمكن من اقتناص فرصة انقسام السوريين بعضهم ضد البعض وناصر أحد المتنازعين ، فما كان منه إلا أن منح اليهود الاستقلال التام ورفع كل الضرائب عنهم . ثم تمكن سمعان أيضاً من تحرير القلعة السورية وبعض المدن المحتلة .

واعترافاً بهذا الجميل قرر مجمع اليهود اعتبار الكهنوت شرعياً في بيت المكابيين .

وفي سنة ١٣٤ ق. م قتل سمعان المكابي — هو واثنان من أبنائه — وخلفه ابنه الثالث يوحنا هيركانس .

يوحنا هيركانس :

انتهى عصر البطولات الحربية للتحرير الديني بعد أن مات سمعان المكابي آخر أبناء ميناوس ، وبدأ عصر السياسة بمجيء هيركانس . ففي أول حكمه هادنته سوريا على شريطة أن يترك لها بعض المدن الساحلية ففعل ، وبذلك تمكن من سحق الحزب الهليني المعارض في فلسطين ، وأضحى هو القوة الوحيدة المعترف بها . وفي نفس الوقت لم يكتف بما كان يريد المحافظون أو الهسيديم من نوال الحرية الدينية فقط دون داع للتضحيات من أجل الحرية السياسية ، بل أراد الاستقلال والنجاح الكامل سياسياً ودينياً . وفي عهده بدأت تبلور هذه الفئات في أحزاب ، فجماعة المتأثرين بالثقافة اليونانية بدأوا يتبلورون في حزب الصدوقيين ، وكان الأنقياء أو الهسيديم هم أساس جماعتي الفريسيين والإيسينيين .

أما يوحنا هيركانس فقد أراد أن يوسع تخومه ، فتمكن من فتح بعض المدن الساحلية التي أخذتها سوريا في أول حكمه . ثم فتح طريقين للتجارة الخارجية إحداهما مع مصر ، ويمر بأدومية التي غزاها وأجبر أهلها على الختان ، ثم استولى على السامرة وهدم هيكل جرزيم ، ومع ذلك فلم يتمكن هيركانس من التقرب إلى الفريسيين ، بل مال إلى جانب الصدوقيين ، وهم الحزب الذي كان يميل بطبعه إلى الثقافة اليونانية ، وأضحوا الطبقة الأرستقراطية في البلاد . ثم مات سنة ١٠٤ ق. م بعد أن قضى حياة مستقيمة قوية متمسكاً بالشرف .

أرستوبولس :

بعد هيركانس تولى ابنه الأكبر ، ناسة الكهنوت ، وكان قاسياً دكتاتوراً

فسجن أخويه وقتل الثالث . واستمر هو في سياسة الفتح والتوسع . واستولى على الجليل ولكنه لم يدم طويلاً فات بعد سنة واحدة من ملكه .

اسكندر جانوس : (١٠٣ - ٧٦ ق. م)

استمر أيضاً في سياسة التوسع على الساحل شمالاً وجنوباً ثم في عبر الأردن ، اهتم كذلك بالنقش وصك الصور على النقود . ولكن أهم عملين قام بهما جانوس هما أولاً تحويل معظم البلاد التي فتحتها إلى الديانة اليهودية مثل أدومية والجليل ، ولكن السامرة قاومت هذا الاتجاه . أما العمل الثاني فهو تشجيع العداة المستحكمة الذي وصل إلى الحرب الأهلية بينه وبين الفريسيين . فقد عاملهم بكل احتقار ، واستحكمت الأزمة بينهم فاستنجد الفريسيون بالسوريين فهرب جانوس إلى الجبال ، فلما رأى الفريسيون ذلك ظنوا أنه قد عوقب بما فيه الكفاية فتركوا جيش السوريين وانضموا إليه ولكنه مع ذلك لم يغفر لهم فصلب منهم ٨٠٠ فريسيًا ويقال إنهم في عهده هربوا هم والأيسينيين إلى الجبال . ويذكر التقليد أنه تاب على فراش موته وطاب من زوجته أن تعوضهم عن كل مضايقاته لهم . وأن تطرد مستشاريه من الصدوقيين .

الكسنديرا :

تولت اسكندرا الملك بعد زوجها الثاني جانوس وقد كانت متزوجة قبلاً من أخيه أرسطوبولس ، وكانت تبلغ من العمر سبعين سنة ، ولما كانت امرأة فلم يكن يسمح لها بأن تكون رئيساً للكهنة ، فما كان منها إلا أن وضعت ابنها الأكبر هيركانوس في رئاسة الكهنوت ، والأصغر أرسطوبولس في رئاسة الجيش ، وكان أخوها زعيماً لحزب الفريسيين .

ولقد حصل الفريسيون في عهدهما على امتيازات كثيرة ، وقاوموا بإصلاحات جمة كتعليم الشعب ، ولكنهم مع ذلك لم ينسوا ما لاقوه من الصدوقيين من قسوة ومرارة ، فانتقموا لأنفسهم منهم ، فلم يكن أمام الصدوقيين سوى أن يلجأوا إلى ، أرسطوبولس الابن الأصغر وقائد الجيش ، وبهذا العمل انقسم بيت المكابيين إلى قسمين : أحدهما هيركانوس رئيس الكهنة ويؤيده الفريسيون والثاني أرسطوبولس قائد الجيش ويؤيده الصدوقيون.

نهاية المكابيين :

بعد موت الكسندرا تولى هيركانوس الابن الأكبر ورئيس الكهنة الحكم ولكن أخاه أرسطوبولس قاد جيشاً من الصدوقيين ضد أورشليم ، فاستسلم هذا وسلم أخاه مقاليد السلطة وهرب هو إلى العربية . ولكن السلام لم يدم طويلاً إذ انتهز انتيبر ملك العربية الفرصة ليحقق أحلامه فأغرى هيركانوس على مهاجمة أورشليم ووعده بجيش عربي فتقدم هذا وباغت أخاه في أورشليم ولكن أرسطوبولس حصن نفسه في أورشليم . وبدأ الحصار الطويل .

ولكن عنصراً جديداً تدخل في المشكلة وكان هذا العنصر هو روما نفسها ، إذ كان بومباي في الشرق ليني امبراطورية روما العظيمة . وانحاز بومباي إلى هيركانس ضد أرسطوبولس الذي كان يكره روما ، واشتد الحصار على أورشليم ، فاستسلمت ودخل بومباي المدينة ووضع هيركانس في مركز السلطان . أما أرسطوبولس فقد أرسله مع ابنة كأسرى حرب إلى روما وهكذا أضحت اليهودية مستعمرة رومانية وفقدت استقلالها الذي دام ٨٠ سنة كاملة . وفي زحمة تلك الحوادث استقلت المدن الساحلية وكونت فيما بينها اتحاداً سمي « ديكابوليس » أو العشر مدن . واقتطعت السامرة والجليل وبيروية من اليهودية .

أما أنتيتر فقد أراد أن ينتهز الفرصة فخدم مع هيركانس لمدة ٢٠ سنة ،
وفي نفس الوقت كان يغير ولائه من حاكم إلى آخر من حكام روما ، حتى
تمكن من أن يجعل هيرودس ابنه والياً على اليهودية ، على وعد أن يكون ملكاً
في المستقبل . ولكن قبائل الباديثيين ، الذين لم يكونوا قد خضعوا من قبل ،
لروما ، هاجموا أورشليم وطردوا الرومان ووضعوا أنتيجونوس بن ارستوبولس
في رئاسة الكهنوت ، وقطعوا أذني هيركانس لكي لا يصلح للكهنوت مرة
أخرى وقتلوا فاسيل . أما هيرودس فقد هرب إلى روما وأخذ من مجلس
الشيوخ هناك تصريحاً بقوة رومانية تساعد على استرداد سلطانه في اليهودية ،
فأعطته روما لقب « ملك اليهودية » ورجع إلى أورشليم وقتل أنتوجونوس
وأضحى ملكاً على اليهودية .

هيرودس الكبير :

رجع هيرودس من روما سنة ٣٧ ق. م واستمر في حكمه إلى سنة ٤
ق. م وهي السنة التي قيل إن السيد المسيح ولد فيها واشتهر بأنه هو الذي قتل
أطفال بيت لحم ليتخلص من المسيح . كان هذا الرجل منحلاً وفساداً تحكمه
الغيرة القاسية والشكوك المرة ، فقتل عمه يوسف ، وزوجته مريم المكاية التي
كان يحبها ، وابنها وكثيرين غيرهم . عاش على رشوة الأحزاب المتقاتلة في
روما ونقل ولاءه من أنطونيوس إلى اكتافوس .

لكنه مع ذلك كان يحب العمارة فبنى الهيكل — مع أنه لم يكمله — وبنى
المدن على الطريقة اليونانية ، إذ أقام فيها المسارح ونوادى الملاعب ، وشجع
الشعر في أنحاء البلاد ، ثم حاول أن يتقرب إلى اليهود ، وخاصة الفريسيين
باحترام عقائدهم وطقوسهم ، ولكنهم كرهوه ولم يتجاوبوا معه ، بل
انتظروا بفارغ الصبر مجيء المخلص .

ونختم هيرودس حياته بأن قتل جماعة من زعماء اليهود . حاولوا أن ينزلوا النسر العظيم الذى وضعه فى مقدمة مبانى الهيكل . وفى فراش مرضه لما علم أن أحداً لن يبكيه حكم بالموت على جماعة أخرى من الزعماء ، فجعل البلاد فى حزن شديد يوم أن ترك هذه الحياة . ومات هيرودس وهو يترك تاريخاً بغيضاً قاسياً .

وبعد موته اقتسم المملكة أبناؤه الثلاثة فيما بينهم : فتولى أرخيلائوس اليهودية والسامرة ، وهيرودس انتياس الجليل وبيرية ، وفيلبس أقاليم عبر الأردن ، ولكن أرخيلائوس عزل وحكمت روما منطقتى اليهودية والسامرة حكماً مباشراً بواسطة ولاة اسمهم البرولوراتور . أى جباة الضرائب .

الولاية :

حكمت روما اليهودية والسامرة حكماً مباشراً لمدة ٣٥ سنة أى من ٦ - ٤١ م بواسطة ولاة ، وكان أهمهم بالنسبة لنا فى هذه الدراسة هو بيلاطس البنطى الذى جلس على كرسى الولاية من ٢٦ - ٣٦ م . وفى عهده صلب يسوع . ومع أن مركز الولاية كان فى قيصرية ، لكن الولاية كانوا ينتقلون إلى أورشليم فى وقت المواسم والأعياد . ولذلك فقد حكم على يسوع وصلب فى أورشليم ، لأنه كان وقت العيد . ولكن الولاية لم ينجحوا فى حكمهم ، وأساعوا كثيراً إلى اليهود فنجم عن ذلك الثورات ، وعظم شأن الغيورين الذين كانوا متحمسين لطرد الرومان من البلاد .

هيرودس انتياس : (٤ ق . م - ٣٩ م)

كان حاكماً برتبة Tetrarch ، بمعنى أنه لم يكن ملكاً بمعنى الكلمة بل يمكن أن يسمى أميراً ، فى الجليل ، وبيرية وكان ذكياً كأبيه سمياه يسوع الثعلب (لوقا ١٣ : ٣٢) تزوج من ابنة ملك العرب ،

ولكنه رجع فتزوج زوجة أخيه هيروديا فجرت عليه مشاكل عديدة ، فإن اليهود اعتبروه زواجا غير شرعى . وملك العربية شن عليه حرب عصابات لأنه أهان ابنته ، وأخيراً وقع في مشاجرة مع هيرودس أغريباس أخى زوجته هيروديا ، واتهمه أغريباس بالتآمر على الامبراطور كاليجولا فبنى هيرودس انتيباس . وانضمت مقاطعته إلى أغريباس .

فيلبس : (٤ ق . م - ٣٤ م)

كان رجلا عادلا محبوباً من رعيته التى تركزت في عبر الأردن تزوج سالومي ابنة هيروديا : وبنى مدينة قيصرية فيلبس (متى ١٦ : ١٣) مات سنة ٣٤ م وأضحت مقاطعته ولاية رومانية لمدة ٣ سنوات ثم أعطيت بعد ذلك لأغريباس . وبهذا أضحي أغريباس ملكاً على كل اليهودية والسامرة والجليل وعبر الأردن أى على كل مملكة جده هيرودس الكبير .

أغريباس :

كان أغريباس رجلا محبوباً من الجميع . من اليهود المتعصبين لأن جدته كانت مريم المكابية زوجة هيرودس الكبير ، وأحبه الفريسيون لأنه كان يحافظ على الشريعة ولأنه كان ضد المسيحيين (أعمال ١٢) ، فهو الذى قتل يعقوب وحاول أن يقتل بطرس كما أحبه كاليجولا فوهبه مقاطعة هيرودس انتيباس . واستمر في حكمه إلى أن مات فجأة سنة ٤٤ م . وكان عمره ٥٤ سنة . وبموته تحولت كل مملكته إلى ولاية رومانية .

الولادة (٤٤ - ٦٦ م) :

كانوا سبعة ولاية ، من بينهم فيلكس ٥٥ - ٦٠ م فستوس (٦٠ - ٦٢ م) . ولقد كان لفساد البعض كفيلكس ولطغيان البعض

الآخر كطيباريوس اسكندر ، أكبر الأثر في خلق جو التمرد والثورات في اليهودية . ولقد بدأت الشرارة الأولى للثورة في قيصرية حيث كانت تسكنها جالية يهودية كبيرة ، جردت من حقوقها المدنية وعمل أفرادها معاملة شاذة وطردها من المدينة . ولقد انتهز أحد الولاة واسمه فلوروس هذا الوقت العصبى ونهب الهيكل ، وسرق ثروة كثيرين من وجهاء اليهود ، وقتل كثيرين منهم . ولقد رد اليهود بالمثل ، فصار اليهود والأمم يقتلون بعضهم البعض .

ولما أفلت الزمام من يد فلوروس استنجد بحاكم سوريا الذى جاء على رأس جيش قوامه ٢٣,٠٠٠ رجلا واستولى على الجليل ، ثم تقدم إلى أورشليم ولكن اليهود هزموه وتبعوه إلى بيت حورون وكبدوه خسائر فادحة .

الحرب والنهاية :

عندما رأت روما خطورة الثورة اليهودية أرسلت أعظم قادتها جميعاً فسبسيان على رأس خيرة الجيش الرومانى فاستولى على الأرياف والمدن الصغيرة ثم حاصر أورشليم وتركها في حالة الضنك والضييق . أما الغيورون بمساعدة ٢٦,٠٠٠ رجل أدومى فاستمروا مسمكين بزمام الأمور . لكن الجوع والأوبئة قضت على الكثيرين منهم . فى صيف ٦٩ م أعلن فسبسيان امبراطوراً فى روما ، فتولى ابنه تيطس قيادة الحصار على أورشليم لمدة أربعة أشهر كاملة حتى حدث فيها ما لا يمكن أن يتخيله إنسان من القتل والجوع ، وأحرق جنوده أسوار المدينة والهيكل ، وبذلك تمت فيهم نبوة المسيح من ٤٠ سنة مضت ، وسقطت المدينة ، ولم تمض ٣ سنوات حتى خضعت كل اليهودية ، وصارت كلها مستعمرة رومانية يحكمها حاكم رومانى بعد أن جرد أهلها من كل حقوقهم المدنية .

في سنة ١٣٢ م - ١٣٥ م قام اليهود مرة أخرى بثورة تحت زعامة مسمعان باركوكبا ولكن الثورة أخمدت بالحديد والنار وطردهم اليهود من اورشليم نهائياً ، ولم يسمح لهم بدخولها مرة أخرى ، وبذلك أضحت مدينة أمية . وعند ذلك التاريخ انتهى تاريخ إسرائيل وانتهى ارتباطهم بأورشليم كعاصمة لهم .

٢ - الأحزاب اليهودية الكبرى

في العهد الجديد أسماء لفرق دينية كبيرة لها نشاطها الضخم وتأثيرها على الحياة اليهودية دينياً وسياسياً كالفريسيين والصدوقيين وغيرهما . هؤلاء لم يظهروا في فترة العهد القديم ولم يأت ذكرهم في الكتب المقدسة . ولهذا فلا يسع الدارس إلا أن يرجع إلى هذه الفترة - فترة ما بين العهدين - حتى يعرف شيئاً عن نشأتهم والأسس الفكرية والاجتماعية التي أدت إلى ظهورهم ، كجماعات لها وزنها الكبير في الحياة العامة . وأهم هذه الفرق ثلاث !

الفريسيون

الصدوقيون

الأيسينيون

(أ) الفريسيون

معنى لفظة فريسى « منفصل » ولقد اختلف العلماء على أصل وتفسير هذا المعنى . فظن بعضهم أنها تعني « الذين ينفصلون عن الناس » . وقال آخرون إن فعل الكلمة لا يعني انفصال بل يعني « التفسير » أي أنهم هم الذين يفسرون الكتاب المقدس أو التاموس وسواء أكان هذا المعنى أو ذلك فإن هذا الاسم واشتقاقه ومعناه لا يكشف عن أصل هذه الجماعة وقيامها وأعمالها .

تاريخ الفريسيين :

يرجع ظهور هذا الحزب إلى عصر السبي ، عندما ترك كثير من اليهود بلادهم وهيكلمهم وسيقوا إلى أرض غريبة سنة ٥٨٦ ق. م ولم يترك لهم في سبيهم هذا سوى كتاب الناموس ليكون دليلاً لهم في عبادتهم وشريعتهم ، ولهذا صار الناموس - لا فالهيكل - مركزاً للحياة اليهودية ، تبنى عليه فكراً وعملياً . واحتاج هذا الموقف إلى أناس متخصصين في تفسير كتاب الناموس وشرحه ، فظهر في السبي أناس عظام في هذا الميدان الواسع ، أشهرهم عزراً الكاتب . وسمى كاتباً لأنه مع زملائه الكتبة هم الذين كانوا يقومون بتفسير الناموس ودراسته ونسخه . ومع أن الذين رجعوا من السبي عملوا بكل هممة ونشاط على بناء الهيكل ، وأرجعوا كل الشعائر الدينية وزادوا عليها ، إلا أن المركز الأول أضحى الآن للناموس ، وأضحى رجاله المتخصصون عمدة الحياة اليهودية الدينية بدلا من الكهنة . هذه الجماعة التي اهتمت بالناموس حفظاً ودراسة ونسخاً وعملاً هي نواة الفريسيين .

ولقد ظهرت أهمية الفريسيين كحزب عندما قامت ثورة المكابيين ، فقد كانت الثورة تعتمد كثيراً على « المجمع » اليهودي الذي كان يتكون من الكتبة والمسديم أى الأتقياء أو المخلصين للناموس (١ مكاب : ١١ - ١٧) . واستمر هؤلاء في خدمة يهوذا المكابي إلى أن انتصر ودشن الهيكل من جديد وبدأ عيد التجديد ، ولكنه عندما قام بدور رئيس الكهنة ، مع أنه ليس من الصدوقيين الذين انحصرت فيهم رئاسة الكهنوت ، بدأوا يتذمرون ، وزاد استياءهم عندما جاء الياقيم إلى رئاسة الكهنوت في مقابل مهادة السوريين . وعندما ظهر الميل في عهد يوناتان المكابي إلى مجارة الرومان كانوا هم حجر العثرة ، إذ لم يقبلوا المعاهدة مع الوثنيين الأجانب ، وبدأ يوناتان يطلق عليهم اسم « بروشم » أى انفصاليين بدلا من « هسديم » أى قديسين . لكن

انفصالهم الحقيقي عن الثورة المكابية بدأ في عهد هيركانوس الأول عندما اعترض بعضهم عليه كرئيس للكهنة ، وكان اعتراضهم هذا مبنياً على أن أمه لم تكن يهودية حرة ، ولكنها كانت أسيرة حرب ، فلا يجوز لابنها أن يكون رئيساً للكهنة . ثم وصل الصراع إلى ذروته في عهد ابنه جانوس ؛ الذي صلب منهم ثمانمائة شخص في مأدبة أقامها للصدوقيين - كما مر بنا ، ولكن زوجته أنصفتهم ، وبعد موتها انقسم أبناها على أنفسهم فناصر الصدوقيون أرسطوبولس وناصر الفريسيون هيركانوس .

وفي بداية العهد الجديد ظهر الفريسيون كجماعة لها سلطانها الطاغى على مستوى الأمة كلها ، فقد كانت لهم السيطرة داخل السهدريم وخارجه ، ومع أن الصدوقيين المنافسين لهم والهرودسيين كانت لهم السلطة السياسية في الأمة إلا الروح الفريسية كانت قد امتلكت الشعب .

وبعد صعود المسيح وفي عهد الكنيسة الأولى يبدو أنهم كانوا يهادنون المسيحيين ، لأنهم كانوا أعداء لرؤساء الكهنة والصدوقيين ، وقد اتضح ذلك في موقف غمالاتيل (أعمال ٥ : ٢٤) . أما اضطهاد شاول الطرسوسي الفريسي للمسيحيين فيغلب أنه كان عملاً شخصياً انحصر في شاول وفيمن يشبهونه ، إذ أنه وضع نفسه في أيدي رؤساء الكهنة لكي يستخدموه في القضاء على المسيحية (أعمال ٩ : ١ و ٢) .

وعندما كان السهدريم يحاكم بولس انقسم بسببه ، إذ حاول الفريسيون أن يطلقوه بينما خصمه الصدوقيون ؛ ويقال إن الفريسيين الذين لم ينضموا إلى الغيورين هربوا مع المسيحيين من الكارثة التي حلت بأورشليم سنة ٧٠ م .

الصفات الظاهرة للفريسيين :

لم يحاول كتاب العهد الجديد أن يرسموا صورة كاملة للفريسيين لأنه لم يكن هناك داع لذلك ، ولهذا فلو حكمتنا على حياتهم كلها بما جاء عنهم في مناقشتهم مع يسوع قد تحتاج الصورة إلى بعض الخطوط اللازمة لتكتملها . فقد وقفوا من يسوع موقف المدافع عن الناموس ، فألقوا بكل ثقل تعصبهم وتمسكهم بناموسهم في المعركة ، لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا أو يقبلوا تفسيره لرسالته القدائية . ولهذا الأسباب يحتاج الدارس إلى مصادر أخرى إلى جانب العهد الجديد ، كى يكون فكرة عامة عنهم « ولا يمكن أن يكون هناك من يضارع يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور في معلوماته عنهم . ومن دراسة هذين المصدرين المهمين العهد الجديد ويوسيفوس يمكن أن نعرف عنهم ما يلي :

١- إن أظهر صفة وأهمها في الفريسي هي دراسته للناموس دراسة دقيقة ، ومحاولته وضع تفسيرات كثيرة معدة له ، حتى يضمنوا حفظه ، وقيل عنهم لذلك إنهم « بنوا حائطاً حول الناموس ، أو بنوا سوراً حول أنفسهم لكي يكونوا هم من الداخِل ويمنعوا الآخرين من الدخول . وهذه تهمة وجهها المسيح نفسه إليهم . ولكن الفريسي لم يكن دارساً للناموس فقط بل متمماً له . لقد كانت أهم صفة تميزه عن بقية شعب الأرض هي التسك بحرفية الناموس . فقد اشتهروا بالصيامات والغسلات الكثيرة (مرقس ٧ : ٣ ، متى ٦) .

٢- ولكن الفريسيين اشتهروا أيضاً بحفظهم التقليدات (متى ١٢ : ٢ ، مرقس ٧ : ٣ و ٥) . وبذلك اختلفوا كثيراً عن الصدوقيين الذين اهتموا بالناموس فقط مع أنه كانت لهم أيضاً تقليداتهم التي بنوها على أسفار موسى

الخمسة ، ولكن الفرق بين الفريقين هو أنه بينما كانت تقليدات الصدوقيين .
تتسم بالجمود وعدم التغير ، إلا أن تقليدات الفريسيين كانت تميل إلى
المرونة ، وقابلة للتغيير والامتداد تبعاً للمواقف المستجدة في الحياة . إنها
تقليدات متحركة لا تقف في مكان واحد . لقد كان للفريسيين صلتهم بالحياة
اليومية ، والحياة مملوءة بالمواقف الجديدة ، فكان لا بد لمدارسهم الدينية
والقانونية المختلفة أن تواجه هذه التغييرات بأحكام لم تكن في الناموس ولكنها
كانت تبنى عليه . ولقد ساعدتهم على ذلك اتساع عقيدتهم في الكتب المقدسة ،
فبينما اقتصر الصدوقيون على أسفار موسى الخمسة ، أضافوا هم إليها الأنبياء
والكتب ، فتمكنوا بذلك من تطبيق الناموس أو التقليد على كل موقف
جديد .

٣- ولهذا السبب يصف المؤرخون الفريسيين بأنهم أكثر تحجراً من
الصدوقيين ، حتى يوسيفوس نفسه يصفهم بأنهم حزب العقليين في اليهودية .
(الآثار ١٨ : ١ و ٣) ويعتقد كلاوستر أنهم الحزب التقدمي في اليهودية . وعلى
العموم فلقد كان الفريسيون والصدوقيون القوة الدافعة في المجتمع اليهودي ،
وكان كل همهم هو تقوية هذه الأمة سواء أكان ذلك بالمهارة السياسية كما
كان يفعل الصدوقيون ، أو بتقوية المجتمع دينياً كما فعل الفريسيون .

معتقدات الفريسيين :

مما جاء عنهم في يوسيفوس والكتابات اليهودية والعهد الجديد يمكن
تلخيص معتقدات الفريسيين فيما يلي :

١- إن الله وحده هو الذى يدبر التاريخ ويديره ويعتنى بحياة البشر .
إن الصدوقيين نسبوا للانسان كثيراً من الحرية في أن يشكل حياته ويكيف

٣٣ .

(م ٣ - المدخل الى العهد الجديد)

مستقبله ، أما الفريسيون فقد اعتقدوا بأن الأمر كله هو بيد الله (مزامير سليمان ٥ : ٦) .

٢ - اعتقدوا في القيامة والحياة المقبلة بعكس الصدوقيين (أعمال ٢٣ : ٨)

٣ - كانت لهم فكرتهم الواسعة عن الملائكة والأرواح بعكس الصدوقيين (أعمال ٢٣ : ٨) .

٤ - أما في عقيدة الحياة المقبلة « الاثناتولوجي » فقد كانوا يعتقدون أن الشر يملأ العالم حقيقة ، ولكن هذا لن يبتى إلى الأبد ، فلا بد أن الله سينتصر على قوة الشر ، وسيأتي ملكوت الله على الأرض ، وسوف يرد الرب الملك لداود ونسله . ومع أنهم كانوا يعتقدون في قيامة الأموات إلا أن تفكيرهم كان أرضياً أو من هذا العالم .

٥ - أما عن المسيا فإن مزامير سليمان تعطى العقيدة الكلاسيكية الفريسية (مزامير سليمان ١٧ : ٣٣ و ٣٤) . فالمسيا سوف يأتي من نسل داود وسوف تخضع له كل الشعوب وسيعطى المجد والملك لإسرائيل .

يسوع والفريسيون :

أظهر الأناجيل أن الصلة بين يسوع والفريسيين كانت صلة حوار مستمر . ففي بدء خدمته حاولوا أن يفهموا رسالته ، وهدفه ، فأرسلوا إليه مرات كثيرة أناساً يراقبونه ويعطون تقريراً عنه ، ولكنهم بدأوا يظهرون عدم رضائهم عنه وعن أعماله عندما لم يخضع لتقليداتهم ، وخصوصاً في مسألة السبت والصوم . وأضحى كثير منهم ضده ، وأرادوا أن يوقعوه في فخ أو شرك . ولكن جماعة منهم حاولوا أن يتخذوا منه صديقاً وحاولوا سجاهدين أن يكسبوه إلى جانبهم ، فكم من مرة دعى ليتغذى عند فريسيين

وحتى على الصليب أظهروا أنهم مستعدون أن يقبلوه لو فعل أمامهم معجزة.
واحدة وأنزل نفسه من على الصليب (متى ٢٧ : ٤٢) .

لقد ضجر منه أغلبهم ، لأنه صار أكثر شعبية منهم ، لأن الأمة ذهبت
وراءه . ولقد وبخهم السيد توبيخاً صارماً لأنهم بنوا ديارتهم على الرياء.
والمظاهر الخارجية ، حتى صارت هذه المظاهر هي الصفة البارزة في حياتهم.
الدينية بينما كان يسوع يعلم ويحقق في حياته العمق الحقيقي للحياة السامية .

(ب) الصدوقيون

هم الحزب اليهودي الثاني الذي كان له أثر كبير في الحياة اليهودية-
ولاسيما في الحياة السياسية ، وكثيراً ما يلتقى بهم الدارس على صفحات العهد
الجديد في مواقف متباينة وخاصة مع المسيح .

أصل الصدوقيون :

يذكر الدارسون أن أصل الصدوقيين يرجع إلى واحد من الأصول.
الآتية :

الرأى الأول :

يقول إن أصل كلمة الصدوقيين مشتقة من لفظة « صديق » العبرية وهي
تعنى « بار أو صالح » . ولكن أغلبية الدارسين لا توافق على هذا الرأى ،
وذلك لأن أصل كلمة صدوقيين يختلف عن كلمة « بار » فهي تأتي من
المصدر « صدوق » وليس « صديق » .

أما الرأى الثانى :

فقد نادى به أحد معلمى اليهود ، عاش في القرن العاشر الميلادى إذ-

يرجع أصلهم إلى صادوق أحد تلامذة المعلم انتيجونس ، الذى كان يعلم بأن خدمة الله ومحبته يجب أن تخرج من قلب الإنسان ، دون النظر إلى مكافأة أو مجازاة . وبدأ هذا المعلم يشتط فى مذهبه حتى وصل إلى إنكار الحياة المقبلة والقيامة . لكن هذا الرأى رأى متأخر لا يعتمد عليه فى دراسة جديدة .

أما الرأى الثالث :

وهو الأرجح - فيقول عنهم إنهم نسل صادوق الكاهن زميل أبياتاار الذى خدم فى كهنوته فى عهد داود (٢ صموئيل ٨ : ١٧ ، ١٥ : ٢٤) ، (ملوك ١ : ٣٥) . ويذكر التاريخ المقدس أن سليمان الملك رفعه إلى أعلى مرتبة ، ووصفه حزقيال النبي على أنه هو رئيس الكهنة المثالى (حزقيال ٤٠ : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٣ : ١٩ ، ١٤ : ١٥ ، ٤٨ : ١٠) . وإن صح هذا الرأى فيكون الصدوقيون بذلك هم ورثة الكهنوت الشرعيون .

تاريخ الصدوقيين :

ذكر يوسيفوس اسم الصدوقيين عندما كان يعرض لصلبة يونانان المكابى بالرومانيين ، كأحد ثلاثة أحزاب كبرى فى اليهودية : الفريسيين ، الصدوقيين واليسينيين . وتوحى عبارة يوسيفوس بأن الحزبين للأولين كانا موجودين من قبل تلك الحوادث التى كان يصفها ، ولكن تحت اسمين مختلفين . ويتضح أيضاً من قصة يوسيفوس أن صراعاً عنيفاً كان يدور بينهما ، ولقد أرجع البعض هذا الصراع إلى الصراع الخفى الذى كان يدور بين الكتبة ، وعلى رأسهم الكاتب عزرا ، ولكن هذا الرأى ضعيف ولأن عزرا نفسه كان كاهناً ، ولم يسمع من قبل أن صراعاً خفياً كان يدور بين الكهنة والأنبياء .

أما غالبية المؤرخين فيرون أن السبب الرئيسى الذى قسم الحزبين وجعل

منهما عدوين لدودين هو تاريخ الكهنة وما عملوه من بعد السبي . فلقد اتخذت الأمة من رئيس الكهنة رئيساً سياسياً أيضاً ، وهذه الكيفية بدأ هؤلاء ينسون الوظيفة الأساسية لهم ، من تقديم الذبائح والقيام بالخدمة في الهيكل ، ومالوا إلى الحياة العامة وانغمسوا في الحياة السياسية . ودفعهم ذلك إلى التنقف بالثقافة اليونانية والأخذ بأسباب الحضارة الهلينية ؛ فبدأ إحساسهم بالناموس يضعف شيئاً فشيئاً وصاروا رجال دنيا أكثر منهم رجال دين . فتسبب موقفهم هذا في صدور رد فعل شديد ضدهم بين « الهسيديم » أو الأتقياء ، وهم نواة حزب الفريسيين كما مر بنا - فازداد تمسكهم بالناموس لدرجة أنهم حاولوا - وقد نجحوا في ذلك - أن يجعلوا منه المركز الرئيسي للأمة ، يحفظها من كل التيارات الغربية الهدامة التي تغزو بلادهم ومن هنا بدأ التصادم والصراع بين هذين الحزبين الكبيرين .

ولقد كان الصدوقيون سلبين في موقفهم من ثورة المكابيين ، فلم يجد قادة هذه الثورة بديلاً من الاعتماد على الفريسيين اعتماداً كلياً ، ولكنهما لم يبقوا في وفاق تام معاً ، مما شجع المكابيين مرة أخرى على الالتجاء إلى الصدوقيين ، وكان أكثر من فعل ذلك هو اسكندر جانوس ، الذي جاملهم بأن صلب ثمانمائة فريسي أثناء وليمة لهم . وهكذا استمر الصراع بين هذين الحزبين أثناء الثورة المكابية .

واستمر الصدوقيون وعلى رأسهم رؤساء الكهنة في منصب الزعامة السياسية للأمة ، ومع أنهم كانوا أقلية داخل السنهدريم وخارجه إلا أنهم استخدموا مكرهم ودهاءهم السياسي في التمسك بالسلطة . وكان من أظهر هذا الدهاء السياسي هو تحالفهم مع الهيرودسيين .

وجاءت نهايتهم القاسية على أيدي الغيورين ثم الرومان عندما قامت الثورة اليهودية ، فقد قتل الغيورون رئيس الكهنة ، ثم خرب الرومان الهيكل وأبطلوا العبادة ، فاخفى هذا الحزب من المسرح ولم تقم له قائمة بعد ذلك .

الصفات البارزة للصدوقيين :

ينتظر الإنسان من حزب سياسي مشهور بال المكر والدهاء أن يكون أفراداه لطفاء حتى في الظاهر ، ولكن يوسيفوس يقول عكس ذلك فيصفهم أنهم قساة وغير مهذنين . ويؤيد العهد الجديد ما يقوله هذا المؤرخ عنهم ، فقد ظهرت صفة القسوة والجمود هذه في محاكمتهم ليسوع (متى ٢٦ : ٦٧ و ٦٨) وفي محاكمة بولس (أعمال ٢٣ : ٧) . وينسب إليهم يوسيفوس أيضاً أنهم هم الذين قتلوا يعقوب أخا الرب . ولكنهم كانوا مع ذلك جبناء ، فعندما كانوا يتولون القضاء كانوا يسرون بحسب تقاليد وشريعة الفريسيين لأنهم كانوا يخافون من ثورة الشعب ، عليهم .

ولكنهم تميزوا على الخصوص بحشعهم ومحاولتهم الغنى من وراء التجارة في الهيكل ، فبرهنوا بذلك على أنهم الخلفاء الحقيقيون لحنفى وفينحاس . وكانوا يعمدون إلى الخديعة في تجارتهم في ذبائح الهيكل ، وفي تغيير العملة الأجنبية إلى الشاقل المقدس الذى لم يسمح لأية عملة غير ه أن تدخل إلى القدس . هذا كله دفع يسوع إلى أن يثور عليهم ويطرد كل عملائهم وما لهم من الهيكل (مرقس ١١ : ١٥ - ١٨) .

عقائد الصدوقيون :

عرفنا أن الفريسيين كانوا يعتبرون الناموس هو قلب الأمة والديانة ، لكن الصدوقيين اعتقدوا بأن العبادة الحقيقية والديانة الصحيحة هي تلك التي تركز في التقدّمات والذبائح والمحرقات ، ولهذا تمسكوا بعبادة الهيكل وما

يحيط بها دون أن يتزحزحوا قيد أنملة عنها . ويروى عنهم العهد الجديد أنهم لا يؤمنون بروح ولا بملاك ولا بقيامة (أعمال ٢٣ : ٨) ، وبينون عقيدتهم هذه على أساس أن الناموس لم يذكر هذه كلها . أما مسألة ظهور الملاك كما ورد في كتب موسى فقد ظنوا أنها عبارة عن رؤى لا أكثر ولا أقل . هذا الأمر يخالف ويناقض عقيدة الفريسيين الذين اعتقدوا أن هذه حقائق عرفها موسى نفسه وسلمها إلى الشيوخ ولا زالت تسلم إلى الشعب .

وفي معرض حديثه عنهم يقول يوسيفوس بصدد عقيدتهم هذه أنهم يعتقدون أن الروح تموت مع الجسد ، وأنهم ينكرون أن هناك شيئاً اسمه العناية الإلهية . وخلاصة القول إن ديانة الصدوقيين كانت ديانة حسية مادية .

صلة الصدوقيين يسوع والمسيحين :

تظهر الأناجيل أن الصدوقيين وعلى رأسهم رؤساء الكهنة لم يبالوا بظهور يسوع ولم يجدوا فيه خطراً يذكر في أول خدمته . وهناك أمر آخر يظهر في رسالة السيد وهو توبيخه الشديد للفريسيين دون الصدوقيين مع أنه كان قريباً جداً من الفريسيين ، في حين أن رسالته كانت تتناقض عقيدة الصدوقيين وعملهم ومثلهم . قال بعض الدارسين جواباً على ذلك إن خدمة يسوع كانت تركز بالأكثر في الجليل وما حولها حيث كانت الغالبية العظمى من رجال الدين من الفريسيين ، أما الصدوقيين فقد تركزوا في اليهودية موطن الثراء والاستقرائية ، ولهذا السبب لم يكن هناك احتكاك كثير بينه وبينهم . ولكن هذه النظرية لا تعطي الجواب القاطع على ذلك ، فإن حادثة تنظيف الهيكل كانت توبيخاً صارماً أشد في قسوته من ويلاته التي حكم بها على الفريسيين ، إننا نعتقد أن يسوع كشف الغطاء عن قصد الصدوقيين ، ولا بد أن نطق بتوبيخات قاسية عليهم لم تذكر في الإنجيل ، .

أما هم فنجد اللامبالاة التي قابلوا بها رسالة يسوع أولاً ظانين أنها حركة تختص بالفريسيين وحدهم ولا شأن لهم بها : تحركوا وانزعجوا وعملوا بقوة وبقسوة للتخلص من يسوع . وكان الدافع الأول لهم على ذلك هو علمهم أن يسوع قد أعلن أنه هو المسيا ، فخافوا من حركة سياسية عسكرية يقوم بها الرومان ضدهم . ويؤكد ذلك تلك العبارة التي ذكرها يوحنا على لسان رئيس الكهنة (يوحنا ١١ : ٥٠) « خير لنا أن يموت لإنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » .

لكن ما يلاحظه دارس سفر الأعمال أن رؤساء الكهنة كانوا أكثر ضراوة ووحشية في مقاومتهم للمسيحية والمسيحيين في عهد كنيسة الرسل (أعمال ٤ : ١) واستمرت عداوتهم هذه حتى زالوا هم من التاريخ المقدس .

(ج) الأيسينيون

الأيسينيون جماعة من اليهود كانت تعيش أيام وجود المسيح في الأرض . ومع أن ذكرهم لم يرد في الأناجيل ولا في بقية كتب العهد الجديد ، لكن الاكتشافات الحديثة ، وخاصة مجموعة المخطوطات التي تسمى عادة « مخطوطات البحر الميت » - التي اكتشفت في سنة ١٩٤٧ كشفت عن نفوذهم الكبير ، وعلى كثير من تعاليمهم وحياتهم مما أثار الكثير من الاهتمام بهم وبدراسة تعاليمهم .

معنى الاسم :

لقد اختلف العلماء على المصدر الذي جاء منه اسم هذه الجماعة . فظن بعضهم أنه مشتق من الكلمة اليونانية هوسوس بمعنى مقدس ، وقال آخرون إنه يأتي من الكلمة العبرية « حصيد » ومعناه تقي ، وظنت جماعة ثالثة « بحبل » .

بمعنى يستحجم أو « صنبل » بمعنى متكبر أو « حسايم » أى « صامت » وغير ذلك من التكهينات ، ولم يحدث أبداً أن اتفق غالبية من العلماء على نظرية واحدة ، ولهذا لا يزال أصل الاسم ومعناه سرّاً مغلقاً لم يكشف عنه النقاب بعد .

مصادر معرفتنا بهم :

لم يرد ذكر الإيسينيين فى كتب العهد الجديد ، ولهذا السبب فىازم أن يبحث الدارس عن مصادر أخرى ، ولقد وجدت عدة مصادر تذكر شيئاً أو آخر عنهم . أهمها خمسة :

١ - فياؤ :

وهو الفيلسوف الإسكندرى اليهودى الذى عاش فى القرن الأول وقد ورد ذكر الأيسينيين فى كتابين من كتبه : الأيول كتاب « النظريات » والثانى « الإنسان الصالح حر » .

ويظن بعض العلماء أن فيلو كتب هذين الكتابين فى مصر قبل عام ٥٠ قبل الميلاد ، فلا بد له ، والحالة هكذا ، أن يعتمد على مصدر مكتوب عنهم . وإن صح هذا الرأى فإنه يؤكد أنهم كانوا موجودين كحزب كبير قبل هذا التاريخ . وفى كتاب ثالث لنفس هذا الفيلسوف اسمه « حياة التأمل » يرد وصف جماعة مصرية تشابه فى كثير من سماتها وحياتها الإيسينيين ، مما جعل الكثيرين يعتقدون أن أصل الجماعتين واحد عاشوا فى مكان ما لكن بعضهم هاجر إلى مصر والآخر عاش فى فلسطين .

٢ - يوسيفوس :

أما يوسيفوس فيذكرهم فى كتابيه « الحروب اليهودية » و « الآثار » ،

ويذكر يوسفوس أنهم كانوا حوالي أربعة آلاف شخص ، ويقول إنه في سن ١٦ سنة ذهب إلى الصحراء ومكث هناك ٣ سنوات ، وتعرف على كثير من عادات هذه الجماعة ، ولهذا يعتبر يوسفوس مصدراً مهماً عنهم .

٣- بلني الكبير :

كان هذا الرجل ضابطاً في جيش فسبسيان . وقد سار في وادي الأردن ليحمل رسمياً طوبوغرافياً له . وجاء في مذكراته « أنه رأى » قريباً من أريحا واحتين تصلحان للسكن . فرجح أن تكون هاتان الواحتان هما المكان الذي كان يقطنه الإيسينيون . نظراً لأنهم . كما قال بلني ، كانوا يسكنون وسط أشجار النخيل ولقد أيدت المكتشفات الحديثة صحة رواية بلني .

٤- هيوليتس :

وهو أحد الآباء المسيحيين ، وقد كتب عنهم فصلاً مطولاً ، ويظن بعض العلماء أن هيوليتس هذا قد اعتمد اعتماداً كلياً على كتابات يوسفوس عنهم . ولكن هذا الاعتقاد مبالغ فيه ، لأن هيوليتس غير كثيراً مما كتبه يوسفوس : فنتى عنهم ما قاله يوسفوس من أنهم كانوا يعبدون الشمس . فلا بد أنه كان يمتلك مصدراً آخر . وكان مما ذكره هيوليتس أن الغيورين كانوا جزءاً من الإيسينيين .

٥- مخطوطات البحر الميت :

أما أهم مصدر عنهم فهو المصدر الذي اكتشف حديثاً وخاصة الجزء الذي وجد في الكهف الرابع . ولقد صححت هذه المخطوطات بعض الأفكار الخاطئة التي راجت عنهم ثم أُلقت النور على حياتهم الداخلية ومعتقداتهم وتنظيماتهم وتعاليمهم .

تاريخ الايسينيين :

يبدأ تاريخ الإيسينيين ببداية المكابية ، ويعتقد غالبية المؤرخين أنهم والفريسيون قد انفصلا عن أصل واحد نظراً للتشابه الكبير بين هذين الحزبين ، ولعل أصلهما هذا هو المهسيديم (الأتقياء) . وتقول التقاليد اليهودية أن الأيسينيين كان لهم نشاطهم الخاص وأثرهم الكبير في الحياة العامة في أورشليم ، واستمر هذا النشاط إلى نهاية حكم أرسطوبولس الأول ١٠٥ - ١٠٤ ق.م (الحروب اليهودية ١ : ٣ - ٥) . ولكنهم هربوا من المدينة في عهد اسكندر جانوس وذهبوا وسكنوا في المنطقة التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت . ويتضح من الاكتشافات أنهم بقوا هناك إلى أن استولى هيرودس الكبير على السلطة سنة ٣٦ ق.م . وكانت سياسة هيرودس هي العمل الدائم على تحطيم بيت المكابيين حتى لا يمكنهم المطالبة بالسلطة مرة أخرى ، فعمل على إحياء هذه الأحزاب المعادية لهم وكسب رضاها . فصادق الفريسيين والإيسينيين ، وسمح لهؤلاء بالرجوع إلى أورشليم ، ووهبهم الحرية الكاملة في العبادة في الهيكل وأقطعهم الجزء الجنوبي من المدينة . فكسب بذلك عطفهم وصدقاتهم . وقاموا هم بدورهم بحركة تبشير واسعة لاجتذاب غالبية اليهود إلى مبادئهم ونجحوا في ذلك ، حتى أن الكثيرين من سكان المدن والقرى عطفوا عليهم إن لم يكونوا قد صاروا فعلا من تلاميذهم ، وأطلقوا اسمهم على البوابة الجنوبية . واستمر نشاطهم هذا إلى أن مات هيرودس الكبير . ولكن يخطئ من يظن أن هذه العلاقة التي كانت بين هيرودس وبين الايسينيين كانت عميقة الجذور ، فقد ساندوا بكل قوتهم تلك الجماعة التي هجمت على النسر الذهبي الذي وضعه هيرودس على بوابة الهيكل فما كان منه إلا أن أحرقهم أحياء .

والتاريخ لا يذكر هرب الإيسينيين مرة أخرى إلى البادية ، ولكن

كتاباتهم تعلن أنهم فعلوا ذلك اتباعاً لقول إشعيا (مخطوطات الكهف الأول ٨ : ١٣ و ١٤) . ويذكر يوسيفوس أنه قد خرج منهم واحد من أقدر قادة الثورة اليهودية سنة ٦٦ م. ولهذا السبب أحرق الرومان مكانهم وقتلوا الكثيرين منهم ، ومع ذلك فقد ظلوا يقاومون إلى أن قضى عليهم بعد ما قضى على ثورة باركوكبا ١٣٢ - ١٣٥ م. وبعد ذلك الوقت لا يذكر التاريخ عنهم شيئاً . ويلوح أن الكثيرين منهم قد تحولوا إما إلى المسيحية أو إلى اليهودية العامة ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة إلى أن تم الكشف عن آثارهم المكتوبة سنة ١٩٤٧ م.

حياة الإيسينيين :

تكشف المصادر السابقة - وخصوصاً مخطوطات البحر الميت - عن جوانب كثيرة مختلفة من حياة الإيسينيين . فقد اعتقدوا عقيدة راسخة أنهم هم وحدهم جماعة العهد المتجدد الذي سيبقى إلى الأبد . وكانوا يجتمعون مرة كل سنة لكي يعيدوا عيد تجديد هذا العهد . وكان من أظهر ملامح حياتهم التشديد المتعنت في الغسلات والتطهير ، ولهذا السبب امتنع الأكثرون منهم عن السكن في المدن لأنهم كانوا يخشون الاختلاط بالمذنبات الغربية فينتجسون . ويمكن أن تلخص حياتهم فيما يلي :

(أ) الاشتراكية :

كان كل شيء في الجماعة مشتركاً : الحقول والبيوت والملابس والطعام كان كل بيت مفتوحاً لأي إنسان من هذه الجماعة . وكان لكل الجماعة وزير خزانة يستولى على أجورهم وأموالهم ويشترى لهم بها كل شيء . لم يكن بينهم بيع ولا شراء ، ولا سيد ولا مسود يشتركون في الإحساسات والمشاعر . فضلوا حياة الكفاف عن الثراء والغنى ، كان صغيرهم يخضع لمن هو أكبر

منه ، وأحبوا بعضهم بعضاً ؛ وكان الهدف الذي يجمعهم معاً ويشد أرواحهم إليه هو الحرب الأخيرة . . الحرب المقدسة التي ينتصر فيها شعب الله ويظهر المسيا .

(ب) الزواج :

يذكر فيلو ويوسيفوس أن الإيسينيين كانوا يعزفون عن الزواج وكانوا يعتقدون أنه يعطلهم عن عملهم ، وكان أقدس عمل عندهم هو الاستعداد للحرب المقدسة ضد الشر وبليعال . وكانوا يعتبرون أن من يتزوج منهم فهو يرتكب خطية النجاسة فلا يحق له أن يبقى في المحلة ، وهذه الكيفية صارت الدعوة إلى الامتناع عن الزواج من صلب دعوتهم وديانتهم ، ويفسر هذا عدم وجود أجساد نسائية في مغارات ومدافن القمران ، ولكنهم مع ذلك كانوا يتبنون أطفال غيرهم حتى لا تنقطع الجماعة .

ولكن يوسيفوس يذكر عنهم رأياً آخر وهو أنهم سمحوا لبعضهم بالزواج ، ولكن كان الزواج عندهم لإنجاب النسل فقط ، ووضعوا لهذا الزواج أحكاماً كثيرة مشددة .

(ج) مطالب الانضمام للجماعة :

لم يكن من السهل أن ينضم شخص ما إلى جماعة الإيسينيين . فدون ذلك مطالب قاسية شديدة . فقد كان على طالب الانضمام أن يجوز تحت الاختيار القاسي سنة كاملة ، يتم فيها كثيراً من الفرائض والأحكام وعندما يبرهن على أنه مخلص في طلبه فإن الجماعة تقربه إليها ، ويمنحونه أن يشارك في المياه المقدسة : ومع ذلك فلا يستطيع أن ينال العضوية الكاملة في الجماعة إلا بعد مرور سنتين آخرين بعدها يعطى العهد المقدس ، ثم يقسم بأن يكون تقياً

أمام الله ، عادلا لكل الناس ، لا يكسر الشريعة ، يحفظ الإيمان ، لا يتعالى على الغير ، لا يسرق ولا يتنجس ، لا يخنى شيئاً عن الجماعة ، يحافظ على أسرارها وعقائدها فلا يسلمها إلا لمن يدخل ويقبل فيها ويسلمها بأمانة تامة .

الأحكام الإيسينية :

كان النظام الإيسيني شديداً قاسياً على كل مرتكب المخالفات . فقد يصل الحكم إلى حد الحرمان من الطعام المقدس فيموت الجاني جوعاً لأنه لا يستطيع أن يأكل غيره . وكانت محكمتهم تتكون من مائة قاض ولهذا فقط كان حكمها نهائياً لا مرد فيه ، وكان لهم شخص موقر يجلونه بعد الله مباشرة واسمه « معلم الصلاح » . يخترمون الشيوخ . ورأى الأغلبية هو السائد بينهم ، يدققون في حفظ السبت أكثر من أى يهودى آخر في العالم ، وهم يقسمون أنفسهم إلى أربع درجات أو مراتب ويعتبرون المرتبة الرابعة أقصى درجات الكمال الإيسيني .

(د) موقفهم من الهيكل :

كانت هذه الجماعة تشترك في عبادة الهيكل ، فكانوا يرسلون الذبائح إليه دون أن يذهبوا هم خوفاً من النجاسة والاختلاط ببقية الناس النجسين . ولكنهم في نفس الوقت كانوا يقدمون ذبائح أخرى في مكانهم ، وكانوا يعتبرونه قدس أقدس الأمة . ومع ذلك فقد كانوا يعيشون على رجاء قوى أن الرب في آخر الأيام سيأخذ الهيكل من الأيدي النجسة ويعطيه لرئيس كهنتهم هم المقدس .

(هـ) عبادتهم اليومية :

أخطأ يوسيفوس عندما ذكر عنهم أنهم كانوا يعبدون الشمس ، فقد التبس عليه ما كانوا يفعلونه عند الصباح الباكر إذ كانوا يصلون عند شروق

الشمس تماماً ، فظن أنهم من عابدى الشمس . وبعد هذه الصلاة كانوا يذهبون إلى عملهم المتنوع . حتى الساعة الخامسة (أى الحادية عشر بتوقيتنا نحن) ، فيحضرون إلى مطعمهم المقدس وهناك يجلسون فى صمت وسكون ، فيوزع عليهم الطعام ويطلب لهم الكاهن البركة ثم يأكلون . وبعد ذلك يطلب الكاهن البركة مرة أخرى ثم يستريحون ، وبعد ذلك يقومون لعملهم مرة ثانية حتى المساء ، فيأتون إلى المطعم المقدس ويفعلون نفس ما فعلوه فى الصباح وكانوا بذلك يعبرون عن استعدادهم التام لمحبي المسيا وحضور عشائه العظيم . ولقد كشف المتقربون عن المكان والأواني التى استخدمها الإيسينيون فى طعامهم .

(و) دراسة الكتاب :

كان الإيسينيون أعظم من درس العهد القديم . وكان يوم السبت هو اليوم المخصص لهذه الدراسة العميقة ، فقد كانوا يجتمعون معاً فيقرأ لهم أحدهم الكتب المتدسة ، وبعد ذلك يبدأ واحد آخر ضليع فى الكتب فى تفسير ما قرأ ، وكانوا يعتقدون أن المواعيد الثمينة قيلت فيهم وتم فى جماعتهم . ويقول يوسيفوس إن بعضهم احترف النبوة . وكانت لهم كتب التفسير الخاصة بهم .

هذه هى جماعة الإيسينيين ، وهذه هى حياتهم ويميل غالبية دارسى الكتاب المقدس إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان تربى فى وسطهم وعاش بينهم وأخذ من طباعهم مع أنه كان يختلف عنهم فى كثير من العقائد .

* * *

وإلى جانب هذه الأحزاب الثلاثة الكبرى ظهرت بعض الجماعات الصغيرة التي لم يكن لها التأثير الكبير في حياة الناس أو في مجريات السياسة ومن هذه الجماعات :

الهيرودسيون :

وقد ورد ذكرهم مرتين في إنجيل مرقس (مرقس ٣ : ٦ ، ١٢ : ١٣ ، أنظر متى ٢٢ : ١٦) ولكن لا نسمع عنهم شيئاً آخر في العهد الجديد أو في أى من كتابات المعاصرين ، ولقد ذكرهم مرقس عند اتفاقهم مع الفريسيين لكي يصطادوا يسوع بكلمة . ولقد اختلف العلماء في تحقيق شخصية هذه الجماعة فبعضهم ظن أنهم الصدوقيون وذلك بمقارنة مرقس ٨ : ١٥ مع متى ١٦ : ٦ ، أى أن خيرة الصدوقيين في متى هي نفسها خيرة هيرودس بحسب مرقس (وهيرودس قد يقصد بها الهيرودسيين) . وقال آخرون إن هؤلاء الهيرودسيين هم جماعة ظنت أن ملك هيرودس هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وهناك رأى ثالث يقول إنهم هم الذين ظنوا أن هيرودس هو المسيا المنتظر ، ولكن هذا رأى غير معقول .

منتظرو خلاص إسرائيل :

كانوا جماعة متفرقة لكنها حسمت كل آمال اليهود الروحية . اختلفوا في عقيدتهم وميولهم ومركزهم الاجتماعى . فمنهم الكهنة كزكريا أبى المعمدان (لوقا ١ : ٨ - ٢٥ ، ٦٧ - ٨٠) ومنهم العذراء (لوقا ١ : ٢ - ٥٦) هؤلاء وغيرهم ممن لم يكن لهم النفوذ الاجتماعى أو السياسى أو الدينى كانوا يمثلون كأفراد وجماعات صغيرة كل مثل اليهود العليا ، وكانوا يعيشون فى انتظار الخلاص الروحى والسياسى الذى يقوم به الرب لشعبه إسرائيل .

وإلى جانب هؤلاء وأولئك كان هناك الشعب بأكمله بكل عناصره ،
ولقد أطلق عليه شعب الأرض . كان منهم البسطاء والكادحون . . العشارون
والخطاة . يكفي أن يقرأ الفرد عن الجماعات التي كانت تتبع يوحنا المعمدان
ويسوع حتى يجد صدق رسالتهما في هؤلاء المساكين الذين كانوا كغنى
لا راعى لها .

٣ - الفكر اليهودي في فترة ما بين العهدين

لم يتأثر العهد الجديد بفترة ما بين العهدين سياسياً فقط . فقد كان التأثير
الديني والفكري أوضح وأكثر عمقاً . فهناك كثير من المعتقدات والتنظيمات
التي تظهر في العهد الجديد ولكن يقابلها شيء مثل لها في العهد القديم . ومن
البدهي أن هذه المعتقدات لم تتولد من لا شيء ، بل لا بد أن سبقتها مقدمات
وأسس في فترة ما بين العهدين . فهل هذا يعني أن معتقدات جديدة تولدت
في فترة ما بين العهدين ، وتسلمها كتاب العهد الجديد ، دون أن يكون لها
أساس في العهد القديم ؟ إن الحقيقة الواضحة هي أن هذه المعتقدات كانت
إما موجودة في العهد القديم ، وكان كل الفضل لمفكرى هذه الفترة هو
تعميقها وتوضيحها ، وإما أن بذرتها غرست من قبل وتمكن كتاب هذه
الفترة من اكتشافها ورعايتها وإظهار ما تضمنته وما تشير إليه . فالعهد القديم
كان الأساس الأول ، وجاءت هذه الفترة الغنية بالتفكير والمعتقدات فبنت
على هذا الأساس ما شاء لها من البناء . ويمكن أن تتضح هذه الحقيقة بدراسة
مجموعة من عناصر التفكير اليهودي في تلك الفترة .

١ - فكريهم عن الله :

لقد حدث تغيير ضخم في موقف الشعب بعد السبي من جهة فكريهم
عن الله . فقد كانت تجربتهم المرة قبل السبي تكمن في الأصنام وعبادتها .

وكانت الإنذارات القاسية والكثيرة التي وجهها الأنبياء إلى الشعب هي ترك الرب إلههم وعبادة آلهة غريبة ، أما المعجزة الكبرى التي حدثت في السبي هي أن هذا الشعب صهر في الأرض الغريبة ونبذ فكرة الأصنامية نبذاً نهائياً قاطعاً . لقد كانت بابل هي المظهر الذي طهر فكرة الألوهية عندهم ونقاها من الشوائب . وقد عبر عن هذه الحركة إشعياء النبي في الأصحاحات الأولى من القسم الثاني من سفره (إشعياء ٤٠ - ٤٥) .

ولكن الأمر لم يتوقف إلى هذا الحد ، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك نظراً لما كان يجري حول هذا الشعب من تيارات دينية متعددة . فقد ظهرت آثار عقيدة زارادشت واضحة بين اليهود خاصة عند جماعة يسمون الرويون نظراً لأسلوب الكتابة التي كتبوا به . فقد اعتقدوا أن العالم قد صار فاسداً شريراً ولا رجاء منه ، ولا يمكن أن يكون لله الكلي القداسة أي صلة أو اتصال بهذا العالم الفاسد . أما اتصاله بهذا العالم فيكون عن طريق ملائكة ورؤساء ملائكة ، وهذا الشكل ظهرت عقيدة السما ، المطلق لله Transcendence of God واختلقت العقيدة الأولى «سكنى الله» في وسط شعبه في الهيكل وسيره معهم . وبلغ بالناس تقديسهم لله أنهم كانوا يخافون أن ينطقوا باسمه ، فاسم الله كان أقدس من أن ينطقوا به . ولكن الله لن يترك العالم الفاسد هكذا ضحية الشر والإثم لأن له فيه شعباً ، ولذلك فهو سيندخل يوماً ما بقوة وجلال فيحطم الشر ويقم ملكوته الأبدي .

وعلى أساس هذه العقيدة فقد غضب الفريسيون من الطريقة التي اتبعها المسيح في تعاليمه عن الله كأب محب يرعى كل مصالح شعبه أفراداً وجماعات . واتهموا يسوع بأنه لا يقدر الله تقديساً كافياً ، وأنه نزل بفكرة الألوهية إلى المستويات التي لا تليق :

بنى اليهود عقيدتهم في الناموس على عقيدتهم في الله . فالله قد توارى وراء السحاب و صار أعلى من السموات ، ولم يعد الآن صوت للنبوة يرتفع في الأمة . فالله لا يتكلم مع البشر الآن . لكنه مع ذلك ترك مصدرأً أديباً لمعرفة إرادته ، هذا المصدر هو الناموس . فرجع الناس إلى الناموس باعتباره الطريق الوحيد الباقي الكامل لمعرفة القصد الإلهي في حياتهم . وكان كلما تقست الظروف عليهم فعملت على انحلالهم كأمة كانوا يرجعون إلى الناموس باعتباره الرباط المتين الذي يربطهم ويوحدهم ، ولهذا أضحى الناموس الأساس القويم لحياتهم الدينية والمدنية والسياسية ، وتخصص منهم أناس في دراسته وفوجه وأطلقوا عليهم اسم « الكتبة » .

وكلمة الناموس كانت تطلق أولاً على أسفار موسى الخمسة ، ولكنها اتسعت فشملت كتب الأنبياء ، وأخيراً أضحى تطلق على كل أسفار العهد القديم المعروفة لنا الآن . وصارت هذه الكتب هي الدستور السماوي الذي وضع للأمة اليهودية ليحدد معنى إيمانها وأعمالها . ولكن إلى جانب هذه الكتب وجدت مجموعة ضخمة من التعاليم الشفوية ، قيل عنها إن الله قد أعطاها لموسى فوق الجبل ، ولكنه لم يضعها في كتاب بل سلمها بدوره إلى السبعين شيخاً الذين اختيروا ليعاونوه في خدمته . وهكذا صارت تسلم من جيل إلى آخر إلى أن وصلت إلى يدي رجال المجمع الكبار الذين يقف عزراً على رأسهم . وقد قسمت هذه التعاليم إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول اسمه حالقاه Halakah أو « المشنى » وكان القصد منها أن تتم عمل الناموس المكتوب ، فقد كان هناك بعض الحالات التي لم يشملها الناموس في أحكامه ، فلا يجوز أن يقف الشيوخ أو القضاة عاجزين أمامها ، بل يجدون في هذه التعاليم ما يرشدهم إلى الحسم فيها . أما القسم الثاني فاسمه « إلهاجاداه Hagadah

وهي تعنى « التعاليم : والغرض منها تفسير الناموس ، فهي مملوءة بالشروحات والأمثلة والقصص التي توضح وتظهر معنى الأحكام والفرائض المختلفة في الناموس . ولقد جمع اليهود هذه التقاليد الشفوية في مركزين مختلفين وسمى أحدهما بالتلمود البابلي والآخر بالتلمود الفلسطيني ، ولا شك أن التلمود البابلي أكثر شهرة من الآخر . ويلوح أن هذه التقاليد هي التي أشار إليها يسوع في توبيخه للفريسيين عندما وصفهم بأنهم أبطأوا كلمة الله بتقليدات آبائهم (متى ١٥ : ٢ ، مرقس ٧ : ٣) .

٣- الديانة الشخصية :

في تلك الفترة بدأت فكرة الديانة الشخصية تتسع لتشمل كل الناس تقريباً . والديانة الشخصية تعنى أن كل فرد في الشعب يشعر أنه مسئول أمام إله دون الشعب كله . وتختلف هذه العقيدة عما كانوا يؤمنون به قبل ذلك ، فقد كان الفرد يشعر أنه مرتبط بالامة ارتباطاً عضوياً بحيث يصبح مذنباً عندما تقترف الامة إثماً ، وأنه بار عندما ترجع الامة إلى الرب دون النظر إلى حياته هو الشخصية . وكان أول من هاجم هذه الفكرة لا عن بحث نظري بل من واقع خبرته العملية الشخصية هو إرميا النبي ، ثم جاء السبي ، فعمق هذه العقيدة في ضمير الشعب ، ويؤكد حزقيال هذا التحول إلى الفردية في عبارات قوية (حزقيال ١٨) .

وكان السبب الرئيسي الذي دفع إلى هذا التحول من الجماعة إلى الفرد هو التحول من ديانة الذبيحة والهيكل إلى ديانة الناموس ، فديانة الهيكل هي ديانة أمة مرتبطة معاً كفرد واحد ، أما ديانة الناموس فهي ديانة أفراد ، لأن الناموس قادر على خلق الضمير الفردي (قصة دانيال وسوسته) .

ولقد ساعد هذا الكيان الديني للفرد على حفظ هذه الجماعة حتى في .

وسط الظلام الحالك ظلام السبي ، ولم تستطع قدرة الأصنام على اجتذاب الناس في وسط السبي ، في حين أنهم كانوا ينطلقون إليها قبل ذلك بكل قوة . ولأجل ذلك يستطيع المرء أن يفهم لماذا بقيت الأمة ، فقد «أضحت» شركة دينية بين مجموعة أفراد يجمعهم طقس واحد هو الختان وعبادة واحدة وإيمان مشترك واحد .

٤ - الملائكة والشياطين :

وكان من نتيجة عقيدة السمو المطلق لله أن ظهرت عقيدة أخرى هي عقيدة الأرواح ، وتقسيمها إلى صنفين : الأرواح الصالحة وسميت الملائكة والأرواح الشريرة وسميت الشياطين . نعم لقد كانت بدور هذه العقيدة موجودة في العهد القديم ، فقد كان هناك ملاك العهد الذي كثيراً ما كان يمثل الله (خروج ٣ : ٢) وكان هناك الشيطان أو إبليس (أخبار الأيام الأول ٢١ : ١ ، أيوب ١ : ٦ الخ) . . ومع ذلك فقد كانت هذه شخصيات مبهمة لا يعرف عنها الشيء الكثير . أما في فترة ما بين العهدين اتسعت هذه العقيدة اتساعاً هائلاً ، ويلوح أن مفكرى اليهود تأثروا كثيراً بفترة السبي وبعقيدة الفرس في الأرواح . وانقسمت الأرواح إلى قسمين : الملائكة وهي التي تخدم الله وتعمل إرادته ، حيث أنه لا يتصل اتصالاً مباشراً بالناس كما كان يفعل في العهد القديم ، ثم هي تؤثر التأثير الصالح في الناس ، والقسم الثاني هم الشياطين وهم الأقل في الرتبة وهم جماعة شريرة وتعمل رسلاً لإبليس عدو الله لكي تؤثر التأثير الشرير في الناس . وقسمت هذه الأرواح بنوعها إلى مراكز ورتب مختلفة وأعطيت أسماء عديدة .

وظهرت آثار هذه العقيدة في العهد الجديد ، ولكن الناس انقسموا تجاهها إلى فرق فبينما أنكروها الصدوقيون ، اعترف بها الفريسيون . أما المسيح

فقد قبلها بتحفظ شديد فبينما اعترف بوجود الملائكة والشياطين أنكر أن الملائكة هي التي تكشف إرادة الله مثلما ظن مفكروا اليهود ، فإن الذي يكشف إرادة الآب هو الابن الوحيد الذي في حضن الآب .

٥ - الرجاء في المسيا :

كانت للظروف التي أحاطت باليهود في كل عصورهم أكبر الأثر في دفعهم للنظر إلى المستقبل ، وقد بلغ بهم هذا الأمر مبلغاً جعلهم في بعض الظروف يعيشون في ذلك المستقبل . وتبلورت انتظاراتهم هذه إلى عقائد واسعة أطلق عليها اسم « علم الأنخريات » "Eschatology" . وكانت أهم عقيدة في هذا العلم هي عقيدتهم في مجي المسيا أو المسيح ، وهو المخلص الذي بواسطته سيخلصهم الله من هذا العالم الشرير ويرفعهم إلى مرتبة المجد . ولم يكن انتظار المسيا أو المسيح شيئاً جديداً على عقلية اليهودى في فترة ما بين العهدين ، بل كانت له جذوره في العهد القديم نفسه ، ولكم تنبأ الأنبياء عن مجيئه وعن الخلاص الذي يقوم به . ثم أعطوا أوصافاً كثيرة عنه ، فهو نبي مقتدر مثل موسى (أعمال ٧ : ٢٢ و ٣٣) . وهو ملك يأتي من نسل داود (لوقا ١ : ٣٢) وهو متواضع (زكريا ٩ : ٩) ولكن من ذلك مخارجه منذ الأزل ، ومن يقرأ أصحابى ٦ و ٩ من سفر إشعياء يجد أوصافاً كثيرة لهذا المخلص . ولكن الأنبياء مع كل هذا المجد الذي أسبغوه على هذا المسيح لم ينسبوا إليه الدور الأول بل رأوا أن العامل الأول في هذا الخلاص المنتظر هو الله ، أما المسيح فهو الرجل الذي يقيمه لتنفيذ ذلك الخلاص .

ولكن السبى غير كثيراً من هذه الفكرة ، فقد بدأت الديانة الشخصية تحل محل الطقوس الجماعية ، وأخذ دور الكتابة يزداد بعد أن خفتت صوت النبوة ، واتسعت فكرة اليهود عن العالم ، فلم يعد الجنس البشرى مقتصرأ

عليهم وعلى من يحيط بهم من شعوب صغيرة ، ومعاملة الله للناس لم تعد وفقاً عليهم هم ، بل رأوه في كل الحركات التي كانت تظهر في الممالك والامبراطوريات العالمية المتسعة . فكان هذا التغيير الضخم مع روح الانتظار الذي تملك عليهم - عقولهم وحياتهم - عاملاً على تعميق فكرة المسيا وتفسير المواعيد والنبوات الخاصة به تفسيراً متسعاً متبايناً . وكان أهم ما ظهر في عقيدة المسيا هو أنه لقب بلقب « ابن الإنسان » (دانيال ٧ : ٤) وأن نسبه ومجيئه من نسل داود قد اختفى وصار شخصاً عالمياً ، نعم إنه يقف مع شعب قديسي العلي الذين هم اليهود المخلصون ولكن ذلك لا يعنى أن يكون له نسب أرضي .

ولكن هذه العقيدة وتمسك الناس بها كانت تتأرجح بين الظهور والاختفاء ، فبينما اشتد ظهورها واشتد انتظار الناس لحجى المسيا في عهد أنطيوخوس أبيفانس بدأت تخفف وتخفص في عهد المكابيين ، لأن اليهود أحسوا بأنهم نالوا الاستقلال والسيادة ، ولكن ما أن فقدوا ما نالوه في عهد هيرودس حتى تفجر انتظار الناس لحجى المسيا بقوة عارمة ، فاقسعت التفسيرات وكثرت ، ووصف عصر المسيا وعمله في صفحات كثيرة ، وبدأت أفكار العامة تضيف الكثير إلى هذه العقيدة . ويشهد العهد الجديد على هذا الرجاء الملتهب ، فكان الناس يظنون في كل يوم أن ملكوت الله سوف يظهر في الحال (لوقا ١٩ : ١١) . ولهذا السبب التفوا حول يوحنا المعمدان ، ولما رأوا معجزات يسوع وسمعوا تعاليمه ذات السلطان البالغ بدأوا يتبعونه منتظرين ، لعله المسيا ، ولكنهم أخيراً رفضوه لأنهم لم يحقق لهم حلمهم القديم فيكون المسيا السيامي الذي يوجه الضربة القاضية لأعدائهم .

٦ - الخلود :

لكن العقيدة التي ظهرت في الوجود في هذه الفترة كأنها لم تكن من

قبل هي عقيدة الخلود . وكانت حالة اليهود المرة هي كالعادة العامل الأعظم في ظهور هذه العقيدة وانتشارها . فعندما بدأت آمالهم في النصر الأرضية تتحطم وعندما ابتعدت عن عيونهم مراكز الرجاء والراحة ، لم يمت إيمانهم نتيجة لذلك ولم يتلاش لكنه كافح وانتصر في هذه العقيدة – عقيدة الحياة المقبلة .

لم تكن هذه العقيدة واضحة في العهد القديم ، ولم يذكر عنها إلا بعض التلميحات في بعض الكتب مزامير « ١٦ و ١٧ و ٤٩ و ٧٣ ، أيوب ١ : ١٣ و ١٥ و ١٩ و ٢٥ – ٢٢٩ وكان السبب الأول في عدم ظهورها في العهد القديم هو أن رجاء إسرائيل تركز أولاً وأخيراً في المواعيد الزمنية وميراث أرض كنعان والخلص والمجد الزمانيين ، وعندما كانوا يفكرون فيما بعد الموت لم ترتفع أفكارهم عن كونها « هاوية لا يحمد فيها الناس الله » .

ولكن الجو يتغير إذا انتقلنا إلى كتب التلمود والأبوكريفا ، ففيها ظهرت عقيدة الحياة المقبلة واستخدم الكتاب ألفاظاً فنية مخصصة للتعبير عنها ، حتى نفس كلمة « خلود » استخدموها وارتبطت بهذه العقيدة صورتان متلازمتان « قيامة الأجساد » ، « العقاب والثواب » .

أما عن الصورة الأولى : قيامة الأجساد . فقد بدأت تظهر في عصر المكابيين كإحدى عمد الحياة المقبلة . نعم لا ينكر المرء أنها لم تظهر في سفر يشوع بن سيراخ ولكنها جاءت في مزامير سليمان وفي سفر دانيال (مزامير سليمان ١٧ : ١٦ ، دانيال ١٢ : ٢) . واستمرت تنتشر ويتمسك بها الشعب حتى وصلت إلى ما وصلت عليه أيام المسيح ، إذ أضحت عقيدة ثابتة عند الفريسيين ، بينما كان الصدوقيون يتكرونها . ولكنها لم تظهر كإلهة كما كانت في عهد المسيح ، ولكنها تطورت ، فلم تنسب أولاً إلا للأبرار

فقط حينما اعتقد مفكرو اليهود أنهم يقومون ويملكون مع المسيا ، ولكن العقيدة اتسعت فشملت الأشرار – ثم ارتبطت الفكرتان معاً فقبل إن الأبرار يقومون عند مجيء المسيا أما الأشرار فيقومون في القيامة العامة .

أما الصورة الثانية فهي صورة العقاب والثواب ، ولم تظهر هذه الصورة أيضاً كاملة ولكنها تطورت فبدأت بفكرة مكافأة الأبرار الذين تعذبوا في هذه الحياة الحاضرة (الحكمة ٣ : ١ و ٥ و ١٠ ، ٥ : ١٤) ثم اتسعت فشملت عقاب الأشرار . وقد أطلق على المكان الذي يوجد فيه الأبرار اسم « حوض إبراهيم » أما مكان عذاب الأشرار فقد أطلقوا عليه اسم « جهنم » ولم تكن جهنم هذه أبدية مطلقة ولكنها كانت مدة محددة يتعذب فيها الأشرار حتى يوفوا عقاب خطاياهم وبعد ذلك يسرون في المعبد ليدخلوا إلى الفردوس : وقال كثيرون إن الفردوس وجهنم هما حالتان وسيطتان تعقبهما حالة البركة الأبدية . أما الذين لا يتوبون فلم توضح كتابات اليهود عنهم شيئاً أيتعذبون إلى الأبد أم يبيدون نهائياً .

أما يسوع فقد تمسك بهذه العقيدة واستخدمها في تعاليمه ، (متى ٥ : ٢٦ ، ١١ : ٢٢ ، لوقا ١٦ : ١٩ – ٣١ ، ٢٣ : ٤٣ ، ١٢ : ٤٧ و ٤٨) .

الفصل الثاني

الخلفية الهلينية

١ - الثقافة الهلينية وعناصرها

سبق وعرفنا أن اليهود حاولوا كل جهدهم أن يبعثوا الثقافة الهلينية عنهم ولكنهم لم يستطيعوا ، ومع أن الصراع كان عنيفاً قاسياً إلا أن عناصر غربية من الخارج دخلت إلى أعماق التفكير اليهودي .

وهنا يتساءل الشخص : هل كان لهذه الثقافة الهلينية بمعناها الأوسع أثر في التفكير المسيحي - أي في العهد الجديد . وينقسم العلماء إلى ثلاث مدارس :

١ - المدرسة الأولى تنكر ذلك إنكاراً باتاً ، ويقول أصحابها إن المسيحية والتفكير المسيحي هو الابن الشرعي للعهد القديم واليهودية ، ولا يمكن أن نجد في العهد الجديد شيئاً لا نجد بدوره في العهد القديم واليهودية ، أما الثقافة الهلينية فلم يكن لها أثر على العهد الجديد لا من بعيد ولا من قريب .

٢ - أما المدرسة الثانية فهي المدرسة التي لا ترى في المسيحية شيئاً سوى التفكير الهليني ولكنه مسح بالمسحة المسيحية ، وتذكر هذه المدرسة أن المسيح كان ، يهودياً يفكر ويعمل في الجو اليهودي ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك . أما المسيحية وهي من تفكير بولس الرسول فقد كانت شيئاً

آخر ، فوى ديانة أومية ربطت بالمسيح الذى وضع مركزاً لكثير من العقائد الهلينية ، وانتقلت هذه العقائد من المعبد الوثنى إلى الكنيسة المسيحية ، وعلى ذلك فقد كان الفكر الهليني هو الأساس الذى بنيت عليه المسيحية .

٣- أما المدرسة الثالثة فترى فى المدرستين السابقتين مبالغة شديدة ، فكلاهما ذهب إلى نهاية المطاف من ناحيته ونظر إلى الأمر نظرة لا متحيزة فقط ، ولكنها متطرفة لا تعرف شيئاً آخر غير ما تقول ، ولكن الحقيقة هى أن المسيحية بنيت على أساس غير هذه وتلك ويمكن تلخيص هذا البناء فى جملة واحدة تقرب المعنى وهو أنها اتخذت من العهد القديم واليهودية كثيراً من التفكير واتخذت من الهلينية المصطلحات التى تضع فيها هذا التفكير . فلا يمكن أن تفصل صلة المسيحية باليهودية ولا يمكن أن تتغاضى عن التيار الضخم العظيم الذى غطى العالم كله فى تلك الفترة وهى الثقافة الهلينية . ومع ذلك فالمسيحية شئ جديد لم تعرفه اليهودية ولا الهلينية من قبل وما نجده فيما من عناصر يهودية أو هلينية فلا يدخل فى جوهرها ولكنه يساعد على إظهاره .

معنى الهلينية :

إذا كان الأمر كذلك فما هو المعنى للهلينية ؟ وماذا يقصد بها ؟ يفرق العلماء بين اصطلاحين : Hellenistic Hellenic ويقصدون بالاصطلاح الأول Hellenic الثقافة اليونانية الكلاسيكية من القرون التى سبقت مجئ الإسكندر الأكبر أى أنها الثقافة التى انتشرت فى « المدن الدول » كمدينة أثينا وغيرها ، وتشمل هذه الثقافة التفكير اليونانى فى كل أوجهه إلى جانب العوائد والتقاليد وطرق المعيشة والسياسة ، ومعنى أدق كل نشاط برز فى الحياة اليونانية سواء أكان فكرياً أم عملياً . ولقد امتازت هذه الثقافة بامتيازات سامية ، فقد بدأت ترفع قيمة الفرد وحولت نظره من السماء إلى

نفسه كما ظهر ذلك في فلسفة سقراط بشعارها الخالد « إعرف نفسك » .
وبهذا العمل حولت الفلسفة من فلسفة إلهية تدرس ما وراء الطبيعة إلى فلسفة
إنسانية تبحث في مشاكل الإنسان والمدينة . ثم هذبت الديانة فتحول الآلهة
من قوى عمياء متصارعة مخيفة إلى كائنات أو آلهة أبطال يمثلون كثيراً من
الصفات النبيلة بحسب التفكير اليوناني من أمثال زيوس وهرقل وغيرهما .

لكن الأمور تغيرت بمجيء فيليب المكدونى الذى بدأ يحطم الحواجز التى
تفصل بين المدن ليكون من بلاد اليونان المتفرقة دولة واحدة . ثم تبعه ابنه
الإسكندر فتخطى حدود اليونان وفتح رقعة واسعة من العالم ليحولها كلها
إلى امبراطورية واسعة ضخمة ، ولم يقتصر على الفتح والتوسع السياسى
ولكنه اهتم بالأكثر بنشر ثقافة قومه أى الثقافة Hellenic في كل البلاد
التي افتتحها ، نشرها في هيئة لغة وتفكير وعوائد ، واختلطت هذه الثقافة
بغيرها من الثقافات الأصيلة في تلك الأمم فتكون منها ما يسمى بالثقافة
Hellenistic أو Hellenism فالهلينية في الاصطلاح الثانى هى
الحضارة التي انتشرت في حوض البحر الأبيض المتوسط وما يحيط به مدة
قرون ثلاثة تبدأ من انقسام دولة الإسكندر الأكبر بعد موته . ولم تكن هذه
الحضارة أصيلة فيها قوة الخلق والابتكار كما كانت الحضارة اليونانية القديمة ،
ولكنها نمت من هذه الحضارة العريقة وصارت حضارة عالمية شعبية . هذه
الحضارة الأخيرة هى التي تهمننا الآن بما لها من صلة بالمسيحية والعهد الجديد .
فتى ذكرنا كلمة هلينية فإنما نقصد بها الحضارة الأخيرة العالمية التي انتشرت
خارجاً عن بلاد اليونان .

ملامح هذه الحضارة :

ولزيادة المعرفة بهذه الحضارة ينبغي أن نكشف عن بعض الملامح
المتميزة الخاصة بها . وهناك امتيازات كثيرة أهمها ثلاثة :

١- المسكونية Internationalism :

ولا يقصد بالمسكونية هنا اتساع الحضارة عن حدود مدينة واحدة ولكن يقصد بها تلك الروح العامة التي ربطت هذه الرقعة الواسعة من العالم المختلفة الأجناس واللغات بعضها ببعضها . وكما رأينا كان الإسكندر الأكبر هو المؤسس الأول لهذه المسكونية ، ولكن جاءت بعده امبراطورية ضخمة كان لها النصيب الأوفر في تعميق هذه الروح . هي الامبراطورية الرومانية .

وكان أول ما علمته الدولة الرومانية لتوسيع نطاق هذه المسكونية هو أنها حاولت بث السلام في ربوع الامبراطورية العظيمة المتباينة الأجناس ، ولم يكن هذا السلام مبنياً على الإخضاع بالسيف وكسر شوكة الشعوب ، ولكنه بنى على سيادة القانون الذي كان من أهم ما ميز حكم الرومان ، فتوسعوا في الجنسية الرومانية ، فلم تقتصر على سكان روما وحدها ولكنها وهبت لبلاد كثيرة . وكان لها ما لها من امتيازات كثيرة وضخمة . وبهذه الكيفية بدأت الكراهية تخف والغارات البربرية والطعرات الوحشية والغزوات القاسية تزول إلى فترة طويلة من الزمن مما ساعد على الاستقرار .

ثم بدأت الآلهة تتوحد فلم تعد آلهة مدينة أثينا أو حتى بلاد اليونان كلها تقتصر عليها . بل اندمجت الآلهة بعضها في بعض ، وأخذ الأقوام يوقفون بين هذا الإله وذاك حتى أضحت مجموعة من الآلهة تسيطر على تلك الرقعة الواسعة تحت أسماء مختلفة ولكنها متفقة في الصفات والقوة والاتجاه .

ولقد ساعد على بث هذه الروح المسكونية أيضاً انتشار الطرق المريحة . فقد اهتمت روما كثيراً ببناء وتعميد الطرق الواسعة لجيوشها التي سارت إلى كل مكان في الأرض ، ولكنها لم تقتصر على الأغراض العسكرية بل استخدمت في التجارة والأسفار المتعددة للأفراد والقوافل ، ولم يكن المهم

هو تعبيد الطرق فقط بل كان أهم منه تأمينها من قطاع الطرق والصوص . فشجع ذلك الناس على السفر . وما عملته في البر عملته أيضاً في البحر ، إذ قطعت دابر القراصنة الذين كانوا يسطون على السفن التجارية ، وسفن الأسفار وينهبونها ، فخفت وطأهم في البحر الأبيض بل كادت تزول . وأنشأت روما نظاماً محكماً للبريد ساعد على ربط المدن والأفراد . أما ما أعطته مكدونية لخلق هذه الروح المسكونية فلم يكن أقل مما عملته روما ، فقد أعطت لغة ربطت كل أجزاء الامبراطورية ، وحضارة جعلت منها وحدة واحدة . وهذا كله ساعد المسيحية على الانتشار والتغلغل إلى أعماق بلاد ودول ما كان يمكن لها أن تفعله بدون هذه المسكونية .

٢ - عدم الاستقرار الاجتماعي :

امتاز هذا العصر بأنه عصر تغير اجتماعي ضخم ، فعندما تحطم حدود « المدينة الدولة » لتذوب في امبراطورية كبيرة تختلط فيها بأجناس عديدة فلا بد أن قيماً اجتماعية عديدة تتغير ، وتصبح المثل العليا لتلك المدينة في عداد الخلفيات القديمة :

وكان من أهم مظاهر هذا التغير الجديد أن انقسم المجتمع إلى طبقتين منفصلتين تمام الانفصال : طبقة السادة الأرستقراطيين الإقطاعيين ، ثم طبقة العبيد والفقراء الذين يعيشون في غبن وظلم شديدين . وانعدمت الطبقة الوسطى التي تعتبر في كل عصر وموطن ميزان المجتمع الحقيقي ، ولهذا السبب انتشر الظلم الاجتماعي بكيفية أصبح فيها هو الشيء الطبيعي السائد الذي اعتاده الناس ، فلم تعد هناك ثورة ولا مطالبة بحقوق مدنية ولا أية حقوق اجتماعية للعدل . الاجتماعي مما تعرفه عصور أخرى غير ذلك العصر . وكان من أثر ذلك أيضاً انتشار الفساد الاجتماعي ، فبدأت الأسر تتفكك والروابط الطبيعية تنحل .

وأضحى الانحلال الخلقي والجنسى طابعاً مميزاً لهم ، ومن يود أن يعرف لمحة بسيطة عنه فليقرأ ما كتبه الرسول بولس عندما لمس تلك الحالة لمساً خفيفاً في الأصحاح الأول من رسالة رومية .

ومن أهم المظاهر التي طبعت ذلك العصر نظام الرقيق . وكان هذا النظام ضخماً ثابت الأركان لدرجة أن المسيحية لم تحاول اجتثاثه دفعة واحدة ، وإلا لما بقي المجتمع ثابتاً . فلو حدث أن قوة إعجازية أنهت الرقيق من الامبراطورية لتقوض المجتمع في الحال . وكانوا يقولون إن نسبة الرقيق إلى المجتمع هي خمسون بالمائة ، أى أن نصف المجتمع كانوا من العبيد ، أما في إيطاليا عامة فقد كان الأمر أشد صعوبة ، فقد قيل إن نسبتهم إلى الناس الأحرار كنسبة ٣ : ١ وكان ضرر هذا النظام جسيماً ، فقد أشاع أولاً روح الكسل والخمول بين السادة ، فمن ذا الذى يعمل وهو يرى بيته قد امتلأ بالعبيد الذين يفعلون كل شئ ؟ وامتد هذا الأمر إلى احتقار العمل الليدوى ، وظن الناس أنه من صميم عمل العبيد ، أما السادة فلا يجوز لهم أن تمتد أيديهم إلى أى عمل مهما كان بسيطاً . وليس ذلك فقط بل لقد انتشر الفساد الخلقي ، فقد كان السادة يحسون أن كل عبيدهم ، رجالاً ونساء ، ملكاً لهم يستولون على كل شئ عندهم ، فحق للسيد أن يفعل ما يريد وما يبغي بمن عنده من العبيد .

أما ما كان يرعب الضمير المسيحي فهو موقف الناس من الأطفال ، ولا أدل على ذلك من الخطاب الذى وجد في مصر الذى أرسله رجل إلى زوجته بعد أن عرف أنها أنجبت طفلة ، إذ يقول لها فيه أن نتخلص من هذه الطفلة ونقتلها بأية كيفية . إنه موقف مجتمعا لا يتمتع بشئ كثير من الاستقرار .

الفقر الروحي والتطلع إلى الخلاص :

كان ذلك المجتمع مستقراً مادياً مقلقاً اجتماعياً ولكنه كان مفلساً روحياً . كان الرجل اليوناني قديماً لا يعرف معنى الخطية ولا يهتم كثيراً بالفشل الروحي ، ولكن عندما انكسرت الحواجز واختلطت بالعالم الخارجي وتدخلت إليه التيارات الشرقية من ديانات سرية وتصوف فإن الحال تغير وبدأ ذلك الاستقرار الروحي في التقلقل بدرجة مروعة يصفها جلبرت مورى « إنها فترة عصبية لا يمكن وصفها . إنها ظهور الصوفية والتشائم وفقدان الثقة بالنفس واليأس في هذه الحياة وعدم الإيمان بالمجهود البشرى . إنه تساؤل بشرى يائس وصرخة من أجل إعلان سماوى معصوم . إنه محادثة للروح مع الله . . إنه عصر أضحى فيه الإنسان الصالح ليس هو ذلك الذى يعيش بحسب البر والعدل بل هو الرجل الذى يحس بغفران خطاياها » مقتبسة من كتاب *Jews and Greeks Tutors unto Christ* ص ٢٢٣ ، والذى دفع الإنسان إلى الإحساس بالخطية وطلب الغفران من الله تلك الأحوال التى مرت بها النفس البشرية ، ففي فترة خضع الإنسان للصدفة العمياء وأحس أن الحظ وحده هو الذى يحكم المصير البشرى ، فالصدفة هى الله ، والله هو الصدفة . ثم ارتبطت العقيدة فى الصدفة العمياء بالتنجيم والإيمان بالنجوم ، وأضحت الشمس والقمر والنجوم هى الآلهة التى ارتبط بها المصير الإنسانى . ولكن الإنسان لم يكتف بذلك فعمل على تأليه الإنسان ، وبدلاً من أن تؤنس الآلهة كما حدث فى بلاد اليونان قديماً أضحى العكس فأله الإنسان وعبدت فظهرت عبادة الامبراطور وغيره من الأبطال .

هذه كلها تعطينا التفسير الحقيقى لذلك الاشتياق الحقيقى للخلاص . ولم يكن الخلاص كما نفهمه نحن ، بل هو الخلاص من القوى الجبارة التى عبدها

الإنسان . فكلم اشتاق الفرد أن يتمخلص من القدر الأعمى والصدفة القاسية ثم تطلع إلى الخلاص من سلطة الكواكب والنجوم والقوى الجبارة القاسية التي تحكم الكون . وأضحى الشخص يحس أن خلاصه يأتي عن طريق المعرفة والتنوير الإلهي الذي يأتيه من الخارج .

ويمكن تلخيص لاهوت تلك الفترة في هذه الكلمات : الإيمان الكامل بأن هذا العالم المنظور شريد ، وأنه في مرتبة أقل بكثير من العالم الروحي . . عالم النور . والإيمان بأن روح الإنسان هي عنصر إلهي من ذلك العالم الروحي ؛ لكنه اختلط بهذا العالم المادي . . وأخيراً الإيمان بأن الإنسان بطريقة أو بأخرى يجب أن ينقذ ذلك العنصر الإلهي من سجنه ليرجع أصله الإلهي كما كان .

وكان هذا الاعتقاد هو الأساس الذي عليه بنيت الديانات السرية بما فيها من طقوس وعوائد كما سيجيء ذكره فيما بعد .

ومن هذا يتضح أن ذلك العنصر لم يكن عصراً ملحداً لا دينياً – كما يحاول البعض أن يصفه ولكنه كان عصراً شغلت فيه الأسئلة الدينية . كل العقول والقلوب . نعم لقد أفلست الديانات فلم تستطع أن تروى الغليل ، ولكن هذا الأمر لم يكن نهاية المطاف بل كان التطلع المشتاق إلى الخلاص هو الحافز القوي والطابع الظاهر لذلك العصر . وانتشرت المسيحية لأنها وجدت عقولاً متفتحة تطلب كل جديد فقط ، بل وجدت نفوساً مثقلة تطلب الخلاص ولذلك قبلوها لأنهم وجدوا فيها ما يرويه من خلاص كامل . إن العصر الهليني أوضح بجلاء أن الحق هو الصديق الحقيقي للإنسان وأن معرفته ممكنة ومستطاعة .

٢ - العلاقة التي تربط العهد الجديد بالهلينية

لا يستطيع أى دارس أن ينكر أن هناك علاقة ما بين العهد الجديد وبين تيار الثقافة الهلينية الذى ساد ذلك العصر . ولا يعقل أن الكنيسة المسيحية التى نبتت فى وسط ذلك التيار الجارف ظلت بمنأى عنه غير متأثرة به . ومن يفتح العهد الجديد ويقرأه لأول مرة وهو يعرف بيئة ذلك العصر ، لا يخفى عليه ذلك الأمر الذى تركته تلك البيئة عليه . إن الاختلاف بين دارسى الكتاب لا ينصب على الارتباط بين العهد الجديد والمسيحية من جانب والهلينية من جانب آخر ، فغالبيتهم تقريباً متفق فى ذلك ، ولكن الاختلاف يكمن فى تحديد نوع ذلك التأثير ومداه . ولا يسعنا هنا أن نضع تحديد لذلك قبل أن نورد بعض النقط التى عندها يتلاقى العهد الجديد بالهلينية ، لئلا نرى مقدار تأثر أحدهما بالآخر . ويمكن القول بأن أشهر المراكز الهلينية التى تمحنا فى هذا المضمار هى :

١ - الديانات السرية .

٢ - الغنوسية .

١٠ - الديانات السرية :

الديانات السرية هى أقوى محاولة قام بها الإنسان لكى يتخلص من سجن التعاسة ، والإحساس بالخطية ، والخوف من الموت ، ثم لضمان الخلود لنفسه . ولقد بدأت فى بلاد اليونان قبل العصر الهليني فى ديانتين سريتين : الأولى هى الديانة الأورفية Orphism نسبة لذلك المغنى اليونانى الأسطورى أورفوس وقد انتشرت فى القرن السادس قبل الميلاد فى بلاد اليونان . ثم الديانة الأليوسينية ، وقد كانت الديانة الرسمية ، وترتبط بالإله ديمتريوس

Demeter الذى كان يمثل قيامة الحياة النباتية فى الربيع بعد موتها فى الشتاء .

ولكن بعد فتوحات الإسكندر بدأت الديانات اليونانية تختلط بما حولها ونظراً لما كان عليه الرومانيون من تساهل وتسامح بالنسبة للديانات الأخرى فقد بدأت عناصر جديدة غريبة تدخل إلى الثقافة الهلينية وخصوصاً . تلك الديانات والطقوس الكثيرة التى انتشرت فى شرق حوض البحر الأبيض المتوسط . فظهرت بذلك مجموعة كبيرة من الديانات السرية ذات الطقوس الغريبة التى كان يمارسها المتمسكون بها .

ولكن ما هى الديانة السرية ؟ رغم كل الاختلافات الكثيرة فى التفاصيل ورغم السرية الكاملة التى كانت تفرض على طقوس الديانة وعدم البوح بها لدى أى إنسان خارجى ، رغم ذلك فالديانات السرية كلها تشترك فى عناصر أساسية لا تختلف فيها ديانتان : هذه العناصر تتلخص فى أن الإنسان عنصراً إلهياً جاء من الإله من السماء ، ولكن هذا العنصر السامى يحن فى سجن المادة فى جسد الإنسان ، يحن ليتعذب ويتألم ، ولا بد له من التحرر من هذا السجن ليصعد إلى مصدره الذى جاء منه . ولا توجد طريقة لذلك سوى الاجتياز فى اختبار الإله العميق . ذلك الاختبار هو الموت والقيامة . ولكن قبل ذلك الاختبار عليه أن يقوم ببعض الطقوس ، فهناك طقس للتطهير من الخطايا ، كالمعمودية ، ثم هناك فريضة أخرى هى الأكل مع الإله والاشتراك معه فى مائدة مقدسة واحدة هى مائدة الإله . ثم بعد ذلك الدخول فى ذلك الاختبار السرى اختبار الموت مع الإله . فألثة الديانات السرية هى آلهة تشترك مع البشر فى الألم . وهى تموت ثم تحيا من الموت مرة أخرى . ويجوز المؤمن بها ، ذلك الاختبار « الموت والقيامة » . وبذلك يقال عنه بأنه ولد من

جديد ، أو أنه جاز اختبار الولادة الجديدة . وهكذا يضمن لنفسه الحياة الخالدة . وهذه الطقوس يحاول الإنسان أن يتخلص من الشعور بالخطية والتعاسة ، ثم يضمن لنفسه الخلود والحياة اللانهائية .

ويقابل هذا كله ذلك المستقبل المظلم الصعب الذى يقابله الإنسان الخارجى الذى لا يقوم بهذه المراسم .

ومع ذلك فلم يحاول أى مؤمن بديانة من هذه الديانات أن يشجب الديانات الأخرى على أنها لا نفع منها أو فيها ، ولكنه كان يعتقد أن كل الديانات السرية نافعة ، وكثيراً ما كان يشترك فى ديانتين أو أكثر ضماناً منه للفائدة ولراحة النفس من العذاب .

وكان يمر فى مراحل متعددة تبقى كلها سرية مطلقاً لا يعرفها إنسان آخر ممن لم يدخلوا ضمن الأتباع .

لهذه هى الخطوط العريضة للديانات السرية . ويستحسن هنا أن ندرس تفاصيل إحدى هذه الديانات كمثل من الأمثال المشهورة التى يقابلها من يدرس ذلك العصر . هذه الديانة اسمها المثرية Mithraism :

كانت ديانة المثرية ديانة شعبية انتشرت بشكل خطير فى الامبراطورية الرومانية فى القرن الثانى والثالث الميلاديين ، وكانت أكبر منافس للمسيحية ، حتى أن رينان الفيلسوف الفرنسى كان يتخيل أنه لو أصاب المسيحية عطب ما يمنعها من الانتشار لصارت ديانة مثرأ هى الديانة البديلة لها التى تستولى على عقول الناس . ولكن هذه الديانة أوقفت بقوة القانون فى أوائل القرن الرابع عندما أعلن قسطنطين أن الديانة المسيحية هى ديانة الدولة الرسمية . ولما حاول يوليانس المرتد إرجاعها فشل رغم ما استخدمه من عنف وقسوة .

وتنسب هذه الديانة إلى الإله ميثرا وهو أحد الآلهة الهندية وقد ظهر اسمه في القرن السادس عشر قبل الميلاد كشاهد قوى على معاهدة أبرمت بين ملكين . وقد كشفت النقوش القديمة على أن آلهة تلك الشعوب كانت تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الأولى هي آلهة الطبيعة ، أما المجموعة الثانية هي آلهة المجتمع البشري ، وكان ميثرا من آلهة المجموعة الثانية وكانت وظيفته هي مراقبة المعاهدات التي يعقدها الأفراد أو الدول بعضها مع بعض ، ومراقبة تنفيذ تلك المعاهدات .

ولما ظهرت الديانة الزرادشتية انتقل ميثرا من غرب آسيا إلى بلاد فارس ، وارتفع في أعين الزرادشتيين حتى صار الإله الثاني بعد أهوراما زادا إله الخير ، وكانوا يطلقون عليه لقب إله النور . ثم ارتفع حتى صار حارس البشرية ، الموجود في كل مكان ، مراقب كل المعاهدات ، والمنتقم من كاسرى العهود ، والمنتصر في كل الحروب . وأخيراً أضحت الوسيط بين الناس وبين أهوراما زادا .

وأخيراً دخل ميثرا إلى الامبراطورية الرومانية وبدأت ديانته تنتشر بين شعوب الامبراطورية من بدء حكم القيصر تراجان ، واتسعت إلى أن فاقت كل الديانات ، ويعزى انتشارها هكذا بهذه السرعة وهذا العمق إلى عساكر الجيوش الرومانية الذين اعتنقوها وحملوها إلى أى مكان ذهبوا إليه ، ثم إلى أسرى الحروب ، الذين حملوها معهم إلى روما قلب الدولة الرومانية .

هذا هو تاريخ ميثرا كإله وديانة عندما انتشرت في الدولة الرومانية ، ولكن هناك أسطورة Myth تحكى قصة حياة ميثرا نفسه . تقول الأسطورة إن ميثرا ولد من الصخرة العظمى . وعندما خلق أهوراما زادا الثور العظيم هرب منه ، فما كان من ميثرا إلا أن تعقبه ثم قدم ذلك الثور ذبيحة حتى يمكن

للأرض أن تخلص من دمائه المنبتقة منه . ولكن أهو ما إله الشر أراد أن يمنع تلك الدماء من أن تنسكب على الأرض فتخصبها فأرسل العقارب حتى يمنع مراً من ذبح الثور . ولكن مراً انتصر على العقارب وانسكبت الدماء . وكان مع مراً كلبه الأمين وحية تمتص دماء الثور وهي تعبير عن الخصب والنماء .

هذه هي الأسطورة وهذا هو تاريخ الديانة . ولكن هناك ما هو أهم لنا من تاريخ الديانة وأسطورة الإله . إن المهم لدراستنا هو تلك الطقوس الدينية التي كان يقوم بها معتنقو هذه الديانة .

يؤخذ من دراسة كتابات الآباء (جيروم ، رسالة ١٠٧) أن من كان ينضم إلى جماعة مراً لا يستطيع أن يدخل دفعة واحدة ، بل عليه أن يمر في سبع درجات متتالية ، هي سبع أبراج الكواكب ، تمر فيها الروح حتى تصل إلى نهاية الروثا والمجد الأعظم . وهذه الدرجات حسب ترتيبها هي : الغراب - العريس - الجندي - الأسد - الفارس - مخدع الشمس - الآب . وعلى المؤمن ، عندما يصل إلى درجة معينة ، أن يلبس لباساً خاصاً بها ، فمثلاً عندما يصل إلى برج الجندي فإنه يلبس لباس الجندي ثم يدخل إلى كهف عسكري ويمسك بسيف يضعه على رأسه ، ثم يرفعه ويضعه على كتفه ليظهر أن مراً هو تاجه ومجده ، وأنه هو جنديه وشهيدته إذا لزم الأمر ، ثم يسام على جبهته بعلامة بقضيب محمى بالنار ، وبعد ذلك يسمى بالخدام . وعندما يصل إلى برج الشمس فإنه يسمى شريكاً ، وعندما يصل إلى النهاية يدخل في عهد السرية التام .

وإلى جانب هذه الرحلة الدينية عليه أن يقوم بطقوس أخرى . فهناك

المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر ، وبعد المعمودية يولد الإنسان ولادة ثانية .

وهناك مائدة مثرا وهي مائدة مقدسة يأكل منها مع الإله مثرا ليشارك في خبرة الإله . . . موته وقيامته .

وعندما يصل إلى برج الأسد فإنه يتناول الخبز والخمر المقدس . وعيد مثرا هو يوم ٢٥ ديسمبر وهو عيد قيامة الشمس ، فإن الناس قديماً كانت تظن أن الشمس تسير في طريقها إلى الموت حتى تصل إلى أقصى الضعف يوم ٢١ ديسمبر ثم تبدأ بعد ذلك في الحياة .

هذه هي ديانة مثرا وفيها نجد التشابه الكبير بينها وبين المسيحية في الطقوس : المعمودية والولادة الثانية والأكل مع الإله واختبار الموت والقيامة مع الإله . ولكن ماذا يميز المسيحية عن المثرائية ؟ إن الفرق العظيم الذي يكون فجوة لا تعبر بين الإثنين هي أن المسيحية ديانة بنيت على حقيقة تاريخية ملموسة . . ومركزها هو شخص عاش في التاريخ مات وقام . . . عرفوه ورأوه ولسوه وشهدوا له بحياتهم . أما ديانة مثرا وغيرها فهي ديانة طقسية بنيت على أسطورة لا أساس تاريخي لها . . هي من خيال الإنسان الذي يريد الخلاص .

٢ - الغنوسية :

هي حركة دينية اختلطت فيها مجموعة من الظواهر والمعتقدات ، ظهرت بوضوح في القرن الثاني الميلادي ، واستمرت إلى القرن الرابع بل والخامس ولكن هذا لا يعني أنها ظهرت فجأة ، بل كانت لها جذورها التي بدأت تنمو وتتكون قبل هذا الوقت بكثير .

والمصدر الأساسي الذي نعرف منه الغنوسية هي كتابات جماعات من الناس متفرقة وغير مترابطة ، حرمتها الكنيسة باعتبارها جماعات هرطوقية . وقد فقدت كتابات كثيرة منها ولم نعرف عنها شيئاً سوى من كتابات الآباء الذين كانوا يردون عليهم ويفندون آراءهم . ولكن العصر الحديث كشف عن كنز ثمين من أوراق البردى في منطقة نجع حمادى هي عبارة عن كتابات كثيرة غنوسية . منها مثلاً « انجيل الحق » وغيره ، فألقى نوراً واضحاً على عقائدهم وآرائهم .

ونظراً للأفكار الكثيرة الغير مترابطة ، والاختلافات المتعددة التي تصل إلى حد التناقض في كتاباتهم ، فلا يمكننا أن نعمل دراسة منظمة عن أسلوب التفكير والحياة فيها ، ولكننا سنمر مروراً عابراً على بعض أوجهها المختلفة التي ظهرت . هناك مجموعة من النظم والمظاهر فيها منها :

١ - الغنوسية السريانية :

وتنسب إلى سيمون ماجوس . ولقد اعتبر سيمون نفسه الثالث الأقدس وأنه هو الذى يخلص أتباعه بنعمته وليس بأعمال التاموس . واستشهد بما جاء في (أفسس ٢ : ٨ - ٩) . ويظن أتباعه أنه نزل من السماء . وقد تطرف تلاميذه فظهر واحد منهم اسمه ميناندر Menandor قال أيضاً إنه نزل من السماء وأوجد نظام المعمودية السحرية التي توجد الشباب الدائم .

وقد ظهرت نسخة أخرى من هذه العقيدة في أنطاكية صاحبها رجل اسمه ساتورنيس Saturnius الذى قال إن الإله الأعلى مجهول ، وقد خلق كائنات روحية التي خلقت العالم . وقد رأت هذه الكائنات صورة مضيئة آتية من السماء فأرادوا تقليدها ولكنهم لم ينجحوا في ذلك إلا بعد أن انطلقت شرارة سماوية فأعطت الحياة لما عملوه . هذه الشرارة هي

العنصر السماوي الذي يجب أن يخلص من شر المادة . وقد جاء المسيح لكي يخلص هذا العنصر السماوي . ولم يكن هذا المسيح إلا جسداً ظاهراً فقط . وقال ميناندر إن الناموس قد أعطى بواسطة الملائكة الذين ألهموا الأنبياء .

جمع الغنوسية السريانية كانت تحتوي على عنصر أنثوي يسمى « فكر الله » وقد بنى الغنوسيون حياتهم على هذا الأساس ، فكانت حياتهم إباحية وبلا ناموس فيما عدا استاوروس الذي أنكر العنصر الأنثوي ونادى بالتعفف ، وادعى بأن المسيح جاء لكي يبيد العنصر الأنثوي هذا .

٢- مارسيون :

ويعتقد أنه كان من الغنوسيين ، وسوف ندرس عنه شيئاً في الفصل الخاص بقانونية الكتاب المقدس .

٣- فالينتينوس Valentinus :

هو الذي كتب انجيل الحق ، الذي اكتشف في نجع حمادى (نشر في سنة ١٩٥٦) . هذا الكتاب أكثر بساطة وشاعرية وأميل إلى اليهودية من الكتابات الغنوسية الأخرى ، حتى قال عنه إيريناوس إنه يمثل دوراً مبكراً من تعاليم فالينتينوس .

ويظهر من كتابات إيريناوس أن فالينتينوس نادى بانبثاق العناصر السماوية من الإله الأعظم . وآخر عنصر من هذه العناصر الإثني عشر كان الأنثى « صوفياً » أو الحكمة . وكانت غير مستقرة ، ودفعها عدم استقرارها هذا إلى السقوط في الظلمة الخارجية ، وهناك حبلت تلقائياً وولدت إبتاً غير ناضج هو الذي خلق الكون ، واستخدم عواطف أمه المتجمدة في خلق العالم ، فمن دموعها عمل المياه ؛ وهكذا . ولكن أمه وضعت في المخلوقات الشرارة

المقدسة فتشاجر معها ، ولكن لكي تخلص نفسها والجنس البشرى منه ، أرسلت يسوع ليجمع العنصر المقدس . ويقول فالينتيوس إن الزواج في الجنس البشرى هو تقليد رمزي للصلة الروحية في العالم الروحي حيث يتزوجون هناك زواجاً مقدساً .

٤ - باسيليدس Basilides :

هو معاصر عجوز لفالينتيوس . علم باسيليدس هذا أن في البدء لم يكن شيء ولكن إله غير موجود خلق بذرة من لا شيء ، ومنها أوجد أنواعاً مختلفة من الموجودات . وهذه الموجودات سترجع إلى الخالق غير الموجود ، وهذا الرجوع هو هدف التاريخ ، وعندما ينتهي هذا الرجوع يأتي النسيان على الأرض ولا يوجد هناك خلاص . لكن باسيليدس لم يستطع أن يجتذب إلى تعاليمه أناساً كثيرين نسبة لما ينادى به من عقيدة « الفناء » .

٥ - النظم اللاحقة :

في القرون التالية حاول الغنوسيون أن يربطوا تلك العناصر الموجودة في النظم المبكرة التي سبق ذكرها ، وحاولوا أن يجدوا لها أساساً في الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية والتاريخ والأساطير ، ولكن أهم ما كان يضع الغنوسية في مكان الهرطقة في نظر المسيحيين هو الثنائية المطلقة ، وأن المادة شريرة ولا خلاص لها ، وأن العنصر السماوي في الإنسان خير ويجب أن يخلص . والخلاص يقوم عن طريق المعرفة وإذا كان يسوع هو المخلص فذلك لأنه جاء بالمعرفة .

وعلى أساس هاتين العقيدتين الغنوسيتين بدأ العلماء يفسرون موقف إنجيل يوحنا وكتابات الرسول بولس مثلاً : فالمعرفة تحتل مركزاً كبيراً في

هذه الكتابات (يوحنا ٣ : ١١ - ١٣ ، ٨ : ٣٢ ، ١٧ : ٣ ، اكورنثوس
٢) وإلى جانب ذلك ظنوا أن التقابل بين الجسد والروح ، النور والظلمة ،
الحق والكذب في كتابات الرسولين يوحنا وبولس هي عقائد غنوسية ثنائية .

هذا التفكير والرد عليه سيأتي في حينه ولكننا هنا أردنا أن نظهر شيئاً
من شبهة التشابه بين الغنوسية والعهد الجديد .

الفصل الثالث

نمو العهد الجديد

يسوع والعهد الجديد :

لا يختلف اثنان في أن يسوع المسيح هو المركز الأساسي للعهد الجديد ، فحوله تدور كل الكتابات من أناجيل وتاريخ ورسائل وكتب أخرى . ومع ذلك يجب أن نقرر أن يسوع نفسه لم يترك شيئاً مكتوباً ، ولم يعثر لإنسان ما على أية وثيقة أو وسيلة تكشف عن أية كتابات قام بها . لقد كان يعلم ويودع تعاليمه مجموعة من التلاميذ ، أهلهم بكافة الطرق لحمل رسالته إلى العالم ، اهتم بهم وركز كل مجهوده في تكوينهم . وبهذا يتضح أن اهتمام يسوع الأول لم يكن الكتاب ولكن الرسول ، لم تكن الوثيقة بل الإنسان .

هذا الأمر يختلف عما يقوله الإسلام من أن الإنجيل نزل على يسوع أو « عيسى » بلغة القرآن ، فالمسئول الأول عن كتابة هذا الكتاب الذي نسميه العهد الجديد ليس يسوع بل المسيحيين ، سواء من الجيل الأول أو من الجيل الثاني من التلاميذ (لوقا ١ : ٢ ، عب ٢ : ٣ و ٤ ، ١ يوحنا ١ : ١ - ٤) . وهذا الكتاب ليس كتاباً أزلياً كان محفوظاً في اللوح المحفوظ ، ولكنه كتاب نشأ في وسط الكنيسة وبواسطتها ومن أجلها . نعم إنه كتاب هيمن الروح القدس على كل ما كتب فيه ، ولكنه في نفس الوقت كتب بواسطة أناس الله الذين شاهدوا وشهدوا للمسيح .

ويقرر التاريخ الكنسي أن هذا الكتاب لم يكتب كله دفعة واحدة ولكنه

كتب في حقبة طويلة نسبياً بواسطة أناس متعددي المواهب والتفكير والثقافة ، ومن يرغب في دراسته فعليه أن يدرس أولاً كيف تطورت الأمور من بدء قيامة المسيح وصعوده إلى الوقت الذي فيه كتب هذا الكتاب المقدس – العهد الجديد . هذه الدراسة سوف تقدم هنا في مواضيع ثلاثة : الحقيقة – الشهود – الشهادة .

١ – الحقيقة

(أ) تعتبر العبارة الواردة في ٢ بطرس ١ : ١٦ « لأننا لم نتبع خرافات مصنعة » من أجل الحقائق التي تعلن في الكتاب المقدس ، إذ يظهر فيها أن المسيحية لم تكن على أساطير أو مبادئ فلسفية ، ولكنها بنيت وقامت على حقائق واقعة وحوادث جرت فعلاً في التاريخ . ولعل الحقيقة التاريخية الأساسية التي بنيت عليها هي حقيقة الإنجيل . فما هو المقصود بالإنجيل ؟ لقد ارتبط هذا الاسم « الإنجيل » بكتاب ، أي أنه اسم الكتاب الذي يذكر قصة- مجيء وحياة وأعمال وموت وقيامه يسوع المسيح ، فحينما يذكر اسم الإنجيل ينتجه التفكير مباشرة ، إما إلى أحد الكتب الأربعة : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا ، أو إلى الكتاب الذي نسميه العهد الجديد . لكن هذا المعنى ظهر في عصر متأخر عن العصر الذي كتب فيه العهد الجديد ، أي منذ أن قال جاستن مارثر « لأن الرسل في ذكرياتهم التي كتبوها التي تسمى الأناجيل سلمونا ما تسلموه هم أنفسهم » . لكن هذا المعنى لم يرد في كتاب العهد الجديد نفسه ، فهناك يتضح أن الإنجيل لا يعني كتاب بل يعني عمل . فمفتاح معنى الإنجيل ليس الكلمة المكتوبة ولكنه العمل الإلهي الذي قام به الله رومية (١ : ١٦ و ١٧) . لقد ورد هذا الاسم في إنجيل متى ٤ مرات ، وفي مرقس ٨ مرات ، وفي كتابات الرسول بولس ٦٠ مرة ، ولكنه لا يظهر في إنجيل يوحنا ورسالة العبرانيين ويعقوب ولا حتى في إنجيل لوقا . ومع أن الكلمة-

في ذاتها تعني لغوياً أخباراً سارة لكن استعمالها الكثيرة في العهد الجديد تعطينا معنى أعمق من مجرد الأخبار ، لأنه إن كان الإنجيل خبراً فعن أي شيء؟ وفي الحقيقة فإن كلمة إنجيل تعني كلا الأمرين الكلمة : أي « كلمة الخبر » ثم « الخبر به » فما هو هذا الشيء الخبر به ؟ في (١ تيموثاوس ١ : ١١) نجد مضمون الإنجيل واضحاً في القول « حسب انجيل مجد الله المبارك » فمضمون الإنجيل الذي يحدده ويعرفه الكاتب هو « مجد الله المبارك » . ويظهر ذلك بوضوح في قول الرسول بولس في ٢ كورنثوس ٤ : ٣ - ٦ « ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين ، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة لإنجيل مجد المسيح الذي هو « صورة الله فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع . لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح » . في هذه الأعداد يذكر الرسول أن الإنجيل هو إعلان مجد يسوع المسيح الذي هو صورة الله ومجده . ولعل ما يقوله البشير مرقس عن يوحنا المعمدان على أنه « صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة » (مرقس ١ : ٣) ، والذي اقتبس من (ملاخي ٣ : ١ ، إشعيا ٤٠ : ٣) يشير إلى هذه الحقيقة في بقية الاقتباس « . . . كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم (إشعيا ٤٠ : ٤ و ٥) .

فالإنجيل إذن معناه إعلان مجد الرب ، فما هو معنى مجد الرب ؟

في العهد القديم نجد معانٍ متنوعة لهذه الكلمة « مجد » . فقد تعني غنى ووفرة (تكوين ١٣ : ٢ ، ٣١ : ٢ ، ٤٥ : ١٣ ، ١ ملوك ٣ : ١٣) .

ولكن الكلمة تأتي أيضاً في معنى ديني أى ما يجعله الله غير المنظور معلناً وظاهراً للناس مثل الظواهر الطبيعية (مزمو ٢٩ : ١-٣ ، ٩٧ : ١-٦) . وقد ظهر هذا في جبل سيناء (خروج ٢٤ : ١٥-١٨) ، فوجد الله معناه الجلال والسمو المتعالى . لكنه الجلال المعلن الذى يراه الناس ويشهدونه ويلمسونه ، فهم يشاهدونه في خيمة الاجتماع (خروج ٤٠ : ٣٤) ، وفي التابوت (١ صموئيل ٤ : ٢١ و ٢٢) ، والهيكل (مزمو ٢٤ : ٧-١٠) وكذلك في بعض الحوادث كما حدث في إخراج إسرائيل من مصر (خروج ٣٣ : ١٢-٢٣) ، وفي إرجاعهم من السبي (إشعيا ٤٠ : ٥) . فوجد الله في العهد القديم إذن ليس هو جلال جوهره وعظمة ذاته ، ولكن هذا المجد يظهر في إعلاناته الحى لنفسه في بعض الحوادث العظيمة .

ولكن العهد القديم ينظر إلى مجد الله على أنه سيعلم في أبهى طريقة في المستقبل ، كما يذكر ذلك حزقيال ٤٤ : ١-٤ . وإشعيا ٥٩ : ١٩ ، ٦٠ : ١-٥ . ودانيل ٧ : ١٣-١٤ .

هذا المعنى المتضمن في العهد القديم يوضح لنا معنى عبارة « إنجيل مجد الله » فهو يعنى إعلان الله لنفسه في حوادث تاريخية معينة ، هذه الحوادث مرتبطة بيسوع المسيح كما رأينا في ٢ كو ٤ : ٣-٦ . فوجد الله إذن أعلن في حياة وموت وقيامه يسوع المسيح ، وفي حياة الكنيسة التى بنيت عليه . فالإنجيل إذن يعنى أن الله في وقت محدد وفي مكان محدد وحياة محددة كان يعمل عملاً حاسماً وقاطعاً .

هذا هو الشيء « المخبر به » الذى ترتبط به « كلمة الخبر » إنه عمل الله في يسوع المسيح لغداء البشر ولخلاصهم .

(ب) ترتبط بالحقيقة السابقة ما يمكن أن يسمى بتاريخية الإعلان لهذه

الحقيقة ، بمعنى أن هذا الإعلان حدث في التاريخ وفي مجرى الحوادث التاريخية . وكتاب العهد الجديد كانوا يؤكدون هذه الحقيقة المرة تلو المرة ، ولم يأل أحدهم جهداً في إثباتها . فبعد أن يتكلم يوحنا عن « الكلمة » وعلاقته الأزلية بالله يسرع فيقول « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيده من الآب) يوحنا ١ : ١٤) . واستمر يشهد في كل كتاباته على أنه رآه ولمسه وعرفه مع كل شركاء الخدمة معه (١ يوحنا ١ : ١ - ٤) . ويربط لوقا حياة المسيح بالحياة العامة التي كانت في عهده ويربط نشاطه بالتاريخ السياسي (لوقا ٢ : ١ و ٢ ، ٣ : ١ و ٢ إلخ) . ويؤكد الرسول بولس على أن الله أرسل ابنه مولوداً من مولوداً تحت الناموس (غلاطية ٤ : ٤) . وهكذا لم يشذ كاتب عن إثبات هذه الحقيقة المؤكدة وهي أن الله أعلن نفسه بقوة فادياً في المسيح يسوع ، في التاريخ الجارى ، وفي حوادث بعينها لمسها كثير من الناس في حياة يسوع وموته وقيامته عندما أراهم نفسه حياً بما لا يقبل الشك .

ولكن لماذا يهتم العهد الجديد بهذا كله ؟ لماذا ينبر الكتاب على تاريخية الإعلان ، وتحديد حوادث بالذات وتعيين هذا الشخص بعينه ؟ إن السبب في هذا التنبير يرجع إلى ما كان سائداً في ذلك العصر من ديانات سرية مختلفة اعتنقها كثير من الناس ، لأنهم كانوا يتطلعون إلى الخلاص من حالة القوضى والقلق النفسى والفقر الروحى الذى كان يسود العالم في ذلك الوقت ، وكانت الديانات السرية تشبه المسيحية في بعض الخطوط الرئيسية كما مر بنا . فمثلا كانت الديانات السرية تعتقد بأن الإله يموت ويقوم وأن أساس الخلاص هو أن يتحد الإنسان مع ذلك الإله بطرق خاصة وطقوس سرية لا يجوز لمن نجبرها أن يخبر بها أحداً من الخارج ، ولهذا أطلق عليها لقب الديانات السرية ، وهناك درجات في الاتحاد بالإله يجوز فيها الإنسان بالتدريج حتى يصل إلى

نهايتها ، ولعل هذه الديانات كانت سبباً في بليلة الأفكار في ابتداء الكنيسة المسيحية كما انضح ذلك في مسألة أكل ما ذبح للأصنام وغير ذلك .

هذه الديانات كان ينقصها عنصر واحد أفقدها كل شيء وهو الحقيقة . إنها ديانات بنيت على الأساطير والخلاص فيها كان خلاصاً وهمياً أو كما قال الرسول « خرافات مُصنعة » وهذا الأمر بالذات هو ما جعل المسيحية شيئاً آخر . إنه خلاص حقيقي ، والمخلص ليس أسطورة قديمة ، ولكنه جاء إنساناً وحل بيننا وعاش مع الناس ، رأوه واختبروه في موته وقيامته وصعوده . شعروا وتأكدوا في حياتهم بعمله وعرفوا السلام الحقيقي المبني على التبرير الحقيقي ، فلم يعيشوا في الوهم ولكنهم اختبروا الحقيقة التي أعلنت في زمن معين وفي شخص معروف .

فهما تشابهت الديانات الأخرى مع المسيحية في عباداتها وطقوسها ، وفي المظاهر الخارجية ، إلا أن الفرق شاسع بينهما لا يمكن أن يعبر ، لأنه ينصب لا على الدرجة بل على النوع ، فتلك الديانات وهمية بنيت على الأساطير ، أما هذه فنبتت من إعلان الله لنفسه ولحمده في عمل فدائي عظيم في الإنسان يسوع المسيح .

هذا السبب نبر العهد الجديد بشدة على تاريخية هذا الإعلان وصارت هي الحقيقة الأساسية في الإنجيل .

٢ - الشهود

ولكن الحدث لا يمكن أن يكون تاريخياً لأنه حدث وكفى . فكم من حوادث وأشياء تقع ولكنها لا تدخل في حكم الأمور التاريخية . فالآلاف من الأشجار مثلاً تسقط في غابات أفريقيا كل يوم ولكننا لا نحس بها ولا ندرى

بوجودها أو زوالها ، فلا يمكن أن يسمى سقوطها حادثاً تاريخياً . فالحدث التاريخي الحقيقي هو ما كان له صلة بالناس ، وليس ذلك فقط بل هو ما كان له معنى وتأثير في حياة الذين يتصل بهم ، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقرر بكل تأكيد أن هذه الحقيقة : وهي إعلان الله نفسه في المسيح فادياً ومخلصاً ، هي حقيقة تاريخية بكل معنى الكلمة لأن لها التأثير الحاسم في حياة كل من جاءوا تحت تأثيرها

ولعل المجموعة الأولى التي لمست وشاهدت تلك الحوادث كانوا هم الذين احتاطوا ببسوع وعرفوه ووثقوا به . هؤلاء هم تلاميذه أو كما سماهم هو « شهود » (أعمال ١ : ٤) . وهذا الأمر يشهد واحد منهم في رسالته (١ بو ١ : ١ - ٤) . ولكن قبل أن نعرف شيئاً عن هؤلاء الشهود يجب أن نعرف شيئاً عن معنى « الشاهد » ، فهم شهود ليس فقط لأنهم شاهدوا هذه الحوادث بأعينهم كما هو الحال مع شاهد الحكمة الذي يذكر ما رآته عيناه أو سمعته أذناه وكفى . لأن الشهادة التي يقصدها المسيح لأعظم وأعمق بما لا يقاس من شهادة شاهد الحكمة . فالشاهد في مفهوم العهد الجديد هو شخص قد اختبر تأثير ما رآه ، فهو يشهد للإنجيل وهذا الإنجيل هو قوة لها تأثيرها كما يصف الرسول بولس قائلًا « إنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن » (رومية ١ : ١٦ و ١٧) . ولهذا قال السيد هؤلاء الذين شاهدوا واختبروا « وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (أعمال ١ : ٥) . فكل ما يختبرون به أو يسجلونه إنما هو اختبارهم الحقيقي ، هو تعبير عن حياتهم عندما قابلوا سيدهم وتجسم فيهم . لكن من هم هؤلاء الذين نقصدهم عندما نتكلم عن الشهود ؟ إنهم هم الذين شاركوا في صنع الخبرة المسيحية في العصر ما بين قيامة المسيح وكتابة الأناجيل ، هم

الذين رأوا أو سمعوا فأثروا بذلك هذا الاختبار المسيحي العام . وهذه الكيفية
يمكننا أن نذكرهم على أنهم :

١ - التلاميذ الإثنا عشر الذين كانوا مع يسوع الناصري هؤلاء
الذين سماهم رسلا (لوقا ٦ : ١٣) . ولعل البشير لوقا كان يقصدهم عندما
يذكر « أنهم كانوا منذ البدء معاينين (لوقا ١ : ٢) ويذكر بطرس « أنهم
عابنوا مجده عندما جاء صوت من السماء » (٢ بطرس ١ : ١٦) . هؤلاء
رافقوه من الابتداء وكان لهم الامتياز الأكبر والفضل الأول في إعلان هذه
الحقائق التي نراها في الأناجيل والعهد الجديد ، وذلك لعدة أسباب :

أولا : إنهم رافقوه في كل شئ ورأوا كل ظروف حياته ، إنهم
سمعوه عندما كان يتהלل بالروح ويقول أحمداك أيها الآب رب السماء والأرض
(متى ١١ : ٢٥) ، وعندما قال نفسى حزينة جدا حتى الموت (متى ٢٦ :
٣٧ و ٣٨) . إنهم رأوا الشياطين تخضع له وتصرخ معترفة به (مرقس ١ : ٢٤
ثم لمسوا رفض الناس له ، ليس فقط الفريسيون والكتبة ولكن أهل بلده
بل وأهله هو وإخوته ، حتى أنهم حسبوه مختلا (مرقس ٣ : ٢١ ، لوقا
٤ : ٦ - ٣٠) . رأوه وهو يطعم الخمسة آلاف ويزيد بخمسة أرغفة (لوقا
٩ : ١٠ - ١٧) . ثم وهو في حالة لا يستطيع معها أن يدفع ما عليه من
ضريبة للهيكل ، حتى أنه يقول للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار أما ابن
الإنسان فليس له أين يسند رأسه (لوقا ٩ : ٥٨) : إنهم رافقوه في حياته وفي
كل ظروفه وعرفوه ، ومع أن أشياء كثيرة كان يقوم بها ويعملها كانت
تشبه الألبان والمعميات لهم مثل مباركته للأولاد (متى ١٩ : ١٣ - ١٥) ،
وكلامه مع السامرية (يوحنا ٤ : ٢٧) ، إلا أنهم عرفوا أكثر كثيرا من
الآخرين عنه .

أما الامتياز الثاني فهو أنه رغم ما أظهره من جهل في فهم تعاليمه إلا أنه علمهم أكثر كثيراً مما علم الآخرين . كان يعلم الآخرين بأمثلة أما هم فكان يفسر لهم كل شيء (رقس ٤ : ١٠ - ١٢) ، ويقول لهم أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . كان يعلمهم ليس فقط بالكلمة ولكن بالعمل حتى يعمق هذه التعاليم فيهم كما فعل عند إبطائه للفقراء الجائعين الذين التفوا حوله يسمعون اليوم كله ، وحين كان يجلس مع العشارين والخطاة (لوقا ١٥ : ١) ، وعندما غسل أرجلهم (يوحنا ١٣) ولعل الأمثال القصيرة التي كان يذكرها بعد كل محادثة أوحادثة مثل « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (رقس ٢ : ٣٧) ، السبب خلق لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبب (رقس ٢ : ٢٧) ، اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم (متى ٦ : ٣٣) . كانت ينبوعاً من الإعلانات لهم يؤهلهم للرسالة السامية التي تنتظرهم .

ولكن هناك امتيازاً آخر كان له الأثر العظيم في حياتهم وهو أنهم أول من شاهدوه في قيامته ، وظهر لهم أربعين يوماً يشرح لهم كل الأمور المختصة بملكوت الله . ولقد كانت القيامة أساس يقينية لإيمان التلاميذ وينبوع معرفتهم وموضوع شهادتهم أمام الجميع (أعمال ٢ : ٢٤ - ٣٦ ، ٤ : ١٠) . لهذه الأسباب ، كانوا شهوداً للرب وكانوا هم الأساس الذي قال عنه الرسول بولس « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء... » .

ولعل الرسول بولس نفسه يؤيد هذه الحقيقة عندما يعان في كل المواقف أنه أخذ إنجيله من الرب نفسه . « وأنت أرسلت بواضعة الرب ، ولهذا فهو لا يقل عن كافة الرسل الآخرين في شهادته وعظماً وكتابة ، وحنكة في حل المشكلات إنه كأي واحد منهم . هؤلاء هم الجماعة الأولى الشاهدة للرب .

ولكن يتصل بهم جماعة أخرى ، لم يكن لها مركز الإثني عشر طن؛ حيث الالتفاف حول يسوع والصلة العميقة به ، والتمتع بتفسيره لتعاليمه ، إلا أنها كانت قريبة منه وكانت تقوم بخدمات واسعة للكلمة . يذكر الكتاب من هذه الجماعة أفراداً محددين من أمثال يوسف الراي ، واليعازر وأختيه ، وجماعة النساء اللاتي كن يخدمته (لوقا ٨ : ٢ و ٣) ومثياس الذي اختير بدلاً من يهوذا الإسخريوطي (أعمال ١ : ٢٦) ثم يذكر مجموعات كبيرة ، فلوقا البشير يذكر منهم سبعين أرسلهم يسوع في رحلة تبشيرية موهبة أثناء حياته على الأرض (لوقا ١٠ : ١) ويذكر منها مائة وعشرين شخصاً كانوا يجتمعون في العلية مع التلاميذ (أعمال ١ : ٢٥) ويذكر الرسول بولس منها خمسين أخت ظهر لهم الرب دفعة واحدة (١ كورنثوس ١٥ : ٦) هؤلاء وغيرهم كانوا شهوداً للرب وكانوا مصدر إثراء كبير للخبرة المسيحية ، ولا يستبعد أبداً أن يخرج منهم أنبياء ومعلمون وكارزون خدموا ، وشهدوا للحقيقة السامية في إعلان الله لنفسه فادياً في الرب يسوع

٢- أما المجموعة الثانية في الشهادة فكانت الكنيسة المسيحية كلها على اختلاف عناصرها وطبقاتها وتعدد جنسياتها . ودور الكنيسة في الشهادة وإن كان الاختبار المسيحي يختلف في كلفته عن دور التلاميذ ، فلا يمكن أن يقول إنسان ما أن الكنيسة بكل أعضائها رأت الرب يسوع أو سمعت منه أو شاهدت في القيامة أو ذاقته اختيار يوم الخمسين ، ولكن شهادتها كانت تأتي بطرق مختلفة أخرى . فعندما انتشرت الكنيسة في كثير من المجتمعات المتنوعة واجهت الرسالة المسيحية والمسيحيون عموماً مواقف تختلف عن المواقف التي واجهها المسيح وتلاميذه في اليهودية ، فهناك العادات المتباينة والتقاليد المختلفة والتقاليد الاجتماعية البين ، مما كان يتطلب مواجهة جديدة وأحكاماً أخلاقية غير التي عرفها الرمى الأوائل . ومن ذلك مثلاً كنيسة كورنثوس التي كتبت للأسئلة

بولس تستفسر منه عن ستة أسئلة هي في الحقيقة ست مشاكل واجهتها الكنيسة هناك ، مثل مشكلة ما ذبح للأصنام وهل يأكلونه أم لا ؟ ومشكلة الأراامل والعذارى والزواج ، ومشكلة رفع الدعوى أمام القضاء الخارجى ، ومشكلة المواهب وتعددها . وخصوصاً التكلم بالسنة ، ومشكلة الرجل الذى إعتدى على زوجة أبيه ، وغير ذلك . هذه دفعت الرسول أن يكتب لهم عن أحكام المسيحية فى ذلك ويعطيهم النصائح والإرشادات . ولنلاحظ هنا أن هذه الأحكام والنصائح لم يبينها الرسول على نظريات أخلاقية أو قانونية ولكن من واقع اختباره المسيحى . إنها واقع الحياة الجديدة التى نالها من تأثير عمل الروح فيه ، وبهذه الكيفية كتبت الرسائل المسيحية التى اعتبرت جزءاً عظيماً من العهد الجديد .

٣- أما الجماعة الأخيرة فهم الكتاب أنفسهم ، وبالأخص كتاب الأناجيل الأربعة أى متى ومرقس ولوقا (الذى كتب سفر الأعمال إلى جانب إنجيله) ثم يوحنا . هؤلاء الرجال كانت لهم اليد الطولى فى إثراء وبلورة الخبرة المسيحية ووضعها فى صيغتها الحالية فى العهد الجديد ، وخاصة الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال . ونرى دورهم يتضح ليس فى كونهم مؤرخين يكتبون حياة يسوع ، ولا فى كونهم جامعى تقليد يضعونه فى كتب ، فلو كانوا مؤرخين بالمعنى العصرى المفهوم أو حتى كانوا واضعى سيرة عظيم من العظماء لما خرجت كتبهم كما نراها الآن ، فالأناجيل ليست تاريخاً لحياة يسوع وإلا أعتبرت ناقصة مبتورة وغير كاملة أو مرتبة . ولو اقتصر دورهم على جمع مادة ووضعها فى كتب لما رأينا الترتيب الخاص الذى نراه فى الأناجيل . إن كل كتاب الأناجيل كانوا لاهوتيين بمعنى الكلمة ، لهم تفكيرهم الخاص وتفسيرهم المحدد الذى بنوا عليه كتابتهم . ولعل عبارة يوحنا كانت أوضح تعبير عن ذلك عندما قال « وأشياء أخرى صنع يسوع لم تكتب

في هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ويكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » . (يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١) ولهذا السبب كانوا ينتقون ويرتبون المادة التي في أيديهم لكي توافق خبرتهم المسيحية وعقيدتهم اللاهوتية ، وبالأكثر لكي توافق الجماعة التي يكتبون إليها . فإذا كتب مني عن السيد على أنه موسى الثاني الذي يأتي بالناموس الأبدي فذلك لأنه يكتب إلى اليهود المسيحيين . ويوحنا إذ يكتب إلى أفسس وإلى جماعة تثقفوا بالثقافة اليونانية فإنه يكتب عنه أنه الكلمة والنور والحق والحياة ، لأنها معان يفهمها ويعرفها اليونانيون . . . وهكذا .

فهذه الجماعة أيضاً كانت شاهدة للمسيح وكان لها الأثر الضخم على بلورة هذه الشهادة .

٣ - الشهادة

ماذا نقصد بالشهادة ؟ هي إعلان هذه الحقيقة للناس من خلال خبرة بشرية ، هي خبرة الشاهد . فهذا الشاهد كما عرفنا ليس شخصاً محايداً . وليس كالإسفنج الذي يمتص الماء ثم يتركه وهو باق كما هو دون أي تغيير ، إنه شخص حتى يختبر هذه الحقيقة بكيفية خاصة ، ولهذا فهو يشترك بخبرته في إعلان الحقيقة ، إنها شهادة حية ولقد ظهرت هذه الشهادة في الكنيسة الأولى ، في هيتين متكاملتين :

الكراسة والتعليم :

(١) الكراسة

هي تقديم الإنجيل إلى الناس وإعلان ما فعله الله في المسيح ، لكي يصلح العالم لنفسه . ومع أن الرسل عندما بدأوا التبشير كانت القيامة هي حجر الزاوية في وعظهم وكراساتهم ، إلا أن دارس العهد الجديد يستطيع أن يتفق

مع اللاهوتي الإنجليزي تشارلس دود C.H. Dodd في أن الكرازة كانت تتكون من عدة عناصر ظهرت جميعها أو بعضها في كل كتاب ورسالة من كتب العهد الجديد . وبتجميع هذه العناصر يمكن أن تتكون لدينا صورة واضحة لهذه الكرازة المسيحية. هذه العناصر المختلفة تملخص في الأمور التالية :

— إن مجيء الرب يسوع في التاريخ لم يكن مجيئاً في فراغ ولكنه كان مسبوقاً بنبوءات كانت تشير إليه ، فكل ما عمله الرب قديماً ورتبه وقصده من خلال اختياره للشعب ، وترتيب كل نظمه كان يشير إليه ، فمجئته إذن كان إتماماً للمواعيد والنبوءات والعهد السابق ، ولكن هذا لا يمنع من أن يسوع قد بدأ عهداً جديداً ، هذا العهد الذي انتظره اليهود قديماً أعلن فيه هو .

— كان يسوع هو المركز الرئيسي لهذا العهد ، فهو المسيا ابن داود وهو الابن وابن الإنسان فلم يكن مجيء يسوع إعلاناً لهذا العهد فقط ولكنه كان بنفسه تجسداً له .

— لقد أعلن يسوع العهد الجديد في حياته وفي عمله حيث كان يجول في الأرض يصنع خيراً ويشفي المتسلط عليهم إبليس . لقد تبرهن من قبل الله بآيات وعجائب صنعها الله بيده ، وهو بنفسه قال : إن كنت أنا بأصابع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله .

— وإلى جانب ذلك فقد كانت لآلام المسيح أهمية خاصة في ذلك العهد فلم يكن الصليب حادثة جاءت عرضاً لسبب سياسي أو ديني . ولكنه كان يعلم الله السابق ومشورته المحتومة ، وليس ذلك فقط بل أن العلامة الحقيقية لابن الإنسان في العهد الجديد به هو أنه ينبغي أن يسلم لأيدي الرؤساء والكهنة وتقتل . إن للصليب وللآلام المركزاً أساسياً في عمل الله القديس .

— أما قيامة المسيح فكانت ركناً أساسياً في هذا العمل العظيم، ولقد بدأ الرسل كرازتهم بالتبشير عليها كما سبق وذكرنا ولكنها استثمرت في أهميتها كختم من الله وشهادة من عنده على أن كل ما عمله في المسيح كان هو قصده وغرضه الأساسي لفداء البشر .

— وبلى قيامة المسيح صعوده إلى السماء . ولم يكن الصعود عملية طبيعية أو ميكانيكية ولكنها عملية تمجيد لهذا الذي تم فيه كل عمل . لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي نجتثوا باسم يسوع كل ركبة ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب مجد الله الأب (فيلبي ٢ : ٩ - ١١) .

— ثم أن مجيء الروح كان من ضمن عناصر هذه الكرازة فجاء الروح القدس لم يكن عبثاً ، ولكنه كان لقصده العظيم بل كان ركناً أساسياً في هذا العهد الجديد ، فانسكاب الروح على كل بشر من يهود وسامريين وأمم كان إعلاناً من الله على أن العهد الجديد قد بدأ ، وأنه قد بدأ يجمع شعبه إلى واحد وأن إسرائيل الحقيقي قد ظهر .

— ومن ضمن العناصر الهامة في هذه الكرازة هو أن الله يغفر الخطايا كان غفران الخطايا من ضمن البركات المنتظرة في العهد الجديد ، ولهذا كانوا يبشرون « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح المغفرة الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس .

— كان الرجاء في المجيء الثاني لهذا الفادي الذي تمجد وصعد وجلس في يمين عرش العظمة هو أحد العناصر في الكرازة الجديدة وقال الملاك للتلاميذ « يسوع هذا الذي رأيتموه منطلقاً إلى السماء سيأتي كما رأيتموه » .

— العنصر الأخير هو الدعوة إلى التوبة والإيمان حتى يمكن أن يتمتع

الإنسان ببركات العهد الجديد . هذه هي عناصر الكرازة التي نراها واضحة في الأناجيل والأعمال والرسائل وسفر الرؤيا . إنها تملأ كل العهد الجديد .

(ب) التعليم :

أما الهيئة الثانية للشهادة فهي التعليم ، والتعليم كلمة متسعة تشمل في طياتها على الأقل أمرين : بناء الكنيسة ثم الدفاع عن الإيمان .

١ - بناء الكنيسة :

لا جدال في أن المؤمنين الأوائل كانوا من اليهود ، ولا جدال في أنهم اختبروا خبرة جديدة في المسيح ، ولكنهم مع ذلك فقد كانوا يظنون أن المسيح قد جاء إلى اليهود بالدرجة الأولى ، وأن اختبار الروح القدس ليس إلا لليهود فقط . يدلنا على ذلك دهشة المسيحيين في أورشليم ، حتى الرسل أنفسهم ، لدى سماعهم أن السامريين قد قبلوا عطية الروح القدس (أعمال ٨ : ١٤ - ١٧) . بل وصعوبة تقبلهم حقيقة مجيء الروح القدس على الأمم (أعمال ١٠ : ٤٥ ، ١١ : ١٢) . ويدلنا على ذلك أيضاً تباطؤهم الشديد في نشر الكلمة إلا في اليهودية وبين اليهود فقط ، وفوق الكل فقد كان لإصرار جماعة كبيرة منهم على ضرورة خضوع الأمم للناوس حتى يمكن قبولهم في زمرة المسيحيين (أعمال ١٥ : ١) أثر كبير على وحدة الكنيسة ثم الشغب الكثير الذي حدث . هذا كله يدل على أن جل الكنيسة الأولى إن لم يكن كلها كانت تعتقد أنه لا فرق بين اليهودية والمسيحية سوى تقبل يسوع المسيح على أنه المسيا ، مع عدم تمكنهم من معرفة الأثر البعيد الحاسم لهذا الفرق .

كل هذا صحيح ، ولكن الصحيح أيضاً أن هؤلاء المسيحيين اليهود قد أخذوا اختباراً جديداً لم يعرفوه من قبل ، وأن أياً من اليهود مهما كان مركزه وعلمه لا يقبل المسيح لا يستطيع أن يتألم هذا الاختبار الجديد ، إن شيئاً

جديداً قد حدث لهم ، هذا الشيء ليس أمراً نظرياً ولكنه عملي ، ظهرت آثاره في حياتهم وسلوكهم . ولعل لوقا كان يقصد إظهار هذا الشيء الجديد وقوة أثره في أعمال ٢ : ٤٢ - ٤٧ .

هذا الاختبار الجديد ، هذا العهد الجديد ، وما يميزه من هبات وعطايا جاءت لأول مرة في حياة الناس كعطية الروح القدس والنظرة الجديدة إلى الحياة ، هذا كله كان يحتاج إلى بلورة . . إلى تعبير ، وكان لا بد أن يشرح لهم الرسل حقيقة ما يقيمونه ويعيشون فيه ، وهنا ظهرت آثار التأهيل الطويل الذي قام به السيد نفسه لتلاميذه ، فقد كان عليهم هم أن يعبروا للمؤمنين عن هذه الحقيقة الجديدة ، وبدأوا يعلمون وبدأ الناس يواظبون على تعليم الرسل (أعمال ٢ : ٤٢) .

ليس ذلك فقط بل إن هؤلاء المؤمنين الجدد لم ينزعوا عن الناس لكنهم خرجوا يواجهون الحياة العامة ، ويواجهون مواقف خاصة ، فكيف يتصرفون وفقاً لهذه الخبرة الجديدة ؟ كانوا يحتاجون إلى إرشاد خاص ، ولا بد أنهم حملوا هذه الحالات والمواقف إلى الرسل حتى يجدوا لهم حلاً يتفق وحالتهم الجديدة (أعمال ٦ : ١-٨) . وإلى جانب ذلك فقد أحس هؤلاء المؤمنون برباط خاص يميزهم كتلاميذ المسيح عن الباقين . إن الصلوات التي كانوا يحضرونها بمواظبة في الهيكل (أعمال ٣ : ١ و ٢) لم تعد تشبع حياتهم الجديدة . إن صلة جديدة ورابطة جديدة ربطتهم بسيدهم الذي صلب وقبر وقام وهو حي وسيأتي إليهم ، هذه الصلة كانت تحتاج إلى تغذية ، لأنهم يعبدون هذا السيد فكيف يعبدونه ؟ وهنا أيضاً بدأ الرسل يقيمون الاجتماعات الخاصة في البيوت بعيداً عن الهيكل والاجتماعات اليهودية ، كانوا يكسرون الخبز ويأكلون ببساطة قلب ، ويدرسون الكلمة ، ولكن في ضوء جديد وموقف جديد ، فصارت لهم عبادتهم الخاصة .

وهناك موقف أخير جازت فيه الكنيسة وهو الاضطهاد . . فلم تنقش مدة طويلة من بدء تكوينها حتى بدأ الاضطهاد ينصب عليها ، وقد وصل في الأيام الأولى إلى حد القتل كما قتل هير ودوس يعقوب وسجن بطرس (أعمال ١٢) ، وقيل ذلك كان هناك اضطهاد عنيف تعدى حدود أورشليم واليهودية فوصل إلى دمشق ، وكان شاول الطرسوسي هو المحرك الأول لهذا الاضطهاد المرير . واستمر الحال على هذا المنوال حتى انفجر الاضطهاد الأكبر الذي قادته الدولة الرومانية . في هذه الاضطهادات المتتالية العنيفة كانت الكنيسة تحتاج إلى تعزية لما كان يحدث لأعضائها من آلام وقتل وطرده وسلب أموال وغير ذلك (عبرانيين ١٠ : ٣٢ - ٣٩ ، ١٢ : ١ - ٤) . ولهذا كتبت رسالة العبرانيين وسفر الرؤيا والأنجيل وغيرها تقوية للكنيسة في الاضطهادات (مر ١٣ : ١١ - ١٣) إلخ



ولكن الكنيسة لم تقف في انتشارها إلى حد اليهودية واليهود فقط ، لقد كان قصد مؤسسيها أن تضم العالم أجمع ، ولهذا امتد التبشير إلى الأمم أيضاً . ومن قبل ذلك إلى السامرة ، وكان هذا الامتداد خطوة حاسمة في تاريخ المسيحية وتاريخ العالم ، فلو اقتصر التبشير على اليهودية لانتهى المطاف بالمسيحية أن تكون جزءاً مصلحاً من اليهودية ، ولعلمهم كانوا يسمون أنفسهم البقية ، مثلهم في ذلك مثل جماعة القميران أو الإيسنين الذين حبسوا أنفسهم في رقعة صغيرة على ضفاف البحر الميت تاركين العالم وما فيه من ضلال ، كما اعتقدوا ، منتظرين الحرب المقدسة ، والمظهر المسيا ومعلم الصلاخ . ولكن شكراً لله ، تقدمت المسيحية إلى العالم وإلى الأمم وقبلها كثيرون وصاروا مسيحين ، وبناء على ذلك واجه المسيحيون من الأمم مواقف كثيرة معقدة

ومختلفة ، وفي بعض الأحيان متناقضة مع موقف المسيحيين اليهود ، فلأول مرة ظهرت المشكلة الحادة التي تربط بين الناموس والمسيحي : فهل يجب على الأُمى أن يصبح يهودياً أولاً خاضعاً للناموس حتى يصبح مسيحياً ؟ هل يجب عليه أن يختن حتى يدخل الباب ؟ وكان هذا السؤال حاداً مريراً كاد يقسم المسيحية إلى قسمين : مسيحية اليهود ومسيحية الأُمم لولا أن تدار كتهم رحمة الرب .

ثم ظهرت مواقف أخرى خاصة بالأُمم . . . ماذا يفعل الشخص المتزوج بأكثر من امرأة إذا صار مسيحياً ؟ وماذا تفعل المرأة إذا مرت في نفس الظرف ؟ ماذا يفعل أحد الزوجين إذا صار مسيحياً ورفض الثاني أن يعطيه ؟ ثم ظهرت مشكلة ما ذبح للأوثان : هل يأكل المسيحي هذا اللحم ؟ إنه كان يعتقد وهو بعد في وثنيته إن أكله من ذلك اللحم يربطه ويوحده بالإله الوثني فهل يتجرأ ويأكل ؟

وماذا يحدث في مسألة الأخلاقية التي كانت مثقبة بين الأُمم ؟ والمحاذرة أمام التبرع مسيحين ؟ وهكذا تكشفت تحديداً من المشاكل تخصن بالمسيحيين الأُميين فقط ، كان على الكنيسة أو الرسل أن يحلوا لهم ، ولهذا السبب ظهرت كتابات كثيرة وضعت في العهد الجديد كرسائل كورنثوس وغلاطية وتسالونيكي وغيرها .

وهكذا آثرت الخبرة المسيحية والتقاليد المسيحية ثراء كبيراً بل تخول الأُمم المسيحية واتسع نطاق التعاليم المسيحية وشمل أموراً كثيرة وأجهت الكنيسة لم تعرفها المجتمعات اليهودية .

٢ - الدفاع :

الأمر الثاني الذي دخل في نطاق التعليم هو الدفاع عن الإيمان ، لقد تبنت الكنيسة في وسطها معاد وكان لا بد أن تقابل هجوماً شديداً من نواحي

كثيرة ولأمور متعددة ، وكان على الكنيسة أن ترد على هذا الهجوم ، وإلى جانب الهجوم الصريح كانت هناك أسئلة استفسارية من بعض المتسائلين تتطلب الرد عليها بإجابات شافية تضيء الطريق أمام المستفسرين .

كان أول المهاجمين هم اليهود في أورشليم ، فبينهم قد صلب المسيح ، وفي وسطهم قامت الحركة بكل قوة ، وكان صليب المسيح حجر عثرة لهم ، فكيف يكون هذا الشخص هو المسيا المنتظر ثم يموت هكذا ؟ لقد رأوه على الصليب إنساناً لا قوة ولا طاقة له ، استسلم لضاربيه ومعذبيه فكيف نسميه المسيا ؟ لماذا لم يخلص نفسه ؟ لماذا لم يخلصه الله ؟ فلو فعل ذلك لأمنوا به . لقد كان هذا صدى لسخرتهم به أمام الصليب : نخلص آخرين أما نفسه فلم يقدر أن يخلصها (لوقا ٢٣ : ٣٥ و ٣٦ ، متى ٢٧ : ٣٩ - ٤٤) . وهنا كان يجب على المسيحيين أن يردوا ويدافعوا ، وكان دفاعهم متفرعاً ومتنوعاً : فهناك القيامة المحيية التي أعقبت هذا الموت وهي دليل على أن الله لم يكن غاضباً عليه ولكنه سر به ، ليس ذلك فقط بل إن القيامة دلت على أن هذا الموت لم يكن من عمل اليهود ، ولكنه حدث إتماماً لقصد الله ومشورته المحتومة . أما دور هؤلاء في قتله فكان دور الإثم والخطية ، ولهذا أقامه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، جعله رباً ومسيحاً (أعمال ٢ : ٢٢ - ٣٦ ، ١٣ - ١٦ ، ٤ : ١٠ و ١٢ . . . إلخ) . إذن فقد كان رد المسيحيين المبدئي على هذا الاتهام هو أنه يجب أن ننظر إلى هذا الموت ليس في ذاته بل في ضوء القيامة ، التي هي ختم الله على أن يسوع برغم هذا الموت صار رباً ومسيحاً .

لكن ذلك لا يحجب مساواة موته ، ولقد وصفه الإنجيليون على أنه لم يكن سهلاً على يسوع الناصري أن يواجهه وينتصر عليه . لقد وضع لوقا المواجهة

في كلمات قوية ورهيبية (لوقا ٢٢ : ٣٩ - ٤٤) . ولعل كاتب العبرانيين كان يصفها بكلمات أشد عندما قال « الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسميح له من أجل تقواه . مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به » (عبرانيين ٥ : ٧ - ٩) . فلماذا يسمح له الله أصلاً بهذه الآلام الشديدة ؟ وهنا كان لا بد لهذا الموت من تفسير ، إنه لم يكن ككل موت ، إنه موت المسيا ، والمسيا ليس فقط ابن داود إنه عبد الرب أيضاً ، ولذا يجب أن يقوم برسالة فدائية ، إن موته موت كفاري (مرقس ١٠ : ٤٥) . ولم يكن الرسول بولس هو أول من أعطى هذا التفسير لموت المسيح ، بالعكس لقد أخذ هو هذا التفسير من الكنيسة إذ يقول : « فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب (١ كو ١٥ : ٣) ، وفعل ذلك فيلبس من قبله عندما قابل خصي ملكة الحبشة فقد بشره بيسوع بانيا هذا التبشير على ما ورد في (إشعيا ٥٣) ، حيث يصف موت عبد الرب على أنه موت كفاري (أعمال ٨) ولعل الكلمة المهملة في هذا كله هي كلمة « لأجل » (١ كورنثوس ١١ : ٢٤ ، ١٥ : ٣ ، ٢ كو ٥ : ١٤ و ١٥ ، غلاطية ١ : ٤ ، أفسس ٥ : ٢٤ ، ١ بط ٢ : ٢١ ، مرقس ١٤ : ٢٤ ، لوقا ٢٢ : ١٩) . فعلى أساس هذه الكلمة التي تظهر أن المسيح مات لأجل الآخرين فسر موت السيد تفسيراً كفارياً .

وهكذا نجد أن الكنيسة الأولى فسرت موت السيد على أنه ليس صدفة ، بل كان محتوماً ومقصوداً ، بل هو عمل من أعمال الله العظيمة التي قام بها لفداء الناس من الخطية .

أما الجماعة الأخرى التي دفعت المسيحيين الأوائل إلى أن يكتبوا دفاعاً عن مسيحهم هم تلاميذ يوحنا المعمدان ، ونحن نقابل هذه الجماعة ونقابل

تأثيرها في الكنيسة الأولى كثيراً، ولعلها ذهبت بعيداً في عملها إلى أن وصلت مدينة الإسكندرية، لهذا يظهر على منسوخ المنيحية رجل عظيم مقتدر استكندري الجنس لم يعرف غير معمودية يوحنا، واحتاج رهم حرارته في الإيمان إلى شخصية أكبلا وزوجته وبرسيكلا أن يعلماه طريق الرب بأكثر تدقيق (أعمال ١٨ : ٢٤) وتقابل مع فريق منهم الرسول بولس في أفسس وهؤلاء تعمدوا بمعمودية يوحنا ولم يسمعوا عن شيء اسمه الروح القدس (أعمال ١٩ : ٢). هذا يدل على أن جماعة يوحنا المعمدان لم تندثر فور موته، بل بالعكس نشرت وقويت ولا بد أنهم تصادفوا مع المسيحيين، وتباحثوا عن يكون الأعظم من مؤسسي الديانتين، ومن دراسة سجلات العهد الجديد نعلم أن تلاميذ يوحنا بنوا أفضلية معلمهم عن المسيح على أمرين هامين، الأولى هو أن يوحنا جاء قبل المسيح ولهذا فهو أعظم منه، لأن النبي الذي يسبق الآخر في مجيئه هو أعظم منه فكان موسى أعظم من يشوع، وإيليا أعظم من اليشع، وبالتالي فيكون يوحنا أفضل من يسوع الناصري، أما الأفضلية الثانية فهو أن يوحنا عمّد المسيح نفسه، وذاًمماً يعمد الكبير الأصغر منه ولهذا في يوحنا أعظم من يسوع المسيح.

ولكن المسيحيين يردون على ذلك بما ذكره لهم المسيح نفسه عن علاقته بيوحنا، فهو وإن كان قد اعتمد منه إلا أن هذا لم يكن مقصوداً ومحتماً، فقد حاول يوحنا أن يتنجى عن هذا العمل لأنه كما قال السيد هو محتاج أن يعمد منه، لكن المسيح طلب منه بل الحاح لسبب واحد هو أنه يريد أن يكمل كل بر (متى ٣ : ١٥) فالمسيح لم يعتمد من يوحنا لأنه خاطئ وجاء معترفاً بخطيئته كبقية الناس، ولا لأن يوحنا كان أعظم منه بل لأنه أراد أن يكمل كل بر لم يستطع شعبه أن يكمله.

أما من جهة الأمر الثاني ، فقد اعترف يوحنا نفسه أنه وإن كان قد جاء قبل يسوع المسيح بشهور إلا أن المسيح كان موجوداً قبلاً ، ولهذا فهو أعظم منه (متى ٣ : ١١) . فلا العاد ولا الظهور السابق يمكن أن يكونا عماداً لأفضلية يوحنا عن المسيح ، بل هما برهان على عظمة المسيح نفسه . ويصادق على ذلك إعلان يسوع نفسه عن يوحنا حينما أرسل له هذا الأخير ليسأله عما إذا كان هو الآتي . فيبعد أن مدح السيد المعمدان للفرجة أنه أعلن أن من بين المولودين من النساء ليس أعظم منه ، عاد فأعلن أن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه (متى ١١ : ١١) . ومهما كان تفسير هذه الآية فإن الواضح منها إعلان أفضلية المسيح عن يوحنا الذي لم يكن سوى سابق الملك الذي يبوق قدامه ويعلن مجيئه ، وما أبعد الشقة بين مركز الاثنين .

هذان المثلان هما عينتان من الدفاع عن الإيمان والمسيح في المدة التي انحصرت ما بين قيامة السيد وكتابة الإنجيل .

على أن هذا الدفاع لم يوجه إلى من كانوا مهاجمون المسيحية من الخارج فقط ، بل هناك نوع آخر اختص بمجموعات داخل المسيحية حاولوا أن يحولوها عن مسارها الطبيعي الذي رسمه لها المسيح ، وخاصة تلك التي سميت « التوديون » . لقد كان جل همهم أن يبقوا للناموس مركزه وقيمته التي كانت له في اليهودية بأى ثمن حتى ولو كان ذلك على حساب الإنجيل ، ولهذا أعلنوا أن كل أمي يريد أن نصير مسيحياً عليه أن يتمم وصايا الناموس أولاً ويختن ، وانتشرت بدعهم في كنائس كثيرة خاصة تلك التي بشرها الرسول بولس ، وكان من نتيجة ذلك أن نعتد مجمع أورشليم وحكمه حكمه الشهير الذي يقضى بتحرير الأمم من ثقل الناموس (أعمال ١٥) . ولكن بلوح أن ذلك الحكم لم يكن رادعاً بما فيه الكفاية ، واستمرت الاضطرابات ، واضطر

الرسول بولس أن يوجه إلى الكنائس رسائل عديدة كغلاطية وكورنثوس ورومية وغيرها ، وفيها كان يضع الناموس في مكانه الصحيح في تاريخ الفداء ، وأنه قصد به أساساً أن يوجه الناس إلى المسيح ليس إلا (رومية ١٠ : ٤) .

وإلى جانب ذلك كانت هناك قضايا أخرى تشغل بال الكنيسة كقضية سرعة مجيء المسيح (١ تسالونيكي ٥ : ١ و ٢ ، ٢ تسالونيكي ٢ : ١ - ١٢ ، ٢ بط ٣ . إلخ) وغير ذلك من القضايا التي أحاطت بالمسيحية من الداخل والخارج .

هذه هي العناصر الرئيسية التي تضمنتها الشهادة في تكوينها : الكرازة ثم التعليم الذي اهتم ببناء عقيدة الكنيسة والتعبير عن اختبارهم ثم الدفاع عنها وعن مسيحها ، ولكن هذه الشهادة لم تقم في فراغ ولم يخترعها الشهود بل كانوا يبنونها على أساس متين ويفسرونها بكيفية حاسمة حازمة فعلى أى شيء بنى هؤلاء تفسيرهم لشهادتهم ؟ هناك ثلاثة مصادر اعتمد عليها الشهود في ذلك ، ولكن قبل أن نذكرها يلى بنا أن نذكر شيئاً هاماً يتصل بذلك اتصالاً وثيقاً وهو الخبرة الشخصية لهؤلاء الشهود . ولعل الرسول بولس كان أعظم مثل على هذا الاختبار . فننظر ما قاله في فيلبي ٣ : ٤ - ٦ مع غلاطية ٣ يرى مقدار الانقلاب العظيم الذي حدث في تفكيره عن الناموس ، فبعد أن كان هذا الناموس مصدراً للفخر والتباهى أصبح أساساً للعتة ، فما الذى أوجد هذا التفسير المضاد ؟ لا شك خبرته الشخصية ومعرفته التي تغيرت بعد الإيمان لقد قابله المسيح المقام في طريقه إلى دمشق وأعلن له أن كل ما يعلمه خاطئ وكل ما يسير فيه لا يقوده إلا للهلاك حتى ولو كان يعمل كل الناموس ، فليس بالناموس بر وإلا لكان المسيح قد مات بدون سبب ، وهذا ما جعل

الرسول يعتقد التفسير المخالف ويشهد الشهادة المضادة لما كان يشهد به ويفسره من قبل ملاقاته بالسيد :

أما المصادر الثلاثة التي اعتمد عليها الشهود في تفسير خبرتهم وعمل الله في المسيح يسوع فهي :

١ - أقوال يسوع نفسه :

كل من يتصفح الأناجيل والرسائل يجد أن المسيحيين الأوائل من وعاظ ومبشرين ومعلمين ورسول قد اعتمدوا كثيراً على أقوال يسوع نفسه ، وقد يظن أحدهم أن هذا يصدق على الأناجيل الأربعة فقط ، ولكن الحقيقة أن الرسول بولس وكذلك بقية الكتاب اعتمدوا كثيراً على تعاليم وأقوال المسيح سواء أكانت مدونة في الأناجيل أم غير مدونة ، ويمكننا أن نضع هنا بعض الأمثلة على ذلك :

(١ كورنثوس ٧ : ١٠ و ١١) يقول الرسول بولس بصريح اللفظ للمتزوجين « وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها ، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته » هنا يشير الرسول بولس إلى تعاليم يسوع عن الزواج ولعله كان يقصد ما جاء في مرقس ١٠ .

(يعقوب ٢ : ٥) اسمعوا يا إخوتي الأحباء أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان وورثة الملكوت الذي وعده به الذين يحبونه « (متى ٥ : ٣ و ٥) طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض . » .

يعقوب (١ : ٢٥) . ولكن من اطلع على التاموس الكامل وثبت وصار

ليس سامعاً لا ناسياً بل عاملاً بالكلمة فهذه يكون مغبوطاً في عمله « أنظر ما جاء في يوحنا ١٣ : ١٧ « إن علمتم هذا فطوبواكم - إذا عملتموه » :

(رومية ١٢ : ١٤) « باركوا على الذين يضطهدونكم باركوا ولا تغلوا »
قارن هذا مع متى ٥ : ٤٤ .

هذه وغيرها تدل على أن الكنيسة الأولى اعتمدت أساساً على أقوال وأعمال الرب يسوع في مواجهة الظروف الجديدة والتعبير عن التجربة الجديدة التي اختبروها . ولكن توجد كلمتان لهما الدلالة العظمى على ذلك وهما : « تسلّم » و « سلم » . ومع أنهما في اللغة العربية يأتيان من أصل واحد ، ولكنهما في اللغة اليونانية كلمتان مختلفتان : وقد استخدمتهما الرسول بولس عدة مرات مقترنتين معاً مثلاً في ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ ، ١٥ : ٣ ، قبلت بدلاً من تسلمت . الأولى عند رسم فريضة عشاء الرب ، والثانية في الاخبار بالإنجيل وقيامه المسيح ، وقد استخدمتهما أيضاً عندما تكلم عن تسليم التعاليم السلوكية في اتسالونيكي ٤ : ١ ، ٢٠ ، اتسالونيكي ٣ : ٦) . هاتان الكلمتان لهما معنى فني وتستخدمان في تسليم الأشياء المقدسة من السلف إلى الخلف ، كما كانت تسلّم التقاليد اليهودية من المعلمين إلى المتعلمين ، ويلوح أن التلاميذ الذين رفضوا أن يكونوا خدام موائد ويتركوا كلمة الله (أعمال ٦ : ٢) كانوا يحفظون تعاليم وأعمال حياة المسيح ويودعونها الكنيسة للتعليم والإرشاد ، وظلت هذه التعاليم متداولة إلى أن وضعت في الأناجيل الأربعة التي بين أيدينا ، وكان الرسل يشيرون إليها في وعظهم وفي كتاباتهم ، معتقدين أن لها نفس القداسة التي للكاتب المقدسة في العهد القديم ، فلا يجوز أن يتصرفوا فيها :

هذا هو المصدر الأول في تكوين العهد الجديد والتعبير عن الخبرة المسيحية .

٢ - العهد القديم :

أما المصدر الثاني فهو العهد القديم الذي كان الكتاب المقدس للكنيسة الأولى ولل مسيح من قبل ، بل لعل الكنيسة تعلمت من سيدها كيفية استخدام العهد القديم ، ففي الأناجيل نرى المسيح يقاوم الشيطان باقتباسه منه (متى ٤ : ٤ و ٧ و ١٠ وما يقابلة) وعندما أراد أن يشرح رسالته وعمله أعلنها في إطار نبوات العهد القديم عن عمل عبد الرب في إشعياء ٤٢ و ٦١ أنظر لوقا ٤ : ١٦ - ١٩ . وفي إظهاره لبر ملكوت الله والطريقة السلوكية التي يجب أن يظهرها أعضاء الملكوت وضع كلامه في مقابل ما قيل في العهد القديم (متى ٥ : ٧ - ٤٨) . هكذا فعل أيضاً في تلخيصه لوصايا الله (مرقس ١٠ : ١٩) وكان يدافع عن العهد القديم في مقابل التقاليد مقتبساً من الأنبياء (مرقس ٧ : ٦ - ١٣) . وبعد قيامته من الأموات أعلن للتميذى عمواس أن كل ما حدث له إنما كان موجوداً في العهد القديم (لوقا ٢٤ : ٢٥ - ٢٧) .

وعلى هذا الأساس بنت الكنيسة تفسيرها لتلك الحقيقة الجديدة التي اختبرتها وعرفت أنها لم تأت في فراغ ولم تقم بدون جذور ، بل كان لها أصولها في العهد القديم . ويلخص ذلك بطرس في خطابه في يوم الخمسين في أعمال ٢ ، فحياة يسوع الناصري وموته وقيامته مذكورة من قبل وحقيقة ميلاد الكنيسة وانسكاب الروح القدس كان لإتمام ما قاله الرب بقم يوثيل النبي : ويضع أسطفانوس اليهود أمام الحقيقة الواضحة وهي أن المسيح جاء إتماماً لما قد أعلن في العهد القديم من موسى إلى آخر الأنبياء (أعمال ٧) .

ولعل عبارة الرسول بولس عن علاقة العهد القديم بما حدث في العهد الجديد هي أبلغ تعبير على ذلك إذ يقول « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء » (رومية ٣ : ٢١) . وهكذا بالمقابلة بين العهدين (غلاطية ٤ : ٢١ - ٣١) وبالمقارنة أيضاً بينهما وإظهار أفضلية العهد الجديد عن القديم كما يوضحها كاتب العبرانيين في معظم رسالته ، وبالمرزية التي تتضح في العهد الجديد (١ كورنثوس ١٠ : ١ - ١٤) ، وغير ذلك استطاع المسيحيون الأوائل أن يجدوا في العهد القديم مصدر التفسير لهذه الحقيقة الجديدة التي اختبروها في حياتهم . لقد كانت كل ألقاب المسيح مثل ابن الإنسان ، ابن داود ، ابن الله ، عبد الرب من العهد القديم بل لم تجمد الكنيسة اسماً لها تطلقه على نفسها أعمق من اسم إسرائيل الله (غلاطية ٦ : ١٦) . كل ما عمله المسيح في سبيل الفداء والخلص وجد تفسيراً في اللبائح والقرابين التي كانت تقدم في العهد القديم : ذبيحة الفصح : وهو فصحنا (١ كورنثوس ٥ : ٧) وهو رئيس الكهنة الذي يقدم ذبائح عن الناس (عبرانيين ٤ : ١٤ ، ٨ : ١) وذبيحة الخطية التي كان هو أعظم منها (عبرانيين ٩ : ٦ - ١٤) . إنه هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يوحنا ١ : ٢ و ٣٦) . وهو الحروف المذبح (رؤيا ٥ : ٦ - ١٤) . وعلاقة المسيح بالكنيسة لم تجمد لها تفسيراً إلا العهد وسمى ذلك بالعهد الجديد في مقابل العهد القديم (عبرانيين ٨ : ٧ - ١٣) . وحتى الفرائض في الكنيسة وجدت تفسيرها في العهد القديم كما فسرت المعمودية بالختان (١ كورنثوس ٢ : ١١ و ١٢) . ولكن مع ذلك يجب أن نتأكد أن الكنيسة الأولى لم تعتقد أنها نسخة أخرى محسنة من إسرائيل القديم ، ولا العهد الجديد هو فقط امتداد للعهد القديم ، كلا هناك فرق كبير ومجيد لا يمكن أن يقاس بين العهدين . فالمسيح نفسه يقول لتلاميذه « ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر

ولأذانتكم لأنها تسمع ، فإنني الحق أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين
اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا
(متى ١٣ : ١٦ و ١٧) . ولعل قول رسالة بطرس كان تعبيراً بليغاً أيضاً
عما فعله الله في المسيح وأنه كان جديداً على العالم كله سواء أكانوا بشراً أم
ملائكة « الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي
لأجلكم ، باحثين أي وقت وما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح
الذي فهم إذ سبق فشهد للآلام التي للمسيح والأجساد التي بعدها ، الذين أعلن
لهم أنهم ليسوا لأنفسهم بل لنا، كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أخبرتم بها أنتم
الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء التي تشهق
الملائكة أن تطالع عليها » (١ بطرس ١ : ١٠-١٢) .

ولم يشذ كاتب أو شاهد واحد في العهد الجديد عن هذه القاعدة ،
فالعهد القديم في اختبار المسيحيين الأوائل كان ينتظر شيئاً جديداً ويتطلع
إليه ، وها هو قد حضر وهو أمر لم يعرفه أحد من أبناء القديم أبداً ، ولكن
التوالب التي تصب فيه التعبيرات والمعاني لا بد وأن تؤخذ من القديم حتى
تفهم ، لا بد وأن يصاغ اللفظ حتى يؤدي معنى الرسالة . فالتعبيرات ، ابن
الإنسان ، العهد ، الفداء ، القداسة ، الذبيحة ، الكهنوت وغيرها ملئت
بمضمون أعمق وأجود عقداً ما للرسالة الجديدة من عمق وطلاوة .

٣- الثقافة الهلينية :

أما المصدر الثالث الذي اعتمد عليه المسيحيون الأوائل للتعبير عن
اختبارهم الجديد وشهادتهم فهو الثقافة الهلينية التي كانت تحيط بهم في كل
مكان . فقد أمر السيد رسله أن يذهبوا إلى العالم أجمع ، وكان لا بد للكنيسة
أن تخرج إلى العالم الخارجي وتتصل بالثقافة اليونانية ، وكان عليها أن تعطي
رسالتها بالطريقة التي يفهمها هذا العالم الجديد الكبير .

كان أول وأهم ما عمله الرَسُول هو استخدام اللغة التي سادت العالم وهي اللغة اليونانية ، وطبعاً لم يكن سهلاً أن يضعوا أفكارهم ورسالتهم في هذه اللغة ، ولكن الأمر الذي جعل ذلك ممكناً لهم هو ذلك العمل العظيم الذي سبقهم فيه علماء الإسكندرية ، وهو ترجمة العهد القديم وكتب الأبوكريفا إلى اللغة اليونانية، وهي الترجمة التي أطلق عليها السبعينية . هذه الترجمة ساعدتهم كثيراً حتى في نقل الاقتباسات الكثيرة التي أخذوها من العهد القديم ، ومن يقرأ الرسائل والأنجيل بخلاف إنجيل متى يجد التأثير الكبير لها في العهد الجديد .

ولكن لم يقتصر استخدام الكنيسة الأولى من الثقافة الهلينية على اللغة ، بل تعداها إلى الأفكار أيضاً . وهناك الأمثلة العديدة على ذلك . فعندما كان الرسول في أثينا منتظراً أصدقاءه قدم الإنجيل إلى أهل المدينة مستخدماً عقيدة الإله المجهول التي كانوا يتمسكون بها ويعرفونها ، (أعمال ١٧ : ٢٢ - ٣١)

ويقول بعض العلماء إن كاتب العبرانيين استخدم فكرة أفلاطون في المثل والظل . فالمثل عنده هو الأشياء الأبدية التي أعلنت في العهد الجديد أما الظل فهو الأمور التي مرت وانتهت في العهد القديم ، ومع أن تحفظاً كبيراً يجب أن يوضع إزاء هذا التفكير ، لكن شكل المناقشة في هذه الرسالة والكيفية التي وضعت فيها توحى بأن الكاتب كان يعرف فلسفة أفلاطون إلى جانب معرفته الكبيرة بالعهد القديم .

أما الرسول بولس فقد طالت المناقشات حول استخدامه للمفاهيم اليونانية لتوصيل الرسالة المسيحية ، ولعل أهم مثل على ذلك هو استخدامه للاصطلاحين « جسد وروح » والمقابلة الشديدة التي وضعها فيها مثل ما جاء في رومية ٧ ، غلاطية ٥ : ١٦ - ٢٦) إلخ مما يذكر الدارس بالفكر اليوناني بخصوص الجسد الشرير الفاسد والروح الصالحة التي تقضى أيام مجيئها في هذا

الجسد . ومع أن فكر الرسول أبعد ما يكون عن عقيدة فساد المادة وكل ما هو مادي ، وبالتالي اعتبار الجسد شريكاً واعتبار الروح محيية هذا الجسد ، إلا أنه قد يحيل للكثيرين أن الرسول يعتقد ذلك . إن الإنسان الخاطئ الشرير يمتلكه الخطيئة كإنسان ، والشر ليس هو فساد طبيعي ولكنه علاقة قد فسدت بين الإنسان وإلهه ، وهذه العلاقة تشمل الإنسان كله وتصبح أساساً للفساد الأدبي والشر الروحي ، ولعل أهم توضيح على ذلك هو وصف الرسول بولس العالم في رومية ١ : ١٨ - ٣ : ١٩ حيث يعلن أن هذا ينطق على حياة اليهود والأمم معاً .

ولكن المثال الواضح جداً في استخدام كتاب العهد الجديد للأفكار اليونانية لتوصيل الرسالة المسيحية هو ما جاء في مقدمة إنجيل يوحنا عندما استخدم كثيراً من المصطلحات الفلسفية اليونانية مثل « الكلمة » وهو تعبير مشهور عند الفلاسفة وأشهرهم فيلو اليهودي الإسكندري ثم الاصطلاحات « الحق ، النور ، الحياة » . ولعل الإنجيلي أراد أن يظهر لهذا العالم اليوناني أن الرسالة المسيحية ليست رسالة أعجمية غير مفهومة ولكنها رسالة لكل الأجيال والثقافات .

وهكذا نرى أن الكنيسة المسيحية الأولى قد استفادت واستخدمت كثيراً من الصور والتفكير اليوناني وملأته بالرسالة المسيحية أي بالإنجيل . وليس هذا إلا منطق العالمية التي تميزت بها هذه الرسالة السماوية . ولكن يجب أن نلاحظ الفرق الواضح بين صلة المسيحية باليهودية وبين صلتها باليونانية ، غلبت جاءت هذه الرسالة إتماماً للهدف الأساسي الذي يظهر في العهد القديم ، وبنت كثيراً من أفكارها على ما جاء فيه مع تغيير في الاهتمام والتنبيه ، إلا أن صلتها باليونانية كانت صلة عملية بحثية إذا أخذنا وسيلة لتوصيل الرسالة ، مع

أنه لم يكن لها أدنى صلة بها في أصلها . إن الإنجيل لليهودى والأممى ، إنه كما قال الرسول « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولاً ثم لليونانى » (رومية ١ : ١٦) ولهذا فإنه يصدق أيضاً إذ يقول « صرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود . . صرت لكل كل شئ لأخلص على أى حال قوماً » (١ كورنثوس ٩ : ١٩ - ٢٤) .

٤ - الشهادة مكتوبة :

أضحى الآن معروفاً أن الرسول بولس كان أول من كتب كتاباً كاملاً في العهد الجديد . وهذا الكتاب هو عبارة عن رسالة أرسلها إلى كنيسة من الكنائس التي بشرها وهي كنيسة تسالونيكى . وتوالت بعد ذلك رسائله . ولكن هذا لا يعنى أن كتابات الرسول بولس كانت أول ما وضع على ورق ، بل لا بد أن أشياء كثيرة كتبت قبلها لم تصل إلينا في شكلها التي كتبت فيه ، ويدلنا على ذلك ما قاله البشير لوقا في مقدمة إنجيله « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة للأموال المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة » (لو ١ : ١ و ٢) . ويهمننا هذا أن نتلمس الطريق الذي يمكن أن تكون قد سلكته الكنيسة في كتابة هذه التقاليد الخاصة بحياة السيد وموته وقيامه ، مسترشدين في ذلك باجتهادات بعض العلماء :

١ - من المعلوم - كما سبق وذكر - أن يسوع لم يترك أى شئ مكتوباً من تعاليمه ، وكذلك الرسل في أوائل خدمتهم إذ يلوح أنهم لم يهتموا بكتابة شئ بل كانوا يهتمون فقط بالوعظ وذكر تعاليم سيدهم ، ويمكن للدارس أن يجد سببين مهمين لعدم إسراع المسيحيين الأوائل في تدوين هذه الشهادة ، السبب الأول هو أنهم كانوا يؤمنون أن المسيح آت سريعاً ونهاية العالم قد

قربت ؛ وهذه العقيدة كانت واحداً من الأسباب التي دفعت الرسول بولس أن يكتب رسالة تسالونيكي الثانية ليوبخ جماعة في تلك الكنيسة ظنت أن يسوع سوف يأتي في أي لحظة ، ولهذا رأوا أنه من الأفضل بحسب نظرهم - أن ينتظروه في الكنيسة عابدين بدلا من القيام بالعمل اليومي ، ولقد احتاجوا إلى الطعام والشراب فكانت الكنيسة تعولهم إلى أن أصبحوا عالة عليها ، ولهذا كتب الرسول موبخا لهم .

وكان هذا الموقف أيضاً وراء رأى الرسول بولس من الزواج وعدم الاهتمام الكثير بعمل زيجات إن أمكن لأن الوقت منذ الآن مقصر (١ كورنثوس ٧ : ٢٥ - ٢٩) وليس الزيجات فقط بل في كل اهتمامات الحياة أيضاً يطلب من المؤمنين أن يسلكوا على أساس أن سيدهم آت قريباً .

وكانت أيضاً وراء قول رسالة بطرس توبيخاً لأولئك المتشككين في مجيئ الرب لأنه تأخر في مجيئه (٢ بطرس ٣) .

هذه العقيدة كانت وراء عدم إسراع المسيحيين في تدوين شهادتهم إذ أحس التلاميذ الأوائل أنه لا داعي للكتابة مادام الرب آت سريعاً . إن الأهم هو الإسراع بالشهادة ومحاوله نشر الإنجيل .

أما السبب الثاني فهو عقيدة الأوائل بأن الكلمة المقولة أعظم كثيراً من الكلمة المكتوبة . وما دام الرسل الذين كانوا معانين لا زالوا موجودين ، ولديهم الخبر اليقين فلا داعي للكتابة ، فكلهم أعظم من أية كلمة تكتب . ولقد ظل هذا الرأي سائداً حتى بعد أن كتبت الأناجيل وانتشرت .

٢ - لكن بمرور الأيام بدأ بعض الناس يكتبون شيئاً عن حياة المسيح ، ويحتمل أن تكون قصة آلام السيد أو بالأحرى قصة الأسبوع الأخير من

حياته كتبت أولاً ، فهي القصة التي نراها في إنجيل مرقس قصة متكاملة أو على الأقل أكثر تكاملاً من باقي قصص الإنجيل ، ويمكن بشيء من التدقيق والمقابلة أن تفصل كل أيام الأسبوع وما حدث فيها . ويمكن أن يقال أيضاً إن قصة هذا الأسبوع كتبت لكي تتوج بقصة القيامة وقصة الظهورات التي ظهرها السيد لتلاميذه بعد قيامته ، ويمكن أن نتلمس الدوافع التي كانت وراء كتابة قصة الآم السيد ، وواحد من هذه الدوافع هي العبادة نفسها ، فوجود قصة العشاء الرباني بما فيها من عهد جديد والتنبيه على أنها حدثت عند أكل عشاء الفصح يدل على أن الكنيسة كانت تعبر عن صلتها بالسيد على أنها البقية الباقية . وهناك سبب آخر وهو تفسير موت المسيح على أنه يتمم قصد عبد الرب في آلامه والتعبيرات الكثيرة التي وقعت عليه ، مع أنه بشهادة الأمم لم يوجد في فمه غش (إشعيا ٥٣ : ٢٩ حتى ٢٧ : ٢٤) .

ويقول العلماء أيضاً إن دراسة إنجيل متى ولوقا وظهور كليات كبيرة من التعاليم التي لا توجد في إنجيل مرقس يدل على أن هناك نبذة أخرى كتبت ودونت فيها كثير من تعاليم المسيح ، واستقى منها متى ولوقا هذه التعاليم الكثيرة ، وربما كتبت هذه التعاليم لكي يستخدمها معلمو الكنيسة في تعليم المسيحيين الأوائل الذين يحتاجون إلى هذه الإرشادات ، خاصة في المواقف المتشابهة التي مر بها يسوع في أيامه على الأرض ، ومرت بها الكنيسة الأولى بعد تكويتها في يوم الخميس .

وقيل إن هناك نبذة ثالثة كتبها أحد الكتيبة المسيحيين المتمكنين في الكتب المقدسة تتضمن النبوات التي جاءت في العهد القديم وتشير إلى يسوع المسيح في ميلاده وفي حياته وموته وقيامته وصعوده . إن هذه الاقتباسات الكثيرة من العهد القديم التي ظهرت في العهد الجديد تدل على مجهود دراسي واسع في

الكتب ، واجتهاد كبير قام به واحد أو أكثر من المسيحيين الأوائل لكي يظهر أن رجاء العهد القديم قد تم في هذا الشخص .

وهكذا يظهر أن نبذاً وكتابات متنوعة قد ظهرت تحوى على قصص وتعاليم ودراسات في حياة يسوع وعمله . ولكن كانت الخطوة الأخيرة هي كتابة الأناجيل كما سيأتي فيما بعد .

من كل ما تقدم يمكننا أن نستنتج الحقائق التالية :

١ - إن العهد الجديد كتاب كنسى كتب في الكنيسة وبواسطتها ولأجلها . ولكن لم يكتبه جماعة من العلماء الفلاسفة الذين جلسوا في برجهم العاجى وبدأوا يقصون أو يفلسفون أو يضعون عقائد لادوتية ، إنه كتب لمواجهة حاجات الكنيسة المتنوعة ومواقفها المختلفة . فالرسائل والأناجيل والأعمال والروايا كلها كتبت لتسد حاجة الكنيسة الصارخة ، يدلنا على ذلك غنى الخبرة المسيحية في العهد الجديد ، فمع أن عنصراً واحداً يسير في كل الكتاب إلا أننا نجد تنوعاً كبيراً فيه ، يحس به من يقرأ الأناجيل مقارناً إياها . نعم فهناك تنوع بين بولس ويعقوب بين يوحنا وكاتب العبرانيين بين متى ومرقس ولوقا ، والسبب لأن الكتب في العهد الجديد كتبت لهدف محدد . والحاجة محددة في الكنيسة كتبت إلى مجتمعات بها مشاكل واحتياجات تختلف بعضها عن البعض . إنه كتاب كتب لمواجهة احتياجات الكنيسة .

٢ - سبقت كتابة الأناجيل فترة فيها تبلورت التقاليد عن حياة وتعاليم المسيح ، وذلك بناء على مواقف كنسية محددة قابلتها الكنيسة في حياتها كانت تشابه المواقف التي قابلها يسوع في حياته ، فتذكر التلاميذ هذه الأقوال والتعاليم وطبقوها على هذه المواقف . ثم هناك كلمات وتعاليم أخرى حفظها هؤلاء الناس عن ظهر قلب نظراً لمحببتهم لسيدهم . وقد كانت هذه التقاليد إما

مكتوبة في بعض النُسخ وإما شفوية يتناقلونها من مكان إلى مكان ومن كنيسة إلى كنيسة .

٣ - هذه التقاليد ترجع أصلاً إلى يسوع فهو الأساس الذي بنيت عليه الكنيسة وبنيت عليه المسيحية سواء أكان في تعاليمه أم في حياته أم موته وقيامته وصعوده إلى السماء ، إنه حجر الزاوية .

الفصل الرابع

كيف وصل إلينا العهد الجديد

بعد أن يعرف الدارس شيئاً عن البيئة العامة التي أحاطت بكتابة وكتاب العهد الجديد من يهودية ويونانية وكيف نما العهد الجديد داخل الكنيسة ، ينبغي عليه أن ينتقل إلى العهد الجديد نفسه ليعرف شيئاً عن كتابته كيف كتب وكيف وصل إلينا في حالته الحاضرة ، وهل حدث اختلاف في الكتابات الأولى التي خرجت من أيدي كتابه الأصليين أم هي باقية كما كتبها ، وكيف نستطيع أن نجزم أن ما بين أيدينا هو النص الأصلي الذي كتبوه . وهناك أسئلة أخرى تتصل ببعض الكتابات الأخرى التي وجدت وكتبت بأيدي مسيحية لها سلطتها وتحت أسماء ضخمة في الكنيسة الأولى كإسم بطرس وبولس وغيرهما . . . لكننا لا نجدها موجودة عندنا في نسخ العهد الجديد التي بين أيدينا ، فلماذا حفظت هذه وتركت تلك ، وما هو المبدأ الأساسي الذي ساق الكنيسة على أن تأخذ هذه وتترك غيرها .

هذه الأسئلة كلها تتصل بدراستين عميقتين من دراسات العهد الجديد ، الأولى دراسة النص والثانية دراسة القانونية للعهد الجديد ، وهاتان الدراستان هما موضوعا الفصلين التاليين .

١ - كيف كتب النص

من الأمور البديهية التي لا ينكرها أي إنسان أن النسخ الأصلية التي خرجت من يد كتاب العهد الجديد غير موجودة ، وأن أقدم مخطوطة وصلت

إلى أيدينا تصل إلى النصف الأول من القرن الثاني ، أى بعد الانتهاء من كتابة كل أسفار العهد الجديد بوضع عشرات من السنين ، مع العلم بأن هذه المخطوطة لا تزيد عن بضعة أعداد قابلة من إنجيل يوحنا . ومع ذلك فهناك ما يقرب من خمسة آلاف مخطوطة تغطي كل أجزاء العهد الجديد (The Text of the N.T. Metzger ص ٣٦) فكيف وصلت إلينا هذه المخطوطات الكثيرة ؟ كيف كتبت ؟ وبأى كيفية حفظت نص العهد الجديد ؟

كيفية كتابة الكتب :

١ - يعتبر ورق البردى أقدم مادة يكتب عليها الكتاب المقدس . والبردى هذا نبات ينمو في الأبنكة الضحلة من نهر النيل في الدلتا ، وكانت صناعته من الصناعات المزدهرة في مصر ، ومن هناك كان يصدر إلى أمة كثيرة في العالم . ومع أن البردى يصبح سهل الكسر عندما يتقدم عليه الزمن إلا أنه كان يضارع في متانته أقوى نوع من الورق الحديث . ولكن الفضل الأكبر في بقاء أوراق البردى إلى العصر الحالي هو جفاف الجو في مصر وخصوصاً في الصعيد ، حيث وجد البردى بكميات ضخمة مدفوناً في التربة الجافة . وحيث أن أوراق البردى كانت مستخدمة في أيام المسيح وقبل ذلك بالآلاف السنين ثم بعده بعدة قرون فيمكن القول بأن كتاب العهد الجديد كتبوا كتاباتهم على أوراق البردى .

٢ - ولكن البردى لم يكن هو المادة الوحيدة التي استخدمت في الكتابة بل كانت ، هناك الرقوق . وهناك قصة مشهورة يذكرها بلني الكبير في كتابة التاريخ الطبيعي « ج ١٣ ص ٢ يقول فيها إن ملكاً من ملوك مصر من أسرة البطالمة علم أن أمينس الثاني Eumonos شحول أن يبنى مكتبة تضارع مكتبة الإسكندرية وتنافسها ، فتمنع تصدير أوراق البردى إليه حتى يتمتع من

محلولة هذه ، ولكن أمينيس لم ييأس بل توسع كثيراً في صنع الرقوق من الجلود مثل جلود العجول والغزلان والغنم والماعز . وبدأ استخدام الرقوق بتوسع من ذلك العصر - مع أنه كان معروفاً من قبل - ووجدت مخطوطات ضخمة مكتوبة على الرقوق هذه ، بل أن كل المخطوطات اليونانية المشهورة المعروفة للعالم مكتوبة على هذه الرقوق . ولقد ساعدت الرقوق على انتشار الكتاب في كل أنحاء العالم اليوناني الروماني لإمكان حفظه في أي مكان وتحت أي ظروف جوية .

٣ - أما الشكل التي وصلت بها الكتب فكانت نوعين : النوع الأول هو الدرج scroll . وكان يصنع إما من الجلد أي الرقوق أو من أوراق البردي إذ تلتصق وحدات الرقوق أو البردي بعضها ببعض حتى تصبح أطوالاً مختلفة قد تصل إلى عشرة أمتار ، ويكتب عليه في شكل أعمدة . ولا يتسع أي درج لأكثر من سفر واحد من أسفار الكتاب المقدس الطويلة ، ويظن كثير من العلماء أن هذا هو السبب الذي لأجله كتب لوقا الطبيب كتابه - إنجيل لوقا وسفر الأعمال في كتابين منفصلين . وكانت هذه الطريقة مكلفة كثيراً ، غير سهلة في استخراج الأجزاء المطلوبة من السفر . لهذا بدأ الناس يفكرون في شكل آخر فخرج الكتاب Codex إلى الوجود . ويظن بعضهم أن كنيسة الأمم هي أول من فكر في كتابة الكتاب المقدس على شكل كتاب حتى تتميز عن كتابات اليهود التي استمرت تكتب في هيئة الدرج . ولكن ذلك لم يكن السبب الأصيل لهذا التحول ، بل كانت هناك أسباب أخرى منها : أن الكاتب يستطيع أن يكتب على جانبي الورقة الواحدة في حين أن الدرج لا يتسع إلا للكتابة على وجه واحد هو الوجه الداخلي فقط ، وبذلك استطاعوا أن يضعوا الأناجيل كلها أو رسائل بولس كلها في كتاب واحد . ومنها أيضاً أن قارئ الكتاب كان لا يتعب كثيراً عندما يفتش عن أية جزء

من الكتاب المقدس . ولهذا فقد وجدت المخطوطات العظمى للكتاب المقدس في هيئة كتاب لا في شكل الدرج .

٤ - وكما تباينت هيئة المخطوطات تباينت أيضاً طريقة الكتابة ، فقد كانت هناك ، طريقتان للكتابة : طريقة الخط الجارى Cursive أى أن الأحرف كانت ملتصقة بعضها ببعض ، وكانت تستعمل في كتابة الأمور اليومية غير الرسمية ، أما في الكتابات الرسمية وتلك التي لها قيمتها الكبرى فكانت تكتب بالخط ذى الأحرف الكبيرة المنفصلة واسمها Unicials . وهذه الكيفية كتبت المخطوطات الكتابية العظيمة التي وصلت إلينا فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلادى . أما بعد ذلك فقد بدأ جمال الكتابة والعناية بها يقل حتى صارت الأحرف ضخمة وغير واضحة . ولكن في حوالى القرن التاسع ظهرت طريقة أخرى للكتابة هي عبارة عن شكل متطور من الكتابة الجارية Cursive وكانت تسمى Minuscules أى كتابة الأحرف الصغيرة ، وهذا التطور بدأ انتشار الكتب المقدسة يتزايد نظراً لضيق المسافة التي تشغلها الكتابة ، وصغر حجم الكتاب وسرعة الكتاب وانخفاض تكاليف الكتب . وعلى هذا فيمكن تقسيم المخطوطات إلى نوعين : الأول هو ما كتبت بالخط الكبير المنفصل والنوع الثانى هو ما كتبت بالخط الصغير ، وبالطبع يزداد عدد النوع الثانى عن الأول بنسبة ٦ : ١ نظراً لقرب وقتها من العصر الحالى وعدم تعرضها للتآكل مثلما حدث للنوع الأول والأهم من ذلك لانتشار الكتاب المقدس بصورة أوسع بين طبقات من الناس أشمل .

٥ - أما من ناحية ترقيم الكتابة ووضع الفواصل بين الجمل والكلمات فقد كانت قليلة جداً في الكتابات القديمة وخاصة في الكتابات الموجودة على البردى ، وكذلك المخطوطات القديمة . ففي أوراق البردى المسماة شيسترينيتى

Chester Beatty وجدت علامات مميزة وفواصل قليلة جداً . وكانت الأحرف تكتب متجاورة والكلمات كذلك لا يفصلها بعضها عن بعض أى فاصل ، مما كان يسبب بعض المشاق للعلماء فى تمييز الكلمات ، وهناك مثل واضح باللغة الإنجليزية يوضح مدى هذه الصعوبة : فإذا قرأ اثنان أحدهما ملحد والثانى مؤمن هذه الجملة God is nowhere فالأول يقرأها God is no Where أى أن الله غير موجود ويقرأها الثانى God is now here « أى أن الله هنا الآن » . ولكن لا يخطر على البال أن هذه الحالات كانت عسيرة لدرجة الاستحالة على العلماء ، فقد درسوا الكتاب المقدس كله دون التوقف أو العجز عن تفسير وتمييز كل كلماته ، وذلك نظراً لتمييز الكلمة اليونانية عن غيرها بنهاياتها التى لا تخرج عن حرف متحرك أو مقطع حركى Diph Thong أو واحد من الأحرف الساكنة الثلاثة n, r, s .

٦ - إلى جانب المواد السابقة التى كتبت عليها كتب العهد الجديد توجد طريقتان أخريان حفظ بهما بعض نصوصها : الأولى هى الكتابة على الفخار أو الحار وكان يستخدمها فقراء الناس ، وقد وجدت أجزاء من ستة أسفار من العهد الجديد مكتوبة بهذه الكيفية . أما الطريقة الثانية : هى طريقة عمل الشعوذة والأحجية ، وقد انتشرت هذه العادة فى العصور القديمة انتشاراً واسعاً حتى بين المسيحيين أنفسهم . وكانوا يكتبون بضعة آيات من أحد الأسفار على الخشب أو الجلد أو ورق البردى . ويشار إلى النوع الأول بالحرف الإنجليزى القديم H ويوجد منها حوالى ٢٥ ، أما النوع الثانى فيشار إليه بالحرف D ويوجد منها ٤ تحوى الصلاة الربانية وخمسة تحوى على أجزاء أخرى من الكتاب .

٢ - مستندات نص العهد الجديد

وهنا يقفز السؤال « ما هي الوثائق التي يعتمد عليها الدارسون في تحقيق نص العهد الجديد؟ وما هي المصادر الأساسية له؟ في هذا الأمر توجد ثلاثة مصادر وهي في الوقت نفسه الوثائق التي منها يستقى العلماء هذا النص :

١ - المخطوطات اليونانية .

٢ - الاقتباسات التي اقتبسها الآباء أفراداً وكنائس والقراءات في صلواتها .

٣ - الترجمات المختلفة .

١ - المخطوطات اليونانية :

انشغل بعض العلماء في وضع أسماء لهذه المخطوطات المختلفة لتمييزها بعضها عن بعض ولتسهيل عملية نقد النص، وكان أول من عمل نظاماً لها هو العالم وتشتين Wettstein فيز المخطوطات المكتوبة بالخط الكبير المنفصل Unicials بحرف كبير ، أما المخطوطات المكتوبة بالخط الصغير Minuscules بالأعداد العربية . ولكن منذ ذلك الوقت كثرت الاكتشافات وزاد عدد المخطوطات عن عدد الحروف الكتابية ، فكان على العلماء أن يجدوا نظاماً أشمل منه ، ولقد قام بذلك أحد علماء القرن التاسع عشر وهو جريجوري G.R. Gregory الذي بنى على النظام السابق ولكنه توسع فيه : ففصل أولاً بين المخطوطات المكتوبة على أوراق البردي والمكتوبة على الجلود ، وميز الأول بالحرف الإنجليزي P وتكتب نمرة المخطوطة بجواره : فهناك P1 ، P2 وهكذا . ويوجد منها حوالي ٧٦ مخطوطة مكتوبة بالحرف الكبير المنفصل .

أما المخطوطات المكتوبة على الجلود فقد أبقى على الأسماء الأصلية للمخطوطات الشهيرة ، فبقيت السينائية تميز بـ ζ (ألف عبراني) والفاثيكانة B والإسكندرية A ولكن المخطوطات زادت عن الحروف اللاتينية واليونانية والعبرية ، فما كان من جريجورى إلا أن ميز كل مخطوطة بعدد عربى خاص ملحقاً به رقم صفر مثلاً : 01 , 02 , 050 , 075 ووصل عدد المخطوطات هذه إلى ٢٥٠ مخطوطة .

أما المخطوطات المكتوبة بالحرف الصغير المتصل فقد أبقى على تمييزها بالأعداد العربية ووصل عددها إلى حوالى ٢٦٤٦ مخطوطة .

ولم يقتصر جريجورى على تمييز المخطوطات اليونانية بل تعداها إلى القراءات الكنسية ، وهناك حوالى ١٩٩٧ قراءة موجودة فى الكتب اليونانية . ويميزها بالحرف الانجليزى L (Lectinary) ويجوارها عدد عربى . فإذا كانت القراءات من الإنجيل اكنفى بالحرف L والعدد العربى ، أما إذا كان الاقتباس من الأعمال والرسائل L + a ولا يوجد اقتباس من سفر الرؤيا .

وتنقسم هذه المخطوطات إلى نوعين :

١ - المخطوطات المكتوبة على الورق البردى .

٢ - المخطوطات المكتوبة على الجلود .

(١) أهم المخطوطات المكتوبة بالخط الكبير على ورق البردى

تشمل كل هذه المخطوطات أجزاء صغيرة من العهد الجديد ، ولكن أهم هذه المخطوطات مجموعتان : الأولى هى مجموعة تشستر بيتى Chester Beatty نشرت ١٩٣٠ - ١٩٣١ . ثم مجموعة Martin Bod mor وقد نشرت فى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

أما المجموعة الأولى أي مجموعة تشستر بيتي فتحتوى على المخطوطات الآتية : p 45 كانت تحتوى هذه المخطوطة في الأصل على حوالي ٢٢٠ ورقة ولكن لم يبق منها إلا حوالي ٣٠ ورقة . وكانت تحوى الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال ، ولم يبق منها إلا بضعة أعداد من متى ويوحنا وأوراق من مرقس ، ٧ أوراق من لوقا و ١٣ ورقة من سفر الأعمال . يرجع الناشر تاريخ كتابتها فيما بين ٢٠٠ - ٢٥٠ ميلادية . أما نصها فهو يختلف . ففي مرقس يعتبر النص قيصري أما في الأناجيل الباقية فيحيل إلى النص الإسكندري p 46 كانت أصلا تحتوى على ١٠٤ ورقة تبقى منها حوالي ٨٦ ورقة . وكانت تحتوى على عشر رسائل لبولس بالترتيب الآتى رومية ، عبرانيين ، ١ و ٢ كورنثوس وأفسس وغلاطية فيلبي وكولوس ، ١ و ٢ تسالونيكي . لكنها الآن تنقص أجزاء كبيرة من رسائل رومية ، ١ و ٢ تسالونيكي ولا توجد هناك أية دلائل على أنها كانت تضم الرسائل الرعوية . ومن أهم مميزات هذه المخطوطات هو أنها تنسب رسالة العبرانيين إلى بولس وتضعها مباشرة بعد رومية ، والنهاية الموجودة في أصحاح ١٦ من رسالة رومية توجد في نهاية الأصحاح الخامس عشر . ويرجع الناشر أنها كتبت في النصف الأول من القرن الثالث (٢٠٠ - ٢٥٠ م) ونصها قريب من النص الغربي .

P 47 كانت تحتوى أصلا على ما يقرب من ٣٢ ورقة لم يبق منها سوى عشر ورقات ، بها كثير من التشويحات وهي لسبب الروايا . ويرجع تاريخها إلى النصف الأخير من القرن الثالث ونصها يقرب من نص المخطوطة السينائية .

P 52 هذه الأقصوصة من البردى لا تحوى سوى خمسة أعداد من إنجيل يوحنا (١٨ : ٣١ - ٣٣ و ٣٧ و ٣٨) وقد أخذها أحد العلماء من مصر

سنة ١٩٢٠ ولكنها لم تنشر إلا في سنة ١٩٣٤ ومع أنها صغيرة الحجم بهذا القدر إلا أن قيمتها العلمية لا تقل عن أعظم اكتشافات في عالم المخطوطات . فقد أرجع ناشرها تاريخ كتابتها إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وقد اتفق معه أعظم علماء المخطوطات . وهذا يعني أن إنجيل يوحنا انتقل من منطقة كتابته (أفسس آسيا الصغرى) إلى مصر في تلك الفترة مما يقطع أن الإنجيل كتب في فترة هذا التاريخ وبذلك نقضت كل براهين مدرسة توينجن الألمانية التي كانت تؤكد أن إنجيل يوحنا كتب في ١٧٥ م على الأقل . هذه هي مجموعة تشستر بيتي ، ويلها في التاريخ مجموعة بودمر وهي تحتوي على المخطوطات التالية :

P 66 وتعتبر هذه المخطوطات من أهم مخطوطات هذه المجموعة . ولقد نشرت على مرتين الأولى من سنة ١٩٥٦ والثانية وكانت إضافات لها نشرت سنة ١٩٦٢ . وكانت تحوى أصلا إنجيل يوحنا ولم يتبق منها سوى : يوحنا ١ : ١ - ٥ ، ١١ ، ٦ : ٣٥ - ١٤ : ١٥ ثم بضعة أعداد من أصحابات ١٤ - ٢١ . ونصها أصلا غربي ولكن الكاتب غير بضعة قراءات منها إلى النص الإسكندري . وتتميز هذه المخطوطة ببعض القراءات التي لم توجد في أية مخطوطة غيرها مثل : لو ١٣ : ٥ بدلا من كلمة « مغسل » يقول « مغسل الأرجل » ومتى ٧ : ٥٢ يحل المشكلة التي حيرت المفسرين طويلا في القول . فتش وانظر هل قام نبي من الجليل مع أن أنبياء جاءوا من الجليل ، لكن الكاتب أضاف « ال التعريف » فأصبحت « النبي » وهو النبي الذي وعد موسى الشعب بمجيئه ، هذا النبي هو الذي لا يأتي من الجليل .

P 72 هذه المخطوطة التي نشرت سنة ١٩٥٩ تحتوي على أشياء : منها قصة ميلاد العذراء مريم ، رسالة بولس إلى كورنثوس (من كتب الأبوكريفات)

أغنية سليمان الحادية عشر ، رسالة يهوذا ، موعظة ميلثويوم الفصيح ، أجزاء من أحد التراجم مقالة فيلياس ، مزمو ٣٣ و ٣٤ رسالتى بطرس . وقد ذكر الكاتب أنها كتبت للاستعمال الخاص لا للاستعمال الكنسى . أما نصها في ١ بطرس فهو نص أسكندرى ، وخصوصاً النص الصعيدى .

P 75 وهى مخطوطة كانت تحتوى إنجيلى لوقا ويوحنا كتباً على ١٤٤ صفحة ولم يبق منها إلا ١٠٢ صفحة ويرجح ناشرها أنها كتبت فى الفترة ما بين ١٧٥ - ٢٢٥ م ولهذا فهى أول مخطوطة لإنجيل لوقا ، وواحدة من أوائل المخطوطات لإنجيل يوحنا. ونص هذه المخطوطة يشابه المخطوطة الفاتيكانية ، وفى بعض المواضع تتفق مع الترجمة القبطية المسماة « الصعيدية » ، فى بعض القراءات الفريدة . فهما تتفقان فى يوحنا ١٠ : ٧ حيث يستبدلان قول المسيح « أنا هو باب الخراف » بالقول « أنا هو راعى الخراف » ، ثم فى ذكر اسم الرجل الغنى فى قصة الغنى واليعازر » ، (لوقا ١٦ : ١٩) ، حيث تقول أن اسمه : نينوى .

هذه هى أهم المخطوطات البردية التى تعتبر شاهداً ومصدراً مهماً لنص العهد الجديد .

(ب) أهم المخطوطات اليونانية المكتوبة بالخط الكبير على جلود الحيوانات

لا يمكن أن نعطى هنا وصفاً عن كل المخطوطات من هذا النوع ، ولكن يكفى أن نلقى الضوء على بعض من أهم المخطوطات فيها ، وسوف نذكر اسم المخطوطة باللغتين العربية والإنجليزية مع ذكر الحرف الرمزى لها ثم رقمها العدى .

١- السينائية Sinaiticus (01) :

تعتبر هذه المخطوطة أهم هذا النوع من المخطوطات وقد اكتسبت شهرة واسعة ليس فقط بما تحوى ولكن للقصة الطويلة التي وراءها . فقد اعتقد تشيندورف الذي اكتشفها أنها إحدى خمسين مخطوطة فاخرة أمر الامبراطور قسطنطين بكتابتها لتوزع على الكنائس ، أما المخطوطة الثانية الباقية من هذه المجموعة بحسب هذا الرأى فهي الفاتيكانية أما قصة اكتشافها فهي قصة طويلة تبدأ سنة ١٨٤٤ عندما جاء قسطنطين تشيندورف العالم الألماني إلى الشرق الأوسط للبحث عن مخطوطات قديمة ، فوجد ٤٣ ورقة ملقاة في سلة المهملات في دير سانت كاترين في صحراء سيناء ، وعندما فحصها عرف أنها جزء من الترجمة السبعينية كتبت بخط كبير منفصل ، وكانت تحوى أجزاء من ١ أخبار الأيام ، إرميا ، نحميا واستير . فرجع إلى أوروبا ونشر ونشر هذه الأوراق سنة ١٨٤٦ . في سنة ١٨٥٣ رجع إلى الدير ولكن الرهبان لم يسمحوا له بشيء ، ولكن في سنة ١٨٥٩ في زيارة ثالثة للدير وجد ما كان يحلم به ، إذ وجد مع أحد الرهبان بقية المخطوطة في حالة جيدة وخاصة في العهد الجديد ، وبعد مفاوضات طويلة تمكن من أخذها وتقديمها كهدية لقيصر روسيا ثم نشرها في سنة ١٨٦٢ . . ثم نشرت بعد ذلك مرتين الأولى ما بين ١٩١١ - ١٩٢٢ والثانية ١٩٣٨ بعد أن اشتراها المتحف البريطاني من النظام الروسى الجديد بمبلغ مائة ألف جنيه استرليني . (يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الرابع) وتحتوى هذه المخطوطة على معظم العهد القديم وكل العهد الجديد تقريباً ورسالة برنابا ، وجزء كبير من كتاب راعى هرمس . أما نصها فهو ينتمى إلى النص الإسكندري . وقد راجعها بعض الكتبة وعملوا لها بعض التصحيحات . وفي المدة ما بين القرنين السادس والسابع غير بعض الكتبة في قيصرية كثيراً في كلا العهدين الجديد والقديم محاولين بذلك أن

بوقفوا بين هذه المخطوطة ومخطوطة بامفيلوس القبطية . ويستطيع دارس الكتاب المقدس أن يعرف ذلك في الهامش تحت a ؛^(*) للتصحیحات ، ثم ea ؛ التغييرات الأولى ، ثم cb ؛ للتغييرات الثانية .

٢- الاسكندرية A. Alexandrinus (02) :

هذه المخطوطة أهداها البطريرك كيرلس لوكر بطريرك القسطنطينية سنة ١٦٢٧ إلى أحد ملوك إنجلترا ، وقد كانت قبلا في أبروشية الإسكندرية ، ولذلك أطلق عليها ذلك الاسم مع أن إستريتر Streeter يظن أنها لم تكتب في الإسكندرية بل كتبت في قبطية أو في مكان يقرب منها . وقد كانت تحتوى أصلا على ٨٢٢ ورقة لم يتبق منها إلا ٧٧٣ ورقة وتتضمن العهدين القديم والجديد . وقد فقد منها كل من ص ٢٥ : ٦ ، يوحنا ٦ : ٥ - ٨ : ٥٢ ، ٢ ، كو ٤ : ١٣ - ١٢ : ٦ .

أما النص فإنه يختلف فالأنجيل تمثل النص البيزنطى في أقدم صورة أما بقية العهد الجديد فيمثل النص الإسكندري ، وبذلك توضع في نفس المستوى مع المخطوطتين ؛ ، B في هذا الجزء . ويرجع تاريخ كتابة هذه المخطوطة إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادى .

٣- الفاتيكانية B Vaticanus (03) :

سميت الفاتيكانية لأنها موجودة في المكتبة الفاتيكانية منذ زمن بعيد - أى قبل سنة ١٤٧٥ م ، ومع ذلك فقد ظلت مغلقة عن عيون العلماء إلى سنة ١٨٨٩ حين سمح لهم بأن يستخرجوا صورة فوتوغرافية منها . يرجع تاريخ كتابة هذه المخطوطة إلى أواسط القرن الرابع ، ويظن بعضهم أنها إحدى الخمسين مخطوطة التي أمر قسطنطين بكتابتها للكنائس ، وأنها كانت نسخة مزفوضة .

* ألف هي العبرية أول حرف عبرى .

وفيهما بعض التصحيحات التي قام بها أحد المصححين بعد كتابتها مباشرة .
وكتابتها بسيطة ليس بها أى ترينيات .

أما ١٠ ضاع من هذه المخطوطة فهو : ٤٦ أصحاحاً من سفر التكوين .
حوالى ٣٠ مزموراً ، من عبرانيين ٩ : ١٤ إلى النهاية ويتضمن الرسائل
الرعية وسفر الروثيا وسفر المكابيين .

أما ما تتميز به هذه المخطوطة فهي أنها مقسمة فى العهد الجديد إلى
أصحاحات ما عدا رسالة بطرس الثانية ، وفى تقسيمها لرسائل بولس تستمر
فى تقسيم واحد لكل الرسائل ، ولا يوجد هناك تقسيم مستقل لكل رسالة على
حدة . والأمر الآخر هو أنها تحوى رسالة العبرانيين بعد رسالة تسالونيكي
مباشرة .

أما نصها فقد قيل إنه يمثل النص الإسكندري فى أنقى صورة مع أن بعض
العلماء يرون فى رسائل بولس بعض العلامات على وجود النص الغربى مختلطاً
بالنص الإسكندري .

٤ -- الافرايمية C. Ephraemi (04) :

هذه المخطوطة التى توجد الآن فى المكتبة الوطنية فى باريس ، كانت فى
الشرق ثم جئ بها إلى إيطاليا فى القرن السادس ومنها إلى باريس . وهى
مخطوطة بالمبست **Palimpsest** أى أنها كانت تحتوى أصلاً الكتاب
المقدس ، لكن فى القرن الثانى عشر محاً أحد الكتبه نص الكتاب المقدس
وكتب فوقها مواضع أفرايم أحد الآباء السريان الذى عاش فى أوائل القرن
الرابع . ولكن بواسطة استخدام بعض المواد الكيميائية الخاصة والضوء
الشديد تمكن تشيندورف من أن يقرأ النص الأصيل الذى محى ، ولم يجد منها

سوى ٤٦ ورقة من العهد القديم وحوالى ١٤٥ ورقة من العهد الجديد تحوى أجزاء من كل كتبه ما عدا رسالة تسالونيكي الثانية ويوحنا الثانية .

يرجع تاريخ هذه المخطوطة إلى القرن الخامس يتفق نصها كثيراً مع النص البيزنطى الذى يعتبر أقل قيمة من النصوص الأخرى . وقد أجرى اثنان من المصححين بعض التصحيحات ويشار إليها .

٥ - البيزية D Bezae (05) :

لها اسم ثان هو كانتا بريجنسيس Cantabrigiensis وقد حصل عليها تيودور بيزا تلميذ كلفن من دير القديس إيريناوس سنة ١٥٦٢ ، وأهداها إلى مكتبة جامعة كمبردج ولذلك سميت باسمه . هذه المخطوطة تختلف عن مثيلاتها فى أنها مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية ، اليونانى على الصفحة اليسرى واللاتينى فى اليمى . مكتوبة فى عمود واحد وسطورها غير متساوية . وترتيب الأناجيل فيها يتبع الترتيب الغربى أى متى ويوحنا (الرسولان) لوقا (مرقس رقيقا الرسولين) ، وتاريخها يرجع إلى القرن ٥ أو ٦ وهذه المخطوطة تمتاز بأهـور لا توجد فى أية مخطوطة أخرى . ففيها من الإضافات والحذف ما يتعدى الكلمات إلى الجمل والحوادث أيضاً . فمثلا يظهر عدد ٥ بعد عدد ١٠ فى إنجيل لوقا ٦ وبين العددين ٤ و ٦ من نفس الأصحاح تظهر حادثة جديدة لا توجد فى أى مكان آخر وهى « وفى ذلك اليوم رأى يسوع إنساناً يعمل فى يوم السبت فقال له « يا إنسان إن كنت تعرف ما أنت صانع فطوبى لك ، ولكن إن كنت لا تعلم فأنت ملعون وكاسر للناموس » وهناك مثل آخر . فى القصة « العشاء الربانى » كما وردت فى إنجيل لوقا يحذف الكاتب الجزء الأخير من عدد ١٩ وعدد ٢٠ وبذلك يزيل كل ذكر للكأس الثانى (لو ٢٢ : ١٥-٢٠) . وفى اللو ٢٣ : ٥٣ يذكر أن يوسف

الرامي بعد أن دفن جسد يسوع » وضع أمام القبر حجراً ضخماً لا يستطيع عشرون رجلاً أن يزحزحوه . أما أشهر مثل على الإضافة فهو ما جاء بعد متى ٢٠ : ٢٨ إذ يقول « ولكن اطلبوا أن تردادوا من كل ما هو صغير وأن تنقصوا من كل ما هو عظيم . إذ دخلتم بيتاً ودعيتم للغداء فلا تجلسوا في الأماكن الأولى لئلا يدخل من هو أعظم منك بعد ذلك ، فيأتي من دعاك ويقول لك اذهب اجلس في مكان أقل فتخجل ، ولكن إذا جلست في مكان أقل وجاء من هو أقل منك فيأتي من دعاك ويقول لك اذهب إلى مكان أرفع وذلك يكون حسناً لك » ولكن في هذه الإضافة تتفق معها بعض المخطوطات والترجمات الأخرى . وقس على ذلك من الإضافات التي وجدت في أعمال الرسل حتى أن حجم السفر يساوي $\frac{1}{4}$ من السفر المعروف . هذه الزيادات توضح نوعية النص الغربي الذي تمثله هذه المخطوطة أوضح تمثيل .

٦ - كلارومنتانوس Db Claromontanus أو D2 (06) :

وتحتوي هذه المخطوطة على كل رسائل بولس ومن ضمنها الرسالة للبرانيين ، وهي مثل البيزية مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية ، عمل بها مصححون كثيرون ، نصها غربي مع أنه لا يوجد بها الإضافات الكثيرة كما هو الحال في البيزية ويرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادي .

٧ - الوشنطنية W. Washington (032) :

وهي موجودة الآن في متحف فرير في مدينة واشنطن ، يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الرابع أو الخامس . وهي تحتوي على الأناجيل فقط ، ولكن في الترتيب الغربي متى ، ويوحنا ، لوقا ، مرقس . أما نصها فهو يختلف

في أجزاء كثيرة منها كأنما نقلت من مجموعة مخطوطات مختلفة ففيها النص البيزنطي والغربي والقيصري والإسكندري .

وفي هذه المخطوطة إضافة تميزها عن باقي المخطوطات مع أن جيروم يظن أنه رأى هذه الإضافة في مخطوطات يونانية أخرى ، هذه الإضافة موجودة في مرقس ١٦ : ١٤ فبعد أن وبخ المسيح تلاميذه لعدم إيمانهم تضيف المخطوطة « فبدأوا يبرثون أنفسهم قائلين إن دهر العصيان وعدم الإيمان هذا هو تحت سلطان الشيطان الذي لا يسمح لحق الله وقوته . أن يتغلب على أمور الأرواح النجسة لذلك اكشف عن برك الآن حينئذ التفتوا إلى المسيح فقال لهم زمن الشيطان قد كمل ولكن أموراً مرعبة تقترب الآن ومن أخطأ أسلم للموت حتى يرجعوا للحق ولا يخطئون مرة أخرى ويرثون مجد البر الروحي الغير الزائل الموجود في السماء » .

هذه هي أهم المخطوطات اليونانية المكتوبة بالخط الكبير المنفصل . وهناك مخطوطات أخرى من نفس النوع ولكنها أقل أهمية من هذه التي ذكرت سابقاً .

(ج) المخطوطات المكتوبة بالخط الغير متصل

بدأت كتابة الأسفار المقدسة بالخط الصغير المتصل من أواخر القرن الثامن . ولقد كان الناس يستخدمون هذه الطريقة في الكتابة قبل ذلك الوقت بمدة طويلة ، ولكنهم لم يستخدموها في كتابة الأسفار المقدسة . ولكن لما زاد الطلب على اقتناء الكتاب المقدس وخاصة منذ أوائل القرن العاشر ، بدأ الكتاب يغيرون طريقة كتابتها من الخط الكبير المنفصل إلى الخط الصغير الجارى . فساعدتهم ذلك على سرعة الكتابة وتصغير المساحة ، فصغر حجم

الكتاب المقدس ، مما رخص ثمنه وخفف حملة وجعل الكثيرين يقبلون على اقتنائه .

وهذه المخطوطات تقل في أهميتها عن المخطوطات المكتوبة بالخط الكبير المنفصل ، لأنها متأخرة عنها في الزمن . ولكن مع ذلك فهناك بعض المخطوطات منها لا تقل أهميتها عن أعظم مخطوطة قديمة ، فليس بالضرورة أن يكون نص المخطوطة المتأخرة زمنياً متأخراً هو أيضاً . فقد تنقل هذه المخطوطة المتأخرة عن مخطوطة قديمة جداً ذات نص رفيع القيمة كالنص الإسكندري ، ولهذا لا يمكن الحكم على كل هذه المخطوطات بقلة قيمتها النقدية عن المخطوطات الأخرى .

وعندما بحث العلماء في هذه المخطوطات وجدوا أن هناك تشابهاً كبيراً يكاد يكون تاماً بين بعض مفرداتها ، ولهذا فقد ضموا المخطوطات المتشابهة بعضها إلى بعض في التنسيق وأطلقوا عليها لقب الأسرة .

ويستحسن هنا أن نذكر كلمة عن بعض أسرات هذه المجموعة وبعض مفرداتها .

١ - الأسرة الأولى :

وهي تتكون من المخطوطات رقم ١ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ٢٠٩ ويرجع تاريخ كتابتها كلها إلى الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر - يشابه نصها النص القيصري الذي ظهر في قيصرية في القرن الثالث والرابع .

٢ - الأسرة الثالثة عشرة :

وهي تتكون من المخطوطات ١٣ ، ٦٩ ، ١٢٤ ، ٣٤٦ ثم أضيف عليها حديثاً المخطوطات : ٢٣٠ ، ٥٤٣ ، ٧٨٨ ، ٨٢٦ ، ٨٢٨ ، ٩٨٣ ،

١٦٨٩ ، ١٧٠٩ ويرجع تاريخ كتابتها إلى المدة ما بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر . ونصها هو النص القيصرى . وأهم ما يميز هذه المجموعة هو أنها تذكر حادثة المرأة التى أمسكت فى الزنا (يو ٧ : ٥٣ - ٨ : ١١) لافى إنجيل يوحنا بل فى إنجيل لوقا ٢١ وبعد العدد ٣٨ .

٣- الأسرة ١٤٢٤ :

وهى أسرة أطلق عليها ١٤٢٤ نظراً لأن أهم مخطوطة فيه هى ١٤٢٤ وهذه المخطوطة تحتوى على كل العهد الجديد ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع أو العاشر ، كتبها واحد من الرهبان مع إضافة بعض التفسير لها على الهوامش ، وقد رتبها بالترتيب الآتى :

الإنجيل ، الأعمال والرسائل الجامعة ، الرؤيا ، رسائل بولس ونصها هو النص القيصرى . ويشترك فى هذه الأسرة مع هذه المخطوطات ، المخطوطات الآتية التى تحتوى على أجزاء مختلفة والعهد الجديد : ٧ ، ٢٧ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١٦٠ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢٦٧ ، ٣٤٩ ، ٥١٧ ، ٦٥٩ ، ٦٩٢ ، ٨٢٦ ، ٩٤٥ ، ٩٥٤ ، ٩٩٠ ، ١٠١٠ ، ١٠٨٢ ، ١١٨٨ ، ١٩٩٤ ، ١٢٠٧ ، ١٢٢٣ ، ١٢٩٣ ، ١٣٩١ ، ١٤٠٢ ، ١٦٠٦ ، ١٦٧٥ ، ٢١٩١ .

٤- المخطوطة ٣٣ :

وهى تحتوى على كل العهد الجديد ما عدا سفر الرؤيا يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع ، وقد أطلق عليها لقب « ملكة المخطوطات ذات الأحرف الصغيرة المتصلة » ونصها اسكندرى رفيع فيما عدا سفر الأعمال ورسائل بولس فإنها تظهر بعض التشابه القليل النص البيزنطى . توجد فى المتحف الوطنى بباريس .

٥ - المخطوطة : ٦١ :

وهي تحتوي على كل العهد الجديد . ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، وأهميتها ترجع إلى أنها أول مخطوطة اكتشفت تحوى الشهود السماويين الثلاثة (١ يوحنا ٥ : ٧ و ٨) . وهذه المخطوطة جميلة ونظيفة فيما عدا الصفحة التي فيها الشاهد السابق من كثرة الاستعمال . توجد في مكتبة كلية اللاهوت بدبلن - إنجلترا .

٦ - المخطوطة ٨١ :

تحتوى على سفر الأعمال ويرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ١٠٤٤ . وشهرتها في نصها إذ تعادل أعظم المخطوطات القديمة ، وتتفق في كثير من الحالات مع النص الإسكندري . توجد في المتحف البريطاني .

٧ - المخطوطة ١٥٧ :

إنها تشمل كل الأناجيل . ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثاني عشر . قيل إن نصها يشبه نص المخطوطة ٣٣ ، ويقول سترير إن نصها يشابه النص القيصري وتوجد الآن في مكتبة الفاتيكان .

٨ - المخطوطة ٥٦٥ :

تعد من أجمل المخطوطات الباقية للآن . وهي تشمل كل الأناجيل ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن التاسع أو العاشر . مكتوبة بالخط الذهبي على جلد أرجواني . ونصها قيصري . وتشابه المخطوطة ذات الحرف الكبير المنفصل (٠٥) بيزا خاصة في إنجيل مرقس . وهي موجودة الآن في ليننجراد .

٩ - المخطوطة رقم ١٥٨٢ :

يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن العاشر . ويقول عنها ستربر أنها تساوى في قيمتها المخطوطة السينائية (01) . يضع الكاتب قصة المرأة الزانية في آخر إنجيل يوحنا وليس في يوحنا ٧ : ٥٣ - ٨ : ١١ ، ويعلن أن كثيرين من الآباء أمثال كريستم وكيرلس الإسكندري لم يعلقوا عليها . ثم يضع نهاية إنجيل مرقس (مرقس ١٦ : ٩ - ٢٠) في شكل ملحق فقط ويضيف بأن إيريناوس يقتبس عدد ١٩ كأنه موجود في إنجيل مرقس .

١٠ - المخطوطة ٢٠٥٣ :

وهي تحتوي على الرؤيا مع تفسير أويكومنيوس عليه ، يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث عشر وهي مع المخطوطة الإسكندرية والأفرامية ومخطوطة ٢٣٤٤ تعطى أنى نص لسفر الرؤيا . يفوق كل النصوص الأخرى حتى نص المخطوطة السينائية (01) .

هذه هي أهم الأسر والمخطوطات المكتوبة بالحط الصغير المتصل التي تشهد لنص العهد الجديد .

٢ - اقتباسات الآباء والقراءات

١ - القراءات الكنيسة Lectionaries

اقتبس المسيحيون الأوائل طريقة العبادة عن الجمع اليهودى وخاصة القراءات الكتابية . ولقد كان اليهود يقرأون أجزاء من موسى والأنبياء والمزامير مرتبة ترتيباً خاصاً في كل يوم سبت . وهكذا فعلت الكنيسة الأولى إذ قسمت السنة على حسب الفصول والمواسم ابتداء من عيد القيامة ، ثم رتبت القراءات بحسب تلك المناسبات ، وكانت القراءات من الأناجيل وسفر الأعمال ثم الرسائل البولسية والرسائل الجامعة وأخيراً من سفر الرؤيا . ولقد أطلق

على هذه القراءات التي جمعت معاً في مخطوطة واحدة اسم السنكسار *Synaxaria*

ولكن هذه القراءات الكنسية لم يلق أحد ، بالا إليها نظراً لعدم دقتها في إيراد المناسبة التي قيلت فيها القراءات . فقد تفتتح القراءة بالقول « أجدي المناسبات » أو « قال الرب » وقد يعدل واضعوها في بعض النصوص الكتابية حتى تلائم المناسبة التي تقرأ فيها .

ولكن النظرة الحديثة إليها اختلفت عن سابقتها ، وبدأ العلماء ينتهون إلى هذه القراءات الكنسية كمصدر عظيم من مصادر النص الكتابي للعهد الجديد ، ولقد اعتقد كولول ، *Prologomona Riddle Colwoll* ، أنها نصوص محافظة لا يتجزأ الكتاب على تغيير الكلمات أو النصوص . وعندما اقتبسها مقتبسوها فإنهم فعلوا ذلك من أقدم النسخ ، فالنص فيها يرجع إلى مصادر قديمة جداً .

٢ - اقتباسات الآباء

هذا هو المصدر الثالث الرئيسي لتحقيق النص الكتابي للعهد الجديد . واقتباسات الآباء حقل متسع للدرس ، إلا أن هذا الكتاب لا يستطيع أن يخوض في هذه الدراسة المتسعة .

وأهم الآباء الذين اقتبسوا من العهد الجديد هم :

الآباء اليونانيون :

مارسيون (١٦٥ م) ، يوستينوس الشهيد (١٠٠ - ١٩٥ م) تاتيان (ولد ١٢٠ م) وهو صاحب أول « اتفاق البشرين » واسمه الديانسترون

وهي كلمة يونانية مركبة معناها «خلال الأربعة» أي الأربعة أناجيل ، وقد مزج الأناجيل الأربعة فجعلها إنجيلا واحداً . وأكليمندس الإسكندري (١٥٥-٢١٥ م) وأوريجانوس الإسكندري (١٨٥ - ٢٣٥ م) واثناسيوس الإسكندري (٢٩٣ - ٢٧٣ م) وباسيليوس قيصرية (٣٢٩ - ٣٧٩ م) وغيرهم .

الآباء اللاتين :

ومنهم ترتوليانوس القرطاجي (حوالي ١٥٠ - ٢٢٢ م) كبريانوس القرطاجي (حوالي ٢٠٠ - ٢٥٨ م) وإيرينييموس الرومي - الفلسطيني (٣٤٠ - ٤٢٠ م) وأغسطينوس من هيبو (٣٥٤ - ٤٣٠ م) وغيرهم .

الآباء السريان :

ولم يكن منهم الكثير ممن اشتهروا من الآباء ، ومن رجالاتهم أفرائيم ريس دير وكتب عدة مواعظ (٣٣٦ - ٣٤٥ م) وأفرايم سيروس (توفي ٣٣٣ م) .

ولتقييم دور اقتباسات الآباء في تحقيق نص العهد الجديد يحسن أن نذكر أوجه القوة ثم النقص الذي فيها .

نواحي القوة :

١ - إنها تساعد على معرفة الأمكنة التي نشأت فيها النصوص المختلفة . إن المخطوطات اليونانية مع أهميتها الكبرى في تحقيق النص إلا إن العلماء لا يستطيعون الجزم أين ومتى كتبت ، ولكن الآباء الذين اقتبسوا منها نعرف أين ولدوا وعاشوا وماتوا . ولهذا فعندما يعرف العلماء النص الذي استخدموه في كتاباتهم يمكنهم تحديد مكان ذلك النص ، مثلا : عندما كتب كبريانوس

القرطاجنى سنة ٢٥٠ خطاباتہ كانت اقتباساتہ تمثل نصاً يتفق مع نص المخطوطة اللاتينية « K » التي كتبت في القرن الرابع أو الخامس الميلادى ، وهذا جعل العلماء يعتقدون أن هذه الترجمة هي سليله ترجمة أخرى سبقتها . وفي مرات أخرى يقتبس أحد الكتاب جزء من أحد الأسفار في قراءتين مختلفتين تمثلان نصين مختلفين مما يساعد العلماء على معرفة مكان وعمر النصوص المختلفة .

٢ - من الاقتباسات المختلفة يستطيع العلماء تقرير ما إذا كان بعض الآباء قد استخدموا الأجزاء المختلف عليها في وقتهم مثل خاتمة إنجيل مرقس (مرقس ١٦ : ٩ - ٢٠) وقصة المرأة الزانية (يوحنا ٧ : ٥٣ - ٨ : ١١) . وبهذه الطريقة يمكن معرفة الوقت الذي بدأ في ذكر هذه الأجزاء والمكان الذي ظهرت فيه .

نواحي النقص :

١ - كثيراً ما كان الآباء يذكرون الأجزاء التي يقتبسونها من ذكركرهم مباشرة دون الرجوع إلى المخطوطة إما لأنهم كانوا لا يملكونها أو لأن استخراج النص كان من ضمن الأعمال الشاقة . وكانوا أحياناً يقتبسون نفس العدد بطرق مختلفة في كتابهم .

٢ - والأمر الثاني هو أن المخطوطات الأصلية التي خرجت من يد الكتاب أنفسهم ليست موجودة ولا يمكن التأكد الكامل من أن الأجزاء التي اقتبسوها من الكتاب المقدس لم يجر عليها أى تصحيح أو تغيير خلال الأجيال التي كانت تنسخ منها باليد . ومع ذلك فإن الدور الذي يلعبه هذا المصدر الثالث لتحقيق النص الكتابي ليس دوراً ثانوياً بل له الأهمية الكبرى . إن الكمية التي اقتبسها الآباء كمية ضخمة حتى قيل إنه لو ضاعت كل مصادر العهد الجديد الأخرى لأمكن استرجاع كل العهد الجديد من هذه الاقتباسات .

يوجد من هذه القراءات حوالى ١٦٠٠ قراءة مكتوبة بالخط الكبير المنفصل ولكن مع أهميتها وكثرتها هذه فإن الدراسات فيها لم تأخذ النصيب المفروض أن يكون لها .

٢ - الترجمات الأساسية للعهد الجديد

المصدر الثالث المهم لنص العهد الجديد بعد المخطوطات اليونانية هو الترجمات التي ظهرت في القرون المسيحية الأولى ، ولعل أهمية هذه الترجمات ترجع أولا وقبل كل شئ إلى قدها ، فقد ظهرت الترجمتان السريانية واللاتينية للعهد الجديد حوالى سنة ١٥٠ م أى قبل ظهور النسخة الفاتيكانية بحوالى ٢٠٠ سنة أما الترجمة القبطية فقد ظهرت حوالى سنة ٢٠٠ م أى قبل كتابة هذه النسخة المشار إليها بحوالى ١٥٠ سنة كاملة .

ومع ذلك فلا يمكن أن تصل شهادة هذه الترجمات مهما كانت قيمتها وقدمها الزمنى إلى مستوى شهادة المخطوطات اليونانية ، فهناك مجموعة من النقصات التي شابها ، أهمها عجز المترجمين في التعمق في فهم المعنى اليونانى وعدم تمكنهم الكامل من القواعد اللغوية اليونانية (Mozger, T.N.T. pp. 67-60) ثم عجز اللغات نفسها التي ترجم إليها العهد الجديد عن التعبير الكامل عن المعنى الموجود في اليونانى ، وذلك لاختلاف تراكيب اللغات بعضها عن البعض . ثم كثرة المترجمين وعدم اتفاقهم في تفسير وفهم بعض التعبيرات اليونانية . كل هذه وغيرها جعلت هذا المصدر في الدرجة الثانية بعد المخطوطات اليونانية الموثوق بها .

ولعل أهم الترجمات القديمة الموثوق بها هي الترجمات : السريانية ، اللاتينية ثم القبطية .

(أ) الترجمة السريانية :

دخلت الديانة المسيحية أنطاكية مبكراً جداً (أعمال ١١ : ٩) وكانت أنطاكية إحدى عواصم العالم الروماني الكبرى ، تراجم في ذلك الإسكندرية وأفسس . ومن هذه المدينة الكبيرة خرج الإنجيل إلى سوريا وما بين النهرين وغيرها حيث كانت السريانية هي اللغة السائدة .

ولهذا اضطر المبشرون والمعلمون إلى ترجمة الإنجيل إليها وظهرت منها خمس ترجمات هي :

١ - الترجمة السريانية القديمة :

لم يعرف العالم شيئاً عن هذه الترجمة سوى سنة ١٨٤٢ م حينما اكتشف العلماء مجموعة من الوثائق والمخطوطات في مصر ، وبعد الفحص الدقيق وجد بينها ترجمة سريانية قديمة جداً للعهد الجديد . ويتضمن هذه الترجمة السريانية مخطوطتان :

الأولى : وهي التي تسمى Syr C. ووضع الحرف C نسبة إلى W. Cureton الذي نشرها في سنة ١٨٥٨ وهي مكتوبة بخط جميل .

الثانية : واسمها Syr S. والحرف s نسبة إلى سيناء Sinai حيث وجدت في سيدتان سنة ١٨٩٢ . هاتان المخطوطتان السوريتان تحتويان على الأناجيل الأربعة فقط ، ويعود تاريخ كتابتهما إلى القرن الرابع والخامس ، ولكنهما تمثلان نصاً مبكراً يرجع إلى أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث مع أن Syr S. أقدم قليلاً من Syr C. وعلى العموم فهما تمثلان النص الغربي .

ولكن الترجمة السريانية القديمة لوسائل بولس والأعمال فلم توجد لأن

في مخطوطات ومع ذلك فقد تمكن العلماء من معرفتها من الاقتباسات الكثيرة منها التي ملأت كتب الآباء .

٢ - الترجمة السريانية البشيتا Peshitta, Version :

وتتميز بالشعار **Syr P** . اعتبرت الترجمة الرسمية للكنيسة السريانية سواء الشرقية أو الغربية ، وتحتوى على اثنين وعشرين كتاباً فقط من العهد الجديد لأن ٢ بطرس ، ٢ و ٣ يوحنا ، يهوذا والرويا لم تترجم ، ويظن كثير من العلماء أنها ترجمت لكي تصحح الترجمات السريانية القديمة ولكنها هي بدورها نقحت على يدى ربولا أسقف إدسا Edessa . يوجد من هذه الترجمة حوالى ٣٥٠ ، مخطوطة معظمها يرجع إلى القرنين الخامس والسادس الميلادى . ويعتبر نصها من أعقد نصوص الترجمات . ففي الأناجيل تتشابه مع النص البيزنطى ، أما في سفر الأعمال فهو أقرب إلى النص الغربى .

٣ - الترجمة الفيلوكسينية والمهرقلية :

Syr ph, Syr h Philoxinian Harclean

اختلف العلماء كثيراً على الصلة بين هاتين النسختين ، هل هما نسخة واحدة وكل ما فى الأور أن النسخة الثانية المهرقلية تنقيح لطيف للأولى ؟ أم أنها ليست تنقيحاً بسيطاً ولكنها إعادة ترجمة بطريقة جعلتها تختلف تماماً عنها . فتعتبران نسختين مستقلتين ؟ قيل إن النسخة الأولى - الفيلوكسينية - عملها بوليكاربوس سنة ٥٠٨ م للأسقف « فيلوكسينوس » أسقف « مابوق » وهى عبارة عن تنقيح للبشيتا ، والغريب أنه لم يظهر فى هذه النسخة سوى الأسفار الغير موجودة فى البشيتا وهى ٢ بط ، ٢ و ٣ يوحنا ، يهوذا ، الرويا .
أما النسخة المهرقلية فقد كتبت وفيها إضافات على الحاشية ، وهذه

الإضافات هي الشاهد المهم للنص الغربي الذي لا يتفوق عليها في ذلك سوى المخطوطة البيزية .

٤ - الترجمة السورية الفلسطينية :

هذه الترجمة جاءت في اللغة السريانية الفلسطينية أي الأرامية . ولا توجد لها مخطوطة مستقلة بها ، بل انتقلت في ثلاثة قراءات كنسية يرجع تاريخها إلى القرن الحادى أو الثانى عشر إلى جانب بعض القصاصات التى تحوى بعض أجزاء من الأناجيل وسفر الأعمال ، ويرجع تاريخها - حسب رأى كثير من العلماء - إلى القرن الخامس حيث ترجمت من نسخة يونانية ذات نص قيصرى . وفى هذه النسخة توجد قراءة غريبة متى ٢٧ : ١٧ « يسوع باراباس »

(ب) الترجمات اللاتينية

في ابتداء انتشار المسيحية لم تكن هناك حاجة ماسة إلى الترجمة اللاتينية ، إذ كانت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة بين متعلمى القسم الشمالى من منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، لهذا لم يكن بولس ولا من تبعوه في القرن الأول والثانى في حاجة إلى الكتابة باللغة اللاتينية . بل كتبوا كتبهم ورسائلهم باللغة اليونانية . ولكن المسيحية لم تقف إلى حد الطبقات المثقفة المنحصرة في العواصم الكبرى ، بل تعدتها إلى طبقات الشعوب الفقيرة في كافة أنحاء الامبراطورية حيث كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الوحيدة المعروفة لديهم ، ولهذا دعت الضرورة إلى ترجمة الأسفار المقدسة إلى اللغة اللاتينية . وكان هذا الأمر واضحاً جداً في منطقة شمال أفريقيا حيث كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية الحكومية ولغة التخاطب اليومية . وقد اختلف العلماء فيما بينهم على تحديد زمن الترجمات اللاتينية ، ولكن معظمهم الآن يعتقد أن أول ترجمة

لاتينية ظهرت كانت في شمال أفريقيا في الربع الأخير من القرن الثاني، وكانت للأناجيل فقط ثم ظهرت بعد ذلك ترجمات أخرى في إيطاليا وغالة وغيرهما .
تنقسم الترجمات اللاتينية عموماً إلى مجموعتين : مجموعة الترجمات اللاتينية القديمة ثم الفولجاتا .

١ - الترجمات اللاتينية القديمة

ظهرت ترجمات لاتينية متعددة في القرن الثالث الميلادي في كل من شمال أفريقيا وأوروبا ، وقد كان الاختلاف بين هذه الترجمات كثيراً ومتعددًا حتى أن جيروم قال إن هناك اختلافات في الترجمات بقدر ما هناك من مخطوطات ، أي أن كل مخطوطة تختلف عن الأخرى في الترجمة . ولم يتبق كتاب واحد لاتيني يحتوي على كل أسفار الكتاب المقدس ، بل هناك عدد من المخطوطات تحتوي على أجزاء مختلفة ونص هذه كلها نص غربي . وتنقسم هذه الترجمة أو (الترجمات) القديمة إلى مجموعتين المجموعة الإفريقية والمجموعة الأوروبية .

(١) المجموعة الإفريقية :

كان ترتوليانوس يقتبس من ترجمة لاتينية إفريقية ولا بد أن كبريانوس كان يفتنى نسخة لاتينية للعهد الجديد . ولكن المخطوطات اللاتينية الإفريقية القديمة الباقية هي :

١ - المخطوطة اللاتينية بلاتينوس Palatinus ورمزها "S" وهي ترجمة عملت في القرن الخامس تحتوي الآن على بعض أجزاء من الأناجيل الأربعة ونصها إفريقي الذي حول إلى الأوروبية .

٢ - المخطوطة اللاتينية فلورى Flourey ورمزها "H" وهي مخطوطة
حيت كتابتها الأصلية وكتب عليها ثانية ، وبقى منها بعض النصف من الأعمال
والرسائل الجامعة وسفر الرؤيا ويوجد بها أخطاء كتابية كثيرة . عملت في
القرن السادس الميلادي .

٣ - المخطوطة اللاتينية بوبيانيسيس Bobbiensis ورمزها "k"
وهي أشهرها جميعاً ولا تحتوى إلا على نصف متى ومرقس . كتبت في سنة
٤٠٠ م ميلادية ونصها غربي واسكندري وهي تحتوى على نهاية إنجيل مرقس .

(ب) المجموعة الأوربية :

لم يتفق العلماء إلى الآن على رأى بخصوص صلة هذه الترجمة ، هل هي
ترجمة متفرعة من الترجمة الإفريقية أم هي ترجمة منفصلة مستقلة عنها ؟
لكن الأمر المهم أن هذه الترجمة كانت معروفة في القرن الثالث الميلادي إذ
أن إيرونيوس ، استخدمها في كتاباته .

وأهم ما في هذه المجموعة المخطوطات التالية :

١ - المخطوطة اللاتينية فرسالى Veronensis ورمزها « A » وهي تلى
المخطوطة "k" الإفريقية في الأهمية ، فهي تحوى الأناجيل فقط ، ويقال
إن القديس بوسايوس أسقف فرسالى الذى استشهد سنة ٣٧٠ م هو الذى
كتبها .

٢ - المخطوطة اللاتينية فيرونسيس Veronen ورمزها "B" وهي
مخطوطة فاخرة مكتوبة بالخط الفضى وأحياناً الذهبى وتحتوى على كل الأناجيل
تقريباً بالترتيب متى ، يوحنا ، لوقا ، مرقس . كتبت في القرن الخامس
ونصها يشابه الفولجاتا .

٣- الجانب اللاتيني من المخطوطة "D" أو بيزا ، وقد ترجمت في القرن الخامس أو السادس الميلادي ، ومع أن بعض التصحيحات قد جرت فيها نسبة لوجود النص اليوناني على الصفحة المقابلة ، إلا أن نصها لاتيني قديم قد تنفق كثيراً مع "K" الإفريقية ، "A" الأوربية وهي تمثل نص الربع الأخير من القرن الثالث .

٤- المخطوطة اللاتينية جيجاس Gigas بمعنى عملاق ورمزها Gig وهذه المخطوطة تعتبر أضخم مخطوطة في العالم وقد كتبت في القرن الثالث عشر في دير بيوهميا ولكن الجيش السويسري أحضرها إلى سويسرا ووضعت في المكتبة الملكية باستوكهولم . وهي تحتوى على كل الكتاب المقدس في اللغة اللاتينية وكتابات يوسيفوس ، ودائرة معارف عبارة عن عشرين كتاباً وكتب أخرى .

وقد يطلق عليها « مخطوطة الشيطان » . فقد قيل إن أحد الرهبان أنهاها في ليلة واحدة بمساعدة الشيطان . وترجع أهمية هذه المخطوطة إلى أن سفر الأعمال والروايات يحتويان على نص لاتيني قديم يرجع إلى منتصف القرن الرابع الميلادي .

٢ - مجموعة الفولجانا

عندما وصلت الاختلافات بين الترجمات اللاتينية حداً كبيراً ومزعجاً كلف البابا داماسوس سنة ٣٨٢ العالم الكتابي الفذ سفرونوس بوسايوس ايرينموس ، المعروف بالقديس جيروم أن يقوم بعمل تنقيح للترجمة اللاتينية للكتاب المقدس . وقد قام جيروم بعمل هذا التنقيح للأناجيل الأربعة في مدة سنة كاملة ، ويلوح أنه كان محافظاً في تنقيحه ، مع أنه كان يقيس الترجمة اللاتينية على أصل يوناني نصه اسكندري . أما بقية أسفار الكتاب المقدس

فلا يعرف بالضبط من هو المسئول عنها : هل هو جيروم أم أشخاص آخرون ، فهناك بعض الاختلافات في طريقة التنقيح بين الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد .

ولكن بمرور الوقت بدأت الاختلافات تظهر بين النسخ العديدة للفولجاتا ، وذلك يرجع إلى إهمال الكتبة ، وإلى التعمد في تغيير الترجمة لتطابق نصاً يونانياً يعرفه من يكتب النسخة . وعندما كثرت الاختلافات ولم يستطع المسئولون السكوت عنها ، حاول كثير من العلماء أن يوجد نصاً موحداً لهذه الترجمة ، ولكن المجهود لم يسفر إلا على تباعد أكثر عن الأصل اللاتيني ولهذا السبب فقد اختلفت الثمانية آلاف نسخة الباقية للفولجاتا الآن اختلافات بينة في الألفاظ وأنواع النص . وأهم هذه النسخ .

١- نسخة الفولجاتا إمامتيس A Amiatinus ويعتبرها كثير من العلماء أحسن نسخة للفولجاتا باقية للآن ، وهي تحتوى على الكتاب المقدس كله كتبت وأهديت للبابا جريجورى سنة ٧١٦ م .

٢- نسخة الفولجاتا كافنيسيس C Cavensis وهي إحدى النسخ الأسبانية كتبت في القرن التاسع وتحتوى على كل الكتاب المقدس .

٣- نسخة الفولجاتا دونسيس D Dutinensis وهي إحدى نسخ المتحف الإيرلندى وتحتوى على العهد الجديد ورسالة بولس إلى لاودوكية (أبو كريفيا) وتكشف هذه النسخة أن أحداً من المصححين قد قارنها بنسخة يونانية . وهكذا توجد نسخ أخرى كثيرة للفولجاتا ، ويلاحظ أن الحرف الرمزي لكل نسخة هو الحرف الأول من اسمها .
هذه هي الترجمات اللاتينية للعهد الجديد .

٢ - الترجمات القبطية

لم تكن الكتب المقدسة جديدة على مصر ففيها ترجمت السبعينية وخرج منها فيلو الفيلسوف مؤسس المدرسة التفسيرية الرمزية ، ثم دخلها تلاميذ يوحنا المعمدان ومنهم أبولس الإسكندري (أعمال ١٨ : ٢٤ و ٢٥) وإلى جانب ذلك كانت اللغة اليونانية لغة منتشرة في الوجه البحري يعرفها كل السكان تقريباً .

أما اللغة القبطية فهي آخر شكل للغة المصرية القديمة ، وقد كانت تكتب بالأحرف الهيروغليفية ثم الديموطيقية ، وبعد أن دخلت المسيحية مصر تغيرت الأحرف إلى الأحرف اليونانية لكن زيد عليها سبعة حروف أخذت من اللغة الديموطيقية .

كانت اللغة القبطية لهجات متشعبة وكان أهمها اللهجة البحرية ثم اللهجة الصعيدية ثم اللهجات الوسطى . وهي الفيومية ثم الأخميمية . وقد ترجمت الكتب المقدسة إلى هذه اللهجات التي كانت تختلف في النطق وبعض الألفاظ وبعض القواعد اللغوية . وأهم الترجمات هي :

١ - الترجمة الصعيدية :

ورمزها S بدى في الترجمة إلى اللهجة الصعيدية في أوائل القرن الثالث ثم ترجمت معظم كتب العهد الجديد في القرن الرابع . ويلوح أن هناك مترجمين عديدين لهذه الترجمة نسبة للاختلافات النصية المنتشرة في العهد الجديد ، فالأناجيل تميل إلى النص الإسكندري مع أن فيها بعض القراءات الغربية ، أما بقية الكتب فهي تتفق مع النص الإسكندري مثل B . وتوجد من هذه الترجمة نسخ كثيرة تحتوي على متى ومرقس ويوحنا كاملة

أما لوقا فقد فقد معظمه ، وتوجد أيضاً رسائل بولس الثلاث عشرة ورسالة
العبرانيين ورسالتا بطرس وثلاث رسائل يوحنا : وغير ذلك فهناك قصاصات
بسيطة .

٢ - الترجمة البحرية :

ورمزها B وهي متأخرة عن الترجمة الصعيدية وهي الترجمة الرسمية
للكنيسة القبطية اليوم ، ويوجد منها حوالي مائة مخطوطة . أقدم مخطوطة باقية
كاملة ترجع إلى القرن ١١٧٤م. يلوح أن هذه الترجمة قد عملت في النصف
الأول من القرن الثالث ونصها على الإجمال إسكندري به القليل جداً من
القراءات الغربية ، وهي تعتبر أفضل الترجمات المصرية .

٣ - الترجمات الوسطى :

وجدت بين المخطوطات القبطية نسخة من ورق البردي تحتوي على
يوحنا ٦ : ١١ - ١٥ : ١١ ويرجع تاريخها إلى النصف الأول من القرن
الرابع ، هذه النسخة مكتوبة باللغة الفيومية وتتفق مع النص الصعيدى أكثر
من اتفاقها مع النص البحرى .

ثم هناك الترجمة الأخيمية : وهي نسخة تحتوي على إنجيل يوحنا وهي
ترجع إلى الربع الثالث من القرن الرابع . وهي تتفق تماماً مع الترجمة
الصعيدية بنصها الإسكندري .

هذه الترجمات الثلاث : السريانية واللاتينية والقبطية هي أهم الترجمات
للعهد الجديد . ولكن هذا لا يعنى أنه لا توجد ترجمات أخرى إلى جانبها ،
هناك الترجمات الحبشية والجيروجرية والأرمينية ، ولكنها لا ترتقى في أهميتها
إلى الترجمات الثلاث السابقة التي يعتمد عليها كثيراً في معرفة النص الأصلي
للعهد الجديد .

٣ - قانونية أسفار العهد الجديد

عندما يقرأ دارس العهد الجديد عبارة لوقا البشير ١ : ١ أن هناك مؤلفات كثيرة كتبت عن حياة المسيح ، وعندما يسمع شهادة التاريخ أن هناك رسائل وأناجيل أخرى غير التي بيدنا ظهرت في القرنين الأولين للمسيحية ، يتساءل إذاً لماذا هذه الكتب المقدسة التي بين أيدينا بالذات ، لماذا لم توضع كتب أخرى معها لتحظى بالتقديس الذي تحظى به السبعة وعشرون كتاباً ؟ هل هناك قانون أو معيار خاص أفرزت بواسطته هذه الكتب عن غيرها ، ووضعت معاً لتكون الكتاب المقدس المسيحي ؟ وهل اتفقت كل الكنيسة أو الكنائس المسيحية على هذا المعيار الخاص ومتى وضعت هذه الكتب معاً ؟ وهل اختلفت نظرة الكنائس المسيحية نحو الكتب ؟

هذه الأسئلة وغيرها تكون في مجموعها دراسة في غاية الأهمية للكنيسة المسيحية ، هذه الدراسة هي دراسة قانونية أسفار العهد الجديد وتاريخها .

معنى القانونية :

الكلمة قانونية تجيء في الأصل من الكلمة اليونانية « كانون » Cannon وهي العصا المستقيم « كالمسطرة مثلاً » التي تستخدم في قياس استقامة شيء ما أو لحفظه مستقيماً وقد كان البنائون يستعملونها كثيراً . لكن الكلمة استخدمت لتعبر عن معاني أخرى هي :

١ - المعنى الأول معنى مجازي ، أي أنه القانون أو القاعدة التي تقاس عليها الأمور وأهم مثل لذلك هو القاعدة اللغوية في النحو . ولقد اعتبر الأدياء الإسكندريون علماء اليونان على أنهم قواعد ، بمعنى أن كتاباتهم هي الكتابات الكاملة الصحيحة التي تقاس عليها الكتابات الأخرى .

وبهذا المعنى المجازى انتقلت إلى الكنيسة فيذكر الرسول بولس في ٢ كورنثوس ١٠ : ١٣ و ١٥ و ١٦ قانوناً يقاس به عمله في الكورنثيون . ثم في غلاطية ٦ : ١٦ يقول « كل من يسلك بهذا القانون عليهم سلام ... » هو القانون الذي يجب على المسيحيين أن يسلكوا بموجبه . ويذكر أكليمندس الإسكندري أن التوافق بين العهدين الجديد والقديم هو القانون الكنسي الصحيح . ثم تطور الحال فأصبح القانون هو قواعد العقيدة أو السلوك الذي يحدد كل الأشخاص الذين ينتمون إلى الكنيسة ، وهذه القواعد إما أن يضعها قادة الكنيسة أو تؤخذ من الكتاب المقدس .

٢ - ثم تغير المعنى فأضحى القانون هو الشيء الذي يقاس ، وبهذا المعنى أطلق على الكتب المقدسة ، فيذكر أوريجانوس أن الأسفار هي القانون ، لأنها قبلت لدى الكنيسة ، وفي رسالته « السارة » يقول أناسيوس عن الكتب المقدسة « إنها معتبرة قانونية » . وفي مادة ٥٦ من قانون مجمع لاودكية (٣٦٣ م) ، تطلق كلمة قانون على « الأسفار المقبولة المقدسة » .

بهذه الكيفية تحولت الكلمة عن معناها الأصلي لتعني الكتب المقدسة ، فالكتاب القانوني هو الكتاب الذي اعترفت به الكنيسة ووضعت من ضمن كتبها المقدسة التي لها السلطان المطلق في العقائد والسلوك .

تاريخ القانونية :

لكن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد ، ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة ، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة ، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار ، واستمرت في ذلك حقبة طويلة . ولهذا فيلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد الجديد .

١٤٥

(م.١٠ - المدخل إلى العهد الجديد)

الكنيسة الأولى : يوم الخميس - ١٠٠ م

من المعلوم جيداً أنه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تسمى « العهد الجديد » ، ولكن الكنيسة لم تمكث بدون مصادر إلهية تستند عليها في كل شيء من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات ، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر :

أولاً : العهد القديم :

سبق أن عرفنا أن الكنيسة اتخذت من العهد القديم مصدراً للتعبير عن خبرتها وشهادتها ، ولقد اتخذته أيضاً مصدراً للسلطة في أمر السلوك والعقائد مقتضية في ذلك أثر سيدها الذي كان يكن له كل تقديس وإجلال . ولكن يسوع كان يعرف عمق دعوته وأن له سلطاناً يستطيع به أن يميز في العهد القديم بين كلمة الله الحقيقية الحية الباقية وبين الإجراءات المؤقتة الغير باقية : في مسألة الطلاق مثلاً (مرقس ١٠ : ٦ - ١٢) أنظر كذلك سلطانه في موعظته على الجبل عندما يقول « سمعتم أنه قيل للقديس . . أما أنا فأقول لكم » (متى : ٥ : ٢١ و ٢٧ . . إلخ) .

أما الكنيسة الأولى فقد اتخذته أيضاً كتابها المقدس وكانت تبرهن منه صدق رسالة المسيح ، كما يظهر في الأناجيل والرسائل . . وكل الكتابات التي ظهرت ، ومع ذلك فقد تأكدت أيضاً أن العهد القديم لا يمكن أن يفسر ولا أن يكون له معنى إلا في نور المسيح نفسه . فهو الذي أعطاه معناه وهو الذي تم ما فيه ، فالمسيح هو إتمام العهد القديم . فالسلطة الأساسية إذن ليست في الكتاب بل في المسيح فهو السيد الحقيقي الذي قام من الأموات وصعد إلى السموات . ولهذا صارت لأعمال السيد ولحياته وأقواله السلطة الكاملة التامة ، (١ كو ٧ : ١٠ ، ٩ : ١٤ - أعمال ٢٠ : ٣٥) . ولهذا

السبب بدأوا يدونون كلمات يسوع وأعماله في زمن مبكر لوقا (١ : ١ - ٤)
في عبادتهم الكنسية .

وبعد سلطان كلمات السيد وأعماله يجيء سلطان الرسل الذين دعاهم فقد
أعطاهم موهبة الروح القدس للمناداة بالإنجيل وبناء الكنيسة (لو ٢٤ : ٤٩ ،
أعمال ١ : ٤ - ٨) ومع أن بولس لم يدع أنه كان مع يسوع أو أنه عرفه
حسب الجسد ، إلا أنه يصرح بأنه قد أخذ الإعلان منه مباشرة (غلاطية
١ : ١٥ و ١٦ ، رومية ١١ : ٢٥ ، أفسس ٣ : ١٤) . ولقد تركزت
كتاباتهم في مواجهة مواقف واجهت الكنائس الأولى إلا أنهم كانوا يطبقون
أقوال السيد وحياته على تلك المواقف . ولهذا كان لأقوالهم ولرسائلهم سلطان
كبير في الكنيسة الأولى .

وبهذا كان للكنيسة الأولى ثلاثة مصادر للسلطان والإعلان هي العهد
القديم ، المسيح ، الرسل . ومع ذلك فقد كان السلطان الأعظم هو المسيح
وبمعنى أوضح فقد كان للعهد القديم وتعليم الرسل سلطانها نسبة لأن صلتهما
به كانت وثيقة . وكان هذا الموقف نقطة البداية للوجود كتب قانونية أخرى
إلى جانب كتب العهد القديم مثل الوثائق التي كانت تحمل كلمات المسيح
وكتابات الرسل ، حتى أنه في منتصف القرن الثاني اعتبرت رسائل الرسول
بولس مساوية تماماً في قداسها وسلطانها لكتب العهد القديم (رسالة
اكليمندس ١٤ : ٢) .

لكن العامل الحاسم الذي دفع الكنيسة نحو هذا الاتجاه هو عقيدتها الراسخة
أن حقبة جديدة من عمل الروح القدس قد بدأت ، وروح الرب الذي أوحى
إلى الأنبياء هو الذي يفعل ذلك الآن . لقد تمت نبوة يوثيل وسكب الله روحه
على الكنيسة . روح النبوة (أعمال ٢ : ١٦ - ١٩) وهكذا يذكر الرسول

بولس أنه وجميع الرسل قد صاروا اخدام عهد جديد ، لا الحرف بل الروح
(٢ كورنثوس ٣ : ٦) وعندها حل الروح فإنه وزع المواهب والوزنات
لبناء الكنيسة ولعمل الخدمة (١ كورنثوس ١٢ : ٤ - ١١) .

هذه الجماعة التي يقودها الروح القدس لا بد وأن يكون كلامها وكتاباتها
مقدسين .

ثانياً - ١٠٠ - ١٧٠ م ظهور الكتب القانونية في العهد الجديد :

كانت أول مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل
بولس الرسول . فهي أول ما جمع من كل كتب العهد الجديد . ولقد كتب
الرسول رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصة ومواقف محددة ، وكان
عليه أن يكتب ليواجه تلك المواقف ولقد نجح في معالجتها ويقول جود سيد
Good Speed إن هذه الرسائل ، بعد أن عاجلت المواقف التي كتب لأجلها
فقدت أهميتها للجيل اللاحق . ويستنتج هذا الرأي من أن الأناجيل الثلاثة الأول :
متى ومرقس ولوقا ثم سفر الأعمال نفسه لم تشر من قريب أو بعيد إلى هذه
الرسائل مع أن سفر الأعمال تكلم كثيراً عن خدمة الرسول ، وكان كاتبه
واحداً من رفقاء سفره الأوفياء . ولكن سرعان ما ظهرت مجموعة منها عرفت
في كثير من أنحاء الامبراطورية الرومانية . وهناك شواهد على ذلك :

١ - يستشهد الفرد واينكهوزر A. Wikenhauser العالم الكاثوليكي
بما جاء في ٢ بطرس ٣ : ١٥ على أن كاتب هذه الرسالة كان يعرف
رسائل بولس . ومع أن الكاتب يفصح عن عدد هذه الرسائل إلا أنه بدون
شك لا يعرف كل ما نعرفه الآن من كتب .

٢ - وقد اقتبس أغناطيوس الانطاكي الذي استشهد فيها بين ١٠٧-١١٧ م في رسالته إلى أفسس ١٢ : ٢٠ من رسائل رومية ، كورنثوس الأولى ، أفسس ، غلاطية وربما كان يعرف كولوس ، تيموثاوس الأولى ، تسالونيكي الأولى .

٣ - وقبل استشهاد أغناطيوس كتب بوليكاربوس رسالة إلى كنيسة فيلبي يذكرهم فيها بأن بولس كتب لهم رسائل من قبل ، ولعله كان يقصد - إلى جانب رسالة بولس الخاصة لهم - رسالة تسالونيكي الثانية .

٤ - وقبل ذلك أشار أكليمندس في رسالته إلى كورنثوس سنة ٩٥ إلى معرفته بعدد من رسائل بولس . وغالباً ما عرف هذا الرجل رسائل رومية ١ و ٢ كورنثوس وغلاطية ، فيلبي ، كولوس ، ١ و ٢ تسالونيكي وفليمون .

ويعتقد جود سبيد أن جامع رسائل بولس هو أنسيموس العبد الذي صار أسقفاً لكنيسة أنطاكية ، وكتب لها مقدمة عامة هي عبارة عن رسالة أفسس التي نعرفها الآن ، فرسالة أفسس - في رأيه ، ليست من كتابات بولس الرسول بل من كتابة شخص غيره . ويظن جود سبيد أيضاً أن أول دليل على هذا الرأي يوجد في سفر الرؤيا ، فقد قلد يوحنا بولس في كتاباته ، ومع أنه كان يكتب كتاباً رؤوياً إلا أنه كتب له مقدمة طويلة هي عبارة عن رسائل إلى السبع الكنائس ، كل كنيسة لها رسالة محددة لظروف محددة ، ولكنه بدأ هذه الرسائل السبع برسالة عامة إلى كل الكنائس كما هو الحال في رسائل بولس ، وبعد ذلك كتب كتابه الرؤي الكبير . هذه وغيرها سوف تدرس في دراسة الأسفار كلا على حدة ليظهر مدى صحتها ومطابقتها للواقع .

أما المجموعة الثانية فهي مجموعة الأناجيل الأربعة . وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات الرسول بولس . ومع أن

تاريخ اعتبارها كتباً قانونية مقدسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم ،
لا يزال مجهولاً ، لكن الاقتباسات العديدة التي وجدت في كتابات آباء
الكنيسة الرسولين وشهاداتهم تلتقى بعض الضوء على هذه الحقيقة الجوهرية
في العصر المسيحي . ويلاحظ الدارس الأمور الآتية :

١ - أن الرسول بولس لم يشر في كتاباته إلى أى من الأناجيل المكتوبة ،
ولا إلى أى كتاب عن حياة المسيح أو أقواله ، ولكنه عندما كان يذكر
ذلك يذكره على أنه تقليد شفوي أخذه من الذين كانوا مع المسيح ، وتحقق
من ذلك بالنبوات الواردة في العهد القديم (١ كورنثوس ١١ : ٢٣ ، ١٥ : ٣)

٢ - لكن يلوح أن انجيل مرقس كان قد ظهر وتداولته المجتمعات
المسيحية في زمن مبكر ، والدليل على ذلك هو أن متى ولوفا قد عرفاه معرفة
تامة ، واستخدماه في كتابة كتابيهما ، وكان متى أكثر الاثنين استخداماً له .

٣ - ويستدل من البردية P 52 أن إنجيل يوحنا كان متداولاً في
مصر في الربع الثاني من القرن الثاني ، وهذا يدل على أنه كتب قبل ذلك
بوقت كاف حتى أنه وصل إلى مصر من مقره الأصلي الذي يغلب ما يكون
أفسس .

٤ - وفي سنة ١٩٣٥ نشرت . س اسكيت T.C. Skeat ، هـ . ج بل
H.J. Bell نتفاً من إنجيل أبو كريني مجهول المؤلف لكنه كتب حوالى
١٥٠ م في مصر . ويستدل العلماء منه أن كاتبه كان يعرف الأناجيل الأربعة
المعروفة لنا الآن أى متى ومرقس ولوفا ويوحنا ، ويلوح أنها كانت معاً .

٥ - ويؤخذ من كتابات بايياس أسقف هيرابوليس (مات سنة ١٣٠ م)
أنه عرف إنجيل متى ومرقس ويوحنا وهو أول شخص يذكر تاريخ كتابة

هذه الأناجيل : ولكنه مع ذلك لم يكن يفضل هذه المستندات المكتوبة على التقليد الشفوي فكتب يقول « إذا تقابلت مع تلميذ أو شيخ سأله عما كان يقوله الشيخ : ماذا قال بطرس واندراوس ، أو ما الذى قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو أى تلميذ آخر من تلاميذ الرب ، أو ما هى الأشياء التى سمعها من سمعان أو يوحنا الشيخ تلميذا الرب ، لأننى لا أعتقد أن ما أقرأه فى الكتب يفيدنى مثلاً تفيدنى الشهادة الحية التى تخرج من فم الأحياء » .

٦ - لكن رسالة أكليمندس الثانية التى كتبت حوالى ١٥٠ م تقتبس من الأناجيل على أنها كتباً مقدسة . فبعد أن يقتبس الكاتب من إشعياء يتقدم ويقتبس من متى ويقول « وكتاب مقدس آخر يقول : ما جئت لأدعو أرباباً بل خطاة إلى التوبة » (٢ أكليمندس ٤ مع متى ٩ : ١٣) . وبهذا يعامل هذا الكاتب الأناجيل على قدم المساواة مع العهد القديم ، قابل (رسالة برنابا ٤ : ١٤ ، ٢ أكليمندس ١٤ : ١) .

٧ - أما جاستين الشهيد الذى كان سامرياً يونانياً وتحول إلى المسيحية ودرس فى روما واستشهد حوالى ١٦٥ م فيؤخذ من كتاباته أنه قد عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معاً ، مع أنه لم يكشف النقاب عن من جمعها ولا فى أى مكان جمعت . وهو يصفها عندما يذكرها فى دفاعه ضد الوثنيين بأنها « الذكريات » ولكنه عندما كان يكتب للمسيحيين كان يقول عن الرسل « هم أولئك الذين كتبوا ذكرياتهم عن كل الأشياء التى تختص بيسوع المسيح المخلص ثم يقول مرة أخرى « الذكريات التى عملها الرسل التى تسمى الأناجيل » .

وهو بذلك يظهر أن هذه الكتب أى الأناجيل تعامل فقط على أنها المصدر الوحيد لمعرفة حياة المسيح وأعماله ، ولكنها اعتبرت كتباً مقدسة تقرأ فى الكنائس والعبادات تماماً كما كانوا يفعلون بالعهد القديم .

٨ - أما الشاهد الأخير فهو « الديايطرن » الذى كتبه تاتيان ، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معاً فى إنجيل واحد . وقد أضاف تاتيان هذا ، بضعة كلمات للمسيح لا توجد فى هذه الأناجيل ، ولكنها أخذت من كتب أبو كريفية أخرى . وهو بذلك يشهد أن الأربعة الأناجيل وجدت معاً . ولكن إضافاته مجرد اقتباسات لا تدل على أنه كان يعتبر أن هناك كتباً أخرى تضارعها فى سلطاتها وقداستها .

* * *

وفى هذه الحقيقة لا يمكن أن ينسى المرء مارسيون وشهادته للكتب المقدسة . وقد اختلف المؤرخون عن أصل مارسيون هذا Marcion ، فقيل عنه إنه كان صانع مراكب فى بنطس ، وقيل إن أباه كان أسقفاً ولكنه حرم ابنه مارسيون هذا من الكنيسة لأنه سقط فى ذلة أخلاقية . وقيل عنه إنه كان وثنياً وصار مسيحياً فى رحلته إلى روما سنة ١٤٠ م ، وقيل إنه كان مسيحياً ثم نزع إلى روما ، وكان عضواً غيراً سخياً فى كنيسها ، ولكنه فجأة وقع تحت تأثير رجل غنوسى اسمه كريدو :

وترجع شهرة مارسيون إلى عقيدته اللاهوتية وموقفه من الكتب المقدسة فقد كان يعتقد أن هناك إلهين إله العهد القديم البار العادل وإله العهد الجديد المحب الكريم : وظهر الإله القديم فى الناموس والأنبياء وظهر الجديد فى يسوع المسيح فجأة فى سنة ١٥ من حكم طيباريوس قيصر (لوقا ٣ : ١) . وكان هذا الظهور شيئاً مفاجئاً لم يحدث فى التاريخ من قبل . ويقابل هذا المسيح الذى أظهر إله العهد الجديد مسيحاً آخر هو المسيح أو المسيا الذى كان ينتظره اليهود .

أما موقفه من الكتب المقدسة فكان موقفاً غريباً طردته الكنيسة لأجله ، فقد قال إنه لا داعى لوجود العهد القديم إذ أنه انتهى وقد عقد مارسيون

مقارنة بين العهدين حتى أنه قال إن إله العهد القديم . أى إله إسرائيل الخالق البار بهوة أقل مرتبة من الإله الصالح الذى أعلنه يسوع تحت « اسم الآب » ولقد كان أولئك الذين يعبدون إله العهد القديم هم الذين قتلوا يسوع الذى أعلن الآب الصالح. ولقد أخطأت الكنيسة إذ تبعت جماعة اليهوديين ولكن بولس الرسول وقف ضدهم . هذه هي معتقدات مارسون وقد كان له أتباع كثيرون وبقيت هرطقته مدة طويلة . وبناء على اعتقاده جمع الكتب التى ظن أنها « الكتب القانونية : وهى إنجيل لوقا فقط زائد عشر رسائل لبولس ، وحتى ما وجده من رسائل بولس مشابهة العهد القديم حذفه . وإنجيل لوقا نفسه حذف منه الأجزاء الأولى وبدأ من الأصحاح الثالث (فيسوع لم يأت من نسل يهودى بل أنه ظهر فجأة فى السنة الخامسة عشر من حكم طينباريوس قيصر) ولكن الكنيسة حكمت عليه على أنه هرطوقى . ثم لانس أيضاً إيرنيوس Irenaeus الذى كان الحلقة التى تربط العصر الرسولى بالكنيسة الجامعة. وقد كتب قائمة بالكتب القانونية وهى ٤ أناجيل ، أعمال ، رومية ١ و ٢ كورنثوس ، غلاطية ، أفسس ، فيلبي كولوس ١ و ٢ تسالونيكى ١ و ٢ تيموثاوس ، تيطس ، ١ بطرس ، ١ يوحنا والرؤيا . (١٨٠ م) .

ثالثاً : قائمة موراتورى : Muratolian Lid

فى سنة ١٧٤٩ اكتشف أحد الأثريين Muratau بعض القصاصات التى وجد فيها قائمة بالكتب المقدسة فى العهد الجديد ، ويلوح أنها قائمة كتبت ضد مارسيون هذه القصاصات تجمع ٤ أناجيل ، سفر الأعمال (واسمه أعمال كل الرسل) ثم ٩ رسائل لبولس للكنايس وأربعة لأشخاص يهودا رسالتان ليوحنا وسفر الرؤيا ورسالة لبطرس وراعى هرمس Shepherd of Hermas (وقد قال إنه يستحسن أن يقرأ فى الكنايس ولكن لا يوضع فى مستوى الكتب الباقية) .

وهنا وجب علينا أن نورد الشهادات الكنسية المختلفة على قانونية الكتب
المتقدسة كلها في العهد الجديد .

١ - كما سبق وعرفنا أن هناك عشرين كتاباً من الـ ٢٧ كتاباً قبلتها
الكنيسة بكل فروعها بدون أية مناقشة أو جدال وهي ٤ أناجيل ١٣ رسالة
بولس ، رسالة بطرس الأولى ، رسالة يوحنا الأولى ، سفر الأعمال . أما
السبعة الباقية التي حدثت بخصوصها مناقشة هي العبرانيين ، يعقوب ، ٢
بطرس ، ٢ و ٣ يوحنا ، يهوذا . الرؤيا . وهي كما كان يطلق عليها الجزء
الثالث من العهد الجديد إذا افترضنا أن الأناجيل هي الجزء الأول والأعمال
والرسائل التي للرسول بولس هي الجزء الثاني :

٢ - أما عن رسالة العبرانيين فقد ترددت الكنيسة الغربية في قبولها ،
وكان الشك لا يحيط بقانونيتها بقدر ما كان يحيط باسم مؤلفها ، ولكن هذا
لا يهم كثيراً . أما مستندات قانونيتها فهي أنها قبلت في : مجمع قوطاجنة
٣٩٧ م ، مجمع لادوكية ٣٦ م ، البيشنة السريانية ، يوسايوس ، كيرلس
أسقف أورشليم ، أيبفانيس ، أوريجانوس ، اثناسيوس كريسستم ،
أغسطينوس ، جيروم . . وهكذا . وهذه شهادة قوية جداً .

٣ - رسالة يعقوب وهي مقبولة في قائمة موراتورى والمجامع والآباء
الذين قبلوا العبرانيين ، أما التردد في قبولها فكان مبنياً على أمرين : الأول أنه
لا يعرف أى يعقوب يقصد بكتابتها . الثاني أنها تختلف عن رسائل بولس في
مسألة التبرير بالإيمان . وهذان سببان واهيان .

٤ - أما عن بطرس الثانية ويهوذا فلهما الشهادة التي ايعقوب ما عدا
البيشنة وأن بطرس الثانية ليست موجودة في قائمة موراتورى . وتردد الكنيسة

السريانية في قبولها هو التشابه الذي يكاد يكون تاماً بينهما وقد ظنوا أن أحدهما اقتبست من الأخرى ولكن لم يعرف إيهما الأصل ولهذا أسقطوا الآيتين ، ولكن في القرن الرابع قبلت الاثنان في الكتب القانونية . (رغم معارضة لوثر في عهد الإصلاح) .

٥ - يوحنا الثانية والثالثة : سبب التردد هو عدم الاقتباس منهما في كتابات الآباء ولكن هذا راجع إلى قصرهما والشهادة لقانونيتهما واسعة وقوية.

٦ - سفر الرؤيا . وله من الشهادة ما يجعله من أول الكتب التي توضع في قائمة الكتب القانونية ؛ إنما كان التردد في قبوله في الكنيسة الشرقية فقد ظن بعض آباء هذه الكنيسة أنه يناصر بدعة Chilias ، ولكن في القرن الثالث تغلبت الكنيسة على هذه البدعة ورد لهذا الكتاب اعتباره .

من هذا نرى : أن سبعة كتب فقط كانت موضع تردد لأسباب عقائدية أو غيرها ولكن الآباء المدققين والمجامع المسكونية أمكنهما أن ترد للكتب اعتبارها ككتب مقدسة ، وأن هذه الكتب رغم أهمية اسم المؤلف لها إلا أن سلطتها استمدت ليس فقط من رسولية المؤلف بل من ذاتها وفعاليتها .

الباب الثاني
الأناجيل

الفصل الأول

نظرة عامة إلى الأناجيل ومقارنتها

عرفنا مما سبق أن كل كتب العهد الجديد سواء أكانت رسائل أم أناجيل أم تاريخ أم رؤيا كتبت لمواقف محددة وخدمة للكنيسة . وعرفنا أنها كتبت ليس من وجهة نظر موضوعية خالصة بمعنى أن الذين كتبوها كان قصدهم الوصف والتفلسف ، ولكنها كتبت من خلال عين الإيمان أى أن الذين كتبوها كانوا شهوداً على ما حدث في التاريخ كحادثة تاريخية ولكنها حادثة كان لها أكبر الأثر في حياتهم فغيرت نظرتهم للأُمور وقلبت حياتهم رأساً على عقب فهي كتب كتبت من إيمان لإيمان .

هذه هي النظرة العامة إلى العهد الجديد ولكن هذه النظرة مقدمة فقط لدراسة هذا الكتاب ، ومع أن الأناجيل لم تكن أول الكتب زمنياً إذ سبقتها مجموعة من الرسائل إلا أنها وضعت أولاً في الترتيب نظراً لأهميتها القصوى ، فهي تركز حول حوادث حياة المخلص ، ثم هي تصف كيف كان أساس الكنيسة والعهد الجديد كله ، ولهذا السبب سوف نركز عليها في بداية دراستنا لكتب العهد الجديد كتاباً كتاباً .

١ - ماهية الأناجيل

من الأسئلة البديهية التي تقابل الدارس سؤال عن نظرتة إلى الأناجيل الأربعة : ماهيتها ولماذا سميت هكذا وأى نوع من الكتب هي ؟ وجواباً على هذا التساؤل ظهرت عدة نظريات أهمها النظريتان التاليتان :

الأولى : أن الأناجيل ، وخاصة إنجيل مرقس الذي كتب أولاً ، كتبت لكي تسجل تاريخ حياة المسيح . ولقد اتخذت كتاب حياة المسيح في القرن التاسع عشر هذا الأمر مجدياً ، وبدأت الكتب الكثيرة تظهر بحالة التوفيق بين الأناجيل ، وكتابة حياة مكتملة له مبنية على الإنجيل الثاني . ولكن هذه النظرية هجرت الآن لسببين هامين :

السبب الأول : هو أن أشياء كثيرة تحتاج إليها كتابة قصة الحياة ليست موجودة في الأناجيل ، حتى مولده لانجده إلا في إنجيلين فقط ، أما مرقس الذي يعتمدون عليه كثيراً لا يبدأ إلا بظهور يوحنا المعمدان عندما كان يسوع في سن الثلاثين ، ولا يذكر أى إنجيل أى حادثة عنه في هذه السنين الطويلة سوى حادثة واحدة يذكرها إنجيل لوقا عنه عندما كان في سن الثانية عشر (لوقا ٢ : ٤٢) أما صفاته الطبيعية والجسدية وغير ذلك مما يلزم لكتابة تاريخ الحياة لا تظهر في الأناجيل .

السبب الثاني : الذي جعل الناس تترك هذه النظرية هو أن كل إنجيل يرتب المادة التي فيه بحسب خطة أو فكرة تختلف بعض الشيء عن الإنجيل الثاني كما سنرى فيما بعد ، مما يدل على أن الكتاب لم يقصدوا أن يكتبوا تاريخ حياة بل شيئاً آخر . لكن هذا لا يعنى أن الإنجيليين لم يعتنوا بالحقائق التاريخية ولم يهتموا بتحقيقها ، ويكفى أن تقرأ قول لوقا البشير في مقدمة كتابه الأول « رأيت أنا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق » (لوقا ١ : ٢) لنعرف مدى الدقة والأمانة التاريخية التي يتبعونها مع أنهم لم يقصدوا أولاً وقبل كل شيء أن يكتبوا تاريخ حياة السيد .

أما النظرية الثانية : فهي نظرية الذكرى ، بمعنى أن هذه الأناجيل هي ذكريات عزيزة حفظها الذين كانوا مع المسيح وسلموها لغيرهم ، هذه

الذكريات ليست قصصاً للرواية فقط ولكنها لإظهار فكري يسوع وحياته كشخص عزيز عظيم : عاش بينهم ثم تركهم إلى السماء وسوف يأتي مرة أخرى . تماماً كما فعل بعض كتاب اليونانيين من نحو معلمهم . نعم إن الأناجيل ذكريات ، ولكنها لم تذكر لمثل هذا القصد ولكن الأمر أعمق . إن معرفة الغرض بين هذه الذكرى تتضح في قول السيد عندما قام برسم العشاء الرباني « اصنعوا هذا لذكرى » (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ١٠ كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٢٦) . هذه الذكرى تشير إلى موقف اليهود عندما كانوا يعيدون عيد الفصح . فإنهم عندما كانوا يأكلون الفصح كانوا يذكرون الله والعمل العظيم الذي قام به لأجلهم ، إذ أنقذهم من أرض مصر من بيت العبودية ، وأجازهم في البحر الأحمر ، هذه الذكرى ليست لماضٍ سحيق انتهى يعيدون في ذكراه . ولكنه ماضٍ حي باقٍ في حياتهم ، إنه ماضٍ متجدد في كل يوم ، فهو ذكرى عمل الإله الحي الذي أنقذهم وما زال لهم ومعهم في عهد مقدس ، هذه هي الذكرى التي يطلبها السيد ، إنهم يذكرونه كفاد قام بالعمل العظيم ، لكن ليس الفادي الذي مات وانتهى ، ولكنه الفادي الباقي معهم الذي يحيا فيهم وبينهم ، إنها ذكرى حية متجددة لأن فاديتهم حي ، فالماضي ليس ماضياً انتهى ولكنه ماضٍ حي ، ماضٍ حاضر دائماً معهم في فاديتهم . ويؤيد هذا القول ما يذكره الرسول « تجبرون بموت الرب إلى أن يحيى » فهذا الرب الذي مات هو حي ولم تنته حياته ، والأخبار بموته يعني أن لهذا الموت عملاً عظيماً في حياة الناس .. إذ أنه مات من أجل خطايانا .

وعلى هذا الأساس فإن الأناجيل ليست تاريخاً وذكري لوقائع حدثت وفسرت فقط ولكنها تاريخ حي ، تاريخ لا يمكن وصفه بكلمة أبلغ من كلمة « شهادة » . نعم إنه شهادة حي لشهود أمناء اختبروه .

٢ - صلة الأناجيل بعضها ببعض

في دراستنا للأناجيل نجد أن هناك صلة عميقة واسعة بينها ، هذه الصلة بحكمها أمران: التشابه الكبير والتمايز الواضح بينها . فبينما نجدها كلها تتفق اتفاقاً يكاد يكون تاماً في أمور كثيرة ، نجدها مع ذلك تمايز بعضها عن البعض . يعرف ذلك كل من له دراية فيها مهما كانت بسيطة . هذان العنصران : التشابه والتمايز يتحكمان في كلا الشكل والمضمون أى في التعبير والمعبر عنه ، في الكلمة والرسالة ، ومع أن الأمر سهل وبسيط في إظهار هذه الحقيقة بالنسبة للشكل ، إلا أن كشف ذلك من حيث المضمون يعتبر أصعب بكثير ويحتاج إلى جهد دارس متعمق .

وفي الصفحات التالية سندرس تشابه الأناجيل وخاصة الثلاثة الأول منها . ثم تمايزها بعضها عن البعض من جهة الأسلوب أو الشكل ، وبعد ذلك سندرس المضمون في جميعها بما فيه من هذين العنصرين ، وهذه الدراسة الأخيرة هي للدراسة الأهم ، واضعين نصب أعيننا أن هدف الدراسة جميعها ليس أولاً وأساساً اكتشاف التشابه والتمايز ، ولكن الرسالة العميقة في الأناجيل ، رسالة الحياة والإيمان ، أما هذه الدراسة فهي واسطة فقط لإعلان تلك الرسالة الضرورية لكل الناس في كل العصور ، ولكن قبل ذلك لنرى الصلة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأول .

صلة انجيل يوحنا بالأناجيل الثلاثة الأول :

هل هناك صلة بين إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس مثلاً ؟ بعد الدراسات الواسعة اقتنع العلماء أن كاتب إنجيل يوحنا قد عرف إنجيل مرقس وأستخدم بعضاً من مادته . ولعله عرف لوقاً أيضاً ، ولكن صلته بهذا الإنجيل لم تكن مثل صلته بإنجيل مرقس . أما عن إنجيل متى فلم يبق أى دليل على أن البشير

يوحنا عرفه . ومع ذلك فيمكننا أن نحدد صلة يوحنا بالأناجيل الثلاثة من خلال صلته بإنجيل مرقس، نظراً لاصلة الوثيقة التي نجدتها بينهما . هذه الصلة ليست بسيطة ولكنها مركبة وتأتي تحت رؤوس مواضيع كثيرة نجملها فيما يأتي :

١- صورة الاتفاق الواضح في الحوادث :

هناك اتفاق بين إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس في الحوادث التالية وترتيبها:

(أ) عمل وشهادة يوحنا المعمدان

(مرقس ١ : ٤ - ٨ ، يوحنا ١ : ١٩ - ٣٦)

(ب) ذهاب السيد من اليهودية إلى الجليل

(مرقس ١ : ١٤ و ١٥ ، يوحنا ٤ : ٣)

(ج) إطعام الخمسة آلاف في الجليل

(مرقس ٦ : ٣٤ - ٤٤ ، يوحنا ٦ : ١ - ١٣)

(د) المشي على البحيرة في الجليل

(مرقس ٦ : ٤٥ - ٥٢ ، يوحنا ٦ : ١٦ - ٢١)

(هـ) اعتراف بطرس

(مرقس ٨ : ٢٩ ، يوحنا ٦ : ٦٨ و ٦٩)

(و) الذهاب إلى أورشليم سرّاً

(مرقس ٩ : ٣٠ و ٣١ ، ١٠ : ١ و ٣٢ و ٤٦ ، يوحنا ٧ : ١٠)

(١٤ -

(ز) الدخول الانتصاري لأورشليم ودهنه بالطيب

(مرقس ١١ : ١ - ١٠ ، يوحنا ١٢ : ١٢ - ١٥)

(ح) العشاء الأخير والإعلان عن الذي سيسلمه

(مرقس ١٤ : ٤٣ - ٥٢ ، يوحنا ١٣ : ١ - ١٧ و ٢٦)

(ط) الآلام والقيامة

(مرقس ١٤ : ٥٣ - ١٦ : ٨ ، يوحنا ١٨ : ١٢ - ٢٠ : ٢٩)

ولم يقتصر الاتفاق على ذكر هذه الحوادث وترتيبها ولكنه يصل إلى حد التشابه في كثير من الكلمات والعبارات ، مما يدل على أن يوحنا قد أخذ من مرقس بعض كلماته .

٢ - صورة الاختلاف الواضح في بعض الحوادث والتعاليم :

(أ) هناك حادثتان يختلف فيهما يوحنا ومرقس اختلافاً بيناً جعل البعض يظن أنهما متناقضتان : هاتان الحادثتان هما إخراج الباعة من الهيكل : فبينما يضعها مرقس في بدء الأسبوع الأخير ويجعلها السبب المباشر في أن يتآمر اليهود عليه لكي يقتلوه (مرقس ١١ : ١٥ - ١٩) إذ بيوحنا يضعها في أول خدمته ، ولم تكن هي السبب المباشر للمؤامرة . أما المؤامرة فقد بدأت عندما أقام السيد العازر من الأموات (يوحنا ٢ : ١٤ - ١٧ ، ١١ : ٤٦ - ٥٢) .

أما الحادثة الثانية فهي موعد العشاء الرباني : فكللا الإنجيليين مرقس ويوحنا يؤكد أن المسيح صلب في يوم الجمعة . ولكن مرقس يقول إن السيد مع تلاميذه صنعوا الفصح يوم الخميس (مرقس ١٤ : ١٢ - ٢٦) بينما يقول إنجيل يوحنا إن اليهود أرادوا أن ينتهوا من الحكم على السيد وصلبه قبل.

أن يأكلوا الفصح ، كأنما كان الفصح يوم الجمعة وليس الخميس (يوحنا ١٨ : ٢٨) .

ولقد وضعت نظريات كثيرة لتفسير الاختلاف في الحادثتين فثلاً يقول وستكوت في تفسير الاختلاف في تطهير الهيكل إن يسوع فعل ذلك مرتين : إحداهما في الابتداء وهي الحادثة التي يذكرها إنجيل يوحنا والأخرى في نهاية خدمته وهي التي يذكرها مرقس . ولكن هذا التفسير يواجه صعوبة كبيرة إذ أنه ليس من الممكن أن يسمح اليهود للسيد أن يكرر هذه الحادثة ولا أن يسمحوا له حتى بالدخول إلى الهيكل والتعليم فيه هكذا حراً .

أما الاختلاف الثاني فقد قيل إن السيد أكل الفصح كما يفعل الجليليون أو جماعة الإيسينيين وموعده كان مبكراً يوماً واحداً عن فصح اليهودية ، أو أن يسوع وتلاميذه لم يأكلوا الفصح بل كانوا يأكلون وليمة اسمها «حبورا» وهي عادة يهودية يقوم بها الأصدقاء .

أما الاتجاه السائد بين العلماء في تفسير ذلك هو أن يوحنا لم يكن يقصد أن يكتب حياة يسوع بتتابع زمني ، ولكنه كان يفسر المعنى العميق كما ورد في خطابات يسوع ، ولكن على أساس موضوعي . فعندما يعالج قضية صلة المسيح باليهود وأن عداوتهم له بدأت مبكراً يأتي بقصة تطهير الهيكل كعلامة واضحة جداً على الصراع بينهم وبين السيد . ثم لأنه الإنجيل الوحيد الذي يذكر قول المعمدان عن يسوع أنه حمل الله الذي رفع خطية العالم ، فإنه أراد أن يذكر أن يسوع مات يوماً الفصح لأنه هو فصحنا ، ولهذا فقد حل الفصح الجديد محل الفصح القديم .

(ب) هناك أيضاً اختلاف في تقديم صورة المسيح . فإنجيل يوحنا يقدم المسيح تقريباً في صورة المعلم اليهودي الذي يستخدم الطريقة اليهودية في

الدراسة والمناقشة : بخلاف الأناجيل التي تقدمه رجلاً قائداً للجميع محبوباً يتبعه الكل . ولكن تقديم السيد يظهر في صورته المميزتين في الإنجيل الرابع والأناجيل الأخرى في تعاليمه . ففي إنجيل يوحنا نجد تعاليمه في صورة خطابات طويلة بينما الطريقة الغالبة في الأناجيل الأخرى هي الأمثال . فهل هذا يعني وجود تناقض من الاثني عشر ؟ إن القول بأن يوحنا تنقصه الأمثال قول تعوزه الدقة لأن بعض الدارسين قد أظهروا سبعة أمثال في إنجيل يوحنا (الخبز الحى ص ٢٦ الراعى ص ١٠ ، الكرمة ص ١٥ . وهكذا) . فالتعليم الرمزي لا يختلف في شيء عن الأمثال . أما لماذا لا نجد في الأناجيل الثلاثة ، التعليم بواسطة الخطابات . واقتصر ذلك على إنجيل يوحنا . فقد ذكر العلماء تفاسير مختلفة لذلك . فبعضهم قالوا إنها كانت مواضع وعظها السيد ثم وضعها يوحنا في إنجيله . وبعضهم قال إن يوحنا أخذها من مصدر لم تعرفه الأناجيل الثلاثة . ولكن هذه التفاسير تبنى على أساس خاطئ وهي أن يسوع تميز بطريقة واحدة فقط في التعليم ، مع أننا في الحقيقة نجد أن التعاليم في الأناجيل الثلاثة بطريقة الأمثال قيلت كلها في الجليل بينما خطابات يوحنا قيلت كلها في اليهودية ما عدا خطاب واحد (يوحنا ٦) ، وحتى هذا لم يقل للجموع بل قيل في الجمع ، ويلوح أنه لجماعة مختارة يسميهم يوحنا « اليهود » ، وهو اسم يطلقه الإنجيل يوحنا على ممثلي اليهودية الذين يجيئون من طرف رؤساء اليهود . وإذا كان كذلك فإن الجماعة التي سمعت يسوع في الجليل كانت أبسط في تصورها ومفهومها للشريعة والدين عن جماعة اليهود ، ولهذا السبب كلمهم يسوع بالأمثال ، وهي الطريقة السهلة التي تشوق الجماعة التي تشابه جماعة الجليليين . أما في إنجيل يوحنا فقد كان يخاطب اليهود المتفقيين في أمور الدين ، ولهذا استخدم هذه الطريقة وهذا الأسلوب في تعليمهم . فاختلاف التعليم في

الإنجيل الثلاثة عنه في إنجيل يوحنا كان سببه اختلاف الجماعة . . اختلاف السامعين . ولا يمكن أن يكون هذا مستحيلاً أو حتى صعباً على معلم كالسيح يسوع .

٣ - الحوادث التي لا يذكرها إنجيل يوحنا :

هناك كثير من الحوادث التي لا يذكرها يوحنا ، نعم إنه يشترك مع مرقس في أنه لا يذكر ميلاد السيد كما يفعل الإنجيلان الآخران ، ولكنه لا يذكر أشياء كثيرة ترد في إنجيل مرقس .

(أ) إنه لا يذكر المعمودية المسيح بواسطة يوحنا مع أنه يذكر أن يوحنا المعمدان يشير إليها (يوحنا ١ : ٣٢ - ٣٤) . إنه يفعل الأمر بالمعمودية ولا يذكر العشاء الرباني ، ولا يذكر أمر السيد « افعلوا هذا لذكري » (١ كورنثوس ١١ : ٢٥) . ولكن هذا لا يعني أن القديس يوحنا لا يهتم بالفرائض فإن من يقرأ يوحنا ٣ و ٦ فإنه يعرف تماماً الأهمية الكبرى التي يضعها على هاتين الفريضتين ، وذلك بأن يذكر شرح السيد لهما وإظهار المعنى العميق المتضمن فيهما .

(ب) لا يذكر حادثة التجلي وذلك لأنه يرى أن مجد السيد يمكن في صلبه وموته وقيامته وأن هذا المجد قد أعلن الآن (يوحنا ١٢ : ١٦ و ٢٣ - ٢٨ و ٣٢ و ٣٣) .

(ج) يوحنا لا يذكر قوة السيد في إخراج الشياطين ولم تأت في الإنجيل معجزة واحدة من هذا القبيل . ولكن يوحنا يذكر أن رئيس هذا العالم قد دين أي أنه هزم وهذا هو المعنى اللاهوتي لإخراج الشياطين (يوحنا ١٢ : ٣١) .

(د) لا يذكر الإنجيل تعليم يسوع بالأمثال . ولكن البشير يذكر خطابات السيد في اليهودية وعلى هذا الأساس نجد فرقاً في الطريقة التي يعلم بها السيد : لأن أورشليم واليهودية موطن المتمسكين والمثقفين في الناموس . ولكن في نفس الوقت نجد أن المعاني العميقة للأمثال توافق تماماً المعاني العميقة لخطاباته في اليهودية .

(هـ) لا يذكر البشير عدم سرعة استجابة التلاميذ بالإيمان في السيد كما يفعل مرقس ، إذ يذكر بوضوح أن قلوبهم كانت غليظة (مرقس ٨ : ١٣ - ٢١) . لكنه يذكر أن التلاميذ اعترفوا وآمنوا به أنه هو السيد ابن الله . هذا يدل على أن القديس يوحنا لا يريد أن يذكر تطور إيمان التلاميذ بالسيد ، بل هو يقارن من الابتداء بين العالم الذي لا يؤمن والمؤمنين بالمسيح ، بين اليهود والتلاميذ ، فهؤلاء يؤمنون بعكس اليهود الذين يظهرون قساوتهم وعصيانهم من الأول (يوحنا ١ : ١٤ - ١٨ و ٤٣ - ٥١ ، قارن ٢ : ١٤ - ٢٢ وهكذا) من هذا نعلم أن الأمور التي يحذفها البشير كان لديه سببان لحذفها الأول هو الجمهور الذي يكتب له . إنه جمهور له ثقافته وخلفيته الهلينية ، ثم الهدف اللاهوتي الذي يسيطر على كتابته للإنجيل ، لأن وراء كل حذف أو إضافة سبب لاهوتي واضح .

٤ - أشياء يضيفها يوحنا :

في إنجيل يوحنا حوادث لم تذكر في الأناجيل الأخرى منها :

(أ) يذكر إنجيل يوحنا أن السيد ويوحنا المعمدان عملاً في اليهودية مدة طويلة وأن تلاميذه الأوائل كانوا من ضمن تلاميذ يوحنا المعمدان مع أن الأناجيل الأخرى لا تذكر شيئاً عن خدمة يسوع الجهارية إلا بعد سجن يوحنا المعمدان (يوحنا ٣ : ٢٢ - ٢٤ مع مرقس ١ : ١٤) .

(ب) يذكر إنجيل يوحنا أيضاً أن يسوع ذهب إلى أورشليم عدة مرات (٢ : ١٣ ، ٥ : ١ ، ٧ : ١٠ ، ١٢ : ١٢) ، وكان تعليمه ينصب بالأكثر في المدينة وهذا بخلاف مرقس . مع أننا نلمح في إنجيل متى ٢٣ : ٣٧ وإنجيل لوقا ١٣ : ٣٤ تأكيداً لما يقوله إنجيل يوحنا .

(ج) من يقرأ مرقس ويعتقد أن يسوع لم يعيد في أورشليم إلا عيد واحد للفصح وأثناء خدمته الجهارية وكان هذا آخر عيد عيده في حياته الأرضية (مرقس ١٤ : ١ - ٢٦) ، لأن خدمة يسوع تركزت بجملة في الجليل وبعدها قام برحلته الأخيرة إلى أورشليم ، أما يوحنا فيذكر أنه عيد الفصح ثلاث مرات (٢ : ١٣ ، ٦ : ٤ ، ١٢ : ١) .

ولكن القارئ المتأمل في إنجيل مرقس ويقرأ (٢ : ٢٣ ، ٦ : ٣٩) أى تعدد فصول الحصاد والربيع فإنه يستنتج أن خدمة السيد كانت أطول من سنة واحدة إذ تكررت فيها الفصول . معرفته بصاحب الأنان الذي دخل به إلى أورشليم والعلية التي يعمل فيها الفصح يدل كل ذلك على أن يسوع معرفة سابقة بأورشليم (مرقس ١١ : ١ - ٧ ، ١٤ : ١٢ - ١٦) . وقد نجد في يوحنا ومرقس اتفاقاً على حادثة تدل على أن يسوع ذهب إلى أورشليم سراً (مرقس ٩ : ٣٠ ، يوحنا ٧ : ١٠) .

٥ - حوادث في الأناجيل الثلاثة التي يفسرها يوحنا :

هناك بعض الأشياء التي تبدو غامضة في الأناجيل الثلاثة أو في إنجيل مرقس خاصة ، ولكننا نجد لها تفسيراً في إنجيل يوحنا ومن تلك الحوادث هذه الحادثة المشهورة المذكورة في مرقس ٦ : ٤٥ بعد أن أشبع يسوع الخمسة آلاف ، طلب من تلاميذه أن يذهبوا في السفينة لكي يصرف هو الجموع ولم نعرف سبب جزمه على ذهاب تلاميذه أولاً وتركه هو مع الجموع لكن

في يوحنا ٦ : ١٥ نجد السبب وهو الأزمة السياسية التي سببها الجموع الذين لما رأوا معجزات يسوع أرادوا أن يختطفوه لكي يجعلوه ملكاً عليهم . وأراد يسوع أن ينقذ تلاميذه من التورط في هذا العمل فصرفهم قبلاً حتى لا يندفعوا مع الجموع التي لم تكن قد فهمت قصد يسوع ولا هدف إرسالته بعد .

نأتي الآن إلى الأناجيل الثلاثة الأولى :

تسمى هذه الأناجيل الثلاثة Synoptics ، وقد تترجم المتوازيات ، أي أنها متشابهة ومتوازية ومن السهولة بمكان أن نضعها في أعجدة متوازية لنجد التوافق الكبير الذي بينها ، في مقابل إنجيل يوحنا الذي يختلف عن ثلاثتها كثيراً كما رأينا سابقاً ، ولكن هذه التسمية لا يمكن أن تعطي الصورة الكاملة ، فهناك أيضاً بعض التنوع والاختلاف يظهر للقارئ في دراسته لهذه الأناجيل الثلاثة . ومن هذا التوافق الضخم والاختلاف الواضح نشأت دراسة كبيرة يسميها العلماء قضية الأناجيل الثلاثة الأولى أو Syoptic Problem

وهذه القضية هي التي تشغلنا في الصفحات التالية :

١ - أوجه الاتفاق بينها :

يتركز هذا الاتفاق في الأمور التالية :

اتفاق المضمون :

يتكون إنجيل مرقس من ١٠٣ قصة نجد منها ٩٨ قصة في إنجيل متى أما الخمسة الباقية فيورد إنجيل متى قصتين أو ثلاثة مشابهة وموازية لها . وفي لغة الأعداد فإن إنجيل متى يحتوي على ٦٠٠ عدداً من إنجيل مرقس الذي يبلغ ٦٦١ عدداً . أما إنجيل لوقا فيأخذ من إنجيل مرقس حوالي ٣٥٠ عدداً . ويلاحظ أن إنجيل مرقس يحتوي فقط على ٣١ عدداً غير موجودة في الإنجيليين الباقين .

ونلاحظ أن هذا الاتفاق عجيب ومذهل لأن كل الأناجيل لا تحتوي على كل أقوال يسوع أو حوادث حياته ، فإن إنجيل يوحنا يذكر في ٢١ : ٢٥ أن أشياء كثيرة صنع يسوع لم يكتب في الأناجيل ، ولهذا نستطيع أن نؤكد أن المادة الموجودة في هذه الأناجيل مادة مختارة ، إنتقاها البشرون لتفي بغرضهم ، وإذا كان الأمر كذلك فإن توافقتهم في اختيار هذه المادة لم يكن عفواً ولا مصادفة بل هناك خطة تقوم وراء ذلك .

اتفاقهم في ترتيب وتنظيم حياة المسيح :

إذا تغاضى الدارس عن مقدمة إنجيل متى ولوقا فإنه يجد توافقاً عجباً في تنظيم حوادث حياة المسيح بين الأناجيل الثلاثة . ولقد رتبنا هذه الحوادث بحسب خطة واحدة . فالسيد يبدأ خدمته الجهارية عندما يذهب إلى يوحنا المعمدان عند الأردن في اليهودية ليعتمد منه وعندئذ يذهب إلى البرية ليواجه إبليس وتجاربه ، ومن هناك إلى الجليل عندما يسمع أن يوحنا قد أسلم وسجن ، ويبدأ خدمته في الناصرة ، ولكنه يتركها إلى كفر ناحوم ويبدأ خدمة طويلة مملوءة بالأعمال النافعة من شفاء مرضى وإخراج الشياطين وإشباع الجياع وغيرها ، ومملوءة أيضاً بالتعاليم للتلاميذ والجموع ، وحينئذ يذهب لوقت قصير إلى الأمم ليقدم بطرس اعترافه العظيم ثم يذهب إلى أورشليم وهناك يصلب ويموت ويقوم . هذه هي خطة ترتيب حوادث حياة السيد في الأناجيل الثلاثة . ولم يقتصر هذا التوافق على الخطة العامة لحياة السيد ، بل في ترتيب التفاصيل ، فهناك حوادث قد لا يربطها شيء ولكنها تتابع بنفس الكيفية في الأناجيل الثلاثة مثلاً في مرقس ٢ : ٣ - ٢٢ ، متى ٩ : ٢ - ١٧ ، لوقا ٥ : ١٨ - ٣٨ تظهر الحوادث الثلاثة : شفاء المفلوج ودعوة العشارين ومناقشة الصيام . بل هناك مثال مشهور على ذلك عندما ينتقل البشيران متى ومرقس انتقالاً فجائياً

من سر د قصتهما ليذكر ا قتل يوحنا المعمدان (متى ١٤ : ١ ، مرقس ٦ : ١٤)
وهكذا لا نستطيع أن نقول إن هذا الترتيب المتشابه جاء عفواً ومصادفة .

اتفاقهم في الأسلوب :

إن هذا التوافق يظهر جلياً لو درسنا الأناجيل في لغتها الأصلية : أى اليونانية .
ولكن هذا لا يعنى أن ذلك لا يظهر في الترجمة العربية ، وهناك المثل المشهور
الموجود في متى ١ : ٦ ، مرقس ٢ : ١٠ ، لوقا ٥ : ٢٤ عندما يقطع
السيد حديته في نفس المكان : « ولكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً أن
يفغر الخطايا . . . » وهنا نجد أن الأناجيل الثلاثة لا تكمل الكلام بل تذكر
نفس الجملة الاعترافية بنفس الألفاظ « قال للمفلوج قم . . . » .

وهناك مثال آخر في متى ٤ : ١٨ ، مرقس ١ : ١٦ عندما يذكر
البشيران نفس الجملة الاعترافية « لأنهما كانا صيادين . . . » .

وهناك تعبيرات لا تأتى إلا في الأناجيل الثلاثة مثل « حين يرفع العريس »
متى (٩ : ١٥ ، مرقس ٢ : ٢١ ، لوقا ٥ : ٣٥) هذه العبارة لا نجدها
في أى موضع آخر في العهد الجديد .

اتفاق إنجيل متى ولوقا في ذكر تعاليم المسيح :

وهذا اتفاق ضخم فن يقرأ الموعدة على الجبل (متى ٥ - ٧) والموعدة
في السهل في لوقا ٦ : ١٧ - ٤٩ فإنه نجد أن الموعدتين تبدآن بالتطويات
وتنهيان بالتحذير يمثل البناء الحكيم والجاهل وفي العظمتين نفسهما تشابهاً في أشياء
كثيرة ، وإلى جانب ذلك نجد تعاليم وافرة متشابهة ليس فقط في المضمون
بل في نفس الأسلوب بين هذين الإنجيليين .

هذا التوافق وخاصة في الاثني عشر الأخيرين ، أي الأسلوب والتعاليم تظهر بوضوح إذا عرفنا أن السيد وتلاميذه لم يتكلموا اليونانية أصلاً : وأن تعاليم المسيح قيلت في الأرامية وعظات الرسل وتعاليمهم كانت في نفس اللغة ، فإذا اتفقت الأناجيل الثلاثة في الأسلوب واتفق الإنجيل متى ولوقا في ذكر تعاليم السيد اتفاقاً هذا مقداره ، فهذا يؤكد أن صلة خاصة قد ربطت هذه الأناجيل الثلاثة حيث أنها لم تكتب في مكان واحد ، ولا إلى جماعة واحدة ، فما هي هذه الصلة :

إننا لا نستطيع أن نجزم في ذلك إلا بعد أن نجد الأمر الغريب الآخر . وهو الاختلاف الواضح بينهما .

الاختلاف بين الأناجيل الثلاثة :

يظهر هذا الاختلاف عند ذكر التفاصيل الدقيقة : مثلاً :

١ - بينما يتفقون في ذكر حوادث المعمودية والتجربة والقيامة فإن هناك بعض الاختلافات في التفاصيل : فنطوق الصوت المماهى يختلف بعض الشيء في لوقا عنه في متى وكذلك في ترتيب التجارب الثلاث .

٢ - هناك الاختلاف بين لوقا ومتى في ذكر الموعظة على الجبل . في طولها ومقدار المادة التي فيها ، وفي أسلوب التطويبات ، إذ تذكر في متى في لغة الغائب ، ولكن في لوقا في لغة المخاطب ، وعدم وجود الويلات في متى . وهناك أشياء في الموعظة على الجبل في متى لم تذكر في الموعظة كما هي في إنجيل لوقا مثل الصلاة الربانية وغيرها .

٣ - وهناك اختلاف في طول قصة الرحلة إلى أورشليم فبينما يذكرها متى في أصحاحي ١٩ و ٢٠ يذكرها مرقس في أصحاح واحد هو ١٠ أما لوقا فإنه يذكرها في تسعة أصحاحات ٩ : ٥١ - ١٩ : ٢٨ .

٤ - هناك ما يسمى بالحذف الكبير بين لوقا ومرقس فبينما يتبع لوقا قصة مرقس في الحوادث إلى ٦ : ٤٤ فإنه يترك الجزء الثاني من ٦ : ٤٥ - ٨ : ٢٦ ثم يرجع مرة أخرى ويتبع قصة مرقس بكل أمانة .

٥ - هناك أيضاً مادة تختص بكل إنجيل ولا توجد في الأناجيل الأخرى مثل قصة الجوس عند متى (متى ٢ : ١-١٢) ، بعض الأمثال مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (متى ٢٥ : ١-١٣) ومنظر الدينونة (٢٥ : ٣١-٤٦) وغيرها ثم حوادث كثيرة في قصة الميلاد عند لوقا لم تذكر في أمكنة أخرى (لوقا ١ و٢) وبعض الأمثلة كمثال الإبن الضال (لوقا ١٥ : ١١-٣٢) والوكيل الشرير (١٦ : ١-١٣) وغيرها .

* * *

هذا هو الموقف فهل هناك تفسير له ؟ بعد الدراسات المستفيضة استقر رأى غالبية العلماء على الأمور التالية :

١ - أن إنجيل مرقس كتب أولاً ، وأنه كان معروفاً عند كاتبى الإنجيليين الآخرين متى ولوقا ، وأن هذين الكاتبين وافقا على إنجيل مرقس بدليل أنهما استخدماه كأساس لقصتهما عن يسوع .

٢ - لكن هناك التعاليم المتشابهة التي توجد في إنجيلي لوقا ومتى ولكنها لا توجد في مرقس . يعتقد العلماء أن كاتبى الإنجيليين استقياها من مصدر آخر كان معروفاً لهما ، وكان يحتوى على جزء كبير من تعاليم يسوع المسيح ، وقليلاً من حوادث حياته ذكرت بمناسبة ومقدمة لهذه التعاليم ، هذا المصدر يطلق عليه العلماء اسم « Q » وهو الحرف الأول من الكلمة الألمانية التي تعنى مصدر . Quelle

٣ - لكن هناك مادة توجد في متى ولا توجد في أى من الإنجيليين الآخرين تحوى كثيراً من الأقوال وبعض الأمثال : مثل الزوان (١٣ : ٢٤ - ٣٠)

الكنز الخفي (١٣ : ٤٤) ، اللؤلؤة كثيرة الثمن (١٣ : ٤٥ و ٤٦) . شبكة الصيد (١٣ : ٤٧ - ٥٠) العبد القاسى (١٨ : ٢٣ - ٣٥) ، العمال فى الكرم (٢٠ : ١ - ١٦) الابنان (٢١ : ٢٨ - ٣٢) ، عشاء العرس (٢٢ : ١ - ١٤) ، العذارى (٢٥ : ١ - ١٣) ، الوزنات (٢٥ : ١٤ - ٣٠) الدينونة (٢٥ : ٣١ - ٤٦) وقد كانت كل هذه الأمثال تتميز بالجملة القائلة « يشبه ملكوت السموات » . هذه كلها توجد فى إنجيل متى فقط ويعتقد كثير من العلماء أنه أخذها من مصدر خاص به وقد أطلقوا عليه اسم « m » ، ويعتقدون أن هذا المصدر غالباً ما نشأ فى اليهودية أو فى أورشليم ، يدل على ذلك موقفه من اليهودية ، فهو ضد الفريسيين (٥ : ٢٠ و ٢٣) مع أنه يقدم رسالتهم إلى إسرائيل (١٠ : ٦) ، وعقيدته أن الإنجيل ليس ثورة ولكنه إصلاح ، وإكمال للقديم ، واليهودية . وذلك لكثرة الاقتباسات من العهد القديم .

٤ - وبالمثل يظهر الأمر مع لوقا البشير ، ففيه من المادة ما لا توجد فى أى إنجيل آخر . مثل قصة الميلاد وغيرها مما يصل إلى ٣٠ قصة و ١٤ مثلاً ومن ضمن الأمثلة : السامرى الصالح (١٠ : ٢٩ - ٣٧) ، صديق نصف الليل (١١ : ٥ - ٨) ، الغنى الغنى (١٢ : ١٣ - ٢١) ، شجرة التينة العقيمة (١٣ : ٦ - ٢٩) العشاء العظيم (١٤ : ١٥ - ٢٤) بناء البرج (١٤ : ٢٨ - ٣٠) ، سفارة قبل المعركة (١٤ : ٣١ - ٣٣) الحروف الضال ، الدرهم المفقود ، الابن الضال (١٥) الوكيل غير الأمين (١٦ : ١ - ١٣) الغنى واليعازر (١٦ : ١٩ - ٣١) قاضى الظلم (١٨ : ١ - ٨) ، الفريسي والعشار (١٨ : ٩ - ١٤) .

هذه كلها استقاهها البشير لوقا كما يقول العلماء من مصدر يطلقون عليه اسم « L » وفيه يظهر يسوع صديقاً للعشارين والخطاة ، ويظهر كنبى مع تلاميذه معتمداً على أصدقائه الأغنياء ، يعطى رسالة الاطمئنان والإيمان البسيط . ويعتقد هؤلاء العلماء أن هذا المصدر نشأ أولاً فى قيصرية .

مما سبق نستنتج أن هناك أربعة مصادر رئيسية وراء الأناجيل : المصدر الأول مرقس الثانى Q الثالث M والرابع L ، استقى منها البشيران متى ولوقا المادة التى فىهما ، وبهذا نستطيع أن نفسر الاتفاق الكبير ، وبعض الاختلافات التى بين الأناجيل الثلاثة . ولكن هذه النظرية ترفع أمامنا عدة أسئلة مهمة وهى :

١ - كيف نعرف أن مرقس قد كتب قبل متى ولوقا؟ وما هى البراهين على ذلك؟

٢ - هل يمكن أن يقتبس متى من مرقس إذا كان هو نفس متى تلميذ المسيح؟ وإلا فمن هو متى هذا؟

٣ - ألا تؤثر هذه النظرية على عقيدة الروحى .

يمكننا هنا أن نجيب على السؤال الثالث تاركين السؤالين الأول والثانى إلى أن ندرس الإنجيلين مرقس ومتى . أما بالنسبة لعقيدة الروحى فى الأناجيل الثلاثة فإننا نؤمن بكل يقين وثبات أن الروح القدس كان فعالاً وعملاً ومسيطرأ فى كتابة هذه الأناجيل ، وقد عمل بالكيفية التالية :

١ - أنه ذكر الرسل بما قاله المسيح سيدهم كما قال هو « وأما المعزى . الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا ١٤ : ٢٦) .

٢ - أنه يفسر ويكشف عن أمور لم يستطع المسيح أن يقولها للتلاميذ ،
لأنهم لم يكونوا في حالة يستطيعون فيها أن يفهموها ، منها مثلاً دخول الأمم
إلى الخطيئة ونوالهم الروح القدس ، ومنها عدم أهمية الناموس في الخلاص
وغير ذلك (يوحنا ١٦ : ١٢ - ١٥ ، أعمال ٨ : ١٤ و ١٥ ، ١٠ : ٤٤ -
٤٨ ، أفسس ٣ : ٥ - ٩) الخ .

٣ - أن الروح القدس هو الذي أرشد الكتاب المقدسين إلى انتقاء المادة
التي يكتبونها من بين المواد الأخرى (لوقا ١ : ١ - ٥٤ ، يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١)
٤ - الروح القدس أرشد الكنيسة في إعطاء الحكم الصحيح في الأمور
وعلمهم كيف يحسمون القضايا (أعمال ١٥ : ٢٨) .

بهذه الكيفية أرشد الروح القدس الكتاب المقدسين في كتابة الكتب
المقدسة في العهد الجديد كما فعل أيضاً في العهد القديم كما يذكر الرسول ذلك .

٣ - الفكر المشترك في الأناجيل

(لاهوت الانجيل الثلاثة الاول)

عرفنا فيما سبق أن الحقيقة واحدة ، ولكن الخبرة متنوعة ، فإذا كان
الأساس واحداً فإن البناء عليه متفرع وواسع . وهذا هو مجد الشهادة المسيحية
إنها ليست شهادة ميتة لشيء تاريخي مضى وانتهى ، ولكنها شهادة حية لحقيقة
حية قوية مؤثرة لأنها حقيقية : ومن عمل الله نفسه .

ولأن الأناجيل هي سجل هذه الشهادة المقدسة المتنوعة فهي ولا بد تحمل
تنوعاً ، ليس في المفاهيم الأساسية ، بل في التعبير عنها وتفسيرها ، ولكن
مع تنوع التفسير ، كما سنرى فيما بعد ، نجد أن خطأ واحداً وحقيقة واحدة
أساسية تملك هذه الكتب ، تبرز في كل صفحة وكل أصحاح منها . وعلينا
في الصفحات القادمة أن نبرز هذه الحقيقة لنعرف عمق الأساس الإلهي
للسهادة المسيحية المحيطة .

وتكمن هذه الحقيقة الإلهية في مجموعة من الاصطلاحات التي ترد كثيراً في الأناجيل ، اصطلاحات لها مدلولها ومضمونها ولكنها مع ذلك تنطوي كلها تحت حقيقة واحدة ومضمون واحد يجمعها كلها ، هذه الحقيقة هي ما يطلق عليها في الأناجيل ملكوت الله ، ولهذا يجب أن نعرف شيئاً عن هذا الملكوت ولكن ليس لدراسة شاملة عنه (لدراسة دراسة وافية إرجع إلى كتاب ملكوت الله للمؤلف) ولكن كاصطلاح جامع ، ففيه تكمن المفاهيم المشتركة بين الأناجيل الثلاثة الأولى .

ملكوت الله :

١ - إن أول ما يقابلنا في الأناجيل هو أن المسيح يسوع بكرازته بدأ عصرأ جديداً طال انتظاره ، ولقد فهم البشرون ذلك وأكدوه ، بل وفهمه كل كتاب العهد الجديد . وتطالعنا في دراستنا للأناجيل الشواهد التالية ، عندما يبدأ مرقس إنجيله يذكر « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » (مرقس ١ : ١) الإنجيل يعترف إذن بوجود شيء جديد له بدء .

وعندما يسجل كرازة السيد : يختصرها في جملة واحدة إذ يقول « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقرب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مرقس ١ : ١٤ و ١٥) أما البشير متى فيقول « من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقرب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧) .

وما يختصره متى ومرقس فإن البشير لوقا يذكره في حادثة مطولة وهي حادثة وعظ السيد في مدينته الناصرة ورفضهم لهذه الكرازة (لو ٤ : ١٦ - ٣٠) وفي هذه الكرازة قال المخلص بعد أن قرأ النبوة في المجمع « إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم » (عدد ٢١) .

١٧٧

(م. ١٢ - للدخول الى العهد الجديد)

ورلاحظ هنا أن الفعل « تم » هو نفس الفعل الذى يستخدمه البشير مرقس « كمل » . وهو يأتي من نفس الكلمة التى منها الاسم الذى يستخدمه الرسول بولس فى غلاطية ٤ : ٤ ولكن لما جاء ملء الزمان والمعنى الواضح البسيط هنا هو أن الزمان كان يسير إلى نقطة معينة ، يتطلع فيها الناس إلى شئ معين وعدهم الله به . هذه النقطة المحددة قد وصلت الآن ، وبدأ الإخبار عنها ، وفى مجيئ هذا الوقت المعين أو بعبارة الرسول بولس : « ملء الزمان » بدأ عهد جديد لم يعرفه التاريخ من قبل ، وقد ذكرنا من قبل أن كل البشيرين إلى جانب كل كتاب العهد الجديد كانوا يحسون ذلك ويعرفونه . وفى تصريحات السيد لتلميذى يوحنا المعمدان وتصريحاته عن يوحنا نفسه (متى ١٩ : ٢ - ١١ وما يقابله من الأناجيل الأخرى) وتصريحاته فى رده على انتقاد الفريسيين لتلاميذه عندما كانوا يقتطفون السنابل يوم السبت لياًكلوا (متى ١٢ : ١ - ٨) . فى هذه التصريحات الأخيرة يعلن السيد أن شيئاً جديداً قد جاء أعظم من الهيكل والسبت اللذين كانا يعتبران أعظم ما فى الوجود طراً ، لأنهما كما يقول اليهود كانا موجودين قبل خلق العالم كله . ويؤيد السيد هذه التصريحات أيضاً بإعلان واضح قاطع عندما يطوب التلاميذ إذ رأوا ما لم يره أنبياء وملوك من قبل (متى ١٣ : ١٠ - ١٧) . نعم إن عصرآ جديداً ونظاماً جديداً بدأ بمجيئ يسوع الناصرى .

٢ - لكن ما هو الاصطلاح الذى يعبر عن هذا العصر الجديد ؟ لقد ذكر كتاب العهد الجديد اصطلاحات عدة : منها الأيام الأخيرة (أعمال ٢ : ١٧ عبرانيين ١ : ٢ - ١ ، بطرس ١ : ١٨ - ٢٠) ، (الأزمنة) الخليقة الجديدة (غلاطية ٦ : ١٧ ، ٢ كورنثوس ٥ : ١٧) الحياة الأبدية : (يوحنا ١ : ٤ : ٣ : ٣٦ ، ١ يوحنا ١ : ٢ ، ٢ : ٢٥ ، ٣ : ١٤) أما فى الأناجيل الثلاثة

الأول فإن الاصطلاح الغالب جداً فيها فهو ملكوت الله أو ملكوت السموات .
وهذا ما كان ينادى به السيد عند بدء كرازته كما سبق وذكر .

ولكن ماذا يعنى هذا الاصطلاح ؟ إنه ليس اصطلاحاً جديداً قد صنعه
يسوع لأول مرة ، لكنه قديم يعرفه اليهود والعهد القديم نفسه وخصوصاً
الكتب الروية فيه ، إنه يحمل فى طياته معنى المكانية فيقال عنه « يدخل فيه »
(متى ٧ : ٢١) أو ليست بعيداً عن (مرقس ١٢ : ٣٤) ومعنى الزمانية
فيقال « اقرب » (مرقس ١ : ١٥) و « أقبل » (متى ١٢ : ٢٨) إلا أن
المعنى الأساسى والرئيسى فى هذا الاصطلاح هو « حكم الله وسلطانه » . هذا
ما تعنيه الكلمة العبرية والكلمة اليونانية . وهذا ما قصده كل كتاب الوحي
المقدس . ومع أن اليهود اهتموا بالكلمة الأولى أى « الملكوت » لكن الكتاب
المقدس بعهديه كان ينبر على « الله » نفسه ، أى أن هذا الملك مضاف إلى الله ،
إنه هو الذى يجريه . ولنلاحظ هنا أن متى البشير يستعمل فى أغلب الأحيان
إصطلاح « ملكوت السموات » مع أن مرقس ولوقا يستخدمان الاصطلاح
الثانى أى « ملكوت الله » ، ولكن هذا لا يغير من المعنى الذى ذكرناه ،
لأن اليهود حتى الذين صاروا مسيحيين منهم ، كانوا يستخدمون ألفاظاً أخرى
قصدها بها « الله » ، نظراً لأنهم كانوا يقدسون هذا الاسم تقديساً منعمهم من
نطقه ، من هذه الألفاظ السماء (لوقا ١٥ : ٢١) ، العظمة (عبرانيين ١ : ٣) ،
٨ : ١) الملك العظيم (متى ٥ : ٣٥) الحكمة (متى ١١ : ١٩ ، لوقا ٧ : ٣٥)
وهكذا ، ولهذا فلا يجوز أن نبنى عقائد متنوعة ومتناقضة طائفتين أن هذين
الاصطلاحين مختلفان .

٣ - هذا السلطان : سلطان الله - أو ملكوت السموات لم يكن أبداً
نظرية لاهوتية مجردة لا أساس لها فى الواقع ، كلا فهو دائماً حقيقة مجسمة

ملموسة دخلت الخبرة البشرية وعرفها الناس ولمسوها ، ولقد ظهرت في كمالها وأعظم نقاوتها في حياة وأعمال ورسالة يسوع الناصري . ولقد أعلنت الأناجيل الثلاثة هذه الحقيقة . فقد كانت معجزات السيد أول إعلان على ذلك ، ولقد وضع السيد ذلك في رده على الكتبة والفريسيين الذين أنهموه أنه ببعلزبول يخرج الشياطين ، ولكنه رد عليهم بقوله « . . . ولكن إن كنت أنا باصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله (متى ١٢ : ٢٨ ، لوقا ١١ : ٢٠) بمعنى أن هذه القوة هي قوة وسلطان وملكوت الله : ولهذا السبب لم يتعلق على أعمال يسوع العظيمة اسم المعجزات . فهذه كلمة لم ترد في العهد الجديد بالمرّة ؛ ولكن الكلمة الحقيقية التي تدل على هذه الأعمال هي كلمة « آية » ، ومع أن هذه الكلمة وردت ضمن ثلاث كلمات مترابطة وهي آيات وقوات ومعجائب (أعمال ٢ : ٢٢) لكن كلمة آيات أو آية هي الكلمة الفنية للتعبير عن أعمال يسوع . وكلمة آية تعني « علامة » ، فالآية علامة على شيء جديد أو إعلان عن حقيقة دخلت إلى الخبرة البشرية ، وآيات يسوع هي إعلان على أن ملكوت السموات قد أقبل .

ولم تكن آيات يسوع فقط ولكن كانت تعاليمه أيضاً هي الإعلان الكامل عن ملكوت الله ، ففي الموعدة على الجبل يظهر ملكوت الله في مقابل الناموس ، وعندما كان يعلم بأمثال عن ملكوت الله كان يفسرها لتلاميذه فقط وقال لهم « قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء » (مرقس ٤ : ١١) ، فتعاليم السيد من أمثال ووصايا وغير ذلك كانت كشفاً وتوضيحاً لملكوت السموات ، وشرحاً للسلوك الإنساني عندما يخضع تحت نير الملكوت .

لكن الأمر يتعدى ذلك ، فالمهم ليس فقط مضمون التعاليم بل إعطاء

التعاليم نفسها ، فالسيد علم ولكن ليس ككل إنسان ، موقفه لم يكن موقف
 أى واحد من معلمى الناموس ، لأنه لم يكن واحداً منهم ، وقد أحست
 الجموع بذلك وعرفت الفرق المذهل بينه وبينهم ، ولذلك دهشوا « لأنه
 كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » (مرقس ١ : ٢٢) فالتعليم
 أيضاً كان تعليم من له السلطان ، ولهذا السبب ربط الناس أيضاً بين التعليم
 وبين إخراج الشياطين ، ولهذا قال الناس « ما هذا ، ما هو هذا التعليم الجديد
 لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه » (مرقس ١ : ٢٧) .
 فالتعليم أيضاً كان بسلطان هو سلطان الملوكوت . ولكن سلطان الملوكوت
 تجسم فى السيد ليس فقط فى معجزاته وتعاليمه ولكنه أعلن أيضاً فى أمر مهم
 جداً وهو غفران الخطايا . وهذا اتضح فى قصة المفلوج الذى أتى به أربعة
 (مرقس ٢ : ٣ - ١٢) ، فبدلاً من أن يأمر المرض مباشرة ليزيله فيريح
 هذا الإنسان ، نظر إليه وقال له « يا بنى ، مغفورة لك خطاياك » (عدد ٥)
 ولما تدمر القريسيون والكتبة متهمين إياه فى قلوبهم بالتجديف ، نظر إلى
 المريض ثم إليهم وقال « ولكن لى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض
 أن يغفر الخطايا . » (عدد ١٠) ثم أمر المفلوج أن يحمل فراشه ويذهب
 إلى بيته ، وكان هذا دليلاً على أنه يستطيع أن يغفر الخطايا . ونرى هنا أيضاً
 أن هذا السلطان ارتبط بعمل المعجزات فعلافة غفران الخطايا هى إعطاء هذا
 المفلوج المسكين شفاء كاملاً .

وهناك حادثة أخرى ظهر فيها سلطان يسوع سلطاناً كاملاً ، وهى
 حادثة إخراج الباعة من الهيكل وتنظيفه من التجارة المهينة التى كانت تدار
 فيه باسم الدين (متى ٢١ : ١٢ - ١٧ ، مرقس ١١ : ١٥ - ١٩ ، لوقا
 ١٩ : ٤٥ و ٤٦ ، يوحنا ٢ : ١٤ - ١٧) ، والشئ المهم فى هذه القصة
 هو أن اليهود أنفسهم عرفوا أن هذا العمل لم يصدر عبثاً ولا عفواً ، ولكنه

عمل يتسم بسلطان خاص ، ومع ذلك لم يعرفوا ولم يفهموا هذا السلطان فجاءوا إليه يسألونه « بأى سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا (مرقس ١١ : ٢٨) فأراد يسوع أن يقودهم إلى الطريق السليم ويعرفهم نوع السلطان عن طريق شهادة يوحنا له ، ولكنهم رفضوا أن يجابوا ، فرفض هو أن يجيب على سؤالهم ، لأنهم أظهروا عدم استعدادهم للفهم وكان في موقفهم قدر كبير من العناد .

هذه هي بعض مناطق السلطان التي أظهرها يسوع في حياته كمجسم كامل لملكوت الله .

٤ - ويمكننا أن نفهم من تجسيم السيد لملكوت الله في حياته وعمله ورسالته الدور الحاسم الذي يقوم به ملكوت الله ، هذا الدور يتلخص في عمليتين الدينونة والخلاص .

أما الدينونة فقد ظهرت في أمرين قام بهما السيد أولا : المقابلة الهامة التي وضعها بين رسالته ورسالة الناموس : وهذا يتضمنه قوله : سمعتم أنه قيل للقدماء . . . أما أنا فأقول لكم (متى ٥ : ٢١ و ٢٧ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٨) ، والدينونة هنا لا تعني الحكم بالفساد ، لكن الحكم بعدم الكمال . إن الناموس إلهي المصدر ، ولكن الله أعطاه لجماعة ناقصة فلم يكن للناموس قدرة على أن يخلصهم ، فجاء الملكوت الكامل ، أو السلطان الكامل الذي يستطيع أن يفعل ذلك فظهر عدم كمال النظام القديم . ولقد استطاعت الكنيسة الأولى أن تفهم رسالة السيد معرفة حقيقية ، ونذكر في هذا المجال الرسول بولس وكتب الرسالة إلى العبرانيين فكلاهما عرفا المعنى الحقيقي لرسالة المسيح ، وكلاهما عرفا أن القديم قد انتهى بظهور ملكوت الله مجسما فيه (غلاطية ٤ : ٢١ - ٣١ ، ٥ : ١ - ١٢ ، عبرانيين ١ : ١ - ٤ ، ٣ : ١ - ٦ ، ٥ : ١ - ١١ ، ٧ : ١١ ، ٨ : ٧ - ١٣) .

أما الأمر الثاني الذي ظهرت فيه الدينونة فهو تنظيف الهيكل كما سبقت الإشارة ولكن في هذا العمل اختلف معنى الدينونة ، فهي لم تكن لإظهار عدم الكمال بل لإظهار الفساد والشر والخطيئة ، هذه الخطيئة كامنة في الناس أنفسهم ، لقد أفسدوا أنفسهم ثم أفسدوا الغرض والهدف من عطايا الله التي وهبت لهم كعطية الهيكل مثلاً ، وكانت دينونة السيد عليهم شديدة قاسية . وليس عليهم فقط بل على تلك الهبة الثمينة وهي الهيكل ، إذ قال لهم « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (متى ٢٣ : ٣٨ ، لوقا ١٣ : ٣٥) . وتعتبر الأصحاحات الثلاثة الأولى من رسالة الرسول بولس إلى رومية تفسيراً مفصلاً على هذه الدينونة الرهيبة إذ فيها أعلن غضب من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم سواء أكانوا يهوداً أم أممًا .

أما الدور الثاني لرسالة الملكوت فهو الخلاص ، وهذا الخلاص الذي يقوم به السيد يشمل كل ملكات وقوى الإنسان ، فهو ينصب على الخلاص من الخطيئة وذلك عندما قال للمفلوج « مغفورة لك خطاياك » (مرقس ٢ : ٥) وعندما خلصهم من الأرواح النجسة وكل قوات الشر ، وعندما خلص أجسادهم من المرض ومن الإرهاق ، وهكذا قال هو « كل شيء قد دفع إلى من أبي . . . تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم ، احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأنني نيري هين وحملتي خفيف » (متى ١١ : ٢٥ - ٣٠) . فالسلطان الذي أعطيه للخلاص وفداء الإنسان كله .

ويلاحظ هنا أن هذين الأمرين الدينونة والخلاص ليسا منفصلين بعضهما عن بعض بل هما في الحقيقة دورين لعمل واحد أو وجهين لصورة واحدة ، فهو عندما يحكم على القديم بأنه غير كامل فلكي يكمله ، ويتمم الهدف الذي

جاء من أجله « ما جئت لأنقض بل لأكمل » . (متى ٥ : ١٧) ، وإن كان قد قال لليهود إن بيتهم يترك لهم خراباً ولكنه يكمل قوله لهم « لأنى أقول لكم إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » (متى ٢٣ : ٣٩) وهذا أيضاً ما عبر عنه الرسول بولس إذ بعد أن حكم بأن اليهود والأمم قد أخطأوا « الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا أحد » (رومية ٣ : ١٢) يقول بعد ذلك « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس . . . بر الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون . . . » (٢١ - ٢٣) . فبعد الدينونة جاء الخلاص ، ليس فقط تتابعاً زمنياً ولعلهما مرتبطان ارتباطاً عضوياً ضرورياً لأنهما معاً في مشروع الفداء الإلهى العظيم .

هذا الملكوت الذى جسده المسيح كان ملكوتاً حاضراً ، بمعنى أن عمله ظهر بين الناس. نعم إنه الملكوت الأسمائولوجى ، لكنه هو الذى يظهر فى هذه الأيام . وجزء كبير من تعاليم السيد تعلن هذه الحقيقة إعلاناً وافياً . فعندما أرسل يوحنا تلاميذه إلى يسوع ليسأله هل هو الآتى أم ينتظرون شخصاً آخر ، يقول السيد « اذهبوا وقولوا ليوحنا العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فى » (متى ١١ : ٥ و ٢٦ ، لوقا ٧ : ٢٢ و ٢٣) . هذا القول يربط مجموعة من الأقوال التى ينطق بها إشعياء فى مواضع مختلفة إشعياء ٣٥ : ٥ - ٧ ، ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ٦٦ : ١ و ٢) وفيها يعلن النبى وقت مجئ الخلاص وما يحدث فيه ، وهذا قد تممه الرب يسوع ، وأعلن بقوة أن وقت الخلاص قد جاء وسلطة الله قد تحققت فى خلاص الناموس .

ولقد أعلن السيد هذا أيضاً فى وطنه عندما بشرهم فى المجمع وقال لهم إن

« اليوم قد تم هذا المكتوب بينهم » (لوقا ٤ : ١٦ - ٢١) بمعنى أن أمام هؤلاء وتحت بصرهم وفي آذانهم قد تم وعد الله والمكتوب .

وزرى ذلك أيضاً في حوار المسيح مع الفريسيين بخصوص عدم صيام التلاميذ وإعلانه أمام الجميع أن هذه الأيام هي أيام العريس ، وأنهم لا يستطيعون أن يصوموا ما دام العريس معهم (مرقس ٢ : ١٨ و ١٩) .

ويعلن أن وقت الحصاد قد جاء حيث يفرح الناس ويستريحون من الأتعاب ومن الانتظار الممل (يوحنا ٤ : ٣٥ ، مرقس ٤ : ٨ ، متى ٩ : ٣٧ و ٣٨) . بل وأن الخمر الجديدة الآن موجودة ولا يمكن أن توضع في زقاق عتيقة . إن خمر ملكوت السموات هو وقت الخلاص (مرقس ٢ : ٢٢) .

هذه عينة من الأقوال والإعلانات التي فاه بها السيد ليعلن أن ملكوت الله الذي قد جسسه وهو حاضر ويقوم بعمله الفدائي العظيم بين الناس ، أن الله قد أعلن نفسه فادياً في سلطان غالب ومنتصر في يسوع الناصري . ولكن ليس هذا نهاية المطاف ، وهذه الحقيقة السامية لا تعلنها فقط تعاليم السيد بل أعماله أيضاً . ومن أهم الأعمال التي قام بها السيد لإخراج الباعة من الهيكل ، وكان هذا العمل إتماماً لما يقوله زكريا « وكل قدر في أورشليم وفي يهوذا تكون قدساً لرب الجنود ، وكل الذابحين يأتون ويأخذون منها ويطبخون فيها . وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كنعاني في بيت رب الجنود » (زكريا ١٤ : ٢١) ، الكلمة كنعاني تترجم تاجر ومع هذه الترجمة يستقيم المعنى ، لأنه في الحقيقة والواقع أن الكنعاني غير موجود أصلاً في الهيكل ، ولكن التجارة موجودة خاصة بعد أن أصبح كثير من الذين يزورون - الهيكل من يهود الشتات يحتاجون للمقايضة والشراء . وإذا كان هذا الرأي صحيحاً وهذه الترجمة هي التي يستقيم معها المعنى ، فإن يسوع بعمله هذا يعلن أن الهيكل ينظف لأن

وقت الدينونة والخلص قد جاء . هناك عمل آخر قام به السيد وهو أنه تعامل مع الأمم وقدم خدماته لهم ففي مرقس ٧ : ٢٤ - ٣٠ يشفي ابنة المرأة النينيفية بعد أن يدخل في ديار الأمم وفي متى ٨ : ٥ - ١٣ ، لوقا ٧ : ١ - ١٠ يشفي ابن الرجل العسكري ويقول في كلتا الحالتين « إنه لم نجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا » يقول السيد ذلك في الوقت الذي يعلن فيه أنه لم يأت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة ، لأنه بعمله هذا يعلن أن الأمم أيضاً يدخلون الملكوت في آخر الأيام ، كما يقول في متى ٨ : ١١ و ١٢ « وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات ، أما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ، نعم هذا هو اليوم الذي فيه أعلن الرب قبول الأمم في ملكوت السموات . هكذا يعلن المسيح في تعاليمه وأعماله أن فجر الخلاص قد جاء وأن ملكوت الله قد أعلن في التاريخ .

لكن ليست هذه هي كل الحقيقة ، أن هناك وجهاً آخر للملكوت السموات الذي ظهر وأعلن ، هي المستقبلية ، بمعنى أن هذا الملكوت سيأتي بقوة ومجد بهاء في زمن يعرفه الله .

وهناك مجموعة من الأقوال والتعاليم التي تبين أن الملكوت سيعلم بقوة في المستقبل . ولقد أنذر يسوع تلاميذه بذلك إذ يقول لهم « وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يدوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة (مرقس ٩ : ١) . وأياً كان تفسير هذا القول فإن الواضح فيه أن يسوع يعلن أن الملكوت في المستقبل وسيأتي بقوة ، أما موعد ذلك فلا يعرفه إلا الله وحده . ويؤيد ذلك عندما يضع ملكوت الله في مقابل جهنم النار . «وإن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن

تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار» (مرقس ٩ : ٤٧) . ويظهر ذلك أيضاً في وصفه لمشهد الدينونة العظيم في متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ في هذا مجده المشهد يظهر ابن الإنسان الملك (ع ٤٠) آتياً في مجده ثم يجلس على كرسي (ع ٣١) ثم يعلن عن الجزاء الصالح الذي يناله الأبرار فيقول : «رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم (ع ٣٤) . وهكذا نرى أن منظر الدينونة الأخيرة هو نفسه مجيئ الملك بقوة في ملكه وملكوته . وإلى جانب ذلك يصف مرقس يوسف الراعي على أنه « مشير شريف وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله» (مرقس ١٥ : ٤٣) . مع أن متى يصفه بأنه كان تلميذاً ليسوع (٢٧ : ٤٧) أما لوقا فيقول عنه وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً . . . وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله (٢٣ : ٥٠ و ٥١) . ويلوح لنا من ذلك أن هؤلاء التلاميذ الذين كانوا مختفين بسبب الخوف من اليهود كانوا ينتظرون ملكوت الله يأتي بقوة في المستقبل . ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بناء على تعاليم السيد نفسه . بقى هناك قولان يعلن فيهما السيد هذه الحقيقة : الأول عندما كان يقوم برسم فريضة العشاء الرباني إذ يقول الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حيناً أشربه جديداً في ملكوت الله ، (مرقس ١٤ : ٢٥) ومقابله متى ٢٦ : ٢٩ ، لوقا ٢٢ : ١٨ ، ولعل البشير لوقا يضيف قولاً آخر عن الفصح ، لأنى أقول لكم إنى لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله (لو ٢٢ : ١٦) . أما القول الأخير فيظهر في الصلاة الربانية عندما يعلم تلاميذه أن يصلوا قائلين « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠ ، لوقا ١١ : ٢) . ويؤيد ذلك أيضاً طلبه « خبزنا كفافنا » خصوصاً إذا فسرناها على أنها « خبز الغد » أى ذلك الخبز الذى سوف نأكله في ملكوت السموات .

هذا كله يبين لنا أن الملكوت الله - كما ظهر في تعاليمه وأعماله وإرساليته

السيد ، وجهتين : وجهة حاضرة وهي التي تحققت بمجيئه ووجهة مستقبلية حينما يأتي بقوة ومجد .

٦ - لكن هناك عنصر آخر هام في تعاليم يسوع عن ملكوت الله وهو أن مطالبه من الإنسان الذي يقع في دائرته مطالب مطلقة ، لا يمكن فيها أى شئ من النسبية . وتتضح هذه المطالب المطلقة في أمرين أو في دائرتين : الدائرة الأولى تتعلق بقبول الملكوت نفسه ، بمعنى أن الإنسان الذي يريد أن يقبل ملكوت السموات ، عليه أن يعتبره ليس فقط من أعظم الأشياء في حياته ، بل أنه الشئ الوحيد العظيم الذي لا يمكن أن يستبدل بشئ آخر . ويظهر هذا الأمر في تعاليم السيد عنه في مثلين مهمين جداً وهما مثل الكنز الموجود في حقل ثم مثل اللؤلؤة كثيرة الثمن (متى : ١٣ : ٤٤ - ٤٦) : في هذين المثلين إنسان وجد الكنز مخفي في حقل ، ذهب وباع كل ما يمتلك واشتراه لكي يحصل على الكنز ، وفي مثل الرجل التاجر الذي وجد لؤلؤة ثمينة فباع كل ما يمتلك واشترى تلك اللؤلؤة . لم يكن هناك وسط ولا مساومة : إما هذه وإما تلك ، فملكوت الله يضحى من أجله بكل شئ .

وإذا كان يسوع يجسم ملكوت الله ، ومطالبه من الإنسان هي نفسها مطالب ملكوت السموات فلنقرأ ما يقوله للرجلين اللذين أرادا أن يتبعاه ، ولكن .. (لوقا ٩ : ٥٩ - ٦٢) .

لقد كانت أوامره صريحة ، أن من يضع يده على المحرث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات ، وكان تفسيره لذلك هو قوله الكريم لتلاميذه عند الإرسالية « من أحب أباً أو أمّاً أكثر منى فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقني ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني ومن وجد حياته يضيعها ومن أضيع حياته من أجلى يجدها (متى

١٠ : ٣٧ - ٣٩) ، ولعل هذا الموقف هو ما دفع الشاب الغني ألا يقبل ملكوت الله ، مع أن يسوع نظر إليه وأحبه إذ رأى إخلاصه في طلبه ، واكتنه لم يستطع أن يعرف أن ملكوت الله هو الخير الأسمى الذي يضحى من أجله بكل شيء (مرقس ١٠ : ١٧-٢٢) هذا ما جعل بطرس يقول يا سيد هاتحن قد تركنا كل شيء وتبعناك (مرقس ١٠ : ٢٨) .

من هذا كله نعرف أن مطالب ملكوت السموات هي الكل وإلا فلا . لا وسط بين العالم وبين الملكوت ؛ ومن يقبله فعليه بأن يضحى بكل شيء من أجله وإلا فلن يستحقه وسوف يفقده ويفقد كل شيء . ليس ذلك فحسب بل أن مطالب الملكوت الأخلاقية وإن شئت فقل السلوكية هي الأخرى مطلقاً . ولعل الموعدة على الجبل هي أعظم مثل على ذلك ، فهي لا تمنع فقط من القتل بل أنها تشجب كل كلمة قاسية (متى ٥ : ٢١ و ٢٢) . وأما الموعدة التي تطلب من الشخص ألا يقدم ذبيحته وصلاته إلا إذا اصطاح مع أخيه (متى : ٢٣ و ٢٤) . إنها تشترط محبة الأعداء و مباركة الذين يلعنون . والسير ميلين مع من يسخر المؤمن ميلاً واحداً (٥ : ٣٨ - ٤٣) ولقد جاء بطرس إلى سيده يخبره أنه فعل المستحيل عندما سامح أخاه سبع مرات ، ولكن السيد يقول له « لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات (متى ١٨ : ٢٢) ولقد حيرت هذه المطالب الأخلاقية الدارسين فوضعوا تفسيرا كثيرة لها ، فقال بعضهم إن هذه المطالب عادلة لأنه إذا عملها الشخص فسيتال ملكوت السموات وهي أعظم هبة . ولكن هذا التفسير سخايط لسبب واحد وهي أن هذه المطالب لم تطلب ممن هم خارج الملكوت

بل ممن قبلوها ، إن الملكوت هبة وليست سلعة تشتري ، مجموعة من الأعمال الصالحة مهما كان سموها .

وقال بعضهم إن هذا النوع من السلوك لم يقصد به هذا العالم الحى الذى نعيشه ، ولكن العالم الآخر - العالم المثالى ، ولكن هذا التفسير لا يتذكر أن الأعمال التى يطلبها الملكوت من الشخص هى الميزة لهذا العصر المملوء بالخلف والكذب والقتل والطلاق والسخرية . . إلخ .

وغير ذلك من الآراء كراى ألبرت شوينزر الذى كان يظن أن يسوع قال الموعظة على الجبل ليسلك فيها منتظرو الملكوت فى المدة القصيرة الباقية لظهوره ، أو رأى ردولف هولمان الذى يقول إن هذه التعاليم تعكس شيئاً واحداً ودو جديدة طلب المسيح أن تكون مع أو ضد الله .

ولكن هذه الموعظة على الجبل تعكس الحياة التى يجب أن يظهرها أولاد الملكوت فى رسالة الملكوت كما يقول ديفيز « لها قطبان الأول هو منحها للإنسان مغفرة ورحمة ومحبة غير محدودة نعم فحبة المسيح تنسكب فى القلوب فتظهر فى حياة أبناء الملكوت .

لكن هذا الملكوت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإعلان السامى الذى أعلنه يسوع عن أبوة الله .

فعندما تتكلم الأنجيل عن ملك الله ، وأن السلطة له هو وأنه هو مطلق السلطان ، فإنها تظهر أن هذا الملك هو أيضاً الآب ، وأبوة الله مفهوم أساسى فى الأنجيل ، وقد ارتبط المفهومان معاً فى كلام يسوع فى أمكنة كثيرة ، فى الصلاة الربانية علم التلاميذ أن يقولوا « أبانا الذى فى السموات . . ليأت ملكوتك » (لو ١١ : ٢) . ثم هو يظمن التلاميذ يقول لهم « لا تخف أيها

التطبيع الصغير لأن أباكم سر أن يعطيكم الملكوت (لو ١٢ : ٣٢) . ثم يقول لهم ساعة العشاء الرباني « وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً » (لوقا ٢ : ٢٩) . في هذه الأعداد نجد أن الملك هو نفسه الآب وأنه عندما تمنح السلطة للمسيح أو لشعب المسيح فإنه يمنحها كأب وهذه الحقيقة واضحة في كل الأناجيل .

ولكن ما هو مفهوم يسوع عن أبوة الله :

إن الإعلان الواضح الذي نجد فيه هذا المفهوم صريحاً وكاملاً يكمن في الاصطلاح الذي استخدمه يسوع : ومع أن اليهود استخدموا كلمة الآب ، والعهد القديم أيضاً استخدم كلمة الآب عن الله لكن ما أوسع الشقة بين المفهومين : مفهوم يسوع ومفهوم من سبقوه سواء أكان العهد القديم أم اليهودية بشقيها : يهودية فلسطين أم يهودية الشتات . ونظرة واحدة على العهد القديم واليهودية توضح لنا ذلك . ففي (إشعيا ٦٣ : ١٦) « فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل . أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك . وبالمثل في إرميا ٣ : ٤ . « ألسنت من الآن تدعيني يا أبي أليف حباي أنت » . وفي زبور ٨٩ : ٢٦ حيث يقول عن الملك « هو يدعوني أبي أنت ، إلهي وصخرة خلاصي » . في هذه كلها يطلق على الله لقب آب ، ولكنها ليست في صيغة المخاطب بل في عبارة خبرية . إنها ليست في صيغة المنادى ، وهذا كما سنرى سر اختلافها وتختلفها عن مفهوم يسوع عن الآب .

أما في اليهودية فإننا نجد في كتب الأبوكرينا وغيرها بضعة شواهد حيث ينادى الله بلقب الآب ، ولكنها متأثرة بالأدب اليوناني : أما في يهودية فلسطين فكانت هناك بعض الصلاة التي فيها يخاطب الله بالآب ، ولكنها كانت متأخرة ظهرت في أوائل عهد المسيحية ثم أنها لم تكن صلاة فردية .

شخصية ولكنها كانت صلاة جماعية تقال في المعابد في وقت العبادة فقط .
ولهذا لم تكن ترقى إلى مفهوم يسوع عن أبوه الله .

فإذا إذن يميز مفهوم المسيح في أبوه الله عن سائر الذين سبقوه ؟ يميزه
أمران هامان :

الأمر الأول : هو اللفظ نفسه الذي استخدمه السيد وهو لفظ «أبا»
وهي الكلمة الأرامية التي ترجمت إلى الآب أو أبها الآب أو تركت هكذا
دون أن تترجم إلى اليونانية (مرقس ١٤ : ٣٦) . وكانت هذه الكلمة غريبة
جداً على مسامع اليهودي إذا كانت تطلق على الله وينادى بها من شخص ما ،
مهما كان . إنها الكلمة التي كان ينادى بها الطفل الصغير والده ، ولكن أن
يطلقها يهودي يخاف الله على إلهه فهذا لا يمكن أن يخطر على بال إنسان .

أما الأمر الثاني : الذي اختلف فيه يسوع عن بقية اليهود هو أنه استعملها
في صلواته الشخصية ، إنها ليست تعليم ولكنها صلاة . لقد عرفنا أن كل
العبادات التي فيها تطلق على الله لقب الآب كانت عبارات خبرية ، ولم
يخاطبه أي شخص بمفرده على أنه أبوه هو ، ولكنها وردت في صلاة العبادة
لتدل على أبوة الله للشعب ، أما يسوع فكان أول من مخاطب الله في صلواته
الشخصية بكلمة يا أبا . وهذا العمل يدل على الصلة العميقة جداً بين يسوع
والآب السماوي . إنه تكلم إلى الله كإبن يتكلم إلى أبيه (متى ١١ : ٢٥) .
مرقس ١٤ : ٣٦ ، يوحنا ١١ : ٤١) .

ولكن عندما نذكر ذلك يجب أن نتذكر أمرين في غاية الأهمية ،
الأول أن هذه الحقيقة الكتابية الواضحة جعلت بعض الدارسين يعتقدون
أن يسوع استخدم لغة الأطفال الصغار في مخاطبته للآب ، لكن هذا
ليس الحق كله ، فإن الأبناء البالغين والكبار في السن كانوا يستخدمون لغة

أبا عندما كانوا يخاطبون والديهم . وهذا يعني أن يسوع عندما يستخدم هذه الكلمة كانت في فمه كلمة مقدسة ، وعندما أمر تلاميذه ألا يدعوا أحداً على الأرض « أبى » (متى ٢٣ : ٩) : فلم يكن يمنعهم من مخاطبة والديهم الجسدانيين كذلك ، ولكنه يمنعهم من إطلاق الإسم على أناس عظام في الهيئة الاجتماعية : فهذا يفسد الكلمة ويجعلها غير لائقة بالله .

١٠. الأمر الثالث : فإن هذه الكلمة تبين السر العظيم في إرسالية يسوع نفسه ففي متى ١١ : ٢٧ ، يوحنا ١ : ١٨ ، ١٠ : ١٥ ، يصرح بنفسه أنه هو وحده الذى يعلن الآب ، لأنه وحده الذى يستطيع ذلك . إن الله بالنسبة له هو الآب الذى له به علاقة سرية لا يدركها العقل البشرى ، ولا يستطيع أحد غيره أن يحوز تلك الخبرة الإلهية . فالآب السماوى يجب الإبن والإبن وحده يعرف الآب ، ولهذا فهو يستطيع أن يعلنه للناس إعلاناً حقيقياً عميقاً — لا أحد سواه .

والأنجيل تعلن أيضاً عن الطريقة التى أعلن بها السيد الآب السماوى للناس . وهناك حقيقتان واضحتان في هذا الصدد ، لا يمكن أن يغفلهما أى دارس . الحقيقة الأولى : أن يسوع لم يعظ عن أبوة الله لكل الناس ، إنه لم يتكلم عنها علناً ، فثلاً نجد أن المرات الأربع التى يذكرها مرقس عن حديث يسوع عن الآب لم تخرج عن دائرة التلاميذ . (مرقس ٨ : ٣٨ ، ١١ : ٢٥ ، ١٣ : ٣٢ ، ١٤ : ٣٦) . وما يقابل ذلك في الأنجيل الأخرى . هذا يعلمنا أن أبوة الله لدى يسوع لم تكن نظرية أو قضية لاهوتية يبحثها مع اليهود وروؤسائهم لكن يقنعهم بها ، ولكنها كانت اختياراً عميقاً لا يذكره إلا للخاصة . جداً من التلاميذ لتقويتهم وقيادتهم في حياتهم سواء في أوقات الحاجة أو الضيق أو غيرها . ويرتبط مع هذه الحقيقة أمر آخر هو أن يسوع لم يتكلم

١٩٣

١٣ - المداخل الى العهد الجديد.

علناً عن الآب السماوى ، وبكيفية تعليمية واضحة إلا بعد حادثة قيصرية
فيلبس (متى ١٦ : ١٣ - ٢١ : ٨ ، مرقس ٢٧ : ٣٠ ، لوقا ٩ : ١٨ - ٢١) .
ولقد كانت هذه الحادثة فاصلة في حياة التلاميذ ، فبعدها تغيرت تعاليم
السيد وتعمقت إعلاناته لهم . ونلاحظ قبلها ، أى قبل اعتراف بطرس به
- نائباً عن التلاميذ - أن السيد كان يتطلب من التلاميذ أن يفهموا ويفتخروا
بعيوتهم وآذانهم لعلهم يعرفون ، لأن قلوبهم كانت غليظة (مرقس ٦ : ٥٢ ،
مرقس ٨ : ١٥ و ١٧ و ١٨) .

أما بعد هذا الاعتراف فقد تغير مطلب السيد منهم وصارت وصيته لهم
تنصب على إنكار الذات وحمل الصليب (مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٨) ،
وخدمة الآخرين فى تواضع (مرقس ٩ : ٣٥ - ٣٧) ، وأن يعيشوا فى
نقاوة وقداسة (٩ : ٤١ - ٤٥) وهكذا ، أى أنهم بعدما عرفوه من هو
أعلن لهم كيفية التكريس الكامل لشخصه ولسالته ، وهذا يختلف كثيراً عما
كانوا عليه قبل الاعتراف . وعلى هذا الأساس ، عندما بدأت أعينهم تنفتح
أضحوا مؤهلين أن يعرفوا بل ويحترروا شيئاً من عمق الشركة مع الله الآب
فبدأ السيد يتكلم لهم بوضوح عن الآب كاختبار عميق له .

أما الحقيقة الثانية : فهى أن يسوع عندما كان يعلم عن أبوة الله لم يكن
يعنى الأبوة العامة له ، بمعنى أن يسوع قصر اختبار أبوة الله على جماعة
خاصة ، وهذا يظهر فى صلاته هو فهو يعلن أن الله أبوه هو (متى ١٠ : ٣٢ و
٣٣ ، ١١ : ٢٧ ، ١٥ : ١٣ . . . إلخ) وعندما يكلم تلاميذه يقول لهم
أبوكم (متى ٦ : ١٤ و ١٥ ، لوقا ٦ : ٣٦ ، مرقس ١١ : ٢٥ ، إلخ) فليس
هناك أبوة ولا بنوية عنده بالطبيعة ، بل من يريد لها فعليه أن يخضع له ويؤمن
بالابن نفسه (يوحنا ١ : ١٢) . ثم أن ما يقوله يوحنا وخاصة فى يوحنا

١٤ : ٦) ليس أحد يأتي إلى الآب إلا من قبل الروح القدس .
ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له « متى ١١ :
٢٧ ، لو ١٠ : ٢٢) . ولعل الرب كان يقصد نفس المعنى عندما يقول
لتلاميذه . « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت
السموات » (متى ١٨ : ٣) . فهو لم يقصد البساطة والتواضع فقط ، ولكنه
كان ينبر بالأكثر على أنه إن لم يأت الإنسان إلى المسيح في إيمان حتى يصبح
ابناً للآب السهاوى فلن يتمكن أن يرث الملكوت ولا أن يدخل فيه . فهذا هو
الشرط الأول لقبول الملكوت هو قبول أبوة الله ، وما لم يتعلم الإنسان أن
ينطق يا « أبأ » فهو ليس مستحقاً ولا مستعداً أن يدخل ملكوت السموات .

٨ - أما ما يكمل هذه الصورة التي نراها في الأناجيل الثلاثة عن ملكوت
الله فهو مركز المسيح ، في هذا الملكوت . فاذا تقول الأناجيل عن هذا الأمر؟
إن الأناجيل تكشف عن هذا الأمر لا في عقيدة محددة مصنوعة بل في
مجموعة من الألقاب الخاصة التي يسمي بها يسوع الناصري . فاسم العلم له هو
يسوع (متى ١ : ٢١) ، أما باقي الأسماء فهي ألقاب أعطيت له أو تبتناها هو
لكي تكشف عن شخصيته ورسالته ومركزه بالنسبة لملكوت الله . ويلاحظ
هنا أن كل هذه الألقاب مأخوذة من العهد القديم ومدلولها الأصلي موجود
هناك ، ولكن رغم ذلك ففيها عنصر أساسي جديد وضعه فيها السيد نظراً
لرسالته الجديدة المحيية ، وسندرس هذه الألقاب متدرجين من الأسماء التي
يلمح إليها أو تذكر قليلاً ، إلى تلك التي لأهميتها الكثيرة تمتلك الصورة كلها .
ابن آدم ، ابن إبراهيم :

لقد ظهر ارتباط السيد بهذين الشخصيتين في الأنساب التي ذكرها لوقا :
ومتى . فقد أرجع لوقا نسب السيد إلى آدم ماراً بإبراهيم (لوقا ٣ : ٢٣-٣٨) .

ويلوح أن البشير وهو يكتب إلى الأمم أراد أن يبين عمومية السيد وعمومية رسالته فأرجع نسبه إلى آدم ، إنه أصبح لحمًا من لحمنا وعظمًا من عظمنا فهو الأخ البكر للجميع ، نعم إننا لا نجد هذا اللقب في الأناجيل ، ولكننا نراه بوضوح في قصة التجربة في البرية وخاصة في إنجيل مرقس ١ : ١٢ و ١٣ : حيث يظهر المسيح في البرية منتصراً على التجربة حيث سقط آدم الأول . أما متى البشير فإنه ينبر على نسب يسوع من إبراهيم لأنه يقف في الأنساب إلى حد إبراهيم . وهو يفعل ذلك نظراً لأنه يكتب إلى اليهود الذين صاروا مسيحيين بل ويهود عامة لكي يظهر أن هذا المسيا هو من هذه الشجرة الطبيعية المقدسة . وهذا ما أظهره الرسول بولس في رسالة غلاطية حيث يبين أن اسرائيل الجديد يرجع إلى إبراهيم أبي المؤمنين أيضاً ، وأن الموعد الذي قيل فيه وفي نسله كان يقصد به المسيح نفسه ، فمجيء المسيح من نسل إبراهيم لكي يتم وعد النسل المقدس الذي به تبارك جميع قبائل الأرض (غلاطية ٣ : ١٥ - ١٨ أنظر رومية ٤ : ٩ - ١١) .

نبي :

عندما تنسب الكنيسة الأولى هذا اللقب إلى المسيح في قول بطرس « فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقم لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون في كل ما يكلمكم به » (أعمال ٣ : ٢٢ أنظر ٧ : ٣٧) ، لا بد أنها سمعت قبل هذا من المسيح نفسه . وهذا حق لأن السيد كان ينسب إلى نفسه عمل النبي في ملكوت الله . ولقد ذكر ذلك مرقس ٦ : ٤ « ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته » وفي لوقا ١٣ : ٣٣ « بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم » . وإلى جانب تصريحاته هذه توجد تعاليمه أيضاً ، ولعل هذا ما كان يميزه عن سائر الكتبة في هذا المضمار ، فإنه كان يعلم ليس مثلهم ولكن مثل نبي مقتدر

في الأفعال والأقوال (لوقا ٢٤ : ١٩) . نعم فهو أعظم من سليمان ومن يونان (متى ١٢ : ٤١ و ٤٢ ، لوقا ١١ : ٣١ و ٣٢) ولم يكن تلاميذه فقط هم الذين اعترفوا بذلك بل كان رد فعل الجماهير أيضاً وخصوصاً عندما كان يقوم بمعجزة عظيمة مثل إقامة ابن أرملة نايين (لوقا ٧ : ١٢ - ١٧ ، أنظر متى ١٦ : ٤ وما يقابله) فعمل النبوة يفسر رسالة المسيح . لأنه لا بد للملكوت الله من نبي مقتدر ، ولكن هذا العمل لا يمكن أن يغطي كل جوانب رسالته ، فهو أعظم من نبي حتى وإن قام بعمل الأنبياء .

ابن داود :

أيضاً في الأناجيل لقب آخر للمسيح يرتبط بملكوت الله وهو ابن داود وتختلف الأناجيل في عدد مرات إيراد هذا اللقب للمسيح . فهو يرد في إنجيل مرقس ٣ مرات مرتين على لسان بارتيمائوس الأعمى (مرقس ١٠ : ٤٧ و ٤٩) حينما حاول الأعمى أن ينال الشفاء على يدي المسيح بكونه ابن داود أي المسيا والملك الذي يأتي من نسل داود . أما المرة الثالثة فهي في ١٢ : ٣٥ حيث يلتقي السيد على الكتيبة سؤالاً عن موقف المسيح من داود : هل هو ابنه أم ربه ، وكلام السيد مقتبس من مزمور ١١٠ : ١ ولعلنا نجد الجواب على هذا السؤال الذي عجز اليهود عن الرد عليه (متى ٢٢ : ٤٦) في قصة البشارة للعدراء المذكورة في لوقا ١ : ٢٦ - ٣٨ حيث يقول الملك للعدراء . « ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه » . فالمسيح هو ابن داود بحسب الجسد لكن يكون الوارث الشرعي للملك ، كما يقول الرسول بولس عن ابنه «الذي صار من نسل داود حسب الجسد . . . » . ولكنه في مجده وتمجيده هو «ابن الله وهو رب داود نفسه» (رومية ١ : ٤) .

ويلاحظ هنا أن إنجيل لوقا يتبع إنجيل مرقس في ذلك ولا يزيد عنه إلا

ما ذكر في قصة الميلاد ، أما إنجيل متى فإنه يختلف عن ذلك فهو يضع تنبراً خاصاً على هذا اللقب . فقد أكد على نسب المسيح من داود توكيداً خاصاً : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم » وذلك لكي يبرهن لليهود أن هو أيضاً المسيا الذي يقوم بأعمال الفداء والشفاء (متى ٩ : ٢٧) يصرخ الأعميان طالبين الشفاء من ابن داود ويمنح لهما . وكذلك المرأة الفينيقية أيضاً تطلب من ابن داود أن يرحم ابنتها (١٥ : ٢٢) . ولعل الجموع قد فهمت ذلك عندما رأته يقوم بأعمال عظيمة أمام أعينهم فلم يسعهم إلا أن يقولوا « ألعن هذا هو ابن داود » (١٢ : ٢٣) فابن داود الذي ينتظره الناس قد جاء أخيراً ، وهو الذي يفدى الناس من برائن العاهات والمرض والأرواح الشريرة . ولهذا فالجموع في اورشليم تقابله بالهتاف القوي أوصنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب » (٢١ : ٩ و ١٥) . ويلاحظ أن متى ينبر على المسيا ابن داود ولا يذكر شيئاً عن المملكة . . مملكة داود نفسها التي يذكرها مرقس في نفس الحادثة ، لأن متى يرى ابن داود هو نفسه الذي يمثل المملكة وهو الملك فيها . ويلاحظ أيضاً أن متى يذكر لقبين للمسيح هنا الأول هو ابن داود والثاني الآتى باسم الرب ، وهو بذلك يعان أن ابن داود هذا الذي صار من نسله حسب الجسد هو نفسه المسيح الآتى باسم الرب كما يقول بطرس في اعترافه المشهور .

المسيا :

من أهم الألقاب التي لقب بها المسيح أو المسيا . ومع أن متى يذكر هذا اللقب أكثر من الإنجيليين الآخرين ، إلا أننا إذا حلفنا قصة الميلاد فإنه يتضح أن الأناجيل الثلاثة تقريباً تذكر هذا اللقب في أمانة واحدة . أهمها عند حادثة قيصرية فيلبس واعتراف بطرس العظيم (متى ١٦ : ١٦ ، مرقس ٨ : ١٩ ،

لوقا ٩ : ٢٠) تم أمام رئيس الكهنة عند المحاكمة (متى ٢٦ : ٦٣ و ٦٨ ،
مرقس ١٤ : ٦١ : لوقا ٢٢ : ٦٧) .

وإلى جانب هذا فقد يتفق إنجيلان في ذكر موضع آخر . وقد يذكر
أحد الأناجيل مواضع لا يشاركه فيها أحد . مثل مرقس ٩ : ٤١ وكذلك
متى ٢٣ : ٨ و ١٠ ويشترك متى ومرقس في إيراد اللقب في الخطاب
الرؤى (متى ٢٤ : ٥ و ٢٣ ، مرقس ١٣ : ٢١) . ولكن لوقا لا يفعل .
ومع ذلك فإن الموضوعين اللذين يتفق فيهما الأناجيل الثلاثة يعتبران أهم
المواقف كلها .

ولكننا هنا نلاحظ شيئاً آخر وهو أنه عندما يتقدم بطرس اعترافه ويذكر
أن يسوع هو المسيح يتقبل المسيح الاعتراف مع تطويب بطرس ، ولكنه
يغير اللقب مباشرة فيتكلم عن ابن الإنسان ونفس العمل قاله في شهادته هو
أمام رئيس الكهنة ، فإنه يوافق رئيس الكهنة عندما يستحلفه بأنه يخبرهم إن
كان هو المسيح ، ولكنه عندما يكمل شهادته فإنه يتكلم عن ابن الإنسان وليس
عن المسيح .

ثم يذكر لبطرس أن مصدر معرفته به ليس بشرياً ولكن الله نفسه قد
أعلنه له ، بمعنى أن الظواهر الخارجية لا تدل بتاتا أمام الناس على أنه هو
المسيح .

وهناك شيء آخر وهو أن يسوع لم ينسب لنفسه اللقب في أي من المواقف
التي ورد فيها اللقب ، نعم أنه قبله عندما وصفه الناس به ، لكنه لم يفعل كما فعل
مع لقب ابن الإنسان مثلاً .

فهل هناك سبب لهذا كله ؟ إن الجواب الواضح على ذلك هو أن هذا

المفهوم « المسيا » كان اليهود يملأونه بمعان لم يقبلها يسوع ولم يرض بها .
والمفهوم اليهودي هو أن المسيا هو الذي يتم نبوة موسى ، وكما أن موسى
قد نفذ الخروج الأول وأطاق الشعب من العبودية وجعلهم أمة ، هكذا
سيفعل موسى الثاني وبكيفية أمجد بها لا يقاس سياسياً وروحياً ، فالمسيا في
نظر اليهودية شخصية سياسية ينصب عمه الأساسى على خلاص اليهود السياسى
والروحي من الأمم تماماً كما فعل موسى الأول .

أما يسوع فقد ملأ هذا المفهوم بمعنى آخر نفهه في رده على بطرس
في قيصرية فيلبس ، وعلى رئيس الكهنة أثناء المحاكمة . فعند اعتراف بطرس
ربط السيد هذا المفهوم بالألم والموت وعند رده على رئيس الكهنة ربطه
بالخبي في مجد على سحاب السماء ، أى أنه ليس لليهود بل للكون كله . وهكذا
يختلف مفهوم المسيح اختلافاً واضحاً بل ومتناقضاً عن مفهوم اليهود . إنه
المسيح القادى الذى جاء للعالم كله ، وهذا ما لا يقباه اليهود بتاتاً . ولهذا كان
حزراً في إطلاق هذا اللقب على نفسه .

ابن الله :

يعتقد كثير من الناس أن لقب ابن الله يمثل الجانب الإلهى عند يسوع
المسيح ، أما عندما يلقب « بابن الإنسان » فإنه يقصد بذلك الجانب الإنسانى .
قد يكون في هذا بعض الحق . ولكنه لا يمثل الحقيقة كاملة ، ففي الأناجيل
وخصوصاً في إنجيل يوحنا الذى يذكر اللقب « ابن الله » أكثر من أى إنجيل
آخر تظهر إنسانية يسوع بشكل ملحوظ وواضح (يوحنا ١١ : ٢٥ - ٢٧
مع ٤ : ٦) بينما نجد أن ابن الإنسان يمثل المجد والعظمة والجلال في كثير
من الأحيان (مرقس ١٤ : ٦٦) . إن التفسير الصحيح للألقاب هو أن كل
لقب من ألقاب السيد يمثل جانباً خاصاً وهاماً في رسالته وعمله كمخلص العالم ،

ومعلن للملكوت الله بين الناس ، وقد يظهر في كل لقب جانبان : التواضع والمجد ، ولا يخفى أى جانب من الاثنین الجانب الآخر ، ولا يمكن أن يكون أحد الألقاب ممثلاً لجانب واحد سواء أكان التواضع أو المجد - فقط . بل لا بد أن يظهر الاثنان معاً . وهكذا يظهر في هذا اللقب ابن الله . ظهر هذا اللقب في الأناجيل الثلاثة الأولى حوالى ٢٤ مرة تصریحاً وتلميحاً . ولكن قبل أن ندرس بعضاً منها يجب أن نجيب على سؤال أولى وهو : من أين استقى العهد الجديد هذا اللقب ؟ هناك جماعة من العلماء تقول إن هذا اللقب - بعكس لقب المسيح - كان منتشرأ في الأوساط الوثنية . فثلا كان فرعون مصر يلقب بابن الآلهة ، وهكذا كانت أمم أخرى تعتبر ملوكها وحكامها أبناء للآلهة . إلى جانب ذلك كان هناك شخصيات أخرى أطلقوا عليها لقب أبناء للآلهة أو « ابن الله » . وكان الواحد منهم يدعى إتيان المعجزات والخوارق والكرامات : وكان الناس يلقبونها بهذا اللقب . وقد امتلأ العالم الوثني بهؤلاء . يقول هؤلاء العلماء إن العهد الجديد اقتبس هذا اللقب من الوثنيين وأطلقه على المخلص الذى قام بالمعجزات . هذا رأى سنرى ضعفه فيما بعد . على أن هناك جماعة أخرى تعتقد أن هذا اللقب مقتبس من العهد القديم نفسه ففيه سمي الشعب كله ابن الله ، وهذا ما قاله الرب نفسه لموسى : « تقول لفرعون هكذا يقول الرب . إسرائيل ابني البكر ، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابني البكر » (خروج ٤ : ٢٢ و ٢٣) . ويقول هوشع « لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني » (هوشع ١١ : ١) . ثم أطلق هذا اللقب أيضاً على الملك فقد جاء ناثان إلى الملك داود وأخبره بقضاء الرب وقال عن ابنه الذى يرث الملك « أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً » (٢ صموئيل ٧ : ١٤) . وقد اعتقدت اليهودية بأن الآلهة هي ابن الله . ولكن هناك فرق واضح بين الاعتقاد الوثني وعقيدة الكتاب

المقدس ، فبينما يظن الوثنيون أن ملوكهم أو الأفراد الذين يطلقون على أنفسهم « أبناء الله » هم كذلك لشيء خاص فيهم يميزهم عن بقية الناس فإن الكتاب المقدس يعلن أن هذا اللقب أعطى فضلاً ونعمة من الله لجماعة لا تتميز عن الباقين وهذا ما ينادى به هوشع : وما قاله الرب على فم موسى « ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم ، لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم .. » (تثنية ٧ : ٧ و ٨) ولكن الرب لم يختارهم هم أو ملوكهم عبثاً ، بل للقيام برسالة محددة . إنه قربهم إليه أكثر من الجميع ودعاهم أبناء له ثم أرسلهم برسالة إلى الجميع .

هذا هو المعنى الذي نجده في العالم الوثني وفي العهد القديم وما أبعد الشقة بين الاثنين . وهنا تتساءل . هل هناك صلة بين أحد المفهومين السابقين وبين ما يذكره العهد الجديد ، وبالأخص الأنجيل الثلاثة الأول عن هذا المفهوم ؟ إن الرأي الصحيح هو أن العهد الجديد يسير في نفس النمط الذي سار فيه العهد القديم ويأخذ بعض معانيه ، ولكنه في نفس الوقت يضع عمقاً جديداً وبعداً جديداً في ذلك المفهوم لم يعرفه العهد القديم .

وفي الأصحاحات الأولى من إنجيل متى نجد برهاناً واضحاً على ذلك . فهذا الإنجيل يقتبس قول هوشع السالف الذكر « من مصر دعوت ابني » ويذكر أن بقاء الصبي يسوع في مصر وخروجه منها يمتثل تلك النبوة إتماماً صحيحاً كاملاً ، وحيث أن النبي القديم كان يذكر هذه العبارة في معرض حديث الرب عن عمله مع إسرائيل ، فينتضح لنا أن البشير قصد أن يعلن بالروح القدس أن هذا الصبي قد تم الهدف والغرض من إقامة ذلك الشعب ، ليس فقط لأن هذا الشعب قد فشل في هذا الهدف والرسالة ، لكن لأنه أصلاً

كان يشير إلى مجيء هذا الصبي العظيم ، فسواء فشل أو نجح الشعب في رسالته فإنه كان يشير إلى الكامل الذي سوف يأتي ويتمم رسالته .

وبهذه الكيفية نستطيع أن نفرس قصة تجربة المخلص في البرية . فإنه قضى أربعين يوماً وليلة يجرب من إبليس ، ولكنه انتصر عليه . وهكذا نجح وانتصر حيث فشل الشعب في البرية فتاه فيها ، إنه كإبن الله قد انتصر حيث فشل إسرائيل القديم ابن الله وسقط منهم كثيرون في القفر . فالابن الحقيقي قد أتم هدف وغرض ذلك الشعب ونجح حيث فشل وسار في الأرض يصنع خيراً ويشقى المتسلط عليهم إبليس . . على أن هذا اللقب عندما أسند إلى السيد في العهد الجديد كان يعنى عمقاً أبعد من ذلك . ولكن هذا العمق لا يأتي - كما سبق وأوضحنا - من الطبيعة الأزلية للابن الأزلي فهذا الأمر لم تتعرض له الأناجيل الثلاثة الأولى بل والعهد الجديد كله تقريباً . بل يأتي من طبيعة الصلة بين السيد ، الذي تجسد وصار جسداً وصار مثلنا ، وبين الآب السماوي . هذه الصلة تظهر في الأمكنة التي تكلم فيها يسوع عن نفسه كإبن أو عند ما لقبه الغير بهذا اللقب وقبله هو .

ثم هناك أمر واضح وعجيب نراه في الأناجيل الثلاثة الأولى وهو أن كل الذين أطلقوا على السيد هذا اللقب عرفوه بطريقة تعتبر فوق الطبيعة ، أي أن معرفتهم لهذا اللقب لم تكن معرفة بشرية يستطيع الإنسان أن يستنتجها ، ولكنها معرفة جاءت من السماء ، فمثلاً عندما اعترف بطرس بالمسيح أنه ابن لله قال السيد له « إن لحمياً ودمياً لم يعلننا لك (متى ١٦ : ١٦) . أي أنها معرفة ليست بشرية ، وهكذا اعترف الشيطان أنه ابن الله (متى ٤ : ٣) وكذلك الأرواح النجسة .

وقد أعلن الآب نفسه أولاً أن يسوع هو ابن الله وقت المعمودية (متى ٣ : ١٧)

ووقت التجلي (متى ١٧ : ٥) . هذا إلى جانب إعلانه هو عن نفسه أنه الابن بكيفية مطلقة (متى ١١ : ٢٧ - ٣٠) . هذا يدل على أن هذا اللقب ، بخلاف الألقاب الأخرى ، له دلالة خاصة في حياة المسيح الأرضية وعلاقته بالآب . فهل نستطيع تحديد هذه الصلة التي بين الآب والابن والتي يعلنها هذا اللقب ؟ نعم : فحيثما ذكرت بنوية السيد لله سواء تكلم بها عن نفسه أو نسبها إليه الغير فإنها كانت تعني أمرين : الخضوع والإعلان .

أما من ناحية الخضوع فإننا نجد ذلك واضحاً في قصة المعمودية فقد جاءه الصوت من السماء « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » (متى ٣ : ١٧ وما يقابله) المهم هنا في هذا الاقتباس هو أنه أخذ من مكانين مختلفين من العهد القديم (مزور ٢ : ٢٧ ، إشعياء ٤٢ : ١) ، ويجمع الصوت السماوي بهذا الاقتباس المزوج المصدر بين مفهومين هامين : الابن والعبد ، وكأنا ربط بين المفهومين ليحدد رسالة المسيح ، فحيث أنه ابن فهو العبد أيضاً ، فالبنوية ليست بنوية المجد الظاهر والتسامي والجلال المضي ولكن بنوية الخدمة والطاعة ، وأنها طاعة عبد الرب الذي يتمم مشيئة الله

هذا هو المفهوم الذي ساد حياة السيد . فعندما واجهه المحرب في البرية ، قال له « إن كنت ابن الله » . وهذه العبارة لا تفيد التشكك في بنوية يسوع الإلهية لأن التركيب اللغوي للعبارة يفيد بأن الشيطان يعرف غاية المعرفة أن يسوع هو ابن الله ، وعلى هذا الأساس يطلب منه أن يستخدم هذه البنوية والمجد الذي يحيط بها في إشباع رغبة الجسد ، أو التسلط على العالم كله . لكن يسوع رد على المحرب معلناً أن هذه البنوية لا تعني استخدام القوة للغرض الشخصي ، ولكنها تظهر في الخضوع للآب ولعمل مرضاته ، « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ليس بالخيزه وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة

تخرج من فم الله « (متى ٤ : ٤ و ١٠) . وهنا نجيح يسوع الابن حيث فشل آدم وفشل إسرائيل لأنهم لم يعرفوا ما معنى البنيوية لله . وهذا ما يؤيده الرسول بولس بقوله « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد . . . » (فيلبى ٤ : ٦ - ١١) .

هذا الخضوع يظهر أيضاً فى اعتراف بطرس كما أورده البشير متى إذ قال « أنت هو المسيح بن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) فى هذا الموقف يعلن السيد أن بنيوته هى بنوية الخدمة والطاعة والألم . ولما أنكر بطرس هذا الأمر نهره السيد بشدة قائلاً له « اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس » (١٦ : ٢٣) وأنه الابن الذى يرسله صاحب الكرم ولكن الكرامين الأردباء يقتلونهم (مرقس ١٢ : ١ - ٩) فالبنوية تعنى الخضوع والطاعة لله .

ولكنها تعنى ثانياً المعرفة العظمى بالآب وإعلانه للناس . ونجد ذلك واضحاً فى متى ١١ : ٢٧ « كل شئ قد دفع إلى من أبى وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » . وأن معرفة الآب ليست متاحة إلا للابن وهذا الابن هو الذى يوصلها إلى الناس . ويعلمها لهم . هذا الأمر يتضح أكثر من إنجيل يوحنا حيث يتكلم عن معرفة الله عن طريق الابن ، ومعرفة الابن العميقة بدرجة لا يعرفها بشرى عن الآب السماوى .

ولأن بنوية السيد تمتاز عن بنوية المؤمنين فإنه لم ينطق أبداً فى مخاطبته للتلاميذ أو لأية جماعة بالقول « أبانا » إنه لم ينطق بها سوى مرة واحدة فى الصلاة الربانية (متى ٦ : ٩) ولكنها لم تكن إلا أعموداً وضعه للتلاميذ عندما علمهم كيف يصلون . « فتنى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السموات »

فهو لم يضم نفسه معهم . وداثماً يقول السيد أباكم السماوى . (متى ٦ : ٢٦
و ٣٢ ، ٧ : ١٢ ، ١٠ : ٢٠) وعن نفسه « أبى » أو « الآب » (١١ : ٢٥ ،
يوحنا ١٠ : ١٨ . . إلخ) . هذا يعلن أن صلة البنوية عند المسيح أعظم بما
لا يقاس من صلة المؤمن بالله ، فهذه الأخيرة كما يقول يوحنا بكل وضوح ،
تجى من بنوية المسيح نفسه « أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين
باسمه » (يوحنا ١ : ١٢) .

ابن الإنسان :

هذا اللقب هو الذى اختاره السيد لى يطلقه على نفسه ، ويجى فى
الإنجيل الثلاثة الأولى وحدها حوالى ٦٩ مرة . هذا الاسم لم يطلقه إنسان على
يسوع ، فلم يذكر التلاميذ فى موقف ما أنه هو ابن الإنسان . ولم يذكروا
عن أحد ناداه أو دعاه بهذا الاسم ، لكنه كان وحده الذى يذكره عن نفسه
على خلاف كثير من الألقاب الأخرى مثل ابن داود أو المسيح :

ولكى نفهم ما كان يعنيه السيد بهذا اللقب يجب أن نرجع إلى العهد
القديم واليهودية . لقد جاء هذا الاسم فى حزقيال بمعناه العبرى ابن آدم ولم يكن
يعنى أكثر من أن هذا الشخص الذى يكلمه الملاك هو إنسان وواحد من
الناس حزقيال .

ويقابل هذه الكلمة العبرية كلمة أرامية كانت تترجم معنى إنسان أو ابن
الإنسان وقد وردت فى دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ . أما الاصطلاح بمعناه
الأخر فقد ورد فى دانيال ٧ : ١٣ — هناك يرى الرأى بشبه ابن إنسان
يقربونه إلى القديم الأيام ثم يعطى ملكاً وسلطاناً وفى عدد ١٥ يذكر أن
ابن الإنسان هذا هو شعب قديسى العلى الذى أعطى السلطان والمملكة ، وقد

جاء ابن الإنسان هذا في مقابل ممالك الأرض التي شبه ممثلوها بالحيوانات .
ومن هذا نستخلص أن ابن الإنسان هو شخصية ولكنه يمثل قديسي العلي .

أما في اليهودية فهو يظهر في الكتاب المسمى عزرا الرابع ١٤ حيث يظهر
ابن الإنسان خارجاً من البحر . وراكباً فوق السحاب وأن العلي القدير
سيحفظه عنده مادة طويلة ليخلص الخليقة بواسطته .

ثم يظهر مرة أخرى في الكتاب الذي يسمى أنخوخ (النسخة الأثيوبية)
أى من ص ٣٧ - ٧١ ، وتعتبر الأصحاحات ٤٦ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٢ و ٦٢ و
٦٩ و ٧١ من أهم الأجزاء التي تتكلم عنه . وفيه يظهر ابن الإنسان شخصاً
ممجداً ذكر اسمه أمام القديم الأيام من قبل الخليقة . ولكنه سوف يظل مخفى
حتى النهاية حين يعلن ديانا وحاكماً على كل العالم .

هذه لمحة بسيطة عن تاريخ الاصطلاح في مقابلها نستطيع أن ندرس ما كان
يعنيه السيد عندما تبنى هذا اللقب وأطلقه على نفسه .

يظن بعض الدارسين أن يسوع في بعض المرات التي تكلم فيها عن
ابن الإنسان لم يكن يقصد نفسه بل كان يقصد الإنسان عموماً ، مثال ذلك
ما ذكره عن علاقة الإنسان بالسبت في مرقس ٢ : ٢٧ فيقول « إن
السبت خلق للإنسان لا الإنسان للسبت ، إذن ابن الإنسان هو رب السبت .
أيضاً » ويظنون أن الأصل الأرامي لا يفرق بين الإنسان وابن الإنسان فالإثنان
ترجمة الكلمة الأرامية بارناشا ، ولكن تفسير وصية السبت بكيفية جديدة .
شئ يستطيعه أى إنسان . إن الذى يعمل ذلك هو رب السبت أو ابن الإنسان .
وقد أعطى السيد نفس التفسير في (يوحنا ٥ : ١٧) « أبى يعمل حتى الآن .
وأنا أعمل » إن شفاؤه للإنسان في يوم السبت لازم لأن الآب يعمل حتى الآن .

وهو كإبن يجب أن يعمل الخير للناس في السبت وفي غير السبت . . تماماً كما يفعل الآب .

لكن السؤال الذي يواجهنا هنا هو : هل كان اللقب على فم يسوع يعني الجماعة أم يعني فرداً واحداً؟ ابن الإنسان وشعبه أم ابن الإنسان كرجل واحد؟ الحقيقة التي نستشفها من أقوال السيد هي أنه كان يقصد الاثنين معاً؛ فلا يمكن أن ينكر دارس أن دانيال ٧ : ١٣ - ١٤ و ٢٧ و ٢٨) تحوى المعنيين معاً ، فابن الإنسان هو لقب تمثيلي ، أى أن من يحمله هو شخص يمثل مجتمع قديسي العلي ، وعندما كان يذكر كان يعني أحياناً هذا المثل بعينه ومرة أخرى المثل والذين يمثلهم .

وإذا كان السيد يستخدم نفس الاصطلاح فهو يعني هذه الحقيقة المتكاملة فالذين له يشاركونه الملكوت كما يقول لهم « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم سر أن يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢) ويقول « وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر (لوقا ٢٢ : ٢٩) ، وأنتم سوف يشاركونه في الألم » من أراد أن يأتي ورأى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » (مرقس ٨ - ٣٤ . أنظر لوقا ١٤ : ٢٧ ، متى ١٠ : ٣٨) . وهكذا يظهر أن الذين هم له يشاركونه آلامه ومجده . ويعتقد بعض الدارسين أن قول السيد عن السبت « إذن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » (مرقس ٢ : ٢٧) يقصد به شعب قديسي العلي الذي لأجله خلق السبت ، فهو سيد هذا السبت لا عبد له ، أى أن ابن الإنسان هنا له معنى جماعي وليس فقط فردى . ولعل هذه الحقيقة هي التي جعلت الرسول بولس يتكلم عن الجسد والرأس ، والبكر والأخوة . . وهذا ما يدل على الحقيقة الجماعية للمسيح وشعبه .

ولكن هذا لا يعنى أن السيد اقتصر على هذا المعنى فقط فعندما قال
للكاتب الذى طلب أن يتبعه « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن
الإنسان فليس له أين يسند رأسه » (متى ٨ : ٢٠) ، ولليهود « ولكن لكى
تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » (مرقس
٢ : ١٠) وللتلاميذ « أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ
ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم » (مرقس ٨ : ٣١)
فإنه بذلك يعطى هذا اللقب لنفسه كفرد . ولعل يوحنا البشير يوضح هذه
الحقيقة عندما يضع كلمة « أنا » كتفسير لابن الإنسان فى قوله « فقال لهم
يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو . . . » (يوحنا
٨ : ٢٨) .

ابن الإنسان إذن ، فى كلام السيد ، يقصد به نفسه ، ولكن كممثل
لشعب قديسى العلى الذين هم البقية المقدسة .

وهناك أمر آخر يثير التساؤل فى تعليم السيد عن ابن الإنسان وهو : لماذا
يتكلم عن ابن الإنسان فى صيغة الغائب كأنه يفصل بين نفسه وبين ابن الإنسان
ويظهر هذا الفصل أيضاً فى قوله « وأقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس
يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله ومن أنكرنى قدام الناس ينكره قدام
ملائكة الله (لوقا ١٢ : ٩ و ١٠) ، فهل هما شخصان منفصلان ؟ فكيف
نقول عنه إنه هو ابن الإنسان ؟ وقد ظن بعض العلماء أن يسوع يتكلم عن
شخص آخر غير نفسه ، عندما يتكلم عن ابن الإنسان . ولكن هذا القول
مردود لسببين هامين ؛ الأول هو أن متى فى نفس المناسبة يستعمل الكلمة
« أنا » فلا يفصل بين من ينكره الناس ومن ينكر هؤلاء الناكرين (متى
١٠ : ٣٢) ، فكأن متى عرف أن ابن الإنسان هذا هو بعينه يسوع الذى
يتكلم ويقول « أنا » : أما السبب الثانى فهو أنه لو قصد يسوع أن يفرق بين

٢٠٩

(م ١٤ - المدخل الى العهد الجديد)

« أنا » وبين ابن الإنسان ، لكان بذلك يجعل من نفسه الشخص الذى يأتى قدام وجه المسيا ليهيئ الطريق قدامه ، وهذا أمر مستبعد جداً لأن يسوع ذكر عن يوحنا أنه هو ذلك الشخص الذى يتقدم قدام وجهه (متى ١١ : ٢ -- ١٥، ١٧ : ١٢ و ١٣). أما أنه يتكلم عن ابن الإنسان فى شخص الغائب . فهو يفعل ذلك فى المواقف التى يقارن فيها بين عمله الآن وعمله فى المستقبل : أى ما بين عمله فى وقت تواضعه عندما تحلى عن مجده ، وبين ما عمله عند ما يأتى فى مجده مع ملائكة أبيه كما سترى فيما بعد . فهو لا يتكلم عن شخصيتين مختلفتين ولكن عن شخص واحد فى موقفين متنوعين ، وفى عمليتين مختلفتين ، أحدهما عندما يكون قادياً والثانى عندما يكون دياناً ، وهذا ما سندرسه الآن .

إذن ما هو مركز ودور ابن الإنسان ؟ وأى عمل له فى ملكوت الله ؟ تنقسم غالبية المرات التى نطق بها السيد بهذا اللقب إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول هو عمله الحالى فى الأرض أما القسم الثانى فهو عمله عند مجيئه فى اليوم الأخير .

أما من جهة عمله الحالى ، فلعل أهم المرات التى يعلن فيها ذلك هى التى يربط فيها عمله كابن الإنسان بعمله كعبد الرب المتألم القادى فتتلا « أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مرقس ١٠ : ٤٥) لا الخدمة فقط بل الموت والألم أيضاً « إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل » (مرقس ٨ : ٣١) ولعل هذا العمل ، أى عمله كعبد الرب هو الذى جعله يقول « إن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » (مرقس ٢ : ١٠) . لأن السلطان الذى له لم يكن ممنوحاً له فقط ، بل لأنه قام بالعمل العظيم الفدائى عمل عبد الرب . إذن فعمل ابن الإنسان الحالى هو التواضع والألم

والحياة التي تخلص الآخرين من خلال آلامه وهذا شيء غريب على الأذن اليهودية . إن ابن الإنسان الذي تعرفه اليهودية هو الملك الذي له سلطان لا ينتهى وملك يدوم ، أما ابن الإنسان المتواضع الذى أدخل نفسه فهذا شيء جديد عليها لم تكن تعرفه ، أما يسوع فقد ربطه بين عمل عبد الرب وابن الإنسان .

أما عمله فى المستقبل فهو عمل المجد ، وأيامه فى المستقبل تدعى أيام ابن الإنسان (لوقا ١٧ : ٢٢) . وقد وصف مجيئه فى خطابه الرومى (متى ٢٤ : ٢٧ و ٣٧ - ٣٩) حينما يأتي بمجد أبيه مع الملائكة القديسين ، (مرقس ٨ : ٣٨) . ولنلاحظ هنا أمراً مهماً وهو أن يسوع عندما يتكلم عن ظهوره فى المستقبل لا يقسم مجيئه إلى قسمين ولا يذكر بتاتاً فى الأناجيل أنه سيأتي مرة ثانية ، ويظهر ذلك فى اعترافه العظيم أمام السنهدريم « وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً فى سحاب السماء » (مرقس ١٤ : ٦٢) إنه يذكر مظهرين فى عمله : مظهر التواضع والألم ، ومظهر المجد ولكنه عمل واحد . إنه عمل مترابط فمجيئه على الأرض : ولادته ورسالته وموته لا يطلق عليها مجيئه الأول مع أنه فى هذا الحجب حقق ما كان ينتظره العهد القديم من إعلان ملكوت الله ، ولم يتكلم فى أى من أحاديثه وتعاليمه عن مجيئ ثان ولكنه يقول عنه « مجيئ ابن الإنسان » فقط . ولهذا يعلن أن عمله كامل متكامل ، فليس هنا مجيئان أول وثان ولكنه ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده » (لوقا ٢٤ : ٢٥) .

أما عمله فى مجيئه فهو الدينونة ، وقد وصف بنفسه ذلك المنظر العظيم منظر الدينونة فى متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ . حينما تفصل الجداء ويضعها عن اليسار والحقاف ويضعها عن اليمين . ومع أن العهد الجديد يعلم أن الدينونة هى عمل الله ، ولكنه فى نفس الوقت يعلن أن الآب قد أعطى كل الدينونة

للإبن ، حتى الرسول بولس نفسه يعلن ذلك . فبينما يدين الله سرائر الناس ،
لكننا جميعاً سنظهر أمام كرسي المسيح (كورنثوس ٥ : ١٠) .

وهنا نلاحظ أن السيد قد أدخل عنصراً جديداً في الدينونة ، فالديان
ليس شخصاً محابداً موضوعياً لم يكن له عمل سوى الدينونة ، ولكنه هو
بنفسه القادى : فذلك الذى سوف يظهر ليدين في أيام ابن الإنسان هو بنفسه
الذى ظهر ليتألم ويفدى الناس من خطاياهم . وعلى هذا الأساس فإن أساس
الدينونة يتوقف على موقف الناس منه ، وفي ظهوره المتواضع ومن عمله
كعبد الرب « لأن من استحي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطى فإن
ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين » (مرقس
٨ : ٣٨) أو كما يورده البشير متى « فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف
أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا
أيضاً قدام أبى الذى فى السموات » (متى ١٠ : ٣٢ و ٣٣) لكن ليس ذلك
فقط بل أنه يضع عنصراً آخر فى هذه الدينونة وهو موقف الناس من إخوته
الأصاغر (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦) . فمن فعل الخير بأحد أخوة المسيح
الأصاغر فبه قد فعل ، ومن لم يفعل فإنه قد رفضه هو ، لكن ليس هذا عنصراً
جديداً ولكنه التفسير الذى يضعه السيد فى لقب ابن الإنسان : أنه يشمل هو
مع شعب قديسى العلى الذين يسميهم الأخوة الأصاغر .

وهكذا نرى أن لقب ابن الإنسان يشابه لقب ابن داود فى أن له وجهين :
فكما أن السيد فى تواضعه يدعى ابن داود وفى مجده بعد القيامة يدعى رب
داود ، هكذا ابن الإنسان له وجهتان التواضع والآلام فى الوقت الحاضر
والمجد والدينونة فى المستقبل .

عيد الرب :

نأتى الآن إلى هذا اللقب الذى يتميز بأمرين مهمين :

الأول هو أن السيد لم يذكره جهاراً ولم يقل عن نفسه أنه عبد الرب لكنه مع ذلك أعان أنه يتمم رسالة ذلك العبد فى الألم والموت الفدائى ، كما يظهر فى نبوات إشعيا فى الجزء الثانى من الكتاب .

أما الأمر الثانى فإن رسالة العبد يربطها المخلص بكل لقب أطلق عليه ، فإذا قيل له أنت المسيح أو ابن الله فإنه يذكر أنه سوف يتألم ويقتل (متى ١٦ : ١٦ و ٢١) . وإذا تكلم هو عن نفسه كابن الإنسان فإنما يتكلم عن آلامه وموته (مرقس ٨ : ٣١) ، فرسالة عبد الرب تتخلل أحاديث السيد وعمله خاصة بعد اعتراف قيصرية فيلبس عندما اعترف به بطرس . أما قبل ذلك فلم يحدث أن تكلم عنه ولعل السيد عرف أن الكلام صعب على الأفهام ومستحيل فى قبوله ، ولذلك أرجأ الحديث عن هذه الرسالة إلى ذلك الوقت المحدد .

ولكن الارتباط الحقيقى هو الذى يظهر بين اللقبين ابن الإنسان وعبد الرب ، والسبب فى ذلك أنهما اللقبان اللذان استخدمهما السيد فى وصف رسالته وعمله ، ويلوح أن هناك ارتباطاً فى التشابه بين رسالة الشخصين فى العهد القديم نفسه ، فكما أن عبد الرب هو شخص ممثل لمجموعة ومجتمع (إشعيا ٤٩ : ٥ - ١٣ ، ٥٠ : ٤ - ٩ ، ٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢) هكذا ابن الإنسان هو ممثل شعب قديمى العلى كما جاء فى دانيال ٧ .

ولكن رغم ذلك فلم يحدث فى اليهودية أن ارتبطت رسالة الشخصين معاً لأن اليهود كانوا ينتظرون ابن الإنسان الممجد الآتى من السماء لا أن يتمم رسالة عبد الرب المتألم المتواضع . هذا الإعلان الجديد الذى أعلنه السيد ولم

يستطع حتى التلاميذ ، أن يقبلوه (متى ١٦ : ٢٢ وما يقابله) ولم يفهموه إلا بعد أن قام من بين الأموات (متى ١٧ : ٩) ولكن مع ارتباط ابن الإنسان وعبد الرب في تعليم السيد ورسالته إلا أنه كان يستعمل لقب ابن الإنسان أكثر كثيراً من لقب عبد الرب ، والسبب في ذلك هو أن ابن الإنسان يغطي منطقة واسعة في رسالة السيد أوسع كثيراً من رسالة عبد الرب. فبينما يقتصر لقب عبد الرب على تواضع المسيح وآلامه يمتد لقب ابن الإنسان ليشمل رسالة التواضع والمجد في الفداء .

هذا هو عمل السيد في ملكوت الله .

الفصل الثاني

إنجيل مرقس

نأتي الآن إلى دراسة كل إنجيل من الأناجيل الثلاثة على حدة ولنبدأ بإنجيل مرقس .

في الدراسات التقوية والتفسيرية للأناجيل يبدأ الدارسون عادة بإنجيل متى لأنه هو الأول في الترتيب المكاني بالنسبة لها .

أما الدارسون دراسة علمية فيبدأون بإنجيل مرقس لأنهم يعتقدون أنه هو الذي كتب أولاً زمنياً « وأن كاتبى الإنجيلين : الأول (متى) والثالث (لوقا) قد اتخذاه مرجعاً لها في كتابة إنجيلهما ، ولعله من المفيد هنا أن نوضح بعض الأسباب التي جعلت هؤلاء العلماء يعتقدون بذلك .

السبب الأول : هو أن مرقس يعتبر في حقيقة الأمر حلقة الوصل ما بين متى ولوقا ، ويظهر ذلك في أنه في حالة اختلاف متى ولوقا في ترتيب قصة المسيح فإن مرقس يتفق مع واحد منهما ويختلف مع الآخر أى أنه يتفق مع متى ويختلف مع لوقا أو مع لوقا ويختلف مع متى ، ولكن لا يمكن أن يتفق لوقا ومتى ويختلفان مع مرقس لتأخذ مثلاً لذلك (مرقس ص ٢ و ٣) :

مرقس ٢ : ١ - ٢٢ يتفق مع متى ٩ : ١ - ١٧ ولوقا ٥ : ١٧ - ٣٩
لكن إنجيل متى يختلف عن مرقس ابتداء من متى ٩ : ١٨ - ١١ : ٤٢ بينما لوقا يستمر في الاتفاق مع مرقس في ترتيب الحوادث .

أما في مرقس ٢ : ٢٣ - ٣ : ٦ فيتفق مع متى ١٢ : ١ - ١٤
ولو ٦ : ١ - ١١ ، لكن لوقا يختلف بعد ذلك عن مرقس في لوقا ٦ : ٢٠ -
٨ : ٣ بينما يتفق متى ومرقس فيها ما عدا مرقس ٣ : ١٣ - ١٩ ،
متى ١٢ : ٣٣ - ٤٥ . ولا يرجع لوقا إلى ترتيب مرقس إلا عند ٨ : ٤

ولكن ابتداء من مرقس ٦ : ٧ نادراً ما يختلف متى ولوقا عن
الترتيب الذي يتبعه مرقس

وهذا يدل - كما يقول العلماء أن إنجيل مرقس هو الأساس وحلقة الوصل
في ترتيب الحوادث بين الإنجيليين الآخرين متى ولوقا .

وهناك سبب ثان هو أسلوب مرقس في سرد قصة السيد ، ففي بعض
الأحيان يضيف تفاصيل دقيقة في القصة يحاول الإنجيلان الآخران ، وخصوصاً
متى ، أن يتخلصا منها مثل جلوس الخمسة آلاف على العشب الأخضر (مرقس
٦ : ٣٩ و ٤٠ مع متى ١٤ : ١٩ ويسوع كان على وسادة نائماً (مرقس
٤ : ٣٨ مع متى ٨ : ٢٤) ، ووصف حالة المرأة النازفة الدم (مرقس
٥ : ٢٦ مع متى ٩ : ٢٠ ، لو ٨ : ٤٣) ولعلهما كانا يعلنان ذلك لكي
يوجدنا مكاناً للتعالم التي يوردانها وليست موجودة في مرقس . ومن صفات
أسلوب إنجيل مرقس أيضاً الصراحة التامة في سرد القصة مما جعل البشيرين متى
ولوقا يحاولان تخفيف وقع هذه الصراحة قارن (مرقس ٦ : ٥ مع متى
١٣ : ٥٨ ، مرقس ٣ : ٢١) وغير ذلك .

ولعل أهم مثل على ذلك هو رد المخلص على سؤال التلاميذ بخصوص
سبب التعليم بالأمثال (مرقس ٤ : ١١ و ١٢ مع متى ١٣ : ١٣ و ١٤) فبينما
يذكر مرقس أن الغرض من الأمثال هو جعل ملكوت الله شيئاً غير مفهوم

وغامض ، يظهر متى أن غموض الأمثال يتحقق فقط في أولئك الذين نعدوا
ألا يفهموها فأغمضوا عيونهم لئلا ينظروا .

وهناك قانون يسير عليه دارسو النصوص يقول : إنه إذا شابه نصان
في كل شيء ولكن كان أحدهما أكثر صعوبة عن الآخر من ناحية القراءة
أو المضمون ، فإن هذا النص الأخير يعتبر أقدم من الآخر لأنه من المعقول أن
الكاتب المتأخر يحاول جهده أن يصقل النص ويجعله أكثر سهولة وقبولاً - أما
أن ينتقل الأمر فيجعل الشخص المتأخر من النص السهل نصاً أصعب ، فهذا
أمر لا يقبله الدارسون بسهولة . وعلى هذا الأساس فقد فهموا من وجود
هذه الصعوبات في مرقس شهادة على أنه كتب قبل الإنجيليين الآخرين ،
وأن متى ولوقا البشريين حاولا بأن يصقلا أسلوبه بطرق كثيرة .

معلومات أولية عن إنجيل مرقس :

قبل أن نقوم بدراسة مفصلة نوعاً ما عن إنجيل مرقس يستحسن أن نذكر
شيئاً عن بعض المعلومات الأولية المساعدة لفهم هذا الإنجيل ، هذه المعلومات
يسمىها دارسو الكتاب « المقدمة » أو « المدخل » وهي التي تفتح الطريق إليه .

كاتب الإنجيل :

يعتقد كثير من الناس ما دام الاسم قد كتب في مقدمة الإنجيل فقد انتهى
كل أمر ولم يعد هناك مجال حتى للسؤال عن شخصية الكاتب ، ولكن ليس
هذا هو واقع الأمر ، فقد بدأ بعض الناس يتساءلون عندما قرأوا العنوان
« الإنجيل بحسب مرقس » من يكون هذا الشخص ؟ واستمرت الدراسة
المستفيضة في تاريخ الكنيسة وفي شهادة الكتاب نفسه وفي كل العهد الجديد
حتى يمكن التأكيد القاطع من شخصية الكاتب .

أما عن إنجيل مرقس فإن يوسابيوس في تاريخه الكنسي يقتبس ما قاله بايلاس .

« ولقد قال الشيخ أيضاً إن مرقس الذي صار مفسراً لبطرس قد كتب بكل دقة كل ما تذكره من أقوال وأعمال الرب ، ولكن ليس بالترتيب ، لأنه لم يسمع الرب ولم يتبعه ولكن كما قلت قبلاً عن بطرس الذي ذكر من تعاليم السيد ما يوافق حاجة السامعين بدون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله : وهكذا فصل مرقس ، إنه لم يعمل خطأ واحداً في كل ما ذكره وكتبه . . . » وهذه هي أقدم شهادة عن مرقس الذي أخذ عن بطرس كل ما كان يعلم به ويذكره من أقوال وأعمال الرب ، وهي شهادة أخذ بها كل الدارسين تقريباً وفي العصر الحديث لم يجد العلماء ما يعترضون به على نسبة هذا الكتاب إلى مرقس . فمن هو مرقس هذا ؟

لقد ورد ذكر هذا الاسم في سفر الأعمال ٣ مرات أولاً في ١٢ : ١٢ حيث ذكر أن الكنيسة كانت تجتمع في بيت أمه ، ويقال إن العلية التي كان يجتمع فيها التلاميذ بعد الصعود كانت في هذا البيت (أعمال ١ : ١٣) ولعلها كانت العلية التي مارس فيها الرب أول عشاء رباني (مرقس ١٤ : ١٥ ، لوقا ٢٢ : ١٢ . أما المرة الثانية التي ورد فيها اسم مرقس فهي أعمال ١٢ : ٢٥ حيث يذكر أن شاول وبرنابا أحضرا مرقس معهما من أورشليم .

والمرة الثالثة ذكر في قصة رحلة برنابا وشاول التبشيرية حيث تركهما في فرجيية (أعمال ١٣ : ١٣) وقد رفض الرسول بولس أن يرافقهما مرة أخرى في رحلتهما الثانية وافترق عن برنابا لهذا السبب (١٤ : ٣٦ - ٣٩) .

وقد ذكره بولس في رسائله ثلاث مرات أيضاً في كورنثوس ٤ : ١٠ حيث يبلغ الكنيسة تحياته ويذكر عنه أنه ابن أخت برنابا . ثم في فلبيون

٢٤ حيث يذكر عنه أنه يعمل معه مع آخرين ، وأخيراً في ٢ تيموثاوس ٤ : ١١ عندما تمتدحه ويقرر أنه نافع للعمل جداً ويطلب من تيموثاوس أن يحضره معه .

وأخيراً يذكر مرقس في ١ بطرس ٥ : ١٣ « تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني » ويلوح أن بطرس كان يعمل مع مرقس في روما في ذلك الوقت ، ويستدل على ذلك أيضاً من شهادة بابياس سالفة الذكر حيث يذكر أن بطرس كان في روما ، ومرقس كان معه .

هذا هو يوحنا مرقس في العهد الجديد أما في التقليد الكنسي فإنه يذهب إلى مصر مرتين : المرة الأولى حوالي سنة ٣٧ م حيث أرسله بطرس الرسول فدخل الإسكندرية حوالي سنة ٤٠ م ومكث هناك إلى سنة ٤٤ م . ثم ذهب مع بطرس إلى روما وهناك كتب إنجيله وفي حوالي سنة ٤٩ م رجع إلى مصر وهناك بقى إلى نهاية حياته يبشر في مصر بكل نشاط وهمة .

هذا هو مرقس في العهد الجديد والتقليد وحيث أن هدف هذه الدراسة هو إعطاء المعلومات فقط فلا داعي للدخول في مناقشات لا طائل تحتها .

تاريخ كتابة الإنجيل :

هناك اختلاف في الرأي عن التاريخ الذي كتب فيه هذا الإنجيل .

١ - الذين يتمسكون بالتقليد المصري يؤكدون أن الإنجيل كتب في منتصف الأربعينات .

٢ - هناك عالم اسمه س. س توري Torry يذكر أنه كتب فيما بين سنة ٣٩ و ٤٠ م بانياً رأيه على العبارة « فتي نظرت رجسة الخراب قائمة حيث لا ينبغي » ورجسة الخراب هي صورة كاليجولا .

وقد وضعت في الهيكل كما يعتقد هذا العالم ، ولكن هذا رأى مشكوك في صحته ومبنى على أساس ضعيف .

٣ - قال عالم آخر اسمه هارينك إنه كتب في الخمسينات .

٤ - معظم العلماء يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ - ٧٠ م وبينون عقيدتهم على الأمور التالية شهادة إيريناوس الذي يقول إن مرقس كتب إنجيله بعدموت بطرس وبولس .

ثم أن الأصحاح ١٣ يصف الحالة في أورشليم قبل خرابها ثم تأكيد الاضطهادات والألامات بعكس الفترة التي كتب فيها وهي في الستينات ومات بسببها بطرس وبولس . (مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٨ ، ١٠ : ٣٨ و ٣٩ ، ١٣ : ٩ - ١٣ . . . إلخ) .

وأخيراً التأكيد على حرية الأمم مما يدل على أن المناقشة في هذا الموضوع كانت مشتتة إلى ذلك الوقت (ص ٧) .

هذه الآراء قوية ولا يمكن أن يتجاهلها دارس .

مكان كتابته :

هناك ٣ نظريات بخصوص المكان الذي كتب فيه هذا الإنجيل :

١ - ما قاله كريستم (يوحنا فم الذهب) من أن الإنجيل كتب في مصر ولكن هذا يناقضه أكليمندس الإسكندري وأوريجانوس .

٢ - هناك رأى يقول إنه كتب في أنطاكية . فيوحنا الشيخ الذي يقتبس بايباس شهادته كان يسكن في الشرق . ثم أن ظهور بعض الكلمات الأرامية في الإنجيل يؤيد ذلك ، ولكن هذه الآراء غير مقنعة .

٣ - أما غالبية العلماء فيعتقدون أنه كتب في روما . فشهادة إيريناوس
وإكليمنديس الإسكندري يؤيد ذلك ، ثم هناك حقيقة تفسر الكلمات
الأرامية .

تفسير الكلمات الأرامية : مثل طاليناقومي (٥ : ٤١ ، انفتاً ٧ : ٣٤)
وغير ذلك وإلى جانب ذلك يعطى تفسيراً لعوائد اليهود وطقوسهم بطريقة
تجعل القارئ يفهم أنه لم يكتب لجماعة يهود أو قرييين من اليهودية وذلك
واضح في ص ٧ : ٣ و ٤ .

مما يدل على أن القراء غرباء عن الأرامية ، وأخيراً ظهور بعض الكلمات
اللاتينية في الإنجيل مثل « دينار » ، « لجنون » ، كل هذه أدلة قوية على أن
روما هي المكان الذي كتب فيه إنجيل مرقس .

الطابع الأدبي للإنجيل :

للإنجيل طابعه الأدبي الخاص به ومجمل آراء الدارسين عنه ما يأتي :

١ - لقد كتب بأسلوب شعبي بسيط يماثل كثيراً أسلوب التعامل اليومي
الذي ظهر في أوراق البردي والنقوش اليونانية التي وجدت خاصة في مصر .
وهو بذلك يختلف عن أجزاء كثيرة فصيحة في إنجيل لوقا وسفر الرؤيا الأعمال
ورسالة يعقوب ورسالة العبرانيين . ثم أنه يستخدم الجمل القصيرة الغير
مركبة ولهذا يستخدم أداة الربط بكثرة وهي « و » ، « أيضاً » . . . إلخ .

ولكن هذا الأسلوب يمتاز بحيوية دافقة قوية ميزت هذا الإنجيل عن
غيره من كتب العهد الجديد ، وتظهر هذه الحيوية في كثرة استخدام ألفاظ
السرعة مثل « حالا » ، « للوقت » ، وتظهر هذه الألفاظ حوالي ٤١ مرة ،
مما يعطى القصة حركة سريعة مستمرة . ومما يزيد قصته حركة وسرعة استعمال

البشير لما نسميه « المضارع التاريخي » ، أى أنه يستخدم الفعل المضارع عندما يذكر قصة عن يسوع ، وقد ظهر المضارع التاريخي هذا حوالى ١٤١ مرة فى الإنجيل كله (طبعاً هذا يظهر فى اللغة اليونانية) .

وإلى جانب ذلك فالبشير يذكر تفاصيل مثيرة مما يؤكد أن من يذكرها هنا كان شاهد عيان ولم يكن سامعاً من آخرين ، أو قارئاً لقصة كتاب سبقوه ، فالخمسة آلاف الذين أطعمهم يسوع كانوا يجلسون مئة مئة وخمسون خمسون وذلك على العشب الأخضر (٦ : ٣٩ و ٤٠) . ويسوع كان فى المؤخرة على وسادة نائماً فى المركب (٤ : ٣٨) . وعندها يقبل الأطفال إنه يحتضنهم ويضع يديه عليهم ويباركهم (١٠ : ١٦) ، وهكذا مما يجعل للقصة قوة وتأثيراً كبيرين .

ويصف هذا الإنجيل عواطف يسوع بطريقة واضحة قوية . فيسوع عندما يسمع الشاب الذى يسأل عن الحياة الأبدية « ينظر إليه ويحبه » (١٠ : ٢١) وعندما يقابل المريض ويشفيه فإنه « أن » (٧ : ٣٤) ، ثم يتهد من قساوة الناس (٨ : ١٢) ، ولكنه يتحنن عليهم (٦ : ٣٤) ، أحياناً يتعجب من عدم إيمانهم (٦ : ٦) ، ويغتاز من أبعاد الأطفال عنه (١٠ : ١٤) ، ويغضب ويحزن على العناد الجاهل الذى يراه فى القرى والكتبة (٣ : ٥) ، ولم يقدر أن يعمل آية واحدة لقساوتهم (٦ : ٥) .

وعندها يتكلم الإنجيل عن التلاميذ فإنه يذكر أيضاً أشياء جريئة حاسمة فعلامة الأرغفة عندما أشبع الآلاف بأرغفة قليلة لم تؤثر فيهم لأن قلوبهم كانت غليظة (٦ : ٥٢ ، ٨ : ١٧ و ٢١) ، وكانوا يحفظون الكلام دون أن يفهموه (٩ : ١٠ و ٣٢) ، وكانوا يتحرون من أشياء كثيرة يقولها ويعملها (١٠ : ٢٤ و ٣٢) ، ولم يقتصر الأمر على تلاميذه ولكن تعداه

وبصورة أشد وأقسى إلى أقربائه فقد خرجوا لكي يمسكوه لأنهم حسبوه أنه
مختل (٣ : ٢١) . وسامعوه من الشعب كانوا يتحIRON من عمله وبعائمه
(١ : ٢٧) .

هذه الصراحة التامة في كتابة هذا الإنجيل تعطى لقصته كل حيوية ، بل
تعطى الإحساس بأنه كان موضوعياً في كتابته ، فلم يتأثر بأى عاطفة ، بل
كتب كل ما وجدته من قصة يسوع الرب وما سمعه . هذه الصراحة ينفرد
بها مرقس البشير دوناً عن أى إنجيل آخر ، ولعل مثلاً واحداً أو مثليين
يكفيان لتبيان هذا الموقف المنفرد فبينما يذكر مرقس أن أقرباء السيد كانوا
يظنون أنه مختل ، يذكر متى البشير هذه القصة دون أن يشير إلى أى موقف
من أقرباء (متى ١٢ : ٤٦ - ٥٠) وكذلك لوقا البشير (لوقا ٨ : ١٩ - ٢١) .
أما في إنجيل يوحنا فإن الموقف يذكر بطريقة أخرى ، إذ يكتب أنهم لم يكونوا
يؤمنون به (يوحنا ٧ : ٥) .

وهناك مثل آخر : ففي وطنه قابل يسوع عدم إيمان عنيف ، ولهذا يقول
مرقس إن يسوع « لم يقلد أن يصنع ولا قوة واحدة » (مرقس ٦ : ٥) ،
بني حين أن متى البشير يذكر هذه الحادثة ويقول « ولم يصنع هناك قوات
كثيرة لعدم إيمانهم (١٣ : ٥٨) . وما أبعد الشقة بين التعبيرين ، أما لوقا
فلم يذكر شيئاً من هذا القبيل ، مع أنه يذكر الموقف نفسه بتفصيل واسع
(لوقا ١٦ - ٣٠) .

وهكذا يظهر تفرد إنجيل مرقس بهذه الخاصية مما يجعل لقصته حيوية
وموضوعية متبارتين .

٢ - اهتمامه بالقصة أكثر من التعاليم :

وهذه ميزة أخرى ينفرد بها مرقس البشير . ويستحسن أن نعمل مقارنة بين متى ولوقا من جانب ومرقس من جانب آخر ، وبذلك نستطيع أن نعرف القدر الضئيل لأقوال السيد المذكور في إنجيل مرقس إذا قورنت بالإنجيلين الآخرين ، ناهيك عن إنجيل يوحنا . فإذا قارنا إنجيل مرقس بإنجيل متى فإننا نجد الفرق الكبير ، فمثلاً نجد في إنجيل متى الموعظة على الجبل (ص ٥ - ٧) ولا نجد لها أثراً في إنجيل مرقس سوى بعض الأجزاء الصغيرة . المثورة هنا وهناك في مواقف مختلفة ومتعددة (مرقس ٤ : ٢١ - ٢٥) .

وبالمثل في الأمثال فإننا نجد ٤ أمثال في (ص ٤) بينما نجد ٧ أمثلة في الأصحاح المقابل له في إنجيل متى (ص ١٣) . وفي إرسالية المسيح لتلاميذه (متى ١٠ ، مرقس ٦) . ففي متى يلقى تعليمات الإرسالية في ٣٧ عدداً بينما مرقس يذكرها في ٦ أعداد فقط ، وهكذا في مقابلة الإنجيليين ، وبالمثل نجد نفس الأمر بينه وبين لوقا .

من هذا يتضح أن مرقس البشير لم يهتم كثيراً بالتعليم نفسه مع أنه - كما سنرى فيما بعد - عندما نتكلم عن لاهوته وسلطان المسيح ، كان يعتبر تعليم المسيح عنصراً أساسياً من عناصر سلطانه (١ : ٢٢) .

وأهم أنواع التعاليم التي يحتويها إنجيل مرقس ثلاثة : المثل ثم الأقوال ثم الكتابة الروئية .

الأمثال :

كل الأمثال التي وردت في إنجيل مرقس أربعة فقط وهي مثل الزارع وتفسيره (٤ : ٢ - ٢١) ، ثم مثل النبات الذي ينبت سرّاً (٤ : ٢٦ - ٢٩) .

ومثل حبة الخردل (٤ : ٣٠ - ٣٢) ، وأخيراً مثل الكرامين الأردباء (١٢ : ٣ - ١٢) . ولقد قال الرب الأمثلة الثلاثة الأولى في الجليل ، ثم ذكر الأخير في أورشليم . وفي تعليم السيد بالأمثال يذكر عنه إنجيل مرقس قولاً هو في الحقيقة اقتباس من إشعياء « . . . وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم (٤ : ١١ و ١٢) . ولقد استمر هذا القول لغزاً لدى جميع المفسرين ، إذ كيف يتكلم المسيح بالأمثال لكي يعلق على الناس مفهوم ملكوت السموات ؟ وما غرضه من ذلك ؟ هل هو حقيقة يفعل ذلك لكي لا يرجعوا إلى الله فتغفر لهم خطاياهم ؟ وهل يتفق هذا الموقف مع مجيء السيد نفسه ورسالته ؟

إن كثيراً من المفسرين يفهمون كلمة « مثل » في هذا الموقف بمعنى آخر - خاصة في كلمة الرب نفسه ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء (ع ١١) - أمثال هنا مرادفة لكلمة « أَلغاز » ، وهي لا تنطبق فقط على نوع واحد من تعاليم السيد أى الأمثال ، ولكنها تنطبق على كل تعاليمه . . . أى أن تعاليمه كلها هي عبارة عن الغاز لدى هؤلاء الناس لا يستطيعون فهمها . وهذا التفسير ليس غريباً على الكتاب المقدس :

وعلى هذا فقد اقتبس المسيح قول إشعياء الذي يصف صدور الناس عن سماع كلمة الله وصفاً ساخراً ، كأن الرب نفسه هو الذي طمس أذهانهم وقلوبهم حتى لا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم .

فإذا كان هذا المعنى والتفسير « أَلغاز » ينطبق على كل تعاليم المسيح بالنسبة للذين هم من الخارج ، الذين قسوا قلوبهم فهذا لا يضير تعاليمه بالأمثال ، ولا يمكن أن نصفها على أنها معميات بل هي حقائق عظيمة سامية توضع

في قوالب سهلة ، أخذت من حياة الناس لكي توضح لهم هذه الحقائق ،
أما هم فلقساوة قلوبهم لم يفهموها ، شأنها في ذلك شأن سائر تعاليمه . فمهما
كان نور الشمس باهراً فإنه لا ينفع الأعمى شيئاً .

الأقوال أو إعلان حقائق روحية :

هذا هو النوع الثاني من تعاليم يسوع في إنجيل مرقس . ويقصد بذلك أن
هناك قصصاً قصيرة ؛ ومواقف خاصة جاز فيها السيد وتلاميذه ، وفي هذه
المواقف أعطى إعلاناً سامياً وحقيقة روحية عميقة ، تكشف عن الأعماق
الجديدة التي للعهد الجديد . ولقد ذكر إنجيل مرقس حوالي ١٩ موقفاً منها ،
ذاكر في نهاية كل منها إعلان حقيقة نطق بها المسيح .

٢ : ٥ - ١٠ قصة شفاء المفلوج وفيها يعلن السيد : « أن لابن
الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا » .

٢ : ١٦ و ١٧ انتقاد الكتبة والفريسيين للمسيح على أنه يأكل مع
عشارين وخطاة وفي هذا الموقف يعلن « لا يحتاج
الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ، لم آت لأدعو أبراراً
بل خطاة إلى التوبة » .

٧ : ١٨ - ٢٢ السؤال عن عدم صيام تلاميذ المسيح وهنا يعلن « هل
يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ » .

٢ : ٢٣ - ٢٦ قطف التلاميذ السنابل وانتقاد الفريسيين لهم ، وينهى
السيد كلامه بالقول « السبت إنما جعل للانسان
لا الانسان لأجل السبت ، إذن ابن الانسان هو رب
السبت أيضاً » .

٣ : ١ - ٦ شفاه يد الرجل اليابسة في السبت ، فيها يتساءل السيد
« هل يخل في السبت فعل الخير أو فعل الشر تخليص
نفس أو قتل ؟ .

٣ : ٢٢ - ٢٦ اتهام الكتبة إياه أنه يبعثون يخرج الشياطين فقال
« كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً وإن انقسمت .
مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت »

٣ : ٣١ - ٣٥ أقرباء المسيح الحقيقيون « من أي وإخوتي ؟ ها أي .
وإخوتي لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي
وأي » .

٧ : ١ - ٨ عن غسل اليدين وعادات اليهود يقول السيد دأ على .
انتقادهم للتلاميذ . لأنهم لم يغسلوا أيديهم « حسناً .
تنبأ عنكم إشعيا ، هذا الشعب يكرمني بشفتيه . . . » .

٧ - ١٣ إعلان يسوع عن القربان : « . . . لأن موسى قال
أكرم أباك وأهلك . . . » .

٩ : ٣٨ و ٣٩ يوحنا يذكر لسيدة أنهم منعوا شخصاً يخرج الشيطان
باسمه وهو ليس يتبعهم يقول السيد « لا تمنعوه لأن
ليس أحداً يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعاً أن .
يقول على شرا » .

١٠ : ١ - ٩ عن الطلاق والزنى إذ يقول « من أجل قساوة قلوبكم
كتب لكم هذه الوصية . . . » .

- ١٠ : ١٣ - ١٦ عند تقديم الأولاد له ليباركهم يقول « دعوا الأولاد
يأتون إلى . . . » .
- ١١ : ٢٧ - ٣٣ عندما سأله رؤساء الكهنة عن السلطان الذي له لكي
يخرج الباعة من الهيكل « فسألهم يسوع بدوره « وأنا
أسألكم . . معمودية يوحنا من السماء كانت أم من
الناس . . . » .
- ١٢ : ١٣ - ١٧ عن الجزية عندما قال رداً على محاولة اصطياد
الفريسيين له بكلمة « . . أعطوا ما لقيصر لقيصر
وما لله لله » .
- ١٢ : ١٨ - ٢٧ عن القيامة وقصة المرأة التي صارت زوجة للسبعة
قال « . . أليس لهذا تضلون إذ لا تعرفون الكتب
ولا قوة الله . . . » .
- ١٢ : ٢٨ - ٣٤ الوصية الأولى في الناموس قال يسوع « . . تحب
الرب إلهك وتحب قريبك كنفسك » .
- ١٢ : ٣٥ - ٣٧ عن المسيح وكونه ابن داود « كيف يقول الكتبة إن
المسيح ابن داود لأن داود نفسه يقول بالروح
القدس قال الرب لربي . . . » .
- ١٢ : ٤١ - ٤٤ عن فلس المرأة إذ قال السيد « الحق أقول لكم إن
هذه الأرملة الفقيرة قد ألفت أكثر من جميع الذين
ألقوا في الخزانة . . . » .
- ١٣ : ١ - ٢ عن خراب الهيكل إذ أعلن أنه « لا يترك حجير على
حجير لا ينقض » .

هذه هي المواقف التي أعلن فيها السيد الإعلانات الجديدة ويظهر من دراستها أن البشير في ذكره لهذا الموقف والإعلان كان ينبر بالأكثر على هذا الإعلان ويعتبره الجزء الأهم في القصة كلها ، وما القصة والموقف إلا إعداداً لهذا الإعلان السامى .

٣ - الكتابة الروئية :

ما نقصده بالكتابة الروئية هو ما جاء في ص ١٣ ولعل هذه التسمية غير صحيحة في كثير من جوانبها ، فالجزء الروئى في هذا الأصحاح لا يتعدى ١٣ عدداً وهي أعداد ٧ و ٨ و ١٤ - ٢٠ و ٢٤ - ٢٧ . والكتابة الروئية ، وهي التي كتب بها سفر الرؤيا وأجزاء من سفر دانيال ، تتلخص في وصف الحروب والصراع الذي بين الله وشعبه من ناحية والشرير أو الشيطان ومن له من ناحية أخرى ، وصفاً تتدخل فيه القوى الطبيعية من زلازل وبراكين وسقوط نجوم من السماء ، وتظهر فيه ألغاز يمكن حلها إذا عرف مفتاحها ، ولا بد أن ينتصر شعب الله أخيراً ويملك الله . هذا هو أسلوب الكتابة الروئية . ومقياساً على هذا نستطيع أن نقول إن هذه الأعداد السابقة الذكر تشابه إلى حد كبير هذا النوع من الكتابة مع أنها تختلف في بعض نواحيها . « فمثلاً لماذا لا نجد في نهايتها وصفاً لنهاية الشيطان وإلقائه إلى أسفل ؟ ووصفاً للدينونية النهائية وزوال الشر من الوجود ؟ هذه العناصر التي لا بد من وجودها في الكتابة الروئية .

لكن إلى جانب هذا الجزء يوجد باقى خطاب المسيح ، ولكن سنبقى دراسة هذا الأصحاح كله إلى أن نصل إلى الجزء الخاص بلاهوت إنجيل مرقس لكي نتفهم معناه .

نظرية نهاية الإنجيل :

في النسخة العربية التي بين أيدينا ينتهي الإنجيل عند ١٦ : ٢٠ ، ولكن هناك مشكلة كبيرة بخصوص الأعداد ٩ - ٢٠ من هذا الأصحاح وتتلخص المشكلة في أمرين :

هل هذه الأعداد ٩ - ٢٠ أصيلة في الإنجيل ، بمعنى هل كتبها مرقس في نهاية إنجيله ليختتمه ؟ ظهر هذا السؤال نتيجة لعاملين مهمين جداً : الأول هو أن أهم مخطوطتين قديمتين وهما الفاتيكانية . والسينائية لا توجد بهما هذه الأعداد . وكذلك مخطوطات أخرى أقل أهمية منهما إلى جانب ذلك عدد كبير من الترجمات القديمة المعتمدة مثل السريانية والأرامية .

ويتصل بذلك أن بعض المخطوطات والترجمات تتضمن نهايتين إحداهما كبيرة ٩ - ٢٠ والأخرى صغيرة ، ومنها الترجمة القبطية الصعيدية والبحيرية وفي مخطوطة واحدة لاتينية قديمة لا توجد سوى النهاية في الصغيرة ولكنها لا تحتوي على الأعداد ٩ - ٢٠ .

وإلى جانب هذه النهايات المختلفة يظهر . وخاصة في اللغة اليونانية - اختلاف واضح في الأسلوب بين الأعداد ٩ - ٢٠ وبقية الإنجيل والكلمات المستعملة فيه . وكذلك فإن من يدقق الدراسة فإنه يدهش لما بيده (ع ٩) بخصوص مريم المجدلية كأنها ذكرت للمرة الأولى في الأصحاح لأنه يحاول التعريف بها في نفس الوقت الذي يذكرها في العدد الأول على أنها شخصية معروفة ولا تنقل في ذلك عن مريم أم يعقوب وسالومة .

على أساس هذين الاعتبارين فقد اعتقدت الغالبية العظمى من الدارسين أن هذه النهاية ليست من وضع البشير نفسه ، وأنها قد أضيفت إلى الإنجيل بعد ذلك .

٢ - وهنا يواجهنا الأمر الثاني وهو أن العدد ٨ الذي يظن العلماء أنه نهاية الإنجيل لا يصلح أن يكون نهاية ، فالترجمة الحرفية له تنتهي بكلمة « لأنه » ولا يعقل أن ينتهي كتاب هكذا ، وليس ذلك فقط ، بل كيف يمكن لمرقس وهو الإنجيلي الذي يظهر رسالة الإنجيل في أول كتابه وأن ملكوت قد جاء بنهي هذا الكتاب نفسه بوصف حالة النساء بأنهن كن خائفات - إن المنطق لا يقبل ذلك .

وعلى هذا الأساس ينتهي الدارسون إلى النتيجة المنطقية بأن مرقس لم يترك إنجيله هكذا ، لا بد وأنه كتب له نهاية ولكنها فقدت لسبب ما ، كأن قطعت الورقة أو تشوهت الكتابة ، وإلا فإن مرقس عندما وصل إلى العدد ٨ حدث له حادثة منعتة عن التكملة .

إن كل شيء جائز إلا أن ينتهي الإنجيل بنهاية عدد ٨ .

هذه هي مشكلة النهاية ، ويلوح أن أحد الكتبة الأقدمين أضاف النهاية الصغيرة التي ذكرت من قبل لكي يتفادى النقص الموجود في النسخة التي بيده . ثم أضيفت النهاية الكبرى لإعلان ظهور المسيح لتلاميذه وإرساله لهم وذلك في أسلوب مختصر يحتوى على ظهورات كثيرة في أعداد قليلة بخلاف الأناجيل الأخرى .

هذا ما يؤكد الغالبية العظمى للدارسين .

ولاستكمال الدراسة يستحسن أن نذكر هنا النهاية القصيرة التي وجدت في الترجمة القبطية وبعض المخطوطات اليونانية الأخرى وكل ما أمروا به أخبروا به بطرس ومن معه . وبعد هذه الأمور ظهر يسوع نفسه ومن الشرق إلى الغرب أرسل معهم الكرازة المقدسة الباقية دائماً . . الكرازة بالخلاص .

رسالة انجيل مرقس :

ما هي الرسالة التي ينفرد بها هذا الإنجيل ؟

١ - إذا اعتقدنا أن إنجيل مرقس هو أول إنجيل كتب فهذا يعني أن القديس مرقس قد أوجد نوعاً جديداً من الآداب لم يكن معروفاً من قبل . فمن يقرأه قد يظن أنه تاريخ حياة لأنه يجذبه قصصاً من حياة ورسالة يسوع . ولكن كما سبق وقلنا : لم يكن هذا الإنجيل يهدف إلى هذا أساساً . إنه لم يذكر هذه القصص لكي يعرفنا بتاريخ حياة السيد ، ولكنه كان يقصد شيئاً آخر يظهر بمجرد أن يبدأ الدارس في القراءة . إنه يبدأ بالقول بدء إنجيل يسوع المسيح « ابن الله » . إن هذا الكتاب مملوء بالعقيدة والتفكير اللاهوتي ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن نعتبره كتاب لاهوت أو مقالة لاهوتية كتبت لهذا الغرض .

إن أصدق وصف لهذا النوع من الكتابة أنه « كرازي » Kérygmatic ، إنه إعلان خبر أو حقيقة للمجتمع ، وهو يستخدم القصص التي حدثت في حياة هذا الإنسان : يسوع الناصري ، وعقيدته فيه ، لكي يوضح هذه الحقيقة أو هذه الحادثة الجديدة ويشرحها . إنه إنجيل . وهذا يعني أن المادة التي تحتوي عليها لها صلة خاصة بالبشارة المسيحية الأولى التي تسجلها كيرجما Kerygma وفي هذا يشترك البشير مرقس مع من تبعوه في الكتابة مثل القديس متى والقديس لوقا والقديس يوحنا .

٢ - إذا استرجعنا ما سبق وقيل عن المميزات الأدبية لهذا الإنجيل ، كاهتمامه بالقصة والخبر أكثر من التعليم ، وطريقة تقديمه للمادة التي لديه ، والأسلوب الذي كتب به . . ذلك الأسلوب الحلي المتدفق ، فيجب أن نذكر هنا أنه كتب هكذا لهدف ولغرض أسامي سوف نعرفه بعد أن نذكر صفة

أخرى في إنجيل مرقس . لقد قيل عنه بحق ، إن أساسه هو قصة آلام السيد ،
 أى قصة الأسبوع الأخير بما يتخلله من مجاهبات وآلام ثم موت السيد وقيامته
 هذه القصة تسبقها مقدمة طويلة تمهد لها. فحجم قصة أسبوع الآلام الأخير .
 أقل قليلا من نصف الكتاب ، وقد ذكرت بتفاصيل دقيقة ، وتناوب يومى
 لا مثيل له في بقية الإنجيل ، مما يدل على أن هذا الأسبوع وما حدث فيه وما
 تبعه بعد ذلك كان الهدف الأساسى من الكتابة ويلاحظ القارئ لهذه المقدمة
 الطويلة أنها تقوده بالتدرج وتكشف له الغطاء رويداً رويداً ، فكلمة تقدم في
 القراءة كلما أحس أنه يقرب من قصة الآلام ، أو من مثل هذه النهاية التي
 ينتهى بها الكتاب . . ولعل أهم مثال لذلك تلك الأقوال التي نطق بها السيد
 مشيراً إلى موته وألمه وقيامته . فقد بدأ بالتلميح ، إلى ذلك، ثم بدأ يكشف
 رويداً وتدرجياً حتى يتمكن من وضعها في قلب وعقل هؤلاء التلاميذ ، لكي
 يتحملوا الصدمة ولا يتحطموا نهائياً عند حدوثها . فبدأ بالصيام : إنهم
 يصومون متى رفع العريس عنهم (٢ : ٢٠) ثم تقدم إلى وصف الصراع
 الذى دار بين السيد والفريسيين (٣ : ٥) ، ثم إلى التصريح العلنى بقتله
 (٨ : ٣١) ، وهكذا سار (أنظر ٩ : ١٢ و ٣١ و ١٠ : ٣٣ و ٣٤ و ٣٨ و
 ٤٥ و ١٢ : ٦ - ٨ و ١٤ : ٨ و ١٧ - ٢١ و ٢٢ - ٢٥ و ٢٧ و ٣٤ و
 ٣٦ - ٣٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٨ و ٤٩) . وبهذا الأمر يكشف الإنجيل أن
 الهدف الأساسى لعمل السيد وتعاليمه هو هذا العمل الأخير وهو ألمه وموته
 وقيامته من بين الأموات .

ولكن في هذا الجو . . جو الألم لا يرسم الإنجيل صورة مقبضة لمسيح
 مظلوم : كشاة سيقى إلى الذبح وهو منكسر ويستسلم لأعدائه دون مقاومة
 لأنه ضعيف لا يقدر أن يفعل غير ذلك . . كلا هذه الصور الأساسية

السيد : إنه يسير بنفسه إلى أورشليم مثبتاً وجهه نحوها ، (١٠ : ١ و ٣٢-٣٤)
فيذهب إلى المكان والجماعة التي ستقتله . إنه يواجه الفريسيين بكل شجاعة
لكي يعلن لهم الحقيقة والحق ، حتى ولو أدى ذلك إلى مؤامرتهم عليه لكي
يقتلوه (٣ : ٥ و ٦) ويتحداهم في شرهم ويخرج تجارهم من بيت الله بسوط
من حبال ، (١١ ، ١٥ ، ١٨) . وفي محاكمته أمام جميع ممثلي قوى العالم
اليهودى والرومانى وقف يشهد : ويمتنع عن الكلام ، كما يجد الوقت مناسباً
لذلك . (١٤ : ٦١-٦٥ ، ١٥ : ٢-٥)

٣- وهناك أمر آخر ينبر عليه الإنجيلي في كلامه عن السيد : وذلك
عندما ينبر على الأعمال العظيمة التي يقوم بها يسوع .

فبعد أن قام السيد بكثير من أعماله العظيمة أوصى الذين شفاهم أو الذين
رأوا أعماله ألا يظهروه أو يتكلموا عنه كسيا « فعندما أرادت الأرواح التي
طردتها من المرضى أن تعلنه أخرسها وأورها بالأنا تنكلم بما تعرفه (١ : ٢٥ و
٣٤ ، ٣ : ١١) والذين رأوا معجزاته أو اختبروها أمرهم ألا يذيعوها
(١ : ٤٤ ، ٥ : ٤٣ ، ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٢٦) . واستمر يفعل ذلك حتى
بعد اعتراف قيصرية فيلبس (٨ : ٣٠) وبعد أن أظهر نفسه لتلاميذه على
جبل التجلي (٩ : ٩) . واتسمت تعاليمه كذلك بالسرية ، فعندما كان يشرح
أسرار ملكوت السموات لم يكن معه غير تلاميذه (٤ : ١٠-١٢) وفعل
نفس الشيء في تعليمه عن آلامه وموته (٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٣) ،
وعن المحبى الثاني (١٣ : ٣-٣٧) . وكانت له رحلات سرية يقوم بها وهو
لا يريد أن يعلم أحد بها (٧ : ٢٤ ، ٩ : ٣٠) . وهكذا فرض السيد سرية
تامة على شخصيته وهويته ولم يرد أن الجماهير تعلم بها . فلماذا ، ولماذا ينبر
مرقس على هذه الحقيقة أكثر من أى إنجيلي آخر ؟

إن السبب الرئيسي وراء ذلك هو تلك الفكرة الخاطئة التي كانت تملأ عقل الناس عن نوعية المسيا ، وأعلن السيد مسيانيته (أى مركزه كسيا) فحاول الناس أن يشوه عن رسالته الأصلية وطلبوا منه رسالة أخرى خاطئة ، ليست لها صلة بعمله لا بما أراد أن يتممه في الأرض . فقد حاولوا أن يختطفوه لكي يجعلوه ملكاً كما يذكر يوحنا ذلك (يوحنا ٦ : ١٥) . وقد فعلوا ذلك عندما أشيع بطونهم وجوعهم بالخبز . إنهم يريدون مسيا نسجوه هم من حاجتهم الجسدية ، وخيالهم الأرضي ، أما مسيا يتألم ، مسيا يطبع الآب ، مسيا له ملكوت ليس من هذا العالم ، يشقى الناس من الخطية والنشر ، فهذا ما لم يخطر لهم على بال . إن خطأ الفكرة عندهم جعلته يطلب من كل من عرفوه ألا يتكلموا عنه ، حتى يقوم من الأموات ، وبذلك يكتشفون بكيفية حاسمة نوع مسيانيته ، وبذلك يؤمنون لا بما صورته خيالاتهم بل بالمسيح المخلص ، المسيح عبد الرب الذي جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك .

هذه الحقيقة التي يذكرها الإنجيلان الآخران متى ولوقا، ينبر عليهما إنجيل مرقس بتأكيد أكثر ، فهل كان هناك سبب خاص به وراء اهتمامه الزائد بها ؟ نعم وسنكتشف أن الموقف الخاص الذي دفعه لكتابة إنجيله جعله يفعل ذلك .

٤ - ومع ذلك فإنجيل مرقس يكشف حقيقة أخرى مناقضة للحقيقة السابقة تماماً ، فيذكر قصة جماعة أخرى عرفت حقيقة يسوع معرفة صحيحة وكاملة . معرفة لا يمنعها السيد بل بالحرى يشجعها . كان ذلك في حادثتين هامتين ، اختتمت أولاهما النصف الأول من إرسالية السيد وهي اعتراف بطرس العظيم في قيصرية فيلبس (٨ : ٢٩) وجاءت الثانية في اختتام النصف الثاني من هذه الإرسالية الفدائية وهي اعتراف قائد المائة وهو ينظر السيد على الصليب (١٥ : ٣٩) الاعتراف الأول من رجل يهودي يمثل اليهود ،

والاعتراف الثاني من رجل أمي يمثل الأمم . وتتميز هذه المعرفة بأمرين في غاية الأهمية : الأمر الأول هو أنها معرفة لا تعتمد على المظاهر بل يمكن أن يقال بكل ثقة إنها معرفة حقيقية بشخصية السيد رغم كل المظاهر القاسية التي لا توحى بها . ولهذا يقول السيد لبطرس « طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودماً لم يعلن لك ولكن أبي الذي في السموات » (أنظر متى ١٦ : ١٦) . وهل كان يمكن لقائد مائة أمي لا يعترف إلا بالقوة والشجاعة البدنية في الحروب أن يعترف بإنسان مهان محطم الجسد ، وقد رفع على الصليب ، لا حول له ولا قوة عالمية ، ويقول عنه إنه « ابن الله » . إنها معرفة لا تنبع من الأرض بل من السماء . أما الحقيقة الأخرى التي تتميز بها هذه المعرفة فهي أنها جاءت مرتبطة بالألم والصليب . فما أن اعترف بطرس بالمسيح حتى أعلن لهم السيد أن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الكهنة والسيوخ ويقتل ، وكانت معرفة قائد المائة بالسيد على الصليب نفسه ، حين قتلوه . في هذا الجو بزغ نور المعرفة الحقيقية ، وظهرت شخصية المسيح وعرفوه من هو . كان هذا أمراً غريباً ، ففي وقت القوة والانتصار على القوات المعادية ضل الناس عن معرفته ولكنهم عرفوه على حقيقته في وقت الألم والضعف ، فهل كان البشير يقصد هذا عند كتابته ذلك ؟

٥ - من كل ما تقدم ، يمكننا أن نتلمس حقيقة هامة يرجح أنها كانت تحدد القديس مرقس في انتخابه للمادة التي وضعها في إنجيله . فقد أرشده روح الله القدوس أن ينتقى من حوادث حياة السيد وتعاليمه ما يلائم الرسالة التي من أجلها كتب هذا الإنجيل . فالسيد في هذا الإنجيل يقوم بعمله في إطار ومواجهة الأزمة ، فهو لم يكن يعمل ويتكلم من واقع فراغ لا صلة له بالحياة أو ترف أو إظهار قوته سلطانه الشخصي بقصد الاستعراض كما كان يفعل معاصروه ، ولكنه كان يفعل ذلك في مواجهة أزمة بل وأزمات متتالية .

فأهم إعلاناته قائلًا في مواجهة التحدى الشديد الذى واجهه به اليهود . وفى
بدء خدمته نجد خمس مواجهات حادة (٢ : ١ - ٣ : ٦) وهى : غفران
الخطايا (٢ : ١ - ١٢) . ثم مخالطته للعشارين والخطاة (٢ : ١٣ - ١٧) ،
الصوم (٢ : ١٨ - ٢٣) : السبت (٢ : ٢٣ - ٢٨) . الشفاء فى يوم السبت
(٣ : ١ - ٦) . وكانت هذه المواجهات كلها فى الجليل . وفى مقابل ذلك
كانت هناك خمس حوادث أخرى فيها مواجهات مع اليهود فى أورشليم ،
وكان ذلك فى أواخر خدمته قبل موته وقيامته (١١ : ٢٧ - ١٢ : ٣٧) .
وهى : سلطانه لتطهير الهيكل . (١١ : ٢٧ - ٣٣) غضبهم منه من أجل
مثل الكرامين القتلة (١٢ : ١ - ١٢) . ثم مسألة الجزية لقيصر (١٢ : ١٣ -
١٧) . ومشكلة القيامة (١٢ : ١٨ - ٢٧) وأخيراً عن صلة المسيا
بداود كيف يكون ابنه وربّه فى نفس الوقت (١٢ : ٣٥ - ٣٧) . ويذكر
القديس مرقس بين هاتين المجموعتين من المواجهات الأولى والأخيرة فى
حياة السيد مواجهتين أخريين : اتهامهم إياه بأنه يبعلزبول يخرج الشياطين
(٣ : ٢٢ - ٣٠) ثم المناقشة الطويلة عن الطاهر والنجس (٧ : ١ - ٢٣) .
فى كل هذه المواجهات يعطى السيد الإعلانات التى تكشف عن نفسه وعن
سلطانه الذى يرتقى إلى سلطان الله نفسه .

وظهرت شخصية يسوع فى المواجهة لحاجة الإنسان الملحة وفى إسعاف
المحتاجين ابنه الوحيد الذى يعرف حاجة الإنسان العميقة كما يظهر ذلك فى
غفران خطايا الرجل المفلوج (٢ : ١ - ١٢) وشفاء الرجل الذى به اللجئون
(٥ : ١ - ٢٠) .

لقد واجهته القوى الأخرى كالشيطان ، والوحدة المؤلمة ولكنه انتصر ،
كما حدث فى نصرته فى تجرّيبته فى البرية (١ : ١٢ و ١٣ و ٢٤-٢٧ و ٣٤) .

كما واجه الطبيعة والبحر المهتاج بالأعاصير وبكلمة واحدة أعادها للهدوء (٤ : ٣٧ - ٤١) في كل هذه المواقف أعلن السيد نفسه ، وقد جمعها القديس مرقس معاً في كتابه .

٦ - من كل هذا التحليل والدراسة لإنجيل مرقس من حيث الأسلوب الذى كتب به البشير الإنجيل والمادة التى جمعها فيه والطريقة التى رتب بها هذه المادة ينتج أمراً هاماً وهو أنه كان يقصد أن يقدم يسوع المسيح بطريقة خاصة لظرف خاص ، لجماعة مخصوصة ، هذه الجماعة هى الكنيسة فى روما . لقد سبق وعرفنا أن الإنجيل كتب فى روما . وللكنيسة هناك ، وكثبت فى وقت أزمة حادة قاسية . كانت روما تحت حكم الطاغية نيرون ، وكان هو الذى نصب من نفسه إلهاً لكى يعبد ، وكان المسيحيون فى موقف قاس لأنهم لا يستطيعون أن يعبدوا شخصاً آخر غير الرب . ونظراً لذلك فقد كانوا لا يختلطون بالناس فى مواسمهم وأعيادهم لأنهم لا يريدون أن يشاركوا فى النجاسة والفساد ، ولذلك التصقت بهم تهمة كراهيتهم للناس ، ولكن هذا كله لم يدفع المشولين أن يتخذوا ضد المسيحيين أى عمل اضطهادى .

لكن الأمر تغير عندما شبت فى العاصمة نيران مدمرة ، استمرت سبعة أيام حطمت الكثير من المدينة ، وعندما بدأت تخمد شبت بشراسة مرة أخرى من المكان الذى كان يسكنه رئيس الحرس الامبراطورى ، وكان هناك غوغاء يطلقون شعلات ملتهبة يزيدونها اشتعالا ، ولما سئلوا عن سبب ذلك قالوا إن هذه أوامر عليا . وأتت النار على ثلاث مناطق فى المدينة فحولتها إلى رماد ، ثم أحدثت أضراراً بالغة بسبع مناطق أخرى ، ولم تنج من الحراب إلا أربع مناطق ، وبدأت الإشاعات تهتم الامبراطور بحرق المدينة . رغم ما أظهره لهم من المساعدات ، والسرعة التى أقام فيها المباني والطرق والتعمير ٥

وهنا أراد الامبراطور أن يجد كبش الفداء فلم يجد أمامه إلا المسيحيين ، وبدأت الاضطهادات الشديدة والمريرة ، وتفنن جنود الامبراطور وجلادوه في التعذيب . فألبسوا المسيحيين جلود الحيوانات وأطلقوا عليهم الكلاب المفترسة فزقتهم ، وبعضهم أشعلوا فيه النار ليستعملوهم كصايح آدمية لتضيء حدائق الامبراطور ، وغير ذلك من العذابات الشاقة المريرة فهرب منهم الكثيرون وسكنوا في القبور ، لهذا الموقف كتب الإنجيل ، أى أنه كتب لجماعة تواجه أزمة إبادة وتعذيب لا حد له .

لمثل هذه الجماعة يقدم الرسول مرقس الإنجيل فيقول « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » إن هذه الكلمات هي نفس الوتر الذى لعب عليه إشعيا النبي في العهد القديم عندما قدم بشارته الخلاص الآتى للشعب المسكين المسي « على جبل عال إصعدى يا مبشرة صهيون إرفعى صوتك بقوة ، يا مبشرة أورشليم ، إرفعى لا تخافى قولى لمدن يهوذا هوذا إهلك ، هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له » (إشعيا ٤١ : ٩ و ١٠) . ففي وسط الضيق القاسى المرير يأتى صوت الإنجيل ، بشارته الفرح . بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله لهذه الجماعة التى فى وسط بابل السبي ، والعذاب والضيق . ولقد أطلق على روما لقب بابل فى العهد الجديد لأنها تقف من كنيسة الرب . موقف بابل من إسرائيل (١ بطرس ٥ : ١٣ ، رؤيا ١٧ : ٥ و ٦ و ١٨) . وعندما يركز الانجيلى بالبشارة فإنه يضع أمامهم المسيح المخلص القوى . الذى جاز قبلهم كل ما يجوزونه ، هل هم فى المقابر تائبون ؟ لقد كان هو أيضاً فى البرية بعيداً عن كل إنسان فى وحدة قاسية فى مواجهة الشيطان ، وكان هناك مع الوحوش . ولكن مع ذلك فقد كانت الملائكة تخدمه ، فلم يكن وحيداً . . إنه أراد أن يقول لهم إن المكان الذى يوجد فيه السيد حتى وإن كانه برية قفر إلا أنه سيتحول إلى سماء ويملك فيها الله .

ولكن أين هو المسيح؟ أين هو في هذا الوسط القاسى المظلم ، فى مكان العذاب والموت ؛ إن القديس مرقس بأسلوبه الحى ، المملوء بالقوة يتكلم عن المسيح القوى الذى ينتصر على كل قوات الشر ، لأنه يريد أن يعلن للكنيسة المضطهدة أنه لم بسكت بل لا يزال يعمل ، إنه هو هو حتى عامل نشط فى وسط شعبه . هذه هى ميزة أسلوب مرقس ، إنه لم يكن أسلوب الشخص الذى لم يهتم بقواعد اللغة ولكنه أسلوب الشخص الذى أراد أن يعزى ويطمئن الكنيسة بأن سيدها لا يزال فى وسطها حتى وقوى يحارب حروبها .

لقد تكلم السيد عن الاضطهادات التى ينتظرها كل مسيحي ولكن فى هذا الاضطهاد يظهر المسيحي المؤمن الحقيقى ، فالبدار قد ألقيت وجاءت على الأراضى وهناك من يقبلها ولكنه عندما يواجه الاضطهادات والأخطار الشديدة فإن الكلمة تختنق ، وهذا ما ينطبق على الكنيسة فى هذا الوسط الذى يظهر العداوة المرة . إن كلمات يسوع كانت ترن فى آذان أعضاء الكنيسة هناك : « إن أراد أحد أن يتبعنى فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى . لأن من أراد أن يخلص حياته يهلكها ومن أراد أن يهلك حياته من أجلى ومن أجل الإنجيل فهذا يخلصها . . . من استحي بى وبكلامى فى هذا الجليل الفاسد الخاطى سينكره ابن الإنسان متى جاء فى مجد أبيض مع ملائكته الأبرار » (٨ : ٣٤ - ٣٨) .

وإلى جانب ذلك فإن السيد الذى وقف بكل شموخ يقول لأولئك الذين أرادوا أن يجربوه « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (١٢ : ١٧) فيضع بذلك حدوداً واضحة لسلاطة القيصر وما يطلبه ويتطلبه ، إنه ليس السيد ولا الرب ، هناك سيدنا وإلهنا الذى يجب أن يطاع أكثر من جميع الناس .

إن يسوع أمام الصليب والكل قد هربوا وقف بكل جلال أمام بيلاطس
ممثل السلطة الرومانية . لقد اعترف الاعتراف الحسن . نعم أنهم حكموا
عليه بالموت ومات ، ولكنه قام وانتصر وما أجمل كلمات الملاك « لا تخافوا
أنتن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب ليس هو هنا لكنه قام : أنظروا أين
وضعه لكن اذهبوا وقولوا لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك
ترونه كما قال لكم » (١٦ : ٧٦) .

هذه هي رسالة إنجيل مرقس . . رسالة التلمذة الحققة في وسط الألم
والعذاب رسالة العزاء والقوة . . رسالة إنجيل المسيح ابن الله .

الفصل الثالث

إنجيل متى

يعتبر إنجيل متى من أحب الأناجيل إلى الكنيسة المسيحية عامة وأكثرها شعبية فيها ، فمن بدء ظهوره إلى الآن وهو الأقرب دائماً ، والأكثر استعمالاً فيها . ولكن هذه الحقيقة لا تبرهن على أن هذا الإنجيل هو أحسن الأناجيل أو أكملها ، لأن لكل إنجيل اتجاهه وفكره وهدفه الذي كتب من أجله ، ولكن هناك أشياء أخرى سيأتى ذكرها فيما بعد جعلت منه إنجيل الكنيسة بحق . يكفى هنا أن نقول إن متى احتوى على الغالبية العظمى من المادة التي يتكون منها إنجيل مرقس ولكنه يزيد عنه تلك التعاليم الكثيرة التي انصبت على مواضع مختلفة كانت الكنيسة في ميسس الحاجة إليها ، لأنها كانت تعالج مشاكل كثيرة : وهل هناك تأثير يفوق تأثير الموعظة على الجبل التي يحتويها هذا الإنجيل ، على حياة الكنيسة وسلوكها ؟

ولكن قبل أن ندرس الإنجيل في تركيبه ومضمونه يستلزم أن نجيب على بضعة أسئلة أولية تتطلبها الدراسة :

من هو كاتب الإنجيل :

انقسم الدارسون إلى ثلاثة فرق تجاه هذه القضية :

١ - فريق يتمسك بالتقليد الكنسي الطويل ويقول إن متى العشار تلميذ المسيح هو كاتب الإنجيل ويعتمد على أمرين : الأول : هو أن العنوان « بحسب متى » قديم جداً ظهر قبل نهاية القرن الثاني الميلادي . نعم إنه لم يكن من ضمن

النص الأصلي للإنجيل ولكنه مع ذلك فهو قديم جداً ظهر على الأقل سنة ١٢٥ م .

أما الأساس الثاني : فهو قول بايياس « إن متى كتب الأقوال Ta Logia باللغة العبرانية ، وكل واحد يفسرها على قدر معرفته ، ويعتقد المتمسكون به بأن بايياس يقصد « متى » التلميذ الذي كان عشاراً ودعاه يسوع وجعله تلميذاً ورسولاً . (متى ٩ : ٩ و ١٠) . ويقصد بكلمة الأقوال : الإنجيل كله . وعلى هذا الأساس يقولون إن كاتب هذا الإنجيل في شكله الحالي هو متى أو لاوى العشار .

٢ - أما الفريق الثاني فينكر أن متى رسول المسيح كانت له صلة بهذا الإنجيل وينكرون أن قول بايياس ينطبق على هذا الإنجيل الحالي : ولهم في ذلك عدة أسباب :

السبب الأول : هو أن بايياس يذكر أن متى كتب باللغة العبرية ، ولكن العارفين باللغات يقولون إن إنجيل متى الحالي كتب أصلاً باللغة اليونانية ، ومن السهل بمكان أن نميز كتاباً مترجماً من لغة إلى لغة أخرى عن آخر كتب في لغة أصلية ، وليس مترجماً .

أما السبب الثاني : فهو أن متى في تكوينه قد اعتمد كثيراً جداً على إنجيل مرقس . فلقد استنتج العلماء بعد الدراسة أن إنجيل مرقس كان في متناول يد البشريين الآخرين متى ولوقا وأنهما قد استخدماه أساساً لكتابتهما ، ولقد كان البشير متى بالذات أكثر الاثنين استخداماً لهذا الكتاب في ترتيب الحوادث ، وفي اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه . وهذه حقيقة أوضحت معرفة لدى جميع الدارسين . ولا ينكر عالم أن لغة إنجيل مرقس وأسلوبه في الكتابة يظهر أنه كتب قبل الإنجيليين الآخرين : وهنا يتساءل هذا الفريق : لو قيل

أن لوقا اقتبس من مرقس لما كان هناك من حرج لأن مرقس بحكم شهادة التقليد الكنسي كان أقرب إلى الأصول من لوقا ، لأنه أخذ كثيراً من مادته من الرسول بطرس نفسه وهو نفسه يقول إنه جمع مادته من مصادر متنوعة (لوقا ١ : ١ - ٣) . لكن كيف يكون الحال مع متى لو كان حقيقة تلميذ المسيح المعروف ؟ ألا يعتبر ذلك أمراً غير محتمل ؟ هل يعتمد التلميذ ، وخصوصاً تلميذ كمتى له عقليته المرتبة الواعية أن يعتمد على مصدر لم يكن له نفس القرب الذي له ؟ كيف يعتمد متى التلميذ على مرقس تلميذ التلميذ ؟

وهناك سبب ثالث يبني على الثاني ، وهو أن من نقرأ الإنجيليين يرى اختلافاً في حيوية الكتابة للإنجيل مرقس يؤكد أن المادة التي فيه قد خرجت من شاهد عيان والتفاصيل الدقيقة مثل « كان في المؤخرة على وسادة نائماً » وجلسوا على العشب الأخضر (مرقس ٦ : ٣٩) وغير ذلك كما ورد ذكره في قضية الأناجيل الثلاثة الأولى . أما متى فإنه يختلف عنه ، ولكنه اختلاف الشخص الذي أخذ المادة منه وأجرى فيها بعض « التلميع » إن جاز هذا التعبير ؟ وهذا يدل على أن مرقس كتب أولاً : مستقياً مادته من شخص قريب من يسوع . بخلاف متى الذي أخذ من مصدر وسيط ، ولم يكن شاهد عيان ويدل أسلوبه على ذلك أنه أسلوب الشخص الذي جلس يفكر ويصلح وليس الشخص الذي شاهد بعينه ثم ذكر ما رأى وعرف .

لهذه الأسباب الثلاثة ينكر هذا الفريق كتابة الرسول متى لهذا الإنجيل ، ويفسرون كلمات بايلاس تفسيرات مختلفة أهمها أنه كان يذكر إنجيلاً آخر هو « إنجيل العبرانيين » أو كان يقصد مجموع التعاليم التي أخذ عنها متى ولوقا والتي يسميها العلماء Q .

٣ - أما الفريق الأخير فهو يقف موقف الوسيط بين الموقفين السابقين .
إنه لا يريد أن يقلل من قيمة التقليد الكنسي الذي بدأه بايلاس وأخذ عنه كثير
من الآباء أمثال تيرتيان وأوريجانوس وغيرهما وفي نفس الوقت لا يستطيع
أن يذهب إلى آخر المدى مع هذا التقليد رغم معارضته لأشياء كثيرة علمية .
هذا الفريق يربط متى الرسول بالكتاب ، ويعتقد أن « التعاليم » التي يذكرها
بايلاس من مجموعة التعاليم الموجودة في متى حالياً . مثل الموعدة على الجبل
والأمثال وغيرها . وقد أخذها واحد آخر وربطها بمجموع الحوادث
الموجودة في إنجيل مرقس إلى جانب مصدر آخر أخذ منه بعض الحوادث
كحوادث الميلاد . ربما كان هذا الرجل تلميذاً في مدرسة اسمها « مدرسة
متى » وقد يكون شخصاً آخر . وقد تكون مجموعة التعاليم هذه هي نفسها
المصدر Q وقد كتبت أصلاً باللغة الأرامية .

قد يكون كل ذلك إنما الأمر المهم هو أن متى كان مشاركاً في كتابة
هذا الإنجيل بوضعه نواته الأولية وجاء شخص من بعده وأكمل هذا الإنجيل
على صورته الحالية .

وهنا يواجهنا السؤال : من هو الكاتب إذن ؟ لا نستطيع أن نعطيه اسماً
قد يكون متى الرسول وقد يكون غيره ولكنه بدون شك هو شخص يتميز
بالأمور التالية :

١ - أنه كان يهودياً يعيش خارج فلسطين والسبب في ذلك أنه كان
يكتب باللغة اليونانية وفي نفس الوقت يقتبس من الترجمة السبعينية ولكنه
كان متعلماً وعارفاً بالكتب المقدسة أي العهد القديم معرفة واسعة ؟

٢ - كان متأكداً من أن يسوع قد أكمل كل انتظارات اليهود في إطار
الكتب المقدسة : موسى والأنبياء والكتب ، ولكنه لم يتمم انتظاراتهم التي

نسجوها من تاريخهم ووجودهم السياسى والاجتماعى ، ولهذا فقد كان جل هم الكاتب أن يظهر أن هذه الانتظارات الأخيرة كانت خاطئة ، وهذا يفسر اختلاف أعمال يسوع عما كان ينتظره العامة الذين خلطوا ما بين رغباتهم وتنبؤات الكتب المقدسة .

٣ - كان شخصاً ذا عقلية مرتبة واعية فهو لم يكتب الحوادث ويرصها رصاً ثم يفسرها ولكنه يرتبها بطريقة خاصة - كما سيجى فيما بعد - مما يدل على أنه لم يكن شخصاً عادياً . نعم كان لترتيبه هذا دافعاً لاهوتياً ولكنه عبر عن رأيه بعقلية عملية متزنة .

٤ - كل من يتصفح كتابه يشعر أنه رجل لم يكن بعيداً عن اليهودية بل لعله كان واحداً من الربيين اليهود تخرج من مدارسهم وعرف أسرارهم ، ولقد ظهرت في هذا الإنجيل حقائق لم تظهر في الأناجيل الأخرى تبرهن على مدى قربيه من الديانة اليهودية قبلاً :

(أ) فهو أكثر الإنجيليين معرفة بأخلاق اليهود المتدينين والمتعلمين ودرايته بسلوكهم واسعة : فهو الذى ذكر قول السيد عنهم إنهم يحاولون أن ينتفعوا بتدينهم إلى أقصى حد ، إذ يأخذون المراكز الأولى في المجتمع (٦ : ١ - ٦ ، ١٦ - ١٨ ، ٢٣ : ٥) ولأجل ذلك يعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم (٢٣ : ٥) ثم يسافرون في البر والبحر لكي يكسبوا دخيلاً واحداً إلى اليهودية (٢٣ : ١٥) . يعشرون أصغر الأعشاب (٢٣ : ٢٣) وغير ذلك .

(ب) إنه يذكر نوعين من الوصايا : الصغرى والعظمى (٥ : ١٩) ويذكر قضية الحل والربط (١٦ : ١٩) وهما تعبيران مشهوران عند معلمى

اليهود ، ومعناها الحكم على عمل ما سواء أكان صالحاً أم شريراً ، ثم أنه يستعمل تعبير ملكوت السموات بدلا من ملكوت الله ، ويطلق على أورشليم أنها مدينة الملك العظيم أو المدينة المقدسة (٤ : ٥ ، ٢٧ : ٥٣) .

(ح) هو الذى ذكر المناقشة الحادة عن قضية الطلاق التى شغلت معلمى اليهود أعواماً طويلة وخاصة بين مدرسة شمائى المحافظة التى قيدت الطلاق ومدرسة هليل المتحررة التى تركت الرجل اليهودى يطلق لأى سبب وبأية علة (١٩ : ٣) .

لهذه الأمور نستطيع أن نستنتج أنه كان قريباً من اليهودية يفهم دقائقها ، وإلى جانب ذلك فإنه يفترض فى قارئيه أنهم أيضاً يفهمون هذه الأمور ويهتمون بها :

تاريخ ومكان الكتابة :

يقول إيريناوس إن متى كتب إنجيله عندما أراد أن يترك شعبه ليذهب إلى بلد آخر للتبشير ، حتى يمكن أن يحتفظوا بأفكاره وهو بعيد عنهم . وكان ذلك عندما كان بطرس وبولس فى روما يؤسسان الكنيسة هناك . ويظن بعض العلماء أن هذا الأمر حدث فى وقت غير متأخر كثيراً عن زمن القيامة بعد حوالى ١٢ سنة ، أى أنه كتب حوالى سنة ٤٢ م ؟

ولكن هذا الرأى يقوم على أساس من الواقع ويناقضه ما جاء فى أعمال ١٥ ، غلاطية ٢ : ١ - ١٥ حيث يظهر أن الإرسالية خارج اليهودية لم تكن إلا عن طريق بولس وبرنابا ، وكان ذلك ابتداء من سنة ٤٩ م . أما بقية الرسل فلم يكن عندهم تفكير جدى فى اتخاذ هذه الخطوة لتقديم الإنجيل إلى الأمم .

وإلى جانب ذلك فثناك عبارات في إنجيل متى تدل على أنه كان قد مضى وقت طويل على حدوث الأحداث العظيمة التي يسجلها هذا الإنجيل مثل « إلى هذا اليوم » (٢٧ : ٨ ، ٢٨ : ١٥) .

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الإنجيل يفترض أن الإرسالية قد امتدت إلى الأمم ، وأن هناك عداوة بين اليهود والمسيحيين المنتشرين في كل العالم ، وأن جزءاً من الخطاب الرومى يعكس تفكير المسيحيين بعد خراب أورشليم . . إذا أخذ كل ذلك في الاعتبار ، فيمكن أن نقول مع كثيرين من العلماء أن الكتاب قد كتب بعد ٧٠ م . وربما ما بين ٧٥ - ٨٠ م . على كل حال فإن هذا رأى غير قاطع .

خصائص إنجيل متى :

مع أن للإنجيل موضوعاً عاماً . واحداً يجمعها في حزمة واحدة ، إلا أن لكل إنجيل خصائص ينفرد بها في معالجته لهذا الموضوع ، وطريقة كتابته ونظراته إلى المواقف التي وجد فيها . ويمتاز إنجيل متى بخصائص ينفرد بها عن غيره من الأناجيل الأخرى نذكر منها ما يلي :

١ - إنه يبرز الاحتكاك Tension بين القديم والجديد بكيفية واضحة لا تخفى على القارئ ، وهذا الاحتكاك يظهر في مواقف متعددة في تعاليم السيد وعمله :

(أ) هل كانت خدمة المسيح وتلاميذه خاصة باليهود فقط أم كانت عامة لجميع الناس ؟ عندما أرسل السيد تلاميذه لكي يكرزوا بملكوت السموات قال لهم بالحرف الواحد : « إلى طريق أم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١٠ : ٥ و ٦)

إنها إرسالية لليهود فقط دون غيرهم، ولقد عبر هو أيضاً عن إرساليته الشخصية عندما طلبت منه المرأة الكنعانية الأعمى أن يشفي ابنها فقال لها « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، فلما ألحت عليه ساجدة له : زاد قائلاً « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب : (متى ٥ : ٢٤ و ٢٦) .
قارن هذا الكلام الواضح بأمره لتلاميذه بعد قيامته في الإرسالية العظمى «
فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به (٢٨ : ١٩ و ٢٠) .

هذا التناقض الظاهري تنحل مشكلته إذا عرفنا أن التخصيص والقومية التي وضحت في إرسالية التلاميذ الأولى وكلام السيد للمرأة الكنعانية تمثل فترة مرحلية ، فيها كان يحاول السيد أن يكشف لليهود عن إرساليتهم العظمى ورسالتهم الإلهية التي أغمضوا عيونهم عنها ، ورفضوا أن يطيعوا . لقد كانت الفرصة الأخيرة للتقديم لكي يثبت أنه قد انحل وجاء مكانه الجديد في ملكوت الله .

(ب) يظهر هذا الاحتكاك Fension أيضاً في موقف السيد وتعليمه بخصوص الناموس . في الموعظة على الجبل نجد ما يشبه التناقض وخصوصاً في ٥ : ١٧ - ٤٨ . في أول هذا الجزء يقول السيد : لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (١٧ و ١٨) . ولكن بعد ذلك يقول للسامعين : قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل . . . وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم .. عدد ٢١ ويكرر هذا الشيء بخصوص الزنى (٢٧ و ٢٨) والطلاق (٣١ و ٣٢) والحلف (٣٣ و ٣٤) والحجازة

(٣٨ و ٣٩) والموقف من القريب والعدو (٤٣ و ٤٤) . فبينما يؤكد السيد بكل مرة أنه لا يمكن أن تزول نقطة أو حرف من الناموس نجده يعطى شيئاً آخر أعظم وأكبر من الناموس . هنا أيضاً نجد هذا الاحتكاك بين القديم والجديد . فالناموس لن يزول والأنبياء ستبقى حتى يتم ما قصد بهما . وهذا القصد قد تم في هذا المسيح . . . إنه هو الذى أكمل . فالإتمام معناه إتمام القصد والغرض الذى من أجله ظهر الناموس والأنبياء .

(ح) يظهر هذا الاحتكاك أيضاً في موقف السيد من الكتبة والقربيين فبينما يحث الناس على احترام مركزهم وما يقولونه ويطلب منهم أن يحفظوه ويعملوه إذ به في نفس الوقت ينطق بالويلات الشديدة عليهم لأنهم لم يعملوا بما يعلمونه فصاروا كالقبور المبيضة من الخارج والمملوء بالعظام النتنة من الداخل (٢٣ : ٢٨ - ٣٦) .

وبالمثل كان موقفه من أورشليم فهو يعتبرها مدينة الملك العظيم (٥ : ٣٥) وأنها المدينة المقدسة (٢٧ : ٥٣) ولكنه يقول عنها أيضاً « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . . . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً (٢٣ : ٣٧ - ٣٩) .

من هذا نرى هذه الظاهرة المميزة لهذا الإنجيل إنه ينبر على الاحتكاك بين القديم والجديد .

٢ - لكن هناك خاصية أخرى في هذا الكتاب وهي أنه يجمع ما بين كتاب التعليم Didache والبشارة Kerygma ففي ترتيب الإنجيل نجده يسير وفق إنجيل مرقس فكل من سيتصفح إنجيل مرقس يجده مرتباً ترتيب

الإنجيل وهذا الترتيب ظهر أولاً في خطاب بطرس في بيت كرنيليوس أعمال (١٠ : ٣٦ - ٤٣) وعناصر هذا الإنجيل هي : الكلمة التي أرسلت إلى بنى إسرائيل ظهور يوحنا - يسوع الذي من الناصرة - مسح بالروح القدس لإرسالية الخدمة وهزيمة إبليس ثم ذهابه إلى اليهودية وأورشليم. الصليب . القيامة الصعود . الديان - هذا الترتيب نفسه ظهر في إنجيل مرقس : فيسوع ظهر بعد ظهور يوحنا المعمدان إتماماً للكلمة التي أرسلها الرب إلى بنى إسرائيل وقد مسح بالروح القدس عند معموديته ، ثم خرج ليكرز ببشارة ملكوت الله في الجليل ثم ذهب في نهاية خدمته إلى اليهودية وهناك صلب وقبر وقام وصعد إلى السماء .

هذا الترتيب الأساسى للإنجيل موجود أيضاً في إنجيل متى . فهو الإنجيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : يحتوى على قصة الميلاد وظهور يوحنا المعمدان ثم مجئ يسوع ومعموديته بتزول الروح القدس كحمامة عليه ونجربته (متى ١ : ١ - ٤ : ١١) .

القسم الثانى : (٤ : ١٢ - ١٨ : ٣٥) وفيه يصف خدمة يسوع العظيمة عندما كان يجول يصنع خيراً ويشفى المتسلط عليهم إبليس وهذا القسم يوافق ويمثل مرقس ١ : ١٤ - ٩ : ٥٠ .

القسم الثالث : (١٩ : ١ - ٢٨ : ٢٠) وهو القسم الذى يحتوى على الحوادث التي قادت المسيح إلى الصليب في أورشليم وبعدها القيامة ثم الصعود ووعده التلاميذ بالروح القدس .

فكتاب البشير متى إذن هو إنجيل مبنى على الترتيب الأساسى للإنجيل

كما فيسته الكنيسة الأولى ، وكما ظهر في إنجيلي مرقس ولوقا ، وكل إنجيل
يحتوي هذا الكتاب على الكرازة وحمله المبشرون إلى كل أنحاء العالم .

ولكن إنجيل متى يختلف عن الإنجيلين الآخرين في أنه كتاب التعليم ،
فهو على خلاف إنجيل مرقس يحتوي على كمية وافرة من التعاليم . ولقد سبق
وعرفنا أن مرقس كان يهتم بالحوادث أكثر من اهتمامه بالتعليم ، لكن هنا
في متى فهو يختصر في الحوادث كما سنعرف فيما بعد ، حتى يمكن أن يوفر
مكاناً منسقاً لتعاليم السيد . يتفق في هذا الأمر - أي اهتمامه بتعاليم السيد مع
إنجيل لوقا . فلقد حفظ ذلك الإنجيل أيضاً كمية وافرة من التعاليم . لكنهما
يختلفان في أمر هام جداً وهو كيفية عرض هذا التعاليم ، هذا الاختلاف له
مظهران : المظهر الأول هو أن إنجيل متى يجمع تعاليمه في وحدات طويلة مثل
الموعظة على الجبل والأمثال وغيرها ، في حين أن لوقا البشير ينثر هذه التعاليم
في كل إنجيله ، فإذا أخذنا مثلاً الموعظة على الجبل في متى ٥ - ٧ نجد
جزءاً منها في (لوقا ٦ : ٢٠ - ٤٩) هذا الجزء يتكون من التطويبات
والويلات ثم المحبة المسيحية الكاملة (لوقا ٦ : ٢٧ - ٣٦) . وهذه تقابل
متى ٥ : ٣٨ - ٤٨ ثم الحوض على عدم إدانة الآخرين بل المغفرة لهم إذا
أخطأوا (لوقا ٦ : ٣٧ - ٤٢) وهي تقابل متى ٧ : ١ - ٦ . ثم مثل
الشجرة (لوقا ٦ : ٤٣ - ٤٥) تقابل متى ٧ : ١٧ - ٢٣) ثم الخاتمة
(لوقا ٦ : ٤٧ - ٤٩) تقابل متى ٧ : ٢٤ - ٤٧) . طبعاً هناك اختلاف بين
الاثنتين في التفاصيل ولكن الأهم من ذلك أن متى يضع في الموعظة على الجبل
تعاليم يضعها لوقا في مكان آخر مثل الصلاة الربانية في متى ٦ : ٩ - ١٣
يضعها لوقا في موقف آخر (لو ١١ : ١ - ٤) . وكذلك عدم القلق والاهتمام
بالطعام واللباس ففي يضعه في الموعظة على الجبل (٦ : ٢٤ - ٣٤) بينما

يضعها لوقا في مكان آخر وموقف آخر (لوقا ١٢ : ١ - ١٢) وهكذا في أمكنة كثيرة .

وأما المظهر الثاني هو أن متى الإنجيلي عندما يجمع تعاليمه في وحدات فإنما يجمع التعاليم المتشابهة التي تعالج موضوعاً عاماً واحداً . . وفي هذا الأمر يمتاز عن إنجيل لوقا . فقد تجد في هذا الأخير مجموعة كبيرة من التعاليم موضوعة جنباً إلى جنب ولكنها تعالج موضوعات متنوعة قد لا ترتبط بعضها مع بعض برباط مباشر خذ مثلاً ص ١٢ وانظر التعاليم التي يحتويها . وعدد المواقف التي قيلت فيها هذه التعاليم ؛ فهو يحذر تلاميذه من خمير الفريسيين ، ثم يأمرهم ألا يهتموا أو يخافوا معطياً لهم مثل العصافير ، ثم يتكلم عن التجديف على الروح القدس وابن الإنسان ، ثم ينتقل إلى موقف آخر وهو الطلب الذي تقدم به شخص ليقسم له الميراث مع أخيه ورد يسوع عليه ، ثم تحذيرهم من القلق ، ثم يبشرهم بأن الملكوت لهم فيجب أن يكونوا مستعدين ، وهناك موقف ثالث وهو سؤال بطرس له ، فيذكر له مثل الوكيل الأمين والعبد الساهر ، ثم إعلان آخر (٤٩ - ٥٣) لا نعرف الموقف الذي فيه ذكر السيد هذه الكلمات ؛ ثم عدة أقوال مختلفة إلى نهاية الأصحاح . وهكذا يجمع البشير لوقا مجموعات من تعاليم السيد ويضعها في مواقف متنوعة ، وقد يكون الارتباط بينها ضعيفاً .

على خلاف ذلك يفعل متى البشير ، فقد لاحظ العلماء أنه قد جمع غالبية تعاليم السيد في خمس وحدات كاملة هي كالآتي :

١ - الموعدة على الجبل ٥ - ٧ .

٢ - خطاب الإرسالية ١٠

٣ - أمثال الملكوت ١٣

٤ - الطابع السلوكي الذي يجب أن يسود في الكنيسة ١٨

٥ - الخطاب النهائي ٢٣ - ٢٥

ونلاحظ الأمور التالية بالنسبة لهذه الوحدات التعليمية :

الأمر الأول : هو أن كل وحدة تسبقها مجموعة من الأعمال العظيمة التي عملها السيد ، فقبل الموعدة على الجبل دون البشر كرازة السيد في المجمع والبلاد وقيامه بعمل معجزات شفاء وإخراج شياطين ودعوة تلاميذه الأوائل (٤ : ١٢ - ٢٥) .

وقبل خطاب الإرسالية (متى ١٠) يذكر أيضاً مجموعة كبيرة من المعجزات العظيمة في أصحاحي (٨ و ٩) وهكذا قبل كل وحدة من التعاليم بحيث تكون كل من الاثنين : الأعمال والتعاليم : وحدة متكاملة ، تنهى كل واحدة منها بالعبارة « فلما أكمل يسوع هذه الأقوال . . . » (متى ٧ : ٢٨ : ١١ : ١ : ١٣ : ٥٣ ، ١٩ : ١ : ٢٦ : ١) . ولقد اعتقد كثير من العلماء أن الكاتب فعل ذلك وكان غرضه أن يظهر المسيح على أنه موسى الثاني العظيم ، فكما نسبت إلى موسى الأسفار الخمسة ، هكذا تقوم هذه الأقسام الخمسة . مكان أسفار موسى وهي تنسب إلى المسيا نفسه . . . وكما أن الرب عمل بواسطة موسى أعمالاً عظيمة قبل أن يعطيهم الناهوس والوصايا ، هكذا قام السيد بنفسه بأعمال مجيدة كشفاء المرض وإقامة الموتى وتسكين العواصف وغيرها ، وبهذا يبرهن البشير على أن يسوع هو المسيا . إن هذا التفسير جذاب وممكن ولكنه يقرأ في الكتاب أكثر مما يقصد الكاتب أن يقوله نعم إن هذه التعاليم والأعمال هي أعمال وتعاليم المسيا ، ولا يمكن لغير المسيا أن يفعل أو أن يعلم مثل ذلك ، لأنها ليست لشخص عادي ، ولكن لقارئ لا يستطيع أن يسير إلى آخر المطاف مع هذا التفسير ، زد على ذلك أن هناك

تعاليم أخرى متناثرة في الإنجيل لا تدخل تحت هذه الأقسام الخمسة ، مثل تلك الموجودة في ص ١٩ و ٢٠ مثلا فكيف نفسرها ؟ وهل يمكن أن نرجع إلى الأسفار الخمسة مرة أخرى وعهدنا الناموسى قد كمل في المسيح ؟

الأمر الثانى : الذى نلاحظه هو أن لكل قسم رسالته الخاصة به التى تظهر في الأعمال والتعاليم التى تليها :

١- في الجزء الأول أى ٤ : ١٢ - ٧ : ٢٧ يبدأ السيد خدمته وكرازته ويدعو تلاميذه ليكونوا معه ثم يقوم بمعجزات شفاء وإخراج شياطين . وكان هذا الأمر بمثابة إعلان العصر الجديد . . . إن التحديات التى قام بها هى قوات الملكوت . . فملكوت السموات قد ظهر ، ولكن كيف يكون هذا الملكوت . وأى نوع من الجديد هذا الذى يعلنه السيد ؟ وما وقفه من النظام الخالى في الديانة اليهودية التى ولد وتربى فيها هو ؟ هذه الأسئلة وغيرها تجد إجابتها في الموعظة على الجبل . فالجديد لا يمكن أن يظهر على حقيقته إلا إذا قورن بالقديم ، فهذه المقارنة هى الطريقة المثلى لكشف الحقيقة أمام الناس . ولهذا السبب يعلن السيد - بعد التطويبات أنه لم يأت ليمحو القديم ويهدمه ، ولكن لكي يتممه ويكمله .

إن النظام القديم نظام إلهى ولكنه نظام إعدادى لا بد وأن يتم في النظام الجديد ، في المسيح نفسه ؛ ومن يرد أن يعرف هذا الجديد فليفتح عينيه وأذنيه لكي يرى ويسمع ، وهنا يضع السيد مجموعة من المقارنات بين القديم والجديد ، سواء أكانت هذه المقارنة مباشرة (٥ : ٢١ - ٤٨) أو غير مباشرة في تصحيح الأخطاء العملية (٦ : ١ - ٢٣) أو في إعلان بر الملكوت والعهد الجديد (٦ : ٢٤ - ٧ : ٢٧) . هذه هى رسالة القسم الأول .

٢- ويأتى القسم الثانى (٨ : ١ - ١٠ : ٤٢) فنجد البشير يعد لهذا القسم بقوله « ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة . . جموع أخذت بسلطان تعليمه وأعماله وكانت جموع محتاجة فى كل شئ » ، ولهذا أقام السيد بمجموعة كبيرة من الآيات والمعجزات . إن طبيعة الملكوت بدأت تظهر وتتضح فى أعماله العظيمة ، وأحس الناس بحاجتهم إليها . وكان يسوع يعرف تلك الحاجة والضرورة القصوى التى وضعت عليه وعلى تلاميذه لكي يتبعوها ولهذا السبب دعا تلاميذه وأعطاهم سلطاناً مزدوجاً : سلطان الشفاء والعمل ، وسلطان الكرازة لكي يعلنوا أن ملكوت السموات قد قرب ، وخاطب تلاميذه محذراً لهم من أن يذهبوا إلى طريق الأمم أو السامريين ، بل كان عليهم أن يذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، ثم كشف لهم عن كيفية الخدمة ومتاعها وظروفها والمعونة الإلهية التى تظللهم فى كل خدمتهم .

٣- أما القسم الثالث (١١ : ١ - ١٣ : ٥٢) فتركز حوادثه أساساً على سؤال يوحنا المعمدان الذى أرسله للمسيح وهو فى السجن عما إذا كان هو المسيا الآتى حقيقة . ونقرأ عن دفاع السيد عن هذا الرجل الأمين وتوبيخه للناس على عدم تمييزهم لرسالته أو لرسالة يوحنا المعمدان ، وخصوصاً تلك المدن التى عمل فيها أكثر قواته ، إنها مدن قاسية سوف تكون حالتها أكثر ضيقاً وقسوة أمام الله عن سدوم وعمورة . . ولكن فى مواجهة هذه المدن القاسية يشكر السيد الأب لأجل البسطاء العظماء ببساطتهم الذين أعلن الله لهم أسرار ملكوت السموات عن طريقه هو ، الذى جاء ليريح من يأتى إليه . هذا كله فى الأصحاح الحادى عشر . أما الأصحاح الثانى عشر فيدور كله حول المجادلات بين المسيح واليهود على كثير من الأمور . عن السبت ، وعن موته فى إخراج الشياطين ، وعن عدم مقدرتهم على تمييز الأزمنة والأمور كما فعلت ملكة التيمن وأهل نينوى .

ولذا فقد تبع ذلك مجموعة من أمثال السيد تكشف أن هذا الملكوت ليس لهؤلاء المرأين الجهلاء ، ولكن للبسطاء الذين أعطاهم الآب أن يعرفوا ويختبروا سرها ، ومهما كانوا ضعفاء بسطاء فإن ملكوت الله سوف يكبر ويتنشر ، لأن العامل هو الله نفسه . فلن يعطل عمله زوان أو عدو أو قسوة الناس ، إن الملكوت ملكوت الله وسلطانه وليس عمل إنسان ضعيف .

٤ - القسم الرابع (١٣ : ٥٤ - ١٨ : ٣٥) هنا تظهر مجموعة من الحوادث الهامة في مثل يوحنا المعمدان ، وقيام السيد بمعجزات عظيمة هي معجزات الطبيعة : كإشباع الجموع بخمسة أرغفة وتسكين البحر والعاصفة . ومجموعة أخرى من المعجزات والحجبات بينه وبين التلاميذ . ولكن لعل أهم حادثتين هما اعتراف بطرس العظيم وإعلان السيد عن آلامه وموته ؛ وعن وضع أساس كنيسة العظيمة وكانت هذه الإعلانات عظيمة وباهرة حتى أن التلاميذ لم يستطيعوا إدراك أبعادها . كانت ثقيلة على أفهامهم وعيونهم وقلوبهم ، واحتاجوا إلى عمل عظيم يقوم به السيد فأخذهم على جبل التجلي . وهناك أظهر نفسه لهم . أعلن الآب أنه أعظم من إيليا ومن موسى وأنهما قد جاءا ليقدما له الخضوع والولاء لأنه سيدهم ، والملك الذي كانوا ينتظروه ، لقد انتهى القديم وبدأ الجديد . . ملكوت الله وكنيسة المسيح التي يرتبط بها هذا الملكوت .

وعلى هذا الأساس فقد كان خطاب السيد الذي ينبع عن الطريقة السليمة التي يجب أن تسير فيها الكنيسة . . إن أعضاء الكنيسة يجب أن يكونوا بسطاء كالأولاد ، لا يسببون العثرات ، شقوقين متسامحين إلى أقصى حدود المسامحة ، مرتبطين معاً بالولاء للسيد وكنيسته ، إن أعضاء كنيسة المسيح يجب أن يعلنوا بر الملكوت في حياتهم ويظهروا مجد العهد الجديد .

القسم الخامس (٥ - ١٩ : ١ - ٢٥ : ٤٦) هذا القسم يحتوي على مجموعة كبيرة متنوعة من الحوادث: المحابيات مع الفريسيين الآيات والقوات التي عملها السيد الإعلانات التي يعلم بها تلاميذه . . كل هذا حدث في ما نسميه الرحلة إلى اليهودية ودخوله الانتصاري إلى أورشليم وتحديه للكتبة والفريسيين وإخراج باعتهم وتجارهم من الهيكل . وكانت هذه علامة النهاية لخدمته الجسدية على الأرض وقرب افتراقه عن تلاميذه . ولهذا السبب يضع متى مجموعة واسعة جداً من التعاليم ، ملخصها إعلان الدينونة على القديم القاسى وزواله لأنه رفض ابن الله ، وإعلانات عميقة للكنيسة لكي تسهر وتنتظر سيدها ، إن هذه الأقوال التي جمعها متى تعكس حالة الكنيسة في عصره إذ بدأت تقلق لتأخر مجيئ السيد ولهذا يذكرهم بقول السيد لتلاميذه ونأكيده لهم عن مجيئه الفجائى ، ولكنه مجيئ غير معروف الزمن . والوقت ، وما عليهم هم إلا أن يكونوا صابرين ساهرين موقدى السرج متممين مسئوليتهم التي وضعها الرب عليهم .

هذه هي رسالة الأقسام الخمسة ونلمح فيها نوعاً من التصعيد في رسالة المسيح : والتصعيد في توضيح الإعلان. فننمقارنته الجديد بالقديم إلى إعلانه الدينونة على القديم وزواله ثم كشف أسرار ملكوت الله وكنيسته العظمى .
التفكير اللاهوتى فى إنجيل متى :

ما هي الأسس اللاهوتية فى هذا الإنجيل ؟ هل هناك حقائق كبرى يريد أن يبينها ويظهرها ؟ مهما قيل عن إنجيل متى فهناك على الأقل ثلاث حقائق هامة يتكلم عنها وتدور حولها هذه الحقائق الثلاث هي :

- ١ - القائد أو الوسيط الجديد .
- ٢ - الجماعة الجديدة التي أصبحت شعب الله .

٣ - البر الجديد في ملكوت الله .

(أ) القائد أو الوسيط الجديد :

كان واحداً من الأهداف العظمى للبشير مرقس أن يظهر أن يسوع الناصري هو المسيح الذي انتظره اليهود وتمم كل انتظارات العهد القديم .

ولهذا السبب فقد بدأ بالأنساب مبتدئاً بالقول « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم » ، ولم يكن قصد البشير أن يعرفنا بأسرة يسوع الناصري ، ولكنه كان قصده أن يظهر أن هذا الشخص هو الملك ابن داود . وكان الوعد لداود أن لا ينقطع الملك من بيته إلى الأبد بل سوف يثبت ملك ابنه دائماً (٢ صموئيل ٧ : ١٢ - ١٧) . وهذا ما رآه إشعيا النبي في قوله « ونخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحمل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة وخافة الرب » (إشعيا ١١ : ١ - ٥) . وتنبأ كذلك حزقيال النبي « . . فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً ، وداود عبدي يكون ملكاً عليهم كلهم » . . (حزقيال ٣٧ : ٣٣ و ٣٤) . وكان البشير يقصد من هذه الأنساب شيئاً آخر هو أن التاريخ الإسرائيلي الذي تحطم وانتهى سوف يرجع مرة أخرى . ويظهر ذلك في حساب الأجيال . فقد رواها البشير متساوية من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً . وهي عصر البداية المرتفعة التي وصلت قمتها في داود ، ولكن هذا التاريخ بدأ ينحدر بعد داود حتى وصل إلى السبي في أحط الخفيض ، ولكن هذا الخفيض ارتفع مرة أخرى وجاء المسيح ورد كل الأجداد الروحية . ويقول بعض العلماء إن الأربعة عشر جيلاً التي بين السبي والمسيح هي نفس المدة التي يذكرها دانيال في كتابه بالسبعين أسبوعاً (٩ : ٢٤) أو هي السبعون سنة التي ذكرها إرميا وفيها يرد الرب السبي الأعظم بمجيء المسيا كما

يقول علماء اليهود (إرميا ٢٩ : ١٠) أنظر J. Ropes The S. Gospels (ص ٤٦ و ٤٧) .

وهذا ما ظهر أيضاً في قول رؤساء اليهود لهرودس الذي سأل عن ملك اليهود واين يولد فقالوا في بيت لحم اليهودية (٢ : ٤ - ٦) وفي معموديته نزل الروح القدس عليه كحمامة هبشة مرثية وجاء صوت من السماء يعلن أن هذا الرجل هو ابنه الحبيب (٣ : ١٣ - ١٧) .

ولم تكن التجارب الثلاث التي يذكرها متى بتوسع تجارب إنسان عادى بل هي تجارب المسيا : بهذا ينطق المحرب بقوله « إن كنت ابل الله » (٤ : ٣ و ٦) ولم تكن هذه صيغة تشكك من المحرب ولكنها صيغة اليقين من أن هذا الرجل الذي يجربه هو ابن الله حقيقة. وكانت أنواع التجارب غريبة على إنسان عادى لأنها كانت تنصب على إقامة سلطان الله وملكه بين الناس .

وبعد انتصاره يخرج ليعلم مجيء ملكوت الله (٤ : ١٧) وبعد ذلك يقف أمام الجموع ويكلمهم بالموعظة على الجبل معلناً لهم سلطانه العظيم عندما يقارن عمله العظيم وعهده الجديد ، بذلك العهد الثالث الذي انقضى في قوله « سمعتم أنه قيل للقديس . . أما أنا فأقول لكم » (متى ٥ : ٢١ و ٢٧ و ٣١ و ٣٣ و ٤٣) .

ثم نجد سلطان المسيح واضحاً في إرساله لتلاميذه وخاصة في تلك الكلمات التي يستهل بها الإرسالية « ثم دعا تلاميذه الإثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » (١٠ : ١) فهو ليس صاحب سلطان فقط ولكنه يستطيع أن يهب هذا السلطان العظيم . إنه يظهر قوته وسلطانه العظيم في أعمال عظيمة ويشارك تلاميذه هذا السلطان .

وحتى في صلبه لم يصلب كشخص عادى ، ولكنه صلب على أنه الملك ،
ولا أدل على ذلك من تلك الكلمات التي كتبت على الصليب كعلة لصلبه
« هذا هو يسوع ملك اليهود » (٢٧ : ٣٧) .

ولعل أعظم ما كتب في إنجيل متى إعلاناً عن يسوع الملك المسيا هو تلك
المجموعة من النبوات التي تممها الرب في حياته وعمله . وقد كان متى أكثر من
اهتم من البشيرين بهذه المسألة الهامة لدى اليهود . فلإنجيله يحتوي على ما يزيد
عن عشرين اقتباساً للنبوات التي تمت منها ما يزيد عن سبعة اقتباسات في مقدمة
الإنجيل أى في قصة الميلاد المعمودية والتجربة ، ثم يحتوي الجزء الخاص
بأسبوع الآلام مجموعة كبيرة أيضاً من الاقتباسات التي تمت وكل هذه تنصب
على يسوع كمتمم للعهد القديم كملك وكنبي وكعبد الرب وكعلم . .

هذا هو المسيح كما يظهر في إنجيل متى أنه المسيا الذي تتم نبوات العهد
القديم مع أنه رفض كثيراً من انتظارات اليهود الأرضية التي لم تتوافق مع
ملكوت الله .

(ب) لكن إنجيل متى يذهب إلى مدى أكثر عمقاً من ذلك فهو يظهر أن
ابن داود هو أيضاً ابن الله . وهذا يظهر بكل وضوح في أمور كثيرة :
فولادته من عذراء يفسرها «الله معنا» (١ : ٢٣) فابن داود عند متى ليس
شخصاً سياسياً من أصل بشرى ، ولكنه جاء من الله . لقد حبل به من الروح
القدس (١ : ٢٠) وله صلة فريدة مع الله الآب السماوى .

ويظهر هذا السمو في شخصية السيد في قوله « كل شئ قد دفع من أبى
وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن
يعلم له » (١١ : ٢٧) . فالآب الذى وضع في فم الأطفال أن يرنموا هاتفتين

« أوصناً لابن داود » (٢١ : ١٥ و ١٦) هو نفسه الذى أعلن لبطرس أنه
« هو المسيح ابن الله الحى » (١٦ : ١٦ - ١٧) فالرجل المختار رئيس شعب
إسرائيل لم يكن إلا المسيح الإله المتجسد فى الكنيسة المسيحية .

هذا الإعلان السامى « كل شئُ دفع إلى من أبى » (١١ : ٢٧) كان
أساس الإعلان الأعظم الذى كشفه السيد وقت الإرسالية العظمى « دفع إلى
كل سلطان مما فى السماء وما على الأرض » (٢٨ : ١٨) . هنا يبدأ يسوع
المسيح فى سلطانه وعمله العظيم . فابن داود هو ابن الله الوحيد وهو فى نفس
الوقت ابن الإنسان . فهو إذ يقول إن كل سلطان مما فى السماء وما على الأرض
قد دفع له ، فإنما يشير بذلك إلى رؤيا دانيال عن شبه ابن إنسان الذى أعطى
مملكة وسلطاناً على كل الأرض وسلطانه ما لن يزول وملكوته ما لن ينقطع
(دانيال ٧ : ١٤) . وهو هكذا يسيطر بسلطانه القدائى على الجميع ، عده
على كل الأمم . كابن الله وابن داود وابن الإنسان وابن إبراهيم .

٢ - الجماعة الجديدة :

كان من نتيجة حياة السيد وموته وقيامته ورسالته أن ظهرت الكنيسة
العامة التى تتكون من الأمم واليهود معاً . هذه الكنيسة هى إسرائيل الجديد
الذى هو شعب الله الجديد . فالإنجيل يبدأ بالإعلان « الله معنا » (١ : ٢٣) ثم
ينتهى بالموعود العظيم الذى يعطيه السيد المقام لتلاميذه أن يكون مع تلاميذه
الذين يجيئون من كل أطراف الأرض من الآن إلى انقضاء الدهر (٢٨ : ٢٠)
فهو يبدأ وينتهى بشمولية الإنجيل فن أول المحوس الأمم فى فاتحة الكتاب إلى
الأمر بالذهاب إلى العالم أجمع . ولتكوين الجماعة الجديدة نجد :

(أ) اهتمام الإنجيل بالأمم . ومع أنه كتب إلى جماعة يعتقد أنها من أصل
يهودى ، ومع افتخاره بسمو اليهودية والناموس ، إلا أنه من أهم الأناجيل

الذى يهتم بالأمم . فإرسالية السيد كان جزء هام منها فى الأمم ، إذ يقول الإنجيل « لكى يتم ما قيل بإشعياى النبى القائل : أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم » (٤ : ١٤ و ١٥) . ثم يصف السيد على أنه عبد الرب الذى قيل فيه « هوذا فتاى الذى أخذته جببى الذى سرت به نفسى أضع روحى عليه ليخبر الأمم بالحق . . وعلى اسمه يكون رجاء الأمم » (١٢ : ١٨ و ٢١) ولهذا فقد رأى السيد أن أمياً يحمل فى قلبه وحياته إيماناً لم يجده فى إسرائيل نفسها (٨ : ١٠) . وفى وليمة المسيا حيث يرفض المدعوون أن يأتوا إليها نجد أنها تمتلئ من أناس من الشرق ومن الغرب أما أبناء الملكوت فإنهم يطرحون إلى الخارج (٨ : ١١ و ١٢) . فمن هذا نستطيع أن نرى اهتمام الرسول متى بالأمم . ومع أنه من أصل يهودى لكنه متفتح إلى الإرسالية إلى الأمم التى تبدأ مع المسيح نفسه .

(ب) ولكن خدمة يسوع فى الأصل لليهود لكى يأتى بهم إلى الكنيسة العامة . فهو يقول للمرأة الكنعانية أو للتلاميذ « لم أرسل إلا خراف بيت إسرائيل الضالة (١٥ : ٢٤) . وفى إرساليته لتلاميذه قال لهم « إلى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١٠ : ٥ و ٦) هذا القول لا يتنافى مع ما سبق من موقفه من الأمم . فإن كان فيه نوع من التمييز أو الانغلاق على اليهود فقط ، لكن هذا كان واحداً من الأدوار التكتيكية فى خدمة السيد . فهو لا يستطيع أن يرسل التلاميذ إلى الأمم وهم لا يعرفون للآن العمل العظيم الذى سوف يعمله الله فى السيد لفتاء العالم . إن مجئ الأمم يحتاج إلى تلك الخطوة الحاسمة التى لم تكن قد حدثت بعد : موته وقيامته ومجئ الروح القدس . وإلى جانب ذلك فإن الإرسالية فى أساسها هو أن يجعل من اليهود أمة تحمل الإنجيل إلى العالم لأن هذه كانت رسالتها من البدء . ولكنها لما رفضت أخذ منها الملكوت وأعطى

لأمة تؤتى ثماره ، ولكن إذا كان اليهود كافة قد رفضوا رسالتها لكن هناك الكثيرون منهم الذين قبلوه وأعطاهم الملكوت أيضاً . فالكنيسة هي الكنيسة العامة من الأمم واليهود .

(ج) إن إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد الذى يذكر كلمة الكنيسة فى موقفين ، فى ١٦ : ١٨ حيث يعلن أن أساس الكنيسة هو بطرس واعترافه العظيم ، وإعطاؤه مفاتيح ملكوت السموات التى تعنى سلطان الربط والحل . أما الموقف الثانى فى ١٨ : ١٧ و ١٨ فقد أعطيت هذه كلها : السلطان والحل والربط للكنيسة كلها . نعم قد تعنى هذه الكلمة « كنيسة » الجماعة فى ذاتها ، دون النظر إلى ما تشمله من منظمات مختلفة وأعمال إدارية وتنظيمية . بمعنى أنه يتكلم هنا عن جوهر الجماعة المفدية وليس عن مظهرها الخارجى أمام الناس فى نظمها وحكامها وغير ذلك . إن العمل الأساسى الذى يعطيه الرب للكنيسة هو عمل المصالحة ، عندما يقول « إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه . . . وإن لم يسمع منك فخذ معك واحداً أو اثنين . . . وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار » (١٨ : ١٥ - ١٧) . وهذا يعطى للكنيسة ككل أو كجماعة كاملة . السلطان النهائى فى الحكم والمصالحة بين أعضائها . فهى فى الحقيقة مجتمع المصالحة .

(د) ولكن ما هو معنى الكنيسة كما يفهمها إنجيل متى ؟ يظهر ذلك فى ١٨ : ١٩ و ٢٠ « وأقول لكم أيضاً إن اتفق إثنان منكم على الأرض فى أى شئ يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » الكنيسة هي الجماعة التى تجتمع باسم المسيح ، وهم يريدون أن يروه . عندئذ يأتى بينهم . فالكنيسة هي الجماعة التى تجتمع باسم المسيح وهى التى يكون فيها هو . ويربطهم شئ

آخر وهو أن يجتمعوا في فكر واحد وهدف واحد وعندئذ يتقدمون إلى الله في الصلاة في وحدة الفكر والطلب وهم يعلمون أنهم يناولون طلبهم .

لكن الكنيسة لها معنى مكمل لذلك ذكره السيد وهو يرسل تلاميذه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (٢٨ : ١٩ و ٢٠) ، فالكنيسة هي المجتمع المرسل الذي يذهب إلى العالم كله لكي يتلمذ ويعمد ويعلم : ☩ إن كل عضو في هذا المجتمع هو الكنيسة كلها عندما يذهب إلى العالم لكي يتوسط بين الله والناس

٣- البر الجديد :

يقول السيد لتلاميذه « فإني أقول لكم إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (٥ : ٢٠) . ولكي تكمل الصورة يقول في سلطانه العظيم « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأني نيري هين وحمل خفيف » . (١١ : ٢٨ - ٣٠) . هذان هما حدا البر الجديد للملكوت الله : الحد الأول إنه يزيد على بر الكتبة والفريسيين والحد الثاني أنه نير المسيح . وكلمة النير أخذت عن المعلمين اليهود عندما كانوا يتكلمون عن نير ملكوت السموات ، فمن يحمل نير ملكوت السموات معناه أنه يظهر هذا الملكوت ويظهر البر الذي يتطلبه . وهكذا من يحمل نير المسيح معناه أن يظهر « بر المسيح » وفي هذا الأمر يشابه متى الإنجيلي والرسول بولس عندما يتكلم عن هذا الأخير عن « ناموس المسيح » أو بر المسيح (رومية ٨ : ٢) .

(أ) وهنا يواجهنا السؤال : ولماذا يربط السيد بر ملكوت الله ببر

الكتابة والفريسيين؟ وما هو بر هؤلاء؟ ألا يتركز برهم هذا في التاموس؟ وهل معنى ذلك أن بر المسيح يجب أن يزيد عن التاموس؟ إجابة السؤال الأخير تظهر في قوله « لا تظنوا أنني جئت لأنقض التاموس والأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من التاموس حتى يكون الكل فن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات » (١٧ : ٥ - ١٩) .

ينفي السيد هنا نفيًا قاطعاً أنه جاء لينقض التاموس أو الأنبياء أى أنه يقدر العهد القديم ككلام الله ولا يمكن أن يزيله ، ولا يمكن أن يمحو سلطانه بل سوف يبقى إلى أن يكون الكل . ولكن السيد لم يقف إلى حد هذا الأمر السلبي ، إن كل معلم يأتي يستطيع أن يقول ذلك ، بل وهو ملتزم به ، وإلا فإنه يرجم . لا يمكن ليهودى أن ينقض التاموس أو الأنبياء . ولكن الأمر الذى يفوق فيه المسيح الجميع هو الناحية الإيجابية : وهو أنه جاء « ليكمل » . ومعناها هنا لا يمكن أن تخرج من فم أى نبي ، مهما كان ولا من فم أى كاتب . إن التكميل ليس معناه الزيادة : ولكن إتمام الهدف منه والغرض الذى جاء من أجله ، فهو بذلك يشرح المعنى الحقيقى له . فالتاموس ليس هدفاً في ذاته ولكنه واسطة لمصالحة الناس بالله ، هذا ما فهمه السيد من التاموس ولهذا فلم يفرق فيه بين وصية وأخرى ، ثقيلة كانت أو خفيفة كما فعل الريبون ، ولكنه أخذ التاموس ككل . . كلة متساو وكله يهدف إلى شئ واحد ، هذا الهدف هو ما أعلنه السيد وعلم بمعناه وتممه أو أكمله .

ولعل هذا المعنى السابق يتضح في العبارة التى ظن كثيرون أنها تتناقض مع ما سبق « سمعتم أنه قيل للقديس . . أما أنا فأقول لكم » (٥ : ٢١ - ٤٨) .

إن السيد هنا لا يقارن البر الذي يأتي به الناموس . . . كلا إن المقارنة ليست بين ناموس وناموس ، بل بين تفسير وتفسير . يجب أن نلاحظ هنا الفرق بين الكلمة « سمعم » والكلمة « مكتوب » ولقد استخدم السيد الكلمتين : الكلمة « مكتوب » عندما كان يقتبس العهد القديم نفسه ، وهذا استخدمه بكل الاحترام الذي يمكنه رجل يهودى متمسك بالعهد القديم من تقديس واحترام . أما هذه الكلمة « سمعم » فعالباً ما استخدمها السيد ليشير بها لا إلى العهد القديم أو الناموس وحده بل إلى تفسير ومفهوم الكتابة والفريسيين له . إن هؤلاء المعلمين كانوا يعطون تفسيرات خاصة للناموس عندما يعلمون الناس ويسمعونهم هذا في المجمع ، في مقابل هذا التفسير يعطى السيد تفسيره هو . ولهذا فهو لا يعطى وصية بدلا من أخرى ولكنه يضع تفسيراً إلهياً . ويظهر الهدف الأسمى الذي جاء الناموس من أجله . . . فالبر في ملكوت السموات . . . بر المسيح هو نفسه الناموس ولكن بالمفهوم المسيحي . . . المفهوم الذي أعطاه السيد له ، التفسير الذي فسره إياه . بهذا فقط يزيد بر التلاميذ عن بر الكتابة وكل اليهود المتمسكين .

(ب) ولكن بر ملكوت السموات أو بر المسيح . لو وقف عند ذلك الحد لأصبح ، مع كل سمو الذي يظهر فيه ، نسخة أخرى من التفسير القديم للناموس مع إضافة صعوبات أخرى تجعل من هذا الناموس مصدراً للألم لا للفرح . إن السيد قبل أن يعلن هذا الناموس وضع أساساً متيناً له ، بل وضع الأساس الوحيد الذي يجب أن يقوم عليه كل شيء . فإذا رجعنا إلى الموعظة على الجبل في متى ٥ - ٧ نجدها تبدأ بداية أخرى : إنها تبدأ بالإنسان ذاته قبل أن تبدأ بالوصايا . ففي الجزء الذي نسميه بالتطويبات وفي ما يليه من القول « أنتم ملح الأرض . . . أنتم نور العالم » (٥ : ١ - ١٦) نجد التبرير كله على الإنسان الذي وضع عليه أن يقوم بهذا الناموس . فقبل

الوصية هناك الإنسان الذي توضع له هذه الوصية . وإلا فما هي فائدة الوصية ؟
وقبل أن تأمر بعمل شيء يجب أن تجهز الإنسان الذي تطلب منه أن يقوم بهذا
العمل . هذا هو المعنى الحقيقي للتطويات، وما يابها . إن السيد يصنع الإنسان
أولاً . المؤمن أولاً يخلق هذا الذي يطلب منه أن يقوم بهذه الوصايا . ولعل
هذا الأمر هو موطن الضعف الأساسي في مفهوم اليهود والناموس . لقد
ركزوا كل جهودهم على الناموس ، لقد حفظوه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ،
ولكنهم نسوا الإنسان . جعلوا الناموس يأتي إلى إنسان ضعيف ، عبد ،
لا يستطيع أن يفعل إلا القشور . وعندما نقول الإنسان لا نعني مركز الإنسان
فهذا أيضاً ينبر عليه اليهود لأنهم كانوا يتفاخرون على العالم كله إنهم أبناء
إبراهيم ، ولكننا نعني بالإنسان هو نفسه ، في داخله ، في حياته وكيانه
وإمكانياته وقواه .

ونسيانهم للإنسان كعنصر أساسي دليل على عدم فهم عميق وحقيقي
للعهد القديم . فهناك أمران في غاية الأهمية يظهران في العهد القديم : الأمر
الأول هو أن الله في مجده قبل أن يكتب الوصايا التي تربط حياة الإنسان
بالعالم قال هذه الكلمات « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من
بيت العبودية » (٢٠ : ٢) . أخرجهم من العبودية إلى أين ؟ ليقول « أنتم
رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجات بكم إلى :
فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع
الشعوب ، فإن لي كل الأرض » . إن الرب أخذهم من العبودية وجاء بهم
إليه ليجعلهم لنفسه . أي أنه أقام معهم علاقة حقيقية خاصة لم يقمها مع أي
شعب آخر ، ولأجل ذلك طلب منهم أن يسمعوا لصوته .

أما الأمر الثاني : ففي النبوات عندما يقول إرميا « ها أيام تأتي يقول
الرب واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد

الذى قطعه مع آباؤهم يوم أمسكتهم بيدهم وأخرجتهم من أرض مصر حين
نقضوا عهدي فرقتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت
إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على
قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه
وكل واحد أخاه قائلين إعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم
إلى كبيرهم يقول الرب لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد «
(إرميا ٣١ : ٣١ - ٣٤) هنا يظهر أهمية الإنسان فى الناموس والأنبياء .
فعندما عرف الإنسان أن حياته ليست فقط لعمل ناموس ولكن ليكون فى
شركة مع إلهه ، وعندما يكون مفهومه للديانة على أنها علاقة معه ، سيكتب
الله هذه الشريعة على قلبه . وعندئذ سيفهم الناموس . ويتممه به . هذا ما اهتم
به السيد أولاً وقبل كل شئ ، إنه أخذ نص وروح العهد القديم ، أعطاه معناه
الصحيح وبذلك أظهر البر الحقيقى ، بر ملكوت السموات الذى يتلخص فى .
مفهوم وتفسير جديد للناموس ، ثم فى تجهيز الإنسان لكى يتمم هو الناموس...
ناموس الله .

الفصل الرابع

إنجيل لوقا وسفر الأعمال

هناك شبه اجماع إن لم يكن إجماع تام على أن هذين الكتابين قد كتبا بقلم واحد ولهدف واحد وهما معاً يكونان أكبر كمية يكتبها فرد واحد في العهد الجديد ، فهما أكبر من الثلاث عشرة رسالة التي كتبها الرسول بولس وأكبر من كتابات الرسول يوحنا كلها ، ولهذا يفرضان نفسهما على أي دارس للعهد الجديد بكيفية عميقة .

ولكن السؤال الأول الذي يفرض نفسه هو ما هي الأدلة التي يبني عليها العلماء حكمهم هذا؟ وما هو الأساس الذي يجعل من الكتابين امتداداً واحداً؟ هناك عدة أدلة على ذلك :

١ - المؤلف الواحد :

هذه حقيقة معترف بها في كل الأوساط ولقد أجمع العلماء على أن من كتب الإنجيل هو بنفسه الذي كتب سفر الرؤيا . والكتاب الثاني - سفر الأعمال - يعترف بذلك (أعمال ١ : ١) . والمكتوب إليه شخص واحد وهو « ثاوفيلس » . ولسوف نعرف أن الشهادة الخارجية أيضاً - أي شهادة الآباء - تؤيد ذلك ، عندما ندرس عن شخصية المؤلف في الصفحات القادمة .

٢ - اللغة والأسلوب :

وهناك تشابه كبير في اللغة بين الكتابين . فالعبارات والاصطلاحات التي يستخدمها تشابه إلى حد كبير العبارات والاصطلاحات التي استعملها كتاب اليونانية الكلاسيك . وفي كثير من أجزاء الكتابين يعتبر الأسلوب أسمى أسلوب ظهر في العهد الجديد ، مما يدل على أن للكاتب مقدرة أدبية كبيرة . وقد سبق ورأينا في مقارنة إنجيل لوقا بإنجيل مرقس الفرق بين الأسلوبين ، وكيف أن لوقا كان يخفف من أسلوب سابقه الذي كان يقتبس منه أو يترجمه إلى اليونانية (كما ترجم كلمة الجمجمة بدلا من الجلجثة) (٢٣ : ٣٣) والمعلم بدلا من ربوني ، والغيور بدلا من القانوني (لوقا ٦ : ١٥ مع مرقس ٣ : ١٨) . هذا كله لكي يحسن في أسلوبه اليوناني مما يدل على أن كاتب الكتابين لوقا والأعمال شخص واحد لأن أسلوبهما يتميز عن بقية الأناجيل .

٣ - الدوافع الأساسية الواحدة في كلا الكتابين :

كل من يقرأ الكتابين يجد أن الكتاب الثاني امتداداً للأول ، لأن الدوافع الأساسية التي تحكم الكتاب الأول هي نفسها التي تحكم الكتاب الثاني . لكن في صورة امتداد وتكامل . ومن هذه الدوافع التي نجدتها بين الاثنين :

الروح القدس : ودوره في خدمة يسوع المسيح ورسالته وشخصيته كما هو واضح في الإنجيل ، يظهر نفس هذا الدور ولكن مع الكنيسة ورسالتها كما في سفر الأعمال :

العامل الجغرافي : في كلا الكتابين تكامل ، فالمسيح يبدأ خدمته من الجليل ثم يتقدم إلى الرحلة في طريقه إلى أورشليم . ومن هناك ، في سفر الأعمال ،

تبدأ الكنيسة إلى كل اليهودية ثم السامرة ثم إلى أنطاكية وأنجيراً إلى روما . . .
كل ذلك في مد لا رجعة فيه .

والعامل التاريخي : إذ أن من يقرأ الكتابين يجدهما متكاملين تاريخياً والتاريخ
الذي فيهما يرتبط بالتاريخ العالمي ومن يقرأ الأعداد الأولى في الأصحاح
الثاني والثالث من الإنجيل وكذلك سفر الأعمال يجد أن التاريخ المقدس ليس
منفصلاً عن التاريخ العام بل مرتبط به مع أنه متميز عنه، ونجد أن هذا العنصر
التاريخي مهم جداً في الكتابين مما يدل على أن عقلاً واحداً وراء الإثنين
وهذا كله سوف يدرس بتوسع في الصفحات التالية ولكن من هو هذا
الكاتب .

كاتب لوقا - الأعمال :

الكتابان لا يفصحان عن اسم الكاتب ، ولا نجد شيئاً في هذا الاتجاه سوى
ما يظهر في سفر الأعمال الأصحاح السادس عشر والعدد الحادي عشر عندما
تبدأ القصة في لغة الشخص الأول « مما » يدل على أن الكاتب كان مشاركاً
فيها . ولكن هذا الأمر ليس عاملاً أساسياً في كشف النقاب عن شخصية
الكاتب . قد يكون عاملاً مساعداً كما سيظهر فيما بعد ، ولعل المصدر الأول
والأساسي لمعرفة الكاتب هو الشهادة الخارجية .

الشهادة الخارجية :

هناك مقدمة كتبت لإنجيل لوقا فيما ١٦٠ - ١٨٠ م اسمها « ضد مارسيون »
فيها يقول الكاتب عن لوقا إنه من أنطاكية في سوريا مهنته طبيب وكان أعزباً
بدون زوجة مات وهو في سن ٨٤ سنة في بويته Boeotia ممتلاً بالروح
القدس . . . وقد كتب إنجيله كله في المناطق التي تحيط بأخائية لكي يفسر

للأُمم القصة الصحيحة للعهد الجديد الإلهي وكتب قصة يوحنا المعمدان الذي يعتبر الشخص الذي أعد الطريق للرب الذي تنبأ عنه أحد الأنبياء الصغار (ملاخي) . وبعد ذلك كتب لوقا «سفر الأعمال» .

هذه مقتطفات من هذه الشهادة التي لا يعرف كاتبها وقد قبلها كثير من العلماء لأنهم لم يجدوا من أتباع مارسيون من يكتسبها . مما يدل على أنها تقليد كنسي قوي . وقد كانت قائمة الموراتوري في توافق تام مع هذه الشهادة ؛ وكذلك إيريناوس (١٨٥ م) يؤكد مسؤولية لوقا عن إنجيل لوقا وسفر الأعمال . ومن قبله جاستن مارتر (١٥٠ م) وأكليميذس الإسكندري ، وأوريجانوس وترتيان وكل آباء الكنيسة يتفقون على أن لوقا هو الذي كتب الكتابين معاً . وهكذا يؤكد التقليد للكنسي هذه الحقيقة بدون أدنى شك ، ولا يوجد هناك أي سبب لأن يشك أي عالم في هذا التقليد القوي .

الشهادة الداخلية :

كما سبق القول تكمن قوة الشهادة الداخلية في أنها تقوى وتؤكد الشهادة الخارجية رغم أنه لا يوجد أي دليل صريح يقول إن لوقا هو كاتب الاثنين . ويمكننا أن نعرض هذا الأمر هكذا :

١ - يذكر الرسول بولس اسم لوقا في ثلاثة مواضع في كتاباته حيث يصفه بأنه رفيقه ، (كولوסי ٤ : ١٤) . « يسلم عليكم لوقا الطيب الحبيب وديماس » ثم في فليمون ٢٤ « يسلم عليكم أفراس . . . ولوقا العاملون معي » . وأخيراً في تيموثاوس ٤ : ١١ يقول الرسول في تعبير مؤلم « لوقا وحده معي » . هذه العبارات الثلاث توجد في رسائل كتبت من السجن وهو سجن روما بحسب رأي غالبية العلماء . فإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الشواهد توافق سفر الأعمال الذي يشهد بأن لوقا كان مع الرسول بولس عند سجنه في

روما . ولكن هذه الشهادة تبنى على شهادة أخرى أكثر صراحة منها وتتجه مباشرة إلى لوقا .

٢- الشهادة المباشرة : هذه الشهادة تنبع من الظاهرة الموجودة في سفر الأعمال وتبدأ من ١٦ : ١٠ وهي التي تدعى « فقرات - نحن » أي التي تكتب في صيغة المتكلمين الجمع ، وهي تنحصر في الأماكن التالية :

(أعمال ١٦ : ١٠ - ٤٠) وهو الجزء الذي فيه يذهب الرسول إلى مكدونية ثم تبشيره في فيليبي إلى أن خرج منها بعد حادثة السجن .

(أعمال ٢٠ : ٥ - ١٦) وهو الجزء الذي فيه يأتي الرسول إلى فيليبي مرة أخرى وذهابه إلى ترواس ثم إلى ميليتس .

(أعمال ٢١ : ١ - ١٨) وهو الجزء الذي يتكلم عن رحلة العودة حتى وصوله إلى قيصرية .

(أعمال ٢٧ : ١ - ٢٨ : ١٦) وهو يتكلم عن رحلة الرسول من قيصرية إلى رومية كسجين ووصف الرحلة وانكسار السفينة .

هذه الفقرات تدل على أن الشخص الذي كتبها كان رفيق سفر للرسول فقد قابله أولاً في فيليبي ثم افترق عنه ، وقابله مرة أخرى في مكدونية أو فيليبي ثم ذهب معه إلى قيصرية . وبقي هناك إلى أن ذهب الرسول إلى أورشليم واحتجز هناك ، وبعد سجنه سنتين في قيصرية رافقه إلى روما . نعم لقد رافقته مجموعة أخرى يذكرهم سفر الأعمال (٢٠ : ٤ و ٥) ولكن لم يكن أي واحد منهم لأن الكاتب كان شخصاً آخر يقول « نحن » .

فإذا قارنا هذه الصيغة « صيغة المتكلم الجمع » في هذه الأجزاء . مع صيغة المتكلم المفرد في لوقا ١ : ١ - ٤ ، أعمال ١ : ٤ فإن المقارنة تقرب إلى أذهاننا فكرة الكاتب وهي أنه يريد أن يظهر أنه كان حاضراً في تلك الرحلات التي يكتب فيها الصيغة « نحن » .

على كل حال لا يمكن أن نأخذ القرائن الداخلية وحدها دون الشهادة الخارجية من آباء الكنيسة ، ولكن كليهما معاً يقويان الرأي القائل بأن لوقا الطبيب رفيق الرسول بولس في سفراته هو نفسه الكاتب .

أما عن شخصية البشير فلا نعرف من العهد الجديد شيئاً كثيراً عنه سوى أنه كان طبيباً أممياً (كولوسي ١١ و ١٤) ، ومع أن الشهادة الخارجية السابقة تذكر أنه من أنطاكية سوريا فإن « فقرات - نحن » توحى بأنه كان من فيلبي .

ويذكر أحد العلماء (رمزي - القديس بولس الرحالة ١٩٢٠٠ ص ٢٠٠ - ٢٠٣) أن لوقا هذا هو الرجل المكدونى الذى رآه الرسول في رؤيا (وهي لا تعنى بالضرورة حلماً ولا حالة غيبوبة) يقول له أعبى إلى مكدونية وأعنا (أعمال ١٦ : ٩ و ١٠) . ويذكر العلماء أيضاً أن الاصطلاحات الطبية المذكورة في إنجيل لوقا خاصة تدل على أن الكاتب كان طبيباً ورفيقاً للرسول بولس .

تاريخ كتابة الكتابين :

كتب سفر الأعمال بعد كتابة إنجيل لوقا وذلك واضح في المقدمة ولسنا ندري كم من الزمن مر بين كتابة الجزئين . ومع ذلك فيمكن أن ندرس تاريخ كتابة الاثنين معاً لأن سفر الأعمال مكمل ولاحق لإنجيل لوقا :

الشهادة الخارجية :

يؤخذ من كتابات الآباء واقتباساتهم أن الإنجيل كان معروفاً في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ، وهذا يدل على أنه كتب قبل أواخر القرن الأول . يظهر هذا من مقارنة الديداكشي أو تعليم الرسل مع إنجيل لوقا ، فقد ظهر أن هناك تشابهاً في كثير من الآيات مما يدل على أن كاتب هذا الكتاب عرف إنجيل لوقا ، وإلى جانب ذلك فهناك الكتاب الغنوسيون مثل بارليدس وفالينتانس وفوق الكل شهادة مارسيون المنحرف الذي كان بين يديه إنجيل لوقا بعد أن حذف منه الأصحاحات الثلاثة الأولى ، وهذا الرجل ظهر سنة ١٤٠ م . وجاستن مارتر الذي استخدم الإنجيل بكثرة في منتصف القرن الثاني الميلادي أي حوالي ١٥٠ م .

وتوجد النظرية الثانية وهي أن الإنجيل كتب في الستينات الميلادية أي قبل محاكمة الرسول بولس كما يظهر من نهاية سفر الأعمال . وقد دافع عنها كثير من العلماء المشهورين مثل هارنيك وهاستنجز وغيرهما . ومع ذلك فإن الشهادة الداخلية للكتاب لا تؤيد ذلك ، كما يتضح من الشواهد الآتية :

(أ) ففي المقدمة (لو ١ : ١ - ٤) يذكر البشير أن أناجيل أو كتب أخرى ظهرت قد يكون من بينها إنجيل مرقس الذي يعتمد عليه هذا الإنجيل كثيراً ، وإلى جانب ذلك فالكاتب يقول إنه من الجيل الثاني الذي لم يكن من الشهود دلالة على تأخر تاريخه عن هذا التاريخ المبكر .

(ب) في نبوات المسيح عن أورشليم إذا قارنا مرقس ١٣ : ١٤ وما بعده مع لوقا ٢١ : ٢٠ و ٢٤ نجد أن مرقس البشير لا يذكر إلا القول « حيث تكون الجثة هناك تكون أثنسور » في حين أن إنجيل لوقا يذكر صراحة عن أورشليم أنها ستكون محاطة بجيوش . مما يدل على أنه يذكر حوادث رآها أو سمع عنها فأوضح ما قاله البشير مرقس في العيارة الغامضة . وتصف النبوة .

الأخرى (١٩ : ٤٣ و ٤٤) وصفاً دقيقاً لحصار أورشليم الذي حدث أيام تيطس الروماني « فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمرسة ويخدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيتك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمان افتقادك » إن المسيح أعلن خراب أورشليم ، ويلوح أن إنجيل لوقا كتب بعد أن حدث ذلك، فوصفه وصفاً دقيقاً يتفق مع ما كتبه المؤرخون المعاصرون عن خرابها في ٧٠ م. وهذا يدل على أن الكتاب لا بد وأنه كتب بعد هذه الحوادث . ويعطى العلماء العشر سنوات ما بين ٨٠ و ٩٠ م كوقت محتمل لكتابة هذا الإنجيل .

أما من جهة سفر الأعمال فقد كتب بعد فترة وجيزة جداً من هذا التاريخ لأنه مكمل للإنجيل ولا يمكن أن يكون متأخراً عنه كثيراً (أعمال ١: ١)

ميزات إنجيل لوقا :

إذا قارنا إنجيل لوقا بالإنجيل الثلاثة الأخرى نجد هناك بعض الملامح التي تميزه عنها .

١ - التفاصيل المتعددة :

عندما يبدأ قصة حياة يسوع فإنه يبدأها بالبشارة بيوحنا المعمدان أي أنه يذهب إلى قبل ما وصل إليه متى البشير ، وعندما ينتهي من كتابة الإنجيل فإنه يذهب إلى بعدما ذهب إليه كل البشيرين الثلاثة فذكر قصة الصعود . ويظهر ذلك أيضاً في قصة رحلة السيد من الجليل إلى أورشليم : فبينما يذكرها مرقس في أصحاح واحد ومتى في أصحاحين يذكرها لوقا في حوالي تسعة أصحاحات : ويضع فيها تفاصيل عديدة غير موجودة في الإنجيليين الآخرين ، ولأجل ذلك جاء هذا الإنجيل أطول كتاب في العهد الجديد كله .

٢- النظرة المتسعة للعالم كله :

بعض القمصان والأحاديث في هذا الإنجيل تظهر أن لوقا اهتم اهتماماً خاصاً بالمسكونية وبيّن أن الإنجيل جاء للعالم كله وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

- في ترنيمة الملائكة نجد أن مسرة الله في كل الناس (٢ : ١٤) .
- وكذلك المسيح ، في ترنيمة سمعان الشيخ هو « نور إعلان للأمم » (٢ : ٣٢) .
- لم يقف البشير في كلمات النبوة عن يوحنا المعمدان إلى حد القول « صوت صارخ في البرية » ولكنه أكل النبوة إلى قوله « ويبصر كل بشر خلاص الرب » (إشعيا ٤٠ : ٣ - ٥ مع لوقا ٣ : ٤ - ٦)
- يضع البشير السامريين في مستوى واحد مع اليهود فويخ التلميذيين اللذين أرادوا ناراً من السماء على السامريين (٩ : ٥٤) ، بل وأعلن أن السامري صنع مع اليهودى ما لم يصنعه الكاهن ولا اللاوى (١٠ : ٣٣) بل كان السامري أكثر شكراً لله وليسوع من اليهود الذين نالوا مثله الشفاء (١٧ : ١٦) .
- يذكر حادثتين من العهد القديم يركز فيهما المسيح على شخصيتين أميتين كئثال ودينونة على إسرائيل ، هما أرملة صرفة صيدا ونعمان السرياني (٤ : ٢٥ - ٢٧) .
- هذا الإنجيل يضيف صبغة مسكونية عامة على مثل العشاء العظيم ، إذا قورن بإنجيل متى ، وذلك بأن يضيف كلمة « أزقة » وطرقات وسياجات على عبارة « شوارع المدينة » التي يذكرها متى وبذلك يضيف بعداً جديداً على اتساع دعوة يسوع . (١٤ : ٢١) .

— الإرسالية العظمى إلى كل العالم كما هو موجود في متى ٢٤ : ٤٧ .

٣ — اهتمامه بالإنسان :

وهناك أيضاً أمثلة كثيرة على اهتمام لوقا بالإنسان كإنسان ، أكثر من أى إنجيل آخر وهذا بعضها :

اهتمامه بالفرد :

تدور معظم الأمثال التي يذكرها وتختص به وحده على الفرد بينما تركز أمثال متى على الملكوت . ويفعل نفس الشيء في القصص الخاصة به ، فهو يرسم الشخصيات بكيفية مميزة : كزكريا الكاهن ومريم العذراء ونسبتيها مريم ، الأختان مريم ومارثا ، زكا العشار تلميذا عمواس المتألمين ، وكثيرون غيرهم ممن يرسمهم بقلمه في قوة وحيوية . ولا شك أنه تأثر في ذلك من اهتمام يسوع نفسه بالإنسان .

اهتمامه بالمتبوعين :

يعتبر إنجيل لوقا أكثر من أى إنجيل آخر يبرز اهتمام يسوع بالمتبوعين اجتماعياً ، فهو يذكر المرأة الخاطئة (٧ : ٣٦ - ٤٨) ، ثم توبة اللص (٢٣ : ٣٩ - ٤٣) . ويذكر ثلاثة أمثلة تظهر فيها نعمة الله على شخصيات مثل هذه ، وهى الابن الضال (١٥ : ١١ - ٣٢) المديونان (٧ : ٤١ - ٤٣) والعشار (١٨ : ٩ - ١٤) . وموقف الرب تجاه السامريين الذين يحتقرهم اليهود كما سبق القول .

اهتمامه بالمرأة :

يذكر لوقا في إنجيله حوالي ١٣ امرأة لم تذكر في الأناجيل الأخرى ولعله كأمى يعرف المستوى الوضع الذي انحدرت إليه المرأة في الوثنية ،

ولذلك فقد أراد أن يذكر كم قدسها الإنجيل ، وقدسها الرب يسوع . فهو يذكر أرملة نايين ، المرأة الحاطئة ، النسوة اللاتي كن يتبعنه ويعولنه في خدمته ، واللاتي كن يبكين عليه عند الصليب ، وفي قصة ميلاده وقيامته تظهر المرأة في مواقف مجيدة (٢٣ : ٤٩ ، ٢٣ : ٥٠ ، ٢٤ : ١١) .

اهتمامه بالطفل :

ينفرد لوقا بذكر طفولة يوحنا المعمدان ويسوع . وفي ثلاثة مواضع يذكر الأطفال الوحيديين لآبائهم (٧ : ١٢ ، ٨ : ٤٢ ، ٩ : ٣٨) . وفي إحضار الأولاد ليسوع يستعمل لوقا كلمة « طفل » في حين يستعمل متى ومرقس كلمة يمكن أن تترجم « صبيان » (١٨ : ١٥) .

علاقات المسيح الاجتماعية :

٣ مرات يتغذى المسيح مع الفريسيين (٧ : ٣٦ - ٥٠ ، ١١ : ٣٧ - ٤٤ ، ١٤ : ١ - ٤) . وعلاقته الاجتماعية في بيت عنيا (١٠ : ٣٨ - ٤٢) ، وفي بيت زكا العشار (١١ : ١ - ١٠) وفي عمواس (٢٤ : ١٣ - ٣٢) .

المقابلة بين الغنى والفقر :

يتم البشير كثيراً بالأمثال التي لها علاقة بالمال فيكتب أمثال المديونان ، الغنى الغني ، بائى البرج ، الدرهم المنفقد ، وكيل الظلم ، الغنى واليعازر ، والوزنات . وفي هذه الأمثال يظهر السيد عطوفاً دائماً على الفقراء والمساكين (٦ : ٢٠ و ٣٠ ، ١٤ : ١١) ويصف البشير الفريسيين بأنهم محبون للعمال (١٦ : ١٤) ويوحنا المعمدان يحذر العشارين من المغالاة من الضرائب والجنود من الطمع (٣ : ١٣) . في الناصرة يبشر السيد المساكين (٤ : ١٧ - ٢١) . وفي تسبحة مريم العذراء يصرف الرب الأغنياء فارغين

بينما يشبع المعوزين (١ : ٥٣) . ويطوب الفقراء (لوقا ٦ : ٢٠) قارن متى ٥ : ٣) .

٤ - الموضوعات التي ينبر عليها :

هناك موضوعات ينبر عليها البشير أكثر من أى إنجيل آخر ومنها :

الصلاة :

يسجل البشير ٩ صلوات ليسوع بينما لا تذكر الأناجيل الأخرى سوى صلاتين . وترتبط هذه الصلاة بحوادث هامة في حياة يسوع : في المعمودية (٣ : ٢١) بعد يوم مملوء بالمعجزات (٥ : ١٥ و ١٦) قبل اختيار التلاميذ (٦ : ١٢) قبل أول نبوة عن آلامه (٩ : ١٨ - ٢٢) في التجلي (٩ : ٢٩) عند رجوع السبعين (١٠ : ١٧ - ٢١) قبل أن يعلم التلاميذ كيفية الصلاة (١١ : ١) في جنسيمانى (٢٢ : ٣٩ - ٤٦) على الصليب (٢٣ : ٣٤ و ٤٦) . وكان يصلى في الصحراء (٥ : ١٦) ويقضى الليل كله في الصلاة (٦ : ١٢) .

ويذكر البشير مثلين مختصان بالصلاة لا يذكران في إنجيل آخر وهما صديق نصف الليل (١١ : ٥ - ٧) وقاضى الظلم (١٨ : ١ - ٨) . ويذكر أيضاً دون الأناجيل الأخرى أن يسوع يصلى من أجل بطرس (٢٢ : ٣١ و ٣٢) وأنه يحث تلاميذه في جنسيمانى أن يصلوا (٢٢ : ٤٠) وأنه صلى لأجل أعدائه (٢٣ : ١٤) ولنفسه (٢٢ : ٤١) .

وهكذا يعتبر هذا الإنجيل إنجيل الصلاة .

الروح القدس :

ولعل البشير لوقا كان أكثر من اهتم بصلة الروح القدس بالمسيح (في الإنجيل) وبالكنيسة (سفر الأعمال) ، فقد وصف يسوع بأنه ممثلى بالروح

القدس وبقوده الروح (٤ : ١) ويبدأ خدمته بقوة الروح (٤ : ١٤) .
ويتהלل بالروح عندما يصل إلى الآب مظهراً روح النبوة العميقة للآب
(١٠ : ٢١ و ٢٢) . وقد أمر المسيح المقام تلاميذه ألا يبرحوا أورشليم بل
ينتظروا قوة من الأعلى عندما يحل الروح القدس عليهم (٢٤ : ٤٩) وهذا
ما تممه الآب في يوم الخمسين . .

وهكذا كان الروح هو القوة التي أعطت الحياة لهذه الجماعة فحولتها
إلى كنيسة الله الشاهدة (أعمال ٢) وهو الذي كان يعلن دخول الناس إلى
المللكوت (أعمال ٢ و ٨ : ١٧ ، ١٠ : ٤٤ و ٤٥) وهو الذي أهل الناس
للخدمة (أعمال ٦ : ٣ و ٥ ، ٩ : ١٧ ، ١١ : ٢٤) وهو الذي أرسل
الرسولين للحقل المرسل الواسع عند الأمم (أعمال ١٣ : ٢ و ٤ و ٩) وهو
الذي قادهم في الأمكنة التي يريدونها (١٦ : ٦ و ٧) وغير ذلك من النشاط
الهائل للروح القدس في الكنيسة .

الفرح :

إنجيل لوقا مملوء بالفرح وبالتعبير عن الفرح (١ : ١٤ و ٤٤ و ٤٧ ،
١٠ : ٢١) وفي ثلاثة أمثلة يظهر البشير عنصر الفرح ومعناه عندما يجد
الإنسان ما يفغده كالدرهم والخروف والابن (١٥) . وقصة زكا مملوءة
بالفرح ، ولعل البشير هو الوحيد الذي يذكر في إنجيله أغنيات وترانيم الفرح .
كأغنية مريم (١ : ٤٦ - ٥٥) وأغنية زكريا (١ : ٦٨ - ٧٩) وأغنية
الملائكة (٢ : ١٤) وأغنية سمعان الشيخ (٢ : ٢٩ - ٣٢) . وهكذا يبدأ
الكتاب وينتهي بالفرح والترانيم .

هدف لوقا من كتابة الإنجيل وسفر الأعمال :

من أعظم الأمور التي أراح فيها هذا الكاتب كل الباحثين هو الهدف الذي

من أجله كتب كتابيه هذين . فهو يذكر صراحة أنه كتب الإنجيل إلى ثاوفيلس لكي يعرف « صحة الكلام الذى علمت به » (لوقا ١ : ٤) ، وكتب سفر الأعمال لكي يكمل الرسالة والقصة التي بدأها يسوع ويستمر فيها في حياة الكنيسة الأولى . (أعمال ١ ، ١ - ٨) . ويتضح من المقدمة أن ثاوفيلس هذا كان مسيحياً وقد تعلم المسيحية من بعض المعلمين ، ولكن هناك أشياء كثيرة عنها لم يكن قد عرفها بعد ولا بد من ذكرها له حتى يعرف صحتها في التاريخ والواقع .

ولكن السؤال الذى يجابهنا : هل ثاوفيلس هذا هو شخص محدد قصد البشير الكتابة إليه لفائدته الشخصية . أم أنه شخص يمثل جماعة من الأمم قبلوا المسيحية ولكنهم يحتاجون إلى تعاليم أوسع وبراهين تاريخية أعمق ، إن ثاوفيلس - كما يتضح من خطاب لوقا له - هو رجل هام في الدولة نظراً للقب الذى يحمله « العزيز » . ولكن مع ذلك فنحن نشعر أنه في شخصه وفي موقفه يمثل جماعة الأمم هذه ولذلك كتب البشير إليهم في شخصه فإذا كان ينقصهم من المعلومات الهامة التي يحاول لوقا أن يوصلها لهم ؟

هناك سؤال آخر : هل اقتصر هدف البشير على هذا الأمر ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى جعلته يكتب كتابيه ؟ إن ما يلاحظه الدارس أن لوقا كتب لهدف آخر وهو الدفاع عن المسيحية مما كان يحيط بها من تيارات شديدة داخلية وخارجية لدمجها في عقائد أخرى وإبعادها عن أصلها ، فأراد أن يزيل الأعشاب من الحبرى وبين أصالة المسيحية الحقيقية . هذان هما الهدفان اللذان سنركز عليهما الآن :

أولاً - توضيح الطريق المسيحي للأمم :

هناك أشياء كثيرة كان يحتاج ثاوفيلس ممثل الأمم المثقفين أن يعرفها منها:
١ - توضيح معنى الأصالة التاريخية للمسيحية : كان ثاوفيلس يعرف الحوادث الهامة التي حدثت ليسوع المسيح في حياته على الأرض ، ولكن معنى هذه الحوادث وعلاقتها بعضها ببعض لم تكن جد واضحة لديه . وكان يعرف الشخصيات الهامة التي أحاطت بيسوع ، كان يعرف أسماءهم ، والمدة التي مكثوها مع المسيح ، ولكن الدور الحقيقي الذي لعبوه في المسيحية وفي خدمة الكنيسة ، هذا لم يكن واضحاً لدى ثاوفيلس .

إن حوادث حياة المسيح وخاصة موته وقيامته كانت الأساس الذي بنى عليه إيماننا المسيحي ، لقد سمع عنها كثيراً وفهمها ، ولكن هناك ما تلاها من الحوادث كمجيء الروح القدس ، وخدمة التلاميذ ، واختبار الكنيسة الأولى في تنوعه ، كل هذا كان يجب أن يوضحه لوقا في رسالته لثاوفيلس . فما هو الدور الذي لعبه التلاميذ في التبشير والإرسالية المنتسعة للعالم كله ؟ كيف أضحى يولس رسولاً هاماً للأمم بعد أن كان مجدفاً على يسوع المسيح ومضطهداً مريباً لكنيسته ؟ وما هي صلته بالكنيسة الأولى وبيقية رسل الرب ؟ وما هي الصلة بين إرساليته وإرساليتهم ؟ هل كانوا يتناقضون أم أنها إرسالية متكاملة ؟ ومن هم أبطال الحركة والتبشير المسيحي في بدء ظهور الكنيسة المسيحية ؟

هذه الحوادث التاريخية والأشخاص الذين عاصروها واندمجوا فيها كانت تحتاج إلى هذا الكاتب وهديين الكتابين لتوضيحها لثاوفيلس .

٢ - تحول الكنيسة من اليهودية إلى الأمم : لا بد أن هذا الأمر كان من الاهتمامات الخاصة التي كان ثاوفيلس يفتقر إلى شرحها ومغرفتها .

كيف انتقل المركز المسيحي من أورشليم إلى روما؟ وهل كان الإنجيل
الذي نودى به في أورشليم والتعاليم التي أخذتها الكنيسة اليهودية من الرسل
الأوائل هو نفسه الإنجيل الذي نودى به في روما؟

لقد كان الإنجيل ، كما أعلن في أورشليم بسيطاً نسبياً ، فقد طلب الرسل
من اليهود أن يؤمنوا بيسوع المسيح ويعتمدوا باسمه ويتوبوا. وعلى هذا الأساس
يجب أن يعيشوا حياة تليق بصلبتهم الجديدة بالله ، وهكذا يستطيعون أن يقبلوا
المواعيد والبركات التي وعد بها الله آباءهم على فم الأنبياء . ولقد قبل الكثيرون
هذا الإنجيل وآمنوا بالمسيح وصاروا مسيحيين ، ولكنهم في نفس الوقت
استمروا في حياتهم الأولى اليهودية ممارسين لطقوسهم وشريعتهم الموسوية
وعبادتهم في الهيكل وقراءة العهد القديم في المجمع ، ولم يحاولوا أن يمازروا
ويفارقوا بين الوصايا ، بل عاشوا تحت كلمة الله وحكمته كجماعة يهودية
على أن هذه الكلمة تجيء إليهم الآن عن طريق الرسل لا الأنبياء القدامى .

ولكن هذا كله قد تغير الآن تحت بصر وسمع ثاوفيلس فأضحت الغالبية
العظمى في الكنيسة من الأمم ، وصارت أنطاكية وكورنثوس وروما هي
المراكز المهمة بدلا من أورشليم . وبدأ التفكير اللاهوتي كذلك يتسع ويبدو
مركباً أكثر من لاهوت أورشليم . وهذه بعض الأمثلة : اعترفت كنيسة
الأمم بأن الله هو الملك كما كانت كنيسة أورشليم تعترف ، ولكن زادت
على هذا بأنه لا يمكن معرفة الله ولا الوصول إليه إلا عن طريق ابنه يسوع
المسيح .

وكذلك اعترفوا بأن يسوع هو المسيح ولكن زادوا عليه معنى أشمل
وهو أنه سيد السماء والأرض .

وبشروا أيضاً بالروح القدس ولكنه الروح الذى جاء ليحيى الكنيسة.
ويربط أعضائها فى جسد واحد هو جسد المسيح .

وبشروا بشعب الله ولكنه فى صورة الخليقة الجديدة أى الكنيسة . إنهم
يقومون بالإرسالية ولكن للعالم كله وليس لليهود فقط . هذا كله يحتاج إلى
تفسير وتوضيح لا بد للوقفا بأن يوضحه ويوضح كيف صار هذا الانتقال.
حقيقة واقعة .

٣ - تفسير الإنجيل للبيئة الأممية :

كان ثاوفيلس كأى أمى خائف الله ، يعرف السبعينية ، ويعرف كلمات
يسوع المسيح وتعاليم الرسل : ولا بد أنه كان يعرف أن الإنجيل قد وضع
فى ثوب يفهمه الأمم ، فمن ذا الذى وضعه فى ثوبه الجديد ؟ وبأى سلطان فعل ؟
وإلى أى مدى تتفق هذه التفسير والعهد القديم ، وكذلك حياة يسوع ؟ إن
ثاوفيلس يسمع كل من يقدم الإنجيل وهو يشهد بأن الإيمان المسيحى والعبرى.
يتفقان معاً ، بل ويكملان بعضهما البعض ، فهل هذه الشهادة صحيحة ؟ وهل
حياة يسوع ، وخاصة حادثة موته وقيامته هى جزء من الإعلان الكتابى ؟
وهل كان الأنبياء ينتظرون حقيقة مجئ الروح القدس وميلاد الكنيسة.
والإرسالية إلى الأمم ؟

٤ - مشاكل عملية :

كانت هناك مشاكل عملية تواجه ثاوفيلس كشخص أمى . ففى كل
مكان يركز فيه بالإنجيل يتحتم على من يؤمن به أن يعيش بحسب ناموس الله .
وقد كان هذا مفهوماً وسهلاً بالنسبة للبيئة الفلسطينية ، فعندهم ناموس الله
وهو نفسه العهد القديم . لكن عندما ينتقل الإنجيل إلى البيئة الأممية فالأمر جند
مختلف ، فهو مجتمع وثنى تتحكم فيه عادات وعبادات وثنية : عبادة الأصنام

عبادة الامبراطور طقوس سرية ، وذبايح للوثن : . هذة كلها تحبب بالمسيحي من أصل أمي . ولذلك فهو يحتاج إلى قوة قاهرة لتحميه منها ، إنه ليس مسئولاً أمام جهات وسلطات دينية كما هو الحال مع اليهود بل أمام سلطات سياسية ؛ وهو لا يتمتع حتى بالامتيازات التي منحت لليهود الشتات ، ولهذا فقد كان عليه أن يعرف طريقاً للحياة في مجتمعه بحيث لا يضحى بعقيدته وحياته المسيحية ، وفي نفس الوقت لا ينكر عليه واجباً للدولة ، وإن لم يفعل ذلك فإنه لا يستطيع أن يعلن الإنجيل للمجتمع الذي يعيش فيه لأنه إذ ذاك يعد خارجاً على القانون . ولهذا فقد كان من الضروري لثاوفيلس أن يعرف هذا الموقف المسيحي مجسماً في حياة يسوع وحياته تلاميذه :

٥ - المشكلة اللاهوتية :

كل هذه المشاكل السابقة ما هي إلا عوارض لمشكلة أساسية تتلخص في الأمر التالي : إذا كان المسيحي الأمي لا يمتلك وسيلة أو طريقة يستطيع أن يعرف بها مكانه ومكانته في عمل الله وتديره فكيف يمكنه أن يسلك ويتعامل مع موقفه الحاضر ؟ إنه يحتاج أن يعرف - وعمق - نظرة الله العامة في فداء الإنسان ، وفي نفس الوقت يحتاج أن يعرف مكان العصر الحاضر الذي يعيش فيه في هذه اللحظة العامة . فإذا كان الله هو المتحكم في الأزمنة والأوقات فما هو المعنى الحقيقي لأعماله في القديم مع شعبه إسرائيل ؟ وما هي أهمية الوقت الذي عاش فيه يسوع على الأرض ؟ وكم من الزمن سيطول العصر الحاضر ؟ ومتى تأتي النهاية ويتمم الله قصده الأزلي ؟

عندما يعرف ثاوفيلس الذي يمثل جزءاً كبيراً من مسيحية الأمم أجوبة هذه المشاكل ، ويتعمق في كنهها فإنه يستطيع أن يقف على أرضية ثابتة ،

بل ويساعد بقوة على تقدم الإنجيل . ولذا كله كتب لوقا إنجيله مع سفر الأعمال من بعده .

ثانياً - حماية المسيحية من التيارات الغريبة :

يذكر البشير في مقدمة كتابه : إن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة للأمم الوثيقتة . وعندما يقول إنه تتبع كل شيء من الأول بتدقيق فهذا يعطينا الانطباع أن هؤلاء الكثيرين لم يكونوا كلهم مخلصين في شرح المسيحية الأصيلة : بل حاول بعضهم ربطها بتيارات غريبة عنها ، وقد نستنتج من كتابات لوقا أن هناك تيارين غريبين كتب عنهما لكي يكشف غرابتهما عن الطريق المسيحي الحقيقي : التيار اليهودي ثم التيار الهليني .

١ - التيار اليهودي :

لقد بدأ هذا التيار اليهودي مبكراً في الكنيسة ، وكان يختص بالناموس وقدمه ومقدار تأثيره على الحياة اليهودية ، وقد ذكرنا سابقاً أن الكنيسة الأولى في بدء خدمتها لم تكن تفرق عن اليهود في أمور كثيرة ، فقد كان أعضاؤها يذهبون إلى الهيكل ، ويقومون بالطقوس وغير ذلك . ولكن الأمر تعدى ذلك بكثير خصوصاً عندما دخل الأمم إلى حظيرة المسيح بواسطة تبشير الرسول بولس . فقد فرق الرسول بين المسيحية كما هي في المسيح وبين اليهودية ، ولم يكن هناك داع للناموس ولا للأعمال لنوال التبرير . ولكن جماعة من اليهود المتطرفين لم يعجبهم ذلك ، وهاجموا كرازة الرسول وهاجموا شخصه ، وقضى الرسول وقتاً طويلاً في محاربتهم وتخليص المسيحية منهم . ولم يكن هذا سهلاً عليه ، ولكنه نجح في ألا يجعل هناك ارتباطاً ضرورياً بين الأعمال الناموسية وبين الإنجيل ، وصار إنجيل المسيح نقياً من هذه البدعة .

اليهودية . هذا الأمر كان لي علوقا البشير أن يدونه ويذكره حتى يحمي
المسيحية في الحاضر والمستقبل من هذه البدع اليهودية .

٢- ومع ذلك فلم يكن اليهود المسيحيون وحدهم هم الذين حاولوا أن
يقوموا بهذا الترابط اليهودي المسيحي . بل لعل كثيرين من الأمم أيضاً
كانوا يعجبون باليهودية وناهوسها وتاريخها الطويل وكتبها المقدسة ثم حاولوا
خلق نوع من الطقس المسيحي اليهودي يتمثل في الذبائح وغيرها . ولكن
التيار الحقيقي الذي لم يكن قد ظهر بعد في شكله النهائي في أيام كتابة الإنجيل
وسفر الأعمال بل كان في بداءته هو التيار المضاد السابق . فقد رأى بعض
الأمم أنه لا ضرورة بالمرّة للارتباط بين الإنجيل وبين بيئته اليهودية التي نشأ
فيها . وليس هناك أى صلة بين العهد القديم وبين حياة وعمل يسوع المسيح ،
بل للعلم رأوا الأ فائدة كبيرة للإنجيل من حياة يسوع نفسه التي عاشها على
الأرض ، طالما أنها ارتبطت بالحياة اليهودية . ولهذا فلا بد من ربط الإنجيل
بنوع من الفلسفة النظرية ، وخلق الإنجيل من البيئة اليهودية ووضعها في البيئة
الهلينية . وخطورة هذا التطور هي أنه يؤدي إلى إنكار فائدة بل وحدوث
تجسد الله في الحياة البشرية ، ويؤدي أيضاً إلى التفرقة بين إله العهد القديم وبين
الابن الإلهي يسوع . . .

هذه التطورات كما سبق القول ظهرت بقوة في وقت لاحق للإنجيل ، ولكن
جذورها بدأت في وقت مبكر عندما بدأ الإنجيل يغزو البيئة الهلينية ويبدأ
الصراع بينهما . وعلى هذا فقد كان أمام لوقا البشير عمل هام وفريد : أن
يشرح لنا وفيلس المعنى الحقيقي لكل الحوادث التي ترتبط بالعمل الفدائي ،
وأهميتها الأساسية للكنيسة ، وأن يكشف لقرائه بوضوح التدرج الذي سار فيه
عمل الله في المسيح يسوع ومعناه الفدائي مبتدئاً من ميلاد يسوع ماراً بحياته

٢٨٩

(م ١٩ - المدخل الى العهد الجديد) .

وموته وقيامته وصعوده ، ثم الإرسالية العامة الشاملة التي وضعها على شعبه الجديد الذي آمن به رباً ومسيحاً . . وقد فعل ذلك بربط المادة التي جمعها من الذين كانوا منذ البدء خداماً ومعانين للكلمة . هذه الشهادة كلها كان لا بد أن يكلف الروح القدس شخصاً مثل لوقا بكتابتها ، وقد فعل .

الطريقة الخاصة التي استخدمها لوقا في الكتابة :

رأينا سابقاً أن البشير قد وضع لنفسه برنامجاً محدداً وهدفاً لكتابته . وشخص كهذا لا بد وأنه يستخدم طريقة خاصة لإبراز هذا الهدف الخاص به ، فما هي الطريقة التي استخدمها لوقا وتميز بها وأصبحت طابعاً له في كتابه : الإنجيل وسفر الأعمال ؟ هناك على الأقل خمسة أوجه لكتابته :

١- الوجهة التاريخية :

كان عليه أن يجيب على أولئك الذين يتساءلون عن الأصل التاريخي للكنيسة ، وحقيقة الحوادث التي أوجدتها ، ولهذا كان عليه أن يضع هذه الحوادث بكل دقة وخبرة تاريخية حتى يستطيع كل من يحاول معرفته أن يجد لديه سجلاً تاريخياً دقيقاً . ولهذا الهدف وضع الحوادث الأساسية للكنيسة في قلب التاريخ الإنساني والروماني ، فيذكر تاريخ الحوادث الكنسية مرتبطة بتاريخ الأباطرة والولاة ورؤساء الكهنة (لوقا ١ : ٥ و ٢ : ١ و ٢ ، ٣ : ١ و ٢) . وإلى جانب ذلك يذكر الأمكنة والمواقع بأسمائها الفنية (أعمال ١٦ : ٦ ، ١٨ : ٢٣) . وكعادة المؤرخين العظام في عصره كان يذكر الحوادث التاريخية بلغة تناسب عصره والناس الذين يكتب لهم ، متحققاً من صحة هذه الحوادث .

ومع كل ذلك فقد كان لوقا متميزاً في كتابته كمؤرخ ، فهو لم يقصد أن يكون فقط قصاصاً للتاريخ المقدس ، يذكر الحوادث لحرد ذكرها ،

ولكنه كان يقصد هدفاً آخر هو تعليم ثاوفيلس صحة الأمور التي تعلمها عن طريق هذه الكتابة . ولذلك اهتم بطريقة اختبار المادة وتركيبها بحسب خطة في ذهنه حتى يخرج منها أهم الفوائد . وثنق جداً أن البشير كان في مركز طيب ساعده كثيراً على الوصول إلى هدفه ، فقد مر على الحوادث التي يكتب عنها وقت كاف بحيث يستطيع أن يتحقق ويفكر تفكيراً موضوعياً في هذه الحركة العظمى التي حدثت في ذلك العصر ، وبذلك يستطيع أن ينتقى أفضل الحوادث وأكثرها أهمية ، فالكنيسة قد تأسست منذ زمن ، وحرارة يوم الخمسين قد هدأت : واتسعت الإرساليات في كل مكان ، وكلمات يسوع تجمعت في مجموعات ، والأعمال التي قام بها كانت معروفة ، وأصحت الحوادث اللاحقة لما تفسيراً لهذه الأعمال والكلمات ، وصارت هذه بدورها مصدراً للنور الذي يعطى المعنى الحقيقي لكل هذه الحوادث .

الامتياز الثاني للبشير لوقا فإنه كانت لديه مصادر ممتازة عن هذه الحوادث والكلمات . كانت له علاقات متينة وشركة عميقة مع الشخصيات الأساسية في الكنيسة ، مثل بولس وبرنابا وغيرهم من الرسل . وكانت تحت يده مکتوبات خطتها أيدي أناس لهم عميق الصلة بحياة يسوع وحياة الكنيسة الأولى ، وتقاليده شفوية تناقلها الكنائس وتحفظ بها وتحفظها . بل لعل الامتياز الكبير الذي كان للبشير هو الأسفار العديدة ومقابلة الكنائس والشخصيات ، وبذلك أمكنه أن يجمع مادة ثمينة لكتابه هذين . وإلى جانب ذلك كان هو يتمتع بإحساس قوى بالتاريخ ، ويعرف كيف يكتبه ويرتب مادته في حس سام وملكات نقدية دقيقة ، وهذا كان عاملاً على نجاحه التام الذي يظهر في الإنجيل والأعمال .

٢ - التفسير اللاهوتي للتاريخ :

لم يكتبف البشر لوقا ، كثورخ ، أن يكتب تاريخاً عالمياً Secular يرص فيه الحوادث دون ذكر أى تدخل إلهى فيه ، ولكنه كتب هذا التاريخ على أنه تاريخ الخلاص ، فكان يهتم بوضع الحوادث فى نظام منطقى مترابط . يستطيع أن يرى فيه القارئ قصد الله فى حياة الإنسان . وبذلك يمكن أن نسميه التاريخ المقدس الذى خلقه الله حوادثه وسيره بحكمته . ولكن يفهمه القارئ فهماً صحيحاً فيجب أن يفهم كل حادثة فيه ويعرف معناها العميق . ولم ينس البشر أن يفسر كل حوادث هذا التاريخ المقدس وأن يربط حادثة بكنيفية جعلت منه تاريخاً أساسياً فى حياة البشر لأنه تاريخ الفداء .

ولم يكن البشر أول من فكر فى هذا التاريخ المقدس ، فقد سبقه اليهود فى ذلك فقسموا التاريخ إلى قسمين : الأول وسموه « الدهر الحاضر » . وهو الذى يبدأ بالخلقة وينتهى - بحسب رأيهم - بمجئ الوقت الذى فيه يدين الله جميع الناس ، وفى هذا العصر يحكم الناموس حياة الناس . أما القسم الثانى فقد سموه « الدهر الآتى » . ولقد أعطاهم هذه العقيدة والتسلك بها حياة الثبات فى كل المحن التى واجهوها ، لأنهم كانوا يثقون أن الله سيتدخل فى التاريخ ، إما بنفسه أو عن طريق ابن داود الذى يقيمه ليرد مسبى شعبه ويعيد مجدهم القديم . ولم تكن هذه العقيدة نبتة برية ولكنها بنيت على أساس ثقته بمواعيد الله التى أعطاها للآباء .

ولقد شارك التلاميذ المسيح اليهود هذا التفسير وكان بعضهم يتقبلها دون مناقشة ولهذا فقد واجهوا مشكلات خطيرة ، منها ظنهم أن وقت النهاية قد قرب جداً ما دام المسيا قد ظهر ، ولهذا فقد سألوا يسوع « هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل » (أعمال ١ : ٦) .

ولكن سرعان ما اكتشفت الكنيسة أن العقيدة اليهودية أبسط من أن تفسر عمل الله في المسيح يسوع ، وأن لهذا العمل بعداً لم يعرفه البشر بعد . وكان لوقا أول من عرف هذه الحقيقة وأن مركز التاريخ المقدس هو المسيح يسوع الذي أعلن بحجيته قصد الله في أعماله ، وهو المفتاح الحقيقي لأزمة الله وكل ما مر قبل مجيئه كان يتطلع إليه ويجد معناه في انتظاره إياه ، وكل ما يجيء بعده يعتمد عليه ويجد معناه فيه .

ولقد رأى لوقا أن هناك عصور ثلاثة في التاريخ المقدس : الأول هو عصر إسرائيل : من البدء إلى ظهور يوحنا المعمدان وهو عصر الانتظار . العصر الثاني هو عصر المسيح وهو مركز أزمة الله ويتلخص في إرسالية يسوع إلى وقت صعوده وفيه أعلن خلاص الله . أما العصر الثالث فهو عصر الكنيسة وشهادتها للعالم ويبقى إلى انتهاء الإرسالية الإلهية . ويتميز هذا العصر الثالث بعمل الروح القدس النشط ، وهو ليس عصر أقصيراً ، ولكنه بدوره بحسب كتابات البشير ، ينقسم إلى طورين : الطور الأول هو عصر الكنيسة الأولى وهو عصر الرسل ويتميز بوضع الأساس للكنيسة ، ولهذا فقد حدثت فيه آيات وعجائب وقوات لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى ، لأنها آيات ظهور كنيسة الله في التاريخ ، كما كانت آيات المسيح علامة على مجيئه كالمسيا المنتظر وابن الله الفادي .

أما الطور الثاني فهو طور الامتداد الكنسي ، مبنياً على تعاليم يسوع ونشاط الرسل والمؤمنين الأوائل . . وقد ظهرت مميزات هذا العصر في خطاب الرسول بولس لقسوس أفسس (أعمال ٢٠ : ١٨ - ٣٦) . إنه عصر يجب أن يتميز بالخدمة والترقب والحذر من دخول الذئاب المفترسة ، وانتظار مجيء المسيح في أي وقت يريد .

٣- الأسلوب الأدبي الرفيع :

عندما وجه البشير كتابيه للعزير ثاوفيلس فإنه كان يتبع نظام الأوساط الأدبية في عصره ، وهو لم يقصد أن تكون كتاباته رسائل شخصية لا تنسم بالرسميات ، ولكنه كان يكتب بحسب الطرق الرسمية . وقد قسم كتابه إلى مجلدين وضع كل واحد على درج بحسب الإمكانات المتاحة لذلك العصر .

ومن طريقة كتابته يتضح أن البشير كان يقصد نشر كتابه على جمهور واسع لقراءته ، ولهذا السبب اتبع القوانين الأدبية الخاصة بهذا النوع من الكتابة . ففي المجلد الأول - الإنجيل - كتب مقدمة عامة يصف فيها الظروف التي يكتب فيها والمهدف الذي يقصد إليه . أما في المجلد الثاني - الأعمال - فكانت المقدمة مختلفة بعض الشيء بسبب اختلاف المهدف والغرض منها . ففيها يعطى ملخصاً لما قد حدث من قبل ، ثم يضع خطة الجزء الباقي من قصته هذه . ولقد سهل هذا العمل على القارئ مهمته وكشف له عن طبيعة الجزء الذي يقرأه من هذا العمل العظيم ، حتى ولو كان يقرأه بعيداً عن الجزء المكمل له ، سواء أكان الأول أم الثاني .

وتظهر طريقته في الكتابة الأدبية الرفيعة في نوع اللغة والأسلوب الذي يكتب به ، مما يتفق مع الكتابة الأدبية المميزة لعصره . ويظهر ذلك بكل وضوح عندما تقارن إنجيله بإنجيل البشير مرقس الذي سبقه في الكتابة ، فاعتمد عليه البشير لوقا كمصدر أساسي له . ومع ذلك هناك فرق واسع بين الاثنين . فالإنجيل الأول - مرقس - كتب بطريقة مباشرة بسيطة لا تضع أهمية كبرى على التحسينات اللفظية ولا الأساليب الأدبية ، وهذا يختلف عن كتابات البشير لوقا ، فهو عندما يقتبس منه ويتبع الترتيب الزمني في الحوادث فإنه يحاول أن يخفف من أسلوبه ، ويغير بعض الكلمات الشديدة ويستخدم

جملاً وصيغاً بلاغية ، محسناً في كيفية ربط الجمل والحوادث ، حتى يمكن أن تسير القصة بيسر وسهولة تامة . ولم يكن هدفه في ذلك هو مجرد التغيير ولكن لكي يكون مخلصاً للأسلوب الأدبي المعاصر ، وخاصة لأنه يكتب لجماعة رفيعة المستوى . وبذلك برهن البشير لوقا على أنه متمكن جداً من الثقافة الهلينية ، وأسلوب الكتابة الرفيع الذي كان يسود عصره :

٤ - تفهمه الفريد للكتاب المقدس :

كانت طريقته في الكتابة تنصب على الكتاب المقدس ، أي العهد القديم بكيفية اعتبره لأجلها الكثيرون أنه أول لاهوتي للكتاب المقدس في الكنيسة الأولى . فهو ككل معلمى الكنيسة الأولى أظهر أن المواعيد التي أعطها الله في العهد القديم قد تمت في العهد الجديد. ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه متعمقاً في المفهوم الإلهي للإعلان ، وذلك بالتركيز العميق على بعض الحوادث والمواقف التي ربطت بين حقائق حياة يسوع ورسالته وبين العهد القديم . وهذا جعله يختار من المادة التي كانت بين يديه عن حياته وأعماله ، الحوادث التي تكشف عن المعنى الحقيقي للتاريخ المقدس والإعلان . ولتأخذ مثلين على ذلك من الإنجيل . . فعندما أراد أن يعرف عن حقيقة إرسالية يسوع ويكشف عن ما هيئها فإنه يختار لذلك عظة يسوع في الناصرة (لوقا ٤ : ١٦ - ٢١) وذلك لأنه يجد أن المفتاح الأساسي لحياة المخلص هو إشعياء ٦١ . إن البشير لم يكن يقصد أن يكشف عن سر المسيا ومن هو ، بل أن يكشف عن الأنبياء عن نوع المسيا الآتي ونوع رسالته .

أما المثال الثاني فهو في قصة الآلام : ففي هذا الإنجيل حاول القديس لوقا أكثر من أي إنجيلي آخر أن يفسر حوادث الأسبوع بما جاء في موسى والأنبياء (لوقا ٢٤ : ٢٥ - ٢٧ ، ٤٤ - ٤٧) .

أما في سفر الأعمال فقد تجلت مقدره القديس لوقا في هذا الأمر فأظهر نوع الارتباط العضوي بين العهد القديم والكنيسة .

فقد ذكر حوادث يوم الخمسين بالتفصيل وتفسيرها من نبوة يوثيل ٢ : ٢٨ - ٣٢ . وكذلك عظة بطرس كانت تحتوي على أجزاء كبيرة من مزامير ٢ و ١٦ و ١١٠ .

وخطاب اسطفانوس يحتوي تفسيراً لكل التاريخ القدائي للعهد القديم وفي أعمال ١٥ يطبق الرسول عاموس ١٥ على حياة الكنيسة .

وبذلك يظهر القديس لوقا أنه اللاهوتي الكتابي الأصيل في العهد الجديد ، فأينما وجد في التقليد الذي بين يديه عن حياة يسوع والكنيسة وإرساليهما حادثة أو موقفاً له علاقة تفسيرية للعهد القديم فإنه يذكرها ، لأنه يعرف أنه بذلك يبني ويخدم الكنيسة في عصرها الأول ، وأنه يعلم المسيحيين معنى الحق الكتابي .

٥ - الاهتمامات الرعوية :

كان القديس لوقا مؤرخاً ولاهوتياً وأديباً . . هذه حقائق هامة وواضحة في كتابيه ، ولكنه كان فوق كل هذا يتمتع بإحساس رعوي يصل به إلى مرتبة أعظم الرعاية والرسول .

ويتجلى هذا الأمر أولاً في اهتمامه على أن يطبق عمل يسوع القدائي على حياة الأشخاص . ففي تنبيهه على خطية الإنسان وحاجته إلى التوبة ، وسرعة استجابة الرب بالمغفرة والخلاص ما يوضح هذه الحقيقة . ومن يقرأ قصصه يحس بحاسة الكاتب وسعاده عندما يذكر أن إنساناً قد وقف في مواجهة يسوع مستجيباً له . . أليس هو الوحيد الذي يذكر قصة المرأة الخاطئة

(لوقا ٧) ؟ وقصة زكا العشار (لوقا ١٩) واللص التائب (لوقا ٢٣) ؟ ألم يذكر الأمثال الثلاثة التي تلخص الإنجيل كله وهي الحروف الضال والدرهم المفقود والابن الضال في أصحاح واحد (لوقا ١٥) ؟

ولكن في مجال الرعوية لا يتوقف اهتمام البشير في متابعة الإنسان المؤمن إلى حد استجابته للمخلص وتمتعه بالخلاص ، بل يتعداه إلى كشف سر الحياة المسيحية والسلوك المسيحي . ففي الإنجيل تواجهنا مطالب أخلاقية عالية ، توجه المؤمن في الطريق المسيحي الصحيح . في وسط العالم ، ففي مثل السامري الصالح (ص ١٠) ، ومثل الغنى الغبي (١٢) ، ومثل الغنى والبعازر (١٦) . نجد ذلك واضحاً ومكتملاً .

وكذلك الحال في سفر الأعمال ، ففيه تظهر حاسة القديس لوقا الرعوية وذلك في وصفه للحياة السامية المترابطة للجماعة المسيحية الأولى ، وفي إظهار المكانة الأولى والأساسية للروح القدس في حياة الكنيسة ، وفي كشفه لأهمية وطبيعة الإرساليات . . كل هذه الأمور تظهر أن لوقا كان كاتباً وراعياً يفيض قلبه بحب سيده وكنيسته وأعضاء جسده .

المصادر التي اعتمدها القديس لوقا :

يقول البشير في مقدمة إنجيله « إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي . . . » (لوقا ١ : ١ - ٣) وهذا يدل على أن البشير اعتمد على من سبقوه في الشهادة للمسيح لكي يجمع ويستقى منهم المعلومات الخاصة ، ويدل أيضاً على أن هذه المعلومات قد أخذها من مصادر مكتوبة وأخرى شفوية . وقد سبق ودرسنا ماهية المصادر التي اعتمدها في كتابته للإنجيل

وذلك في دراستنا لقضية الأناجيل الثلاثة الأولى .وقد مر بنا نظرية الأربعة مصادر التي أوضحت مقبولة لدى الغالبية العظمى من الدارسين : هذه النظرية تتلخص في أن الإنجيليين الأخيرين : متى ولوقا قد اعتمدا على أربعة مصادر وهي إنجيل مرقس ثم المصدر Q ثم المصدر ل والمصدر م وعلى أساس هذه النظرية تكون المصادر التي اعتمد عليها لوقا البشير في كتابة إنجيله ثلاثة :

مرقس في ترتيب الحوادث في حياة يسوع : ثم

Q في تعاليم يسوع وبشترك فيها مع متى . ثم

ل : وهو المصدر الذي أخذ منه الأشياء الموجودة بإنجيله ، ولكنها لا تظهر في الأناجيل الأخرى ، مثل قصص الميلاد وبعض الأمثال كالسامري الصالح وأمثال ص ١٥ وغير ذلك . وهذه يمكن دراستها بالتفصيل في الفصل المعنى بذلك .

هذا عن الإنجيل ولكن عندما نأتي إلى سفر الأعمال فإننا نجد قصة أخرى يجب أن ندرسها هنا .

قضية المصادر التي استخدمها القديس لوقا في كتابه سفر الأعمال لها صعوباتها الكثيرة ، ولعلها أكثر تعقيداً من قضية مصادر الإنجيل ، وذلك لأن للإنجيل نظائر مثله ، أي مرقس ومتى تلقى كثيراً من الضوء على هذه المشكلة . أما في سفر الأعمال فلا يوجد في العهد الجديد غيره ينصب على هذه الفترة الحاسمة في تاريخ المسيحية الأول ، ويختلف الدارسون في هذه القضية على أساس نظرياتهم عن المؤلف نفسه ، فبعضهم يظن أن مؤلف الكتاب ليس شخصاً واحداً بل عدة أشخاص كتبوا عدة أجزاء أو كتابات ، وجاء مؤلف

واحد وجمع هذه الكتابات معاً ، وبدل هؤلاء على وجود ثنائيات أو تكرار
في نوعيات الكتابة (كما يقول هارنيك في كتابه عن سفر الأعمال) . ففي
الأصحاحات الخمسة الأولى مثلاً : عظمتان للرسول بطرس (٢ : ١٤ - ٣٦ :
٣ : ١٢ - ٢٦) يقبض على الرسل مرتين (٤ : ٣ : ٥ : ١٨) . مرتان
يدافع الرسل عن رسالتهم أمام السنهدريم (٤ : ٨ - ١٢ : ٥ : ٢٩ - ٣٢)
مرتان يذكر عدد المسيحيين (٢ : ٤١ - ٤ : ٤) مرتان يصف الحياة
المسيحية داخل الجماعة المسيحية (٢ : ٤٤ - ٤٧ : ٤ : ٣٢ - ٣٧) .

وبعض الدارسين يضعون نظرياتهم في تعدد المصادر على تعدد الأساليب
في كتابة السفر ، فبعض الأجزاء تظهر فيها الترجمة من الأرامية بشكل
واضح مثل الجزء الأول ، وبعضها كتب في لغة يونانية أصيلة وفصيحة مثل
الأجزاء الأخيرة ، والتي كتب في أسلوب الشخص المتكلم الجمع (نحن) .
ولكن بعض الدارسين لا يعترفون بمثل هذه الاختلافات . .

وهكذا خرجت نظريات كثيرة بنى عليها بعض العلماء تعدد المصادر
التي أخذ منها سفر الأعمال ، وهؤلاء الذين يتمسكون لهذه النظريات ينكرون
أن كاتب السفر هو لوقا ، وهو ذات الشخص الذي كان رفيقاً للرسول
بولس في سفرياته . الحقيقة التي اقتنعنا بها في الصفحات السابقة عندما درسنا
عن شخصية مؤلف هذا السفر ، عندما اتضح أن الشهادة الداخلية والشهادة
الخارجية معاً تؤكدان على أن الكاتب هو نفس كاتب الإنجيل الثالث ، وهو
نفسه لوقا الذي كان واحداً من أصحاب الرسول بولس الملازمين له .

ولكن اقتنعنا هذا لا يبنى أن القديس لوقا قد يستخدم بعض المصادر
لمعرفة المادة التي كتب منها كتابه المعنون « سفر أعمال الرسل » فما هي هذه
المصادر ؟ وكيف استخدمها الكاتب ؟

١ - كان للقديس لوقا فرصة أوسع كثيراً للتعرف على المعلومات التي وضعها في سفر الأعمال عن تلك التي كانت له أثناء كتابته الإنجيل ، ولعل تلك الأجزاء التي كتبها في صيغة المتكلم الجمع ، حتى وإن كانت قليلة ، أن هناك فقرات أخرى في هذا الجزء من الكتاب كان الكاتب حاضراً للحوادث التي تحتوي عليها دون أن يتكلم عنها بصيغة المتكلم هذه .

فالمصدر الأول إذن هو مصدر شخص وهو اختباره في السفر مع الرسول بولس ربما كان يكتبها في مفكرة يحملها معه وبدون بها كل الأحداث .

٢ - أما الأحداث والقصة كلها المدونة في (ص ١ - ٨ ، ٩ : ٣٢ - ١١ : ٢٤ ، ١٢ : ١ - ٢٤) فلم يكن لوقا حاضراً فيها ، ولم يكن للرسول بولس أي يد في تحريكها أو تخطيطها ، فكيف وصات إليه ؟ إن الجواب على ذلك لا بد وأن يكون استنتاجياً . وهناك نظرية قوية يقول بها كثير من العلماء وهي أن لوقا البشير اعتمد في هذا الجزء على كتابات القديس مرقس . كما اعتمد عليه أيضاً في كتابة إنجيله . ويقولون إنه مما لا شك فيه أن ضياع نهاية إنجيل مرقس تعطى الانطباع بأن هذه النهاية لا تتكون فقط من مجموعة من الآيات ، بل كانت جزءاً كبيراً لم يتوقف فيه الكاتب إلى حد قيامة المسيح وظهوره وصعوده ، بل تعداها إلى كتابة جزء من تاريخ الكنيسة الأولى . ويقولون إن مرقس هذا الذي كان رفيقاً لبطرس وابن أخت برنابا ظهر أولاً في (أعمال ١٢ : ١٢) حيث يذكر الكاتب أن الكنيسة كانت في بيت أمه ، ولا بد أن الشاب مرقس كان يعرف الكثير عن الحركة الأولى للمسيحية ، وكما دون حياة المسيح دون الحركة المسيحية كتتمة لهذا العمل . وقد اعتمد لوقا على هذا الجزء قبل ضياعه .

ولكن بعض العلماء لا يثقون كثيراً في هذا الاستنتاج ويقولون إن لوقا

استقى هذه المعلومات من أورشليم عندما زارها سنة ٥٧ م (أعمال ٢١ : ١٥ و ١٦) وخصوصاً أن هذه الأجزاء تظهر آثار الكتابات الأرامية .

٣ - هناك جزء من القسم السابق وهو ٦ : ١ - ٨ : ٣ وهو الخاص تقريباً بقصة اسطفانوس ، يتكون من وحدة واحدة وغالباً ما كان المصدر الأساسي لوقفا هو الرسول بولس نفسه . فلا بد أن الرسول سمع خطاب هذا الشهيد الأول ، ورأى محاكمته ورأى كل ما أحاط بموته . وقد يكون مصدر المعلومات فيلبس المبشر الذي كان زميلاً لاسطفانوس وحضر كل ما حدث له ، وهرب نتيجة الاضطهادات . وقد نزل لوقفا ضيفاً عليه في قيصرية (أعمال ٢١ : ٨) . ولا بد أن قصة السامرة ودخولها في حظيرة الرب ونزول الروح القدس على المؤمنين فيها عندما حضر الرسول بطرس ويوحنا قد ذكرها فيلبس أيضاً .

في ١١ : ١٩ - ٣٠ تبدأ قصة كنيسة أنطاكية ثم تذهب القصة في طريقها إلى الإرسالية الأولى لبولس وبرنابا ، وهذه القصة لها مصادر متعددة قد يكون هو الرسول بولس نفسه وقد تكون وثيقة مكتوبة في أنطاكية مثل تقرير كتبه الرسول بولس وبرنابا إلى الكنيسة هناك عن رحلتهم ، وما حدث فيها والكنائس التي بنيت نتيجة لها . ولا بد أن أورشليم وأنطاكية كانتا تمتلكان تقريراً عن المجمع الذي حدث في أورشليم (أعمال ١٥) ، ولا بد أن الكاتب قد اطّلع على هذه التقارير .

٤ - الخطابات الأولى :

هناك قضية هامة مرتبطة بالمصادر التي استقى منها القديس لوقا وهي قضية الخطابات التي ذكرها في كتابه . فبدون شك كانت الخطابات أطول مما

نجدها الآن في الإصحاحات الأولى في سفر الأعمال ، ولا بد أن خطابات الرسول أيضاً قد اختصرت بعض الشيء . فماذا فعل القديس لوقا ؟ هل كانت لديه نسخة من هذه الخطابات فاختصرها ووضعها في مكانها ؟ لقد اختلف العلماء في هذا الأمر وسبب اختلافهم هو العادة التي كانت متفشية في ذلك العصر التي يعبر عنها « سيوسيديس » بقوله « أما عن الخطابات التي يقولها مختلف القادة في اليوم السابق للحرب أو أثناءه فمن الصعوبة بمكان أن أتذكر الكلمات الحقيقية التي كانوا يقولونها . . . ولكنني سجلتها بحسب ما كنت أعتقد ماذا يقول المتكلم في تلك المناسبة عاملاً كل جهدي ألا أحميد عن ذلك » (مقتبسة من ب ف بروس . : سفر الأعمال ص ١٨) . ولكن إذا كانت الخطابات التي ظهرت في كتب سيوسيديس تقرب إلى أقصى حد ممكن إلى الخطابات الأصلية ، فإن من تبعوه قد خالفوا هذه القاعدة ، وألقوا هم خطابات من عندهم ، ووضعوها في فم المتكلم وكتبوها في أسلوب فصيح يقرب من الشعر . حتى أن أسلوب هذه الخطابات كان يفوق بقية الكتاب فصاحة وبلاغة ؛ هذا مع عدم الاهتمام بما قاله الخطيب .

فهل فعل القديس لوقا ذلك ؟ هل وضع في فم بطرس خطاب يوم الخمسين وما تبعه من خطابات ، وهل ألف خطاب اسطفانوس ، وخطابات الرسول بولس ؟ إن الدراسة الدقيقة تكشف نقيض ذلك . . فهو أولاً لم يرد أن يظهر بلاغة أسلوبه في تأليف الخطابات لسبب بسيط وهو أن أسلوب الخطابات التي تظهر في سفر الأعمال أقل فصاحة من بقية الكتاب ، وخصوصاً في الإصحاحات الأولى منه مما يدل على أن معرفة الذين نطقوا بهذه الخطابات باليونانية أقل كثير من معرفة الكاتب نفسه .

وإلى جانب ذلك يجب أن نتذكر أن لوقا البشير عندما اقتبس من إنجيل

مرقس كان أميناً في اقتباساته ، ولم يفعل شيئاً سوى تخفيف بعض الكلمات التي كان يجب أن تخفف ، وهذا ما فعله البشير متى أيضاً (إرجع لقضية الأناجيل الثلاثة الأولى) . وهذا يدل على أن لوقا كان أميناً أيضاً في كتابة ما وجدته من الخطابات في العصر المسيحي الأول .

ومما يدل على أمانة القديس لوقا في هذا الأمر هو ما جاء في الخطابات من اقتباسات من العهد القديم ، وهذا يدل على أنها قيلت في مجتمع يهودي . ومع أن هذا كان سهلاً على كاتب مثل البشير لوقا أن يؤلفه لكن وجود هذه الآيات والفقرات والتفاسير التي من العهد القديم في أسفار متعددة كالأناجيل والرسائل ، ومشابهاها بعضها لبعض في التفسير . (أنظر أعمال ٢ : ٢٥ وما يلي مع ١٣ : ٣٣ وما يلي) يدل على أن هذه الاقتباسات كانت ملكاً عاماً للكنيسة ، وربما - كما ذكرنا ذلك سابقاً - كانت هناك مخطوطة كتبت خصيصاً لليهود لكي تكشف لهم أن يسوع المسيح وكل ما يتعلق به قد أكمل العهد القديم كله مع رسالة الشعب الإسرائيلي . وقد اقتبس الرسول بطرس وغيره من هذه المخطوطة أو هذه النبوات المتعارف عليها في الكنيسة الأولى .

وهذا الأمر يفسر لنا التشابه الذي نجده بين خطابات الرسولين بطرس وبولس (قارن مثلاً أعمال ٢ : ٢٥ وما يليه مع ١٣ : ١٦ وما يليه) ، لأن الاثنين كانا يبشران بإنجيل واحد ولهذا فهم يتشابهان في موضوع البشارة وفي الاقتباس من العهد القديم . وصارت الكرازة واحدة ومشابهة في عرضها عند الاثنين .

ولكن هذا لا يعني أن الرسول بولس لم يضيف شيئاً جديداً إلى الإعلان الكنسي . فنرى مثلاً ١٣ : ٣٨ و ٣٩ نجد أنه هو الشخص الأول الذي

أعلن الروح بواسطته التبرير ، وتضم هذه الفقرة من خطابات بولس أول مكان تظهر فيه عقيدة التبرير هذه .

أما خطابات الدفاع التي تظهر في سفر الأعمال وأهمها خطاب اسطفانوس الشهيد ، فإنها تحتوى أفكاراً لاهوتية قد وسعها الرسول بولس وشرحها في رسائله . أما خطاب الرسول بولس إلى رعاة كنيسة أفسس فهو الخطاب الوحيد الذى ذكر في سفر الأعمال ووجهاً إلى جماعة مسيحية ، ولهذا فإننا نجد تشابهاً كبيراً بين الأفكار التي يحتويها هذا الخطاب وبين رسائل الرسول بولس .

وبهذا نرى أن الخطابات التي في سفر الأعمال تشابه كلها المواقف التي قيلت فيها ، مما يدل على أن الكاتب لم يخترعها من عنده . بل بالعكس فإن التدرج اللاهوتي الذى فيها ، من عقيدة المسيح البسيطة التي تظهر في خطابات الرسول بطرس إلى العقيدة المتطورة في خطابات الرسول بولس يكشف لنا الحقيقة وهي أن لوقا لم يكتب هذه الخطابات من عندياته ، بل هي ملخص ما قيل فعلاً في تلك الظروف ، ولذلك فهي عظيمة القيمة ، في كشف تفكير وأحوال الكنيسة الرسولية الأولى .

رسالة القديس لوقا :

كان يمكن أن نقول رسالة إنجيل لوقا وسفر الأعمال ونذكر محتويات ومضمون كل كتاب على حدة ، ولكن هذا العمل لا يعطينا الفكرة الصحيحة عن هذا العمل العظيم ، ولا يمكن أن يكون في صالحهما . ولهذا السبب رأينا أن ندرس ماذا يريد أن يقول القديس لوقا في كتابيه ، إنها رسالة واحدة مستمرة ، يكمل كل كتاب الكتاب الآخر في توضيحها وإظهارها . . ولكن ما هي الطريقة المثلى التي نستطيع بها أن نكشف رسالته؟ إن الطريقة المثلى هي أن

نقتنى آثاره ونسير وراءه ، وفي اتباعنا له نستطيع أن نعرف العلامات البارزة في عمله ، هذه العلاقات البارزة تتركز فيها وحوها رسالته . لقد كان القديس لوقا مؤرخاً من الدرجة الأولى لأنه يتوخى الدقة في ذكر الحقائق كما يقول هو في مقدمته . وكما أثبتت الدراسات القديمة والحديثة . ولكنه لم يكن مؤرخاً لتقصد التاريخ وحده . ولكنه كان يقرأ في هذا التاريخ عملاً عظيماً ويرى يد الإله تقوده وتقود أحداثه إلى مركز خاص وهدف مقصود . نعم إن هذا الهدف وهذا المركز يتحدان في شخصية واحدة وفي كل ما يتعلق بها من أحداث وهي شخصية المسيح . فكل ما سبقه من أحداث وشخصيات كانت تشير إليه وتسير نحوه ، وكل من لحقه من أشخاص وما اتصل بها من أحداث كانت تنبع منه وتشهد له .

كل هذا يدل على أن القديس لوقا لم يكن فقط مؤرخاً ، بل كان لاهوتياً يدرس في الحوادث الواقعة والمتسلسلة عمل الله ، ولهذا السبب لم يرص الحوادث رصاً ، ولكنه كان لاهوتياً في اختياره للحوادث وترتيبها ، لكي يسلط ضوءاً قوياً على هذا التاريخ المقدس ، تاريخ الخلاص .

وهنا يعن لنا أن نذكر حقيقة هامة وفي غاية الأهمية . . وهي أن القديس لوقا في كتابته للتاريخ المقدس كان يقتنى آثار الأنبياء العظام في توضيح صلة هذا التاريخ بالتاريخ العام . فمن يقرأ الأصحاح الأول والثاني والثالث . وغيرها من الإنجيل يجد أن البشير يربط الحوادث التي يذكرها في إنجيله بالتاريخ العام ، فإذا كان يقصد من ذلك ؟ بدون شك كان يرمى إلى ثلاثة أمور .

الأمر الأول هو بيان تاريخية الأحداث التي يكتبها، فهو لا يسطر أسطورة إله يوناني ، أو يكتب عن ديانة من الديانات السرية التي تبني على الأساطير

الدينية ، ولكنه يؤرخ لحادثة تاريخية وقعت في الوقت المحدد والمكان المحدد أثناء حكم هذا أو ذلك من القياصرة والولاة وروساء الكهنة ، إنها حقائق واقعية حقيقية ملموسة .

أما الأمر الثاني فهو أنه لا يفصل فصلاً تاماً بين التاريخ المقدس ، تاريخ الخلاص وبين التاريخ العام . إن المسيطر على التاريخ هو الله وهو الذي يسيره ويقوده إلى الهدف المحدد له . هذا التاريخ العام هو الحقل الذي فيه يعمل الله أعماله القوية والعظيمة . فالتعداد كان الحادثة التي يولد فيها المسيا في المكان الذي يجب أن يولد فيه ، والوالى هو الذي يحكم على المسيح بالصلب ، ورئيس الكهنة هو الذي يعمل جاهداً على موت المسيح . إن الله وحده هو الذي يسيطر على الجميع . ويعمل كل شيء ، والمسيح الذي هو مركز التاريخ المقدس يدفع الضريبة ويقوم بكل أعمال الناموس ويخضع لكل القوانين الأرضية .

أما الأمر الأخير فهو أن هذا التاريخ المقدس لا يختلط اختلاطاً تاماً ولا يذوب ذوباناً كاملاً في التاريخ العام . إنه في وسط التاريخ العام وجزء منه لكن يعمل ويحول هذا التاريخ العام إلى الهدف الذي وضعه الله له ، إنه تاريخ إيجابي فعال ، إنه الخميرة الصغيرة التي وضعت لتخمر العجين كله ، إنه جزء من التاريخ العام ولكنه يحمل عنصراً جديداً فعالاً إيجابياً ، إنه تاريخ الفداء .

هذا هو ملخص نظرة القديس لوقا عندما يكتب مؤرخاً ولاهوتياً فما هي العلامات البارزة في تاريخه ؟ هذه العلامات تتلخص في تقسيمه للتاريخ المقدس إلى ثلاث حقبات عظيمة :

الحقبة الأولى — حقبة شعب إسرائيل أو الانتظار .

الحقبة الثانية - حقبة يسوع المسيح أو يوم الخلاص .

الحقبة الثالثة - حقبة الكنيسة أو حقبة الإرسالية .

الحقبة الأولى - اسراييل أو الانظار :

في الأصحاحين الأول والثاني يلخص الكاتب كل تاريخ العهد القديم ورسالته ، وحيث أنه يكتبه في مساحة ضيقة فهو شديد التركيز جداً . وفي هذا التلخيص المركز نجد صورة مثالية للعهد القديم في ثلاثة أمور : الناس والنبي والهيكل .

١ - أما الناس فإنهم أولئك الذين يعيشون أمام الله بحياة كاملة لا عيب فيها بحسب ناموس الله . والأمثلة على ذلك كثيرة فنجد اليصابات وزكريا اللذين كانا يعيشان أمام الله تماماً كما كان يعيش إبراهيم وسارة ، وقد قيل عنهما « وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً وكان كلاهما متقدمين في أيامهما » . (لو ١ : ٦ و ٧) . وقد تقبلا البركات التي أعطاهما الله لهما علامة على أمانته الكاملة لعهد البقية الأمانة في شعبه « مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه كما تكلم بنم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر » (١ : ٦٨ - ٧٠) . وهم إذ يمثلون بالفرح عندما يسمعون بالخلاص المقبل الذي يعلنه الرب لهم ، فإنما هم يمثلون إسرائيل في كاملها عندما تستقبل بركات عصر المسيا العظيم بما يحمله من غفران للخطايا وظهور المخلص الأعظم الذي ينتظرونه ، إنهم البقية الباقية الأمانة التي تعيش على أبواب عصر المسيا . (١ : ٧٠ - ٨٠) .

بل هنا نجد الطريقة الكاملة التي بها يتكلم الرب مع هذا الشعب ، فإنه

إنما يكلمهم بواسطة الملائكة ، فجبرائيل يأتي إلى زكريا ليبشره بيوحنا (١: ١٩) ، ويرسله أيضاً إلى العذراء مريم (١: ٢٦) ليبشرها بالحبل بالمسيا ابن الله ، ويكلمهم أيضاً بواسطة الأنبياء الذين لا يتركون بيت الرب ، كما كلمهم في سمرعان الشيخ (٢: ٢٥ - ٣٥) ، وفي حنة النبية (٣٦ - ٣٨) كلمهم بالرؤى وبأقوال الأنبياء لكي يعرفوا إرادته . وفي هذا كله هم الجماعة التي تمثل البقية المخالصة الأمانة ، يعبدون الرب عبادة بدون عيب في أصوامهم وصلاتهم وذبائحهم ، وفيهم نجد تاريخ الشعب مركزاً وهو ينتظر عصر الخلاص . . . عصر المسيا ببركاته الكثيرة .

٢ - كل هذا الكلام عن شعب الله في مثالته يتركز حول مولد يوحنا المعمدان ، وهذا يدل على أن ليوحنا شأنًا عظيمًا وله دور كبير في هذا الأمر ، فكما كان الذين حولهم يمثلون البقية الأمانة التي منحها الرب بإعلانه ، كان هو يمثل النبي المثالي الذي قال عنه السيد نفسه ، لأني أقول لكم إن من بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان « (لوقا ٧ : ٢٨) . ولكن لماذا اعتبر يوحنا المعمدان هكذا ؟

إن عظمته لا تنبع من شخصيته ، أو من اختباره الذي فاق الجميع ولكنها تأتي من موقفه الذي وضع له . إنه حلقة الوصل بين العهدين : القديم والجديد . إنه نهاية العهد القديم والذي يقف على أعتاب الجديد ، فشورة الله الأزلية أن يأتي العهد الجديد على أساس شهادة العهد القديم له ، ولهذا فقد كان دور يوحنا المعمدان دوراً فريداً . إنه يمثل العهد القديم كله وقد وقف يشهد للجديد ، هذا ما تبينه مواعظه كما هي مدونة في الأناجيل ، وما يشهد به له العهد الجديد نفسه (رومية ٣ : ٢١) .

إن مضمون وعظ يوحنا بين هذه الحقيقة ، فهو لم يتناد بالتوبة والرجوع

إلى الرب فقط ، كما كان يفعل الأنبياء في القدم ، ولكنه زاد على ذلك بأنه دعا الناس بأن يعدوا طريق الرب . إنه الملاك الذي قال عنه السيد إنه يعد له طريقه (ملاخي ٣ : ١ ، ٤ : ٥ ، لوقا ١ : ١٧) . إن في مناداة يوحنا تجمعت مناداة موسى وكل الأنبياء .

ولأجل ذلك كان يجب أن يتبع يوحنا نفسه في الهيكل . نعم لقد ظهر في البرية ، وكان ينادى هناك ، ولكن أصوله الأولى كانت في الهيكل . فقد جاء من أبوين هما من سبط لاوى ، وأبوه كان من الكهنة ، وبشره الملاك به وهو يكهن أمام الرب : فهو لم يكن شجرة برية ولكنه كان من قلب إسرائيل من جذور الكهنوت .

ومما يزيد في موقف يوحنا إجلالا أنه كان على غرار إسحق ، جاء بمعجزة . لقد بشر الله إبراهيم لكي يبدأ معه وعداً ، وبشر الرب زكريا بمولد يوحنا وهو في سن الشيخوخة لكي يظهر أنه قد تم المواعيد السامية وأنه أمين على أن يقيمها فعلا .

هذا هو النبي الذي جمع النبوة كلها في شخصه لكي تشهد للعهد الجديد . تكلم الكلمة النهائية للعهد القديم ؛ ولذا فهو أعظم من جاء في القديم وهو أقرب الجميع إلى العهد الجديد . . إلى المسيح . ولكنه مع ذلك فهو بعيد جداً عنه . هناك فجوة بينه وبين ملكوت الله ، ولهذا فقد أكمل السيد شهادته عنه « ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه » (لوقا ٧ : ٢٨ ب) . فشهادة يوحنا إذن ليست كاملة ولكنها تكمل في العهد الجديد في الإنجيل ، ومعموديته لا قوة لها إن لم يكملها الروح القدس ، ولهذا فالرب يكمل القديم ويتممه بالإنجيل والروح القدس .

إن ليوحنا - كما يظهره البشير لوقا - مركزاً عظيماً في تاريخ الخلاص ، ولكنه في ذات الوقت ينتمي فقط إلى العهد القديم . هذا هو المعنى العظيم الذي تتضمنه أغنية زكريا أبوه عند ولادته (لوقا ١ : ٦٧ - ٧٩) وبدون هذا الضوء لا نستطيع أن ندرك جلال تلك الأغنية .

ولكن البشير لا يترك الأمر عند هذا الحد في إظهار مركز المعمدان بالنسبة للعهد الجديد ، فكما أن البشير يذكر المقارنة التي يعقدها يسوع بين يوحنا المعمدان وجميع المولودين من بين النساء ، فيظهر أن يوحنا أعظم من الجميع ، هكذا يذكر البشير أيضاً مقارنة أخرى بين يوحنا المعمدان وبين المسيح وخاصة في ولادته . في هذا الأمر لا بد أن يتجلى منذ البدء عظمة وجمال مؤسس العهد الجديد . بالمقارنة للنبي الذي يمثل العهد القديم كله . لقد ولد يوحنا المعمدان بمعجزة ولكنها كانت معجزة في حدود القوانين الطبيعية . ولد من زكريا واليساباب ، كان له أب وأم بشريان أما يسوع فقد ولد من مريم العذراء وقد حل عليها الروح القدس ، إنها معجزة لا تفوق الطبيعة فقط بل هي من خارج هذه الطبيعة . إن البشير أراد أن يظهر منذ الولادة أن يسوع هو ابن الله ، لذلك يقول الملاك لمريم « هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لوقا ١ : ٣٢) . بل يظهر هذا من البدء عندما تذهب العذراء مريم إلى اليساباب فتصرخ هذه فرحة بابتهاج قائلة « . . . فن أين لى هذا أن تأتي أم ربي إلى فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى » (لوقا ١ : ٤٣ و ٤٤) . هذا هو النبى وهذا هو مركزه . إنه يمثل العهد كله فى اقترابه وشهادته للعهد الجديد ولكن ما أبعد الفجوة بين الاثنين ؟؟

٣- الهيكل :

إذا كان للشعب وللنبي دور هام في إنجيل لوقا لتمثيل الحقبة الأولى في تاريخ الخلاص فإن للهيكل دوراً لا يقل أهمية ، إن لم يكن يفوق عنهما . ففي الكتابين : الإنجيل والأعمال نجد أن الهيكل يتف في الصدارة دائماً في كل المواقف . فإذا تتبعنا الهيكل في كل الظروف فإننا نجده مركزاً هاماً في حياة إسرائيل ، وحياة المسيح نفسه ، وحياة الكنيسة الأولى ، وفي هذه الأدوار جميعاً يظهر الله بمجده وحكمته ليقود تاريخ الفداء إلى هدفه وإتمام مسرته مشيئته .

(أ) أما الهيكل وإسرائيل فإنه يتضح من القصص الأولى أن له دوراً هاماً في حياة هؤلاء الذين يمثلون إسرائيل في نقاء البقية التي تنتظر خلاص الرب . فالهيكل هو الميراث العظيم الذي يفتخر به هؤلاء الذين يأتون من نسل الكهنة (لوقا ١ : ٥ و ٦) . ولقد افتقد الرب زكريا بالبشرى بولادة ابن له في الهيكل بينما كان يخدم (١ : ٨ - ٢٠) . وبعد ختان الصبي يسوع أحضره أبواه إلى الهيكل حسب عادة اليهود وقدموا له الذبيحة المطلوبة (٢ : ٢٢ - ٢٤) . وعندما أراد الروح أن يعلن ، بواسطة سمعان الشيخ ، ظهور المسيا أرسله إلى الهيكل ، فرأى الطفل وباركه مع أبويه (٢ : ٢٥ - ٣٥) . وكذلك حنة النبية كانت في الهيكل تتعبد لله بصيام وصلوات ليلاً ونهاراً (٢ : ٣٦ - ٣٨) .

في هذا الجزء يظهر البشير المركز الحقيقي للهيكل للبقية المخلصة في جماعة العهد القديم ، وهو المركز الذي أراده الله لهذا الهيكل منذ أن أمر بإقامة خيمة الاجتماع : إنه المكان الذي فيه تظهر التقوى الحقيقية وتتغذى فيه روحياً . وهو المكان الذي يعمل به روح الرب في الأنبياء والمخلصين ، فنه نسمع

كلمة النبوة . وهذه الكيفية يوضح البشير الكيفية التي يصبح فيها الهيكل كحلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد خصوصاً عندما يقدم فيه الطفل يسوع المخلص الذي يخلص العالم ويبدأ العهد الجديد .

(ب) الهيكل والمسيح : يظهر أدمية دراسة صلة المسيح بالهيكل عندما ندرس موقفين هامين في حياة المسيح تجاهه . موقفه وهو صبي في الثانية عشر من عمره . ثم موقفه أثناء خدمته الجهارية .

أما موقفه في صبوته يذكر عنه لوقا وحده حادثة ذهابه مع العذراء ويوسف إلى الهيكل وهو في سن الثانية عشرة (لوقا ٢ : ٤١ - ٥٢) . وفي هذه الحادثة أظهر يسوع صلة فريدة بالهيكل تتمثل في صورتين :

الصورة الأولى هي اهتمامه بالهيكل من وقت صباه بكيفية تفوق اهتمام أى يهودى عادى . فعندما صعد في الثانية عشر إليه في عيد الفصح كان الهدف أن يظهر طاعته للناموس كإرادة الأب بمحض إرادته ، ودون أن يأخذه أحد ، وبقي هناك حتى بعد سفر أبويه . فالهيكل هو بيت أبيه وهو يشعر تجاهه بمسئولية خاصة حتى وإن كان هذا يفوق إدراك الأبوين ولم يستطيعا فهمه (٢ : ٤٨ - ٥١) .

أما الصورة الثانية فهي صورته وهو يسأل ويحجب هذه الجماعة المتصرفة في حياة الهيكل وتعاليمه ، وكان يدهشهم (٢ : ٤٦ و ٤٧) ، ولعل لوقا البشير رأى في ذلك نبوة تكشف عن مستقبل علاقته بهؤلاء الرؤساء . إن وقته لم يكن بعد لكي يظهر سلطانه على الهيكل ولا سلطانه في التعليم ، ولكن هذه الحادثة أظهرت أن هذا الصبي هو رب الهيكل وسيده .

أما الموقف الثاني كان عندما خرج يسوع إلى خدمته الجهارية .

وكان موقفاً جديداً . فلم يعد هناك سمعان الشيخ ولا حنة النبية ولا زكريا ، هؤلاء الذين كانوا ينتظرون تعزية إسرائيل . لقد أصبح الهيكل في أيدي عصابة من كاسرى الناموس ومحتقريه . إنهم يقاومون روح الله وعمله . فرفضوا معمودية يوحنا المعمدان . ووقفوا بمرارة ضد يسوع الناصري . وهذه الكيفية منعوا الهيكل من أن يؤدي أية خدمة حقيقية لإرسالية المسيح ، لم يعد مكاناً للصلاة ولا للقوة بل كان مغارة لصوص .

وهنا أراد المسيح أن يعمل عملاً عظيماً ، أن يخلص الهيكل من يد هذه العصابة ، فثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم (٩ : ٥١) . وكان أول عمل يعمل هذه عندما وصل إلى هذه المدينة هو أن يخلص الهيكل من أيديهم (١٩ : ٤٥ - ٤٨) وأصبح الهيكل في ذلك الأسبوع منبره الذي يعلن بشارته للملكوت للجميع (٢٠ : ١ - ٨) . ومع أنه كان يذهب كل مساء إلى بيت عنيا لكنه كان يرجع كل صباح إلى بيت أبيه ليعلم هناك وليظهر سلطانه العظيم عليه (٢١ : ٣٧ و ٣٨) . وهذه الكيفية أرجع للهيكل عمله الأساسي الذي وضع له وهو إعلان البشارة . وعندما رفع السيد على الصليب حدث في الهيكل عمل رمزي إذ انشق حجاباه من أعلى إلى أسفل إلى اثنين دلالة على انفتاح الطريق إلى الله . . . إلى قدس الأقداس (٢٣ : ٤٤ - ٤٦) .

(ح) الهيكل والكنيسة : من يتأمل علاقة الهيكل بالكنيسة في كتابات القديس لوقا يجدها تجوز في صورتين متتابعتين : الصورة الأولى عندما ولدت الكنيسة . وقد يعجب الدارس أو يرى أن الهيكل قد اختفى من الصورة تماماً في ظهورات السيد لتلاميذه . فكل ظهوراته إما في العلبة أو في الطريق أو على البحيرة . أو في أماكن مختلفة ، أما الهيكل فلا دور له في ذلك . ولكن على العكس من ذلك فقد لعب دوراً كبيراً في حياة الكنيسة . فعلى الأرجح جداً

بدأ يوم الخميس في أرجاء الهيكل (أعمال ٢ : ١) . ولعل أمر السيد لهم أن
يمكثوا في أورشليم لكي يلبسوا قوة من الأعلى لا يقصد به أورشليم لذاتها بل
يقصد به بيت الرب (لوقا ٢٤ : ٤٩ و ٥٣) . وعلى هذا فيكون المكان
الأول الذي شهد انسكاب الروح القدس على كنيسة العهد الجديد إتماماً
للنبوة ، وتكملة لمواعيد العهد القديم كان الهيكل . . ومن ذلك الوقت بدأ
الهيكل يكون المكان الذي رأى كل نشاطات الكنيسة ، ففيه ومن حوله قام
الرسول وخاصة بطرس بعمل معجزات (أعمال ٣ : ١ - ١٠) ، مع أن
يسوع نفسه لم يعمل معجزة واحدة في الهيكل سوى عند تطهيره إياه ، ولكن
خبر هذه المعجزات لم يذكرها لوقا بل ذكرت في متى ٢١ : ١٤ .
وهناك في الهيكل أعلنوا البشارة بالمسيح المقام من بين الأموات وشهدوا
للجميع عنه (أعمال ٣ و ٤) . وعندما مجنّوهم أخرجهم الملاك وأمرهم أن
يذهبوا إلى الهيكل ليشهدوا (أعمال ٥ : ١٩) . ومن هناك جاوبوا أعدائهم .
إن البشير لوقا يظهر التلاميذ كهنة الهيكل الحقيقيين الذين يذهبون إليه كل
يوم مقدمين الصلاة والذبائح المحيطة لله . . ذبائح العهد الجديد من حمد
وتسبيح وشهادة . إنهم هم الذين يمثلون الهيكل ومن هناك كانوا يبشرون
بالعهد الجديد (لوقا ٢٤ : ٥٣ ، أعمال ٢ : ٤٦ و ٤٧) .

لكن الصورة الثانية تتناقض مع هذه الصورة الأولى عندما بدأت الكنيسة
تتسع وتصبح كنيسة مسكونية ، ومع أن الرسل في أورشليم وشعب المسيحيين
هناك ظلوا يهتمون بالهيكل لكن صورته الأولى تغيرت ولم يعد له دور على
الإطلاق ليقوم به . إن الهيكل لم يعد هو المكان الوحيد لاجتماع القديسين
بالرب . والروح القدس يسكن في كل مكان مهما بعد ، حيث يكون المؤمنون .
وعندما جاء الوقت المعين وهدم الهيكل لم تراجع الكنيسة المسيحية بل بالعكس

وجدت في ذلك الأمر قوة ودافعاً لاتساع الإرسالية بين الأمم . إن خرابه كان يعنى أن رسالته قد انتهت وهذه كانت العلامة العظمى لانتشار جماعة الرب في العهد الجديد . . إسرائيل الحقيقي .

هذه هي الحقبة الأولى في تاريخ الفداء كما تتضح في كتابات القديس لوقا . . رأينا فيها الشعب والنبي والهيكلي في عملهم وخدمتهم واتصالهم بالعهد الجديد . إنها فترة الإعداد والدافع لمجيء العهد الجديد . .

الحقبة الثانية : يوم الخلاص - يسوع المسيح :

هذه الحقبة الهامة في تاريخ الخلاص يقسمها البشير لوقا إلى ثلاثة أقسام أو فصول : الفصل الأول خدمته في الجليل وهي تبدأ من ٣ : ٢١ - ٩ : ٥١ والفصل الثاني وهو يغطي رحلته إلى أورشليم وهذه من ٩ : ٥١ - ١٩ : ٢٧ . والفصل الثالث خدمته في أورشليم نفسها وهذه تغطي من ١٩ : ٢٨ ، إلى آخر الإنجيل .

من ينظر إلى هذه الأقسام المحددة يجدها وحدات ، كل وحدة منها قائمة بنفسها ، لها شكلها الخاص ورسالتها المدروسة ، ولكنها في نفس الوقت مترابطة : وتسلم الواحدة إلى الأخرى . بمعنى أن القارئ يحس في نهاية الوحدة أنها تقوده إلى التالية وإلا بقيت ناقصة . وإلى جانب ذلك فهي متوازية أي أن كل واحدة تتكون من عناصر متشابهة . فكل ما نجده في وحدة نجده في الوحدات الأخرى حتى وإن كان لها طابعها الخاص . هذا التقسيم الثلاثي في خدمة المسيح - أو يوم الخلاص - الذي يتميز بتمايز الوحدات وتكاملها وتوازيتها هو الطابع الذي يميز إنجيل لوقا والتفكير اللاهوتي الذي يتحرك فيه البشير لكي يشرح خدمة المسيح الخلاصية .

خدمة يسوع في الجليل :

هذه الفترة قضاها يسوع في الخدمة في الجليل . وكانت هذه البلاد ، بالقياس إلى اليهودية ، متخلفة ، على الأقل دينياً ، وكان سكان اليهودية يتكبرون ويحتقرون سكان الجليل . وهكذا بدأ يسوع خدمته في وسط الجماعة المحتاجة الفقيرة معبراً عن نوعية خدمته في الكنيسة كلها ، كما يقول الرسول بولس لأهل كورنثوس « فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثير من حكماء حسب الجسد ليس كثير من أقوياء ليس كثير من شرفاء » (١ كورنثوس ١ : ٢٦) .

وقد بدأت هذه الخدمة الأولى برويا سماوية عند المعمودية ، وجاء صوت من السماء قائلا له « أنت ابني الحبيب بك سررت » (لوقا ١ : ٣١) . ويؤكد البشير لوقا أن هذا الصوت جاءه مؤكداً له أنه في تواضعه ووضع نفسه في مصاف هؤلاء الخطاة . هو الابن الحبيب . إنه عبد الرب الذي به سر .

ولكن ماذا كان الهدف من هذه الإرسالية ؟ في هذه الإرسالية قام يسوع بعملين عظيمين : العمل الأول هو إعلان البشارة والإنجيل بواسطة التعليم والأعمال العظيمة . إن كلماته كانت كلمات النعمة التي يتعجب منها الناس وينجذبون بها (٤ : ٢٢) . وقيل عن الجموع « بهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان » (٤ : ٣٢) . فكلماته هي كلمة الله نفسه (٥ : ١) وجوهر تعليمه أن يوم الخلاص قد قرب وفيه يغفر الله خطايا شعبه التائب (٧ : ٣٦ - ٥١) ولكن يسوع أعلن مجيئ يوم الخلاص أيضاً بالأعمال العظيمة التي قام بها ، من شفاء أمراض وإخراج شياطين وإقامة موتى (٧ : ١٢ - ١٧) . وهكذا جاء دور الإنجيل والخلاص المرتقب في شخص المسيح .

لكن لهذه الإرسالية هدفاً آخر وهو جمع أولئك الذين سوف يكونون شهوداً له . فبمعجزة عظيمة يدعو بطرس ليكون معه على الدوام (٥ : ٤-١١) وهكذا كانت دعوة رفقائه الآخرين . وبكلمة واحدة يدعو لاوى العشار فيترك هذا كل شيء ويقوم ويتبعه (٥ : ٢٧ و ٢٨) . ولكي يختارهم من بين كثيرين قضى الليل كله في الصلاة (٦ : ١٢ - ١٦) . وبعد اختيارهم أعطاهم موعظته الشهيرة لكي تكون نبراساً لهم في حياتهم (٦ : ٢٠ - ٤٩) .

ولكن سر هذه الإرسالية يكمن في قصة يسوع في الناصرة (٤٠ : ١٦ - ٣٠) . لقد وضع البشير لوقا هذه الحادثة في أول خدمته لكي تلقى نوراً على خدمة يسوع كلها . فعندما أخذ الدرج لكي يقرأ من الأنبياء كانت القراءة في ذلك اليوم من (إشعياء ٦١ : ١ و ٢) « روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة » . في هذا الجزء وفي الموعظة التي يذكر البشير عنوانها فقط نجد ثلاثة قضايا هامة جداً في حياة المسيح يسوع وفي حياة الكنيسة أيضاً . ولهذا فهي تصبح أساساً لدراسة إنجيل لوقا وسفر الأعمال أيضاً :

القضية الأولى هي حضور الروح القدس بكيفية جديدة لم يعرفها العهد القديم (٤ : ١٨) . فالقضية التي يريد البشير أن ينبر عليها في كلام السيد هي أنه أينما حل الله عاملاً لثناء شعبه فإنه يتمثل ذلك من خلال الروح القدس . فالروح القدس هو الذي خلق الكنيسة . ولولاه لما كانت هناك إرسالية ولا رسول . ولكنه هو الذي يعمل في الكنيسة قوياً ومرسلاً .

أما يسوع فهو رجل الروح القدس ، فإلى جانب عمل الروح في ولادته فإنه نزل عليه بهشة جسمية كحماة (٣ : ٢٢) ، ومن ذلك الوقت ذهب

بقوة الروح إلى البرية ليواجه الشيطان ، وهناك انتصر عليه (٤ : ١) وبعد ذلك رجع بقوة الروح ليكشف عن إرسلته (٤ : ١٤) ، وبه أيضاً شفى كل المرضى ومن به أرواح شرييرة (٥ : ١٧) . ونلاحظ هنا أن لوقا وحده هو الذى يذكر أن يسوع كان يصلى عندما نزل عليه الروح عند المعمودية (٣ : ٢١ - ٢٧) . وهذا مثال تحتذيه الكنيسة ، فقبل يوم الخمسين كانت تجتمع كجماعة لتصلى (أعمال ١ : ١٤) ، وقد امتلأوا بالروح القدس (أعمال ٢ : ٤) ، وقد وضعوا فى بوتقة التجربة (٤ : ١ - ١٨) وبعد أن انتصروا على التجربة امتلأوا أكثر بقوة الروح القدس (٤ : ٣١) وإلى جانب هذا كانت قوة الروح معهم لينشروا البشارة وليشفوا الشعب (أعمال ٤ : ٣٣ ، ٥ : ١٢ - ١٦) . وكما رفضت الناصرة يسوع رفضهم اليهود ، ولكن هذا الرفض كان دافعاً إلى إرساله إلى الأمم بأمر الروح القدس .

أما القضية الثانية فهى إتمام المكتوب ، كما قال السيد نفسه « اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » (٤ : ٢١) . إن ملكوت الله الذى ينتظره العهد القديم قد ظهر فى حياة ونشاط السيد ، فهو الذى قال « إن كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » . (لوقا ١١ : ٢٠) . إنه هنا فى قوة وعمل . . والملكوت ليس حالة روحية ولكنه قوة الله لفداء البشر . وأينما وجد يسوع وجد الملكوت وفيد القوى وهو الشيطان (١٠ : ١٨) لقد تم المكتوب فى المسيح فهو الذى أعلن ملكوت الله الآن . . مع أنه سيعلنه بقوة فى المستقبل (لوقا ١٩ : ١١ ، ٢١ : ٣١ ، أعمال ١ : ٦) . اليوم يوم خلاص .

أما القضية الثالثة فى حادثة الناصرة فهى رفضهم إياه . إن القرية التى تربى فيها وعرفته صبيّاً وشاباً قد رفضته ولذلك ذهب إلى كفر ناحوم . إن

الناصرة في نظر لوقا تمثل رفض اليهود ، وعندئذ يذهب الإنجيل إلى الأمام ، لقد كان اليهود في عنادهم يمثلون مشكلة خاصة للمسيحية ، ولكنها كانت دافعاً لتقديم الإنجيل للعالم كله ، الحجر الذي رفضه اليهود قد صار رأس الزاوية لكل هيكل الله بناء الله .

الرحلة :

تمثل الرحلة ، بحسب إنجيل لوقا فترة هامة في خدمة السيد . وهذا هو السبب وراء طول وصفها ووضعها في عشرة أصحاحات (لوقا ٩ : ٥١-١٩ : ٢٧) . ولم يكن هدف البشير من ذلك مجرد ذكر الأمكنة التي مر فيها المسيح ولكنه كان يقصد أن يجعل من كل الحوادث التي ذكرت في هذه الرحلة كقدمة لآلامه وموته وقيامته . هناك بعض العبارات التي تصف هذه الرحلة لا تظهر إلا في هذا الإنجيل ، فيسوع « ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم » (٩ : ٥١) ؛ وعلى جبل التجلي كان مع موسى وإيليا يتكلمون عن « خروجه الذي كان مزماً أن يكمله في أورشليم » (٩ : ٣١) . فالرحلة لا تعني فقط تغييراً في المكان ولكنها تعني امتداداً في الإعلان وتطوراً في الخدمة الجهارية للسيد .

هذا الجزء من الخدمة يبدأ بإعلان سماوي موجه هذه المرة إلى التلاميذ أنفسهم « هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا » (لوقا ٩ : ٣٥) . . هذا الإعلان السماوي يكمل اعتراف بطرس في قيصرية فيلبس « مسيح الله » (٩ : ٢٠) . إنهم عرفوه أنه المسيح ولكن ما هي صفات ورسالة المسيا ؟ لم يستطيعوا أن يفهموا هذا ، خصوصاً عندما أخبرهم أنه المسيا عبد الرب الذي سوف يتألم (٩ : ٤٤ ، ١٣ : ٣٢ و ٣٣ ، ١٨ : ٣١) . . إن الصوت السماوي في ذلك الوقت بالذات وجه أسماعهم إليه لكي يفتحوا أذهانهم ويفهموا مركزه ورسالته ؛

ولكن هذا الأمر استمر عسيراً على إدراكهم إلى أن قام من الأموات فتذكروا وعرفوا معنى ما قاله لهم . ولماذا كان يقوله (١٨ : ٣١) .

أما رسالة هذا الجزء من خدمة السيد فكانت تركز على تعليمه للتلاميذ . لقد علمهم بالقول والعمل معنى التلمذة الحقيقية . علمهم المعنى الحقيقي لاتباعه « إن أراد أحد أن يأتي ورأى فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني . . . » (٩ : ٢٣ - ٢٧) . ولم يكن تعليمه ، فقط بل مثاله أيضاً ، الوسيلة الفعالة لفتح أذهانهم . ففي طاعته للآب وتكريسه لنفسه للعمل ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم ، وهو يعلم أنه سيتألم ويموت هناك . ومع ذلك فالتلمذة الحقيقية هي أن يطيع الآب ويعمل مشيئته . يقول لهم « لي صبغة أصطبغ بها وكيف أنحصر حتى تكمل » (١٢ : ٥٠) . ويرد على اليهود ليردوا جواباً على هيرودس « . . . قولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغداً ، وفي اليوم الثالث أكمل بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم » . (لوقا ١٣ : ٣٢ و ٣٣) . وهكذا يعلم المسيح تلاميذه ويقدم لهم المثال الكامل في معنى التلمذة ومطالبتها .

وعلى هذا الأساس فيكون التجلي هو المفتاح الحقيقي لفهم هذا الجزء من خدمة المسيح ، ففيه يظهر المسيح المعنى الحقيقي للمسيا والمعنى الحقيقي للتلمذة . وهنا أيضاً يعد لتلاميذه لمواجهة ما سوف يأتي : ففي وقت التجلي يذكر لوقا وحده أن التلاميذ كانوا مثقلين بالنوم حتى في تلك المناسبة الجليلة ، فلم يقدرُوا أن يحتملوا . . . وهكذا فعلوا في بستان جثسياني عندما كان معلمهم يصارع قوات الشر وحده (٩ : ٣٢ مع ٢٢ : ٤٥) . فالتجلى أعمق من أن يدركوه ويفهموه (٩ : ٣٣) كما كانت القيامة أيضاً . فإنهم لم يستطيعوا

أن يفهموها إلا مؤخراً (٢٤ : ٥) . فالرحلة إذن انصبت كلها على خاصته .
أعنى تلاميذه لكي يؤهلهم لما كان ينتظرهم من شهادة له والآلام من أجله .
(ح) الخدمة في أورشليم :

هذا الجزء من خدمة السيد كان التتويج لكل ما عمله من قبله . لقد بدأ
هذه الرحلة بالدخول الانتصاري وانتهى منها بالصعود . وفي مكان الهيكل
المقدس وبين الشعب اليهودي المتكبر جاء يسوع بخدمته العظيمة .

كانت خدمة يسوع خدمة تعليمية موجهة إلى الجماعة القاسية فكانت
في معظمها دينونة على قساوتهم : أدانهم بمثل الكرم والكرامين (لوقا ٢٠ :
٩ - ١٩) . أدان رباؤهم في حادثة إعطاء الجزية (٢٠ : ٢٠ - ٢٦) .
أظهر غباوة وقساوة الصدوقيين في مسألة القيامة (٢٧ : ٢٧ - ٤٠) ،
تحداهم في معرفتهم وتفسير آهم (٢٠ : ٤١ - ٤٤) ، وفي سلوكهم (٢٠ :
٤٥ - ٤٧) ، وأدان الهيكل وكل اليهودية في الخطاب الرؤوي (لوقا ٢١) .

وفي هذه الفترة العصبية تلقى إعلاناً سماوياً وقوة من الله ، إذ جاءه ملاك
من السماء يقويه وهو يجاهد في حشيماني (٢٢ : ٤٣) .

ويعطى البشير تفسيراً خاصاً لحشيماني ، فهي لم تكن حادثة واحدة حدثت
عندما جاء اليهود ليقبضوا عليه ويحكموا عليه بالموت ، ولكنها كانت فرصة
عادية معتادة . كان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل كان يذهب إلى جبل
الزيتون ليصلي هناك (٢٢ : ٣٩) . فصلاته النهائية في جبل الزيتون وجهاده
كان تنوياً لعمله الدائم وصلاته المستمرة كل ليالي الأسبوع ، وهذه الصلاة
ليست بنت وقتها ولدها الاضطراب والخوف ولكنها كانت نهاية عمل دائم
انتظاراً للموت والقيامة .

٣٢١

(م ٢١ - المدخل إلى العهد الجديد)

وفي هذه الفترة أعلن يسوع سلطانه كابن الإنسان ، فهو ليس إنساناً ضعيفاً ولكنه ابن الله الذي يمتلك الهيكل ويظهره من مدنسيه (١٩ : ٤٥ و ٤٦) إنه ابن الله (٢٢ : ٧٠) ، وملاك اليهود (٢٣ : ٣) ، وهو الذي سيجلس عن يمين الله في سلطانه على كل الخلائق (٢٢ : ٦٩ و ٧٠) ، وعندها قام من بين الأموات أعلن أنه الرب والسيد ، فالقيامة يفسرها البشير ليس فقط معجزة عملها الله مع المسيا ، بل إنها إعلان لاهوت المسيح ومجده فالتلاميذ كانوا يؤكدون « الرب قام بالحقيقة » (لوقا ٢٤ : ٣٤) . هنا وصل البشير في إعلان مركز المسيح إلى الذروة . . إنه الرب .

ولعل أهم حادثة تعتبر مفتاحاً لهذا الجزء هي محاكمة المسيح أمام السلطات التي صلبته . فلقد حوكم أمام ٣ شخصيات رومانية وفي كل مرة كان يعلن كل واحد منهم أنه لم يفعل شيئاً يستحق عليه الموت . . إنه بار (لوقا ٢٣ : ٤ و ١٥ و ٤٧) . وكانت أهم شهادة في هذا الموقف هي شهادة قائد المئة الذي رأى ما لم يره الآخرون . واقتنع أنه كان باراً . ورغم هذه البراءة والبر صلبوه وهنا ظهر مجده عند صلبه في صلاته « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون » (٢٣ : ٣٤) :

وهذه الحوادث التي يكشف عنها البشير يضعها أمام الكنيسة التي تتألم أيضاً ، رغم إنجيل الخلاص والسلام التي تنادى به ، فسيدها قد تألم وهو بار ويذكر البشير في سفر الأعمال أن الرسول بولس أيضاً قد فحصه ثلاثة من القضاة الرومان ولكنهم وجلوه بريئاً من كل تهمة (أعمال ٢٣ : ٩ ، ٢٥ : ٢٥ ، ٢٦ : ٣١) . وعلى هذا فيجب أن تعرف الكنيسة أن سيدها قد تألم ، وقد صلب طالبا الغفران لمن صلبوه ، ولا بد أن تفعل هي هكذا أن تصلى

للعالم المملوء بالحقد والمرارة تطلب له الغفران : . وقد فعلت في شخصي
اسطفانوس عند رجمه (أعمال ٧ : ٥٩) .
الحقبة الثالثة - الكنيسة - الإرسالية :

نأتي الآن إلى الحقبة الثالثة وهي التي تتلخص في سفر الأعمال . وفي هذا
السفر أيضاً تظهر عبقرية القديس لوقا في وضع هذه الحقبة في إطار اللحظة
الإلهية التي سميناها تاريخ الخلاص ، ويعني هذا كله على أساس جغرافي وزمني ،
وفكري ، وبهذا يكشف لنا عن التطور الظاهري والداخلي للكنيسة . وكما
وضع في إنجيله ملخصاً كاملاً لعمله . (لوقا ١ : ٤) وضع ملخصاً كاملاً
لهذا السفر في ١ : ٨ عندما يقول السيد لتلاميذه ولكنكم ستنالون قوة من
الأعالي وتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى
الأرض » . هذا التحرك من أورشليم حتى الوصول إلى أقصى الأرض وضعه
الكاتب في ستة صور . متكاملة أو ستة أجزاء لصورة واحدة . كل جزء منها
يقترح الآخر ويفترضه ويؤدي إليه بحسب التفكير الزمني والجغرافي هذه
الأجزاء الستة هي :

- ١ - الإعداد ويشمل الصعود وانسكاب الروح والشهادة (١ : ٤ -
٦ : ٧) .
- ٢ - الرسالة في اليهودية والسامرة (٦ : ٨ - ٩ : ٣١) عن طريق
مرسلين جدد .
- ٣ - الرسالة تصل إلى الأمم (٩ : ٣٢ - ١٢ : ٢٤) .
- ٤ - ابتداء الخدمة في آسيا (١٢ : ٢٥ - ١٦ : ٥) .
- ٥ - ابتداء الخدمة في أوروبا (١٦ : ٦ - ١٩ : ٢٠) .
- ٦ - من أورشليم إلى روما (١٩ : ٢١ - ٢٨ : ٣١) .

ويلاحظ أن كل فترة من الفترات الستة كانت تنتهي بملخص صغير يعلن فيه الكاتب أنه رغم كل ما واجه الكنيسة من صعوبات في هذه الفترة لكن الله بروحه القدس قد سار في قصده ونجح في إخضاع كل الأعداء تحت قدمي يسوع المقام ، وازداد عدد المخاضين . فينهي الجزء الأول بالقول « وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة كانوا يطيعون الإيمان » (٦ : ٧) .

الجزء الثاني ينتهي بالقول « وأما الكنائس في جميع اليهودية والسامرة فكان لها سلام وكانت تبنى وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » (٩ : ٣١) .

الجزء الثالث ينتهي بالقول « وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد » (١٢ : ٢٤)

الجزء الرابع « فكانت الكنائس تتشدد في الإيمان وتزداد في العدد كل يوم » (١٦ : ٢٥) .

الجزء الخامس « هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة » (١٩ : ٢٠) .

أما الأخير فيتكلم عن الرسول بولس « وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » (٢٨ : ٣٠ و ٣١) .

الآن لندرس كل جزء من هذه الصورة على حدة

١- الصوم والروح والشهادة :

(١ : ٤ - ٦ : ٧) هذه الأمور الثلاثة تكون الجزء الأول من الصورة

(١ : ٤ - ٦ : ٦) فإذا تعنى كل واحدة من هذه الأمور ؟

(أ) الصعود :

يذكر القديس لوقا قصة الصعود في موقفين كل واحد في واحد من كتابيه : الموقف الأول يتلخص في إعلان نهاية عمل الرب عندما كان في الجسد على الأرض (لوقا ٢٤ : ٥٠ و ٥١) لقد كانت آخر من يظهر لهم فيها . أما في الموقف الثاني فيربط القديس لوقا هذه الحادثة بإرسال الروح القدس . وخلق الكنيسة ، وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخلاص (أعمال ١ : ٨ - ١٢) .

ويكشف الكاتب مفهومه لصعود السيد في هذين الموقفين ، فهو يريد أن يعلن أن هذه الحادثة هي ختم الله على عمل ابنه على الأرض : إنه أقامه من بين الأموات ، ثم رفعه إليه في السماوات ، أو كما تقول النبوات : الحجر الذي رفضه البنائون هو ذا قد صار رأس الزاوية (أعمال ٢ : ٣١ و ٣٢ ، ٤ : ١١ ، ٥ : ٣١) ، هذا الرب الممجّد الذي أصبح رأساً لكل شيء ، أرسل الروح القدس من السماء إتماماً لوعده الآب ، وبذلك بدأت الكنيسة في الأرض . فالكنيسة ليست عملاً من أعمال الإثني عشر رسولاً ولا هي نتيجة طبيعية لإيمانه بالقيامة ، ولكنها عمل الله ، هو الذي أقامها بالروح القدس لتكون شعباً لمسيحه وجسداً له . فالكنيسة منذ البدء هي بين يدي الله العلي الذي كان يضم كل يوم إليها الذين يخلصون (٢ : ٤٧) .

(ب) الروح القدس :

اهتم الكاتب جداً لإظهار جلال حلول الروح القدس وخصوصاً في يوم الخمسين : لقد كان لهذا الانسكاب تأثيران عظيمان على امتداد الكنيسة وظاهرها ، ثم في داخل الكنيسة في أفرادها . ففي ظاهر الكنيسة تظهر هناك أربعة أمور :

الأول أن نزول الروح يعلن أننا الآن في الأيام الأخيرة التي انتظرها العهد القديم . فعلامة هذه الأيام هي انسكاب الروح على جميع الذين يؤمنون بالمسيح المقام ، وانسكابه علامة على وصول عمل الله القدائي إلى ذروته في المسيح يسوع . . إن المؤمنين يعيشون الآن في الأسخاتولوجي : فليس هو بعد وقت الانتظار والرجاء ولكنه وقت العطية ونوالها . إن اليوم هو يوم الخلاص ولكن هذا لا يعنى أن النهاية قد اقتربت ، ولكنه يعنى أن الله قد تم مواعيدته (٢ : ٣٩ ، ٣٠ ، ١٩ و ٢٠) .

الأمر الثاني يعلن أن الروح القدس هو للجميع . . لكل من يؤمن باسم ابن الله . فالرسول بطرس يقول « لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوهم الرب إلينا (٢ : ٣٩) . ولقد قبل اليهود الذين آمنوا يوم الخمسين من كل أقاليم الأرض (٢ : ٥) ، انتظاراً لدخول الأمم والسامرة إلى الحضيرة ونوالهم الروح القدس (٨ : ١٧ ، ١٠ ، ٤٣ و ٤٤)

الثالث هو أن كل من يتوب يعتمد على اسم ربنا يسوع المسيح لغفران الخطايا ينال . موعد الروح القدس . هذه المعمودية كانت تتضمن الإيمان به . (٢ : ٣٧ و ٣٨) . ولم يكسر هذا الأمر إلا في حالتين فقط في السامرة عندما آمنوا ولكن الروح لم يأت إلا عندما جاء الرسولان يوحنا وبطرس (٨ : ١٤ - ١٧) . وفي بيت كرنيليوس عندما جاء عليهم من قبل المعمودية (١٠ : ٤٤ - ٤٨) . ولكن هاتين الحالتين كانتا خاصتين جداً في تدبير الله لحفظ الكنيسة من التنوع والانقسام . أما فيما عدا ذلك فقد جاء الروح القدس كعطية لكل من يؤمن ويعتمد على اسم يسوع المسيح (١٩ : ٥ و ٦) .

أما الأمر الرابع والأخير : إن الروح القدس يأتي إلى الكنيسة .
وهنا يجب أن ننبر على هذا الأمر فالمؤمن لا يشترك في عطية الروح

القدس إلا لأنه عضو في الكنيسة . حتى التلاميذ الإثني عشر انسكب عليهم الروح القدس في اجتماعهم ككنيسة في يوم الخمسين ، إذ حل على جميع الذين كانوا في المنزل . هذا يكشف لنا على أن الذي يغش الكنيسة فإنه يكذب على الروح القدس نفسه . لأنها مجتمع الروح (٥ : ٣ و ٤) . وكل ما عمله الكنيسة من مشورة (١٥ : ٢٨) ، أو من شهادة (١٣ : ٢) . هو عمل الروح القدس نفسه . إن للروح القدس السلطة والعمل الخمر المطلق في الكنيسة ، وما عليها إلا أن تخضع له ولتوجيهه وإرشاده . .

ولكن كان للروح القدس التأثير الواضح داخل الكنيسة ، كما كان خارجها ، بمعنى أن تأثيرها كان في حياة أعضائها قوياً وظاهراً . وكان هذا مشهوداً له بواسطة الأعداء أنفسهم (٤ : ١٣) . فبعد أن كان الرسل يعتمدون اعتماداً كلياً في مشورتهم وتحركاتهم على يسوع سيدهم ، عندما كان معهم على الأرض ، معطياً إياهم السلطان والمشورة والأوامر ، وبعد أن علمهم كل ما يختص بملكوت الله في ظهورهم لهم (أعمال ١ : ٣) ، بعد كل ذلك وجدوا أنفسهم وحيدين بلا مرشد ولا قائد في وسط أورشليم . ولكن كان هذا لمدة قصيرة ، فقد جاء الروح القدس في يوم الخمسين ، وملاهم بنور جديد وحياة جديدة هي حياة الشهادة ، وغيرهم تغييراً واضحاً لكل من عرفهم ، ظهر في ثباتهم وشهادتهم بكل قوة بالإنجيل (٤ : ٨) ، وفي مقدرتهم على عمل الآيات والقوات بكيفية أكبر من تلك التي اختبروها سابقاً في وجودهم مع يسوع سيدهم (٢ : ٤٣) ، وفي تغيير حياتهم الشخصية وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، فبينما كان السيد يوجههم على حبهم للعظمة وغبواتهم وحسد بعضهم لبعض (مرقس ١٠ : ٣٥ - ٤٥) أصبحوا الآن يحبون بعضهم البعض ويساعدون من له الذين ليس لهم بما عنده (٢ : ٤٣ و ٤٤ ، ٤ :

٣٢) . عرفوا الحياة الجماعية ، وكانت « نعمة عظيمة على جميعهم »
(٤ : ٣٣) . في كل هذا ظهر آثار عمل الروح القدس في حياتهم وعلاقتهم
بعضهم ببعض .

هذا كله ظهر في الفرح الحقيقي الذي ملأ حياتهم . والفرح هو عطية
عظيمة كما يقول القديس لوقا ، فكل من خبر الإنجيل يذهب في طريقه
فرحاً (٨ : ٣٩) ، هذا الفرح يعيش ويبقى منتصباً رغم الصعوبات
والاضطهادات التي نزلت على الكنيسة « جاءت عليهم فلم تفقدهم فرحهم بل
بالعكس أعلتته أكثر لأنه عطية الله بالروح القدس (٥ : ٤١ ، ١٣ :
٥٢ ، ١٦ : ٢٥) .

(ح) الشهادة :

كانت هذه الفترة الأولى في حياة الكنيسة هي فترة الشهادة ولقد أمر
السيد تلاميذه الأوائل (١ : ٢ و ٨) فهم الذين كانوا معه ورأوه بعد قيامته
من الأموات (١ : ٢١ و ٢٢) ، وبذلك أصبحوا مؤهلين تماماً للشهادة له
في قيامته وانتصاره ، ولقد أكد السيد لهم مسانده لما يشهدون به بواسطة
غفران الخطايا لجميع من يؤمنون به بشهادتهم ، ويعتمدون على اسم يسوع
المسيح (٢ : ٣٢ و ٣٣) . وبواسطة الآيات التي يعملها بواسطةهم (٣ : ٦ و
١٦) . ولهذا السبب كان الرسل يشهدون بكل جراءة وشجاعة للجميع
قائلين « أن ليس اسماً قد وضع تحت السماء به ينبغي أن نخلص (٤ : ١٢) .

إلى جانب هؤلاء كان هناك أيضاً جماعة كانوا يخدمون الكلمة ،
وبعضهم كانوا يشهدون لها مقدمين اختبارهم للروح ، لكن الشهود الحقيقيون ،
كانوا هم الرسل . . هم وحدهم الذين أعطاهم الرب السلطان لذلك ، ولذلك

دعيت شهادتهم «بالكلمة»، أو «كلمة الله» أو «كلمة الرب» أو «كلمة الخلاص». إنهم كانوا مسئولين أن يعلنوا الحق ويعطوا شهادتهم لكل موقف جديد. وهذا يكشف عن السبب الذي لأجله تكلم بطرس في يوم الخمسين، ولماذا لم يأت الروح القدس على السامرة إلا عند مجيء بطرس ويوحنا، ولماذا أرسل بطرس إلى بيت كرنيليوس. كل هذا كان سابقاً لإرسالية الرسول بولس إلى آسيا وأوروبا.

هذا هو الجزء الأول من الصورة المتكاملة التي يضعها القديس لوقا في سفر الأعمال: هذا هو أساس العمل التبشيري العظيم الذي بدأه الروح بواسطة الكنيسة.

٢- المرسلون الجدد إلى اليهودية والسامرة (٦: ٨-٩: ٣١):

في هذا الجزء يكشف القديس لوقا عن مرسلين جدد ظهروا على المسرح كلفهم الروح بالبشارة والشهادة في كل اليهودية والجليل والسامرة.

ولعل أشهر إثنين منهم هما اسطفانوس (٦: ٨ و ٩) وفيلبس المبشر (٨: ٤-٨) ومع أن شاول الطرسوسي ظهر على المسرح في تلك الفترة ولكن في تجديده فقط أما إرساليته فلم تكن قد بدأت في مرحلتها العظمى بعد (٩: ١٥-٣٠). وتنتهي هذه الفترة بالعبارة المشهورة التي قيلت سابقاً في ٩: ٣١.

هذان المرسلان لم يكونا مع يسوع، ولم يريا الرب المقام ولم ينضبا إلى الاثنى عشر رسولا الأصليين، أما المؤهل الذي وصفاه به هو «مملوئين من الروح والحكمة» (٦: ٣)، ويعتقد غالبية المفسرين أن كلمة الحكمة تشير إلى أنهما درسا وتعلما كلمة الرسل (٢: ٤٢)، وكانا قادرين على التكلم

بالأشياء التي تختص بيسوع . . هذان وغيرهما من الرجال كانوا مسئولين عن انتشار كلمة الرب خارج أورشليم . ولقد كان لشجاعة اسطفانوس وشهادته القوية أمام مجمع السنهدريم ولما جهته الموت بشجاعة وقوة ، وللاضطهاد المرير الذي صبه اليهود على الكنيسة بعد قتله (٦ : ٨ - ٨ : ٢) ، الدور الكبير في هذا الانتشار لكلمة الإنجيل . لقد ذهب كثيرون بعد الاضطهاد من أورشليم وساروا في كل البلاد يبشرون بكلمة الله لليهود ولغيرهم . ولقد ضرب لنا القديس لوقا بعض الأمثلة على هذا الانتشار ربما حدث في السامرة على يدى فيلبس المبشر الذي بعد ما بشر خصى ملكة الحبشة ، كان يبشر جميع المدن التي على الساحل من أشدود إلى قيصرية (أعمال ٨) .

والهدف الأساسي للقديس لوقا من كتابة هذا الجزء هو أن يعلن أن الله أقام أناساً آخرين مسئولين عن التبشير والتعليم إلى جانب شهادة الرسل . إن ما عمله الرسل منفردين هم يعملونه لوحدهم . . الشهادة ليسوع ووضع أساس الكنيسة ، أما انتشار الإنجيل إلى كل العالم واليهودية فكان على يدى أناس آخرين . إن الله لم يحد نشاطه بعمل الرسل بل هناك أعمال أخرى يعملها بأناس آخرين . وفي هذا الأمر يكشف القديس لوقا عن أمرين :

الأمر الأول هو أن يقدم لحجى الرسول بولس على المسرح . إنه هو أيضاً لم يكن مع المسيح في أيام جسده ومع ذلك قد أصبح له المركز السامى الذى يتساوى فيه مع بقية الرسل كرسول للأمم . ومع أن الله استمر في استخدام الشهود الأصليين . ولكنه أقام آخر هو الرسول بولس ، ولأجل ذلك مد الرب أيضاً في عدد ظهوراته ، فظهر لبولس على الطريق إلى دمشق ليدعوه رسولاً أصيلاً ، عليه ما عليهم من مسئولية (٩ : ٣ - ١٤ : ٦ كورنثوس ٩ : ١ ، ١٥ : ٨) فهو ليس كالأخرين بل هو أيضاً واحد من الرسل .

الأمر الثاني هو التأكيد الذي يريد القديس لوقا أن يعطيه لقرائته في أن الله بعد سنين طويلة لم يترك العمل كله لأيدي الرسل الذين كانوا في ذلك الوقت إما انتقلوا أو في السجن أو في سن الشيخوخة في تدبيره أقام أناساً آخرين مبشرين ووعاظ ومعلمين ورعاة وشيوخ وبواسطتهم يوضح كلمة الله للمؤمنين ويقدمها إلى البعيدين . إن الإرسالية استمرت ولن تتوقف ومهما كان عنف الاضطهاد فلن يوقفهم ، إنه لم يوقف الكنيسة في الماضي بل بالعكس زاد نموها في العدد والمكان ، وهكذا يفعل الله أيضاً وستزداد الكنيسة حتى ولو لم يبق فيها رسول أصيل واحد . إن الله هو الذي يقيم خدامه .

هذا هو الجزء الثاني من الصورة .

٣- الرسالة تصل إلى الأمم : (٩ : ٣٢ - ١٢ : ٢٤) :

وصلت الرسالة إلى الأمم أيضاً نتيجة للاضطهاد الذي حدث بعد قتل اسطفانوس ، لقد جال الذين تشتتوا في البلاد فوصلوا إلى أنطاكية ولكنهم لم يكلموا أحد بالكلمة سوى اليهود فقط (١١ : ٢٢) . ولكن جماعة منهم وهم قبرسيون وقبرانيون والذين لم لما دخلوا أنطاكية كانوا يبشرون اليونانيين بالرب يسوع (١١ : ١٩ و ٢٠) ، واليونانيون هنا ليسوا هم المذكورين في (٦ : ١) لأن هؤلاء الأخيرين كانوا يهوداً في الشتات أما المذكورون في ١١ : ١٩ و ٢٠ فهم أمم يتكلمون اليونانية . ومعنى ذلك أن الإنجيل وصل إلى الأمم .

ولكن لم يكن هذا بداية الأمر بل كانت هناك خطوات سابقة اتخذها الله بواسطة الكنيسة لكي يدخل الأمم إلى الحضيرة . وكانت أهم خطوة منها هي قبول قائد مئة روماني كان يخاف الله واسمه كورنيليوس لرسالة الإنجيل ،

وقبول الله إياه وإعطاؤه هو وجميع من له موهبة الروح القدس . لم تكن هذه حادثة من ضمن الحوادث ، ولكن كان لها طابعها الخاص وأهميتها الحاسمة في تاريخ الكنيسة . ولهذا السبب يذكرها البشير مرتين في ص ١٠ ثم ص ١١ ثم يعود إليها في ص ١٥ . إن قبول هذا الأسمى للإنجيل ومعه وديته لم تأتى مصادفة بل كانت على أساس رؤيا حدثت له ولبطرس نفسه ، وعلى هذا الأساس بنت الكنيسة النتيجة الحتمية وهى أن الأمم قد فتحت لهم الله الباب ليؤمنوا بالمسيح (١١ : ١٩) .

لقد كانت من عناية الله أن يكون للرسول بطرس دور هام جداً في هذه الحادثة . كما كان في قبول السامرة للإنجيل . إن هذا الدور لا يستنتج منه فقط أهميته كشخص ولكن للمغزى العميق لذلك . إن عمله مع الرسول بولس كان هكذا : هو لإنجيل الختان وبولس لإنجيل الغرلة أى للأمم فلو لم يكن لبطرس دور في دخول الأمم إلى الحظيرة لانقسمت الكنيسة إلى معسكرين : معسكر اليهود وهو يخضع لبطرس وسائر الرسل الأصليين ومعسكر الأمم وهو يخضع ويتبع الرسول بولس ، ولربما انقسم المعسكران بعضهما على بعض . ولكن وجود بطرس الرسول في تلك المواقف وأهميته في البشارة للأمم جعلت جعل عمل الرسولين متكاملين . . كل يكمل رسالة الآخر فهى رسالة واحدة بالرب المقام الواحد يقدمها الروح الواحد بواسطة هذين الرسولين .

وهذا أيضاً يدل على أن القديس لوقا يوبخ توبيخاً صارماً أولئك الذين عارضوا دخول الأمم ومساواتهم باليهود ما لم يخضعوا للناهوس أولاً قبل قبولهم للمسيح . فيكشف لهم أن بطرس كان مؤمناً جداً ، وأن الكنيسة في أورشليم لم تعارض بتاتا خدمة الرسول بولس بين الأمم ، بل بالعكس أعطوه

يمين الشركة معهم . . لقد فرحوا مع بطرس لهذا التدخل العظيم لله في دعوة الأمم (١١ : ١٨) .

ويبرز الكاتب أيضاً أن الكنيسة في أورشليم لما سمعوا أن أنطاكية أيضاً قبلت الإنجيل لم تتذمر أو تعارض بل بالعكس فقد أرسلت برنابا مع بعض أنبيائهم ليساعدوا في العمل هناك (١١ : ٢٢ و ٢٧) . وعلى هذا فمع أن بعض المسيحيين المترجمين عارضوا دخول الأمم إلا أن الكنيسة عامة قد فرحت لذلك وساعدت المسيحيين الجدد على أن يثبتوا في الرب بعزم القلب (أنظر ١٥ : ٢٣ - ٢٩) .

٤ - ابتداء الخدمة في آسيا : (١٢ : ٢٥ - ١٦ : ٥) .

من هنا يبدأ القديس أوقا في إظهار الرسول بولس كالشخصية الرئيسية التي يستخدمها الروح القدس في تقديم الإنجيل للأمم ، بعد أن كان الرسول بطرس هو الرسول الأول في الخدمة . ويشرح أيضاً كيف أن الله نفسه هو الذي اتخذ الخطوة الأولى في هذا الاتجاه الجديد (أعمال ١٣ : ٢ و ٣) وكل دارس لهذه الفترة يجد هناك توازياً لخدمة الرسولين بطرس وبولس فكما بدأت خدمة بطرس بالتدخل المباشر للروح في يوم الخمسين (٢ : ٤) بدأت خدمة الرسول بولس بنفس التدخل في كنيسة أنطاكية (١٣ : ٢) ثم يتبع ذلك عظة طويلة من كل واحد منهما (١٣ : ١٦ - ٤١ أنظر ٢ : ١٤ - ٣٦) ثم شفاء رجل أعرج في فناء هيكل وثني (١٤ : ٨ - ١١) كما شفى بطرس الرجل المقعد أمام باب الجميل في الهيكل (٣ : ١ - ١٠) ثم اضطهاد شديد رجم فيه الرسول بولس ، حتى ظنوه قد مات فجروه بعيداً عن المدينة (١٤ : ١٩ و ٢٠) كما اضطهد بطرس (٥ : ١٧ - ١٩) . وهنا نجد أن التوافق كبير فما معنى ذلك ؟ قد تكون هناك تفسيرات متعددة ولكن الشيء

الوحيد الذي نعرفه هو أن الله في حكمته وعنايته أراد أن يظهر لكنيسة أورشليم أن كنيسة الأمم ليست بعيدة عن نعمة الله ، بل هو يعمل فيها كما عمل ويعمل في كنيسة اليهودية . فبقوة الروح القدس وإرشاده وبكلمة الإنجيل وحدها دون ناموس أو أساطير ، وبالآيات والقوات وبالاضطهادات الكثيرة هكذا يفعل الله وهكذا يجذب الجميع إليه . لعل كنيسة أورشليم عندما سمعت التقرير الذي رفعه الرسول بولس والرسول برنابا رأت يد الرب تعمل تماماً بمثل ما عملت في وسطهم فصاروا بمجدون الله (١٥ : ٣ و ٤) .

وينتهي هذا الجزء من الصورة بالجمع الذي عقد في أورشليم لما حدث من تدخل جماعة ناموسية لكي يفسدوا ما فعله الرب بواسطة بولس وبرنابا وجعلوا يعلمون الأمم « إن لم تحتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا » (١٥ : ١) . وفي هذا الجمع تقرّر حرية الأمم من كل أعمال الناموس كطريقة مساعدة للخلاص . وكان هذا العمل دافعاً قوياً للرسالة بين الأمم ولكن الخطاب الذي أرسل إلى كنائس سورية وأنطاكية وكليكية من المشايخ والرسول كان يحتوى أيضاً تحذيراً وتنبيهاً إلى كنيسة الأمم ألا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم يبطل ذهنهم بل أن يعيشوا بحسب ناموس الله . إن هذا الناموس لا يخلص خاطئاً ولكنه يرشد مؤمناً بالرب يسوع إلى السلوك الحقيقي ، ومن لا يسلك بموجبه فهو لا يسى إلى موسى وناموسه بل إلى الله نفسه لأنه يريد أن الجميع يكونون قديسين .

٥ - ابتداء الخدمة في أوروبا : (١٦ : ٦ - ١٩ : ٢٠) :

في هذا الجزء نرى أيضاً إرشاد الروح القدس في الخدمة . فهو يمنح الرسول من الذهاب إلى الجنوب أو إلى الشمال (١٦ : ٦ و ٧) ثم أرشدهم

بواسطة رؤيا أن يذهب إلى أوربا ثم ذهب الرسول وهناك بشر مع رفقاته في فيليبي وتسالونيكى وكورنثوس . ويعتبر هذه الفترة هامة جداً في إرسالية الرسول لأنها تعطينا خلفية لا بد منها لكي نفهم الرسائل التي أرسلها إلى هذه الكنائس . فهى تلقى ضوءاً على الظروف والأحوال في كل مدينة ، والحوادث التي حدثت فيها . وتظهر أهميتها أيضاً لأننا نجد فيها الكاتب يتكلم بصيغة الجمع المتكلم « نحن » مما يدل على أنه كان رفيقاً للرسول ، وكان يكتب من مفكرته مباشرة . ونسبة لوجود أسماء كثيرة في ذلك الجزء من الكتابة فإن الدارسين يعتقدون أن الكاتب كان معروفاً في تلك النواحي أو أنه كان أحد سكانها .

هذه الإرسالية إلى أوربا تتميز بأمرين هامين جداً :

الأمر الأول هو أنها أنجح جزء من خدمة الرسول بولس ، فيها ظهرت قوة الله وإرشاداته بالآيات كما حدث في فيليبي : إخراج روح العرافة (١٦ : ١٦ - ١٩) وزلزلة السجن (١٦ : ٢٥ و ٢٦) وآيات كثيرة في كورنثوس (٢ كورنثوس ١٢ : ١٢) وروى تشجيع (أعمال ١٨ : ٩ و ١٠) . ومواجهة أكبر فلاسفة العصر في أثينا (١٧ : ٢٢ - ٣٢) . ونجد أيضاً مرة أخرى التشابه في خدمة الرسولين بولس وبطرس : ففي فيليبي ينقذ الرسول بولس من السجن كما حدث مع الرسول بطرس (١٦ : ٢٥ - ٤٠ مع ٥ : ١٩ ، ١٢ : ٦ - ١٠) . في أفسس يضع الرسول يديه على رأس تلاميذ يوحنا فينالوا الروح القدس كما فعل بطرس مع جماعة السامرة (١٩ : ١ - ٧ مع ٨ : ١٧) . كانت المآزر التي تؤخذ من بولس تشفى الأمراض وتخرج الشياطين وهكذا كان ظل بطرس (١٩ : ١١ و ١٢ مع ٥ : ١٥) . وعندما حاول أبناء سيكاوا السبعة أن يقلدوا الرسول بولس غلبهم الروح النجس

وكاد يفتلهم فأدينوا وهكذا فعل بطرس الرسول مع سيمون الساحر (١٩ : ١٣ و ١٤ مع ٨ : ١٨ - ٢٤) .

أما الأمر الثاني المهم الذي نراه هنا فهو طول المدة التي كان الرسول يقضيها في المكان التبشيري الواحد وخصوصاً في كورنثوس حيث يمكث حوالي ١٨ شهراً (١٨ : ١١) وأفسس حيث يمكث حوالي سنتين (١٩ : ١٠) وذلك لكثرة الذين كانوا يقبلون الإنجيل ويعتمدون مؤمنين بالرب يسوع المسيح ، وكانوا يحتاجون إلى رعاية طويلة وتعليم كثير حتى يمكنهم أن يتركوا عاداتهم الوثنية ويثبتوا في الرب سالكين بحسب الدعوة التي دعوا إليها .

ويلاحظ الدارس هنا أن القديس لوقا لم يذكر الرسول بولس بلقب « رسول » إلا مرة واحدة فقط ، ويلوح أنه لم يكن يستخدمها نفس الاستخدام الفني الذي كانت تعنيه عندما كانت تطلق على الرسل الأوائل ، لأنه يطلقها هنا أيضاً على برنابا (أعمال ١٤ : ١٤) فهل كان هذا يعني أن لوقا لم يعترف برسولية بولس ؟ إن الحادثة التي ذكرناها عن قصة أبناء سيكاوا السبعة الذين حاولوا أن يستخدموا نفس القوة التي استخدمها الرسول بولس تشير إلى الناحية الأخرى وهي أن بولس كان يمتلك سلطاناً لا يمكن لإنسان آخر ممن معه أن يتشبه به . مما يدل على أن الرسول بولس هو رسول حقيق له سلطان موهوب له من الله يشابه تماماً الرسل الآخرين ، فإن لم يكن بالقول فبالعمل أظهر الكاتب أن بولس كان رسولا لسيدته بالمعنى المعروف عند التلاميذ الإثني عشر .

٦- أورشليم وروما : (١٩ : ٢١ - ٢٨ : ٣١) :

هذا الجزء يعتبر أطول الأجزاء ويساوي تقريباً ثلث الكتاب كله وهو يحتوي على زيارته الأخيرة إلى مكدونية وأخائية ثم مجيئه إلى أورشليم ومواجهته

للإهود والقبض عليه ورفع قضيته إلى قيصر ومجيئه إلى روما في طريق بحري خطر طويل ومكوثه هناك كأسير ولكنه كان يبشر بالرب يسوع جميع الذين يأتون إليه في السجن. ويعتبر هذا الجزء أيضاً من أهم الأجزاء التي فيها يتكشف بكل وضوح تفكير الرسول بولس وما أعمقه وتفكير الكاتب نفسه .

١ - أما عن تفكير الرسول فإنه يظهر في ذلك الإصرار على أن يزور أورشليم تلك الزيارة الأخيرة رغم كل التحذيرات التي وجهت إليه من كل أصدقائه . ففي صور حذروه من الصعود إلى أورشليم (أعمال ٢١ : ٤) وفي قيصرية أيضاً واجه مثل هذا التحذير (٢١ : ١٠) ولم تكن هذه نبوات إعجازية ولكنها كانت نتيجة التفكير السليم . إن الإهود لا يمكن أن يتركوه هكذا حياً . لقد رآه كثير من يهود الشتات في أوروبا وهو ينادى بتعاليم ظنوها ضد ناموسهم ، ولا يمكن أن تكون هناك فرصة أفضل لهم من أن يروه في أورشليم حتى ينتقموا منه انتقاماً سريعاً وحاسماً . وقد ظهر ذلك واضحاً في الطريقة التي قبضوا بها عليه (٢١ : ١٧ - ٣٠) . كان هذا الأمر واضحاً ومعروفاً ولكنه لم يثن عن عزمه ، بل ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم كما فعل سيده من قبل فلماذا ؟ إن الشيء الواضح هو أن الرسول بولس مع أنه كان رسولا للأمم في حين أن بطرس كان رسول الختان (غلاطية ٢ : ٧) إلا أن قلب الرسول بولس كان مع بني جنسه الإهود ، وكان يود بكل قلبه لو أنه يربحهم إلى المسيح . بل أن كل خدمته بين الأمم ، وما كان يفعله بكل قوة هو أن يربح الإهود إلى المسيح بواسطة إغارتهم عن طريق ربحه للأمم (رومية ٩ : ١ - ٣ ، ١١ : ١٣ و ١٤) . ولهذا السبب كان يذهب في تبشيره إلى الإهود أولاً ، ولكنه بعد أن يغلقوا الباب في وجهه يذهب إلى الأمم ، لأنه يعرف أن الخلاص لا يكمل إلا بدخول الإهود والأمم معاً (رومية ١١ : ٢٥) .

٣٣٧

(م ٢٢ - المدخل إلى العهد الجديد)

ولهذا السبب أيضاً كان يريد أن يربح اليهود ، فيذهب إليهم في عرة الدار ، ونلاحظ أن هناك تشابهاً كبيراً بين رحلة المسيح إلى أورشليم ورحلة بولس الرسول إليها ، ومن أهم ما يتشابهان فيه هو تقديم الإنجيل بكل اهتمام كفرصة أخيرة أعطيت لهم لعلمهم يقبلونه . فكما جلس السيد كل يوم في أسبوع الآلام يبشر ويعلم في الهيكل ، مقدماً الدعوة لهم ، هكذا فعل الرسول عندما قبضوا عليه ، إنه حاول من خلال مجموعة من الخطابات أمام الحكام أن يدعوهم لقبول البشارة . طلب أن يتكلم إليهم وكلمهم (٢١ : ٢٩ - ٢٢) : (٢١) . وواجهه القادة الأعداء الذين كانوا يعملون جاهدين للتخلص منه (٢٣ : ١) ، وعندما تكلم أمام أغريباس لم يرد أن يقدم شكواه ويفند مزاعم أعدائه وأهانتهم له ، بل قدم الإنجيل لأغريباس نفسه (٢٦ : ١ - ٢٩) . ولكنه عندما وجد أنهم يسدون آذانهم وأذهانهم رفع دعواه إلى قيصر : وهناك في روما كان يبشر اليهود ، ويدعوهم بقبول الخلاص (٢٨ : ١٧) . هذا هو الهدف الأساسي الذي كان الرسول بولس يسعى إليه بكلهمة .

٢- وفي ذهابه إلى روما كانت هناك يد الرب واضحة في ذلك . فالرب ظهر له يقويه ويشجعه في الذهاب إلى روما (٢٣ : ١١) ، والمعجزة التي قام بها الرب في إنقاذه مع الركاب من الموت المحقق (٢٧ : ١ - ٢٨ : ١٠) . فالسفينية كانت تحت إرشاد وقيادة الرب نفسه .

ولكن لماذا؟ لأن رحلة الرسول إلى روما تشابه رحلته إلى أورشليم . فكما أن أورشليم تمثل اليهود هكذا روما تمثل الأمم في مجموعهم . وفي وصول الرسول إلى روما تكلمت وصية الرب إلى التلاميذ وتكونوا إلى . . . شهوداً . . . إلى أقصى الأرض (١ : ٨) . وهذا يكون الرسول قد قدم الإنجيل من أورشليم إلى روما تحقيقاً لوصية المسيح .

٣- ولكن ما هو تفكير الكاتب نفسه في هذا الجزء؟ إن لوقا قصد في هذا الجزء أن يقدم دفاعاً عن الرسول نفسه. إن الرسول في رسائله يعلن أن اتهامات كثيرة وجهت إليه من اليهود والمسيحيين على السواء، فالمسيحيون لم يستطيعوا أن ينسوا سريعاً أن بولس هو شاول الطرسوسي الذي كاد يحطم الكنيسة (٨: ٩، ٩: ١ و ٢: ٢٦، ١٠ و ١١)، ولذلك حفظوا له ذلك مدة طويلة (٩: ٢٦).

ومع ذلك فلم يكن هذا شيئاً إلى جانب سحق اليهود عليه كما عرفنا سابقاً، ففي إعلاناته أن غفران الخطايا يجي من الإيمان بيسوع وحده، وفي تأكيده على أن الأمم يستطيعون أن ينالوا الخلاص دون أن يكون لهم اتصال بالناموس، وفي عبادته في أن يجمع المسيحيين من اليهود والأمم معاً في شركة الطعام، في كل هذا كان اليهود يرون أنه يحطم تقاليد اليهود وناموسهم ولهذا فهم يريدون أن يقتلوه. إزاء هذا وذاك كان هدف لوقا أن يدافع عن الرسول ضد هذه الاتهامات. ولهذا كان ذهابه إلى أورشليم وقيامه بالعوائد التي كان يقوم بها اليهود دون أن ينقض تقاليد موسى (٢٤: ١١ و ١٧ و ١٨). إن الرسول يعلن أن الخلاف بينه وبين اليهود ليس من العوائد والتقاليد ولكن في نبع رجاء إسرائيل (٢٣: ٦، ٢٤: ١٥، ٢٦: ٦، ٢٨: ٢٠). إن القضية هي أن قام يسوع الناصري من الأموات (٢٣: ٦، ٢٥: ١٩، ٢٦: ٨) وأنه ظهر لبولس (٢٢: ٨، ٢٦: ١٥)، ومرسلاً إياه إلى الأمم (٢٦: ١٦) و ١٧). فهل يستطيع الرسول أن يعاند الروايات الساموية وألا يخضع لأمر الرب، وينهب للأمم لكي يؤمن الجميع؟ إن الرسول لا يرى شيئاً آخر بخلاف ذلك (٢٦: ١٩)، فكما أن الله يعينه دائماً فهو سيقوم بهذا العمل (٢٦: ٢٢).

إن لوقا الذي يدافع عن الرسول ليس إنساناً محايداً ولكنه رجل معجب

به ، كان معه مرافقاً إياه ، وقد رأى ما عمله الرب معه من قوات وآيات ،
لقد عرف اختبار الرسول بالرب وصلته به ، إذ أراه نفسه في رؤى وكلمه في
الأحلام وقواه . . هذا شيء حقيقي يذكره لوقا دون أن يقدم شرحاً عنه .
إنه شخص عملي ليس حالماً ، فرغم كل اختباره أخذ نفسه بكل حزم وهناكدا
طلب من رفاقه (١٥ : ٣٨ و ٣٩) . إن الرسول رجل عاقل له تفكير
واحد مترابط . .

٤- ولكن لوقا البشير لم يكتب هذا دفاعاً عن الرسول فقط بل عن
الإنجيل أيضاً . فهو يظهر أن الذين يتهمون الرسول بأنه ينادى بعوائد وثقاليد
تسبب صراعاً في المجتمع أنهم لا يفهمون الرسالة (١٩ : ٢٣ - ٣٠) . أما
الحقيقة فهي أنهم أنفسهم الذين سبوا الشقاق ، إن الإنجيل لم يناد ضد قيصر
(١٩ : ٢٧ ، ٢٥ : ٩) ولكنه يحث الناس أن يسبوا بكل خوف و ضمير
صالح أمام الله والناس (٢٤ : ١٦) .

وقد ظهر الدفاع هذا في خطابات الرسول أمام من كانوا يحاكمونه من
ولاة أو ملوك أو غيرهم . إنه إنجيل السلام والمحبة والخلاص .

٥- وهنا ينتهي سفر الأعمال بطريقة مفاجئة . وقد وضعت تفسيرا
كثيرة لذلك : هل كان لوقا ينوي أن يكتب سفر آخر ولكنه مات قبل أن
يفعل ؟ هل كتبه ولكنه ضاع ؟ هل ضاعت نهاية السفر ؟ هذه كلها ليس لها
سند تاريخي . ولكن هناك تفسير آخر نكتشفه في طريقة لوقا في الكتابة :

إن القديس لوقا لم يكن يهتم بالأشخاص لذاتهم بل كان يهتم بالإنجيل ،
فمثلاً عندما تكلم عن بطرس جاء إلى حد لم يظهر بطرس مرة أخرى ،
ولا يوحنا والسبب في ذلك هو أن الإنجيل قد وصل إلى كل اليهود وخرج

إلى الأمم . وعندما وصل إلى هذا الحد انتهى الأمر ولا داعي للذكر بطرس أو يوحنا . وهكذا الرسول بولس ، لأنه لم يكتب تاريخ حياة الرسول ، ولم يرد أن يكتب عنه لذاته بل كان يشرح كيف استخدمه الرب في تقديم الإنجيل إلى الأمم وامتد الإنجيل وأخيراً جاء إلى روما عاصمة العالم . . وهكذا تم أمر المسيح اذهبوا إلى العالم أجمع وذهبت الكلمة إلى الجميع : . وهذا هو الأمر كله فلا داعٍ لإذن للتكلم عن الرسول مرة أخرى . . لقد أكمل السيد وعده ...

الباب الثالث

كتابات الرسول بولس

مقدمة :

يعتبر الرسول بولس أهم شخصية ظهرت في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه . ولقد وضح في خدمته الواسعة المتصلة ، وغيرته المتقدة للعمل الذي يقوم به ، وكتاباتة الكثيرة ، إنه الرجل الذي استطاع أن يفهم عمل سيده ويفسره أكثر من أى رجل آخر . وكاتب سفر الأعمال ، كما سبق القول ، يخصص حوالى نصف كتابه عن نشاطه وإرسالته .

ولكن مع أهمية هذا الشخص وأهمية خدمته ، فليس لدينا معلومات كثيرة منفصلة عن تاريخ حياته ، شأنه في ذلك شأن سيده . . فيسوع نفسه مع أن حياته كانت عنصراً هاماً وأساسياً في الإنجيل ، إلا أن الرسل الذين كتبوا عنه لم يقصدوا أن يكتبوا تاريخ حياته ، بل كتبوا عنه كإنجيل وبشارة . لأنه موضوع الإيمان ، أما بولس الرسول فلم يكن هكذا ، ولم تكن لحياته دخل بالبشارة سوى في تقديم الإنجيل وخدمته وإعلان الحياة المسيحية ، ولهذا فلم يهتم هو ولا لوقا الطبيب أن يكتبوا كثيراً عن حياته الخاصة ، فالمهم عنده كانت البشارة ، أو الكيرجما التي كان له نصيب وافر جداً في نشرها في العالم .

تنقسم حياة الرسول إلى ٣ حقبات :

الحقبة الأولى :

تختص بحياته الأولى إلى وقت تجديده ، ويظهر فيها أنه ولد من أبوين يهوديين عبرانيين (أصلاً من سكان فلسطين الذين يتكلمون الأرامية) ، (٢ كورنثوس ١١ : ٢٢ ، رومية ١١ : ١) وهو من سبط بنيامين (فيلبي ٣ : ٥)

ولكونه ولد في طرسوس وهي مدينة رومانية فقد صارت له الرعية الرومانية بالولادة وليس بالشراء (أعمال ١٦ : ٣٧) . وكانت له أخت متزوجة في أورشليم (أعمال ٢٣ : ١٦) . كان مثقفاً فكان يعرف العبرية والآرامية إلى جانب معرفته باليونانية (أعمال ٢١ : ٤٠ ، ٢٦ : ١٤) . وعندما وصل شاوول إلى سن العشرين أو ما حولها أرسله أبواه إلى أورشليم ، لكي يتعلم عند رجلي غملاثليل معلم الناموس (أعمال ٢٢ : ٣) . وتظهر رسائله أنه كان متمكناً جداً من أساليب معلمى اليهود في المناقشة . وتفسير الكتب المقدسة . ولقد تعلم شاوول في طرسوس صناعة الخيام ليكتسب منها ، لأنه لم يكن لاثقاً بالمعلم اليهودى أن يتقاضى أجراً عن تعليم الناموس (أعمال ١٨ : ٣) . ولكنه كان غيوراً جداً في تقليدات آباؤه وعليها ، فلما رأى أن الطريق المسيحى وتعاليم المسيحيين لا تتفق مع الناموس بل تناقضه . فقد بدأ يضطهد الكنيسة اضطهاداً مرأ ، ويصف الرسول ذلك في غلاطية ١ : ١٣ - ٢٣ ، فيلبي ٣ : ٤ - ٦ . واستمر في ذلك إلى أن أخذ رسائل من رؤساء الكهنة إلى دمشق لكي يضطهد المسيحيين هناك (أعمال ٩) وفي الطريق قابله السيد بنفسه وتغير طريق حياته تغييراً تاماً .

وهنا تبدأ الحلقة الثانية في حياته :

وهي حقبة لا نعرف عنها الكثير سوى أن هذا الغيور على تقليدات آباؤه أصبح للرب وصار عبداً ليسوع المسيح ، وبعد أن كان يتقدم عن أتباعه في اليهودية أصبح ينسى كل ما هو وراء ويمتد إلى ما قدام في معرفة الرب (فيلبي ٣ : ١٤) . أما الحوادث القليلة في هذه الفترة فتتلخص في أنه بعد معموديته ذهب إلى صحراء العربية في الجنوب الشرقى من دمشق ، وبعد أن قضى بعض الوقت رجع إلى دمشق (غلاطية ١ : ١٧) . وكان يعظ في المجمع . ولكن

اليهود اضطهدوه (٢ كورنثوس ١١ : ٣٢ و ٣٣ أنظر أعمال ٩ : ٢٣-٢٥)
 فهرب وذهب إلى أورشليم وكان له ٣ سنوات بعد معموديته (غلاطية
 ١ : ١٨ و ١٩) وقد قدمه برنابا إلى الإخوة في أورشليم بعد أن كانوا خائفين
 منه ، ومكث ١٤ يوماً ثم ذهب إلى بلده طرسوس (غلاطية ١ : ٢١ ،
 أعمال ٩ : ٢٦ - ٣٠) . وبعد بضعة سنين طلب منه برنابا أن يأتي إلى أنطاكية
 ليعخدم في الكنيسة الأرمية القوية المتزايدة في النشاط والخدمة فكث هناك سنة
 كان ناجحاً فيها (أعمال ١١ : ٢٥ و ٢٦) ثم أرسلتهما الكنيسة معاً إلى أورشليم
 حاملين عطاياها إلى الإخوة في أورشليم بناء على نبوة أغابوس (أعمال ١١ :
 ٢٧ - ٣٠) . هذه الحقبة طويلة نسبياً ومعلوماتنا عنها قليلة ، ولكننا نعتقد أنها
 كانت هامة جداً وضرورية لخلق رسول كبولس ، ولعل تفكيره المسيحى
 قد تبلور فيها واحتكاكه باليهود أعطاه فكرة عميقة عن عمله بين الأمم وللإهود
 معاً .

الحقبة الثالثة :

تبدأ الحقبة الثالثة بدعوة من الروح القدس لكنيسة أنطاكية أن تفرز له
 شاول وبرنابا للعمل والخدمة ، فأرسلوهما . وهنا بدأت الرحلات التبشيرية
 الهامة التي اعتبرها لوقا أنها أهم فترة نشطة ومثمرة في حياة الرسول فكرس
 لها تريباً باقى سفر الأعمال :

الرحلة الأولى (أعمال ١٣ و ١٤) :

وكانت في الفترة ما بين سنتي ٤٥ م ، ٤٩ م . واستمرت ما بين سنتين
 وثلاث سنوات . وكانت الرحلة مكونة من ٣ أشخاص برنابا وشاول (وسُمي
 فيها بولس) ، ويوحنا مرقس كخادم لهما . ولكن هذا الأخير لم يكمل الرحلة
 معهما . وتركهما (أعمال ١٣ : ٤ - ١٣) . وسارت الرحلة هكذا

من إنطاكية بجزراً إلى قبرص موطن برنابا (أعمال ٤ : ٣٦) .
وهناك تعمد الوالى سرجيوس بولس . ثم ذهبوا إلى أسيا الصغرى . وقدموا
الإنجيل في برجه بمفيلية ثم أنطاكية بيسيدية ثم إيقونية ، لستره ودرني وكلها
في الجزء الجنوبي من مقاطعة غلاطية الرومانية . ثم رجعا من نفس الطريق
يشددان أنفس التلاميذ حتى وصلا إلى أنطاكية مرة أخرى . في هذه الرحلة
نلاحظ عدة أمور :

أولاً : كان البرنامج في التبشير هو أن يذهبا إلى اليهود أولاً (أعمال
١٣ : ٤٦) . ومن خلال الدخلاء أو الأمم خائفي الله كانوا يصلون إلى الأمم .
وكانت طريقة ناجحة جداً ، وخصوصاً بين الأمم إذ تكونت جماعات كبيرة
مسيحية .

ثانياً : نظراً لأن الأمم قبلوا الإنجيل بهذه الكيفية السريعة والقوية فقد
تكونت جماعة في اليهودية غيرورة جداً على ناموس موسى ، وخافت لئلا
يطغى تبشير بولس على هبة الناموس وسلطانه وعزمت على أن ترسل مندوبين
إلى الكنائس الأيمية حتى ترى بماذا بشر بولس وتصحيحه وتطالب من الأمم أن
يؤمّتا ويتمموا ناموس موسى وإلا فلا خلاص . وعندما وصل هؤلاء
المندوبون إلى أنطاكية ، ورأت الكنيسة الكارثة المحققة التي سوف تنتج من
هذا الموقف أرسلوا بولس وبرنابا مع جماعة أخرى إلى الرسل والمشايع
في أورشليم ، وهناك اجتمع أول مجمع رسولي (أعمال ١٥ ، غلاطية ٢ : ١-
١٠) غالباً سنة ٤٩ م . وقرر هذا المجمع ألا يوضع ثقل على الأمم غير أنهم
يجب أن يبعدوا عن المخبوق والدم والزنى وما ذبح للأوثان . وفي هذا المجمع
اتفق بولس وبرنابا على أن يكونا هما لخدمة الأمم وباقى الرسل لخدمة اليهود
(غلاطية ٢ : ٩) . ووعدا أن لا تنسى كنائس الأمم كنيسة أورشليم في

احتياجاتها المادية . وهكذا بدأت الكنيسة في وضع اللبنة الأولى في حرية الأمم والمسيحية ، مع أن هذا الأمر تطلب نضالاً عنيفاً لوقت طويل بعد ذلك حتى بين الرسل أنفسهم (غلاطية ٢ : ١١ - ٢١) .

الرحلة الثانية :

بدأت سنة ٤٩ أو ٥٠ - انفصل بولس عن برنابا لرفض الأول أن يصحبا معهما يوحنا مرقس مرة أخرى فأخذ بولس معه عضواً من كنيسة أورشليم وهو سيلا (سلوانس) (أنظر أعمال ١٥ : ٣٦ - ١٧ : ٢١) .

سارت الرحلة هكذا : من طريق برى زاروا المدن التي بشرها بولس وبرنابا أولاً ، أي الجزء الجنوبي من غلاطية . وفي مدينة لسترة كسب رفيقاً جديداً محبوباً هو تيموثاوس (أعمال ١٦ : ١ - ٣) ثم بعد ذلك سافر إلى الشمال ليعظ في فريجية وغلاطية الغربية . . ويؤخذ من غلاطية ٤ : ١٣ أنه مرض هناك أو أصيب بنوع من ضعف الجسد ولعله مكث هناك ، وبشر جماعات كثيرة : وعندما أراد أن يكمل رحلته إلى الجنوب منعه الروح وأرسله عن طريق رؤيا ظهر فيها رجل مكثوني يطلب إليه أن يعبر ويعينهم . ويصف (ص ١٦) اختباره في فيلبي حيث عرف السجن والجلد والضيقات ولكنه أسس جماعة قوية في هذه المدينة . ومن هناك سافر إلى إنخائية ثم إلى أثينا حيث عرض إنجيله على الفلاسفة الرواقين والأبيقوريين ولكنهم لم يقبلوه وعندئذ ذهب إلى كورنثوس شمالاً وهناك قابل أسرة مسيحية مكرسة ه أكيبلا وبريسكلا . وفي كورنثوس كتب رسالتي تسالونيكى . ولما رفض الحاكم طرده بناء على شكوى يهودية . مكث حوالي سنة ونصف هناك (٥١-٥٣م) ثم ذهب إلى قيصرية ومنها إلى أورشليم ثم أنطاكية .

الرحلة الثالثة :

بدأت حوالي ٥٤ م وبدأها بغلاطية الشمالية ثم فريجية (أعمال ١٨ : ٢٣) ثم ذهب من هناك إلى أفسس حيث مكث فيها ٣ سنوات (أعمال ١٩ : ٨ و ١٠ ، ٢٢ : ٣١) ونجح نجاحاً كبيراً رغم كل الصعوبات التي واجهها ، ويظن بعض الدارسين أن الرسول قد قضى بعضاً منها في السجن مستندياً في ذلك على الشواهد التالية :

في ٢ كورنثوس ١١ : ٣ يتكلم عن سجون كثيرة وضع فيها مع أنه لم يكن قد سجن غير مرة واحدة في فيليبي عند كتابة الرسالة بحسب ما جاء في أعمال الرسل .

في ١ كورنثوس ١٥ : ٣٢ يذكر أنه حارب وحوشاً في أفسس ويقول أصحاب هذه النظرية إن الرسول ألقى به فعلاً أمام الأسود ولكنه أنقذ منها بمعجزة .

في ٢ كورنثوس ١ : ٨ يذكر أنه جاز في ضيقة عظيمة في أسيا حتى أنه يشس من الحياة .

في رومية ١٦ : ٣ و ٤ يذكر عن أكيلا وبريسكلا أنهما وضعا عنقيهما من أجل حياته ولا بد أن هذا قد حدث في أفسس حيث كانا ساكنين بعد تركهما لمدينة كورنثوس :

وذلك إلى جانب شواهد أخرى خارجية كشهادة أكليمندس الروماني ثم في كتب أبو كريفا العهد الجديد « أعمال تيطس » وغير ذلك من الشواهد ، ولا ينكر دارس أن الرسول قابل متاعب كثيرة في أفسس وأنه رأى

ضيقات متنوعة ، ولكن لا توجد أية شهادة جادة تدل على أنه سخن في أفسس .
ولعل لوقا الطيب ما كان يغفل هذه الحادثة لو أنها حدثت بالفعل . وربما
كتب ما كتب من تعبيرات قوية عن محاربة وحوش وغيرها لكي يعبر عن
مقدار هذه الضيقات . ويظن أصحاب هذه النظرية أنه كتب بالفعل في سخن
أفسس بعض رسائل السجن مثل رسالة فيلبي ، ولكن لا يوجد أى دليل على
ذلك .

ترك الرسول أفسس وذهب إلى مكدونية عن طريق ترواس ، ثم إلى
اليونان ثم سار إلى فيلبي ، وذهب إلى ميليتس وقابل قسوس الكنيسة هناك ،
واستمر في طريقه إلى أورشليم رغم التحذيرات الكثيرة التي واجهته .

في هذه الرحلة كتب الرسول أربع رسائل : رسالة غلاطية في بدء
خدمته في أفسس وبعد سماعه عما كان يجري هناك .

وبعد مدة كتب رسالة كورنثوس الأولى (١ كورنثوس ١٦ : ٧ و ٨) .
ويظن بعض الدارسين أنه قام بزيارة قصيرة إلى كورنثوس ثم كتب لهم رسالة
مؤلمة ولكنها ليست موجودة بين كتب العهد الجديد الآن .

وبعد أن ترك أفسس وذهب إلى مكدونية كتب رسالة كورنثوس الثانية .
بعد أن جاءه تيطس ببعض الأخبار من هناك .

وأخيراً وفي نهاية الرحلة تقريباً ربما في أواخر شتاء سنة ٥٨ م كتب
رسالة رومية غالباً وهو في كورنثوس .

من أورشليم إلى رومية :

ذهب الرسول إلى أورشليم وهناك حدث ما كانوا يحذرونه منه إذ رآه
بعض يهود أسيا في الهيكل يقوم ببعض مطالب الناموس لإرضاء لجماعة

مزمّنة في كنيسة أورشليم ، حتى هيجوا عليه الشعب ، وكاد اليهود يقتلونه لولا أن أنقذه قائد حرس الهيكل ثم أرسله إلى قيصرية ، وهناك بقي في الحبس لمدة سنتين (٥٨ - ٦٠) وبعد جلسات المحاكمة رفع بولس أمره لقيصر كأى مواطن روماني ، فأرسله الوالي ، فذهب إلى رومية بعد رحلة قاسية صعبة ، وهناك بقي في السجن مدة سنتين كاملتين .

وبحسب الرأى السائد بين الدارسين أن الرسول كتب ٤ رسائل في روما تسمى رسائل السجن وهي أفسس وكولوسي وفليمون وفيلبي .

* * *

تنتهى قصة الرسول بحسب سفر الأعمال عند هذا الحد ، ولكن هناك اتجاه قوى بين العلماء أن هذا السجن لم يكن نهاية حياة الرسول ولا نهاية خدمته ، ويبنون رأيهم على أساس النهاية العجيبة لسفر الأعمال ، إذ لا تكشف عن أى شئ سوى أن الرسول مكث مدة سنتين في السجن يبشر الذين يأتون إليه ، ثم أن هناك رسائل منسوبة إليه وهي ما تسمى بالرسائل الرعوية : تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس لا نجد لها مكاناً في أية فترة في حياته قبل سجن رومية . وأخيراً هناك التقليد القوي الذي يقول إن الرسول خرج من السجن ثم ذهب إلى أسبانيا ، وبشر هناك ورجع إلى رومية ، وأخيراً قبض عليه في عهد نيرون ثم قتل في أواخر ذلك العهد ، بعد أن انفجر الاضطهاد العنيف ضد المسيحيين الذي أمر به هذا الامبراطور .

من هنا يتضح أن رسائل الرسول تنقسم إلى ثلاث مجموعات :

- ١- المجموعة الأولى وهي المجموعة التي كتبت أثناء الرحلات وهي - تسالونيكي الأولى والثانية (الرحلة الثانية) . غلاطية ١ و ٢ كورنثوس ، رومية (الرحلة الثالثة) .

٢ - المجموعة الثانية وهي رسائل السجن وتتكون من أفسس و٢ كورنثوس.
وفليمون وفيلبي .

٣ - المجموعة الثالثة المسماة بالرسائل الرعوية وهي ١ و ٢ تيموثاوس
وتيطس .

ومجموع الكل ثلاث عشرة رسالة . أما مسألة الاختلاف بين الدارسين.
على عدد الرسائل التي كتبها الرسول بنفسه وعدد الرسائل التي نسبت إليه ؛
وكذلك بالنسبة لبعض الرسائل التي فقدت فكلها سيجيء ذكرها ودراستها في
دراسة الرسائل واحدة واحدة .

الفصل الأول

رسائل الرحلة الثانية

والآن نتكلم عن رسالتى تسالونيكي أولى الرسائل التى كتبها الرسول فى الرحلة الثانية .

الرسالتان إلى كنيسة تسالونيكي :

كما سبقت الإشارة فإن رسالتى تسالونيكي تعتبران من الرسائل الأولى التى كتبها الرسول بولس ؛ ولعل الرسالة الأولى هى أول رسالة زمنية كتبها إلى كنيسته أو إلى أفراد كما نفهم ذلك من العهد الجديد وخاصة أعمال الرسل .

مدينة تسالونيكي :

كانت تسالونيكي تقع فى عمق خليج ترمابك Thermaic يحيط بها واد سهل غنى ، ولهذا كانت المدينة كبيرة ومزدحمة بالسكان وتعتبر الميناء الأول فى كل مكدونية . وكان يحترقها الطريق العسكرى الشهير من شرقها إلى غربها . بنيت المدينة سنة ٣١٥ ق . م وقد بناها صهر الإسكندر الأكبر وسماها باسم زوجته سالونيكأخت الإسكندر غير الشقيقة . فى سنة ١٦٨ ق . م صارت مكدونية منطقة رومانية . وقد قسمتها الحكومة إلى أربع مقاطعات ، صارت تسالونيكي عاصمة واحدة منها ، ولكن فى سنة ٤٨ ق . م صارت العاصمة لكل مكدونية ووضعت بها نخامية عسكرية كبيرة وفى سنة ٤٢ ق . م عندما

٣٥٣

(م ٢٣ - المدخل إلى العهد الجديد)

حدثت المعركة الكبرى بين أكتافوس وأنطوني من جانب وبرتس من جانب آخر - والتي تسمى معركة فيلبي انخازت تسالونيكى إلى أكتافوس ولذلك كافأها عندما تولى السلطة فجعلها مدينة حرة . وهذا هو السبب الذى جعلها تختار قضاتها منها ، وبرلمانها كان يقوم بأعمالها العامة (أعمال ١٧ : ٥ و ٨) ولكنها كانت شديدة الإخلاص لروما العاصمة وللإمبراطور . وفى سنة ٤٤ م صارت تسالونيكى قاعدة للأسطول الرومانى . وهذا ساعدها على أن تكون عاصمة تجارية سياسية عسكرية . كان سكانها خليطاً من جنسيات كثيرة وكانت بها جماعات دينية كثيرة من جالية يهودية كبيرة وبها مجمع كبير . وإلى جانب ذلك كانت مركزاً لعبادتين من عبادات الديانات السرية : عبادة ديانسيوس الإله الأسطورى الذى يقولون عنه إنه مات وقام ، وأورفيوس وهى عبارة عن نسخة منقحة من الأولى ، وكان الاثنان إلهى الحصب ، ولهذا فقد شاب عبادتهما النجاسات الأهمية الكثيرة .

كيف دخلت إليها المسيحية :

بعد أن خرج الرسول من فيلبي (أعمال ١٦ : ٤٠) ذهب هو وسيلا ومعهما تيموثاوس غرباً على الطريق الحربى الكبير الذى يمتد بطول ٥٣٠ ميلا من الشرق على طول ساحل بحر الأدرياتيك مخترباً مكدونية إلى ناحية الغرب . ودخلوا أمفيبيوليس ثم أبولونية ثم وصلوا إلى تسالونيكى حوالى ٤٩ م . وحالماً وصلوا دخل بولس إلى المجمع ، وكان يحاج اليهود هناك ثلاثة أسابيع كاملة يبرهن لهم من الكتب أمرين فى غاية الأهمية : أولاً أن المسيح يجب أن يتألم وهذا ضد الرأى اليهودى العام ، وثانياً أن يسوع هو نفسه المسيح المتألم الذى تكلمت عنه الكتب المقدسة (أعمال ١٧ : ٣) . فافتتح منهم جماعة يهودية قليلة ٥ ولكن فى مقابل ذلك آمن كثير من اليونانيين القريبين من اليهودية ، ونساء

شريفات أرسقراطيات (أعمال ١٧ : ٤) . وهنا لم يستطع اليهود الصبر إذ
ألهبهم نار الغيرة ، فأرادوا أن يجرؤوا الرسول ورفقاه إلى الحكام ، ولما لم
يجدوهم أخلوا بدلا منهم رجلا كان يسكن الرسول عنده اسمه ياسون ، ورفعوا
عليهم قضية ، فأخذ الحكام كفالة مالية منه ومن باقي المسيحيين وأطلقوهم .
ويؤخذ من ١ تسالونيكي ١ : ٨ - ١٠ أن التبشير الحقيقي قد حدث في
الشوارع والأزقة والسوق حيث ربح المبشرون كثيرين وبنيت كنيسة ضخمة
في تسالونيكي . وبينما هم يعملون كان الرسول يشتغل بكل همة في النهار لكي
يكسب قوته مع الذين يعملون معه . ولعل ذلك كان بسبب مجاعة اجتاحت
العالم اليوناني في ذلك الوقت ، ولأنه لم يرد أن يكون مثل أولئك المعلمين
الذين كانوا يبيعون الكلام والفلسفة ولا يهتمون إلا باستغلال سامعيهم (أعمال
١٣ : ٦ - ١٢ ، ١٩ : ١٣ - ٢٠) ومع أنه كان يمكنهم أن يأكلوا من
الإيجيل كما فعل رسل المسيح ، إلا أن الرسول ورفقاه رغبوا في أن يستقروا
عن الكنيسة ولا يستغلونها . (١ تسالونيكي ٢ : ٦ و ٧ و ٩ ، ٤ : ١٠ ،
٢ تسالونيكي ٣ : ٧ - ٩) . ويؤخذ من فيلبي ٤ : ١٦ أن الكنيسة هناك
أرسلت له معونة مرة ومرتين . ويلاحظ هنا وجود الفرق في التبشير بين
اليهود وبين الأمم . فقد رأينا أن الرسول كان يركز بالأمم المسيح وقيامته
لليهود ، وأن يسوع الناصري هو نفسه المسيح . ولكنه كان يركز للأمم أن
يرجعوا من عبادة الأصنام التي تنفع : إلى عبادة الله الحي . وفي هذا الأمر
اشترك المسيحيون واليهود معاً في تبشيرهم . . ولكن المسيحيين زادوا بأن
بشروا بيسوع المسيح المخلص الذي أرسله الله للبشر حتى يخلصوا من هذا
الجيل الشرير ، ويهربوا من غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور
الناس (١ تسالونيكي ١ : ٩ و ١٠) وهكذا تكونت كنيسة تسالونيكي
الكبرى .

لماذا كتبت الرسالة :

بعد أن خرج الرسول من تسالونيكي سار إلى بيرييه وبشر هناك وكانت بها جالية يهودية كبيرة ولكنها كانت أشرف من سكان تسالونيكي من اليهود الذين جاءوا وهيجوا الشعب ضد الرسول فذهب إلى أثينا . ويلوح أنه كان يحاول بكل جهده أن يرجع إلى تسالونيكي ، ولكن عوائق شديدة كانت تقف في وجهه (١ تسالونيكي ٢ : ١٧) . ولذلك أرسل إليهم تيموثاوس الذي ذهب لكي يعظهم ويثبتهم في ضيقاتهم التي سببها لهم اليهود (٣ : ١ - ٥) ثم رجع وتقابل مع الرسول في كورنثوس وقدم له تقريراً عن الكنيسة وعلى أساس هذا التقرير كتب الرسول هذه الرسالة . فهل يمكن أن نعرف بعضاً من عناصر هذا التقرير الذي بنيت عليه الرسالة ؟ يلوح أنه يتكون من ٣ عناصر رئيسية :

١ - تقرير عن حالة الكنيسة وما أصابها من اضطهادات كثيرة من أهلهم ، كما حدث للكنيسة اليهودية في اضطهاد اليهود لهم ، ومع ذلك فهي كنيسة صامدة وصابرة (١ تسالونيكي ٢ : ١٤) .

٢ - تقرير عن اتهام يوجه للرسول ولإنجيله الذي يبشر به ، فقد قال بعضهم إن إنجيله مبني على أخطاء لأنه إنجيل بشري . وليس إلهياً . ولا يمتاز بولس عن جماعة المشعوزين الذين يسرون شرقاً وغرباً يوزعون كلاماً كثيراً دون عمل ، ولا يهتمهم إلا مصالح أنفسهم ، والدليل على ذلك أنه هرب ليلاً من المدينة ولن يرجع إليها مرة أخرى (٢ : ١ - ١٣) .

٣ - أما العنصر الثالث في هذا التقرير الضخم يختص بأفراد مخصوصين من الناس يصفهم في ٥ : ١٤ أنهم « بلا ترتيب . صغار النفوس وضعفاء » ، كان عيب بعضهم أنهم ما زالوا يسلكون في نفس الطريق التي

كانوا يسلكون فيها من قبل عندما كانوا يعيدون عن المسيح ، في النجاسة والزنا أى الخطايا التي كانت متفشية في تسالونيكي (٤ : ١ - ٨) . أما البعض الآخر فقد لفهم الحزن على جماعة ماتوا بعد أن تركهم الرسول ، وقد كانوا يظنون أن المسيح سوف يأتي سريعاً وسوف يأخذون معه . ولكنهم ماتوا قبل أن يأتي ، ولهذا فلا نصيب لهم في مجد المسيح ، فكانت عقيدة مجيئ المسيح الثاني سبباً في حزن هؤلاء (١ تسالونيكي ٤ : ١٣ - ١٨) .

هذه هي العناصر الرئيسية في تقرير تيموثاوس وهذا ما دفع الرسول أن يكتب لهم هذه الرسالة فإذا قال لهم الرسول ؟

مضمون الرسالة :

١ - كان الإحساس بالشكر العميق لله لأجلهم وللأخبار التي حملها له تيموثاوس عنهم قوياً يملأ الأصحاحات الثلاثة الأولى من الرسالة . هذا الفرح جعله ينظر إلى الوزراء أى إلى خدمته بينهم وتأثير الكلمة فيهم وظهورها بقوة في حياتهم فيذكرها في الأمور التالية .

(أ) إنه يذكر بلا انقطاع حياتهم بعد الإيمان التي تميزت بالفضائل المسيحية العظيمة : الإيمان والرجاء والمحبة (١ : ٣) . ولكن هذه الفضائل لم تكن كلمات لاهوتية ولكنها مواقف عملية ، فالإيمان له عمل والمحبة لها جهاد . والرجاء مثمر في الصبر رغم كل الضيقات المريرة . هذه الحياة المسيحية هي الدليل على أن الإنجيل الذي قدمه لهم لم يكن كلاماً ككلام الفلسفة ، ولكنه كان يتميز بقوة الروح القدس (١ : ٥) ، ولقد تجسم هذا الإنجيل فيهم ، حتى أن كلمة الله قد انتشرت لأن إيمانهم ذاع بين الناس وأخبر به كثيرون (١ : ٩) حتى أن الرسول نفسه لم يكن له حاجة أن يعظ ، لأن أخبار

لإيمانهم وحياتهم قد سبقته ؛ وعمل الروح القدس بواسطتها ، فأمن الكثيرون وقبلوا الإنجيل ورجعوا إلى الإله الحي الحقيقي تاركين الأوثان وانتظروا ابنه من السماء (١ : ٩ - ١٠) .

(ب) ثم يذكر الرسول موقفه منهم وعمله بينهم ، إنه لم يكن معهم كما أشيع عنه ، مثل المعلمين الكذبة الذين كان كل همهم كان منصب على أنفسهم فلا يهتمون بالرعية (٢ : ٣) . ولكنه قبل رسالة الإنجيل من الله فهو أمين لها لأنه أمين لله . وحاول ألا يثقل عليهم بشئ* ، ولم يطلب منهم مالا ، وكان يمكنه بل ومن حقه أن يفعل ذلك (٢ : ٦) . ليس ذلك فقط ولكنه عمل معهم في حنان الأم المرضعة وفي تشجيع وإرشاد الأب لأولاده (٢ : ٧ - ١١) وهم أيضاً قد استجابوا له وللرسالة فقبلوا كلام الإنجيل ككلمة الله وليس من إنسان (٢ : ١٣) .

(ج) ويذكر ما أصابهم من غير المؤمنين من حولهم وخاصة من اليهود ولم يكن جرم اليهود قاصراً عليهم فقط فهم سبقوا فاضطهدوا المسيح نفسه وكنيستهم في اليهودية وصاروا معاندين لله مرفوضين قد أدركهم الغضب إلى النهاية (٢ : ١٤ - ١٦) .

ويعتذر الرسول عن عدم مجيئه إليهم : لقد كانوا على قلبه منذ أن تركهم وحاولوا مرتين أن يذهب إليهم ولكن أسباباً قاسية سببها الشيطان منعه من ذلك ، وكان هذا فوق ما يحتمله هو (٢ : ١٨ - ٣ : ١) فلم يجد طريقة غير أن يرسل إليهم تيموثاوس مع أنه كان في مسيس الحاجة إليه ، لكنه يقول « استحسننا أن نترك في أثينا وخذنا » . فوجود تيموثاوس معه كان ضرورياً ليس للرسول فقط ولكن للعمل أيضاً في أثينا وكورنثوس ، ولكن محبة الرسول لتسالونيكي وقلقه عليهم جعله يرسله إليهم (٣ : ٢) . وهذا

يبطل قول الذين ادعوا ضده أنه هرب من تسالونيكي ولن يمود إليهم ، لأنه ككل المعلمين الذين ينتشرون في هذه البلاد لكي يستغلوا السامعين بكل طريقة ممكنة ثم يتركونهم هكذا وينسونهم ، لأن كل همهم هو أنفسهم . إن الرسول ليس من هذا النوع ، لقد كان قلبه ملتجئاً إليهم وعلى إيمانهم ، فأرسل تيموثاوس للمهمة العظيمة الحبيبة لقلبه هو : حتى يشبههم ويعظهم ، وليعرف هل أمكن للمجرب أن يزرع إيمانهم ، وبذلك يكون تعب الرسول ومن معه في تبشيرهم قد ذهب هباء (٣ : ٥) .

ولكن تيموثاوس يأتي حاملاً معه البشرى العظيمة : إيمانهم ومحبتهم ما زالوا قويين (٣٠ : ٦) ، وأن كل إدعاءات وافتراعات الأعداء عليه لم تزرع محبتهم له ، بل إنهم يحبونه ويذكرونه دائماً ذكراً حسناً ، بل وجدهم تيموثاوس مشتاقين أن يروه . ولهذا فقد فرح فرحاً عظيماً وتعزى ورغم كل ضيق وألم (٣ : ٧ - ٩) وأنه يطلب من الله أن يزيدهم في المحبة بعضهم لبعض وللجميع (٣ : ١٢) وأن يستمروا في طهارة وقداسة القلب في كل حين أمام الله إلى أن يأتي المخلص من السماء مع جميع قديسيه (٣ : ١٣) .

٢- وهنا يأتي الجزء الثاني من الرسالة (ص ٤ و ٥) حيث يعالج الرسول بعض نقصات الإيمان التي تظهر في بعضهم . إن غالبية أعضاء الكنيسة بخير ولكن هناك مجموعة من الأعضاء لا بد من تقويمهم .

(أ) هؤلاء الذين لازالوا يمارسون العادات الأئمية التي كانوا غارقين فيها من قبل ، وخاصة نجاسة الزنى ؛ يجب أن يعرفوا أن إرضاء الله يتطلب القداسة الخلقية ، لأن هذه هي إرادة الله قداسكم « (٤ : ١ - ٨) . إنه أوصاهم بهذا وعرفهم أن القداسة هي هدف دعوة الله لهم (٤ : ٧) وهي إرادته في حياتهم ، وهي السلوك المسيحي الحقيقي ..

(ب) أولئك الذين يعيشون عائلة على الآخرين يجب أن يهتموا بأن يعملوا ويسلكوا بلياقة حتى يراهم الذين هم من الخارج في منظر يليق بمسيحتهم ،
وإلا يكون لهم حاجة إلى أحد في وقت يستطيعون فيه أن يعملوا كل ما يقدرون
عليه حتى يعيشوا معتمدين على أنفسهم وعملهم (٤ : ١١ - ١٣) .

(ج) أولئك الخائفون على موتاهم يجب أن يطمئنوا . إن الرجاء الذي
لنا في المسيح مبنى على أنه قهر الموت ؛ ولذلك فكل الذين هم له قد غلبوا
الموت فعلا فيه ؛ وسوف تعلن تلك الغلبة عند مجيء الرب . فكما قام هو من
بين الأوت هكنا سيقيم كل من مات في المسيح . فعندما يأتي الرب ويقابل
الأحياء فإنه لا يأخذهم إليه إلا بعد أن يقيم الذين ماتوا فيه . إنهم يقومون
أولا أى قبل الاختطاف وهكنا سيكون لكل المؤمنين ، سواء الذين رقدوا
قبل مجيء الرب أو الذين يبقون أحياء إلى مجيئه ، معه في كل حين ، فلا يستطيع
الموت أن يحرم المؤمن من بقاءه بجسده الممجّد مع سيده ولنلاحظ هنا
أن كلمة أولا لا تقابل قيامه الأبرار بقيامة الأشرار لأن لا ذكر للأشرار
هنا ، والرسول لا يتكلم عن المجيء الثاني عامة بل لأنها تقارن قيامة الأبرار
باختطاف المؤمنين ، إن القيامة تحدث قبله (٤ : ١٣ - ١٨) .

(د) أما الذين يجلسون ويحسبون الأزمنة والأوقات ويقولون إن الرب
آت اليوم أو غداً فليعلموا أنه لا داعى لذلك لأن يوم الرب كلص وسوف
يأتى فجأة وفي مجيئه سيفاجئ المظلمين الذين يبنون سلامهم على الباطل فلا
ينجون منه ومن عقابه لهم . لكنكم أنتم المؤمنين يجب أن تسهروا وتصحوا .
لأن الوقت ليس في يد الإنسان بل تحت تحكم الله . فلا يجب أن تنزعج من أى
شئ سواء كان مجيء الرب بعيداً أم قريباً بل لنكن مستعدين وليأتى في الوقت الذي
يشاء ويسر أن يأتى فيه ، وبذلك نكون أبناء نهار وليس أبناء ليل (٥ : ١ - ١١)

وأخيراً يعطى الرسول بعض الوصايا الهامة للمؤمنين وخصوصاً بالنسبة للذين يدبرونهم . فإن كان الرسول ومن معه قد تعبوا ليل نهار لكي لا يضيفوا عليهم ضيقاً أكثر ، فهذا الأمر يجب ألا يكون القاعدة العامة . إنهم الآن للرب ويجب أن « يعرفوا الذين يتعبون بينهم ويدبرونهم في الرب وينذرونهم وأن تعتبر وهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم » (٥ : ١٢ - ١٣) .

الرسالة الثانية :

هذه الرسالة كتبت بعد الرسالة الأولى ولم يكن قد مضى عليها أكثر من شهرين أعنى سنة ٥٠ م ويلوح أن الرسول وسلوانس (سيلا) وتيموثاوس كانوا في كورنثوس (٢ تسالونيكي ١ : ١) . ومن يقرأ هذه الرسالة يجد أن الظروف التي كانت تسود تسالونيكي عند كتابة الرسالة الأولى لم تتغير كثيراً . فهو ما زال يفخر بهم لأجل صبرهم وإيمانهم رغم استمرار الاضطهادات الكثيرة التي كانت تقع عليهم من العالم (١ : ٤) . وأنه يثق فيهم وأنهم يعملون كل ما يوصيهم به . نفس ما قاله لهم في الرسالة الأولى (٢ تسالونيكي ٢ : ١٧ ، ٣ : ٣ - ٥)

لماذا كتبت هذه الرسالة :

يدكر الرسول أنه سمع أن هناك من سلك بلا ترتيب (٣٠ : ١١) ويلوح أن جماعة من الكنيسة ذهبوا إليه في كورنثوس وأعطوه تقريراً عن أشياء جديدة حدثت في الكنيسة سببت أزمة وبعض الاهتزازات فيها فقد فهموا كلام الرسول خطأ وأشاعوا أن يوم الرب قد حضر وأنه قد جاء (٢ : ٢) . وهذه الإشاعة دفعت أولئك الكسالى ، الذين كانوا يرفضون العمل ويظنون أن الرب قد جاء ، وسوف يظهر في الحال ، إلى التماذى فأصبحوا أكثر

كسلا واستمروا عالة على الناس (٣ : ١١ و ١٢) وليس ذلك فقط فقد زادت من ضعف الضعفاء في الإيمان .

فعندما سمع الرسول هذا التقرير كتب هذه الرسالة الثانية ليحاول علاج هذا الموقف الجديد .

مضمون الرسالة :

قبل أن نذكر مضمون هذه الرسالة يجب أن نذكر أمرين في غاية الأهمية لفهم الرسالة . الأمر الأول هو أن الرسول لم يكتب هذه الرسالة ، بكل ما فيها من عناصر لاهوتية ، كرجل لاهوتي يريد أن يكتب عقائد ، ولكنه كتبها في روح الراعي الذي يحب رعيته ويشفق عليها ، ولهذا ذكر هذه الأمور اللاهوتية لا لذاتها بل لكي يعزى هؤلاء الذين يتألمون من هذا الموقف . . ولو كتب الرسول هذه العقائد اللاهوتية لذاتها لكان أكثر تفصيلا ، ولذكر أمورا لم يذكرها في الرسالة ، إذ ترك أمورا هامة كان يجب أن يذكرها كما سيظهر لنا في مضمون الرسالة :

أما الأمر الثاني فهو الأهمية التصوي التي يعطيها الرسول للتعاليم التي أعطاها لهم ؛ سواء في وعظه بينهم . . أو في رسالته . إنه يذكرهم بكل ما قاله لهم وهو عندهم (٢ : ٥) ثم يأمرهم بالثبات والتمسك بالتعاليم التي تعلموها منه سواء بالكلام أم بالرسالة (٢ : ١٥) أما الأخ الذي لا يطبع هذا التعليم الذي أخذه من الرسول فيجب عليهم أن يتجنبوه (٣ : ٦) . ثم يذكرهم بكل ما أوصاهم به وما كلمهم عنه وغير ذلك ، مما يدل على أنه ينبر كثيرا على التعاليم التي علمها لهم . حتى أن هذه الرسالة التي أرسلها لهم يجب أن تعتبر من ضمن التعاليم التي يجب أن يطيعوها ، ومن يعصها فليحسب أنها ناشزا (٣ : ١٤) . . هذه التعاليم المهمة التي قالها وأرسلها لهم في الرسالة تدل على

الإحساس بالسلطان الذي لدى الرسول بولس ، هذا الإحساس جعله في رسائل لاحقة يسمى ما يكرز ويبشر به أنه « إنجيلي (٢ : ١٤ أنظر رومية ١٦ : ٢٥) وأن له دراية واسعة بسر المسيح الذي أعطاه إياه بإعلان (أفسس ٣ : ١-٤) فهو إذن راع ولكنه راع له سلطان وأن كل ما يقوله هو من صميم الإنجيل الذي أعلنه له السيد نفسه ، فيجب أن يطاع ، لأنه هو اختيار لأمانة ومسيحية الشخص .

وإذ نرجع إلى مضمون هذه الرسالة نجده يقول :

١- إنه لا يزال يشكر الله من أجلهم لأن إيمانهم رغم كل الضيقات بل في كل الضيقات ينمو ويزداد، ومحبة كل واحد لأخيه تزداد أيضاً (١ : ٣ و ٤) . وهذه الضيقات تؤهلهم للمكوث ربنا يسوع المسيح ، لأنهم يتألمون لأجله ولأجل حياتهم فيه . أما الذين يضايقونهم فالرب سوف يجازيهم ضيقاً ، أما هم فسيعطاهم الرب نعمة وراحة وذلك عند مجيئه (١ : ٥-٧) .

٢- وهنا ينتقل الرسول أيضاً ليؤكد لهم ما يزيد من تعزيتهم أن الرب سوف يجي ومجيئه لا شك فيه : إنه سوف يجي للدينونة لأنه سيجي في ملائكة قوته ليعاقب الذين لا يطيعون الإنجيل بهلاك أبدي (١ : ٨ و ٩) ولكنه في نفس الوقت يتمجد في قديسيه إذ يرفعهم ويمجدهم ويعزيهم وسوف ينظر الذين يضطهدون المؤمنين إليهم وهو يمجدهم فيتعجبون لذلك بل ويخزون (١١ و ١١) .

٣- ولكن رغم التأكد من مجيئ الرب يلوح أن بعضهم لم يستطع أن يفهم ما قاله الرسول لهم بهذا الخصوص . لقد بشرهم بمجيئ الرب كحقيقة هامة ينتظرها كل مسيحي محب للرب ، فإن ما بدأه السيد لا بد وأن يكمله ، لقد بدأ عمل الخلاص وسوف يكمله بمجيئه الثاني . هذه حقيقة ثابتة ، ولكن الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء الأعضاء هو أنهم لم يأخذوا قول الرسول كله :

لقد قال لهم إن هناك حوادث سوف تسبق مجيء الرب . إن ارتداداً عظيماً
ومرعباً سوف يأتي أولاً ، الشيطان لن يسكت ، ذلك الذي حارب مجيء السيد
الأول بكل ما أوتي من خداع ومن فكر لا بد وأن يحارب مجيئه الثاني ،
بإيجاد البلبلة في عقل المؤمنين من جهة المجيء كما يحدث الآن في تسالونيكى ،
ثم بواسطة الارتداد الفظيع الذى يأتي قبل . إن هذا الارتداد يتلخص في ظهور
شخصية يسميها الرسول «إنسان الخطيئة . ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل
ما يدعى إلهاً أو معبوداً حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله مظهر نفسه أنه إله »
(٢ : ٣ و ٤) . من هو هذا الإنسان ؟ ماذا يعمل ؟ هل هو بشرى أم هو
قوة أخرى ؟ إن الرسول لا يكشف في رسالته ذلك لأنه كان قد قال لهم شيئاً
باعتنه . قال لهم . « أما تذكرون أنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا »
(٢ : ٥) ؟ لكننا لا نعرف ماذا قال لهم . هل كشف لهم عن هذه الشخصية ؟
هل عرفوا أبعادها ؟ أغلب الظن أنه لم يفصح كثيراً عنها ولهذا فلم يستطيعوا
أن يدخلوها في اعتبارهم عندما كانوا يفكرون في مجيء السيد .

هناك شيء آخر يذكره الرسول لهم وهو ما يحجر ظهور إنسان الأثم
واستعلائه . وهو يتكلم عن ذلك بكيفية تكشف عن معرفتهم له « والآن
تعلمون ما يحجز . . . » (٢ : ٦) . من هو الذى يحجز ؟ هل الروح القدس ؟
هل قوة أخرى ؟ لا نعرف . إن أفكاراً كثيرة ذكرت ولكنها اجتهادات
لا تستند على برهان قاطع أو رأى حاسم ، لأن الرسول لا يكشف عن الحقيقة
في الرسالة كما كان يكشفها لهم في كلامه معهم . فهم كانوا يعرفون ما يقول ،
وكان هذا شيئاً مفترضاً لدى الرسول ولديهم . ولكننا نحن لا نعرف ولهذا
فلسنا مطالبين أن نجهد اجتهادات قد تكون أبعد ما يكون عن فكر الرسول ،
وحتى إذا اجتهدنا فيجب أن نعرف الحدود التي نقف عندها وألا نفتكر أننا
قد وصلنا إلى فك الألغاز التي تحيط بهذا .

ما يريدنا الرسول الآن أن نعرفه هو أن الرب سيأتى ، هذا أمر مؤكد .
وجزاء من إيماننا الأقدس ، وأن موجة من الارتداد سوف تحدث . لكن
ما نوعها وكيف تكون فلا نستطيع أن نعرف . ولذا نذكر أن موجات كثيرة
من الارتداد قد حدثت فى تاريخ المسيحية ، وفى كل مرة كان كثيرون
يعتقدون أنها الموجة التى تسبق مجئ الرب ، ولكن لم يحدث ذلك . وهذا
يعطينا درساً واضحاً وهو أن هناك أشياء كثيرة يعرفها الرب نفسه ولم يكشفها
لنا إلى الآن .

إنها رسالة تتكلم لنا كما كانت تتكلم لجماعة تسالونيكى .

الفصل الثاني

رسائل الرحلة الثالثة

« رسالة رومية »

رسالة رومية تعتبر من أهم ما كتب الرسول بولس واضعاً فيها كل خبرته واختباره طيلة سنوات طويلة . ومع أنها تأتي كأول رسالة في ترتيبها في العهد الجديد ، إلا أنها في الحقيقة تعتبر من ضمن الرسائل التي كتبت متأخراً ، ومع أنها أيضاً مملوءة بالنظريات اللاهوتية العميقة إلا أنها رسالة مرسل يكتبها صاحبها وهو يجرى في الحقول المرامية الأطراف ، ويضع فيها ما يهم الكنيسة والأفراد ، والرسالة قبل أن تكون رسالة لاهوت نظامي هي رسالة لاهوت عملي ، يخاطب فيها الرسول كل المؤمنين من خلال كلامه إلى كنيسة رومية . إن محتوياتها ليس نظريات ولكنه إيمان حي لرجل قد خبر الله . وإن كان قد استخدم بعض المنطق لكنه وراء المناقشة نحس الاقتناع الحي من شخصية قد خبرت المسيح وخلاصه ، فأمن أنه يستطيع أن يخلص العالم كله .

في كتبها الرسول :

عرفنا فيما سبق أن الرسول كتبها في أواخر رحلته الثالثة . فبعد أن انتهى من عمله في أفسس سافر إلى مكدونية ليأخذ منهم العطاء الذي جمعه لأجل أورشليم (أعمال ٢٠ : ٢ مع ٢ كورنثوس ٨ : ١ و ٢) ومن مكدونية إلى هلاس ومن هناك إلى كورنثوس لكي يأخذوا منهم ما جمعه لأجل القديسين

(٢ كورنثوس ٩ : ٤) . ويلوح أنه كتب رسالة رومية في تلك الفترة التي مكثها في كورنثوس ، وقد كانت معه كل العطية (رومية ١٥ : ٢٦) وبما يؤيد هذا الرأي أيضاً توصيته بقيي خادمة كنيسة « كنخريا » وهي مدينة ميناء كورنثوس (رومية ١٦ : ١ و ٢) . وأنه كتب هذه الرسالة من بيت غايس ، ربما الذي عمده الرسول (رومية ١٦ : ٢١ و ٢٢ ، ١ كورنثوس ١ : ١٤) وكان ذلك حوال شتاء ٥٦/٥٧ م .

لماذا كتب الرسول رسالة رومية :

يذكر الرسول نفسه سبباً هاماً جداً لكتابة رسالته هذه . (ففى ص ١٥ : ١٤ - ٣٢) يذكر أنه قام بتبشير الجزء الشرقى من العالم الرومانى المعروف فى ذلك الوقت ، حتى أنه بشر من أورشليم إلى الليريكون (وهى منطقة على الساحل الشرقى من بحر الأدرياتيك) ، ولم يبق له مكان بعد فى هذه المناطق ليبشر فيها ، ولكنه لا يريد أن يكتب بذلك . بل سيذهب إلى الغرب ، إلى أسبانيا . وسيمر بهم ويمكث معهم .

إن الرسول يعتذر أنه لم يستطع أن يأتى إليهم (عدد ٢٢ أنظر ١ : ١٣) . ولعل انشغاله الكثير فى العمل أعاقه عن الذهاب إليهم ، ولعل عدم رغبته فى أن يبني فى مكان أسسه آخرون كان عاملاً مساعداً فى عدم ذهابه إليهم (عدد ٢٠) ولكنه مع ذلك يريد أن يتخذ رومه قاعدة ومن هناك يتجه ناحية الغرب ، مثلاً اتخذ من أنطاكية ، التى لم ينشر المسيحية فيها أيضاً قاعدة له للتبشير مدة السنوات العشر الماضية فى رحلاته . ولذلك فهو يكتب لهم مهدداً الطريق لنفسه . ولكن بعض العلماء يرون أن هذا التمهيد ، خاصة وقد جاء قرب نهاية الرسالة وفى أعداد قليلة نسبياً ، ليس هو السبب الوحيد لهذه الرسالة ، بل هناك ما هو أعمق من ذلك ، ولقد اجتهدوا فى استنباط الأسباب فمثلاً :

١ - قال باور في القرن التاسع عشر إن بولس الرسول أراد أن يضرب
التهوديين الذين يطلبون أن يدخل الأسمى اليهودية ويخضع للناموس قبل أن يصبح
مسيحياً وقد ظهوروا في رومه ، ولهذا كتب هذه الرسالة ، وشدد بقوة على
عدم نفع الناموس وحتمية الخلاص بالإيمان . ولكن هذا الرأي لم يعد مقبولاً
من أحد في هذه الأيام لأنه أضعف كثيراً من أن يفسر رسالة كهذه ويكشف
الغرض منها .

٢ - قيل إنه أراد أن يضع عناصر الإنجيل الذي يبشر به أمام كنيسة
من الكنائس الكبرى ويفسره حتى يصبح عقيدة ثابتة ، وهذا رأى مقبول لدى
كثيرين ، إلا أنه يواجه الاعتراضات التالية : أولاً : وجود مسحة شخصية
في الرسالة في الأصحاحات ١ : ٧ - ١٥ مما يدل على أن الرسالة لها طابع شخصي
لا يوجد في رسالة عقائدية . ثانياً : غياب بعض العقائد المسيحية الكبرى التي
ينبر عليها الرسول في أمكنة أخرى مثل عقيدة الكنيسة والأبناطولوجي وغيرها
مما لا يمكن أن يحدث إذا كان الغرض منها أن تكون رسالة عقائدية . ثالثاً :
وجود الأصحاحات ٩ - ١١ يضعف هذا الرأي .

٣ - إن الرسول إذ يجلس الآن لكي يكتب هذه الرسالة فإنه يضع فيها
كل اختباره كمرسل إلى الأمم . إن ما في هذه الرسالة - كما سبق القول -
ليس نبذة لاهوتية ، ولكنه لاهوت مبني على الواقع ، على ما رآته عيناه .
واختبره في الحقل ، وقد فتح الروح القدس عيني الرسول على الكثير في
خدمته ، وكشف له أسراراً متعددة (رومية ١١ : ٢٥ ، أفسس ٣ : ١ - ١١)
... إلخ . وهو يريد أن يشارك المؤمنين الذين لم يبشرهم ولم يقابلهم ككنيسة
في اختباره هذا . وليس أدل على ذلك من وجود ٩ - ١١ ومن اقتباساته
الكثيرة من العقائد المشتركة في الكنيسة وشرحها مثل ١ : ٣ ، ٤ ، ٣ : ٢٤ -

٢٦ . . إلخ) . مما يسهل على القارئ قبول رأيه والتمسك به . إنه يريد أن يكشف عن الإيمان المشترك لإيمانه وإيمانهم فيتعزبان معاً . (١ : ١٢) .

ومما يقوى هذا الرأي أن الرحلة إلى أورشليم لم تكن شيئاً سهلاً ، بل كان الرسول يحس كأن شيئاً سوف يحدث له فيقول لكنيسة رومية « فأطلب إليكم أيها الإخوة ربنا يسوع المسيح وبمحببة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله لكي أتقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية .. » (١٥ : ٣٠ و ٣١) فهل كان يخاف لئلا يحدث له أمر ما في أورشليم كأن يقتلونه مثلاً ولهذا فإنه يكتب اختباره كمسيحي وكمرسل وكخادم للمسيح ؟ .

٤ - لكن يجب ألا ننسى الواقع التاريخي للكنيسة . فلا بد أن الرسول سمع من أكبلا وبريسكلا عما هو موجود فيها من مشكلات بين اليهود المسيحيين والأمم المسيحيين (١٥ : ٧ - ١٣) وربما كانت هناك مشكلات أخلاقية أيضاً . فأراد أن يعالج هذا أيضاً وخصوصاً في الأصحاحات ١٢ - ١٥ وقد فعل ذلك إلى جانب أنه شرح الإنجيل الذي هو أساس الكنيسة والمسيحية إذ يقول عنه « لست استحي بإنجيل المسيح الذي هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني لأن فيه معلن بر الله من إيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا (١ : ١٦ و ١٧) . وهذا الإنجيل يخلص به اليهودي والأمة فلا فرق بين الاثنين أمام الله :

هذه هي بعض الدوافع التي نلمسها في الرسالة التي دفعت الرسول إلى كتابتها في ذلك الوقت .

كنيسة رومية :

ولكن ماذا يمكن أن نعرف عن كنيسة رومية ؟ إن أول ما نسمع عن كنيسة رومية في أعمال الرسل ٢٨ : ١٥ إذ يطلق عليهم الرسول لقب

٣٦٩

(م ٢٤ - المدخل الى العهد الجديد)

« الأخوة » ، ثم في رسالة رومية نفسها (١ : ١٣ ، ١٥ : ٢٢) . ومن هذه الشواهد نعرف أن الكنيسة كانت هناك قبل كتابة الرسالة نفسها . وفي كتاب (تاريخ كلوديوس) يقول سوتينوس ٢٥ : ٢ إن كلوديوس طرد اليهود من روما لأنهم يسبيون اضطراباً مع خرستوس المضلل « ولعل هذا الاسم خرستوس هو اسم المسيح ، وأن المسيحية انتشرت في روما قبل طرد اليهود منها الذي حدث في سنة ٤٩ م . ويؤيد هذا ما جاء في أعمال ١٨ : ٢ . ويلوح أن الرومانيين لم يفرقوا بين اليهود والمسيحيين ، فطردوهم أجمعين فذهب أكيليا مع زوجته بريسكلا إلى كورنثوس . وهناك تقابلا مع الرسول بولس . فإذا كانت المسيحية ثم الكنيسة قد وجدت في روما قبل سنة ٤٩ م . فكيف جاءت إليها ؟

في أعمال ٢ : ١٠ نجد أن اليهود الذين جاؤوا إلى العيد كان منهم رومانيون وكانوا يهوداً أصلاً ودخلاء ، ومن يدري فلعل بعضهم آمن بالرب يسوع وقبله ثم رجع لكي يبشر بالإيمان الجديد .

ولعل بعض الذين هربوا من الاضطهاد بعد قتل اسطفانوس ، وربما كانوا مثله من يهود الشتات ، قد ذهبوا إلى روما حاملين معهم دفعة للإيمان المسيحي وبشروا هناك .

وربما جاءهم الإنجيل عن طريق التجار الذين ذهبوا إلى روما وقد يكون هناك عنصر عسكري في ذلك لأن بعض الذين آمنوا كانوا من الجنود والعساكر مثل قائد المئة الذي كان عند الصليب (لوقا ٢٣ : ٤٧) .

ومعنى ذلك أنه لم يكن هناك شخص بمفرده ولا حتى رسول مسئول عن تبشير رومية ، وبني الرب الكنيسة في روما كما بناها في دمشق وغيرها بواسطة

أناس مجهولين لم نسمع عنهم ، بل رأهم الرب واستخدمهم . أما الرأى بأن
بطرس الرسول هو أول من أقام كنيسة روما فلا يظهر له أثر في العهد الجديد ،
لأن بطرس نفسه كان في أورشليم عند انعقاد المجمع الكنسى الأول في أورشليم
سنة ٥٠ م (أعمال ١٥ : ٧) وفوق ذلك فإن الرسالة لا تذكر اسم الرسول
بطرس بالمرّة وهذا أمر يصعب تفسيره لو كان هو الذى أسسها . نعم تذكر
التقاليد أن بطرس وبولس استشهدا في روما . لكن ذلك لا يعنى أنهما أو أن
أى منهما مسئول عن تأسيس هذه الكنيسة .

تكوين الكنيسة :

انقسم علماء القرن الماضى إلى فريقين ، فبعضهم ومنهم باور وأتباعه كانوا
قد اعتقدوا أن غالبية الكنيسة كانت من اليهود المنتصرين الذين قبلوا المسيح
ولكنهم كانوا قد أبقوا على الناموس كعامل مساعد في الخلاص ، أى أنهم
كانوا أقرب إلى اليهوديين ، وبذلك كانوا ضد بولس في آرائه .

أما الفريق الثانى وعلى رأسه Zahn زهن فإنه يوافق على رأى باور
ولكنه يعارضه في أنهم كانوا على خلاف شديد مع الرسول بولس .

أما علماء العصر الحاضر فيعتقدون أن الغالبية كانت من المسيحيين
الأمم . أما الرسالة فإنها تظهر هذه الحقائق :

(أ) كان في الكنيسة جناح قوى من أصل يهودى ففى (رومية ٢ : ١٧ -
٣ : ٨) . يعلن الرسول أن اليهود أنفسهم مهما عملوا وبرروا أنفسهم
لازوا خطاة .

في ٣ : ٢١ - ٣١ يظهر الطريق الصحيح للبر وهو الإيمان بالمسيح
ويبنى على ذلك دفاعه عن نفسه من أنه لا يبطل الناموس بعقيدته هذه ولكنه
بالعكس فهى تثبت الناموس (٣ : ٣١) .

في ٤ : ١ يسمى إبراهيم « أبونا » ويضع نفسه مع اليهود في صيغة الجمع .

في ٦ : ٦ - ٧ يحارب الموقف اللاناموسي على أنه موقف لامسيحي من ص ٩ - ١١ بدرس بعمق المسألة اليهودية المستعصية لذلك العصر الأول .

من ١٤ : ١ - ١٥ : ٣ يصف حالة بعض المسيحيين الضعفاء ، ومن يدقق النظر في هذا الجزء يلاحظ أنه كان يقصد اليهود .

أما الدليل الرئيسي على وجود عنصر يهودي قوى في الكنيسة فهو مضمون الرسالة نفسها إذ يؤكد تماماً على أن الخلاص ليس بأعمال الناموس بل ببر الإيمان بالمسيح يسوع .

(ب) ولكن كان بها أيضاً جناح أممي قوى وهذا يظهر :

(١ : ٥ ، ١٣ - ١٥) يخاطبهم كأمم وأنه هو رسول الأمم ويؤكد ذلك في ١٥ : ١٥ - ١٩ إذ يقول « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرةً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس » (ع ١٦ أنظر ١٣) .

في ٦ : ١١ - ١٣ يذكرهم بخطاياهم السالفة وهي الخطايا التي تفتت في الأمم .

في ١١ : ١١ - ٢٤ : يحذر الأمم من الافتخار على الإسرائيليين والاعتقاد بأنهم أفضل منهم لأنهم مقبولون في الزيتونة بينما الاسرائيليون قد قطعوا منها . . . إنه يحذرهم بشدة .

هذه كلها تدل على الكنيسة في رومية كانت تتكون من جناحين قوين :
الجناح اليهودي والجناح الأممي ، ويلوح أن هناك بعضاً من الجناحين من كان
يريد أن يقوم بانشقاق في الكنيسة ولكن الرسول يحذره بشدة ويدينه (١٦ :
١٧ و ١٨) .

بعض مشاكل الرسالة :

هناك بعض الأمور التي يتساءل عنها العلماء وعادة ما يسمونها مشكلات :
من هذه الأسئلة ما يختص بالأصحاحات ٩ - ١١ وهل كانت لإصلاح
الرسالة أم أنها كتبت وحدها ثم أضافها الرسول إلى الرسالة عندما أرسلها
إلى رومية ، ولكن المشكلة الأكثر تعقيداً في هذه الرسالة هو أصحاح ١٦ وهذه
المشكلة تتكون من شقين وهما :

(أ) أصحاح ١٥ ينتهي في ع ٣٣ بنهاية هي في الحقيقة نهاية رسالة :

(ب) ص ١٦ مملوء بأسماء يرسل إليهم الرسول السلامات والتحيات مع
أنه لم يزر الكنيسة من قبل حتى يعرف كل هذا العدد ، ثم أن معظم هذه
الأسماء تظهر في كنيسة أفسس : وعلى هذا فقد قيل إن ص ١٦ هو رسالة
أرسلت إلى أفسس ثم وضعت مع رسالة رومية عندما جمعت رسائل الرسول
بولس ولكن الحقيقة غير ذلك : فمن عادة الرسول أنه لم يكن يرسل تحيات
إلى أشخاص في الرسائل التي كان يرسلها إلى كنائس خدم فيها مثل كورنثوس
وغلاطية وغيرها لئلا ينسى واحداً من الأعضاء فتحدث غيره وانشقاقات :

ثانياً - هناك كثيرون ممن قابلهم الرسول في أفسس كانوا أعضاء في
رومية ، ربما قضوا في أفسس بعض الوقت ثم رجعوا إلى كنائسهم قبل أكليلا
وبريسكلا وغيرهما .

بعض المصطلحات الهامة في الرسالة :

تميز رسالة رومية أنها كتبت في ظرف لم يكن فيها الرسول في حالة من الألم الرعوى من أجل كنيسة من الكنائس تجرى فيها اضطرابات وانشقاقات كما كان حاله عندما كتب رسائل كورنثوس أو غلاطية . . وغيرهما ، ولكنه كان في حالة من الهدوء والراحة والتأمل العميق فيما عمله الرب معه في السنوات العشر الماضية . وإلى جانب ذلك كان يريد أن يضع لإنجيل المسيح ، كما اختبره هو في حياته ، وكما رآه في حياة الناس في الحقول التبشيرية ، في رسالة يرسلها إلى كنيسة لم يرها ولم تره من قبل ولذلك فقد جاءت هذه الرسالة أقرب إلى المقالات اللاهوتية في كيفية صياغتها ، منها إلى رسالة شخصية تعتمل بالانفعالات المختلفة . ولقد استخدم فيها مجموعة ضخمة من الاصطلاحات التي وردت مثورة هنا وهناك في رسائله الأخرى ، اصطلاحات أخذها من العهد القديم ومن اليهودية ومن الكتابات الهلينية ، ولكنه وضع فيها مفهوماً جديداً من الخبرة المسيحية التي خلقها لإنجيل الله في حياة كل من آمن من اليهود أو الأمم . وبذلك أضحت هذه المصطلحات قوالب لمفاهيم أخرى لم نعرفها من قبل . ولهذا يستحسن أن نعرف شيئاً عنها في هذه المقدمة لكي نفتح لنا الطريق لفهم فكر الرسول في رسائله .

وتنقسم هذه المصطلحات إلى ثلاث مجموعات :

الأولى تتعلق بالإنسان وحالته في خطيته قبل الإيمان .

والثانية تتعلق بعمل الله القدسي في المسيح يسوع .

والثالثة تتعلق بالإنسان المقدي الذي في المسيح يسوع .

أولا - ما يتعلق بحالة الإنسان قبل الإيمان :

١ - خطية :

الخطية في مفهومها هي كسر ناموس الله وقانونه (رومية ٢ : ١٢ و ٢٣) ولذلك فعندما لا يعرف الناس الناموس فإنهم لا يعرفون الخطية لأن الناموس معرفة الخطية (٣ : ٢٠) . وعندما يوجد الناموس فالناس يحفظون وتحسب عليهم خطاياهم لأنهم قد عرفوا ذلك عن طريق الناموس (٥ : ١٣) . وبحسب رسالة رومية فإن الناموس الذي يكشف الخطية لا يقتصر فقط على ناموس موسى المكتوب بل يمتد إلى الناموس الأدبي الطبيعي الذي يشير إليه الضمير ، الذي وضعه الرب في قلب الإنسان ليقوم بتوبيخ الإنسان والاحتجاج ضده عندما يكسر هذا الناموس الأدبي (رومية ٢ : ١٤ - ١٦) . فالخطية هي كسر للناموس بهذا المعنى الشامل . هذا الكسر ينتج من حالة تركز الإنسان حول نفسه ووقوفه ضد الله في عصيان وتمرد . أي أنه يضع نفسه في مقابل الله في ثورة ضده وعصيان لأمره (١ : ٢١ - ٣٢) وهذا ما يسميه الرسول بكلمة فجور (١ : ١٨ ، ٤ : ٥) .

ويستخدم الرسول مجموعة من الاصطلاحات ليعبر بها عن الخطية . فإلى جانب الكلمة أسيبيا asebeia ومعناها فجور وهي تصف الخطية ضد الله (رومية ١ : ١٨) ، وتظهر الكلمة أديكيا وترجم « لثم » (١ : ١٨) ومعناها الخطية في مظهرها الاجتماعي أي عندما توجه إلى النفس أو إلى الآخرين . ثم يستخدم الكلمة Parakoé (٥ : ١٩) ومعناها معصية وهي الخطية إذا وجهت إلى الناموس . وفي وصف خطية آدم سماها Paraptooma . وغير ذلك .

٢- ناموس Nomos :

إذا جاءت الكلمة بدون «ال» التعريف فإنها قد تعني الناموس في معناه العام (٢ : ١٤ ب) ولكنها إذا جاءت معرفة فإنها بذلك تشير إلى ناموس موسى وفي بعض الأحيان تعني التوراة (٢ : ١٧ و ١٨) بما يحويه من وصايا وقوانين وفرائض وطقوس .

وقد تأتي هذه الكلمة لتعني مبدأ : إما مبدأ مميّت وهو مبدأ الخطية (٧ : ٢٣) وإما مبدأ محيي يؤدي إلى العتق والحرية (٨ : ٢) (مبدأ بمعنى عامل أو قوة فعالة تؤثر في الإنسان norm) . ولهذا يجب أن نفرق بين هذه المعاني حتى لا نقع في خطأ

٣- جسد Sarx :

هذه الكلمة لها معان كثيرة في هذه الرسالة ولكن كل معانيها تنجّه اتجاهين رئيسيين : المعنى الطبيعي والمعنى الأخلاقي .

أما المعنى الطبيعي الذي يشترك فيه الرسول مع كثير من كتاب العهد الجديد فهي :

- النسل الطبيعي (١ : ٣) صار من نسل داود حسب الجسد .
- جسم الإنسان (٢ : ٢٨) (الختان) في اللحم أي في الجسد .
- الإنسان بصفة عامة (٣ : ٢٠) كل ذى جسد لا يتبرر أمام الله بأعمال الناموس .
- الضعف الطبيعي للطبيعة البشرية التي لا تحتمل كثيراً (٦ : ٩) أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم .

أما المعنى الثاني فهو المعنى الأخلاقي .

– الحالة الشريرة والتي يعيش فيها الإنسان قبل قبوله للمسيح وسكنى الروح القدس فيه (٧ : ٥) إنها تقيض وجود الإنسان في الروح .

– الطبيعة البشرية وقد سكنتها الخطيئة وحوّلها إلى بؤرة فساد قاتل (٧ : ١٨) « ليس ساكن في أى في جسدى شئ صالح » .

ويظهر هذا المعنى في غلاطية ٥ : ١٧ « لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاومان أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون » .

٤ – غضب :

الكلمة اليونانية orgos معناها هياج شديد مخرب ولكن أنبياء العهد القديم وضعوا فيها مضمونا أخلاقياً إذ جعلوها تعنى القضاء الإلهي المقدس الذي ينبع من طبيعة الله المطلقة ، القدوسة على كل ما هو شرير وفساد . ولكن الغضب ليس فكرة نظرية أو لاهوتية ، ولكنه موقف نشط عامل لعقاب الشر في العالم الشرير .

وعندما استعمل الرسول هذا الاصطلاح في هذه الرسالة فإنه نسبه إلى الله ليعنى « غضب الله » (١ : ١٨) « لأن غضب الله معان من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم » . وهذا يعنى العقاب المستدر المعان على جميع فجور الناس ، وهذا يتمثل في ترك الله لهم وتسليمهم لذهن مرفوض (ع ٢٤ و ٢٦ أنظر ٩ : ٢٢) . ثم تأتي في ٢ : ٥ « وكذلك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب » هنا يعطى لهذا الموقف الإلهي مضموناً إسمائولوجياً بمعنى أن لهذا الغضب كمال إذ يصل إلى النهاية ، وذلك في يوم الغضب .

وترد هكذا بدون إضافة في ٤ : ١٥ « لأن الناموس ينشئ غضباً » ، وفي ٥ : ٩ « . . . بدمه تخلص به من الغضب » .

وهكذا نرى أنه إذا كان غضب الله هو موقفه ضد الشر فذلك لأن الإنسان هو الذى يزخر لنفسه الغضب بكسره للناموس في هذا الدهر والدهر الآتى :

ثانياً - ما عمله الله للفداء وكيف يناله الانسان :

١ - نعمة : Charis

النعمة : هى المحبة الإلهية المقدسة فى حنانها القادى وهى تتدفق على الخاطئ الذى لا يستحق . « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى ببسوع المسيح » (٣ : ٢٤ ، ٥ : ١٧ و ٢١ ، ٦ : ١) . ونوال البر بالنعمة هو ضد التبرر بالأعمال أو على سبيل أجرة (٤ : ٤) . والنعمة قد تعنى حالة التبرير والسلام التى يعيش فيها المؤمن نتيجة لتبريره بالإيمان (٥ : ٢) .

والنعمة هى نعمة الله (٥ : ١٥) وهى ببسوع المسيح (٥ : ١٥)

٢ - بر dikaiosune :

أهم معنى لهذه الكلمة هو عندما تضاف إلى الله فتصبح « بر الله » . وهو الذى أعلن فى الإنجيل (١ : ١٧) وذلك فى مقابل « غضب الله » المعلن من السماء (١ : ١٨) . وقد ظهر هذا البر بدون أى عمل من الإنسان أو واسطة ناموسية ، مع أن الناموس يشهد له هو والأنبياء (٣ : ٢١) فما هو بر الله هذا ؟ جاءت الكلمة مرة بمعنى صلاح الله الطبيعى فى ثبات وعده فلا ينقضه . (٣ : ٣ و ٤) ولكنها تعنى أمراً آخر أكثر عمقاً فى العهد القديم ، يعنى اصطلاح « بر الله » عمل الله الفدائى لشعبه ونصرتهم لهم حتى وإن كانوا لا يستحقون

(إشعيا ٤٣ : ٢٢-٢٥) فهو أكثر من أن يكون صفة. كأن يكون الله عادلا يقيم عدله فيجازى المسئء ويحسن إلى الصالح . إنه يقف في صف شعبه ويخلصه ويفتديه من الشر . وقد أخذ الرسول بولس هذا المعنى فالكلمة تعنى حركة الله وعمله للفداء وللخلاص ، ولكن مع فارق واحد وهو : إن كان الله في العهد القديم يفتدى شعبه الذى دخل معه في عهد، فإن بر الله كما يصفه الرسول بولس يعمل أكثر من ذلك إنه « يبرر الفاجر » (٤ : ٥) وهذا المعنى لا يستطيع أى يهودى أن يقبله . فبر الله إذن ليس شيئاً ميثافيزيقياً ولكنه عمل الله في التاريخ لفداء البشر .

٣- تبرير :

تأتى من الأصل اليونانى للكلمة « بر » وهى كلمة قضائية وليست فضيلة أخلاقية ، فالإنسان عندما يتبرر يصبح في علاقة صالحة - علاقة صالحة - في الموقف الصحيح من الله . (٥ : ١٠) . وقد يحاول الإنسان أن ينال ذلك بواسطة بره هو وأعماله ، كما فعل بنو إسرائيل ولكنهم فشلوا (١٠ : ٣ و ٣٠) أما الموقف الصحيح فهو أن الإنسان يناله بالإيمان . . وليس من أجل الإيمان وإلا لأصبح الإيمان عملاً ، فيكون التبرير بالأجرة (٤ : ٣ - ٥ ، ٥ : ١) .

وإذا استعرنا المثل الذى قاله المسيح عن « الفريسي والعشار » (لوقا ١٨ : ٩ - ١٤) نجد أن الفريسي لم يتبرر بأعماله ولكن العشار في نوحه طلب من الله الرحمة لأنه خاطئ ، ونزل هذا الرجل مبرراً إلى بيته .

فالتبرير لا يعنى العصمة من الخطية ولكنه وضع الإنسان في المكان الصحيح من الله . . .

٤ - فداء apolutroosis رومية (٣ : ٢٤) :

ومعناه في اليونانية التلك من العبودية أو الأسر . وهو لايعنى ذلك فقط . . إن الرسول عندما يستعمل هذه الكلمة فإنه يعنى أن شخصاً آخر قد تدخل وأخذ الخطوة الأولى ودفع الفدية لكي يحرر هذا الشخص . والفدية كانت يسوع المسيح بل هي يسوع المسيح (٣ : ٢٤) . فالإنسان لا يتحرر بمجهوده بل بفداء الله . . بالمسيح يسوع .

٥ - دم heima رومية (٣ : ٢٥) :

« بالفداء بدمه » ، (٥ : ٧) « بالجهد يموت » . وقد فسرها بعض العلماء على أنها تعنى « الحياة » وذلك لأنهم بنوها على لاويين ١٧ : ١١ « لأن نفس الإنسان هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس » ويقولون إن الدم معناه الحياة فإذا كان المسيح قد سفك دمه فهذا تعبير على أن حياته قد انسابت في حياتنا لتعطينا حياة جديدة ، وهذا ما فعله المسيح - كما يقولون - على الصليب . فأينما استخدم الدم أو الموت بالنسبة للمسيح ولعمله الفدائى فهو يعنى أن حياته إتحدت بحياتنا .

ولكن الرسول بولس في الحقيقة لا يعنى ذلك ، إن الدم يعنى الإجهاز على الحياة . . سلها . فالمسيح لم يحرر حياته بل بذها وضعها إلى الموت لأجلنا . إن هذا الفعل يقصد به عملاً حرفياً ؛ ودم المسيح كفارى بمعنى حرقى وليس بمعنى تصوفى ، إن حياته تجى في حياتنا ، نعم ولكن هذا لا يعبر عنه بالدم ، الدم يعنى أنه مات من أجل سافكاً دمه .

٦ - إيمان :

إن ص ٤ هو أعظم تفسير للإيمان في هذه الرسالة . فإيمان إبراهيم هو

موقف مستمر لإبراهيم من الله . إن موضوع الإيمان ليس مجموعة من العقائد ، ولكن الله نفسه : ثقة كاملة فيه واعتماد كلي عليه وذلك كرد على دعوته ووعدده .

بهذه الثقة الكاملة أن الله يستطيع أن يعمل كل شيء ، نحن ننال التبرير والخلاص .

أحياناً قد يقوم الإيمان مقام الإنجيل .

٧- اختيار :

(رومية ٨ : ١٨ - ٣٠ ، ٩ : ٢٩ - ٣٦) : هي كلمة تعبر عن الطريقة التي بها يجرى الله قصده الأسمى لفداء البشرية . فإذا كانت كل الخليقة تفدى من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله فذلك مبنى على قصد الله في الاختيار .

ولكن هناك اختيار في الاختيار . ففي العهد القديم اختار الله أناساً من الشعب لخدمته : إبراهيم ، موسى ، داود . وفي هذا المعنى الخاص فقد اختيرت إسرائيل نفسها لكي تحمد الرب . كورش اختاره الرب وهو لم يكن يعرف الرب (إشعياء ٤٥ : ٤) . وبهذه الكيفية يعلن العهد القديم الاختيار الذي يفوق عقولنا .

والرسول بولس يعرف ذلك . فهو يهوى أصلاً شديد التزمته ولكنه صار الآن رسولاً لألهم ولا سبب لذلك سوى أن الرب اختاره بل سره أن يختاره لهذا العمل (غلاطية ١ : ١٥ و ١٦) .

فالاختيار العام أى للفداء والخلاص أو الخاص أى للخدمة إنما يشير إلى اللوراء إلى السر الأزلي لسلطان الله ومعرفته السابقة وتعيين النعمة المتفاضلة

ولكن الاختيار يشير أيضاً إلى المستقبل إلى مجد الكمال أى إلى الوقت الذى فيه تصبغ الكنيسة فى صورة ابنه (رومية ٨ : ٢٩) .

وأخيراً فإنه يشير إلى طرق الله النشطة فى العصر الحاضر . إننا نتأكد من عمل الله ومن تدبيره الذى يسود هذا العصر ، ولكن إن حاولنا أن نتفحص هذه الطرق أو ندرك سرها الأكمل فلن نستطيع ، يكفى أن يقول الرسول « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ . لأن منه وبه وله كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين » (رومية ١١ : ٣٣ - ٣٦) .

ثالثاً - الحالة التى يحيا فيها المفيديون :

١ - قديس :

فى هذه الرسالة وفى كل العهد الجديد تعنى عضو فى الكنيسة (رومية ١ : ٧ ، ١ كورنثوس ١ : ٢ . . إلخ) هذا هو معناها الأساسى . إنه إنسان قد أفرز وأصبح لله فى جسد المسيح .

ولكنها لا تعنى وجود أفراد أو جماعة مخصوصة داخل الكنيسة فهى ليست رتبة تمنح ولكنها إفراد من الله للشخص فهو قديس .

هذا العمل وهذا الوجود فى الكنيسة متضمن التقوى والإخلاص والحياة المسيحية الكاملة فالقديس هو الشخص المقدس الذى ظهرت فيه حياة المسيح .

٢ - الروح : pneuma

عندما تستعمل مع « ال التعريف » دائماً تعنى الروح القدس بما لم يكن

هناك معنى آخر واضح ، أو أن يكون هناك مفهوم آخر تتطلبه القرينة . مثل
(رومية ١ : ٩ ، ١١ : ٨) .

والروح القدس قد يسمى روح الله أو روح القداسة (١ : ٤) أو روح
المسيح (٨ : ٩) أو روح الحياة (٨ : ٢) .

وبحسب الرسول بولس وخصوصاً في رومية ٨ يجب أن نفسر عبارة
« يسلك بحسب الروح » (ع ١ و ٤) وعبارة « يهتم بما للروح أو اهتمام الروح »
(ع ٥ و ٦) لا تعني الروح البشرية أو تعني الاهتمامات الروحية بعكس
المادية . كلا ، ولكنها تعني بحسب روح الله أو الروح القدس الذي
يسيطر في الإنسان المؤمن الذي قبل المسيح .

٣ -- المجد :

كلمة المجد doxa تنسب في الغالب إلى الله نظراً لأن هذا المجد كان
يظهر للشعب قديماً في الهيكل أو خيمة الاجتماع أو على جبل سيناء ولهذا يقول
الرسول بولس عن الامتيازات التي كانت لإسرائيل « لهم التنبؤ والمجد ... » .
(رومية ٩ : ٤) أي أنهم كانوا يرون مجد الله في وسطهم . هذا المجد ظهر
بكماله في وجه يسوع المسيح (٢ كورنثوس ٤ : ٦) . هذا الإشراق في وجه
يسوع المسيح يعلنه الإنجيل الذي يسمى « إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة
الله » (٢ كورنثوس ٤ : ٥) لكن رسالة رومية تكشف أن المؤمنين يشاركون
هذا المجد أيضاً الذي وإن كانوا يختبرون شيئاً منه الآن ، لكنه هو ما زال
رجاء يفتخرون به « وافتخر على رجاء مجد الله » (٥ : ٢) لسوف يستعلن
في مجيئ المسيح « فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن
يستعلن فينا » (٨ : ١٨) . إن هذا المجد يتضمن استعلان المؤمنين على أيهم
أولاد الله (٨ : ١٩) . لا يعرفهم العالم الآن ولكن سوف يستعلنون . يعنى

المجد أيضاً فداء الأجساد « وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نؤمن في أنفسنا متوقعين التنبؤ فداء أجسادنا » (٨ : ٢٣) .
هذه هي لمحات من المجد الذي يتمتع به المؤمنون الذين يشنون في العالم الحاضر .

فكر الرسول في رسالة رومية :

يلخص الرسول بولس معنى الإنجيل في رسالة رومية في (١ : ١٦ و ١٧)
إذ يقول « لأنني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولاً ثم لليوناني لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا » . والكلمة « يستحي » ليست هي الوحيدة التي يستخدمها بهذا المعنى في كتاباته ، فهو يكرر ذلك أيضاً في كورنثوس وإن كان بتعبير مختلف (١ كورنثوس ١ : ١٨ - ٢ : ٥) ، إنه إذ ينادى بإنجيل يركز حول شخص أسلمه شعبه للسلطة الرومانية ، متهمين إياه بالضللال فيرفعونه على صليب ويقتلونه كجرم ، إذ ينادى بذلك يجب عليه أن ينجل في نظر العالم وبحسب مقاييسه ، خاصة وهو يعلن إنجيله هذا في أعظم مدن الأرض وأكثرها ثراء وأبعثها فساداً . ولكن الرسول لا ينظر إلى الإنجيل نظرة أهل العالم ، بل نظرة متناقضة ، نظرة لا يمكن أن تخطر على بال بشر .

فبدلاً من أن يعتبره خبراً مملوءاً بالأسى عن شخص مات فإن الرسول يسميه إنجيلاً . . بشارته مفرحة ، وفرحها لا يقتصر على إنسان واحد بل هو خبر مفرح للجميع لليهودى واليوناني . . لكل .

وبدلاً من أن يعلنه كضعف ، يتكلم عنه كقوة الله التي لا يمكن أن تقاوم .

وبدلاً من أن يعلّاه بالاتهامات ضد قاتلي سيده يصفه بأنه خلاص للجميع فهذا المصلوب الذي لم ينزل من على الصليب لكي يخلص نفسه ، هو نفسه المخلص العظيم . . مخلص العالم من عبودية الشر والفساد . . مخلصه من الخطية .

إن العالم الذى ينظر إلى مضمون الإنجيل باستهزاء واستنكار لا يعرفه ولا يفهمه ، أما هو قد اختبره فى حياته واختبر قوته فعرف أنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن .

هذه المقابلة الجذرية والحاسمة بين مفهوم العالم لحادثة المسيح والتفسير الحقيقى لها : هى الأساس للمقابلات التى تمتلىء بها هذه الرسالة ، فهى بالحق رسالة المقابلات .

فهناك مقابلة زمنية بين ما يسبق « الآن » وما يتبعها (٣ : ٢١) .

وهناك مقابلة بين آدم والمسيح (٥ : ١٢ - ٢١) .

وأخرى بين الروح والجسد (٨ : ١ - ١٧) .

ورابعة بين الإيمان والأعمال أى التبرير بالإيمان والتبرير بالأعمال (٤ :

١ - ٥) .

وخامسة بين الناءوس والنعمة (٥ : ٢٠ - ٢١) .

وهكذا تظهر المقابلات الكثيرة التى أوجدها الإنجيل عندما جاء وعندما أعلنه الرسول بولس فى هذه الرسالة ، فهى مقابلات ترتبط بعضها ببعض وتتركز كلها حول الإنجيل .

الحاجة لهذا الإنجيل (١ : ١٨ - ٣ : ٢٠ ، ٥ : ١١ - ٢١ ، ٧ : ٧ - ٢٥) :

هذا الإنجيل الذى هو عمل إلهى عظيم ، لم يكن عملاً ترفيهاً ولكنه جاء لحاجة ماسة . . حاجة الإنسان القاسية الأليمة . هذه الحاجة خلقتها الخطية التى تملك العالم : اليهود والأمم جميعاً خطاة وينظر الرسول حوله ليجد علامات الخطية المروعة ويعدها فى كل بشاعتها . أما الأمر المهم فى هذه الخطية هو

٣٨٥

(م ٢٥ - المدخل الى العهد الجديد)

أنها موجهة ضد الله الذى أعلن نفسه وإرادته للإنسان . لقد أعلن نفسه للأُمم ، لأن أموره الغير منظورة أى قدرته السرمدية ولاهوته ، أعلنها منذ خلق العالم فى المصنوعات التى خلقها ، ولكنهم مع ذلك لم يمجدوه ولم يشكروه (١ : ١٨ - ٢١) . وإلى جانب ذلك أعلن إرادته لهم إذ كتبها على قلوبهم ، ووضع فى داخلهم الضمير الذى يحتاج ويشتكى عندما يكسرون إرادة الله (٢ : ١٤ - ١٦) .

ولكن رغم ذلك فقد أسلموا أنفسهم للشر ، وعبدوا المخلوق دون الخالق . وحطاموا كل المقاييس الأخلاقية (١ : ١٩ - ٣٢) .

وهذا لم يكن حال الأمم فقط بل اليهود أيضاً . الذين أعطاهم الله امتيازات أكثر فى إعلاناته : إذ أعلن لهم نفسه وإرادته فى التاموس الواضح ، ومع ذلك أخطأوا إليه . حفظوا التاموس ولكنهم لم يفهموه ، ولذلك لم يعملوه . عملوا بحسب حرفه ولكنهم جهلوا روحه ، عملوا ما تقوله الوصايا لا لكي يخضعوا لله . ولكن ليبرهنوا بر أنفسهم (٢ : ١٧ - ٢٩) إن روح التاموس هو أن يصبح الإنسان لله فى طاعة كاملة ومحبة بنوية ولكنهم رغم ذلك أخذوه على أنه افتخار كاذب . . إنهم لم يخضعوا لبر الله (٢ : ١٠ و ٣)

إذن فالأمم واليهود قد أخطأوا ، ليس من يعمل صلاح ليس ولا واحد . الجميع زاعوا وفسدوا معاً (٣ : ٢٣) . هذه الحالة لم تكن متفشية فقط فى عهد الرسول ، بل كانت منذ البدء ، لأن الخطية دخلت إلى العالم بإنسان واحد الذى هو آدم ، وملك الموت على البشرية نتيجة لملك الخطية (٥ : ١٢ و ١٣) نعم إن الخطية لا يمكن أن تعرف أو تحسب إذا لم يكن هناك ناموس . يكشفها ، ولكن التاموس العام الذى وضعه الله فى الإنسان جعله مستولاً . وهناك ما هو أخطر وأعمق من ذلك .

فإن الخطية قد ملكت على العالم نتيجة لخطية آدم لأن البشرية كانت واحدة فيه . هذه الوحدة Solidarity بين البشرية في آدم عنصر هام جداً في مفهوم الرسول بولس فهم يؤكد أن الجميع ، سواء أكان لديهم ناموس ، أو بدون ناموس مكتوب ، قد ملك عليهم الموت نتيجة للخطية لأنهم أخطأوا بخطية آدم . (٥ : ١٢ - ٢١) .

ولكن كيف تحكمت الخطية في الفرد ؟ لم يقتصر الأمر على الموقف الخاطئ الذي وجد الإنسان نفسه فيه بسبب آدم ، فهذا موقف خلق فيه الميل للخطية . فصار يخطئ ، وبذلك صار مذنباً . إنه خاطئ من جراء خطية آدم وخطيته ، ولعل نقطة الضعف في الإنسان حيث تكمن الخطية هي ما يسميها الرسول « بالجسد » (٧ : ١٨ و ٢٥) أي الطبيعة البشرية في ميولها إلى العالم . ويصف الرسول بوضوح لا حد له عبودية الإنسان للخطية وعدم جدوى محاولته التخلص منها ، إنه أضعف من أن يعمل الصالح الذي يريد ؛ بل هو مدفوع لعمل الشر الذي لا يريد ، لأنه « لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة في . فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندي أما أن أفعل الحسنی فلست أجده » (٧ : ١٧ و ١٨) ما أبشع الدرك الذي نزل فيه الإنسان بسبب الخطية التي استعبده .

ولكن أين الناموس ؟ ألم يعط الله البشر الناموس ؟ فلماذا لا يفعلونه لكن يخيوا به ؟ هنا يعطينا الرسول جواباً ، ما كان يخطر على بال إنسان أن شاول الطرسوسي الغيور على الناموس ، الذي فاق كل آتراه في حفظه قد تغير رأيه في الناموس تغييراً ألا يمكن أن يحدث إلا بمعجزة . . بإعلان سماوي :

(أ) لا ينكر الرسول أن الناموس مقدس وروحى (٧ : ١٢ و ١٤) . وأنه حسن (٧ : ١٦) . وهو مصدر الفخر والتعليم والتمييز في كل الأور (٣ : ١٧ و ١٨) ولكن فوق الكل إنه أقوال الله (٣ : ٢) .

(ب) ولكن الناموس لم يأت لكي يخلص الإنسان من الخطية : بل جاء لكي تكثر الخطية وكثرة الخطية تحدث في عدة أمور .

أولاً : إظهارها : لأن الناموس معرفة الخطية « بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس ، فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته » (٧ : ٧) .

ثانياً : الحكم عليها وإعلان أن الإنسان مذنب حقاً « على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس » (٥ : ١٣) وبذلك أذان الناموس الإنسان الخاطيء إلى الموت . ولهذا فقد سمي ناموس الخطية لأنه يظهرها وناموس الموت لأنه يدين الإنسان (٨ : ١ و ٢) .

ثالثاً : إنه يدين فقط ثم يقف ضعيفاً أمام الخطية التي استخدمته لتكثر هي « ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة ، لأن بدون الناموس الخطية ميتة ، أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا » (٧ : ٨ و ٩) . ولهذا صارت الوصية التي كانت أصلاً للحياة سبباً للموت (٧ : ١٠) ، وماذا عن إنسان كشاول الطرسوسي الذي كان يسير بحسب الناموس ، هل نستطيع الخطية أن تؤذيه ؟ نعم : وهنا يصل الرسول إلى الأعماق القاسية فيما عملته الخطية في الإنسان إذ يقول « لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلنتني » (٧ : ١١) . لقد خدعت اليهودي المتمسك ودفعته لأن يستنفد كل جهده في إتمام الوصايا ، لا لكي يرضى الله ، بل لكي يرضى غروره ويظن أنه قد تم كل شيء ، وما على الله الآن إلا أن يبرره ، لقد فعل اليهود ذلك لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله » (١٠ : ٣) ألا يعتبر هذا الكلام تفسيراً لاهوتياً لقصة الفريسي في مثل المسيح في (لوقا ١٨ : ٩ - ١٤) .

هذا هو حال الناموس مع الإنسان الخاطيء . لا يمكن أن يتبرر به (٣ : ٢٠) بل دخل لكي تكثر الخطية ، لكي يبدان الإنسان . فالخطية خاطئة جداً .

كيف ظهر الإنجيل : (٣ : ٢١ - ٣١)

إذا كان الأمر هكذا . فهل يترك الله الإنسان ؟ كلا « وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان يسوع المسيح . . . » (رومية ٣ : ٢١ - ٣١) . عرفنا من قبل أن « بر الله » لا يعنى فقط صلاح الله الطبيعي ولكنه يعنى عمل الله ونشاطه القدائى للإنسان . هذا العمل ظهر الآن أى فى العصر الحاضر (٣ : ٢٦) . ويشدد الرسول على كلمة « الآن » لسببين هاميين أولهما: أن يظهر أنه جاء بالمسيح يسوع وفيه ، وثانيهما أن هذا البر ليس نظرية ولكنه عمل تاريخى قد حدث وظهر . فالرسول يشير بكل صراحة إلى حادثة خاصة ، أعلن الله فيها بره . . سماها من قبل « إنجيل يسوع المسيح » (١ : ١٦) .

(أ) هذا البر ظهر فى يسوع المسيح . فى عمل خاص وحادثة محددة وهى حادثة موته . وبموت المسيح حدث الخلاص للجميع . ويعبر الرسول عن ذلك بكلمتين هاميتين : الفداء هو اتخاذ الخطوة الأساسية فى فك الأسر وإنقاذ الإنسان من عبودية الخطية والموت . والكلمة الثانية هى كلمة كفارة وهى إرضاء قداسة الله الكاملة التى لا يمكن أن ترضى بالخطية ، ورفع غضب الله المعلن من السماء على جميع فجور الناس . وقد اختلف الكثيرون على معنى « كفارة » (٣ : ٢٥) . فقد رأى بعضهم فيها فكرة وثنية وهى محاولة إرضاء الله بواسطة ذبيحة تقدم له فيزول غضبه ، وهذا لا يليق بالله ربنا يسوع المسيح الذى « بين محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رومية ٥ : ٨) . ويقول أصحاب هذا الرأى إن كلمة كفارة تعنى كرسى

الرحمة أو غطاء التابوت الذي كان السيد يحمل عليه ومن هناك ينادى بالغفران للكهنة والشعب معاً . من داخل قدس الأقداس في يوم الكفارة العظيم .

ولكن الحقيقة التي لا يمكن تغافلها هي أن محبة الله محبة مقدسة وقُدوسة ، ولا يمكن أن نتساهل في الخطية ، ولا بد أن تكون هناك كفارة ، وقد أعدها هو . لن ننسى الخطايا الماضية (ع ٢٥) ، ولا نتغافل عن الخطايا في العصر الحاضر (ع ٢٦) ولهذا فكلمة كفارة يجب أن تبقى بمعناها الأصلي ، ونعرف أن المسيح مات كفارة عن خطايانا . وخطايا كل العالم أيضاً .

(ب) ولكن كيف ينال الإنسان هذا الفداء وهذه الكفارة ؟ إن الجواب الوحيد للرسول بولس على ذلك هو الإيمان . إنه يكرر هذه الكلمة في هذا الجزء (٣ : ٢١ - ٣١) أكثر من ٧ مرات : الإيمان بيسوع المسيح (ع ٢٢ و ٢٦) الإيمان بدمه (ع ٢٥) ثم يكرر كلمة الإيمان مطلقة ، وذلك لأهميتها القصوى عنده والذي جعله يشدده هكذا هو جهل اليهود الذين ظلموا يؤكدون على الأعمال . . وإتمام الفرائض والطقوس لتوال التبرير .

ويكشف لنا الرسول مفهومه عن الإيمان في ص ٤ حيث يضع أباونا إبراهيم وإيمانه كمثل لنا . إن الكتاب يقول عنه « فآمن إبراهيم بالله فحسبه له برأ » (٤ : ٣) ، هذا الإيمان في جوهره هو تصديق وعد الله ومحبته رغم كل الظروف التي تحيط بالإنسان وتدفعه للشك في هذا الوعد والمحبة .

هذه الظروف تتلخص في ضعف الإنسان المميت ، سواء أكان هذا الضعف خطية وتمرداً وعصياناً مما يسميه الرسول « فجراً » (٤ و ٥) أو ضعف جسماني كضعف إبراهيم وسارة (٤ : ١٧ - ٢١) ، إنه ثقة كاملة تجعل الإنسان المفلس المائت يرتضى على الله الغني الكامل في محبته والقادر على كل شيء (ع ٢٠ و ٢١) .

فالحاطىء مهما كان فيجره ، عندما يقف أمام الله مؤمناً وواثقاً في شخصه
وقدرته ومحبته ، سوف يبرره الله . فإبراهيم رغم موته الجسائى قد تم له الله
الوعد وأعطاه النسل .

هذا الإيمان الواثق يتناقض تماماً مع الأعمال التى يظن الإنسان أنه بها
ينال ما يرجوه . إن الإيمان يعتمد على نعمة الله « متبررين مجاناً » أما الأعمال
فتطالب بالأجرة كأنها دين على الله (ع ٤) وهذا افتراء عليه . بهذا الإيمان
يستطيع الإنسان أن ينال التبرير .

هذا الإيمان موضوعه الله نفسه كما أعلن ذاته محباً وباراً فى يسوع المسيح
الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم من أجل تبريرنا » (٤ : ٢٤ و ٢٥) .

(ح) بهذا الإيمان قد تبررنا ، إننا لم نتبرر كأجرة للإيمان ولكن فيه
فهو يصف موقفنا أمام الله . هذا التبرير يسميه الرسول المصالحة . فيموت
المسيح قد نلنا المصالحة ، صالحنا الله فيه لنفسه قاتلا العداوة التى فصلت
بيننا (٥ : ١٠ أنظر ٢ كورنثوس ٥ : ١٨ و ١٩) وخلصنا من الغضب
الذى كان لنا بالمرصاد (٥ : ٩) . وتغيرت العداوة إلى سلام مع الله (٥ : ١)
ودخلنا إلى نعمة الحياة الحقيقية . . الحياة الجديدة (٥ : ٢) . هذه الحياة
فى النعمة ليست عطية حاضرة فقط ولكنها عطية المستقبل أيضاً . . إننا نفتخر
على الرجاء الذى فيه يتمجد الله فينا وفى حياتنا (٥ : ٢) . وعلى هذا فإننا
نفتخر أيضاً فى الضيقات التى تحيط بنا ، عالين أن هذا الضيق لا يودى إلى
تخطينا وكسرنا وأنهزامنابل إلى المجد لأنه ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية
رجاء والرجاء لا يخزى ، هذا كله يأتى لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا
بالروح القدس المعطى لنا » (ع ٣ - ٥) .

هذه الحالة المحيطة أعطانا الله إياها لأنه وهب لنا المسيح باذلاً إياه عن خطايانا ووهب لنا الروح القدس ساكباً المحبة في قلوبنا .

هذه هي الحياة التي ينالها المؤمن عندما يتبرر بالإيمان .

سر الحياة الجديدة (٥ : ١ - ١١ و ٦ و ٨)

لكن الرسول لا يترك الأمر عند هذا الحد ولكنه يذهب إلى الأعماق فيرينا سر هذه الحياة المحيطة ، كيف تناسب فينا وكيف تظهر ؟ ما هو مداها وما هو مجدها ؟ .

(أ) هذه الحياة الجديدة يكشفها الرسول عندما يتكلم عن المعمودية في معرض حديثه عن نعمة الله المتكاثرة التي تستوجب الحياة المسيحية الحقيقية . فيقول « نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ، أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع اعتمدنا لموته . . » (٦ : ٢ و ٣) يربط هذه الحياة المحيطة بالمعمودية ، ليس لأن المعمودية هي التي تعطى الحياة الجديدة أو الولادة الجديدة ، كلا لأن هذه كلها هي عطية الله قد جهزها كلها في المسيح يسوع « إنما المعمودية هي الخضوع الكلي بالإيمان لعمل الله في المسيح » ولهذا فإننا ندفن مع المسيح ونتحد معه بشبه موته (ع ٥) .

وكما أقيم هو نصير متحدين معه بقيامته فنسلك في جادة الحياة . يعطى الرسول هنا أهمية كبرى للمعمودية ليس كسر ولكن كعمل فيه نسمع بالإيمان كلمة الله : إنه كما أعطانا الحياة الأبدية في المسيح يسوع لغرسنا في جسد المسيح أي في كنيسته ، وبذلك نهج في المسيح أي متحدين معه في جسده في حياة مجيدة . . أعضاء في الجسد .

هنا يصلب إنساننا العتيق وبذلك يبطل جسد الخطية . فلا نستعبد بعد لها

(ع ٦) . ويجب أن نفرق هنا بين إنساننا العتيق وجسد الخطية . فالإنسان العتيق ليس هو الجسد ولا هو الطبيعة البشرية الفاسدة التي تتحكم فيها الخطية. هذا يسميه الرسول الجسد ، ولكن الإنسان العتيق هو نفسه الأشياء القديمة (٢ كورنثوس ٥ : ١٧) لأنها البشرية الموحدة في آدم في مقابل الخليقة الجديدة التي هي جسد المسيح ، فالإنسان العتيق هو صلتنا بآدم الخطية ، انتقلاً منه ، صلب مع المسيح ، ماتت هذه الصلة القديمة بآدم فأصبحنا في المسيح . . انغرسنا في جسده . . وبهذا يضعف أو يبطل جسد الخطية . . لأنه لا يموت ولكنه يبطل أى تهد قوته ولا نعود بعا مستعبدين تحت الخطية .

هذه هي الناحية التي قد نسميها سلبية الحياة الجديدة ، إنساننا العتيق يصلب وتنتهى صلتنا بآدم : الإنسان الأول ، ونصبح أحياء للمسيح وفيه . . أعضاء في جسده . وبذلك لا يمكن أن نستعيد للخطية مرة أخرى .

(ب) ولكن هذه الحياة حياة إيجابية . . إنها حياة الروح (ص ٨) . ولعل الرسول يصل هنا إلى المستوى الأسمى في معرفته للحياة المسيحية . لقد أصبحنا في المسيح الآن ، إذن فلا توجد علينا دينونة ، تبررنا بالإيمان فلنا سلام مع الله (٥ : ١) ، هذه ، التبرير والتمتع به والإيقان منه هم من فعل روح الله القدوس الذي وهبنا الله إياه (٨ : ٩) . وهو أيضاً روح المسيح الذي لنا الذي يؤكد لنا أن المسيح أيضاً لنا وهو فينا (ع - ٩) . ويلاحظ هنا أن الرسول لا يذكر أى نوع من الأعمال التي يجب أن نتركها أو يجب أن نقوم بها ، ولكنه يذكر مبدأ أشتمل : إن الذين يسلكون بالروح فيما للروح يهتمون ، مقابل أولئك الذين يسلكون بحسب الجسد فإنهم يهتمون للجسد ولكن ما هو اهتمام الجسد ؟ عداوة لله أما اهتمام الروح فهو الخضوع لنا موسى الله وعمل رضاه (ع ٧) . إن اهتمام الجسد هو موت أما اهتمام الروح فهو حياة وسلام (ع ٦) .

فإذا كانت الحياة المسيحية هي حياة الروح فماذا يعمل الروح القدس ؟
إنه يؤكد لنا -- كما سبق -- اننا لنا للمسيح (ع ٩) .

وهو الذى سيحيى أجسادنا وهو الذى يمت أعمال الجسد أى يحارب
الجسد معنا ويقاومه حتى لا نعود للاستعباد له مرة أخرى (ع ٣) غلاطية
٥ : ١٦ و ١٧) وهو الذى يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله فيطرح الخوف
وروح العبودية إلى خارج ، لكي نتقدم بكل ثقة إليه واثقين أننا أبناء لله
وأخوة للمسيح ووارثين معه (ع ١٥ - ١٧) .

وهو الذى يخلق فينا الرجاء لأنه يعلن لنا الأجداد التى لنا رغم كل ما يحاصرنا
من آلام وتعب . إنه الباكورة التى تكشف ما هو آت بعد من أجداد ، وبذلك
يخلق فينا الرجاء وسط الضيق . وليس فينا فقط بل فى كل الخليقة التى تئن
متوقعة استعلان أبناء الله . فتحرر هذه الخليقة نفسها من عبودية الفساد إلى
حرية مجد أولاد الله (١٨ - ٢٥) .

أما ضعفاتنا ضعف صلاتنا فهو الذى يعيننا فيه ، لأنه يكشف لنا قاب الله
ويكشف قلوبنا لله (ع ٢٦ و ٢٧) .

إنه يؤكد لنا محبة الله الذى اختارنا ودعانا بعد أن عيننا . وعرفنا ، ولهذا
فهو يسيرنا فى طريق السموات حتى نصبح مشاهين صورة ابنه ، ليكون هو بكرآ
بين إخوة كثيرين (٢٨ - ٣٠) .

ولعل من يقرأ الجزء الأخير فى هذا الأصحاح يجد عمق اليقين والرجاء ،
وهو شئ لا يمكن للعالم أن يتمتع به ، ولا أن يعرفه « فإذا نقول لهذا إن كان
الله معنا فن علينا . . من سيشتكى على مختارى الله ؟ الله هو الذى يبرر . .
من سيفصلنا عن محبة المسيح . . فى هذه جميعها يتعظم انتصارنا بالذى أحبنا

فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور
حاضرة أو مستقبلية ولا علو ولا عمق ولا خبايعة أخرى تقدر أن تفصلنا عن
حبة الله في المسيح يسوع ربنا (٣١ - ٣٩) ما أمجدها من حياة .

بر الله في الاختيار التاريخي : (٩ - ١١) .

النظرة السطحية إلى نهاية الأصحاح الثامن وبداية الأصحاح التاسع تكشف
أن لا ارتباط بين الإثنين ، فإذا ينهى الرسول وصف اختبار الحياة الروحية
الجديدة فإنه يرفع من أعماق حياته أغنية النصر ، ولكنه فجأة يصرخ من
الألم أن له حزناً عظيماً ووجعاً في قلبه لا ينقطع . . أي صلة بين الإثنين ؟
لكن لدى التأمل العميق يجد الدارس أن الصلة وثيقة وكاملة بل ضرورية .
ومكتملة . ولو لم يكن هناك ص ٩ - ١١ لأحسنا أن سؤالاً هاماً وجذرياً
لم يجب عليه الرسول . . فما هو ؟ وما هي هذه الصلة ؟ وماذا يريد أن يقول
لنا في هذه الأصحاحات ؟

سؤال حتمي :

أسلوب الرسول في كتابة هذه الرسالة كان أسلوب الحوار ، فالقارئ
يجد عدة أسئلة في الأصحاحات السابقة . كأنما يقف واحد من اليهود لكي
يعارضه ويحاول أن يجد خطأ في مناقشته . ويوجد في الأصحاحات الماضية
لا أقل من ثمانية أسئلة : ٣ : ٥ و ٩ ، ٤ : ١ ، ٦ : ١ و ١٥ ، ٧ : ٢٧ ،
٨ : ٣١ و ٣٣ و ٣٤ . هذه الأسئلة واضحة يجيب عليها الرسول ، ولكن
هناك سؤالاً آخر لم يظهر ولم يذكر بوضوح . ولكن الرسول جلس ليجيب
عليه في ٣ أصحاحات كاملة هي ٩ - ١١ . ونستطيع أن نستنبط هذا
السؤال من خلال مناقشة ~~بعض~~ ^{بعض} ~~الأسئلة~~ ^{الأسئلة} ~~التي~~ ^{التي} ~~تطرح~~ ^{تطرح} ~~على~~ ^{على} ~~هذا~~ ^{هذا} ~~المنوال~~ ^{المنوال} : إذا كان الله البار
قد أظهر به في تبرير الإنسان الخاطئ الذي يأتي إليه ، وإذا كان يني بوعده

لكل إنسان يقبل في إيمان كامل ، فهل تعتقد أن الله قد وفى بوعدده لإسرائيل ؟
ألم يقل النبي إن الله سيرر شعبه حتى ولو كان خاطئاً ؟ ألم يعدهم بالخلاص ؟
أين بره إذن في هذه الأزمة القاصمة ؟ إننا نجدهم قد تمسوا ، ولعله رفضهم
ولم يعد يقبلهم ، فكيف يمكننا أن نعتمد على بر الله وأمانته في المدى البعيد
إذا كان قد ترك هذا الشعب ، الذي اختاره ، هكذا يهلك ؟

هذا هو السؤال وهو سؤال حتمى وحاسم تسأله الأمم . وهم ينظرون
باحترار ، وفي نفس الوقت ، بخوف وشك إلى اليهود الذين رفضوا ابن الله
وصلبوه . لقد جاء إليهم ولم يترك أرضهم بل بشرهم وقدم لهم نفسه ، ولكنهم
لم يقبلوه . وفوق ذلك لم يريدوا أن يصدقوا أنه قام ولم يخضعوا لبر الله فيه ،
فماذا هذا التقسى ؟ ولما جاء رسله يبشرون بالإنجيل أرادوا أن يقتلوهم
بل قتلوا بعضهم فعلا وشردوا آخرين . فكيف نفسر هذه الظاهرة المحيرة ؟
هل سقطت كلمة الله ووعدده ؟ هل رفض شعبه ؟

على هذا السؤال يجيب الرسول في ثلاث نقاط : طبيعة إسرائيل -
حاضر إسرائيل - رجاء إسرائيل .

طبيعة إسرائيل :

يبدأ الرسول بأن يكمل الإجابة على السؤال الذى وضعه في ٣ : ١ .
إذن ما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان ، فهناك لم يذكر سوى جملة
واحدة في ع ٢ إذ يقول كثير على كل وجه : « أما أولاً فلأنهم
استؤمنوا على أقوال الله » ثم لم يكمله ، فلم نجد ثانياً أو ثالثاً . ولكنه يكمل هنا
الإجابة ويعدد الامتيازات العظيمة التى كانت لهم (٩ : ٤ و ٥) « لهم التبنى
والخمد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ، ولهم الآباء ومنهم المسيح

حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد أمين » هذه الامتيازات العظيمة التي أعطاها لهم ، منها مواعيده ووعده تدل على أنه لا يمكن أن يترك كلمته هكذا تسقط ، إذن لماذا تقسى بعضهم بل والأكثرية منهم ؟

هنا يضعنا الرسول أمام تلك العقيدة القديمة التي أعلنها الروح القدس للأنبياء في العهد القديم ، وأوضحت واحداً من أعمدة اللاهوت الكتابي بل جوهر المعاملة الإلهية التي حكمت كل تاريخ شعب بني إسرائيل : وهي عقيدة « البقية » فهذه العقيدة تحكم هذا الأصحاح الذي أسمى فهمه في غالبية العصور المسيحية وظنه كثير من المفكرين المسيحيين إنه ملخص عقيدة الرسول بولس في الاختيار والقضاء الإلهي ، ولم يعرفوا أن العبارات التي جاءت في هذا الأصحاح التي يدنون عليها رأيهم هذا أوردتها الرسول خصيصاً لكي يوضح عقيدة البقية التي هي الحل الأمثل للمشكلة اليهودية .

ويورد الرسول هذه العقيدة بالتدرج الآتي : البقية تبني على الوعد الإلهي وليس على العلاقات البشرية ، فلأن اسحق ابن الموعد أضحى هو النسل الحقيقي دون إسماعيل الذي يشترك مع اسحق في علاقته البشرية بإبراهيم ، ولكنه ليس ابن الموعد كما اسحق (٩ : ٨ و ٩) .

وهي تبني على بر الله وليس على البر البشري كما حدث في قصة يعقوب وعيسو ، فقد اختبر يعقوب وهو لم يولد بعد لا هو ولا عيسو أخوه الذي رفض ، فالدعوة لا تبني على الأعمال بل من الذي يدعو (١٠ - ١٣) .

وهنا يجاوب الرسول على سؤال بشري يبني على المنطق البشري ولا يلحظ الدور الإلهي الذي يفوق تفكيرنا المحدود وجبلتنا الناقصة : « هل عند الله ظلم إذ يفعل ذلك ؟ » إن الرسول يواجه السائل نفسه لأنه فكر في هذا السؤال : لماذا تسأل هكذا ؟ هل تستطيع الجبل أن تقول لصانعها لماذا خلقتني هكذا ؟ .

إن فرعون نفسه بكامل جبروته لا يستطيع أن يقاوم هدف الله وغرضه . إن جواب الرسول على السائل لا يقصد به إجابة السؤال بل إسكات السائل . وتوبيخه لأنه لم يتأدب في حضرة الله (٩ : ١٤ - ٢٣) .

ثم يبدأ الرسول قصة البقية بعد أن يهيب القارئ في ع ٢٤ عن دعوة الله لليهود وللأمم . ثم يورد أقوال الأنبياء في هوشع ٢٥ و ٢٦ ثم إشعياء ٢٧ - ٢٩ . أنظر هوشع ٢ : ٢٣ ، ١ : ١٠ وإشعياء ١ : ٩ .

وبعد أن يبرهن الرسول « عن البقية » من تاريخ الشعب وأقوال الأنبياء يطبقها على الوقت الحاضر في الأمم واليهود . وهنا يدخل الرسول عنصرتين جديدتين في عقيدة البقية لم يعرفهما العهد القديم : العنصر الأول هو عنصر الأمم . لقد كانت البقية قديماً هي يهود أبرار في وسط أمة ضالة . . كلهم من أمة واحدة ، ولا دخل للأمم هنا ، أما الرسول فقد رأى في البقية يهوداً . وأما لأن الحاجز بين الاثنين قد انتهى .

أما العنصر الثاني فهو عنصر الإيمان ، وهذا ما أراد الرسول أن يثبتته من أول الأصحاح وخاصة في قضية يعقوب وعيسو ، إن الأنبياء قديماً فهموا أن البقية هي الجماعة البارة التي لم تسجد لبعل بل حفظت كل وصايا الله (١١ : ٤ ، إشعياء ١ : ٩ ، ١٠ : ٢٢) . أما الآن فقد صار الإيمان لا البر الناموسي هو الأساس الكامل للبقية ، وإلا فكيف ينجو الأمم ، وكيف دخلوا إلى حظيرة الرب كما هو واضح في (٩ : ٣٠ - ٣٣) .

إذن فإسرائيل الحقيقي ليس هو ابن الجسد ولا هو من يريد أن يبرر نفسه ويعتمد على قدرته ، ولكنه إسرائيل الموعد ، لإسرائيل الإيمان . . إنه البقية الحقيقية التي نبتت في وسط الضلال ، بقية قوامها الإسرائيليون الذين يخضعون

لبر الله والأمم الذين قبلوا المسيح . . هذه هي طبيعة إسرائيل وعلى هذا الأساس فكلمة الله لم تسقط بل هي باقية ووعد البار كما هو .

موقف إسرائيل الحاضر :

إذا كان الوعد للبقية إذن فما هو موقف اليهود أبناء إبراهيم بالجسد ؟ وماذا يقول عنهم الرسول ؟ يصف الرسول حالهم مستخدماً مجموعة من الألفاظ المؤلمة عنهم (١٠ : ١ - ١١ : ١٠) فيقول عنهم :

جهلاء :

ولكنه ليس جهلاً عقلياً ، فما أكثر علماءهم . ولكنه جهل ديني لا هو في . لقد جهلوا بر الله فحاولوا أن يثبتوا بر أنفسهم (١٠ : ٣) ظنوا أن البر الذي يطلبه الله هو أن يقوموا بإتمام الناموس حرفياً ، فلما فعلوا ذلك خدعهم الخفية ووثقوا في أنفسهم ولم يخضعوا لبر الله .

وقد جهلوا القصد الأسمى من الناموس ، ولم يعرفوا أن « غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن (١٠ : ٣) . ظنوه أنه هدف في ذاته ولم يريدوا أن يعرفوا أنه مؤدبنا إلى المسيح ، فجعلوا منه صنماً يعبدونه . لو فتحوا أذهانهم لعرفوا الطريق الصحيح الذي يلخصه الرسول « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » (١٠ : ٩) .

ولكن ألم يكونوا معذورين في هذا الجهل ؟ ألم يأتمنهم الله على الناموس ؟ ألم يشدد عليهم أن يعملوه ؟ الجواب كلا . . لقد أرسل لهم الرب كارزين ليشرحهم بالمسيح بر الله لقد دوت في آذانهم كلمات النبي قديماً مشيراً إلى المسيح « ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » ولكنهم رفضوا وتقسوا ولم يريدوا أن يسمعوا . . إن جهلهم صار مطبقاً (١٠ : ١٤ - ٢١) .

وهم قساة :

عندما جاء الكازر ، قبلته البقية ، وهذا دليل على أن الله لم يرفض شعبه ،
فمعنى الرفض عند الرسول هو إنهاء حالة العهد مع الشعب كله ، بكل أفرادهِ
وحرمانهم من الفرصة للتوبة ، وإذا كان كذلك فإن قبول البعض منهم
للمسيح وخضوعهم لبر الله يدل على أن الله باق على عهده وأنه أبى لهم بقية .
ولعل أهم برهان على ذلك هو الرسول نفسه ، فهو كواحد من أعبي اليهود
وأقسامهم قد جذبته النعمة وقبل المسيح (١١ : ١ - ٧) .

هذا عن البقية ، أما الشعب كافة فقد تقسى . وتمت فيهم النبوات التي
قيلت عنهم « أعطاهم الله روح سبات وعيوناً حتى لا يبصروا وآذاناً حتى
لا يسمعوا إلى هذا اليوم (أنظر تثنية ٢٩ : ٢٤ ، إشعيا ٢٩ : ١٠ ، ٣٥ : ١)
وداود يقول : لتصر مائدتهم فيخاً وقنصاً وعترة ومجازاة لهم لتظلم أعينهم
كئى لا يبصروا ولتحن ظهورهم في كل حين » (مزور ٦٩ : ٢٢ و ٢٣) ،
(٧ - ١٠) .

وهم عثروا :

يقول الرسول « فأقول ألعلمهم عثروا لكي يسقطوا . . . » (١١ : ١١)
لقد صار المسيح لهم حجر صدمة وضحرة عثرة اصطدم به هؤلاء فعثروا ،
ويقول الرسول نفسه عن الصليب إنه صار لليونانيين جهالة أما لليهود فقد
صار عثرة (١ كورنثوس ١ : ٢٣) . لأنهم طلبوا مسيحاً آخر يحقق لهم
ما أرادوه بالجدسد ، أما من يخلصهم من خطيبتهم ويعلن لهم بر الله فهذا قد عثروا
واصطدموا به .

رجاء إسرائيل : (١١ : ١١ - ٣٥)

ولكن هذا كله كان في علم الله وتدبيره السابق فلم يكن نهاية المطاف .

فإن عثرتهم هذه لم تكن للسقوط الأبدي كما عرفنا من قبل ويورد الرسول خطوات الرجاء الباقى لإسرائيل :

أولاً : استخدم عثرتهم هذه فى دخول الأمم إلى الإيمان إذ « برلتهم صار الخلاص للأمم » (١١ : ١١) . ولم يكن هذا القول « مقولة » لاهوتية نظرية بل اكتشف الرسول السر فى حقل الخدمة فعندما كان يذهب إلى مكان ليشر فيه كان يدخل إلى اليهود أولاً ليقدم لهم الإنجيل ، وكانت العادة أن يرفضوه إن لم يكن كلهم فعلى الأقل أكثرهم . وعندئذ يفتح الباب للأمم فيذهب إليهم بإنجيله (أنظر أعمال ١٣ : ٤٦ - ٥١ ، ١٤ : ١ - ٧ . إلخ) هذه التساوة دفعت المبشرين إلى الأمم . وهكذا بدأت البقية من الأمم تدخل إلى الحضيرة . وهنا يعطينا الرسول تشبيهاً من الزيتون ؛ فالزيتونة البرية التى لم تثمر هى زيتونة الأمم قطعت منها أغصانها ثم طعمت فى الزيتون الحقة ، وهى زيتونة الكنيسة بكل ما يتصل بها ، وزيتونة ملكوت الله فصار الأمم شركاء فى أصل الزيتون ودمها . . كل هذا جاء نتيجة قساوة اليهود وعدم قبولهم للمسيح . . إنه باب عظيم للأمم .

ولكن هناك أمر ثانياً ، وهو أن قبول الأمم يثر شيئاً آخر وهو « إغارة » اليهود ، أى أنهم يحسون بالغيرة من الأمم فينجذبون إلى الإنجيل . ولهذا السبب يقول الرسول « فإنى أقول لكم أيها الأمم . بما أنى رسول للأمم أجد خدمتى لعل أغير أنسبائى وأخلص أناساً منهم » (١١ : ١٣ و ١٤) . فخدمة الرسول للأمم لها هدف بعيد هو إرجاع إخوته وأنسبائه حسب الجسد وأن يغيرهم فتم النبوة القديمة « أنا أغيركم بما ليس أمة ، بأمة غبية أغيظكم » (١٠ : ١٩ أنظر تثنية ٣٢ : ٢١) . هذه الغيرة تدفعهم لآلى المحاربة البشعة الجاهلة كما فعلوا فى أول الخدمة ، ولكن إلى انفتاح الأعين وقبول المسيح

كما يفعل الأمم ، فيرجعون إلى امتيازاتهم العظيمة . ولعل الرسول كان مهتماً جداً بهذا الأمر . وكان يعتقد أن جمع الأموال من الأمم لليهود لتوزيعها على فقراهم في أورشليم واليهودية هو عامل فعال في إغارتهم وحثهم على الرجوع .

وفي هذا الموقف يتجه الرسول إلى الأمم الذين كانوا على غير وفاق مع اليهود ، وغالباً ما كانوا يحتقرونهم فيقول لهم « إن كان رفضهم هو مع الحلة العالم فماذا يكون إقتبالهم إلا حياة من الأموات » (١١ : ١٥) فرفضهم كان بركة للأمم فيجب ألا يحتقروهم ، بل بالعكس يصلون إلى الله لعلهم يرجعون ، فبركة رجوعهم ستكون أعظم وأمجد . ثم أنه يحذرهم ألا يفتخروا عليهم فيسقطوا في نفس العثرة التي وقع فيها اليهود . إنهم زيتونة برية قد قلمت وطعمت في الزيتون الحقيقية فإن لم يخافوا ويتمموا خلاصهم بخوف ورعدة فما أسهل قطعهم . . « لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً » (ع ٢١) .

إن الله قادر أن يطعمهم في زيتونتهم الطبيعية كما فعل مع الأمم الذين طعمهم في زيتونة مغارة .

ولكن الرسول يوجهنا إلى أمر ثالث وأخيراً وهو كشف سر لم يعرفه الأمم مفاده أن « القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل ، إلى أن يدخل ملؤ الأمم » أي أن القساوة ليست تامة لا رجعة فيها وكلمة « جزئياً » قد تعنى أنها حصلت لجماعة دون أخرى من إسرائيل وهذا القول يؤيده الموقف الذي يصفه الرسول من أن الرب لم يرفض شعبه لأنه قبل جماعة منهم وهو واحد من المقبولين (١١ : ١) . وقد تعنى مدة من الزمن وتأييدها عبارة « إلى أن يدخل ملؤ الأمم » (ع ٢٥) . على كل حال فالكلمة جزئياً قد تعبر عن

المعنيين معاً أى أن جماعة منهم حتى وإن كانت أغلبيتهم قد تقسوا ، وأن هذه المساواة سوف تستمر مدة من الزمن وتنتهى . .

أما العبارة الصعبة فهي « وهكذا يخلص جميع إسرائيل » (ع ٢٦) فإننا يقصد بجميع إسرائيل؟ هل هم إسرائيل حسب الجسد؟ أم هم إسرائيل الروحي الذي يتكون من اليهود والأمم الذين يقبلون المسيح؟ لقد انقسم المفسرون لزاء هذه العبارة الصعبة : ولكن رغم كل انقسام فإننا نرى أن كلمة «جميع» ليست إطلاقية ، فالرسول إذ يقصد كل اليهود الذين تقسوا وماتوا والذين لم يتقسوا ، ونكرر الرسول كلمة يقصد ضد هذه العبارة . . إن الذين يخلصون هم جميع المعنيين بالحياة الأبدية . . إن رجاء إسرائيل في المستقبل هو الرب .

وهنا يخصص الرسول كل تفكيره من جهة اليهود وعلاقتهم بالأمم . من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم . . وأما من جهة الاختيار فيؤم أجباء من أجل الآباء » (ع ٢٨) . في عصر الإنجيل هذا قد أظفروا عداوتهم له لكي يخلص الأمم ، ولكن هذه النهاية فإن وعد الرب لآبائهم لن يسقط أبداً وكلمته لن يغفل عن إقامتها ، ولهذا فسوف يغيرهم بالأمم ويعمل بقوة لكي يرجعوا ويقبلوا المسيح. هذا هو الطريق «فإنكم كما كنتم أنتم مرة لا تظلمون الله ولكن الآن رحمتهم بعضيان هؤلاء هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يظفروا لكي يرجعوا هم أيضاً برحمتكم (ع ٣٠ و ٣١) فالله قد أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع » الطريق الوحيد هو الخلاص المتقدم الآن . . هو الإنجيل . . هو الرحمة التي قدمت للأمم وتقدم أيضاً لليهود لكي يقبلوها كما قبلها الأمم .

وهنا في رهبة الإعلان ينطق الرسول بمجد حكمة الله « بالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء : لأن

من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ لأنه منه وله وبه كل الأشياء له المجد إلى الأبد آمين (٣٣ - ٣٦) .

بر الحياة الجديدة :

هذه الحياة الجديدة - حياة البر تظهر للجميع في أمور عديدة :

١ - الصلة العميقة بالله بأن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية وأن يتغيروا عن شكل العالم ليكونوا لله (١٢ : ١ - ٣) .

٢ - الصلة العميقة التي تحكم المؤمنين فهم جسد المسيح وقد قسم الله لكل واحد موهبة فيجب أن يستخدما في خدمة الآخرين كأعضاء للجسد الواحد (١٢ : ٤ - ١٣) .

٣ - صلهم بالجماعة الخارجين حتى الذين يضطهدونهم فلا بد أن يصلوا لأجل الجميع ويظهروا بمنظر حسن أمام جميع الناس (١١ : ١٥ - ٢١) .

٤ - خضوعهم لأصحاب السلطان طالما هم يفعلون كل عمل لأجل خير الجميع وكل من تحت سلطانهم (١٣ : ١ - ٧) .

٥ - المحبة هي الدين الوحيد الذي يجب أن يوفره للجميع (١٣ : ٨ - ١٠) .

٦ - الاستعداد الكامل لمواجهة العالم ومجيء الرب (١٣ : ١١ - ١٤) .

٧ - يجب أن يقبل الأقوياء الضعفاء بما هم فيه فلا يعثروهم ولا يهتمون بأمور طقسية قد لا تنفع بل تضر . ويلخص الرسول ذلك في قوله « فلنعكف إذن على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض (١٤ : ١٩) .

وبعد أن ينبر الرسول على هذه العلاقة الخاصة في كنيسة المسيح .

وفي (ص ١٤، ١٥، ١٦-١٤) يبين لهم سبب زيارته لهم كما سبق أن عرفنا .

في ١٥ : ١٤ - ٣٣ ويقدم له التحيات الكثيرة والبركة الرسولية
ص ١٦ =

وإلى هنا تنتهي هذه الرسالة البالغة العمق التي صار لها في كل تاريخ
المسيحية سلطان قوى كما وضح في أغسطينوس ولوثر وكارل بارت وغيرهم
من عمالقة الإيمان المسيحي .

رسالتنا كورنثوس

رسالتنا كورنثوس من أطول الرسائل التي كتبها الرسول بولس . فهما
ورسالة رومية أطول رسائله . ولكنهما ليسا كرسالة رومية في أسلوب
الكتابة . فبينما تسير رسالة رومية في انتظام فكري ملحوظ يسيطر على الرسالتين
تنوع غريب في أسلوب الكتابة كما سنرى فيما بعد .

مدينة كورنثوس :

ولكن قبل الدخول في تفاصيل الرسالة علينا أن نعرف شيئاً عن مدينة كورنثوس :
هذه المدينة بنيت على أنقاض كورنثوس القديمة الشهيرة في العالم الهليني ، التي
هدمت سنة ١٤٦ ق. م وفي سنة ٤٥ ق. م أعاد يوليوس قيصر بناءها وجعلها
مقاطعة رومانية يسكنها الجنود القدامى ، وفي سنة ٢٧ ق. م عندما انعزلت
اليونان عن مكدونية لتكون مع أيروس إقليم أحيائية صارت كورنثوس
عاصمة هذا الإقليم الكبير وموطن الحاكم الروماني . ولكن لم تكن هذه
المقاطعة تحت إشراف الامبراطور بل تحت حكم مجلس الشيوخ الروماني .

أما موقع كورنثوس الجغرافي فقد أعطاها امتيازاً هائلاً ، فهي تقع بين
بحرين يحدانها من الشرق والغرب وعلى كل واحد منهما أقيم ميناء ضخم ،

فالميناء الشرقى اسمه كخنخريا والميناء الغربى كاليخيوم . وهذا جعل من كورنثوس مركزاً تجارياً لا يبارى في مجده .

ومما زاد في أهميتها مرور الطريق العظيم الذى يربط بين الشرق والغرب بها ، فجعلها أيضاً مركزاً برياً للتجارة إلى جانب أنها مركز بحرى عظيم .

ونظراً لأن السفن كانت تخشى الدوران حول الجزء الجنوبي من بلاد اليونان. فكانت ترسو على أحد المينائين وتنقل البضائع بواسطة سفن صغيرة إلى الميناء الآخر ليهان شحونها في سفن كبيرة ، وكانت السفن الصغيرة تحمل على قوارب أرغمية تدير على عجل وتنافع إلى الناحية الأخرى . فصحارت كورنثوس من أشهر المدن التجارية .

لهذا السبب كثرت فيها الجنسيات وتعددت أنواع الناس الذين سكنوها فصحارت ماينة عالمية من حيث التجارة وتنوع الجنسيات التى تسكنها.

وكان لهذا التنوع الكبير أثره الواضح ، فالمدينة لم تضارع أثينا مثلاً في ثقافتها وحضارتها ولكن في غناها واقتصادها كانت مشهورة جداً . وفيها أيضاً التى آلهة الغرب والشرق فالتقى فيها جوبيتر وأرطاميس وأفرودتس مع آلهة الشرق كإيزيس وسيرايس وغيرها . ولكن كان أهم معبد في المدينة هو ما أقيم لأفرودتس على رابية عالية جداً وهناك كرسى أكثر من ألف امرأة أجسادهن لخدمة هذه الآلهة مما جعلها تشابه عشتاروث آلهة الشرق القديمة في شرها وفجورها . لقد أثر ذلك على سمعة المدينة فأصبحت كورنثوس مرادفة للرذيلة والانحطاط الأخلاقى ولعل الرسول بولس كان يصف الجو الذى كان يسودها في ذلك الوقت عندما كتب عن خطايا الأمم في رسالته إلى رومية (١ : ١٨ - ٣٢) ، وظهرت فيها أيضاً الفروق الاجتماعية المتطرفة

فكان فيها الفقر المدقع إلى جانب الغنى والترف المبتذل . . فكانت كورنثوس لذلك بلد الفساد مشهورة في أنحاء الامبراطورية بفسادها وتطرفها في كل شئ.

ومما زاد في شهرة المدينة تلك الألعاب التي كانت تقام سنوياً في أسثيموس Isthmes التي لا تبعد عنها أكثر من عشرة أميال . وكان الاستعداد لهذه الألعاب يستمر شهوراً حيث تتدفق على كورنثوس جموع غفيرة من الرياضيين والزوار والتجار وطالبوا المتعة . ولعل الرسول بولس رأى بعض هذه الألعاب في ربيع سنة ٥١ م فأنخذ منها تشبيهاً للحياة المسيحية ووصفها ووصف من رآها مرأى العين (١ كورنثوس ٩ : ٢٤ - ٢٧) :

كيف تكونت كنيسة كورنثوس :

سبق أن عرفنا أن الرسول بولس في رحلته الثانية مضى إلى أوروبا فذهب إلى فيلبى في مكدونية ، وبعدها ذهب إلى تسالونيكى ثم إلى بيرييه ثم إلى أثينا ، وبعد خطابه المشهور هناك أقلع إلى كورنثوس بعد أن لحق به سيللا وتيموثاوس هنا بدأ الرسول معسكراً للتبشير يعد من أقوى ما فعل في رحلاته التبشيرية .

تعرف قبل كل شئ على زوجين أكبلا وبريسكلا وقد كانا يهوديين مسيحيين يعملان في صناعة الخيام في روما ، ولكنهما طردا مع اليهود الذين طردهم كلوديوس قيصر من رومة فجاءا إلى كورنثوس ، وتقابل معهما الرسول وأقام معهما ، فكانا له عوناً كبيراً (أعمال ١٨ : ١ - ٣) . ومما ساعد الرسول أيضاً أن كان في المدينة مجمع لليهود كبير ، فركز خدمته فيه ونجح في اجتذاب الكثيرين منهم وعلى رأسهم كريسبس رئيس المجمع وأهل بيته (أعمال ١٨ : ٨) . ولكن لما رفضه اليهود بعد أن ناقشهم في المجمع عدة سبوت وفاقوه به بشدة نفض نيابه وقال لهم « دمكم على رؤوسكم . أنا

رى ، من الآن أذهب إلى الأمم » (١٨ : ٤ - ٦) وذهب إلى يوستس رجل متعبد لله ، بيته يلاصق المجمع . مكث الرسول سنة ونصف يعظ ويبشر في المدينة بعد أن شجعه الرب في رؤيا في الليل وتكونت كنيسة كبيرة لها وزنها في المجمع المسيحي .

وأخيراً أراد اليهود أن يطردوه من المدينة ولكنهم فشلوا ، لأن الحاكم رفض طلبهم وطردهم من محضره . . فكث بعد ذلك مدة وذهب هو وأكيلا وبريسكلا إلى أفسس وتركهما هناك وسافر هو إلى قيصرية وأنطاكية .

ولقد زار بولس هذه الكنيسة بعد أن تركها الرسول بولس . وأبولس هذا كان يهودياً إسكندرياً مدرباً تدريباً عالياً في الخطابة ، وله ثقافة واسعة ومعرفة عميقة في الكتب المقدسة ، ولكنه كان لا يعرف إلا معمودية يوحنا . فلما وصل إلى أفسس أولاً : أخذه أكيلا وبريسكلا إلى مكانهما وهناك شرحا له كل ما يختص بيسوع المسيح بكل وضوح . ثم أراد أن يذهب إلى أخائية فأخذ وصية من الأخوة وذهب إلى كورنثوس وساعد كثيراً بقوة حجته على إفحام اليهود مبيناً من الكتب أن يسوع الناصري هو المسيح . وقد كانت خدمته ناجحة قوية كما يشير الرسول نفسه إلى ذلك (١ كورنثوس ٣ : ٥ - ٩) . وبهذا العمل الذي قدمه أبولس تقوت كنيسة كورنثوس وتثبتت كثيراً في طريق الرب . ومع ذلك فقد كانت هناك نتائج أخرى لخدمته ، نتائج لم يسرها بولس ولا أبولس بل حزنا جلياً لها كما سترى فيما بعد (١ كورنثوس ١٦ : ١٢) .

نوعية الكنيسة :

ولكن ما نوعية هذه الكنيسة ؟

١ - كانت الغالبية العظمى منها من أصل أممي (١ كورنثوس ١٢ : ٢)

ومع ذلك فقد كان بها عدداً لا بأس به من اليهود ، يخاطبهم الرسول في ١ كورنثوس ١٠ : ١ - ١١ فيقول عن إسرائيل البرية « آباؤنا » . وكانت الغالبية أيضاً من الطبقات الفقيرة التي لم ترتفع إلى مستوى الاستقرار التي ظهرت في المدينة . ولهذا يخاطبهم الرسول بقوله « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » (١ كورنثوس ١ : ٢٦ - ٣١) . ومع ذلك فقد كان فيهم أيضاً جماعة من الأغنياء والشرفاء والمتعلمين (١ كورنثوس ١١ : ٢١ و ٢٢ ، أعمال ١٨ : ٨ ، رومية ١٦ : ٢٣) وهذا تكون الكنيسة عبارة عن طبقات اجتماعية متميزة في الدين والثروة والعلم جمعهم جميعاً كلمة الله التي نادى بها الرسول .

٢ - إلى جانب ذلك حمل كثيرون منهم عاداتهم الوثنية إلى الكنيسة ، فظهرت فيها أوهوم لم تظهر في كنيسة أخرى . فمثلاً لم ينسوا تلك العادة القديمة المنقوشة وسط المتعلمين حيث ينضوي كل واحد منهم تحت راية معلم من المعلمين ويفاخر الآخريين به (١ كورنثوس ٢ : ١٠ - ١٣ ، ٣ : ١ - ١١) فبعضهم فاخر بالرسول بولس على أنه الرجل الذي أسس الكنيسة ونشر كلمة الله ، وفاخر الآخرون بأبولس الرجل الفصيح الذي لا يستطيع بولس مهما أوتى من ذلاقة لسان ، أن يجاريه في العلم والخطابة ، ومن هو بولس هذا ؟ وما هي بشارته ؟ أليست كلمات بسيطة خالية من الحكمة والفلسفة والعلم (٢ كورنثوس ١١ : ٦) ؟ وماذا عمل ؟ أو كان يعرف أن لنفسه قدراً ورسائله أهمية لطلب ثمنها أو الأ طائلة كما يفعل الفلاسفة . كلا إن أبولس هو الرجل وهو المعلم والفيلسوف . وفاخر بعض ثالث بصفناً أي بطرس . ونحن لا ندرى أية صلة لبطرس بهذه الكنيسة ؟ هل زارها ؟ يظن البعض ذلك نظراً لأن الرسول يذكر اسمه في الرسالة كشخص معروف جيداً لهم (١

كورنثوس ١ : ١٢ ، ٩ : ٥) . ولوا افترضنا أنه لم يزرهم فلا بد أنهم قد سمعوا عنه الكثير . فهو التلميذ المشهور ليسوع المسيح وهذا ما يميزه عن بولس وأبولس . وفاخر البعض الرابع بأنه للمسيح ، ولسنا ندرى أى نوع كان هؤلاء ، لعلهم لم يكونوا أحسن حالا من الباقين وإلا لما أدخلوا المسيح نفسه في الانقسامات .

وحمل بعضهم فكرة الزواج الروحي فيتزوج رجل من عذراء ويبقيان هكذا دون صلات جسدية (١ كورنثوس ٧ : ٣ - ٥ ، ٣٥ - ٣٧) وظنوا أن هذا هو النظام المسيحي الحقيقي .

وظهرت في الكنيسة مجموعة من النساء الموهوبات للقيادة ، اللاتي طابن لمن بحرية أوسع في الكنيسة للكلام ، فكانت الواحدة تنادى زوجها في وسط الاجتماع لتسأله بصوت مرتفع عن أمر ما ، وإلى جانب ذلك تركن غطاء الرأس الذي كانت تضعه النساء الشريفات على رؤوسهن بحسب عادة ذلك العصر . (١ كورنثوس ١١ : ٥ - ١٦ ، ١٤ : ٣٤ - ٣٦) .

كان لدى بعضهم فكرة أسطورية تقرب من الخوف والسحر بالنسبة للمعمودية ، فكانوا يظنون أن الذين يعتمدون لا يمكن أن يخطئوا أو يهلكوا (١ كورنثوس ١٠ : ٢ - ٥) ، بينما جعلوا من فرصة عشاء الرب فرصة اجتماعية للأكل والشرب والتباهى بالغنى والثروة ومعايرة الفقراء الذين ليس لهم (١١ : ١٧ - ٣٤) . كان بعضهم يتمسك بالبشارة التي وعظ بها الرسول وقدمها لهم للخلاص ، ولكن البعض الآخر ترك ذلك الإنجيل إلى تفكير آخر ، خصوصاً في مسألة القيامة من الأموات حيث قالوا إنه لا قيامة أموات (ص ١٥) .

بعضهم ظل يتباهى بمعرفته وقوة إيمانه حتى كان يعثر الأخ الفقير ، غير
عائى به ولا بضعف معرفته (١ كورنثوس ٨ : ١ - ١٣) .

هذا هو الخليط العجيب الذى ظهر فى هذه الكنيسة وميزها عن غيرها
من الكنائس .
صلة الرسول بها بعد تركه إياها :

لكى نفهم رسالتى كورنثوس يجب أن ندرس تطورات صلة الرسول
بولس بهذه الكنيسة ، بعد أن أنهى تبشيره لها فى أواخر رحلته الثانية وتركها .
ماذا حدث بينهما ؟ وكيف سارت الأمور ؟ إن دارس الرسالة يجد هناك من
التنوع الشديد للموضوعات ما يجعله يفكر فى نوعية صلة الرسول بهذه
الكنيسة الغير عادية . من محتويات الرسالتين يمكن للدارس أن يعرف الأمور
التالية :

١ - يبدو أن الرسول قد سمع أن بينهم أناس وقعوا فى خطية الزنى ،
وأهم يسرون فى طريق فاسق شرير ولهذا كتب لهم رسالة أولى كما يظهر
فى (١ كورنثوس ٥ : ٩) حيث يقول « كتبت إليكم فى الرسالة ألا تخالطوا
الزناة » . ولكن هذه الرسالة قد أساءوا فهمها ، فظنوا أنه يطلب منهم أن
يتركوا العالم كله ، لأن الزناة فى هذا العالم كثيرون ، وهذا ما لم يطلبه منهم
(ع ١٠) . إنه يطلب منهم ألا يخالطوا الزناة من أعضاء الكنيسة ، حتى
يمكنهم أن يعزلوا الخبيث ويتنقوا (١١ - ١٣) . ولكن أين هذه الرسالة التى
كتبها إليهم ويعلن عنها فى الرسالة الأولى ؟ يعتقد كثيرون من العلماء أنها ضاعت .
أرسلها إليهم أولاً ولكنها لم تصل إلينا مع الرسالتين الباقيتين . ولكن هناك
رأى قوى جداً بين العلماء مفاده أن جزءاً منها باق فى الرسالة الثانية وهو
فى ٢ كورنثوس ٦ : ١٤ - ٧ : ١٠ لا تكونوا تحت نير مع غير

المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والائتم وأية شركة للنور مع الظلمة . . الخ) .
ويؤكدون ذلك لاعتقادهم أن هذا الجزء يظهر وكأنه محشور في المناقشة : وأن
٧ : ٢ يأتي بعد ٦ : ٣ بكل سهولة ويكمل المناقشة . هذه نظرية
قد يكون لها ما يبررها إذ تفسر هذه الأجزاء التي ذكرت .

٢ - بعد أن عرف الرسول أنهم أساءوا تفسير رسالته ، وصلته أخبار
غريبة عن انقسامات في الكنيسة وأحزاب متعددة حملتها إليه جماعة اسمها
أهل خلوى . لعلمهم كانوا عبيداً للأسرة مسيحية إسمها بيت خلوى ، (١
كورنثوس ١ : ١١) . ثم وصلته أيضاً رسالة أرسلتها له الكنيسة بيد ثلاثة
ممثلين لها هم : اسطفانوس و فرتونانوس وأخائيكوس (١ كورنثوس ١٦ :
١٧) . ومضمونها مجموعة من الأسئلة والمشكلات التي تتطلب حلاً .

وعلى أساس هذه المعلومات كلها كتب لهم الرسالة الأولى التي بين
أيدينا الآن ، وهي رسالة أشبه ما تكون برسالة عمل ، فيها مجموعة متعددة من
المواضيع التي تكلم فيها بطريقة منظمة .

وفي نفس الوقت أرسل إليهم تيموثاوس لكي يذكرهم بكل التعاليم التي
علمهم إياها (١ كورنثوس ٤ : ١٧ ، ١٦ ، ١٠ و ١١) . . ولكن ، على
قدر ما نستخلص من الرسالتين اللتين بين أيدينا ، أن هذه الزيارة غالباً لم تتم
لأنه يرسل سلامه لهم مع تيموثاوس في أول الرسالة الثانية (٢ كورنثوس
١ : ١) .

٣ - الزيارة المؤلمة : يؤكد العلماء أن الرسول قام بزيارة خاطفة إلى
كورنثوس في الوقت الذي انقضى بين كتابة الرسالتين . ويستنتجون ذلك من
(٢ كورنثوس ١٢ : ١٤ ، ١٣ : ١) حيث يقول لهم إنه سيذهب إليهم

للمرة الثالثة ، وهذا معناه أنه قد زارهم مرة ثانية بعد تبشيره إياهم ، وبعد كتابة الرسالة الأولى التي بين أيدينا . وعن هذه الزيارة الثانية يقول « قد سبقت فقلت وأسبق فأقول كما وأنا حاضر المرة الثانية وأنا غائب الآن ... أتى إذا جئت أيضاً لا أشفق » (٢ كورنثوس ١٣ : ٢ أنظر ٢ كورنثوس ١٢ : ٢٠ و ٢١) . ويبدو أن هذه الزيارة الثانية كانت مؤلمة وسببت لهم حزناً شديداً ، لأجل المرارة التي كانت بينه وبين الكنيسة (٢ كورنثوس ٢ : ١ - ٤) . هذه المرارة لم تجد لها صدقاً في الرسالة الأولى مما يدل على أن ذلك حدث بعد أن أرسلها لهم . لأنها زيارة مواجهة بينه وبين بعض الأشخاص وجهوا إليه كثيراً من الاتهامات التي تظهر في الرسالة الثانية . ويبدو أن الرسول لم يبق طويلاً هناك بل ترك المدينة مسرعاً .

ولكن متى حدثت هذه الزيارة لا نستطيع أن نقرر بالضبط ، ولكن يتفق كثير من العلماء على أنها حدثت أثناء إقامته في أفسس وقبل حدوث المظاهرة التي قادها ضده الصائغ ديمتريوس (أعمال ١٩ : ٢١ - ٢٤) . وبعدها رجع إلى أفسس وهناك عمل شيئاً آخر :

٤ - الرسالة المخزنة :

في ٢ كورنثوس ٢ : ٤ يقول الرسول لهم « لأنى من حزن كثير وكأبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم » . متى كتب لهم الرسول ؟ كان الرأي السائد أن الرسول يتكلم عن الرسالة الأولى . ولكن هذه الرسالة لا توحى بهذا الضغط العاطفى على الرسول الذى يظهر فى هذا العدد . نعم كان فى الرسالة الأولى بعض الأجزاء المؤلمة خصوصاً فى الأصحاحين الخامس والسادس ، ولكن هذا لا يمكن أن يعبر عن الموقف الذى يصفه هنا . خصوصاً وأنه يؤكد فى

٢ كورنثوس ٧ : ٨ أن هذه الرسالة المؤلمة التي يفترضها العلماء لم تسبب حزناً لأهل كورنثوس فقط بل جعلت الرسول نفسه يندم على كتابتها . فأى جزء في الرسالة الأولى يندم عليه الرسول ؟ يبدو أن هذه الرسالة الصعبة التي يشير إليها لا صلة لها بالرسالة الأولى . إذن أين هي الرسالة ؟ هناك رأيان يتمسك بهما العلماء الذين يؤكدون نظرية الرسالة المحزنة :

(أ) الرأي الأول يقول إن هذه الرسالة تتضمن الأصحاحات (١٠ - ١٣) من الرسالة الثانية ، وأن تيطس أخذ هذه الرسالة إليهم فتألموا جداً وحزنوا وتابوا ، أو على الأقل تابت الغالبية العظمى منهم ووبخوا الذين تألبوا ضد الرسول واتهموه اتهامات كثيرة . وعندما رجع تيطس إليه بهذه النتيجة ، كتب إليهم مرة أخرى نادماً على تلك الرسالة ، وفرحاً لأنهم رجعوا إلى الحالة الطبيعية في علاقة المحبة المتبادلة بينه وبينهم . هذا ما قاله في ٢ كورنثوس ٧ وخصوصاً ٦ - ١٥ . ويعتقد العلماء أن الرسالة المؤلمة والجزء الأول من الرسالة الثانية (١ - ٩) قد وضعا معاً ولكن بطريقة مختلفة لسبب لا نستطيع أن نعرفه . ولكن ما هي الأسباب التي تجعل العلماء يعتقدون مثل هذا ؟ يعطون ثلاثة أسباب :

الأول هو اختلاف اللهجة في كلا الجزئين من الرسالة . ففي الجزء الأول (١ - ٩) لا نجد الشدة والقسوة والشعور بالمرارة التي نجدها في الجزء الثاني (١٠ - ١٣) هذا الأمر جعل العلماء يعتقدون أنه من غير المعقول أن يبدأ الرسول بهذه اللهجة ثم يغيرها ويكتب بمثل هذه اللهجة الشديدة ، ومن غير المعقول أن الرسول يخاطب جماعتين في الرسالة الواحدة ، كأن يكتب - كما يقول البعض - الجزء الأول (١ - ٩) إلى الأغلبية التي تؤيده هو ، أما الجزء الأخير (١٠ - ١٣) يكتبه إلى أقلية تقف ضده . . نقول من غير

المعقول وإلا لكان يشير إلى ذلك في غضون الخطاب ، وخصوصاً عند تغيير اللهجة . وهناك تفسير آخر لتغيير لهجة الجزء الأخير في الرسالة ، هو أن الرسول بعد أن كتب الجزء الأول من الرسالة جاءته أخبار من مصادر ثانية أن هذه الجماعة التي تناوئه ارتفع صوتها من جديد، ولذلك غير الرسول أسلوب كتابته ليواجه هذا الموقف الجديد ، ولكن الرسول لم يشر من قريب أو بعيد إلى أي نوع من المصادر التي استقى منها هذه الأخبار ، وهو الشخص الذي كان دائماً يذكر مصدر معوماته وخصوصاً عن هذه الكنيسة (أنظر ١ كورنثوس ١ : ١١ ، ٧ : ١ ، ٢ كورنثوس ٧ : ٦ .) .

أما السبب الثاني الذي لأجله يعتقد هؤلاء العلماء أن الجزء الثاني من رسالة كورنثوس الثانية هو نفسه الرسالة المحزنة هو الإشارات إلى زيارة الرسول ، فهناك انتظارات في الجزء الثاني (١٠ - ١٣) تم في الجزء الأول (١ - ٩) مما يدل على أن الجزء الثاني كتب قبلاً : فمثلاً :

١٠ : ٦ « ومستعدين أن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم »
هذا تم في :

٢ : ٩ « لأنني لهذا كتبت لكي أعرف تزكيتكم هل أنتم طائعون في كل شيء » .

١٣ : ٢ « . . . أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين أنني إذا جئت أيضاً لا أشفق » . هذا له صدى في : ١ : ٢٣ « ولكنني إشفافاً عليكم لم آت إلى كورنثوس » . فهو لم يذهب في غضبه :

١٣ : ١٠ « لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكي لا أستعمل جزماً . وأنا حاضر حسب السلطان الذي أعطاني إياه الرب للينان لا للهدم » : تقارن

هذه بما جاء في ٢ : ٣ « وكتبت لكم هذا عينه حتى إذا جئت لا يكون لي حزن من الذين كان يجب أن أفرح بهم واثقاً بجميعكم أن فرحى هو فرح جميعكم » .

هذه الشواهد توضح إن كل انتظاره كان يتم بكيفية ما في الجزء الأول من الرسالة . وهذا معناه أن الجزء الثاني من الرسالة كتب في زمن يسبق كتابة الجزء الأول (١ - ٩) .

ويقول أصحاب هذا الرأي أيضاً إن هناك اختلافاً في الموقف الذي استدعى كتابة كل من الجزئين ، وبالتبعية فلا بد أن يختلف الأسلوب . ولعل مزاج الرسول في كتابة الأصحاحات ١٠ - ١٣ كان حاداً فجاء مملوءاً بالمرارة والألم ، وكأنه كان في موقف دفاع عن النفس ، وبالتالي عن رسالته . وهذا يختلف كثيراً عن الجزء الأول ، ويرجح أنه كان الرسالة المؤلمة التي يتكلم عنها في مكان آخر ، التي كتبها وأرسلها مع تيطس فكانت سبباً في حزنهم وندمهم . ولما عرف تأثيرها هذا فيهم كتب إليهم الرسالة الأخيرة وتظهر في ١ - ٩ لكي يعزيهم على كتابته هذه الرسالة المؤسفة .

لكن هناك جماعة من العلماء لا يؤيدون هذا الرأي السابق ويوجهون إليه الاعتراضات التالية :

لو كانت الرسالة الثانية تنقسم إلى جزئين كل منهما كتب في زمن مختلف وتحت ظروف غير متشابهة ، فأين خاتمة الرسالة الأخيرة التي تتضمنها الأصحاحات ١ - ٢٩ ومن الذي وضع الرسالتين معاً دون الاهتمام بالترتيب ؟

وإلى جانب ذلك فالدليل التاريخي على ذلك غير موجود لأنه لم يعثر بعد على مخطوطة أو ترجمة أو أى شاهد يشير إلى ذلك .

أما الاختلاف بين الجزئين فقد بالغ فيه أنصار هذه النظرية السابقة ، فكما أن هناك اختلافاً بينهما هناك أيضاً تشابه . فمقارنة الأصحاحين الرابع والسابع من ناحية والحادي عشر نجدهما مماوئين بالافتخار .

إنهم لا ينكرون أن الرسول كتب رسالة ثلاثة قاسية ، ولكنهم ينكرون أنها متضمنة في الأصحاحات (١٠ - ١٣) من الرسالة الثانية . ويعتقدون أنها ضاعت .

٥ - الرسالة المعنونة بالثانية :

غالباً ما كانت هذه الرسالة هي آخر ما كتب الرسول إلى كورنثوس في الرحلة الثانية له . نعم أنه زارهم في نهاية رحلته الثالثة ، وغالباً ما كتب من عندهم رسالته إلى كنيسة رومية ، ولكن لم يكتب لهم شيئاً بعد هذه الرسالة . ولعل أهم ما فيها هو التعبير عن فرحه وابتهاجه عندما سمع الأخبار الطيبة التي حملها إليه تيطس وأخبره أن موقف الكنيسة قد تحسن كثيراً من جهته ؛ وهذا واضح في كل الرسالة وخاصة في الأصحاح السابع . إلى جانب ذلك فقد كانت هناك بعض الأمور التي أراد الرسول أن يشرحها لهم . إنه يطلب منهم أن يظهروا العطف على الأخ المذنب الذي تاب (٢ : ١ - ١٢) . وهو يريد أن يطلعهم على نوع الحياة المسيحية والخدمة التي أرسله لأجلها الرب يسوع ، والقوة التي يعطيها له لإتمام هذه الخدمة رغم كل ما فيها من أتعاب ومفشات .

هذا كله موجود في الأصحاحات السبعة الأولى . ثم يخصص جزءاً كبيراً منها لفكرة الجمع لأجل القديسين في أورشليم ، ويحثهم على أن يهتموا كثيراً حتى يمكن أن يأخذ منهم عطاياهم عندما يأتي إليهم في زيارته القادمة .

تاريخ و غرض كتابة الرسائل :

أمر الرسالة الأولى سهل فنحن نقرأ في ١ كورنثوس ١٦ : ٨ و ٩ « ولكنى أمكث في أفسس إلى يوم الخميس لأنه قد انفتح لي باب عظيم فعال ويوجد معاندون كثيرون » ونحن نعرف أنه مكث في أفسس حوالي ٣ سنين ابتداء من ٥٣ م إلى حوالي ٥٦ م (أعمال ٢٠ : ٣١) وهذا معناه أن كورنثوس كتبت في السنة الأخيرة من بقائه في أفسس إما في سنة ٥٥ أو ٥٦ م .

وكان غرض كتابة الرسالة كما سبق القول هو المعلومات التي وصلت إليه من أهل خلوى (١ كورنثوس ١ : ١١) وتتضمن هذه المعلومات وجود انقسامات في الكنيسة تتلخص في أحزاب أربعة (١١ و ١٢) ويعتقد كثير من العلماء أن أهل خلوى أخبروه عن بضعة مشكلات أخرى في الكنيسة ، مثل الرجل الذي سقط في الخطية مع زوجة أبيه (٥ : ١) أو مقاضاة بعضهم البعض في المحاكم الحكومية (٦ : ١ - ١١) وانتشار خطية الزنى بينهم (٦ : ١٢ - ٢٠) . وربما أخبروه عن سخافاتهم التي كانوا يقرّفونها في وقت العبادة (ص ١١) .

وكتب هذه الرسالة أيضاً ليرد على الأسئلة التي أرسلتها إليه الكنيسة وحملها إليه الأخوة الثلاثة اسطفانوس وفرتوناتوس وأخثايكوس (١٦ : ١٧) وهي التي كان يرد عليها مبتدأً بالقول « وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها . . . » (٧ : ١) . وهي تضم الأسئلة التالية :

١ - ما ذبح للأوثان ثم الزواج والطلاق (٧ : ١) قيمة المواهب الروحية (١٢ - ١٤) عقيدة القيامة (١٥) .

أما تاريخ و غرض كتابة الرسالة الثانية فهو أمر أكثر تعقيداً لأنه

يتوقف على موقف الدارس من الرسالة سواء أكان يعتبرها رسالة واحدة أم رسالتين أم ثلاثة .

فالذين يعتقدون أنها رسالة واحدة فيقولون إنها كتبت من مكدونية سنة ٥٧ م ، بعد أن سمع أخباراً من تيطس أن الكنيسة قد رجعت إلى صوابها (٢ كورنثوس ٧ : ٦) ، فكتب لهم مشجعاً ومعزياً : ويقولون إن سبب تغير اللهجة في ص ١٠ - ١٣ هو أنه سمع أخباراً أخرى بعد أن كتب الجزء الأول فأولى ١٠ - ١٣ باللهجة عنيفة قاسية .

أما الذين يعتبرون الرسالة مكونة من مجموعة رسائل ، فيقولون إن ص ١٠ - ١٣ كتبت بعد رجوعه من الزيارة المؤلمة عندما كان ينوى ترك أفسس أما الثانية كتبها بعد أن ذهب إلى ترواس ولم يقابل تيطس بل قبله في مكدونية حاملاً معه أخباراً طيبة سنة ٥٧ م مشجعاً إياهم وطالباً منهم أن يهتموا بالجمع لكي يأخذه منهم عند رجوعه إلى أورشليم .

فكر الرسول في رسالتي كورنثوس

كنيسة الله في كورنثوس :

هذه الجملة التي يذكرها الرسول في المقدمة « بولس . . إلى كنيسة الله التي في كورنثوس » (١ كورنثوس ١ : ٢ ، ٢ كور ١ : ١) من أروع ما كتب ، ولها فعل عظيم في المسيحية وحياة المسيحيين فكما عرفنا سابقاً عن نوعية المدينة التي أصبح اسمها مرادفاً للفساد والحياة المنحلة ، وصارت مرتعاً للديانات المتعددة والتيارات التي لا صلة لها بالأخلاق ، في هذا الوسط - شكرياً لله - أقام الله كنيسة له . وهكذا يقول لهم الرسول بنفس التعبير . « لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان . . . وهكذا كان أناس منكم

لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » (١)
كورنثوس ٦ : (١١) .

إنها جماعة قد دعاها الله ليس لسبب فيها بل في الرب يسوع وقدسهم فيه ، وأطلق عليهم لقب قديسين أى مفرزين من بين العالم ليكونوا له (١ كو ١ : ٢) . هذه الدعوة ليكونوا في شركة الرب يسوع ويصبحوا جزءاً لا ينفصل من كنيسة الله عامة وعضوا في جسد الرب يسوع في كل هذا العالم (١ كو ١ : ٩) . ولذلك هم بناء الله بناه لكي يسكن فيه وليصبح مسكناً له ؛ وفلاحته يعمل فيها بكل قوة لكي يحييها وينميتها لكي تأتي بثمر (١ كو ٣ : ٩) .

وقد حياهم بكل علم وكل موهبة ، ليس العلم البشرى الإنسانى بل العلم الإلهى الذى فيه يعرفون محبة الله الآب . وأعطاهم أن يستغنوا ويصبحوا أغنياء في الله وعن العالم . وما فيه (١ : ٧) . وملاهم بالرجاء فهم ليسوا كأهل العالم حولهم يعيشون حاضرهم في فساد وذنس إلى أن يأتيهم الموت ، ولكنهم ينظرون إلى المستقبل إلى استعلان سيدهم ربنا يسوع المسيح (ع ٧) . ولن يضيعوا أو يخوروا لأن الله سيثبتهم إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح » (ع ٨) .

أليس هذا شيئاً مذهلاً حين نسمع كل هذا الكلام عن كنيسة امتلأت بالانقسام من كل نوع ؟ إنقسام حزبي واجتماعي وديني وعلمي وغيره ؟ بل عن كنيسة حدث فيها من خطايا وإفساد وكل ما هو محزن وحملوا معهم كل ما كان موجوداً في العالم ؟ كنيسة كهذه لا ينظر إليها الرسول في ذاتها ، بل في المسيح . . إنها في العالم وقد دخل العالم إليها ولكنها رغم ذلك هي كنيسة الله التى يجب أن تشهد لعمله فيهم . شكراً لله إنها كنيسة الله رغم العالم ورغم حالتها هي . . إن الله يعرف كيف يثبت مختارينه .

بعد المقدمة يدخل الرسول مباشرة في مسألة الأحزاب التي في الكنيسة .
أربعة أحزاب ، واحد لبولس والآخر لأبولس والثالث لصفنا (بطرس)
والرابع للمسيح (١ : ١٢) هذه الأحزاب سمع عنها من أهل خلوى . وكان
الرسول يتكلم عن أبولس بكل احترام (٣ : ٤ - ٧ و ٢٢ ، ٤ : ٦) .
ولعلهم سمعوا عن صفنا وعن المسيح من معلمهم . هذا الانقسام لم يكن انقساماً
أيديولوجياً أو انقسام فكري لجماعة لا تتلاقى أبداً ، ولكنها روح الحزبية
التي ملأت الكنيسة فتجعل كل واحد يجذب هذا أو ذاك :

والرسول بولس لم يحارب رسالة قدمها أبولس أو فكراً يرتبط ببطرس .
ولكنه يحارب روح التحزب في الكنيسة .

ولكي نعرف معنى هذا التحزب علينا أن ندرس الخلفية وراءه ، وهي تكمن
في بضعة ألفاظ وعبارات يستخدمها الرسول مثل « الحكيم » ، « الكاتب » ،
« مباحث هذا الدهر » (١ : ٢٠) « حكمة » ، « شرفاء » (ع ٢٦) . وهكذا .

هذه الألفاظ ترتبط بجماعة السفسطائين الذين تدرّبوا على المناقشة
والمباحثة ، وكانت لهم المقدرة الفذة في الخطابة وإقناع الغير بأية نظرية
يتبنونها . ولم يكن هؤلاء السفسطائين مدرسة فلسفية معينة ولكن كان همهم
الأول هو إقناع الناس بأي نوع من الفلسفة . وكانوا يحضرون إلى كورنثوس
خصوصاً في وقت الألعاب التي كانت تقام في استاميا ، وكانوا يهرون الناس
بخطاباتهم وحججهم وكانوا يسمون أنفسهم الحكماء . ولعل المسيحيين في
كورنثوس قد تأثروا بالروح التي كانوا يبثونها ، ولذلك عملوا على إيجاد
أحزاب مسيحية لإحداها لبولس والثاني لأبولس والثالث لصفنا والرابع
للمسيح ، هذه هي الروح ، لأنها روح إدعاء الحكمة ، فخلطوا بين الإنجيل

المسيحي والحكمة الهلينية ، المعلمين المسيحيين والسفسطائيين المحترفين ، بين أنفسهم وحكاماء هذا العالم . هذا هو أساس الانقسام الموجود في كورنثوس فكيف عاجله الرسول ؟

(أ) إنه يهاجم ، أولا وقبل كل شيء ، وضع الشخصيات البشرية سواء أكان بولس أو أبولس أو صفا في صف واحد مع المسيح ، مع أن المسيح هو الذي يحتوي الجميع . فالكل فيه وهو الذي صلب لأجل الجميع وباسمه يعتمد الناس ليكونوا جسده . أو بولس أما أبولس فليسا سوى خادمين أهلها الرب ليكونا رسولين للإنجيل . بولس غرس وأبلوس سقى - ولكن الله هو الذي يعطي الحياة والنماء . إن هذا التفاخر والتشاحن هو تناول على المسيح وعلى الله (١ : ١٠ - ١٦ ، ٣ : ٥ - ٩) .

(ب) أما حكمة العالم فهي جهالة عند الله . إن اليهود يسألون آية واليونانيين حكمة ، ولكن الله استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة (ع ٢١) . ولماذا ؟ لأن حكمة هذا العالم قد ضلت ولم تستطع أن تعرف طريق الله (ع ٢١ - ٢١م) بل على العكس من ذلك ففي حكمتهم البشرية ، صلبوا رب المجد ، وهذا دليل على مدى ما وصلت إليه هذه الحكمة البشرية من جهل (٢ : ٨) ولأجل ذلك فسوف يبید الله حكمة الحكماء ويرفض فهم الفهماء (١ : ١٩ و ٢٠) . ولكن في مقابل هذه الحكمة البشرية الجاهلة أعلن الله حكمته وكانت دينونة قاسية على حكمة البشر . إنها الصليب : فالصليب عثرة لليهود وجاهالة لليونانيين لأنهم لم يعرفوه « (٢ : ٩ و ٨) أما للذين عرفوه واختبروه فهو قوة الله وحكمة الله (٢ : ٢٣ و ٢٤) . فالحكمة البشرية هي كلام ومباحثات غبية أما حكمة الله فهي بالروح القدس (٢ : ٤) . ولأجل ذلك فجهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس (١ : ٢٥) . هذه الحكمة الإلهية عرفناها

بإعلان الروح القدس (٢ : ١١) . وكل من عنده روح الله يعرف ويختبر
عمل الله وأهوره التي يهبها له (٢ : ١١ - ١٣) .

(ح) ويعطى الرسول برهانين قويين على ما يقول : برهاناً من خدمته
هو : لقد جاء إليهم ليس بسمو الكلام ولا بالحكمة ، بل نادى بشهادة الله
وبيسوع المسيح مصلوباً بكل ضعف وبساطة وخوف (٢ : ١ - ٣) . ولكن
مع ذلك الخوف والضعف والرعدة . . مع تلك البساطة والجهالة في الكلام
فإن روح الله قد عمل في الكرازة فأمن الكثيرون وجاءوا إلى المسيح .
(٢ : ٤) ولهذا فإيمانهم ليس بالحكمة البشرية المقتنعة ولكن برهان روح
الله وقوته (ع ٤) .

أما البرهان الثاني فهو هم أنفسهم . ومن هم هؤلاء الكورنثيون ؟ يقول
لهم الرسول « فانظروا دعوتكم أيها الأخوة ليس كثيرون حكماء حسب
الجسد ، ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء » (١ : ٢٦) ولكن
هل يعنى ذلك أنهم مرفوضون ؟ كلا ، لقد « اختار الله جهال العالم ليخزي
الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء واختار الله أرنبياء العالم
والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود » (٢٨) . وهم الذين اختارهم الله
هكذا ، وبهذه الطريقة . . إنه لم يختبرهم لشيء فيهم ، ولا لحكمة بشرية ، أو
امتياز إنسانى ، لأنهم لا يملكون شيئاً من ذلك ، ولكن « منه أنتم بالمسيح
يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء » (ع ٣٠) . ولذلك
فيجب ألا يفتخروا بشيء بل بالرب الذى اختارهم وأهلهم ليكونوا أبناء الله
وغرسه (١ : ٣١ ، ٣ : ٩) . هذان هما البرهانان اللذان يقدمهما الرسول
على حكمة الله وقوته التي ظهرت بالصليب وفيه .

(د) ولكن هناك جماعة قليلة في الكنيسة يبدو أنهم كانوا مثقفين

أو أغنياء أو شرفاء . هؤلاء كانوا يفتخرون على الباقين ، ويدبنون الآخرين ، ولهذا فالرسول يوبخهم . يضع أمامهم نفسه وأبلوس مثالا ، إنه لا يشعر بوخذ ضمير من جهتهم ، ويريد ألا يحكم فيه أحد ولكنه مع ذلك يشعر أنه ليس مبرراً (٤ : ١ - ٥) . وهكذا يجب ألا يفتخروا على الآخرين ألا ينتفخوا (٤ : ٦) ولماذا يفتخر الواحد منهم ؟ ما هو امتيازهم ؟ إن ما يميزهم لم يكن شيئاً في ذواتهم بل نالوه من الله ، هو عطية منه ، فكيف يفتخر الواحد كأنه لم يأخذ شيئاً من الله ؟ (٤ : ٧) إن كل امتيازهم هو أنهم أخذوا من الله ، ما يمتلكونه الآن فليفتخروا بالرب لا بأنفسهم . وهنا يوبخهم الرسول ويسخر منهم مقارناً إياهم بالرسول ، لأنهم يظنون أنهم أعظم من الرسل (٤ : ٨ - ١٤) ولكنه في سخريته منهم ومن كبريائهم الذي لا أساس له ، لا يريد أن يخجلهم ، لأنه أبوهم قد ولداهم في قيوده ، فهم أعزاء على قلبه ، لا يريد منهم سوى أن يكونوا في المركز الذي وضعهم الله فيه بتواضع ومحبة . وفي ذلك يجب أن يتمثلوا به هو (٤ : ١٥ و ١٦) وعندما يأتي إليهم نيموثاوس يجب أن يعاملوه كابنه الذي سيدكرهم بالرسالة التي قدمها لهم ويكرمه . . أما من انتفتح . فسوف يأتي هو بنفسه ليختبره إن كان حقاً قوياً أم أنه مملوء فقط بالكلام (٤ : ١٧ - ٣١) .

٣ - المناقضات المؤسفة في الكنيسة :

لم يكن الانقسام الحزبي فقط هو ما سمعه من أهل خلوى عن الكنيسة في كورنثوس ولكنه سمع عن أمرين مؤسفين آخرين وجد الرسول فيهما متناقضات لا يصح أن يظهر في الحياة المسيحية أو في كنيسة المسيح الأمر الأول حالات الفساد والزنى المتفشية عند بعض الأعضاء والثاني المحاكمات التي تجرى في المحاكم العالمية وليس في الكنيسة .

(أ) لقد شدد الرسول على القداسة التي يجب أن تهيمن على الحياة المسيحية ، فيذكر في مقدمة رسالته أنهم قديسون . . ودعوا للقداسة (١ : ١) و (٢) والقداسة هنا إذا كانت بمعنى الانفصال عن العالم فلا بد أن يكون لها ثمرها ، وعندما يذكر أنهم بناء الله في (٣ : ٩) فإنه يقصد أن الله سيسكن فيهم ، ولهذا فيجب أن يكونوا مقدسين (٦ : ١٩) . وهو ينبر على ذلك لأنه سمع أن شخصاً عاش مع امرأة أبيه وهي محرمة عليه : وهذا أبشع ما يسمع عنه في الحياة الفاسدة التي تعيشها المدينة ، وعلى هذه الحادثة يعلق الرسول تعليقاً مريراً :

فهو يذكرهم بأن هذا الأمر لا يمكن أن يقبله المجتمع الوثني المملوء بالفساد ، فهل يمكن أن تقبله الكنيسة ؟ (٥ : ١) إن الكنيسة تسمح للعالم بأن يدخل فيها بأقبح وجه له ، بكافة المقاييس حتى العالمية نفسها ومع ذلك - وهنا التناقض المريب - تنتفخ الكنيسة وتنقسم ويحس بعض منها أنهم أفضل من الآخرين اجتماعياً ودينياً ، نعم كبرياء وتفاخر وهم في الوحل . تظاهر بالصحة ومن الداخل مرض قاتل (٥ : ٢) لماذا لم ينوحوا ويحزنوا على ذلك ؟ لماذا لم يحكموا عليه ولم يعزلوه حتى لا يفسد آخرين أو يشجعهم على الفساد ؟ من كلام الرسول يظهر أن هذا الرجل كان له شأن في الكنيسة ، ولعله كان يتمتع بتأثيره على الكثيرين مما يجعله خميرة فاسدة تبعث على الخوف والانزعاج . ولهذا فالرسول يدفع الكنيسة على أن تحكم عليه . . إنه هو بروحه والكنيسة كلها مجتمعين مع المسيح يسلمون هذا الإنسان للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع (٥ : ٤ و ٥) . هذا الحكم سرى وغامض علينا في فهمه ، ولستنا ندرى بالضبط ماذا يعنى الرسول ، وغالباً ما كان يقصد أمراً مثلما حدث مع حنانيا وسفيره أى يموت (أعمال ٥ : ١ - ١١) أو ما كان يحدث بين الكورنثيين أنفسهم في إفسادهم للعشاء الرباني ، إذ كان

فيهم كثيرون مرضى وكثيرون يرقدون» (١١ : ٣٠ و ٣١) . ولعل هذا الحكم يحمل معه دفعة قوية للرجل على التوبة حتى تخلص روحه في يوم الرب يسوع المسيح . هذا الحكم أو البتر هو الطريقة المثلى لإزالة الحميرة التي تفسد العجين كله حتى يمكن أن يقيد المسيحيون فصيحهم الأجدد الروحي بفطير الإخلاص . والحق (٥ : ٧ و ٨) . ويبدو أن عيد الفصح كان على الأبواب ولهذا يتذكر الرسول فصيحنا المسيح الذي ذبح من أجلنا .

وهنا يسخر منهم الرسول ويسخر من فهمهم لرسالته الأولى ، فقد كتب لهم ألا يخالطوا الزناة ، وهذا يدل على أنه كان يعرف مجتمعهم وأن هناك بعض الزناة فيه ، ولكن الأمر السخيف هو أنهم فهموا أنه يجب ألا يخالطوا زناة العالم ومع ذلك فإنهم يغمضون أعينهم عن زناة الكنيسة . . إنها سخيفة وسخافة فإنهم يجررون من اللهب ولكنهم يحتفظون بالنار في أحضانهم . إنه يقصد بالأحرى أن يعزلوا الخبيث . ولما لم يفهموا قوله . . بل لما تعاموا عنه وتجاهلوه تفاقمت المشكلة فحدث بينهم ما لم يحدث بين الأمم (٥ : ٩-١٣) .

(ب) أما التناقض الثاني فهو الذي يختص بشكوى بعضهم البعض عند الظالمين أهل العالم (٦ : ١) . وفي هذا الأمر يذكرهم الرسول بمرارة بأمرين الأول هو مركزهم كمؤمنين لأنهم سيدينون العالم فكيف يتخلون عن مركزهم هذا ويقبلون الأمر ويحاكمون إخوتهم عند العالم؟ هل نسوا ذلك؟

ولكن الأمر الأكثر هو أنهم سيدينون ملائكة ، ولعلها الملائكة التي سقطت . أي أنهم أعطوا بصيرة روحية لم يستطعها الملائكة أنفسهم ، فهل تعمي بصيرتهم عن مشكلات هذا العالم فلا يستطيعون حلها؟ (٦ : ٣ و ٤)؟ والأمر الحزن والمبكي معاً هو ادعائهم الحكمة . ومع ذلك فيلوح أنه لا يوجد حكيم واحد يحكم في وسطهم يا للعار !! (٣ : ٥ - ٩) .

وهنا يوبخهم الرسول توبيخاً صارماً ثم يحذرهم بأن ملكوت الله لن تقبل ما يسير في العالم (٦ : ٧ - ١١) .

وهنا يضع الرسول :

المبدأ المسيحي في مواجهة المبدأ الفلسفي الوثني (٦ : ١٢ - ٢٠ ، ٧ : ١ ، ٣٥ - ٤٠)
في معرض حديثه عن خطية الزنى وعن الزواج هذه المبادئ وضعت لكي تتعامل مع الفكرة الوثنية عن الجسد . فمن المعروف أن أساس الفلسفة الأنلاطونية هو التفريق بين الجسد والنفس ، وهو هذه الأخيرة عن الجسد الذي يعتبر شيئاً لها ، ترجو دائماً أن تتركه وتتمحور عنه . ولقد تحولت هذه الفكرة في العصر الهليني إلى اعتبار الجسد شراً لأنه مادة ، والمادة شر . . وزادوا على ذلك وجعلوه شراً في طبيعته لا يمكن أن يصلح . . ولأنه شرفته وقف الناس منه موقفين متعارضين : الموقف الأول هو ألا يهتموا به فيتركونه يشبع كل احتياجاته أكلاً وشرباً وجنساً وغير ذلك فإنه سوف يموت ولا قيمة له ، أما الموقف الثاني فهو : لأنه نافع وله عطايا كثيرة كهنه ، فعلى أن نكبحه ونحرمه من كل ما يطلبه إلا ما يقيم أوده . ولذلك عاشت الجماعة الأولى حياة إباحية وعاشت الجماعة الثانية عيشة الزهد المتطرف .

ويلوح أن هذين التيارين كانا موجودين في الكنيسة كما يتضح من وجود الزناة (٥) والشربين في الأكل والشرب (١٠ : ٦ - ١١) وغير ذلك . ولهذا يضع الرسول المبدأ المسيحي الإلهي في مقابل ذلك :

أساس هذا المبدأ هو أن أجساد المؤمنين هي أعضاء للمسيح وهم روح واحد مع الرب (٦ : ١٥ و ١٧) وأن هذا الجسد هو هيكل الله وروح الله ساكن فيه (٦ : ١٩) وأن هذا الجسد هو ليس ملكاً للمؤمنين لأنه قد اشترى بثمن . فالؤمن كله ملك لله .

والمبدأ الثاني هو أن الرجل والمرأة عندما يتزوجان يكونان جسداً واحداً والعلامة على هذا الجسد الواحد هي العلاقة الزوجية التي بينهما ، فالرجل ليس له تسلط على جسده وكذلك المرأة فكلاهما معاً واحداً ويمتلك أحدهما الآخر . هذه العلاقة الزوجية هي من وضع الله وهي المبدأ المسيحي (٧ : ٣ - ٥) .
ومن هذين المبدأين يستنتج الآتي :

أولاً : سمو الجسد ، بخلاف ما يقوله الوثنيون . فهو ليس شراً في ذاته بل يمكن أن تسكن فيه الخطية فيصبح ضحية لها ، ولكن جسد المؤمن الذي حرره المسيح من الخطية هو ملك الله مسكن للروح عضو في جسد المسيح (٦ : ١٥ ، ١٩ - ٢٠) .

ثانياً : يجب ألا يزني المؤمن فإنه بذلك يأخذ هذا الجسد ويجعله جسداً واحداً مع زانية وهذا ما لا يمكن تخيله (٦ : ١٤ - ١٦) .

ثالثاً : إن لهذا الجسد حقاً في أن يصبح واحداً مع شريك له ، لأنه من البدء ذكراً وأنثى خلقهما ، فيجب ألا يسلب الرجل المرأة ولا المرأة الرجل حق كل منهما (٧ : ٢ - ٧) .

رابعاً : من يريد أن يمتنع عن معاشرته عذرائه ، كما كان يحدث في كورنثوس ، إذ كان الزوج والزوجة يمتنعان عن المعاشره الزوجية لاحتقارهما الجسد ، فليكن هذا الامتناع إلى حين ثم ليكن هدف الصوم والصلاة (٧ : ٣٥ - ٤٠) . أما غير ذلك فهو ليس مسيحياً .

وهنا يصحح الرسول المبادئ الوثنية بأن يضيف إليها المبدأ المسيحي

وهي :

مسيحي		وثني
ولكن ليس كل الأشياء توافق (١٢ : ١٠ ، ٢٣) لكن لا يتسلط على شيء (١٢ : ٦) ولكن ليس كل الأشياء تبقى (١٠ : ٢٣) . ولكن الجسد ليس للرب بل للرب والرب للجسد والله قد أقام الرب وسبقنا نحن أيضاً بقوته (١٣ : ٦ و ١٤) .	نعم نعم نعم نعم	كل الأشياء تحل لي كل الأشياء تحل لي كل الأشياء تحل لي الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والرب سيبيده هذه وتلك

ويلاحظ أن المبدأ الموجود في ١٠ : ٢٣ وضمه في معالجته لمشكلة أخرى وهي الأطعمة التي تباع في الملاحمة .

الكنيسة تستفهم :

وعند هذا الحد يبدأ الرسول في الإجابة على الأسئلة التي أرسلتها إليه الكنيسة . وكان يبدأ إجابته على كل سؤال بالقول « وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها .. » . (٧ : ١) . وكانت هذه الأسئلة تختص بالزواج والطلاق - ما ذبح للأوثان ، مركز العبادة في الكنيسة ، المواهب الروحية وخصوصاً التكلم باللسنة ، قيامة الأموات .

الزواج والطلاق : (ص ٧)

ليس لدينا في الرسالة صيغة السؤال ولكننا نعرفه من مضمون الإجابة عليه . وقبل أن ندرس إجابته على قضية الزواج والطلاق علينا أن نستنتج المبادئ التي بنى عليها الرسول حكمه :

أولاً : كانت الزيجات في الكنيسة مختلطة فقد يكون أحد الزوجين مسيحياً والثاني لازك وذنياً ولم يتبلّغ السبع بعد . وكان هناك من كان متزوجاً بأكثر من زوجة .

ثانياً : كانت الكنيسة في ذلك الوقت المبكر تنتظر رجوع المسيح السريع ، ولهذا كان الرسول ينبأ الكنائس بأن «الوقت منذ الآن متعسر» (٧ : ٢٩) .

ثالثاً : إن هدف الزواج هو إنجاب الأولاد ، وهو العنصر المهم فيه ولهذا لا داعي لطلاق الزوجين إذا قبل أحدهم المسيح ورضى الآخر أن يسكن معه وهو لازال في وثنيته ، لأن الأولاد مقلسون بالزواج . ومن يلدرى فلعل الشريك المسيحي سبباً في خلاص شريكه (٧ : ١٢ - ١٦) .

ولهذا كله يدعو الرسول بولس إلى بقاء الحال كما هو ، لأن الوقت قريب وقصير أما المسيحي الذي لا يستطيع البقاء من غير زواج فليتزوج وإن تزوج فينبغي ألا يكسر زواجه (اقرأ ص ٧ كله) .

(ب) ما ذبح للأوثان : (ص ٨ و ١٠ : ١٥ - ٣٣)

كان هذا السؤال هاماً جداً في ذلك الوقت حتى وإن لم يكن له ما يبرره في عصرنا الحاضر ، ولكن المهم ليس في السؤال بل في الجواب فالرسول يضع مبدأ ينطبق على كل عصر . إن المشكلة تختص بأمرين :

الأمر الأول : هو أن الوثنيين كانوا يذبحون الذبائح للوثن وكانوا يأكلونها في الهياكل وكانوا يعتقدون أنهم بذلك يشتركون مع الإله . وكان هؤلاء الوثنيون يدعون أصدقاءهم من المسيحيين ليأكلوا معهم في الهيكل (٨ : ١٠) . وأحياناً كان هذا اللحم الذي ذبح للوثن يباع في الملحمة ليشتريه الناس ويأكلونه في بيوتهم (١٠ : ٢٥) . ولقد كان في كورنثوس فئتان . فئة كانت تأكل اللحم إذا دعوا لأنهم لا يعتقدون بوجود وثن ، والفئة الثانية كانت تؤمن بوجود هذه الآلهة وكان ضميرها ضعيفاً . وقد أرسلت الفئة الأولى التي تأكل ، هذا الاستفهام وغالباً ما كان هكذا . « نحن نريد أن نسألك بخصوص اللحم الذي يذبح للوثن . « فكلنا يعلم تماماً أن ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر إلا واحداً . ولكن ليس العلم في الجميع بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن فضميرهم إلى الآن يقتبس ، ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص (فنحن لا نستطيع أن نخرج من العالم أو أن نرفض دعوة أصدقاءنا لنأكل معهم في مواعدهم في الهيكل ، ونحن لا نستطيع أيضاً أن نجد لحماً خارج الملحمة وكلها مما ذبح لوثن فإذا عمل مع اخوتنا هؤلاء الضعفاء ؟) .

هذا ملخص خطابهم من واقع رد الرسول عليه ومنه نعرف أنه كان يقتبس من هذا الخطاب ليكتب رسالته وكان رده عليهم كالآتي :

(أ) العلم لا ينفع بل هو ضار إذا كان وحده (٨ : ١) . فإنه يدعو

إلى الكبرياء والانتفاخ . والحقيقة أن علمهم ناقص وليس كاملاً : فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف « (ع ٢) وهذا هو الموقف في كورنثوس وكثيراً ما ونجهم الرسول على ذلك لأن المعرفة وحدها ضارة (٣ : ١٨) . إن المعرفة الصحيحة هي تواضع ووداعة .

(ب) المحبة إذا سادت فإنها تحول العلم إلى خير ونفع : العلم ينفخ ولكن المحبة تبني (١) . هذه المحبة التي يقصدها الرسول ليست محبة الأخوة ولكنها محبة الله (ع ٣) من هذه المحبة الأساسية في الحياة المسيحية تنبع المحبة للأخوة ، « إن معرفتهم هذه جعلت منهم أناساً يظنون أن لهم سلطاناً يفعلون ما يعتقدونه حلالاً لهم ، والرسول يخشى أن يصبح هذا السلطان ضرراً للآخرين الذين ليس لهم قوة ضميرهم (٨ : ٩) وبهذا يصبح العلم عثرة وتضعف المحبة للآخرين .

(ج) ولكن ما هو مضمون المعرفة التي يتكلمون عنها ؟ إنها تنصب على أمرين : الأول سلبي وهو أنه لا يوجد وثن في العالم . (٨ : ٥ و ٤) مهما ادعى الآخرون بوجود آلهة كثيرة ، أما الأمر الثاني فهو إيجابي وهو عبارة عن قانون إيمان « لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به » (٨ : ٦ و ٧) . هذه المعرفة منحتم الحرية الكاملة لأن يأكلوا دون عثرة . ويضع الرسول قانون المحبة فوق المعرفة والحرية وبذلك يغير المفهوم السائد في كورنثوس عن المعرفة . إن المعرفة الحقيقية ليست هي أن تعرف الله ، ولكنها أن تعرف من الله أو تكون معروفاً عنده (٨ : ٣) . ولقد وضع التنبيه على معرفة الله لهم لا على معرفتهم هم الله . وهذه المعرفة الإلهية هي التي تولد المحبة في الإنسان ، فوجود المحبة في الإنسان هي العلامة الحقيقية على أن الإنسان لديه المعرفة الحقة . فالمعرفة التي ينالها الإنسان من الله تظهر في محبة الله ومحبة القريب . وعلى هذا فيجب أن تظهر محبتنا للقريب حتى ولو امتنع عن أكل اللحم الذي يعثر به قريبي

(٨ : ١٣) . فالمشكلة كما كان يفهما الكورنثيون الذين كتبوا الرسالة تتلخص في المعرفة والضمير ، ولكن الرسول وضعها في إطار الحرية المسيحية والمحبة : إذا فالسؤال الذي كان يجب أن يسأله ليس « هل هو مسموح أن آكل هذا ؟ » بل « هل أكل هذا نافع لأخى الذى يسكن معى ؟ فالمسيحى يفتش عن مجد الله بأن يفتش عن نفع أخوته وزملائه حتى يختبروا أعماق المسيحية . وهذا فهو يتمثل بالمسيح الذى يسير وراءه الرسول ويتبعه (١٠ : ٣١ - ١١ : ١) .

ويستحسن هنا أن نشير إلى أن الأخ الضعيف الضمير يختلف عما نفهمه نحن في عصرنا الحاضر فإننا نفهم ذلك على أنه الشخص الذى لا يهتم كثيراً بالمبادئ الأخلاقية ، أما الرسول فهو يقصد به الأخ ذا الضمير البالغ الحساسية وفي نفس الوقت لم يستطع أن يتخلص من التفكير الوثنى ، فحتى رأى هذا الأخ الضعيف أخاه القوى يأكل اللحم المذبوح للوثن فقد يتشجع ويأكل ولكنه في نفس الوقت يتألم ويظن أنه فعل خطية ويشعر بالذنب ، وبذلك يدمر الأخ القوى بعلمه ومعرفته أخاه إذ يلقيه في العذاب والألم .

(ج) قداسة العبادة في الكنيسة : يبدو أن العبادة في كنيسة كورنثوس لم تكن تسير وفق اللياقة الصحيحة التى يجب أن تظهر في الكنيسة ، وقد ظهر عدم اللياقة في أمور ثلاثة هامة : المرأة والعبادة ، إفساد الهدف من عشاء الرب وأخيراً عدم فهم رسالة المواهب الروحية .

المرأة والعبادة (١١ : ٢ - ١٦ ، ١٤ : ٣٤ - ٣٦)

ربما سمع الرسول عن هذه المشكلة من مصدر آخر غير رسالتهم إليه ، وربما تكون واحداً من الأسئلة التى وضعوها له ليجيب لهم عنها . إن هذه

٤٣٣

(م ٢٨ - المدخل الى العهد الجديد)

المشكلة خاصة ببعض النساء اللاتي كان لهن نشاط في الكنيسة وفي الخدمة وهي تتلخص في أمرين : الأول هو تغطية المرأة لرأسها عندما تنبأ أو تصلى (١١ : ٢ - ١٦) الأمر الثاني هو كلام النساء في الكنائس (١٤ : ٣٤ - ٣٥) ولنأخذ المشكلة الثانية :

أولا : ما معنى لتصمت نساؤكم في الكنائس ؟ (١٤ : ٣٤) ألا تعتبر هذه الكلمات متناقضة مع قوله في ١١ : ٥ « وأما كل امرأة تصلى أو تنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها » ؟ إن الأمر الذي لا يمكن إنكاره هو أن المرأة تستطيع أن تصلى أو تنبأ في الكنيسة . وهذا يعني أن الأمر بالتصمت لا يأتي في نطاق النبوة أو الصلاة ، لأن الروح القدس إذ يرشد المرأة أن تصلى أو تنبأ لا يستطيع الرسول أن يأمرها بالتصمت . إن الجواب على هذا السؤال غالباً يمكن في ١٤ : ٣٥ « ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في الكنيسة » . إن الكلام هنا ينصب على الاستفهام عن بعض الأمور التي يقوها الأنبياء ويلوح أن بعض النسوة كن ينادين على أزواجهن ليسألنهم عن بعض الأمور ، وبذلك يصبح الاجتماع في حالة تشويش . هذا هو الأمر الذي يمنعهن الرسول منه لكي يجعل الاجتماع في حالة روحية ثم ليحفظ النساء في حالة الخضوع للرجل .

أما الأمر الآخر فهو غطاء الرأس ويبدو أن بعض النسوة تخلعن غطاء رؤوسهن ليكن متساويات مع الرجال . ولكن الرسول يمنع ذلك بشدة ، لأنه من الأليق أن تغطي النساء رؤوسهن . ويعطى الرسول تبريراً لذلك لا على أساس اجتماعي بل لاهوتي : رأس المرأة الرجل ورأس الرجل المسيح ورأس المسيح الله . وكلمة رأس هنا لا تعني السيادة المطلقة ولكنها تعني الطاعة لمن هو

الرأس فشلا كابن لله كان المسيح إبناً طائعاً للآب وكانت طاعته كاملة (عبرانيين ٥ : ٨) .

وهكذا الرجل ، يجب أن يظهر هذه الطاعة للمسيح وعلى المرأة أن تطيع الرجل كذلك . المرأة خلقت من الرجل والرجل خلق لأجل المسيح والمسيح جاء لكي يطيع الله ويمجده . . فإذا تنبأت المرأة ، أو وصلت بدون تغطية رأسها ، فهذا عارٌ على رأسها (الرجل) وإذا صلى الرجل ورأسه مغطى عار على رأسه (المسيح) وهذا أمر تحتمه الطبيعة نفسها إذ خلقت المرأة بشعر طويل والرجل بشعر قصير ، ويورد الرسول شيئاً آخر عن المرأة التي يجب أن تغطي رأسها فيقول من أجل الملائكة أى حراس قانون الله في الكون .

— العشاء الرباني وعدم اللياقة عند إجرائه في كنيسة كورنثوس (١٠ : ١٥ - ١٨ ، ١١ : ١٧ - ٣٤) :

في هذه الرسالة نجد تناقضاً واضحاً بين فهم كثير من أعضاء الكنيسة للمفروض الروحية أى العشاء الرباني والمعمودية وبين كيفية القيام بها وخاصة العشاء الرباني . أما عقيدتهم في هاتين الفريضتين فيلوح أنها كانت تقرب من عقيدتهم في السحر ، ويؤخذ من ١٠ : ١ - ٢٢ أنهم كانوا يظنون أنهم ما داموا قد اعتمدوا وما داموا قد اشتركوا في عشاء الرب فلا بد أنهم سيحفظون من كل شر وخطية ، وفي نفس الوقت لن يهلكوا ، فهي تحميمهم من الأضرار الجسدية والروحية . وعلى هذا الأمر يرد عليهم الرسول بشدة مبيناً لهم أولاً أن المعمودية ليست بالأمر الذي يظنونه ، فالشيء المهم عنده هو التبشير أولاً وقبل كل شيء لأن المسيح « لم يرسلني لأعمد بل لأبشر » (١٧ : ١) ولهذا فلم يهتم بأن يعمد كثيرين بل ترك المعمودية لآخرين لكي يقوموا بها .

أما الخط الثاني في كلامه عن الفرائض فإنه يقتبس ما حدث لإسرائيل منذ القدم فقد اجتازوا في البحر الأحمر مع موسى ومن أجله ، كانوا في وسط البحر وكانت السحابة فوقهم وهذا مثال للمعمودية في المسيحية فقد اعتمدوا لموسى أو في شركة عميقة معه ، ثم أكاوا المن الذي نزل من السماء وشربوا من الصخرة التي تابعتهم وهي المسيح وهذا رمز للعشاء الرباني الذي يمارس في العهد الجديد . ومع ذلك فلم تحفظهم المعمودية ولا العشاء الرباني من السقوط في الخطية وعبادة الأصنام فأكاوا وشربوا وقاموا للعب (١٠ : ٧) ، ولم يحفظهم أيضاً من العقاب الشديد الذي نزل بهم ، فأهلكتهم الحيات وسقطوا في القفر بعد أن جربوا الرب . هذا كله مثال لنا وتحذير لنا عندما نسقط في الخطية وعندما نعبد الأصنام ، وعندما نأكل مما ذبح للوثن ، وفي ضميرنا أننا نشترك مع الوثن . هذا كله سوف يأتي علينا رغم أننا اشتركنا في المعمودية وعشاء الرب . فلا يظن واحد في الكنيسة أنه محفوظ من كل هذا لأنه اعتمد ويشترك في عشاء الرب وبذلك يسقط في الخطية . ولماذا يذهبون بعيداً ؟ إنه هو نفسه الذي بشر الكثيرين والذي قدم الإنجيل للكثيرين والذي أسس الرب على يديه كنائس كثيرة . هو نفسه الذي لم يعتمد ويشترك في عشاء الرب فقط ولكنه اشترك في تجدد الآخرين والكراسة لهم . هو نفسه يخاف لئلا يكون مرفوضاً (٩ : ٢٦ و ٢٧) . فالمسيحية لا تعنى فقط ممارسة للفرائض بطريقة ميكانيكية تضمن للانسان كل شيء ، ولكن المسيحية هي أن يجمع الإنسان جسده ويستعبده، حتى الرسول نفسه .

ولقد عوقبت كورنثوس نفسها عندما أكلوا الخبز وشربوا الكأس بدون استحقاق يقول لهم الرسول « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأنه لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا (١١ : ٣٠ و ٣١) . ولكن ماذا فعل الكورنثيون في عشاء الرب ؟ لقد كانوا يصنعون

عشاء الرب في إطار وليمة حبية يشتركون فيها كلهم ، وفي أثناء العشاء أو في نهايته كانوا يمارسون عشاء الرب ، ولقد كان كل واحد منهم يحضر عشاؤه معه وينتظر إخوته إلى أن يحضروا ثم يأكلون كلهم. ولكن الأمور تطورت فأضحى الناس يأكلون طعامهم بمجرد أن يذهبوا إلى الكنيسة ، وكان الأغنياء ينفردون بما يأتون من أطعمة ولا يهتمون بالفقير (١١ : ٢٠ - ٢٢) ، وبهذا العمل كانوا يرجعون إلى عاداتهم الوثنية إذ كانوا يظنون أن الطعام يربطهم بالوثن ويوحدهم معه . ولم يفهموا الفكرة المسيحية فيه ، وهو أن هذا العشاء لا يربط الجسد بالرأس فقط ولكنه علامة على ارتباط الجسد نفسه . ارتباط أعضائه بعضهم البعض ، وبهذه الكيفية أهانوا جسد الرب ، أى لم يستطيعوا أن يميزوه أو يعرفوا مركزه وقيمته (١١ : ٣٠) ويعتقد كثيرون من المفسرين أن جسد الرب هنا تعنى الكنيسة (١٠ : ١٧) . أى أنهم لم يفهموا مركز ومعنى الكنيسة وعشاء الرب بالنسبة لها . وغيرهم يعتقد أن جسد الرب تعنى جسده الحقيقي الذى رفع على الصليب (١٠ : ١٦) . ولكن سواء هذا أم ذاك فالإثنان في النهاية يصلان إلى هدف واحد . إن الموقف الصحيح يصفه الرسول في ١٠ : ١٦ و ١٧ « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح ؟ الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ؟ فإننا نحن الكثيرين نخبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » إننا لا نأكل الخبز ونشرب الخمر لكي نشترك في جسد المسيح فهذا قد حدث من قبل بل لكي نتقوى ويتقوى الرباط المتين بين المسيح والكنيسة وبيننا وبين الآخرين .

- المواهب الروحية : (ص ١٢ و ١٤)

عندما يختبر المؤمن عمل الروح القدس فإن المواهب الطبيعية التى يمتلكها تتطور وتتقوى ، ولكنه قد يعطى بعض المواهب الخاصة كموهبة النبوءة

والألسنة . . وقد اختبرت ذلك كنيسة كورنثوس ، ولكن حدثت هناك عدة مشكلات لم يستطع الأعضاء حلها ولذلك كتبوا للرسول عنها ، ويلوح أن هذه المشكلات كانت تتركز في الأمور الآتية :

١ - بعض الأعضاء عندما كانوا يصبحون في حالات حماس شديدة كانوا ينطقون بعبارات غير مسيحية بل عبارات تجديف على يسوع كانوا يقولون « يسوع أناثيما » (١٢ : ٣) .

٢ - الذين تمتعوا بهذه المواهب لم يمارسوها بوجهها الصحيح بل قادتهم هذه المواهب إلى التنافس البغيض والكبرياء . وجميع من كانوا يمتلكون موهبة غير طبيعية ، كالشفاء والتكلم بالسنة وغيرها كانوا ينظرون إلى الآخرين بعين الاحتقار لأن مواهب هؤلاء لم يكن لها المظهر اللامع مثل مواهبهم . ولهذا شك أصحاب المواهب الغير طبيعية في الآخرين وفي نواهم عطية الروح القدس .

٣ - لهذا السبب السابق انحطت معنويات الأعضاء الذين لم تكن لهم سوى المواهب الخفية أو التي ليس لها الصوت المرتفع ، وبدأوا هم يشكون في أنفسهم ، وأنهم تحت سيطرة الروح القدس .

٤ - بعضهم لم يكتف بمواهبه واشتهى بحسد أن تكون له المواهب التي للغير . وكان على الرسول أن يجيب على هذه الأسئلة والقضايا :

١ - يبدو أن بعض الوثنيين عندما كان يحدث لهم الهياج الديني ويريدون أن يتخلصوا من هذه الحالة كانوا يلعنون الإله الذي كانوا يظنون أن الاتحاد به يسبب لهم هذا الهياج لكي يستريحوا ، وهذه الحالة كانت تحدث مع بعض أعضاء كنيسة كورنثوس فكان الواحد « يلعن » يسوع لكي يتخلص من حالة

الهيّاج . وإلا فلماذا لم يعرف الكورنثيون أن هذا الكلام كان من الشيطان ؟ ولهذا يذكرهم الرسول بأنهم كانوا قبلاً وثنيين وهذا ما كانوا يفعلونه عندما كانوا يتهبّجون ، ولكن ما دام روح الله هو الذى يسوقهم فلا يمكن لروح الله أن يقول يسوع أناثيا ، بل يعترف أنه رب (١٢ : ١ - ٣) .

٢ - أما الأمر الثانى فهو أنه لا خلاف بين موهبة وأخرى طالما أنها موهبة من الروح القدس وهى موهبة نافعة ، فإن الكنيسة تحتاج إلى خدمات كثيرة ، « فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل » (١٢ : ٦) . كل المواهب والخدم مصدرها الله وهى كلها متساوية فى قيمتها وفى أصلها لأنها تأتي من الروح القدس ، لا فرق فى ذلك بين من يمتلك مواهب غير طبيعية ومن يمتلك المواهب المادّثة الطبيعية (١٢ : ٧ - ١١) .

ويضرب الرسول مثلاً لذلك بالجسد الذى فيه أعضاء كثيرة ولكنها تعمل كلها فى اتساق وانسجام لخير الجسد كله . وهكذا نحن ككنيسة ، « لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقىنا روحاً واحداً » (١٢ : ١٣) وعلى هذا فهناك اختلاف فى المواهب لأن الله « وضع أناساً فى الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع السنة » ولكن هذه كلها تعمل للخير وللنفع فى الكنيسة التى هى جسد المسيح .

٣ - ولكن ليحذر أى إنسان من أن يفتخر على إخوته بمواهبه الغير عادية ظناً منه أنه أعظم منهم لأنه « لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لى إليك أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لى إليكما بل بالأولى أعضاء الجسد

التي تظهر أضعف هي ضرورية ، وأعضاء الجسد التي تحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل وأما الجميلة فينا فليس لها احتياج لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل لكي لا يكون اذشقاق في الجسد بل تهتم الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض » (١٢ : ٢١ - ٢٤) . وعلى هذا التماس فلا يستطيع أولئك الذين لهم مواهب القوات والشفاء والألسنة أن يفتخروا لأن المواهب التي لا تظهر في مثل حجمها لها نفعها الأكبر وخدمتها الأعظم .

أما أعظم المواهب جميعاً هي موهبة يجب على الجميع أن يسعوا وراءها . وأن يمتلكوها ، بل يجب أن تمتلكهم وهي المحبة . ولهذا فهو لا يسميها موهبة ، وإلا لصارت للبعض فقط ، ككل المواهب الأخرى ، ولكنه يسميها « طريفاً أفضل » . فهي تمتلك كل الحياة . وكل عضو في جسد المسيح . ويتكلم الرسول عن المحبة بكيفية توحى بأنه كان يتأملها دائماً . . بل يتأمل المحبة المتجسدة في حياة المسيح كما سمع عنها . إن هذا الأصحاح من أغنى وأعمق وأجل ما كتب الرسول في كل حياته (ص ١٣) .

في الأصحاح الرابع عشر يرجع الرسول إلى دراسة المواهب ويضع المبادئ الأساسية التالية :

أولاً : بعد المحبة يضع الرسول موهبة النبوة في رأس القائمة والسبب في ذلك لأنها تبنى السامع والكنيسة ، فهي أعظم من التكلم باللسنة لأن الذي يتكلم بلسان « يبني نفسه وأما من يتنبأ فإنه يبني الكنيسة » (١٤ : ٤) فمن يتنبأ أعظم ممن يتكلم باللسنة .

ثانياً : اللسان بدون ترجمة لا يبني إلا المتكلم وقد يكون سبب سفوية

تجئ من السامع الأعمى أو الغير مؤمن (٢٣) ولكن إذا ترجم اللسان فقد يكون نافعا للجميع .

ثالثاً : يجب أن يكون هناك نظام وترتيب في التنبؤ وفي التكلم بالسنة لأن إلحنا ليس إله تشويش بل إله سلام .

٥ - قيامة الأموات : (ص ١٥)

قبل أن ينتهي الرسول من هذه الرسالة يكتب مطولاً عن قيامة الأموات . ويلوح أن جماعة في الكنيسة أنكرت هذه الحقيقة ، وذلك واضح في قول الرسول « ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات (١٥ : ١٢) . فما هي طبيعة هذه البدعة ، لا أحد يدري على وجه التحقيق ، ومن دراسة الأصحاح ومناقشة الرسول لأفكارها يستنتج الدارس أنها ربما كانت واحدة من اثنين :

إما أنها رد على بدعة أخرى مفادها أن الجسد سوف يقوم كما هو بدون أى تغيير . ويؤخذ هذا من مقاومة الرسول نفسه لهذه البدعة الأخيرة في قوله « إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم فساد » (١٥ : ٥٠) .

وإما أنها كانت مقدمة لبدعة هيمنيائيس وفيليتس اللذين قالا « إن القيامة صارت » (٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) وهم الآن يملكون في ملكوت الله » ولهذا رد الرسول نفسه عليهم ساخرأ منهم في ٤ : ٨ « أنكم قد شبعتم ، قد استغنيتم ملكتم بدوننا وليتكم ملكتم لملك نحن أيضاً معكم » .

أما رد الرسول على هذه الضلالة فكان هكذا :

١ - يضع قيامة المسيح أساساً لكل شئ . وقيامه السيد . مؤكدة بحسب

الكتب المقدسة وبحسب ما نسلّمه من الذين عاينوا . وبحسب ما اختير هو إذ ظهر له المسيح المقام بعد أن ظهر لجميع التلاميذ (١٥ : ١ - ١١) . وقيامه الأموات تبنى على قيامة المسيح . فإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيماننا وإن كانوا قد شهدوا أن الله أقام يسوع من الأموات تكون شهادتهم زور ولم يعد لنا رجاء في المسيح إلا في هذه الحياة فقط وما أبأسه من رجاء (١٢ - ١٩) . ولكن المسيح قد قام ، وهو يملك الآن إلى أن يخضع كل شيء وبذلك تتم أعمال المسيح في الفداء ومصالحة العالم ويسلم الملك لله الأب فيكون الله هو الكل في الكل (٢٠ - ٢٨) .

٢ - إن هذا الرجاء في القيامة هو الذي يدفع الرسول للمخاطرة في التبشير فحياته هي شهادة حية للرجاء الكامل في القيامة . ويأخذ من حياتهم هم مثلاً على رجاء القيامة وهو المعمودية من أجل الأموات . (٢٦ - ٣٤) إن الرسول لا يعنى أن يؤيد هذه العقيدة عندما يتخذها مثلاً على رجاء القيامة ، ولكنه يوبخ الكورنثيون بأنهم يمارسون أشياء تتناقى مع عقائدهم النظرية .

٣ - إن القيامة لا بد وأن تكون جسدية ، وهذا ما يسميه الرسول بطرس الخلاص المستعد أن يعلن في الزمان الأخير (١ بطرس ١ : ٥) . ويسميه الرسول بولس « التبنى أى فداء أجسادنا » (رومية ٨ : ٢٣) . ولكن هذا الجسد ليس جسداً كهذا الذى نلبسه ولكنه جسد روحى ، وهذا ما يؤيده سيدنا عندما سأله الصدوقيون عن أمر القيامة والزواج فقال لهم « لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء » (متى ٢٢ : ٣٠) . ولكن هذا الجسد الروحاني لا يعنى أن الشخصية الفردية قد انتهت ، فالعلاقة بين الجسد الحالى والجسد المقام هي كالعلاقة بين البذرة وما ينبت منها . إنهما مرتبطان ولكنهما مختلفان . فالإنسان الواحد هو في آدم

الحليقة القديمة - إنسان مائت ، ولكنه في المسيح - الروح المحيي والحليقة الجديدة - إنسان حي ، فكما لبسنا صورة الترابي - آدم - سنلبس صورة السماوي الرب يسوع (٣٥ - ٥٠) .

٤ - ويكشف الرسول عن سر التغيير ، قد لا يكون الموت هو النهاية ولكن الأور المؤكد هو التغيير . ولعل الرسول يتكلم هنا من وجهة نظر ، قاله من قبل « لأن الوقت منذ الآن مقصر » (٧ : ٢٩) أي أنهم كانوا ينتظرون رجوع المسيح السريع . ولكن التغيير يعني أن سلطان الموت قد انتهى وأنا نشارك في الغلبة ليسوع المسيح (٥١ - ٥٨) .

أما قصة الجمع لأجل القديسين التي كتبوا له عنها (١ كورنثوس ١٦ : ١ - ٤ ، ٢ كورنثوس ٩ : ٥) فلعلها كانت من إحاء الرسول نفسه كما فعل في سائر كل الكنائس (١٦ : ١ ، رومية ١٥ : ٢٦ وهكذا) وذلك وفاء لتعهدده للرسول في أورشليم أن يفعل ذلك (غلاطية ٢ : ١٠) . ولقد فعلت كنيسة أنطاكية نفس الشيء أيضاً (أعمال ١١ : ٢٩ و ٣٠) . ولم يقصد الرسول من الجمع إحساناً إلى الفقراء بقدر ما كان يقصد به أشياء أخرى :

١ - ألا تنقسم الكنيسة إلى كنيسة يهودية وأممية وتكونان منفصلتين بل أن تنضم كلها كنيسة واحدة في المسيح ، إذا تألم عضو تألمت معه كل الأعضاء لأن القديسين في أورشليم يمجدون الله من أجل الأمم لأنه عمل فيهم وسكنت محبته الفياضة حتى أنهم يقدمون مما لهم ويقول الرسول « إذ هم باختيار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع وبدعائهم لأجلكم مشتاقين إليكم من أجل نعمة الله الفائقة لديكم (٢ كورنثوس ٩ : ١٣ و ١٤) .

٢ - إن الأمم مديونون لليهود بالروحيات فليس كثير آ عليهم أن يردو لهم شيئاً من هذا الدين بالחסديات . (رومية ١٥ : ٢٧) .

٣ - يريد الرسول أن يجعل هذه العطايا عملا من العبادة ، بل هي جزء لا يتجزأ منها فلذلك يطلب منهم أن يضع كل واحد منهم ما يتيسر له في خزانته للعطاء كل يوم أحد ، ولم يكن هذا ترتيباً وتنظيماً وتسهيلاً للعمل فقط ، بل كان تذكيراً لهم بعطية الرب يسوع ، التي لا يعبر عنها الذي مات وقام من أجل تبريرنا يوم الأحد (٢ كورنثوس ٩ : ١٥) . ولأجل ذلك يصبح هذا العطاء عاملاً على زيادة المحبة والشكر لله (٢ كورنثوس ٩ : ١١) .

الرسالة الثانية

إذا كانت الرسالة الأولى تهدف إلى تقويم الأمور المعوجة في الكنيسة ومحاولة تنوير الأعضاء في أمور اختلط الأمر عليهم فيها ، نظراً لحبيبتهم من الوسط الوثني إلى المسيحية وهم لم يكونوا قد تعمقوا في الإيمان الجديد بعد ، فإن الرسالة الثانية تحاول أن تقوم الصلة التي بين الرسول نفسه وبين الكنيسة ، فكل الرسالة تقريباً تدور حول أمور أثرت في علاقته بهم ، أمور قد أساءوا تفسيرها أو أخذوها ضده أو رأهم مخطئين في تصورهم أشياء لم تكن حقيقية . وقبل أن نتقدم إلى دراسة هذه الأمور يستحسن أن نشير إلى بعض الأمور التي تعبر عن قلب الرسول من نحوهم وبعد ذلك ندرس موقفهم منه : فهو يعبر عن نفسه أنه أبوهم (١ كورنثوس ٤ : ١٥) الذي ولد لهم في المسيح يسوع بالإنجيل ، وهو كأب فإنه يستخدم سلطان الأبوة معهم فقد يقسو عليهم ولكنها قسوة الأبوة والمحبة وليس لتخجيلهم (١ كورنثوس ٤ : ١٤) وهو كثير آ ما يمدحهم بقدر الإمكان (١ كورنثوس ١ : ٤ - ٩ ، ١١ : ٢) ومحبته لهم لا تنحصر في جماعة بل تتجه إلى الكنيسة كلها (١ كورنثوس ١٦ : ١٤) وهو يخاطبهم

في مرات كثيرة كأخوة (١ كورنثوس ١ : ١٠ و ٢٦ ، ٢ : ٣ ، ١ : ٨-٨)
وأحبائه (١ كورنثوس ١٠ : ١٤ ، ١٥ : ٥٨) . وشركاؤه في التعزية
والضيقة (١ كورنثوس ١ : ٧) .

ويقول إن ما يقويه ويجعله يحتمل الموت كل يوم هو افتخاره بهم
(١ كو ١٥ : ٣١) ويعتبر هذه الكنيسة ختم خدمته وعلامة رسوليته ولذلك
فهو يتوجه إليهم بتثبيت إرساليته لهم (١ كورنثوس ٩ : ٢) . وبهذا يظهر
الرسول محبته لهم وفخره بهم ومسئوليته من نحوهم ، ولعل هذا الموقف
والإحساس من ناحيته جعله يكتب في الرسالة الثانية مدافعاً ومجذراً وشارحاً
نوع علاقته بهم .

(أ) هل بالغ الرسول في تقدير سلطانه :

يبدو أن الكورنثيين اشتكوا من أن الرسول كان يظن في نفسه أكثر مما
ينبغي ، مع أنه لم يكن بارعاً في علم الكلام ولا الخطابة ، وأنه أحياناً كان
يتصرف كإنسان غير متزن أو مختل . هذا نفهمه من ردوده عليهم ، فهو
يسرع لكي يوضح لهم الدوافع التي كانت وراء بعض الأشياء التي بدرت
منه وجعلتهم يظنون فيه هكذا (٢ كورنثوس ١ : ١٣ و ١٤ ، ٥ : ١٣ ،
١٠ : ٨ و ١٠) . من جهة عدم براعته في الخطابة والكلام فعليه يرضيهم إذ
يرسل لهم أختاً محبوباً مشهوداً له ولكفاءته في هذه الأمور (٨ : ١٨) . ولكنه
يعود فيبرر عدم اهتمامه بهذه الناحية لأنه يعرف أن الإنجيل لا يقدم بالحكمة
البشرية أو سمو الكلام ، فهذا ليس الأساس الحقيقي له كما يظهر ذلك في
الفلسفات البشرية ، ولكن الإنجيل يعتمد أساساً على قوة الله واقتناعه وهو
ما يعتمد عليه . (٢ : ١٧ ، ٤ : ٢ ، ١٣ - ١٤ ، ٥ : ١١) .

(ب) لماذا يمدح نفسه كثيراً؟

اتهموه أنه كان يمدح نفسه كثيراً وشكوا من الطريقة التي يقترب بها منهم . ولكن الرسول يرد على ذلك بالإنكار فيقول لهم « أفبتدئ بمدح أنفسنا أم لعلنا نحتاج كقوم رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم » (٣ : ١ - ٣ ، ٥ : ١١ و ١٢) . إن الهدف الأساسي في خدمته ليس إعلان نفسه ولكن إعلان ربنا يسوع المسيح . « بل قد رفضنا خفايا الخزي غير سالكين في مكر ولا غاشين كلمة الله بل بإظهار الحق مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله . . فإننا لسنا نركز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع » (٤ : ٢ و ٥) ثم يكرر ذلك بقوة فيقول « ولسنا نجعل عثرة في شيء لثلاث تلام الخدمة ، بل في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء في كلام الحق في قوة الله بسلاح البر لليمين واليسار » (٦ : ٣ - ٧) . إنه يريد لهم أيضاً أن يكونوا فخره لأنهم « رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخلومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية » (٣ : ٢ و ٣) .

(ج) لماذا يغير في خطته لماذا يعدم أن يزورهم ولا يفعل :

لقد وعدهم الرسول في الرسالة الأولى أنه سيأتي إليهم عندما يمر بكندونية وسوف يمكث عندهم طيلة فصل الشتاء (١ كورنثوس ١٦ : ٣ - ٦) . ولكنه مع ذلك لم يفعل ، ولهذا السبب اتهموه بأنه ليس مستقراً ولا يفي بمواعيده كما يقول لهم « وبهذه الثقة كنت أشاء أن آتي إليكم أولاً لتكون

لكم نعمة ثانية وأن أمر بكم إلى مكذوبة وآتى أيضاً من مكذوبة إليكم وأشيع منكم إلى اليهودية فإذا أنا عازم على هذا. العلي استعملت الخفة أم أعزم على ما أعزم بحسب الجسد لكي يكون عندي نعم نعم ولا لا « (١ : ١٥ - ١٧) . ولكنه يرد على ذلك معلناً أنه ليس كذلك ، لأنه في المسيح ويخضع لإرادة الله الذي فيه كل النعم والآمين ، وكان قوله قوياً « لكن آمين هو الله. أن كلامنا لكم لم يكن نعم ولا . . . ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا ولكني أستشهد الله على نفسي أني إشفافاً عليكم لم آت إلى كورنثوس » (١ : ١٨ ، ٢١ - ٢٣ انظر ٤ : ٢ ، ١٠ : ٢ - ٦) . إن علامة خدمة الرسول وختم إرساليته هو عدم الغش في الكلام وقوة الله (٦ : ٧) . وهكذا فهو لا يتذبذب ولا يخاف ، ولكنه يرى الأحسن لمجد الله ولخيرهم ولذلك يخضع لإرادته .

(د) لماذا يسبب آلاماً لهم ؟ إنهم يشكون منه ومن الجراح التي فجرها في قلوبهم . وتظهر هذه الشكوى في قوله لهم « لأنني إن كنت أحنزنكم أنا فن هو الذي يفرحني إلا الذي أحنزته » (٢ : ٢) بل واشتكوا من لهجة رسالته لأنه هو يقول « لكلا أظهر كأني أحنفكم بالرسائل » (١٠ : ٩) . لقد كان في كلامه نغمة مرارة تخرج من قلب متألم حزين ، والرسول نفسه شعر بذلك وتألم لأجل رسالته القاسية لهم إذ يقول لهم « لأنني من حزن كثير وكأني قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم » (٤ : ٢) . وهو لم يكتب لهم هكذا إلا لأنه أراد أن يجنبهم زيارة قاسية فيها مواجهة لا يستطيعون تحملها (١ : ٢٣ - ٢ : ٣) . ومع ذلك فهذا الخطاب لم يكن بلا فائدة ، ولكنه فعل فيهم بقوة روح الله لكي يقودهم إلى توبة مخلصية « لأنني وإن كنت قد أحنزتكم بالرسالة لست

أندم مع أنى ندمت فإنى أرى تلك الرسالة أحرزنتكم ولو إلى ساعة ، الآن أنا: أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله. لكنى لا تتخسروا منا فى شئ» (٧ : ٨ و ٩) . وفى الحقيقة لقد استمر ألمه إلى أن سمع من تيطس الأخبار المفرحة عن توبتهم وعن الحالة الجديدة التى أصبحوا فيها من اتضاع وفرح قلب وتعزية (٧ : ٥ - ٧) .

(٥) هل كان الرسول متزمتاً؟ يؤخذ من القول « لستم متضيقين فيما بل متضيقين فى أحشائكم » (٦ : ١٢) . إن كنيسة كورنثوس كانت تشتكى من التزمت الشديد الذى يفرضه الرسول عليهم . وإلى جانب ذلك فإنهم غالباً ما اشتكوا من الإلحاح الكثير فى جمع التقدّمات لكنائس اليهودية (٩ : ٥) فأصبح هذا الجمع ثقلاً كبيراً عليهم (٨ : ١٣) :

أما بالنسبة للأمر الأول يرد عليهم الرسول قائلاً لهم إنه يجب أن ينفصلوا وكان أمره فى ذلك مشدداً نظراً للخلفية الغير أخلاقية التى تفتت فيما بينهم ، ونظراً لأن الإنجيل يتطلب قداسة فى خدمة الله ويرجع مرة أخرى إلى صورة الكنيسة كهيكل الله التى يذكرها لهم فى الرسالة الأولى فيقول « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والاثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأى اتفاق للمسيح مع بليعال وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شئ » (٦ : ١٤ - ١٨ أنظر ١ كورنثوس ٣ : ١٦ ، ٦ : ١٨ - ٢٠) هذه الصورة : صورة هيكل الله تبنى على صورة أخرى هى صورة العهد الجديد

الذى عمله الله مع شعبه كما حدث في العهد القديم (خروج ٢٥ : ٨ ، ٢٩ : ٤٥ ، لاويين ٢٦ : ١٢ ، إرميا ٣١ : ٣١ - ٣٤) هذه الصورة تتطلب من الإسرائيليين أن يكونوا قديسين ، وهكذا يتطلب من شعب العهد الجديد أن الله قد أعطاهم المواعيد فيجب أن يكونوا مخلصين في حياتهم « فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحياء لتطهير ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله (٧ : ١) وهكذا فيسبب خلقيتهم وبسبب العهد الذى دخل فيه الله معهم يشدد على نبرة القداسة والانفصال عن أعمال الناس .

أما بخصوص العطاء فإن الرسول يتكلم بتطويل فيه (ص ٨ و ٩) ويضع قدامهم المكدونيين كمثل كريم يجب أن يحتديه الجميع في السخاء (٨ : ١-٥) ومن الجانب الآخر يفتخر بأهل أختائية أمام المكدونيين (٩ : ١ - ٥) ، ولقد حث الرسول بكل الطرق الممكنة على هذا العطاء ، فيقول لهم « لكن كما تزدادون في كل شئ في الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهاد ومحبكم لنا ليتكم تزدادون في هذه النعمة أيضاً » (٨ : ٧) ويقول لهم إنه ينصح ولا يأمر بذلك لأن هذا العمل هو اختبار لمحبته (٨ : ٨) ويرشدهم لما يجب عمله (٨ : ١٠) وسيرسل لهم من يعاونونهم في هذه الخدمة المحيطة (٩ : ٥) . إن الهدف الأعظم من هذه الخدمة هو تمجيد الله والإحساس بنعمته في المسيح (٩ : ١٣) . وهذه الكيفية حول الرسول قضية العطاء من منطلق المقدرة على العطاء والإرادة إلى منطلق الشكر لله على عطيته التي لا يعبر عنها (٩ : ١٥) وأنه في عطائنا إنما نرد جميله العظيم .

(و) هل يحتقرهم الرسول ؟ لقد اشتكى بعض الأعضاء أنه لا يحبهم بل يحتقرهم لأنه رفض أن يقبل منهم ما يسد أعوازه ، بينما قبل من كنائس أخرى كثيرة (١١ : ٧ - ١١ ، ١٢ : ١٣) . لقد حاول الرسول جهده منذ بدء

الأزمة أن يعبر لهم عن محبته لهم ، حتى الخطاب القاسى الذى أرسله لهم كان هدفه « لكي تعرفوا المحبة التى عندى ولاسيما من نحوكم » (٢ : ٤) . ولعل الرسول عندما يتكلم عن إرساليته وبمجدها فى ٥ : ١٦ - ٦ : ٢ فإنه يرى أن ثمرها يظهر فى علاقته مع كنيسة كورنثوس . وفى محبة جياشة يقول لهم « فننا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون قلبنا متسع لستم متضيقين فينا بل متضيقين فى أحشائكم فجزاء لذلك أقول كما لأولادى كونوا أنتم أيضاً متسعين » (٦ : ١١ - ١٣) ثم يقول وهو يلتمس ويرجو فى المحبة « إقبلونا لم نظلم أحداً لم نفسد أحداً لم نطمع فى أحد » (٧ : ٢) . أما عن رفضه معونتهم المالية فلأنه لم يرد أن يثقل عليهم . إنه أذل نفسه لكي يرتفعوا هم إذ بشرهم مجاناً بالإنجيل (٧ : ١١) « ولماذا ؟ الأنى لا أحبكم ؟ الله يعلم » (١١ : ١١) ثم يتحدثهم أن يظهر أى دليل على أنه تركهم فى محبته « لأنه ما هو الذى نقصتم عن سائر الكنائس إلا أنى لم أثقل عليكم ؟ ساحونى بهذا الظلم » (١٢ : ١٤) . إنه اتهام باطل .

(هل كان الرسول فى ضعف تعثرت منه الكنيسة ؟ لقد اتهموه بأنه ضعيف وذلك يظهر فى قوله لهم « ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه أنا نفسى بولس الذى فى الحضرة دليل بينكم أما فى الغيبة فتجاسر عليكم » (١٠ : ١) أنظر ١٠ : ١٠) ويلوح أن التواضع المسيحى الذى أظهره الرسول فى حياته ومعاملته لهم لم يكن يروقهم ، فحسبوا تواضعه ضعفاً . ولم يستطيعوا أن يفهموا أن هذه الضعفات هى فى الحقيقة قوة إرساليته (١٢ : ٧ - ١٠) لأنها لى تظهر قوة الله فيه . وأنه ليس أعظم من سيده فى « وداعته وحلمه » (١٠ : ١) ويقول لهم بهذا الخصوص « إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فى الذى ليس ضعيفاً لكم بل قوى فيكم لأنه وإن كان قد صلب من ضعف لكنه حى بقوة الله ، فنحن أيضاً ضعفاء فيه لكننا سنحيا معه بقوة الله من

جهنكم» (١٣ : ٣ و ٤) . إن هذا الأمر هو المفتاح الحقيقي لمعاملة الرسول معهم ، إنه وإن كان قد أظهر ضعفاً جسدياً ولكنه في المسيح قوى ولا يمكن أن يضعف .

* * *

هذه هي بعض الأمور الرئيسية التي أوردتها الرسول في رسالته لكي يدافع عن نفسه ويشرح لهم ما عسر عليهم فهمه ، ولكن السؤال الهام هنا : هل كانت الكنيسة كلها تظهر تجاهه هذا الموقف ؟ طبعاً يمكننا أن نجيب على هذا السؤال بالنفي ، وإلا لما كان هناك حزب يقف بجانبه مع أنه لم يكن يرضى عن هذا الحزب . ومن الواضح من كلامه أنه كان هناك جماعة خاصة محددة تثير هذه المتاعب يسميهم هو « فائقى الرسل » (١١ : ٥ ، ١٢ : ١١) . ونحن لا نعرف شيئاً عن أصلهم ولا من أين جاءوا ، ربما جاءوا برسائل توصية الأمر لم يرض الرسول ولم يفكر فيه أبداً (٣ : ١) . وما ميزهم أيضاً عنه هو كبرياؤهم وافتخارهم وطلبهم المتواصل للمال (١١ : ٧ - ١٥ ، ١٢ : ١٣ - ١٨) . سخروا الكنيسة لأغراضهم الخبيثة مما جعل الرسول يتكلم عنهم بشدة ويقسوة إذ يقول « ولكن ما أفعله لأفطح فرصة الذين يريدون فرصة لكي يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبية فعلة ما كرون مغبرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » (١١ : ١٢ و ١٣) . أما الرسول الحقيقي فهو عكس ذلك تماماً لأنهم « حاملين في الجسد كل حين إمامة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت » (٤ : ١٠ و ١١) لأنهم مثل سيدهم أقوياء في الضعف ويفتخرون به (٢ : ١٤ - ١٦ ، ٤ : ٧ - ١٢ ، ٦ : ٤ - ١٠ ، ١١ : ١١) .

٢٣ - ٢٩) . إن الرسول يشكو أن الكورنثيين قد عجزوا أن يروا هذا الفرق الواضح فسببوا حرجاً للرسول فيقول « قد صرت غيبياً وأنا أفتخر أنتم ألزمتوني لأنه كان ينبغي أن أمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقى الرسل وإن كنت لست شيئاً . إن علامات الرسول صنعت بينكم في كل صبر . آيات وعجائب وقوات » (١٢ : ١١ و ١٢) إن هذا الأمر هو سبب المتاعب كلها في كنيسة كورنثوس . لأنها لم تستطع أن تميز بين المجد الحقيقي الداخلى الذى يظهر في إطار الألم الجسدى وبين المظاهر الخارجية التى للأساس لها إلا الافتخار البشرى الكاذب . ما أبهى مجد المسيح ومجد رسله الذين هم سفراء عنه يطلبون من الناس أن تصالحوهم مع الله .

« رسالة غلاطية »

تعتبر رسالة غلاطية وثيقة الرسول بولس في استقلاله عن الناس واعتماده على الله وأهم من ذلك وثيقة الإيمان المسيحي الذي لا ينبع من أى سلطان بشرى أو طقس أو ناموس بل مما فعله الله فى يسوع المسيح لفداء البشر ، الذى يعطى المؤمن المفتاح الحقيقى للاقتراب إلى الله :

ولكن قبل أن نتكلم عما تعنيه هذه الرسالة ومحتوياتها ينبغى أن نعرف خلفيتها حتى نفهمها على حقيقتها .

غلاطية :

يدعو الرسول الذين أرسل لهم هذه الرسالة « الغلاطيون » (٣ : ١) وهم جماعة من « كنائس غلاطية » (١ : ٢) . فما هى منطقة غلاطية هذه ومن هم سكانها ؟

يطلق اسم غلاطية على منطقتين تكونتا فى مرحلتين متتاليتين : فالاسم غلاطية فى معناه الضيق تطلق على الجزء الأوسط من آسيا الصغرى ، حيث كان يسكنها قبائل سلتية ، كانوا أصلاً فى غالة حول الدانوب ، ولكنهم طردوا من هناك فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، فجعاءوا إلى آسيا الصغرى . وفى ٢٤٠ ق.م هزمهم أتالس ملك برغامس وجعلهم يتجمعون فى هذه المنطقة حول المسدن الثلاث انقيرا Ancyra التى هى أنقراء ، حديثاً . وبسينوس Pessinus نفيوم Tavium .

ولكن هذا الاسم أطلق على منطقة وسعها الرومان الذين أخذوا المملكة من آخر ملوكها سنة ٢٥ ق.م ، وأضافوا عاها بعض المقاطعات فى الجنوب

مثل بيسيدية أسوريا وفريجية وليكاوثية . وجعلوا هذه كلها مقاطعة رومانية يتخذ الوالى الروماني أنقيرا عاصمة له .

ومن هنا يلاحظ أن غلاطية لم تكن بلداً واحداً ولم تكن بها كنيسة واحدة ، ولهذا كتبت الرسالة إلى كنائس «غلاطية» (١ : ٢) في صيغة الجمع ، والظرف الذى لأجله كتبت هذه الرسالة لم يكن لكنيسة واحدة بل لكنائس هذه المنطقة وعلى هذا الأساس تواجه الدارس بعض المشكلات فى دراسة الرسالة لم يستطع العلماء البت فيها نهائياً هذه المشكلات هى لمن كتب الرسول هذه الرسالة؟ هل لكنائس المنطقة كلها، شمالاً وجنوباً التى بشرها فى رحلته الثانية ، أم لكنائس الجزء الجنوبي التى بشرها فى الرحلة الأولى؟ وبينى على ذلك مشكلة تاريخ كتابة الرسالة ثم المكان الذى كتبت فيه ولعل السبب فى هذه المشكلات هو صعوبة البت فى التوفيق بين ما ذكره لوقا فى سفر الأعمال عن زيارتى الرسول لأورشليم (فى أعمال ١١ : ٢٩ و ٣٠ وفى ١٥) وبين ما كتبه هو عن زيارته إلى أورشليم فى (غلاطية ٢ : ١ - ١٠) ، هل هذه الزيارة المذكورة فى غلاطية هى التى حدثت فى أعمال ١١ أم ١٥ . والأمر الآخر الذى بنيت عليه المشكلة هو المكان الذى كان يقصده لوقا والرسول عندما كانوا يتكلمون عن غلاطية ، هل هو اسم يدل على منطقة سياسية فيحوى الجزء الجنوبي أم يقتصر على جنسية السكان فيقتصر على الجزء الشمالي الذى كان يسكنه السلتيون قبل ٢٥ ق.م وقبل أن يضيف إليه الرومانيون المقاطعة الجنوبية؟

سنمر سريعاً على هذه المشكلات لتقصد الدراسة فقط لأن الجواب على هذه الأسئلة مهما كان لا يغير من طبيعة الرسالة ولا من الهدف والمعنى الموجود فيها .

صلة الرسول هذه المنطقة (أعمال ١٣ و ١٤) :

كما عرفنا سابقاً كان الجزء الجنوبي الذي أضافه الرومانيون على غلاطية الأصلية هو حقل الرسول التبشيري في رحلته الأولى حيث تكونت مجموعة من الكنائس خاصة في دربة ولسترة وأيقونية وغيرها من المدن والمناطق، وفي طريق العودة مر الرسول مع برنابا مرة أخرى على هذه الكنائس « يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان . . وانتخبنا لهم قسوساً في كل كنيسة » (أعمال ١٤ : ٢٢ و ٢٣) .

أما في الرحلة التبشيرية الثانية فقد ذهب إليهم الرسول بولس مع سيلا وكانا يجتازان في كل المدن ليسلماهم القضايا التي حكم فيها مجمع أورشليم . ولقد أرادا أن يقدموا الإنجيل في آسيا في الجنوب الغربي ولكن الروح منعهما (أعمال ١٦ : ٦) فحاولا أن يذهبا إلى بيشنية في الشمال الغربي ولكن الروح أيضاً منعهما (أعمال ١٦ : ٧) ويذهب كثيرون من العلماء على أن العبارة « اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية التي توجد في أوائل الرحلة الثانية (أعمال ١٦ : ٦) وفي أوائل الرحلة الثالثة (أعمال ١٨ : ٢٣) تعني أن الرسولين أسسا هناك في هذه المنطقة الشمالية الممهدة « بكورة غلاطية » كنائس كثيرة .

لمن كتب الرسول رسالته ؟ :

هل لغلاطية الشمالية التي تسمى كورة غلاطية قبل أن يوسع الرومان تخومها ؟ أم إلى الجزء الجنوبي من غلاطية الواسعة التي بشرها الرسول في الرحلة الأولى له ؟

كان الرأي السائد إلى أوائل القرن التاسع عشر هو أن الرسول كتب هذه الرسالة إلى غلاطية الشمالية . ولكن بدأ بعض العلماء يشكون في ذلك

ويقولون إن الرسول كتبها إلى غلاطية الجنوبية التي بشرها في رحلته التبشيرية الأولى .

أما مؤيدو النظرية الأولى الذين يعتبرون أن الرسالة وجهت إلى غلاطية الشمالية فيثبتون رأيهم بما عرفوه عن لوقا كاتب سفر الأعمال من أنه عندما يذكر اسم « غلاطية » أو كورة غلاطية فإنه يقصد غلاطية الشمالية ، أما إذا كان يريد أن يتكلم عن غلاطية الجنوبية فلا يسميها هكذا ، بل يذكر مقاطعاتها بأسمائها مثل بمفيلية ، بيسيديه . . وغيرها . وفي سفر الأعمال لم يشر الكاتب إلى غلاطية بالاسم إلا في ابتداء الرحلة الثانية (أعمال ١٦ : ٦) وابتداء الرحلة الثالثة (١٦ : ٦) . أما قبل ذلك فلم يذكرها أبداً . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نجزم أن الرسول بولس كان يقصد غلاطية الشمالية بهذه الرسالة لأنه يذكرها بالاسم .

ويجب أصحاب هذه النظرية على التساؤل عما إذا كان الرسول قد أسس في غلاطية الشمالية أية كنائس ؟ بأن الرسول قد أسس مجموعة من الكنائس في بدء رحلته الثانية بعدما منعه الروح من العمل في الجنوب ، فسار شمالاً وبشر الناس في رحلته وليس من الضروري أن يذكر لوقا ذلك في سفر الأعمال .

أما مؤيدو نظرية غلاطية الجنوبية فيردون على ذلك بأن الرسول بولس كان يسمى المناطق لا بحسب موقعها الجغرافي بل بحسب موقعها السياسي . وعندما كتب الرسالة كان اسم غلاطية يطلق على كل المنطقة شمالاً وجنوباً وهذا ما فعلته السلطة الرومانية . فالرسالة أرسلت أصلاً إلى الجزء الجنوبي من غلاطية الذي بشره الرسول في رحلته الأولى .

ومما يؤيد ذلك أن المنطقة الجنوبية امتازت بالجمالية اليهودية الضخمة التي

كان لها التأثير الكبير (أعمال ١٣ : ١٤ ، ٤٣ - ٤٦ ، ١٤ : ١ - ٧ و ١٩)
بعكس غلاطية الشمالية التي سكنها السليتون واحتفظوا بعوائدهم وتقاليدهم
مدة طويلة : ونظراً لأن الرسالة موجهة إلى جماعة اليهوديين ، فلا بد أن
وجهتها كانت إلى الجنوب لا إلى الشمال :

على كل حال لا يمكن القطع برأى حاسم في هذا الأمر لأن كل نظرية
لها ما يؤيدها من الشواهد والبراهين ، وضدها ما ينفيها من شواهد وبراهين
أيضاً . وكل دارس يرجح ما يجده أكثر إقناعاً له . وإن كنا هنا نرجح نظرية
غلاطية الجنوبية .

تاريخ كتابة الرسالة :

يتوقف البت في تاريخ كتابة الرسالة على عدة أمور :

الأول : إلى أى قسم كتب الرسول الرسالة : فإذا كان قد كتبها إلى
غلاطية كلها فهذا دليل على أنها كتبت متأخراً على الأقل أثناء رحلته التبشيرية
الثالثة . أما إذا كان قد كتبها إلى غلاطية الجنوبية فيجوز أن يكون كتبها
مبكراً ربما قبل الرحلة الثانية أو بعد ذلك بقليل . وحيث أننا نرجح الموقف
الثاني فإننا نرجح أنه كتبها مبكراً ، ولكن هذا لا يمنع أنه كتبها متأخراً .
فهل من دليل آخر لترجيح كتابتها مبكراً ؟

الأمر الثاني : التوفيق بين غلاطية ٢ : ١ أى الرحلة بعد ١٤ سنة
وبين سفر الأعمال الذي يذكر رحلتين الأولى في أعمال ١١ : ٣٠ عندما
ذهب شاول و برنابا حاملين العطايا إلى كنيسة أورشليم ، والثانية في أعمال
١٥ : ١ و ٢ عندما ذهب مع برنابا وأناس آخرين ليحسموا الموقف مع
قادة الكنيسة بخصوص المعلمين الذين ذهبوا وراء شاول أى بولس و برنابا
ليحارباهما في صحة الإنجيل الذي كانا يبشران به بين الأمم .

الأرجح جداً أن الرحلة التي يشير إليها الرسول في غلاطية هي نفس الرحلة التي يذكرها البشير لوقا في أعمال ١٥ . وأن الرسول ذهب إلى أورشليم من أجل الإنجيل وحصل على حكم الكنيسة في أورشليم ورجع إلى الكنائس التي بشر فيها وجدت فيها الاضطراب وأراهم هذا الحكم ، ولكن بعد ذلك حدث الاضطراب بشدة في كنيسة غلاطية ولذلك كتب لهم الرسول هذه الرسالة .

ومما يؤكد ذلك قوله لهم « إني أتعجب أنكم تثقون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم . . . » (غلاطية ١ : ٦) . الكلمة سريعاً تصف المدة القصيرة التي انقضت بين سماعهم للحكم الذي جاء من كنيسة أورشليم وبين انقلابهم ضد الإنجيل . ومع أن الرسول لم يشير في رسالته إلى هذا الحكم ، لكن هذه كانت عادته . . . وإلا لماذا لم يشير إليه عندما كتب رسالة كورنثوس ٢ أنه كان يفضل أن يشير إلى المبادئ المسيحية دون أن يشير إلى أحكام كنيسة . هذا الأمر يجعلنا نرجح أنها كتبت مبكراً .

ماذا حدث في كنيسة غلاطية :

ولكن ما الذي حدث في هذه الكنائس والذي دفع الرسول إلى أن يكتب هذا الخطاب إليهم ؟ .

يبدو أن الرسول بشر في غلاطية على الأقل مرتين (٤ : ١٣) ولقد كان في المرة الأولى منهكاً وضعيفاً في جسده ، ولكن الغلاطيين قبلوه كلاك الله ورحبوا به وأحبوه ، ولم يجدوا شيئاً يمكن أن يقدموه له ولم يفعلوه . (٤ : ١٢ - ١٥) . وكانت الكنيسة تتكون من جماعة من اليهود الذين قبلوا المسيح (أعمال ١٣ : ٤٣) ، ولكن غالبية أعضاء هذه الكنائس كانوا من أصل

أممى (أعمال ١٤ : ٢٧) الذين كانت ديانتهم السابقة تحتوي على تقديس أيام وشهور وسنين وذبائح وهى ما يسميه الرسول «عبودية» (غلاطية ٤ : ٨ - ١٠) : ولكن الرسول بشرهم بالحرية وطلب منهم أن يتعلموا كيف يستخدموا الحرية الجديدة ويثبتوا فيها (٥ : ١) . وكان الرسول أيضاً يرسم لهم صورة المسيح المصلوب فى كل عظاته (٣ : ١) . وقد تجاوز الغلاطيون مع هذه البشارة بالإيمان فأخذوا موهبة الروح القدس (٣ : ٢ - ٥ ، ٥ : ١٦) وبذلك صاروا خليفة جديدة وأعضاء فى جسد المسيح وصار لهم الختان تماماً كالغرلة لا ينفع شيئاً (٣ : ٢٧ - ٢٩ ، ٦ : ١٥) . ولقد فرح بهم الرسول واعتقد أنهم بدأوا بداية حسنة لأنهم أظهرت استعداداً للسعى والألم من أجل المسيح (٥ : ٧) . هذا الأمر جعله يندهش بشدة ويتعجب أنهم ينتقلون هكذا سريعاً عن الإنجيل إلى تعليم آخر ليس هو بإنجيل بل ضد المسيح (١ : ٦ و ٧ ، ٣ : ١) . فما الذى حدث إذن ؟

لقد بدأت جماعة من الوعاظ الآخرين يبشرون بإنجيل آخر أو تعليم آخر يتلخص فى أن هذا الإيمان الذى ينادى به الرسول ليس كافياً للدخول فى ملكوت الله ، ولكن هناك تكملة له ، وهو أن يقوم الإنسان بعمل الناموس وحفظه ، فإلى جانب المسيح يجب أن يكون موسى ، وهذا يتطلب منهم أن يمتنعوا من أن يخاطبوا الأمم الذين لا يلتزمون بذلك (٢ : ١١ - ١٤) وهكذا بعد أن نبر الرسول بولس بشدة على أنه إما موسى أو المسيح فإن هؤلاء جاءوا لينبروا على موسى والمسيح معاً ، النعمة والناموس الإيمان والختان (٥ : ٢ - ٦) .

ولكنهم لم يكتفوا بأن يشككوا فى كفاية عمل المسيح للخلاص بل عملوا كل جهدهم للتشكيك فى الرسول بولس ومؤهلاته كرسول للمسيح : فهو

لم يكن واحداً من الرسل الأوائل الذين كانوا مع المسيح ، ولذلك فوعظه يختلف عن وعظهم بل ويختلف عن وعظ يسوع نفسه ورسالته الذي يعتمد كثيراً على العهد القديم موسى والناموس . فقالوا إن قصد بولس من ذلك هو أن يرضى الناس لا الله (١ : ١٠) . ولو اتبع الناس تعاليمه لاعتقدوا أنه لا داعي لأن يعملوا شيئاً سوى أن يتعمدوا ثم يستمروا في خطاياهم ، ويظنون أن الحرية التي أعطاها لهم المسيح تكمن في حرية الجسد ، وبذلك يجعلها الرسول المسيح خادماً للخطية (٢ : ١٧) . إن العلاج الصحيح هو حفظ الناموس إلى جانب الإيمان بالمسيح .

ولم تقتصر كنيسة غلاطية على جماعة واحدة بل كان هناك جماعة أخرى ، تنادى بعقيدة تناقض عقيدة الجماعة الأولى ، ويهاجمون الرسول في قوله بأن نصلب الجسد مع الشهوات ، لأن هذا القول هو عبودية جديدة للناموس ، (٢ : ١٩ ، ٢٠ ، ٥ : ١٤ و ٢٢ - ٢٤) . اتهموه بأنه مازال يبشر بالحنان والديانة الطقسية (٢ : ١٨ ، ٥ : ١١) . إن الديانة الحقيقية عند هؤلاء تفوق وتعلو عن الأخلاق ولا صلة لها بالآداب العامة ولهذا فلا داعي للعهد القديم ولا لأوامر جديدة . . إنها الحرية التي حررنا المسيح بها .

وبهذه الكيفية كان الرسول يهاجم في غلاطية من جماعتين مختلفتين متناقضتين ، أما هو فقد ارتفع فوق التفكير الناموسي والتفكير الطقسي ، وكان مدفوعاً بالحب والرجاء فاختلف إيمانه اختلافاً جذرياً عن هؤلاء وأولئك ، وارتفع إلى مستوى حياة الروح في المسيح يسوع : وكانت المناقشة حامية قاسية بين الجماعتين : المحافظين والأحرار حتى أنه حذرهم لئلا ينهشوا بعضهم البعض . وأما هو فكتب إليهم رسالته الحادة هذه .

محتويات الرسالة :

تنقسم الرسالة إلى أقسام ثلاثة : الدفاع عن رسوليته ١ و ٢ ثم الإنجيل والناموس ٣ و ٤ الحرية والعبودية ٥ و ٦ .

(١) الرسول وإرسالته :

الأصحاحان الأول والثاني من هذه الرسالة إجابة على التحدى المرير لرسولية الرسول . وتتسم إجابته فيهما بالغضب وفي نفس الوقت الخوف ، لأن الكنيسة كانت على شفا السقوط في برائن هذه الجماعات المتطاحنة ، وخصوصاً جماعة اليهوديين الذين هاجموا الرسالة والرسول في نفس الوقت . وكان رده في هذين الأصحاحين يتلخص في الأمور التالية :

١ - إن إرسالية الرسول لم تكن من الناس ولا على أساس سلطة إنسان ، يضيفه ، بل أرسله يسوع المسيح ، والله الآب الذى أقامه من الأموات . (١ : ١ و ٢) . إن الله وحده هو الذى ، فى مسرته ، أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته (١ : ١٥) . وهو بذلك يضع إرسالته فى مصاف إرسالية الأنبياء فى العهد القديم ، وخصوصاً إرميا (إرميا ١ : ٥) . وإن كان الله هو الذى اختاره لرسالة . ودعاه فلا يمكن أن تكون إرسالته من إنسان ولا من كنيسة خاصة . إنه لم يرسل من أنطاكية لأن الروح القدس هو الذى أرسله ، وهو الذى طلب من الكنيسة أن تفرزه مع برنابا (أعمال ١٣ : ٢ و ٤) . ولم يأخذ سلطانه من الرسل أنفسهم ، لأنه لم ير واحداً منهم إلا بعد مقابلته للرب . بثلاث سنوات . لقد قضى هذه المدة كلها فى صحراء العربية ودمشق يبشر بالرب وبالإنجيل دون أن يعرف واحداً من الرسل وبعد السنوات الثلاث صعد إلى أورشليم وهناك لم يقابل سوى يعقوب أخى الرب وبطرس (١ : ١٨) وهذا يعنى أن سلطان تبشيريه وخدمته لم تنبع من أى واحد من الرسل . بل

والأكثر من ذلك ، فإنه ذهب إلى أورشليم بعد تجديده بأربع عشرة سنة لكي يدرس مع الأعمدة في أورشليم مشكلة الأخوة الذين دخلوا خلصة لكي يتجسسوا حريتنا (٢ : ١ - ١٠) ، وهناك واجههم ولم يخضع لهم أبداً خصوصاً في مسألة ختان تيطس (٢ : ٥) . إنه لا يهتم بالناس ولا بوجودهم . نعم لقد أعطاه الرسل يمين الشركة ، ولكن بعد أن عرفوا إنجيله لا قبله وعرفوا أن الرب قد ائتمنه على إنجيل الغرلة أى التبشير بين الأمم (٢ : ٧ - ٩) لهم لم يشيروا عليه بشئ ولا طلبوا منه إضافة أى أمر سوى أن يتذكر الفقراء فيجمع لهم من الأمم وهذا ما أراد أن يفعله من قبل أن يقولوا له (٢ : ١٠) .

بل رد على ذلك أنه عندما رأى بطرس رأى مع بقية اليهود فيرجع إلى عزل نفسه عن الأمم - بعدما كان يأكل معهم - قاومه مواجهة لأنه كان ملوماً (٢ : ١١ - ٢١) . فالذى يفعل ذلك لا يظهر أنه قد أخذ سلطانه من إنسان بل من الله ، حتى يستطيع أن يوبخ شخصاً مثل بطرس . ويعلم أيضاً أن ما ينادى به هو الحق بعينه ، وإلا فكيف يسلك بطرس قبلاً كأسمى ثم يرجع لكي يسلك سلوك اليهودى ؟ هل نعتبر نحن الذين لا نقوم بعمل الناموس بل نؤمن بالمسيح فقط لأجل الخلاص ، هل نعتبر خطاة ؟ إذا كان كذلك فيكون المسيح خادماً للخطية (٢ : ١٧) إن من يفعل ذلك فهو متعد ، لأنه يهدم ما عمله المسيح . وهنا يعلن الرسول الأساس الكامل لإرسالته في قوله « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذى أحببني وأسلم نفسه لأجلي » (٢ : ٢٠)

٢ - إن الإنجيل الذى يبشر به لم يأخذه من إنسان ولا علمه . (٢ : ١١) و (١٢) ، لا ينكر أحد أن الرسول بولس بعد تجديده مباشرة سمع شيئاً كثيراً عن المسيح وعن خدمته ، ولا بد أنه سمع عن حياة يسوع الناصري خصوصاً

من الرسول بطرس عندما زاره بعد ثلاث سنوات من تجديده ، ولكن هذا لا يعنى أنه أخذ إنجيله من إنسان . لقد أخذه بإعلان يسوع المسيح (١ : ١٢) . وحتى ذهابه إلى الرسل في أورشليم ليعرض عليهم الإنجيل ذهب « بإعلان » (٢ : ٢) وعندما يتكلم الرسول عن إعلان فإنه يقصد الإرشاد الملموس من الرب ، إنه يقصد مقابله له على طريق دهشق ، وفتح ذهنه لكي يفهم الأمور على حقيقتها ويعرف أن يسوع الذى يضطهده هذا هو يسوع الحى ، فليس هو الرجل المصل الملعون كما يقول التاموس ويؤكد ، ولكنه الرب المقام الذى مات لأجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا (رومية ٤ : ٢٥) .

هذا الإنجيل لم يجد فيه هؤلاء المعتبرون الذين في أورشليم شيئاً يشينه بل هو إنجيل ربنا يسوع المسيح . ففي تبشيره لا يمكن أن يرضى إنسان أو يستعطف بشراً لأنه عبد للمسيح وأخذ إنجيله منه (١ : ١٠) ولأجل ذلك فهو يحذر الغلاطيين تحذيراً شديداً قاسياً « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيا ، كما سبق فقلنا أقول الآن أيضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيا » (١ : ٦ - ٩) . إن إرساليته ورسالتيه هما من الله الأب والرب يسوع المسيح .

(ب) الإنجيل والتاموس (٣ ، ٤) :

وفي القسم الثانى يتكلم الرسول عن الإنجيل والتاموس . وفي هذا المجال يقابلهما الرسول ويضع صورة كاملة أمام الغلاطيين عن كمال الإنجيل وبينها على الأمور التالية :

١ - خبرتهم الحديثة بعد أن قبلوا الإنجيل ، ولعل أهم عنصر في هذه

الخبرة هو نوالهم الروح القدس . ويقول لهم الرسول في هذا الأمر « أريد أن أتعلم منكم هذا فقط بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بنجر الإيمان . . فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم بأعمال الناموس أم بنجر الإيمان » (٣ : ٢ و ٥) . إن العلامة التي عرفتم أجداد الإنجيل هو الروح القدس علامة العهد الجديد كله (أعمال ٢ : ١٧ - ٢١ ، رومية ٨ : ٢٣) . ويعرفون عمل الروح بالقوات التي عملت فيهم (٣ : ٥) . والرسول يقصد إما المعجزات التي عملت بينهم أو يقصد الحياة الجديدة التي أحسوها وغيرتهم عن حياتهم الماضية . . هذه المعجزات هي العلامة الظاهرة للروح القدس الذي أخذوه بالإيمان » .

وهناك عنصر آخر في اختيارهم يبنى على العنصر الأول وهو عنصر الحرية المسيحية « لكنكم حينئذ إذا كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها » (٤ : ٨ - ١٠) لأنهم تحرروا بالمسيح لأنه هو الذى حررهم من العبودية (٥ : ١) وهذه الحرية اختبروها في فك أسرهم من الناموس وأعمال الناموس ، ومن الخطية وأعمال الجسد . فخيرتهم هذه تبين لهم مقدار الفرق بين الإنجيل والناموس .

٢- الوعد لإبراهيم :

وكان « الوعد لإبراهيم ونسله » هو الورقة التي ياحب بها هؤلاء اليهوديون ، ويقولون للأثم إنه لا يمكن أن ينالوا الوعد ما لم يكونوا كلهم إبراهيم ويختتموا ، ودون ذلك وبغيره لا يمكن للإنسان أن ينال هذا الخلاص . ولكن الرسول يرد عليهم بثلاثة أمور :

الأمر الأول : هو أن هذه المواعيد قيلت لإبراهيم المؤمن وليس لإبراهيم الختون ، إن الوعد أخذته إبراهيم قبل أن يختن فلم يكن للختان فضل في ذلك ، وأكثر من ذلك فلم يكن الناموس قد أعطى بعد ؛ فلا فضل للناموس ولا للختان في الموعد ، إن الفضل كله يرجع إلى الإيمان ، ولهذا . . . « إن الذين هم من الإيمان أولئك هم أبناء إبراهيم (٣ : ٧) إذاً » الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن (٣ : ٩) أما الناموس فإنه يجلب اللعنة والغضب لأنه لم يثبت إنسان ما في الناموس ولا يمكن أن يتبرر به (٣ : ١٠ و ١١) أما المؤمن فقد افتدى من هذه اللعنة بواسطة المسيح الذي صار لعنة لأجلنا ، « لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لنا بالإنسان موعود الروح (٣ : ١٣ و ١٤) » :

الأمر الثاني : هو أن المواعيد قيلت في إبراهيم ونسله الذي هو المسيح (٣ : ١٥ و ١٦) وهذا النسل الذي هو المسيح لا يقصد به الرسول المسيح كفرد ولكن كرأس الخليقة الجديدة المفدية . . . الخليقة المؤمنة . ولهذا فالمواعيد التي وجهت للمسيح والكنيسة لا يمكن أن ينسخها الناموس لأن عهد الرب لا ينسخ . فالمواعيد ليست لأبناء الجسد ولكن لأبناء الإيمان النسل الذي في المسيح يسوع (٣ : ١٧ و ١٨)

والأمر الثالث : والأخير هو كشف الوظيفة الحقيقية للناموس ؛ إنه لم يعط للإنسان لكي يتبرر به ولكن لكي يعرف الإنسان أنه خاطئ (٣ : ١٩) إنه جاء ليكشف خطية الإنسان لكي يجعله ينظر إلى مصدر البر الحقيقي . إنه ضعيف لا يبرر (٣ : ٢١) . ولهذا فقد أعطى عن طريق وسيط لأن قيمته ليست عظيمة (٣ : ١٩ و ٢٠) ، الأعظم هو الآتي الذي يشير الناموس إليه . . هو المسيح الذي يبرر كل من يأتي إليه بالإيمان (٣ : ٢٢ - ٢٤) وفي هذه الحالة

يسمى الرسول الناموس «وؤدب» (٣ : ٢٤) وهو الإنسان أو العبد الذى يهتم بالصبي إلى أن يبلغ رشده ويسميه وصياً (٤ : ١ - ٧) ، ولكن الله إفتدانا من هذه العبودية وجعلنا أبناء نصرخ يا أبا الآب :

إذن فكيف يرتد الغلاطيون إلى هذه الأركان الضعيفة ؟ هل يخضعون لهؤلاء الذين يريدون أن يفتخروا بواسطتهم ؟ إن هؤلاء سينالون دينونة أعظم لأن غيرتهم ليست حسب الخير بل حسب الشر :

(ح) الحرية والعبودية :

في الأصحاحين الأخيرين ٥ و ٦ يتكلم الرسول عن الحرية المسيحية : وقد بدأ هذا الأمر في ٤ : ٢١-٣١ إذ أعلن لهم عن طريق هذا الرمز سارة وهاجر إن المؤمن هو من أبناء سارة الحرة وليس من هاجر العبدة : هذه الحرية من أعمال الناس ويقول الرسول لهم « ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تثيرون بالناموس سقطتم من النعمة » (٥ : ٢ - ٤) المسيح حررنا من الالتزام الناموسى الذى يستعبد له كل من يعتقد أنه مجبر أن يعمل كل الناموس . في المسيح لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة . إذا كان المسيحى اليهودى يقوم بعمل ما يطلبه الناموس لا شئ عليه ولا ضده لأن الناموس لا ينفعه ولا يضره ، ولكن أن يجبر المؤمن الأسمى أن يعمل الناموس فهذه هى العبودية كلها .

ولكن كيف تظهر هذه الحرية المسيحية ؟

١ - إنها ليست حرية للجسد كما يفعل الفريق المضاد للفريق اليهودى إذ يجعل من الحرية دافعاً لأن يعمل ما يريد ، إنه يظن أن الجسد شئ تافه لا قيمة

له ، فليفعل ما يريد لأن هذا لا يقدم ولا يؤخر طالما أن الإنسان في المسيح
وقد تحرر (٥ : ١٣) ويظهر الرسول هذه الأعمال الجسدانية التي لا يمكن
أن يتحلى بها المؤمن لأنها فاسدة بظالة يعيش فيها الأمم (٥ : ١٩ - ٢١) :

٢- الحرية هي الخضوع لروح المسيح :

الروح الذي وهبنا الحرية لنقرب إلى الآب ونصرخ يا أبا الآب (٤ :
٦ - ٨) وحررهم من أركان العالم الضعيفة من حفظ أيام وشهور وسنين
(٤ : ١٠) . هذا الروح هو الذي سيثمر أيضاً فينا ثمراً حقيقياً « وأما ثمر الروح
فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف » (٥ : ٢٢ و
٢٣) وهو الذي يقاوم الجسد ويحررنا منه ومن أعماله الشريرة . ولهذا « فإن
كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بالروح » (٥ : ٢٥) :

٣- الحرية هي المحبة الكاملة ، فهي التي تكمل الناموس وتتممه (٥ : ١٤) :

وهذه المحبة تظهر في الخدمة بعضهم لبعض (٥ : ١٣) . وتظهر في
تحمل ضعفات (٦ : ١ و ٢) وتظهر في المشاركة في الخيرات وسبباً للمعلمين
ويقول الرسول « فإذا حسبنا لنا فرصة فلنعمل الخير ولاسبباً لأهل الإيمان »
(٦ : ١٠) .

ويحتج الرسول رسالته برجاء يقدمه إليهم ألا يتعبوه مرة أخرى ثم يطلب
منهم ألا يهتموا بالختان كعلامة الجسد ، لأن العلامة الحقيقية التي يتمتع بها
الرسول هي « سمات الرب يسوع » (٦ : ١٧) فهي أسبب من الختان ومن
كل شيء لأنها علامة الإيمان المحب . وهنا يقول بلغة النصرة « وأما من جهتي
فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وأنا
للعالم . . . » .

الفصل الثالث

رسائل السجن

إذا أحصينا عدد الرسائل التي يذكر العهد الجديد أن الرسول بولس كتبها في سجنه فإننا نجدها خمس رسائل . ويمكن أن ترتب على النحو التالي :

أفسس : أفسس ٣ : ١ ، ٤ : ١

فيلبي : فيلبي ١ : ٧ و ١٣

كولوسي : كولوسي ٤ : ٣ و ١٠ و ١٨

٢ تيموثاوس : ٢ تيموثاوس ١ : ٨ ، ٤ : ٦ - ٨

فليمون : فليمون ١ و ١٠ و ١٣ و ٢٢ و ٢٣

وبحسب إجماع الآراء فإن تيموثاوس الثانية تختلف في الزمان كثيراً عن بقية الرسائل الأربع . وعلى ذلك فتبقى أربع رسائل .

ولكن لدى التأمل العميق يتضح للدارس أن الرسائل الثلاث أفسس وكولوسي وفليمون لها صلة عميقة بعضها ببعض جعلت كثيراً من العلماء يقولون إنها كتبت في وقت واحد ، وهذه الثلاثة تختلف عن الرابعة وهي فيلبي في الاتجاه والمزاج حتى أن الدارسين يظنون أن وقتاً طويلاً مضى بين كتابتها وكتابة الرسائل الثلاث الأخرى .

أما الصلة بين الرسائل الثلاث الأخرى فهي محل دراسة واسعة ، والرأي السائد هو أن الرسول كتبها في وقت واحد من صحن رومية لكي ترسل مع تيخيكس إلى كولوسى في صحبة أنسيموس العبد الذى هرب من سيده فليمون (كولوسى ٤ : ٧ - ٩ ، أفسس ٦ : ٢١ و ٢٢ ، فليمون ١٠ و ١٢) . وإلى جانب ذلك فإن رسالة كولوسى ترتبط برسالتى أفسس وفليمون برابط يختلف في كل حالة ، فهي ترتبط بفليمون في ظهور الأسماء المشتركة في كل منهما مثل أرخبس وتيخيكس وأنسيموس وأبفراس وأرسترخس ولوقا وديماس . . إلخ . مما يقطع بأن الرسالتين كتبتا في وقت واحد .

وترتبط مع رسالة أفسس في المضمون الكلى لها . وبحساب الأرقام فالمدارس يجد حوالى ٢٥٪ من محتويات أفسس متضمنة في كولوسى أى حوالى ٣٧ عدداً من ١٥٥ عدداً هي كل رسالة أفسس . ومن الناحية الأخرى فإن ٣٣٪ من الكلمات الموجودة في كولوسى تظهر في أفسس .

أما التشابه في الاصطلاحات بينهما فهو عجيب خصوصاً في مصطلحات مثل الجسد والرأس والملء والسر وفي الأفكار أيضاً : فالكنيسة هي جسد المسيح وهو رأسها (أفسس ١ : ٢٢ و ٢٣ ، ٤ : ١٥ و ١٦ مع كولوسى ١ : ١٨ و ٢٤) وأرياسات والسلطين والقوات وانتصار المسيح عليها أفسس ١ : ٢٢ و ٢١ (أ) مع كولوسى ٢ : ١٥ ، وعمل السلام بدم المسيح (أفسس ١ : ٧) ، ٢ : ١٣ - ١٦ مع كولوسى ١ : ١٩ - ٢٢ ، ٢ : ١٤) وفكرة الإنسان الجديد (أفسس ١ : ١٥ (ب) ، ٤ : ٢٢ - ٢٤ مع كولوسى ٣ : ٩ - ١١) .

وإذا تقدمنا خطوة أبعد فنجد أن هناك تشابهاً كبيراً في كثير من العقائد التى تظهر في كل منهما : ففي كولوسى تظهر أهمية المسيح الفريدة في الخلق والخلص (١ : ١٤ - ٢٢ ، ٢ : ٩ - ١٥) وفي أفسس يظهر المسيح

الفريد الذى لا شريك له فى عمله فى الفداء وجمع كل شئ فيه (١ : ١٠ -
١٢ ، ٢٠ - ٢٣ ، ٢ : ٢١ و ٢٥ ، ٣ : ٥) وإذا قارنا الرسالتين من
الناحية العملية فنجد تشابهاً كبيراً بينهما :

ومن الناحية الأخرى نجد هناك اختلافاً واضحاً بينهما فحوالى ٣٠٪ من
رسالة كولووسى لا نظير له فى أفسس مثل « مجد المسيح » (١ : ١٥ - ٢٠)
ثم محاربة المعلمين المضلين (٢ : ١ - ٩ ، ١٦ - ٢٣) ثم النظر إلى ما هو
فوق (٣ : ١ - ٤) وكثير من التحيات والوصايا (٤ : ٩ - ١٨) . ومن
الناحية الأخرى نكتشف أنه حوالى ٥٠٪ من رسالة أفسس تنفرد به ولا نظير
له فى كولووسى مثل ترنيمة الشكر (١ : ٣ - ١٤) والحياة الجديدة (٢ :
١ - ١٠) الصلاة حتى يعرفوا سر المسيح (٣ : ١٤ - ٢١) دعوة للوحدة
(٤ : ١ - ١٦) السير فى النور (٥ : ٨ - ١٤) زواج الكنيسة السرى
بالمسيح (٥ : ٢٣ - ٣٢) السلاح الروحى (٦ : ١٠ - ١٧) ،

بل هناك ما هو أبعد من ذلك ، فمثلاً قد تستخدم كلمة واحدة فى الرسالتين
ولكنها تؤدى معنى مختلفاً فى كل رسالة ، فكلمة « سر » فى أفسس تشير إلى
الربط بين اليهود والأمم (٣ : ١ - ٦) وفى كولووسى تشير إلى المسيح
وصلته بالمؤمن . ولفظ « تدبير » تظهر فى أفسس لتعنى قصد الله (٣ : ٢)
وفى كولووسى لتعنى عملاً موكولاً إلى شخص ليقوم به (١ : ٢٥) .

هذا الموقف جعل العلماء ينقسمون فى تفسيره إلى فرق ثلاث :

(أ) رأى الأول الذى متمسك به الكنيسة هو أن الرسول كتب
الائتين فى زمن متقارب إن لم يكن فى وقت واحد لكن يرسلهما مع رسالة
فليمون مع شخص واحد يذهب إلى نفس المكان . أما سبب التشابه بين

الرسالتين أفسس وكولوسى فهو الاتجاه العقلى للرسول فى ذلك الوقت ؛ أما سبب الاختلاف فهو اختلاف الموقف الذى أرسلت له كل رسالة، فبينما كتبت كولوسى لتجارب بدعة ما - كما سنعرف فيما بعد ، كتبت أفسس كرسالة عامة لتظهر قصد الله فى المسيح يسوع ، أى أنها كتبت إلى الكنيسة عامة فى حين أن كولوسى كتبت إلى كنيسة بعينها فى موقف خاص ولهدف يتعلق بتلك الكنيسة .

(ب) أما رأى الثانى فيقول إن رسالة كولوسى كتبها الرسول بولس إلى الكنيسة فى كولوسى أما رسالة أفسس فقد كتبها شخص من أتباعه وتلاميذه معتمداً فى كتابته على رسالة كولوسى .

(ج) رأى الثالث يقول إن كلا الرسالتين كتبهما إثنان من أتباع الرسول بعد موته معتمدين على تفكيره وكتاباتته وذلك لأنهما يعكسان حالة فى الكنيسة متأخرة عن وقت الرسول وسوف ندرس ذلك فى كل رسالة على حدة :

رسالة كولوسى

مدينة كولوسى :

تقع مدينة كولوسى فى وادى نهر ليكس Lucus وهو أحد روافد نهر الميناندر فى مقاطعة فريجية بأسيا الصغرى وهى إحدى ثلاث مدن فى هذه المنطقة ، الاثنتان الأخرتان هما لاودكية وتبعد عنها بحوالى ٢٠ كيلو متر وهيرابوليس وتبعد عنها حوالى ٢٢ كيلو مترأ. وتبعد كولوسى حوالى ١٧٠ كيلو متر إلى الشرق من مدينة أفسس . وتاريخ هذه المدينة ينقسم إلى فترتين : الأولى كانت قبل ظهور « الاسكندر الأكبر وانتشار الثقافة الهلينية ، وكانت

على الطريق العظيم الذى يصل الشرق بالغرب وهو الطريق الذى سلكه إرتحستا إلى ساردس سنة ٤٨١ ق. م ثم كورش الصغير سنة ٤٠١ ق. م . وفى ذلك العصر يصفها هيرودتس بأنها « مدينة كبرى فى فريجية » . وذلك لأنها كانت أهم مدينة فى مقاطعة فريجية فى وادى نهر ليكس . أما الفترة الثانية فيها بدأت تفقد أهميتها وأخذت تتضاءل نسبة إلى التنافس الذى حدث بينها وبين جارتها لاودكية وهيرابوليس . ولعل السبب فى ضعفها عن المنافسة هو انتقال الطريق التجارى منها (كولوسى ٤ : ١٣) . . وكانت كولوسى تشتهر بصناعة المنسوجات وخاصة غزل الصوف ونسجه . . ولقد انتهت مدينة كولوسى فى القرن الثامن الميلادى واقتلعت أحجارها لتبنى بها مدينة صغيرة مجاورة اسمها « خوتى » وهى التى تدعى هوناز فى العصر الحديث فى تركيا .

المسيحية فى كولوسى :

من المؤكد — كما تقول الرسالة نفسها — إن الرسول بولس لم يؤسس الكنيسة فى هذه المدينة ولم يكن قد زارها من قبل . وفى هذا يقول « إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين (١ : ٤) ويؤكد ذلك فى ٢ : ١ « فىنى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم ولأجل الذين فى لاودكية وجميع الذين لم يروا وجهى فى الجسد » وهذا يعنى أنه لم يؤسس أيضاً كنيسة لاودكية وهيرابوليس . ومع ذلك فهو يعتبر مسئولاً مسئولية غير مباشرة فى ظهور الجماعات المسيحية فى تلك المنطقة ، نعم إنه لم يستطع أن يذهب إلى الجنوب الغربى من مقاطعة فريجية حيث تقع المدن الثلاث ولكنه أرسل رجلاً آخر غالباً من مدينة كولوسى (٤ : ١٢) اسمه أيفراس ربما تقابل معه فى مدينة أفسس ، ويتضح ذلك من العبارة « لأجلنا » Huper hemoon أى

أنه كان يبشر في هذه المدن بحسب ما كان يسمع من الرسول وصار حلقة الوصل بينه وبين الكنائس الثلاث وكان يخبره بمحبتهم في الروح (١ : ٨) . وكانت الكنائس تتكون من الأمم غالباً (كولووسى ١ : ٢١ و ٢٧ ، ٢ : ١٣) ولكن هذا لا ينفى أن جزءاً مهماً منها كان من اليهود الذين قبلوا المسيح خاصة وأن الجاليات اليهودية كانت تنتشر في تلك المناطق .

ظروف الرسالة :

يذكر الرسول في فليمون ١٣ أن أيفراس مأسور معه ، ولا نستطيع أن نعرف بالضبط ماذا كان نوع هذا الأسر : هل كان اختيارياً بمعنى أنه ذهب إلى الرسول في رومية ومكث معه . أم كان موضوعاً في الحبس لأجل مسيحيته ، مع أن غالبية العلماء تميل إلى الرأى الأول . وعلى ذلك فإنه ذهب إلى الرسول لكي يسأله النصيحة في معضلة واجهته وكانت قاسية وصعبة ، هذه المشكلة تتلخص في أن بدعة ظهرت بين الكولوسيين يروج لها جماعة لها تأثيرها وثقافتها الواسعة ولم يستطع هو - أيفراس - أن يصددها أو أن يجاوب عليها . وفي سفره إلى الرسول إلى رومية ترك الكنيسة تحت رعاية أرخبس (كولووسى ٤ : ١٧) .

ولكن ما هو هذا الانحراف وما هي عناصره ؟ من الأمور الصعبة أن يحاول المرء دراسته دراسة عميقة ، لأن الرسول لم يصفه في رسالته إلا من خلال رده عليه وتغنيده له ، لأنه كان يكتب إلى جماعة يعرفونه ولم يكن من داع لوصف هذا الضلال وصفاً مفصلاً ، ولهذا فكل معرفتنا به تعتمد على هذه الفقرات الصغيرة التي يذكرها الرسول رداً على جماعة المنحرفين .

ولعل العلامة المميزة لهذا الانحراف وكل انحرافات القرن الأول الميلادي هو ما يسمى « المزجية » Syncretism وهي عبارة عن ربط آلهة وطقوس وعقائد وتفسيرات متعلقة بشعوب مختلفة بعضها مع بعض ثم استخراج مذهب جديد منها . ولقد غير كثيرون عاشوا في ذلك العصر معتقداتهم الدينية بتبني بعضاً من عقائد وطقوس ديانات أخرى مجاورة لهم ، أو واردة عليهم ، من أمكنة أخرى ، وكان ذلك يحدث خاصة في أعقاب التغييرات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية . ولقد كانت المسيحية في نظر البعض عبارة عن ديانة أخرى ظهرت ضمن الديانات الجديدة ، وعلى ذلك فيمكن تطعيمها وإثراؤها بنظريات وعقائد وعبادات أخرى من الثقافة الهلينية والطقوس اليهودية والعقائد التي سبقت الغنوسية وأدت إليها ، وقد جرى ذلك في مدينة كولوسى وكنيستها . ويمكن أن نستخرج بعضاً من عناصر هذا الانحراف في الأمور التالية :

١ - شخصية المسيح :

أبرز عناصر هذه الضلالة كان ينصب على شخص المسيح نفسه ويبدو أن المعلمين الكذبة ذكروا عنه أنه لم يكن سوى واحد من القوات أو العناصر الإلهية ، وأنه محدود في قوته ولا يمكن أن يتغلب على كل قوات الشر ، ولذلك فقد التجأوا إلى الملائكة (٢ : ١٨) ، ولربما كان هذا الاتجاه مؤدياً إلى غنوسية القرن الثاني ، وكان هذا هو سبب تنبير الرسول بشدة على مجد المسيح ورفعته فوق الجميع كما سرى (١ : ١٥ - ١٩ ، ٢ : ٩ - ١١) .

٢ - العناصر اليهودية في ٢ : ١١ :

يفسر الرسول الختان على أنه ختان القلب لا الجسد . وفي ٢ : ٨

يذكر عبارة « تقليد الناس » وهي غالباً تعكس عادة يهود ذلك العصر في تعظيم شأن البيقاليد واعتبارها أكثر من كلمة الله نفسها . وفي ٢ : ١٦ نجد إشارة واضحة عن الفرائض والطقسيات . مثل الأكل والشرب والعيد والحلال والسبت وكلها تعكس الأعياد اليهودية . كل هذه الإشارات تدل على أن هناك عنصراً ضخماً في هذا الانحراف من اليهودية .

٣ - عبادة الملائكة :

وهذا العنصر الثالث قد يكون مأخوذاً من عناصر يهودية متطرفة إذ صار للملائكة مركز وشأن ضخم بعد أن أوجد التفكير اليهودي ، في فترة ما بين العهدين ، فجوة ضخمة بين الله والناس ، فصار الملاك هو الوسيط الذي ساعد في إعطاء ناموس نفسه (غلاطية ٣ : ١٩ ، أعمال ٧ : ٣٠ و ٣٥) ومع أن اليهودي المتحفظ لا يمكن أن يعبد الملائكة ؛ إلا أن التطرف قد أدى ببعض اليهود إلى ذلك الموقف . ومن الناحية الأخرى قد يكون هذا العنصر مأخوذاً من الديانات والتفكير الهليني ، فقد كان هناك عبادة لبعض العناصر النوق طبيعية بين الشعوب اليونانية .

٤ - العناصر اليونانية :

وكانت تظهر هذه العناصر اليونانية الخالصة في بعض الأمور التي تكشف عنها المصطلحات الآتية :

— الفلسفة ويذكرها الرسول في العبارة « أنظروا ألا يكون أحد يسيبكم بالفلسفة ويغرور باطل » (٢ : ٨) وكلمة يسيب كلمة قوية بمعنى يغريهم بطريقة مخادعة براقة وقوية ليأخذهم تحت سلطانه وربما كان هذا خطر

المعلمين الكذبة إذ بهروا الناس بكلامهم ثم يتظاهرون بأنهم يعطونهم مسيحية غنية أكثر ثراءً في الفكر وغناء في العبادة عن المسيحية العادية. ويذكر الرسول بعضاً من اصطلاحات هذه الفلسفة مثل الملاء (١ : ١٩) معرفة (٢ : ٣) قهر الجسد (٢ : ٢٣) وهذا يدل على أن المنبع الذي بدأت منه الغنوسية بدأ يظهر ويتضح .

— أركان العالم (٢ : ٢٠) والكلمة اليونانية التي تترجم أركان العالم قد يكون لها واحد من معان أربعة : الأول الحروف الهجائية الأولى (عبرانيين ١ : ٥) (بداءه) وفي هذا الموقف قد تعني المعرفة الأولية . وقد يكون المعنى الثاني وهو العناصر الأولى التي يتركب منها الشيء أو العالم كالماء والهواء والتراب والنار ، وقد يعنى النجوم والكواكب وتحكمها في مصائر الناس وقد تعنى أخيراً الأرواح التي تتحكم في هذا العالم وقد اتفق العلماء على تفضيل المعنى الثاني والرابع ولكنهم لم يتفقوا على ما هو المعنى المقصود هنا . ولعل دراسة المعنى الذي عبر عنه الاصطلاح في كولوسي ٢ : ٨ و ٢٠ ، غلاطية ٤ : ٣) يرجح كفة المعنى الثاني أي أنها تعنى العناصر الأولية التي يتكون منها هذا العالم أنظر ٢ بطرس ٢ : ١٠ عناصر .

هذه هي ملامح الانحراف الذي ظهر في كنيسة كولوسي وقد اعتقد بعض العلماء أن هذا الانحراف قد ظهر في جماعة الايسينيين الذين كانوا يتمسكون بشدة بتقاليد الآباء مع نوع من التصوف الشديد وإلى جانب ذلك تمسكوا بخليط من الأفكار الغربية. لكن هذا الرأي لم تؤيده الاكتشافات الحديثة التي أكدت أن هذه الجماعة لم تعبد الطبيعة ولا الشمس كما ظن يوسيفوس من قبل ولم تظهر أية شواهد تدل على أنهم كانوا يعبدون الملائكة ومع ذلك فيمكن القول بأن هذا الانحراف هو أقرب إلى انحراف إيسيني منه إلى انحراف غنوسى في القرن الثاني الميلادى .

كيف واجه الرسول هذا الانحراف :

يبدو أن أبيفراس - كما سبق القول - عجز عن مقاومة هذا التيار الشديد فلجأ إلى معلمه في رومية لكي يساعده وينقذ الكنيسة من هذا الخطر (١ : ٧ ، ٤ : ١٢) ، وعليه فقد كتب الرسول هذه الرسالة ليواجه مشكلتين حادثين في الكنيسة : المشكلة العقائدية ثم المشكلة السلوكية وهذا يقودنا إلى تحليل الرسالة لتعرف فكر الرسول من خلالها .

مقدمة الرسالة :

بعد أن يذكر الرسول عنوان الرسالة يتقدم لكتابة المقدمة ويضمها أمرين : وصف الاختبار المسيحي الذي يتمتع به أهل كولوسي ويتلخص هذا في الإيمان والمحبة والرجاء ، ولم يكن الرسول هو أول من وصف هذه الاختبارات ولكنه كان أول من ربطها بعضها ببعض كتغيير كامل عن الاختبار المسيحي (١ كورنثوس ١٣ : ١٣) وهو هنا يذكرها بنوع من التفصيل : إيمان بالمسيح يسوع ، ومحبة لجميع القديسين ورجاء مع أنهم يخبرونه الآن ولكنه في السماء . إنه ليس مبنياً على أمور أرضية ولكنه مبنى على أمور سماوية . والرسول لا يفاضل بينها هنا كما فعل في ١ كورنثوس ١٣ : ١٣ فجعل المحبة أعظمها لأنها أكبر من كل المواهب وأبقى .

أما الأمر الثاني في المقدمة فهو صلاة لكي يمتثلوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي ، وكأنه يوبخ أهل كولوسي لأنهم لم يهتموا كثيراً بالنمو في معرفة مشيئة الله ، هذه المعرفة المتزايدة هي الأساس في نمو الاختبار المسيحي كاختبار حتى يظهر في السلوك كما يحق للرب ويشرون فيه . لاحظ هنا الفرق بين معرفة مشيئة الله ومعرفة الرب نفسه (١ : ٣ - ١١) .

مجد المسيحية في مقابل التعاليم الفاسدة :

ولكن على أى شئ يبنى الرسول مجد المسيحية والإيمان المسيحى وعظمتها اللامتناهى في وجه هذا الضلال ؟ لقد ظن هؤلاء المصلون أنهم يثرون المسيحية ويعطونها مظهر أسمى وأضحى بما أضافوه إليها ، فهل هذا صحيح ؟

بعد أن يعبر الرسول من المقدمة إلى هذا الغرض في قوله « شاكرين الله الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (١ : ١٢ و ١٣) فيجعل المسيحى في النور . وعندئذ يضع الأسباب الثلاثة التى تجعل المسيحية مجيدة وعظيمة : الأول : المسيح نفسه (١ : ١٥ - ٢٢) الثانى : الرسول نفسه وهو يكشف لهم عن المسيح الأعظم (١ : ٢٣ - ٢ : ٧) ثم اختبارهم في المسيح (٢ : ٨ - ١٥) ويلاحظ أن هذه الأسباب الثلاثة ليست منفصلة ولكنها تدور كلها حول شخص المسيح .

مجد المسيح : (١ : ١٥ - ٢٢) :

ويظهر هذا المجد في ناحيتين متكاملتين : الناحية الأولى هى مجده كمخالق (١٥ - ١٧) ويوازى لها مجده كفادى (١٨ - ٢٢) . أما مجده كمخالق فيذكر عنه الرسول أنه صورة الله غير المنظور . وقد فسر لايتفوت Lightfoot كلمة صورة بمعنيين أنه ممثل لله ثم أنه إعلان الله وإذا كان كذلك فهو بالطبع من طبيعة الله . أما صلته بالخليقة فهو :

١ - واسطة خلقها جميعاً ، ليس فقط الأرض والإنسان بل جميع الكائنات وكل الكون ما يرى وما لا يرى .

٢ - مالكها فالكل له وبه قد خلق وهو المعنى بها فهو قبل كل شئ وفيه

يقوم الكل . ونلاحظ هنا أمرين في غاية الأهمية الأول أن الرسول يتكلم في هذه الرسالة عن المسيح « الكوني » Cosmic Christ فمجده لا يقتصر فقط على الكائنات ولكن على كل الخليقة مثله في ذلك مثل ما قاله البشر يوحنا في مقدمة إنجيله (يوحنا ١ : ١ - ١٠) الأمر الثاني هو معنى كلمة « بكر » (ع ١٥) فهي تعني الرياسة والسبق : إنها ترتبط بالوقت ولكن البكر لا يجعله سبقه في الوقت فقط بكرأ ولكن الرئاسة والمجد ، فقد أصبح يعقوب بكرأ وهو بعد عيسو زمنياً ، وأصبح إسرائيل بكرأ وهو أصغر جميع الشعوب (هوشع) .

ويظهر مجد المسيح أيضاً كفادى أى ارتباطا ثبته بالكنيسة ، إذ هو رأسها ويلاحظ أن الكنيسة ليست كجسد ولكنها الجسد ، وقد صار المسيح كذلك لأنه انتصر على الموت وقام من الأموات بكرأ وهو الذى عمل الصلح بدم صليبه ٥

ويلاحظ هنا في (ع ١٩) « لأنه فيه سر أن يحل كل الملاء » وفي ٢ : ٩ « فإنه فيه يحل كل ملاء اللاهوت جسدياً » ، إن كلمة الملاء نفسها في ضوء تعليم هؤلاء المعلمين الكذبة . فعندهم أن الله لا يستطيع أن يصل إلى الكائنات لأنه أرفع من أن يتصل بأى شئ مخلوق أو مادى ، ولكنه يفعل ذلك عن طريق سلسلة متدرجة من الكائنات الروحية تنزل إلى أن تصل إلى الأرض . هذه كلها مع الله نفسه تكون ما يسمونه الملاء : ملاء الألوهية . ولكن الرسول هنا يقول إن المسيح وحده هو الذى حل فيه كل ملاء اللاهوت جسدياً . فلهذا الله بمجده وكمالاته فيه وحده لا شريك له . ولا يمكن أن يكون فرداً من جماعة أو حلقة في سلسلة إنه وحدة .

٢ - وينتقل الرسول إلى الأمر الثاني فهو يتكلم عن نفسه كمتقدم للإنجيل وحامل للرسالة إلى الأمم (١ : ٢٣ - ٢ : ٧) ويستخدم الرسول هنا ثلاث كلمات هامة وهى كلمة « تدبير » (١ : ٢٥) وكلمة سر (١ : ٢٦) وكلمة « آلام أو شداثد » (١ : ٢٤) . وكلمة تدبير هنا تعنى عملاً موكولاً إلى شخص ليقوم به - وهى بذلك تختلف عن معناها فى أفسس ، كما سبق القول . كأنه يقول إنه هو الذى وكل إليه الله أن يبشرهم وأن يقدم لهم هذا الإنجيل .

أما الكلمة الثانية فهى كلمة سر وتكرر مرتين فى هذا الجزء ومعناها قصد وتدبير إلهى كشفه الله لتقديسه ، وينصب السر هنا على شركة الأمم فى المسيح الذى يسكن فيهم ويكون معهم أساساً للرجاء الكامل .

أما التعبير عن الألم والتعب والشداثد فالرسول يعلن على أنها ليست عبثاً ولا هى آلام عادية ولكنها جزء من تدبير الله بواسطتها ينتشر الإنجيل ويقبل الجميع إلى الله (فيلبي ١ : ١٣ و ١٤) وهى بهذا المعنى مكتملة لآلام المسيح نفسه (١ : ٢٤) . إن آلام المسيح ليست ناقصة وإلا لما صارت سبباً وأساساً لثداثنا ولكنها الأساس الكامل الذى عليه ، وفى اتجاهه يبنى كل البناء إن آلام الرسول امتداداً لآلام المسيح وبناء عليها يتألم لامتداد الإنجيل . هذا هو مجد المسيحية الثانى ، إن الذين يقدمون الإنجيل لا يعملون ذلك من كبرياء ومحاولة سبى الناس بالكلام الملق ولكن بالتضحية والألم وباكتشاف سر الله وإعلانه .

٣ - أما المجد الثالث فهو الاختبار المسيحى نفسه (٢ : ٨ - ١٥) وهذا الاختبار يبنى أيضاً على المسيح الذى يجسد كل كلمات الله . ويعبر عن الاختبار المسيحى بكلمتين « الختان » وهو الختان الروحى الغير مصنوع بيده ختان القلب الذى انتظره العهد القديم (حزقيال) .

ثم المعمودية حيث يتصل المؤمن ويتحد بالمسيح في موته وقيامته فلا اختبار
المسيحي ليس شيئاً عقلياً أو تفكيراً نظرياً لا صلة له بالحياة ولكنه اختبار حياة
يظهر ثمره في السلوك والحياة المسيحية الحقيقية . هذا كله مبني على ختان
المسيح وهذه كلمة قد تعني ثلاثة أمور: إما ختانه اليهودي كطقتل وهذا
مستبعد وإما ختانه الروحي بالصليب وإما ختانه الذي هو مصدره أى يساعدنا
على خلع جسم الخطايا وربما كان هذا المعنى الثالث هو المقصود بذلك .

إن المسيح لكي يقوم بذلك انتصر على كل قوات الشر على الرياسات
والسلطين فهو أقوى من الجميع وأعظم منهم وصانع الخلاص العظيم .

نتيجة ذلك :

إن الذين للمسيح أحرار لا يستطيع أن يحكم عليهم في طقوس أو تقاليد .
ولا أن يخضعوا لأحد غير سيدهم . لقد ماتوا مع سيدهم عن العالم وقاموا
معه . فهم يحبون معه وحياتهم مستترة في المسيح يسوع في السماوات (٢ : ١٩ -
٣ : ٤) .

السلوك المسيحي :

بعد ذلك يذكرهم الرسول بالسلوك المسيحي الذي يجب أن يكونوا فيه
وهو يذكر ذلك في ٣ : ٥ - ١٧ وهذا الجزء ينقسم إلى قسمين : الأول
سببي أو نهبي إذ يطلب منهم ألا يسلكوا كما سلكوا قبلاً في نجاسة النفس
والجسد معاً (٥ - ١١) والسبب في ذلك « . . إذ خلعتم الإنسان العتيق مع
أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (٩ و ١٠)
هذا الإنسان العتيق ثم الجديد لا يمسان الطبيعة البشرية في الإنسان ولكنهما
يعنيان موقفين مختلفين : كانوا قبلاً بين أبناء المعصية وسلكوا في كل هذه

٤٨١

(م ٣١ - المدخل الى العهد الجديد)

الخطايا (ع ٦) في ذلك الوقت كانوا في الإنسان العتيق . . كانوا يلبسون آدم . . في آدم . . في الخليقة القديمة . . أما الآن فهم في المسيح خلعوا آدم بكل أعماله ولبسوا المسيح فصاروا إنساناً جديداً . إنه لا يتكلم عن فرد بل عن وحدة الخليقة الجديدة في المسيح يسوع (أفسس ٢ : ١٥) .

ثم هناك الوجهة الإيجابية في السلوك المسيحي (١٢ - ١٧) وهي مبنية على حياتهم كمختارى الله القديسين المحبوبين .

بعد ذلك يطلب الرسول من الأسرة أن تتهاك : النساء والرجال ، الأولاد والآباء العميد والسادة . هل كان الرسول ينبر هنا على موقف خاص أوجده هؤلاء المعلمون الكذبة إذ أوجدوا انقسامات حادة في الكنيسة بين كل هؤلاء ؟ أم أنه يذكر ذلك كنصائح عامة ؟ أعتقد أن الأمر الأول أقرب إلى الموقف من أجل البلبلة التي سببها هذه الضلالة .

ثم يختم الرسول الرسالة بأن يرسل تحياته وسلامه إليهم ويصحب معه في السلام مجموعة من الأحياء .

رسالة أفسس

تعتبر رسالة أفسس واحدة من أهم رسائل العهد الجديد ، وفي دراستها سنجد أنها في القمة من حيث تفكيرها ولاهوتها واتجاهها ؛ ومع ذلك فقد أثارت هذه الرسالة جدلاً واسعاً في نقطتين ، هامتين هما : هل فعلاً كتبها الرسول بولس ؟ وهل فعلاً كتبها إلى كنيسة أفسس ؟ حول هذين السؤالين كتبت كتب عديدة وقيلت آراء كثيرة . . ولكن قبل أن نتعرض لشيء من هذا التفكير هنا نذكر شيئاً عن هذه المدينة أفسس وعن الكنيسة التي فيها .

أفسس :

تعتبر مدينة أفسس مدينة ذات أهمية عظمى في آسيا الصغرى تقع على
البر الشرقي لبحر إيجه تقريباً ، في مواجهة أثينا . وهي مقاطعة يونانية جذبت
إليها كثيرين من جنسيات متعددة . لأنها تقع على طريق رئيسي يربط بين
الشرق والغرب . وكان فيها جالية يهودية كبيرة وقوية (أعمال ١٨ : ١٩ ،
١٩ : ٨ و ٩ و ١٣) . وكانت هذه المدينة تشتهر بأمرين :

الأمر الأول : أنها مركز عبادة أرتاميس التي يقول أتباعها إن صورتها
نزلت من السماء ، وقد بنى لها فيها معبد كان يعتبر من عجائب الدنيا السبع ،
أما الأمر الثاني فكان مسرحها الضخم الذي كان يتسع لخمسين ألف
متفرج ، وكانت تقام به ألوان من الأنشطة الرياضية أهمها مصارعة الوحوش
ولهذا فقد كانت المدينة مركزاً للحضارة القديمة وملتقى حضارات الشرق
والغرب .

الرسول بولس وأفسس :

كان الرسول بولس هو الذي أسس هذه الكنيسة الضخمة ، ويبدو أنه
مكث في أفسس أطول مدة تبشيرية مكثها في مدينة أخرى . زارها لأول مرة
مع أكيليا وبريسكلا ، ومكث فيها مدة قصيرة وذلك في أواخر رحلته
التبشيرية الثانية وهو في طريقه إلى أورشليم (أعمال ١٨ : ١٧ - ٢١) .
ولا بد أن هذين الزوجين - أكيليا وبريسكلا قد عملا على تقديم الإنجيل بعد
أن تركهما الرسول هناك ، وقد كان لها الفضل في شرح رسالة الإنجيل
لعامل من عمال المسيح العظام وهو أبلوس ، إذ كان يعرف معمودية يوحنا
فقط (أعمال ١٨ : ٢٤ - ٢٦) .

وجاء الرسول بولس إلى أفسس في رحلته التبشيرية الثالثة ، وقابله هناك جماعة من تلاميذ يوحنا ، فكلّمهم عن المسيح وقبلوه وحل عليهم الروح القدس (أعمال ١٩ : ١ - ٧) . ثم دخل مجمع اليهود ومكث يحاجهم لمدة ٣ شهور ، ولكنهم تقسوا ولم يعودوا يسمحون له باستخدام مجمعهم ، فاستأجر مدرسة لإنسان اسمه تيرانس (أعمال ١٩ : ٨ و ٩) . واستمر يعظ فيها مدة سنتين : ولأن أفسس كانت مركزاً للقادمين والذاهبين فقد سمع كلمة الله منه ومن الذين تجددوا على يديه من البلاد الأخرى ، كل الساكنين في آسيا الصغرى . ونجحت كلمة الله حتى أن السحرة الذين آمنوا حرقوا كل كتبهم التي كانت تساوي خمسين ألفاً من الفضة (أعمال ١٩ : ١٣ - ٢٠) . ولكن لما رأى الصباغ أن تجارتهم التي تتمركز حول عيادة أرتاميس كادت تفلس قاموا بمظاهرة شديدة تحت زعامة شخص منهم اسمه ديمتريوس ، وكادوا يفتكون بالرسول ثم حملوه إلى الحاكم الذي طلب منهم أن يسيروا بحسب الطرق القانونية (أعمال ١٩ : ٢١ - ٤١) . وعندئذ ، لما وجد الرسول أن إقامته أصبحت مستحيلة هناك ، ترك المدينة بعد أن تكونت هناك كنيسة قوية أضحت مركزاً عظيماً للتبشير بل لعل إنجيل يوحنا وسفر الرؤيا كتباً فيها .

لنستعرض الآن أهم مشكلتين تواجهان الدارس لهذه الرسالة :

١ - من هو كاتب الرسالة :

القراءة السريعة لهذه الرسالة تعطى الجواب على هذا السؤال بأن الرسول بولس هو كاتبها . فالرسالة نفسها تشهد بذلك (أفسس ٣ : ١ ، ٤ : ١ ، ٦ : ٢٠ و ٢١) . وهي تمتلئ بعبارات واصطلاحات الرسول نفسه ، وفوق الكل فإن شهادة الآباء والكنيسة كلها تؤيد هذا الأمر . ولكن منذ ١٨٢٩ بدأ العالم دى ويت يشكك في ذلك الأمر ، وبدأ جناح قوى من الدارسين في

السنوات التالية يتبعه في ذلك ، ويمكن تلخيص الأدلة التي يبنون عليها رأيهم في الأمور التالية :

(أ) اللغة والأسلوب :

هناك اختلاف واضح بين الألفاظ التي تظهر في هذه الرسالة وبين ما يستخدمه الرسول في الرسائل الأخرى ، وبالعكس يظهر تقارب عجيب بينها وبين كتابات لوقا البشير ورسالة بطرس الأولى والبرانيين وأكليمندس وكل هذه — كما يقولون كتبت في عصر متأخر عن عصر الرسول بولس ، مما يدل على أنها كتبت في زمن كتابة هذه الكتب ، أما عن الأسلوب فيقولون إنه يختلف عن أسلوب الرسول ، فالرسالة مملوءة بالحشو الزائد بجمل كثيرة مثل « حسب مسرة مشيئته (١ : ١١) ، « حسب شدة قوته » (١ : ١٩) . . إلخ . بينما نجد الرسول في كتاباته يختار الكلمة لتؤدي المعنى الذي يقصده ، ويوجد كذلك أشياء أخرى كالجمل الطويلة التي تتخللها الجمل الاعترافية ثم الأسماء المتعددة التي ترتبط بالإضافة أو حروف الجر (٢ : ١٤ و ١٥ ، ٤ : ١٣) وغير ذلك مما لا يتفق مع أسلوب الرسول .

(ب) الصلة الخاصة بين هذه الرسالة ورسالة كولوسي — كما سبق الذكر — من تشابه واختلاف أخذها معتقو هذه النظرية على أنها دليل على عدم صحة نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بولس .

(ج) اختلاف لاهوت هذه الرسالة عن لاهوت الرسول كما يظهر في رسائله العظمى مثل رومية وغلاطية وكورنثوس وتظهر هذه الاختلافات في الأمور التالية :

١ - شخصية المسيح :

هناك أعمال ينسبها الرسول بولس إلى الله بينما تنسب في هذه الرسالة إلى المسيح مثل : اختيار الرسول والأنبياء (أفسس ٤ : ١١ مع ١ كورنثوس ١٢ : ١٨) ثم المصالحة (٢ كورنثوس ٥ : ١٨ و ١٩ ، كولوسي ١ : ٢٠ مع أفسس ٢ : ١٦) .

هناك شيء آخر وهو أن رسالة أفسس لا تظهر موت المسيح ولا تعطى له الأهمية العظمى التي تعطى له في رسائل الرسول بولس ، فمثلاً في أفسس ١ : ١٥ - ٢ : ١٠) حيث يذكر عمل الله الفدائي لا يذكر موت المسيح مطلقاً بينما تذكر القيامة مرتين . هذا بالمقابلة بما يذكره الرسول في رومية ٣ : ٢١ - ٣١ ، ٤ : ٦ - ١١ ، ١ كورنثوس ١ : ١٨ و ٢٣ . . . (الخ) .
شيء ثالث وهي أن أفسس تذكر « نزول المسيح إلى أقسام الأرض السفلى » (٤ : ٩) وهذا لا يعكس تفكير الرسول بولس بل بالأحرى تفكير رسالة بطرس الأولى (١ بطرس ٣ : ١٨ - ٢٠) والألفاظ اللاهوتية « في المسيح » أو « في المسيح يسوع » (٣ : ١١) أو « في يسوع » (٤ : ١١) أو « في الرب يسوع » (١ : ١٥) لا يمكن في هذه الرسالة أن تعطى نفس السمق الذي لها في كتابات الرسول بولس .

أما مجيء المسيح الثاني فلا ذكر له في هذه الرسالة ، بعكس رسائل الرسول بولس مما يدل على أنها - كما يقولون - كتبت في عصر متأخر عن عصره ،
٢ - الكنيسة :

الكنيسة عند الرسول تعبر عن اجتماع محلي أو مجموعة من الكنائس أما في أفسس فالكنيسة هي الكنيسة الجامعة (١ : ٢ ، ٣ : ١٠ و ٢١ ، ٥ : ٢٣ - ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٢) .

رسالة أفسس تصنف الرسل والأنبياء بأنهم قديسون (٢ : ٢٠) وهذا لم يذكره الرسول في مكان آخر ، وتصنفهم على أنهم أسس الكنيسة (٢ : ٢٠) مما يتناقض مع قول الرسول في ١ كورنثوس ٣ : ١١ على أن المسيح هو الأساس .

هذا يعكس تفكيراً متأخراً عن زمن الرسول بولس . فالكنيسة قد أصبحت جامعة عالمية ، فيها الأمم واليهود قد اتحدوا معاً ، بل قد تغلب فيها العنصر الأسمى ، مما يدل على أنها كتبت بعد ٧٠ م بعد أن مات الرسول بولس . هذه هي الأسس التي يبني عليها منكمرو نسبة الرسالة إلى الرسول بولس رأيهم . ولكن هذه الأسس لا يمكن أن تقبل للأسباب الآتية :

١ - الشهادة الخارجية على نسبتها للرسول قوية جداً ، فاسمه ظهر في العنوان في عصر مبكر جداً ، وكل شهادات الآباء تؤيد ذلك ، ووجدت في قائمة مارسيون المرطوقى تحت اسم لاودكية - ١٤٠ م ثم في قائمة الموراتورى ١٨٠ م ، ثم في الترجمات اللاتينية والسريانية :

٢ - بناء الرسالة نفسها يؤيد نسبتها إليه ، ففيها يظهر طريقته في الكتابة لمقدمة ، الشكر ، الشروح اللاهوتية والحث الأخلاقي والسلام الختامى والبركة . . ومع أن هذه كانت طريقة العصر العامة في الكتابة ، لكن من يقارن هذه الرسالة برسائل أخرى نسبت إلى الرسول كرسالة كورنثوس الثالثة يجد الفرق واضحاً بين الاثنين :

٣ - أما اللغة والاصطلاحات والأسلوب الأدبي فالرسالة أقرب إلى كتابات الرسول منها إلى أى كتابات أخرى في العهد الجديد ؛ ففيها التقابل الذى يشتهر به الرسول (٦ : ١٥ و ٢٠) « سفير وسلاسل » وفيها الاقتباس

الحر - الذى من الذاكرة - من العهد القديم (٦ : ٨ - ١١ ، رومية ١٠ : ٦ - ٨) واقتباس لغة العهد القديم (١ : ٢٢ ، ٢ : ١٣ و ١٧ ، ٤ : ٢٥ ، ٥ : ٢ ، ٦ : ١ - ٣) .

٤ - أما المشكلة اللاهوتية والاعتقاد بأن فيها ما يخالف لاهوت الرسول بولس فإن القارئ المتعمق يرى بخلاف ذلك . نعم هناك عقائد درسها الرسول بعمق مثل عقيدة الكنيسة الجامعة ، وهى عقيدة تظهر فى رسالة كولوسى أيضاً (كولوسى ١ : ١٨) فهو فى صحته فى رومية يرى أنه قد أتم تبشيره فى الشرق كله من الليريكون إلى اورشليم (رومية ١٥ : ١٩) وهو ينظر إلى هذا كله نظرة كلية وليست مفككة ، إنها كلها كنيسة المسيح وجسده حتى وإن كانت تتكون من مجموعات من الكنائس . فالنظرة الجامعة إلى الكنيسة هى نظرة الذى رأى الروح الواحد يعمل فى كنيسة واحدة . وإلى جانب ذلك فكل عقيدته واضحة فى هذه الرسالة كما فى الرسائل الأخرى : عقيدته فى إلهه (١ : ١٧ و ١٩ - ٢٢) . والارتباط السرى بالمسيح (١ : ٣ و ١٠ و ١١) وفكرة المصالحة على الصليب (٢ : ١٣ - ٢٢) . ثم عمل ورسالة الروح القدس (٢ : ١٨ ، ٣ : ٥ ، ٤ : ١ - ٤ و ٣٠ ، ٥ : ١٨) . ثم عقيدته فى قصد الله والاختيار (١ : ٥ - ١٤) .

كل هذه البراهين مع ما تعلنه الرسالة نفسها عن نسبتها إلى الرسول ووصف الرسول نفسه بأنه أسير الرب (٣ : ١ ، ٤ : ١) وأنه اختير بواسطة الرب (٣ : ٤) ودعوته للقراء أن لا يحزنوا كثيراً لشدائده (٣ : ١٣) ، وأنه يصلى من أجلهم (٣ : ١٤ - ١٧) ، وغير ذلك تؤيد تأييداً تاماً أن كاتبها هو الرسول بولس نفسه .

لمن كتبت هذه الرسالة :

هذا السؤال أيضاً يجاب لأول وهلة فعنوان الرسالة « إلى أفسس » والمقدمة « . . : إلى القديسين الذين في أفسس . . » يجيبان عليه . ولكن الأمر ليس بهذه السهولة . فبدأ المصلح البروتستانتي بيزا يتشكك في ذلك بدأ كثير من العلماء يدللون على أن الرسالة لم تكتب لكنيسة أفسس . وهذه هي الشواهد على ذلك :

١ - العنوان لم يظهر على الرسالة إلا في نهاية القرن الثاني ، والمقدمة لم تظهر فيه كلمة أفسس إلا في القرن الرابع . وفوق ذلك فالعنوان لا يوجد في أعظم المخطوطات وهي الفاتيكانية (مضافاً في الهامش) والسينائية والبردية ٤٦ وبعض المخطوطات الأقل شأنًا . وشهادة الآباء غير واضحة وغير متفقة في ذلك . وبنفس الشيء ينطبق على المقدمة فهي لا تظهر في المخطوطات القديمة نفسها السينائية B والفاتيكانية B وغيرها ، ولم تظهر كلمة « في أفسس » إلا في منتصف القرن الرابع في كتاب تفسير ألفه أحد العلماء أما فيما عدا ذلك فقد كانت تقرأ فيما سبق « . . . إلى القديسين والمؤمنين في المسيح يسوع » .

ويستند هؤلاء العلماء في رأيهم على الشهادة الداخلية للرسالة ، فهي تخلو من أية شواهد تبين أنه كانت هناك صلوات شخصية بين الكاتب والمكتوب إليهم ، وهذا أمر غريب على الرسول بولس الذي قضى في أفسس ما يقرب من ثلاث سنوات يبشر فيها . بل على العكس من ذلك فإن الكاتب يظهر أنه لا يعرف المكتوب إليهم معرفة شخصية ، فهو قد سمع عنهم فقط (١ : ١٥) وهو يتساءل عما إذا كانوا قد عرفوا بتدبير الله المعلن له (٣ : ٢) وهو يتساءل عما تعلموه عن المسيح وعرفوه عن عمله لهم وفيهم (٤ : ٢١) . أما المكتوب إليهم فيصفهم الكاتب على أنهم أمم (٢ : ١١ - ٢٢ ، ٣ : ١ - ٨)

والوصايا التي يكتبها لهم والتحذيرات التي يوجهها إليهم كلها تنطبق على الأمم فقط (٤ : ١٧-٢١ ، ٥ : ٣-١٤) . وهذا لا يتفق كثيراً مع ما نقرأ في سفر الأعمال عن كنيسة أفسس من أنها تحتوي على عنصر يهودي قوي (أعمال ١٩ : ١-٢٠ ، ٢٠ : ٢١) .

والى جانب ذلك لا توجد تحيات من رفقاء الرسول إلى المكتوب إليهم ، مع أن تيموثاوس وارسطريخس كانا معروفين جيداً لكنيسة أفسس (أعمال ١٩ : ٢٢ و ٢٩ ، ١ كورنثوس ٤ : ١٧) .

وعلى هذا فهم يؤكدون أن الرسالة لم تكتب أصلاً إلى كنيسة أفسس . وهذه شهادة لا يستهان بها وخاصة الشهادة الداخلية ، فإذا كان الأمر كذلك فلمن كتبت هذه الرسالة ؟

لمن كتبت الرسالة والغرض منها :

هناك نظريات كثيرة ولكن يمكن جمعها كلها تحت رأيين : رأى من ينكر نسبتها إلى الرسول بولس ثم رأى من يعتقد أن الرسول بولس نفسه هو الذي كتبها .

أما آراء الفريق الأول فنتلخص في النظريات التالية :

١- بعد موت الرسول بولس نسيه الناس ولكن عندما انتشر كتاب سفر الأعمال بدأ ذكره يرجع إلى الأذهان وهذا شجع أحد تلاميذ الرسول على جمع رسائله بعضها مع بعض ثم كتب لها مقدمة طويلة هذه المقدمة هي نفسها الرسالة إلى أفسس . هذه النظرية نادى بها جود سيد *Goodspeed*

٢- إنها رسالة كتبت في القرن الثاني لتجارب الغنوسية وتحذر الناس

منها . ومع أن لاهوت الرسالة يشابه لاهوت الرسول بولس إلا أنها أكثر تعقيداً وتطوراً يقول بهذه النظرية Kummel كيميل .

٣ - هناك نظرية ثالثة وهي أن كاتبها كان من تلاميذ الرسول كتبها كقالة لاهوتية لينشر فيها لاهوت الرسول وذلك بعد موته . وهذه نظرية W. Beare . و . بير .

ولكن هذه النظريات ضعيفة وتقف في وجهها عقبات كثيرة أهمها عقبة « تيخيكس » . فالرسول يذكر القصة في رسالة كولوسي ٤ : ٧ و ٨ وتظهر هذه القصة في أفسس ٦ : ٢١ و ٢٢ فلماذا يقتبسها كاتب أفسس هكذا من رسالة كولوسي وهي لا داعي لها . ولكن لو قلنا إن الرسول كتب الاثنين معاً وأرسلها كلها في وقت واحد مع شخص واحد لكان هذا المنطق معتدلاً وصحيحاً .

أما الذين يتمسكون بنسبتها إلى الرسول فإنهم يذكرون مجموعة من النظريات أيضاً أهمها :

١ - إنها رسالة إلى اللاودكيين ، فارسيون يذكر أنها كتبت إلى لاودكية ثم أن هارنيك يعتقد أنها كتبت إليها بناء على ما جاء في كولوسي ٤ : ١٦ وقد وضع بدلا من لاودكية اسم أفسس نظراً لأن اسم لاودكية قد صار رديئاً (رؤ ٣ : ٤) . ولكن الصعوبة في هذه النظرية هي أنه لا توجد أية مخطوطة أو ترجمة قديمة أو حديثة كتبت فيها لاودكية بدلا من أفسس .

٢ - هناك نظرية أخرى مفادها أن الرسول كتبها رسالة عامة وليست لكنيسة محددة لكي يضع فيها كل اختباراه عندما عرف أن نهايته قد قربت

في السجن . ولكن هذه الرسالة لا تظهر بما فيها من بعض الأمور الشخصية أنها كتبت إلى الكنيسة عامة .

٣ - النظرية الأخيرة أنها عبارة عن منشور أرسله إلى مجموعة من الكنائس في نفس الوقت الذي أرسل فيه رسالتي كولوسي وفليمون . وقد ترك الرسول فراغاً لملء اسم الكنيسة التي تأخذ نسخة من هذه الرسالة . هذا الرأي يفسر تقارب رسالتي أفسس وكولوسي ثم يفسر قصة تيخيكس فهو الشخص الذي أرسل بيده هذه الرسائل .

إن هذه النظرية أقرب إلى الصحة من النظريات الأخرى ولا تثير كثيراً من المشاكل التي تثيرها النظريات المختلفة .

إذن فرسالة أفسس كتبها الرسول كمنشور عام لمجموعة من الكنائس في لغة عامة وأرسلت بيد تيخيكس عندما أخذ معه رسالتي فليمون وكولوسي .

محتويات الرسالة :

التحيات ١ : ١ و ٢

(أ) سر الإنجيل - إرادة الأب ١ : ٣ - ١٤

مقدمة ٣

الاختار ٤

التبني ٥ و ٦

الفداء ٧ و ٨

التنوير ٨ - ١٠

الميراث ١١ و ١٢

الختم ١٣ و ١٤

(ب) قوة الإنجيل - عمل الابن ١ : ١٥ - ٢ : ١٠

عمل قوة الله في المسيح ١ : ١٥ - ٢٣

عمل قوة الله في المسيحي ٢ : ١ - ١٠

الحالة التعمية السابقة ٢ : ١ - ٣

عمل الله لأجلنا في المسيح ٤ و ٦

نعمة الله وعملها ٧ - ١٠

(ج) هدف الإنجيل - الحياة في الروح ٢ : ١١ - ٣ : ٢١

- المصالحة معاً في بيت الله ٢ : ١١ - ٢٢

الحالة السابقة بعيداً عن المسيح ١١ و ١٢

المركز الجديد في المسيح ١٣ - ٢٢

- إعلان حكمة الله ٣ : ١ - ٢١

ليولس السفير ١ - ١٣ ويتضمن :

سر المسيح ١ - ٧ ثم

وظيفة الرسول بالنسبة لهذا السر ٨ - ١٣

للكنيسة ١٤ - ١٩

تمجيد ٢٠ - ٢٥

(د) آداب الإنجيل - السلوك المسيحي ٤ : ١ - ٦ : ٢٠

- موقع السلوك (الكنيسة المسيحية) ٤ : ١ - ١٦

- المميزات الأخلاقية للسلوك ٤ : ١٧ — ٦ : ٩
- القديم والجديد ٤ : ١٧ — ٢٤
- خطايا محددة بين الأمم ٤ : ٢٥ — ٥ : ١٤
- طريق التواضع المسيحي ٥ : ١٥ — ٦ : ٩ ويتضمن:
- المبدأ العام ٥ : ١٥ — ٢٠
- مثال الزوج والزوجة ٥ : ٢١ — ٣٣
- مثال الأبناء والوالدين ٦ : ١ — ٤
- مثال السادة والعبيد ٦ : ٥ — ٩
- كيفيات السلوك المسيحي ٦ : ١٠ — ٢٠
- (سلاح الله الكامل)
- التحيات الختامية ٦ : ٢١ — ٢٤

مضمون الرسالة :

من أهم ما تمتاز به الرسالة وخصوصاً الجزء الأول منها (ص ١ - ٣) ، وهو ما يسمى عادة بالقسم اللاهوتي أو الحقيقية Indicative ، هو أنها رسالة تعبدية تأملية وليست جدلية ؛ ففيها نجد التريمة العظيمة التي يمكن أن نطلق عليها تريمة الخلاص (١ : ٣ - ١٤) ثم المرات التي فيها يصلى (١ : ١٦ ، ٣ : ١٤) . وهذا يفسر سمو الأسلوب الذي كتبت به هذه الرسالة وعمق أفكارها . إنها ليست رسالة جدلية يجابه فيها الرسول بدعماً أو هرطقات أو انقسامات كنسية فينتقل من موضوع إلى موضوع ، ومن مواجهة إلى أخرى ، ولكنه يذكر كل ما يعتمل في قلبه من أفكار وتأملات في شركته مع الله . إنه يذكر في مكان آخر أنه يعرف إنساناً اختطف إلى الفردوس

وسمع بكلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها (٢ كورنثوس ١٢ : ١ - ٤) وأكثنا نعتقد أنه هنا في هذه الرسالة يشارك الآخريين في هذه المعرفة السماوية ، التي جاءت في تلك الساعات الحبيدة . . إنه يكتب هذه الرسالة وهو جاث على ركبته .

هذه الرسالة التبعية الحبيدة ما مضمونها وما هو فكر الرسول الذي يضمه فيها ، سوف نذكر كلمة بسيطة عن أهم الموضوعات التي تظهر في هذه الرسالة .

١ - يلاحظ القارئ أن الرسول يكرر كلمة سر في موضعين : الأول في ترنيمة الخلاص (١ : ٩) « إذ عرفنا بسر مشيئته ، والموضع الثاني في ٣ : ٣ و ٤ و ٩ . . . تقدر أن تفهموا درايقي بسر المسيح » ، ثم « وأثير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور . . . » . ومع أن معنى السر واحد في الموضعين إلا أن مضمون السر يتميز أحدهما عن الآخر : فمضمون السر في ١ : ٩ هو تدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك « (ع ١٠) أما في الموضع الثاني فمضمونه « أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل » . ومع أن الاثنين متمايزان إلا أنهما مرتبطان تماماً ، بل لعل الرسول خرج من كشف وإعلان السر الثاني أي السر الخاص بالأمم إلى السر الأول وهو جمع كل شيء في المسيح وتفسير ذلك كما يلي :

رأى الرسول بولس ، وهو الشخص الذي أفرز من أجل الأمم ، أن هؤلاء الأمم يقبلون إلى ينبوع الخلاص وإلى قبول المسيح مخلصنا ، أي أنهم قد صاروا شركاء في المسيح ، وفي موعد الروح القدس ، وفي الميراث ، وفي الكنيسة ، أي جسد المسيح . هذا سر عندما كشف أذهل أهل الختان واستغربوا

(أعمال ١٠ : ٤٥) ، بل لعلهم رفضوه أولاً (١١ : ٢) ولكن الرسول بولس رأى سر الله ينكشف ويعلن في هذه الحقيقة الواقعة المذهلة . وعندما آمن الأمم لم يكونوا كنيسة لوحدهم مستقلة بعيدة عن اليهود ، ولكنهم مثل اليهود تماماً أصبحوا جسد المسيح الواحد ، أو كما يقول الرسول عن المسيح « لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً (أى اليهود والأمم) ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين (اليهود والأمم) في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً . ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به » (٢ : ١٤ - ١٦) . إذن فقد صار الاثنان جسد المسيح . لا فرق . رعية واحدة . . بناء مركباً معاً وينمو هيكلًا مقدساً للرب . . مسكن لله في الروح (٢ : ١٩ - ٢٢) .

هذا يعنى أن هذا السر أعلن في واقع تاريخي رآه الجميع ولمسه العالم . ولا يمكن أن ينكره أى إنسان .

٢ - ولكن هذا السر الذى صار واقعاً تاريخياً يشير إلى السر الآخر الذى أعلن للرسول فوضعه في ترنيمة الخلاص المحيطة (١ : ٣ - ١٤) هذه الترنيمة التى تتوازى وتتساوى مع ترنيمة المحبة في (١ كورنثوس ١٣) . تنقسم إلى ٣ مقاطع كبيرة بعد المقدمة في (٣ع) .

المقطع الأول : ٤ - ٦ وتظهر فيه البركتان الروحيتان الاختيار والتعيين :

المقطع الثانى : ٧ - ١٠ وفيه أيضاً بركتا الفداء (غفران الخطايا) والاستنارة .

المقطع الثالث : ١٠ ب - ١٤ وفيه بركتا الميراث وختم الروح .

هذه البركات ، التي تتمتع بها الكنيسة ، التي هي الواقع التاريخي للسر المقدس ، هي بركات الإنجيل وهذا الإنجيل ينبع من مسرة مشيئة الله .

ولنلاحظ هنا المرات العديدة التي وردت فيها الكلمة « حسب » (ع ٥ و ٧ و ٩ و ١١) . هذا يكشف أن كل عمل يعمل وكل تدبير يجري وكل بركة تعطى وراءها إرادة الله ومسرته ؛ وإرادته هي أساس كل شيء . وإرادته القدوسة تقود كل شيء إلى قصد عظيم يذكره في ع ١٠ بقوله « لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك » إذن فقصد الله السامي لا يقتصر على الإنسان فقط بل على كل شيء مما في السماء وما على الأرض ، كله يجمع في المسيح يسوع ليصبح هو رأساً لكل شيء وسيداً عليه (أنظر فيلبي ٢ : ٩ - ١١) .

هذا إذن تدبير الله وهو هناك في الأزلية ثم في الواقع التاريخي ثم إلى الأبد . لقد دبر الأب كل شيء فاختر القديسين ودعاهم في واقعنا التاريخي وهم سيكونون الوسطة في جميع كل شيء في المسيح يسوع رأس كل شيء ؛

٣- وعلى هذا نرى أن عنصراً أساسياً وهاماً يتخلل هذه الرسالة هو التنبؤ على الوحدة : وحدة قصد الله ، إذ سوف يجمع كل شيء في المسيح ، ووحدة الكنيسة إذ وحد وربط الأمم واليهود معاً ليكونوا واحداً في المسيح ، هذه الوحدة لا تعني صب كل شيء في قالب واحد ، فيكون الكل متطابقين ، ولكنها وحدة في تنوع ؛ فكل أعضاء الكنيسة من يهود ومن أمم لم يشكّلوا من جديد ولكن أصبح فيهم التوافق المسيحي الكامل . وهكذا كل شيء . لأنها وحدة في تنوع . هذه الوحدة والجمع له مركز واحد . سواء أكان في الواقع التاريخي أم في الأبدية فهو مركز باق . وهو المسيح فكل شيء يجمع في المسيح (١ : ١٠ ، ٢ : ١٤ - ٢٢) .

٤٩٧

(م ٣٢ - المدخل إلى العهد الجديد)

٤ - فإذا كان المسيح هو مركز الوحدة وأساسها فكيف يتممها ؟ لقد بدأ في إتمامها بنفسه هو إذ صار جسداً ، وفي موته أباد كل القوات التي تسبب الانقسام والعداوة . ويتذكر الرسول هنا في الناموس الذي كان حاجزاً فاصلاً بين شعب الله . فعلى الصليب هدم المسيح هذا الحائط أو السياج المتوسط ، وأدخل حياة جديدة في مبادئ جديدة ، مبادئ التوافق والمحبة ، فصار الاثنان إنساناً واحداً يفوق كل تنوع واختلاف . ويتكلم الرسول هنا عن الكنيسة ويسمها جسد المسيح ليس بطريق الاستعارة أو التشبيه ولكنها هي جسده فعلاً (١ : ٢٣ ، ٣ : ١٢ و ١٦ ، ٥ : ٢٣ و ٣٠) « فكما أنه اتخذ جسداً لحياته الأرضية هكذا الآن أضحي في تجسد أوسع وأكبر ، فالكنيسة جسد المسيح يحيا ويتقوى بحياته ، لأنه هو الرأس » في هذا الجسد ظهر نوع آخر من البشرية : إنسان جديد يفوق كل اختلاف وجنس . إنه ارتباط بين اليهود والأمم .

وهناك طريقة يستخدمها السيد في تمكين وإتمام هذا الجسد العظيم : وهي المواهب الروحية « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . . . » (إقرأ ٤ : ١ - ١٦) . إنها مواهب مختلفة في أناس مختلفين ، ولكنهم أصبحوا إنساناً واحداً . جسداً واحداً للمسيح . هذه الوحدة الكنسية هي البداية . فالمسيح بكنيسته سوف يكمل هذا الجمع العظيم كما يقول « وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع يسوع المسيح لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات . بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا » (٣ : ٩ - ١١) . ففي الكنيسة يصبح المسيح مركزاً لكل شيء فيتغلب على كل انقسام واختلاف إلى أن يصبح كل شيء في توافق .

تمام فيه . وعلى هذا تصبح الكنيسة جسد المسيح ملء الذى يملأ الكل فى الكل .
فإذا كان المسيح يملأ الكون كله بقوته إذ كل شئ له وبه قد خلق ، فالكنيسة
هى ملؤه بمعنى أنها جسده ، وحياته تنتشر فى هذه الكنيسة ، فإذا كان الرأس
يحوى كل الكمالات فإن الجسد هو الذى يعلن هذه الكمالات والواسطة
لإظهارها للجميع .

٥ - هذه الأسرار العميقة المحيطة كيف عرفها الرسول ؟ هو نفسه
يقول « الذى بحسبه حينما قرأونه تقدر أن تعرفوا درايتى بسر
المسيح » (٣ : ٤) . إن الرسول قد وصل إلى أسرار عميقة ومعرفة لم يعلن
عنها فى أية رسالة أخرى سابقة ، ولقد قال المفسرون إن كان موضوع الرسول
فى الرسائل السابقة هو الإيمان فإن موضوعه فى هذه الرسالة هو المعرفة . ولكن
هذه المعرفة ليست لذاتها كما يظن الغنوسيون . إنهم يطلبون المعرفة لذات
المعرفة بل يظنون أن خلاصهم يجيئ عن طريق هذه المعرفة لأنها هى الخلاص
نفسه ولكن المعرفة هنا واسطة لشئ أعمق وأسمى يطلبه المسيح ، إنها الحياة
المسيحية ، حياة الشركة مع المسيح ، فهى المعرفة الحقيقية السائدة ، ولهذا فهو
يقول « كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى
معرفة مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد
ميراثه فى القديسين وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل
شدة قوته » (١ : ١٧ - ١٩) ثم يقول « . . حتى تستطيعوا أن تدركوا مع
جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح
الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » (٢ : ١٨ و ١٩) . فالمعرفة
المسيحية هى الشركة الحية مع المسيح . . هى معرفة النمو الروحى فى المسيح
يسوع .

٦ - تعتبر هذه الرسالة أيضاً من أهم الرسائل التي كتبها الرسول حيث أنها تحتوي على الأساس الذي عليه بنيت العقيدة المسيحية السامية عقيدة التثليث . وتظهر فيها بكيفيات متنوعة ، وأهم فقرة هي التي يقول فيها « جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد وإيمان واحد وعمودية واحدة إله وآب واحد لكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم » (٤ : ٤ - ٦) . وهناك فقرات متفرقة متصلة بالآب أو الابن أو الروح إما منفصلين أو في ثنائيات أو ثلاثيات (١ : ٢ و ٣ و ١٣ و ١٧ ، ٢ : ٢٢) .. إلخ . وكما يقول بومن هذه الرسالة وحدها من دون الرسائل الباقية تكشف عن الجهود الأول لربط طبيعة الله المثلث الأقانيم بالإنجيل المسيحي وتظهر العمل الخاص الذي عمله كل أقنوم في تدبير الإنجيل وتنفيذه ، نعم إن هذه الرسالة مثل كل الرسائل الأخرى تكشف أن الرسول لم يكن يحاول أن يتكلم عن طبيعة الله ، فهو إنسان يعرف حدوده ، ويعرف أن الله يعرف من خلال إعلانه لنفسه في أعماله الفدائية العظيمة فقط ، ولكن لا يسمح بالكشف عن طبيعته وجوهره الإلهي لأنه أعظم من الطبيعة ومن الإنسان نفسه . وفي الأصحاحات الثلاثة الأولى ثلاثة أقسام ، في كل قسم منها ينبر الرسول على عمل واحد من الأقانيم الثلاثة (١ : ٣ - ١٤) عمل الآب (١ : ١٥ - ٢ : ١٠) عمل الابن ، ثم (٢ : ١١ - ٣ : ٢١) عمل الروح القدس . ونلاحظ أن الرسول لا يفصل بين الثلاثة ، ففي كل قسم يظهر الثلاثة معاً كإله واحد ولكنه ينبر فقط على عمل كل شخص بعينه في اللاهوت . وبهذه الكيفية يحذر الرسول القارئ من أن يظن أن هناك آلهة ثلاثة بينهم اتفاق في العمل ، إنه يتكلم عن الله الآب أبو ربنا يسوع المسيح وعن الله : إله ربنا يسوع المسيح الذي بروحه لنا كلينا قدوماً إلى عرشه المقدس .

إن هذا القول ليس ميتافيزيقياً ولكنه وصف لعمل إلهي في التاريخ وفي المؤمنين وفي الجسد ٥

٧ - القسم العملي :

لم يكن قصد الرسول أن يتوقف إلى حد الدراسات اللاهوتية ولكنه وضعها لكي تكون أساساً لحياة مسيحية حقيقية . وفي القسم العملي هذا . . أو القسم السلوكي يظهر عدة أمور :

(أ) إن هذه الدعوة السماوية العظيمة دعوة للجميع ليكونوا واحداً في المسيح ، ويجب أن تظهر في ارتباط كامل . . ارتباط تغذية الكنيسة بكل طاقاتها وإمكاناتها ، بكل المواهب التي أعطاها الرب لها حتى يمكن أن يبني المؤمنون وتبني الكنيسة ، حتى تتقدم إلى الثبات والاستقرار . . إلى أن يصلوا إلى قياس قيامة ملء المسيح ٥

(ب) هذا أيضاً يتطلب السلوك اليومي المسيحي وذلك على النقيض مما كانوا قبلاً يسلكون مثل سائر الأمم ، لقد عاشوا في الإنسان العتيق أي الحالة القديمة وهم في آدم بعيدون عن المسيح ، أما الآن فيجب أن يعيشوا حياة إيجابية كلها صدق ومحبة . . وكما أحبنا المسيح يجب أن يحب بعضنا البعض .

(ح) هناك في الأسرة تظهر الحياة المسيحية الحقيقية ، فالرباط المسيحي بين الزوج والزوجة يشابه الرباط بين المسيح والكنيسة وعلى هذا فكما أحب المسيح الكنيسة يجب أن يحبوا بعضهم البعض ٥

وكذلك الأبناء والوالدين - العبيد والسادة حتى تكون الأسرة مسيحية حقيقية .

(د) عليهم أن يجاروا ولاية العالم . . الرؤساء السلاطين . . أجناد الشر
الروحية . . أن يلبسوا سلاح الله الكامل . . أن يصلوا لأجل الجميع ولأجله
هو لكي تعطى له قوة ليعلم جهاراً بسر الإنجيل .

رسالة فليمون

تعتبر الرسالة إلى فليمون واحدة من أقصر رسائل العهد الجديد . وهي
أقصر رسالة كتبها الرسول بولس . وغالباً لم تكن هي الوحيدة التي كتبها
لأفراد ، مع أنها الوحيدة التي بقيت من هذا النوع من الرسائل ولا تثير هذه
الرسالة أية مشاكل مخصوصة نسبتها إلى الرسول ، فكل ألفاظها والمشاعر التي
فيها التي تعبر عنها ، وطريقة الكتابة تشير إلى الرسول بولس وتؤكد أنه هو
الذي كتبها . ولم ينكر ذلك إلا أفراد متطرفون جداً من مدرسة توبنجن .
ولكن الآن لا يوجد عالم واحد ينكر هذا الأمر .
من هو فليمون :

يعتقد دارسو الكتاب المقدس أن فليمون كان واحداً من سكان واد
ليكوس وكان رجلاً غنياً ولعله كان يعمل بالتجارة وفي سفراته تقابل مع
الرسول وقبل الإيمان وأصبح مسيحياً ويعتقد أن أبويه هي زوجته وأرخبس
هو ابنه (٢ ع) وكان قد فتح بيته لاجتماعات الكنيسة في المدينة التي هو فيها .

ولكن يختلف الدارسون على البلد التي كان يسكن فيها ، هل هي
كولوسي أم لاودوكية . فالذين يظنون أنها كولوسي يبنون رأيهم على ما جاء
في كولوسي ٤ : ٩ حيث يذكر اسم أنسيموس ، وهو الذي كتبت الرسالة
بسببه ، على أنه من سكان كولوسي ؛ فيكون بالحرى سيده فليمون من سكان

هذه المدينة . ولكن الذين يرون أنه من سكان لاودوكية فيبنون كلامهم على ما ورد في كولوسي ٤ : ١٧ « وقولوا أرخبس أنظر إلى الخدمة التي قبلتها من الرب لكي تتممها » وقبل ذلك بقليل يطلب أن نقرأ الرسالة التي كتبت إلى لاودوكية ؛ ويظن هؤلاء أن الأمرين مرتبطين معاً مما يدل على أن أرخبس وهو ابن فليمون من سكان لاودوكية ولكن الأرجح هو أن فليمون كان من سكان كولوسي .

من أين كتبت الرسالة :

من دون شك كتبت هذه الرسالة من أحد السجون وقد ذكرنا في مقدمة رسائل السجن مشكلة مكان السجن الذي كتبت منه هذه الرسائل هل هو أفسس أم رومية بعد أن استبعدنا سجن فيلبى وقيصرية . ومع ذلك فهذه الرسالة تظهر المشكلة بشكل حاد فهي تشير إلى مدينة أفسس كمكان للسجن الذي كان فيه الرسول . ومع أن أفسس لم تظهر لا في سفر الأعمال أو في الرسائل أن الرسول سجن فيها إلا أن الشواهد التي ذكرت من قبل توحى بذلك .

أما الأمران اللذان يشيران إلى أفسس كمكان للسجن فهما أن أنسيموس العبد الهارب لا يعقل أنه ذهب إلى روما وهي البلد البعيد والمتسع جداً الذي فيه يصعب أن يتعامل مع الرسول بولس . إن أفسس هي المدينة الأقرب إلى المنطق .

أما الأمر الثاني : فإن الرسول يقول لفليمون « ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً لأنى أرجو أنى بصلواتكم سأوهب لكم » (ع ٢٢) مع أنه في رومية (١٥ : ٢٣ و ٢٤) يذكر أنه يريد أن يتجه إلى الغرب إلى أسبانيا وليس إلى

الشرق . ولكن مع ذلك فالمرجح أن رومية هي المدينة التي كتب منها الرسول ولا بد أن أنسيموس سمع من سيده عن الرسول وسجنه فذهب إلى روما مباشرة»

سبب كتابة الرسالة :

من الواضح أن الرسول كتب هذه الرسالة بخصوص أنسيموس وهو عبد لفليمون^(١) وقد كان شريراً ولم تكن خدمته نافعة ، وقد هرب أنسيموس إلى روما ويلوح أنه قد سرق بعض المال من سيده فليمون (ع ١٨) ولقد تجدد أنسيموس على يدى الرسول (ع ١٠) وأصبح يقدم للرسول كل خدمة ممكنة ونافعة (ع ١١) . ولعل الرسول ناقش طويلاً أمر رجوع أنسيموس إلى سيده وبعد تردد من كلا الطرفين وخصوصاً من الرسول لأنه كان يخدمه (ع ١٣) عزم على أن يرسله إلى سيده ، وأرسل معه هذه الرسالة . ولكن ما هو الهدف من كتابة هذه الرسالة ؟ إن رأى التقليدى يقول إن الرسول كتبها لكي يطلب من فليمون أن يقبل أنسيموس رغم أنه أساء التصرف معه ، ولم يكن طيباً قبل هروبه ، وأن يسامحه على هذا الهروب حتى وإن كان يستحق بحسب القانون الرومانى الموت ، وقد تعهد الرسول أن يدفع لفليمون كل الأموال التي سرقها هذا العبد ، وفوق ذلك فقد طلب منه أن يعامله الآن - وفيما بعد - لا كعبد بل كأخ في المسيح . هذا هو مضمون الرسالة . ولكن عند التدقيق في الرسالة نجد هناك بعض العبارات التي تحتاج إلى تفسير

(١) يعتقد جون نكس في كتابه « فليمون من بين رسائل بولس » أن فليمون ليس هو سيد أنسيموس بل هو أرخبس . وهو شخص لا يعرفه الرسول بولس والدليل على ذلك هو ما يقوله الرسول لأرخبس « قولوا لأرخبس أنظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تنمها » « كولوسى ٤ : ١٧ » ومعنى الخدمة هي إرجاع أنسيموس إلى الرسول لكي يخدمه في الرب » والرسالة كتبت ليس لفليمون وحده بل إلى « الكنيسة التي في بيته لتكون شاهدة على هبة أرخبس للرسول بولس » هذه أفكار لا تقوم على دليل قوى .

خاص ، أو إلى قراءة ما بين السطور : مثلاً في ع ١١ « ولكنه الآن نافع لك ولي » (ع ١٣ و ١٤) « الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الإنجيل ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكي لا يكون خبيرك كأنه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار » . وهكذا في ع ١٥ أن أنسيموس سيخدم الرسول نيابة عن فليمون ، إن المعنى الذي يستفاد من هذه الكلمات . هو أن الرسول كتب هذا الخطاب لكي يطلب من فليمون أن يرد إليه أنسيموس مرة أخرى لكي يخدمه في محبته ، إنه لا يرده لسيده الأول فحسب بل يطلب منه ولكن على استحياء أن يرجعه مرة أخرى له - أى للرسول - لكي يكون عنده . معيناً إياه في خدمة الإنجيل . هذه الخدمة التي كان يجب أن يقوم بها فليمون ليقم بها عبده أنسيموس بدلاً منه (١٣) : ولأجل هذا لم يشر الرسول في رسالته إلى توبة أنسيموس وإلى ندمه ولا إلى أى شيء يشبه ذلك كما فعل بلني Pliny . وهو أحد مشاهير خطباء الرومان في موقف يشابه موقف الرسول ، إذ كتب إلى سيد العبد الحارب يظهر له ندم ذلك العبد وحزنه وتوبته ثم يرجوه أن يقبله . هذا لم يفعله الرسول وعلى هذا فقد كان خطاب الرسول أعمق من مجرد خطاب رجاء لإعادة عبد ، وطلب الغفران له من سيده . ولا يوجد اعتراض على هذا الرأي وربما كان أقرب إلى منطوق الرسالة وفحواها .

وعندما نقرأ رسالة أغذاطيوس إلى أفسس ، بعد نصف قرن من كتابة رسالة فليمون ، نسمع عن شخص اسمه أنسيموس كان أسقفاً لأفسس ولعله كان هو نفس أنسيموس العبد ، ومن يدري فربما رجع أنسيموس إلى الرسول مرة أخرى وكان خادماً له ثم أصبح واحداً من رجال الكنيسة المحبوبين المتقدمين في الخدمة .

مضمون الرسالة :

لا نجد في الرسالة أى بحث أو رأى لاهوتى فهى أبعد ما يكون عن هذا الأمر . إنها خطاب شخصى بالغ المحبة ، معبر عن الصداقة الإنسانية . فالرسول هنا يكشف عن عمق مشاعره ونراه فى صلته الشخصية بعيداً عن المشكلات الكنسية الحادة ، التى تظهر فى كثير من رسائله التى أرسلت إلى الكنائس . ومع ذلك فإننا نرى فى هذه الرسالة موقفاً من أشد المواقف حساسية وأهمية . . هو موقف الرسول من مسألة العبودية . وإذا أردنا أن نعرف رأى الرسول فيجب أن نرجع إلى رسائله المبكرة حتى نعرف التطور الذى حدث لهذا الرأى . فى ١ كورنثوس ٧ : ٢٠ - ٢٤ يقول « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها . دعيت وأنت عبد فلا يهتك بل وإن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى ، لأن من دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح . قد اشترىتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس ما دعى كل واحد فيه أيها الإخوة فليلبث فى ذلك مع الله » .

وفى كولوسى ٣ : ٢٢ - ٤ : ١ « أيها العبيد أطيعوا فى كل شئ ساداتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عاملين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح وأما الظالم فسيتال ما ظلم به . وليس محاباه . أيها السادة قدموا للعبيد العدل والمساواة عاملين أن لكم أنتم أيضاً سيدياً فى السموات » .

الرسالة إلى كورنثوس كتبت سنة ٥٥ م أما رسالة كولوسى فقد كتبت فى سنوات متأخرة عن ذلك . ورأيه فى تسالونيكى يدل على أن الرسول قد

أخذ هذا النظام ، نظام العبودية بكل جدية ، ولم يقف بلا مبالاة أمام هذا الأمر الذى لا يتفق مع الإرادة الحقيقية للرب . وتفكيره كان يتطور ويتعمق فى هذه المشكلة ، إنه لا يستطيع بحجة قلم أن يدين نظاماً قام عليه المجتمع لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، ولو استطاع لتفوض المجتمع الرومانى وحدثت كارثة اجتماعية مروعة . فى كورنثوس كان يقول للعبيد « دعيت وأنت عبد فليكن هكذا ، إذا واتتك الفرصة لتكون حراً فاغتنم هذه الفرصة ، عالماً أنك أنت عتيق الرب .. كما أن الحر هو عبد للمسيح . فالإثنان يتساويان أمام الرب .

أما فى كولوسى فإنه يتعامل مع نظام العبودية بتفاصيل أكثر من وصاياه لأهل البيت (أهل البيت ٤٢ كلمة ١٨ - ٢١ أما عن علاقة العبيد بالسادة ٧٤ كلمة ٣ : ٢٢ - ٤ : ١) . هذا يدل على أنه كان فى ذلك الوقت مشغولاً بهذه العلاقة وترجح أن كولوسى كتبت فى وقت كتابة فليمون . فى هذه الفقرة إنه يوصى العبيد والسادة أيضاً ، ويقارن السادة الأرضيين بالسيد على الجميع يسوع المسيح . ويقول للعبيد إنك تخدم ليس لأنك عبد لبشرى ولكن لأنك مسيحي وعبد ليسوع المسيح . إنكم تخدمون يسوع المسيح . أما السادة الأرضيون الظالمون فسيديتهم الرب لأجل ظلمهم للعبيد ، وهذا مفهوم لا يخطر لرومانى على بال . هذا السيد الذى سوف يعطيهم المجازاة والميراث سوف يعاقب الظالم ، فالعبد التقي المؤمن عبد سيده الساوى أعظم من السيد الأرضى الظالم . ثم يأمر السادة الأرضيين أن يقدموا العدل والمساواة ليس رحمة بهم كأنهم ملكهم ولكن لأن هناك سيدياً عليهم أيضاً هو نفس سيد هؤلاء العبيد وسيجازى الكل .

فى هذا المناخ وهذه الكيفية يكلم الرسول فليمون . وهنا يوضح المبدأ العميق : إنه هنا لا يكلم عبداً مؤمناً وسيدياً ظالماً ، ولكنه يكلم اثنين من المؤمنين أحدهما عبد فى نظر الناس والآخر سيد فى نظر الناس .

ولكن الاثنين في نظر الله أحيان وعبدان له. هما ليسا فقط متساويين ولكنهما مرتبطان فيه كل في دعوته وخدمته. إن الرسول لا يرفع قدر الإنسان فحسب بل لأنه يرفع من قدر العمل مهما كان نوعه.

رسالة فيلبي

مع أن رسالة فيلبي تعتبر من رسائل السجن إلا أنها تختلف كثيراً عن الرسائل الأخرى أعني كولوسي فليمون وأفسس ، ولعلها كتبت في زمن مبكر أو متأخر عنهم . وخاصة أنها أرسلت بيد شخص آخر هو أبفروديتس . ومناخ الرسالة يختلف عن الرسائل الأخرى ولا نجد فيها أى إشارة إلى المواضيع التى أتبرت فى الثلاثة الأخرى . ولا نستطيع أن نعرف مقدار الصلة بينها جميعاً سوى أنها إحدى الرسائل التى كتبت فى السجن كما سبق التنبير على ذلك .

مدينة فيلبي :

لم تكن مدينة فيلبي كبيرة فى الحجم مع أنها كانت عظيمة الشأن ، وقد سميت باسم فيليب المكدونى أبى الاسكندر الأكبر وقد اشتهرت هذه المدينة بموقعها الاستراتيجى وغناها العظيم وتجارها الواسعة . فحولها كانت توجد مناجم الذهب والفضة مما ساعد الاسكندر المكدونى أن يقوم بفتوحاته العظيمة . ومع أنها لم تكن تقع على البحر ، وكان ميناؤها مدينة صغيرة اسمها مينابوليس إلا أنها كانت مركزاً تجارياً ضخماً . وكان يمر بها طريق عسكرى ضخماً جداً كان يعتبر من أهم الطرق العسكرى الرومانية وكان يمر مباشرة فى سوق المدينة .

أما شهرتها العسكرى فقد بدأت عندما حدثت عندها معركة شهيرة بين الرومانيين ، اشتبك فيها جيش أوكتافيوس وأنطونى ضد جيش بروتس

وكاشيوس سنة ٤٢ق.م بعد أن اغتيل يوليوس قيصر ، وانتصر أوكتافيوس وأنطوني وانتقما ليوليوس قيصر ، ثم تولى أوكتافيوس حكومة الدولة الرومانية باسم أوغسطس قيصر ، وقد بنى فيلبي من جديد وأسكن فيها عساكره المتقاعدين ، وأصبحت مستعمرة عسكرية رومانية ، وأعطيت لها امتيازات كبيرة عن بقية المدن ، ثم ارتبطت بروما بهذا الطريق العسكري الضخم . وكانت هذه المدينة مرآة للحضارة الرومانية بكل ما فيها من عادات وتقاليد . وربما لم تكن هناك مدينة في الإمبراطورية تشعر بعظمتها وأهميتها بعيداً عن رومة مثل هذه المدينة فيلبي .

المسيحية في فيلبي :

في رحلته الثانية يقول سفر الأعمال عن الرسول بولس إن الروح القدس منعه من الذهاب إلى بيشنية (أعمال ١٦ : ٧) . وفي ترواس ظهرت رؤيا له رجل مكوثني يطلب إليه قائلاً « اعبِر إلينا وأعنا » (ع ٩) فذهب عن طريق ساموتراكي ثم نيابوليس ودخلوا إلى فيلبي ، وهناك وعظ الرسول لأول مرة في أوربا ، وكان ذلك في اجتماع على البحر ، وربما كان هذا الأمر هو الذي جعل لفيلبي مكاناً خاصاً في قلبه ، ففى كما يقول « بداءة الإنجيل » (فيلبي ٤ : ١٥) . وهناك في الاجتماع اليهودى عند النهر آمنت امرأة اسمها ليدية كانت تتاجر في الأرجوان الذى اشتهرت به فيلبي . وكانت هذه السيدة أمية أعجبها الديانة اليهودية فكانت تترصد معزم . هذه قبلت الإنجيل وفتحت بيتها للرسول . وربما مكث الرسول هناك عدة أسابيع ، ومع قصر المدة فقد تكونت كنيسة قوية ، وجاءت نهاية هذه الزيارة فجأة . بعد أن أخرج الرسول روح العرافة من فتاة كانت تتبعهم وتقول عنهم إنهم عبيد الله الحى ، فهاج مواليها واشتكوا الرسول وكانت التهمة من شقين ، أنهم يهيجون المدينة

ثم ينادون بعوائد وعبادات جديدة لا يجوز لهم أن يقبلوها أو يعملوا بها لأنهم رومانيون ، (أعمال ١٦ : ١١) وقد كانت العادة والمألوف أن يعبد الإنسان إلهه ويقوم بممارسة ديانته بشرط ألا تتعارض مع العوائد الرومانية . فكانت التهمة أن هذه العبادة تتعارض مع عوائدهم كرومانيين . ولعل هذه التهمة نفسها تعطينا الإحساس أن الرسول لم يقتصر في تبشيره على الاجتماع الذي على النهر ، أو في بيت ليديه وإلا لما استطاع الناس أن يوجهوا إليهم اتهاماً ظالماً . كهذا ، إن الأرجح أنهم كانوا يتكلمون علناً في الشوارع ولهذا استطاعوا أن يحاكموهم في السجن .

وهناك بعد الصلاة تزلزل السجن وفتحت الأبواب . . . وبعدها تجدد السجن (أعمال ١٦ : ١٦ - ٤٠) . لقد كان كل يهودي موضع شك في الامبراطورية ولهذا فقد خرج بولس من فيلبى رغم أن القضاة هم الذين طلبوا منهم برجاء أن يخرجوا منها ، ولكن الكنيسة كانت كنيسة قوية وعاملة وبنحية وكانت تمتاز بأمرين الأول أن الجلمية اليهودية فيها كانت قليلة وهذا يعنى أن الكنيسة كانت أساساً كنيسة أممية . أما الأمر الثاني فكانت أقرب الكنائس إلى قلب الرسول بولس فيها وحدها قبل المعونة المالية مرتين (فيلبى ٤ : ١٥ و ١٦) وهي الكنيسة التي اهتمت به شخصياً .

والقصة توحى بأن الكنيسة لم تكن تتكون إلا من ليديه وأهل بيته والسجان وأهل بيته والفتاة التي بها روح عرافة ولكن الدراسة العميقة تظهر أن الكنيسة كانت أكبر كثيراً من هذا العدد حتى أن الرسول ترك اوقافاً فيها لكي يهتم بها . ويقول بعض العلماء إن الرسول تقابل مع لوقا البشير هنا ولعله كان من أهل فيلبى أو من أهل منطقة مجاورة والدليل على ذلك أن ضمير المتكلم الجمع يبدأ من هنا (نحن) دليل على بدء مرافقة لوقا للرسول بواس (أعمال ١٦ : ١٧) .

ومن المؤكد أن الرسول زار فيلبي بعد ذلك مرتين : الأولى ذكرت في أعمال ٢٠ : ١ - ٢٠ : ٦ كورنثوس ٢ : ١٢ و ١٣ ، ٧ : ٥ و ٦ أى قبل مجئته في أورشليم وقيصرية وروما . والثانية مذكورة في فيلبي ١ : ٢٦ ، ٢ : ٢٤ . أما بعد موت الرسول لم نعد نسمع عن هذه الكنيسة شيئاً . غالباً لأن المسيحية وحركتها تركزت في المدن العظيمة أنطاكية والاسكندرية وأفسس وروما ، ولم تعد هذه الكنائس التي تكونت في مدن صغيرة لها الأهمية التي كانت لها في العهد الجديد . ولكننا نسمع عنها - أي عن فيلبي - في خطاب كتبه إليها بوليكار يوس من روما ، رداً على خطاب أعضائها الذي أرسلوه إليه بخصوص أغناطيوس ، الذي مر بهم وهو في طريقه إلى روما للإستشهاد . وفي هذا الخطاب كانوا يذكرون بكل افتخار ومجبة مؤسس كنيستهم العظيم الرسول بولس ، وكان ذلك بعد موت الرسول بحوالى «ستين سنة» .

لماذا كتب الرسول الرسالة :

كما سبق القول إن هذه الرسالة أكثر من أية رسالة أخرى امتلأت بالعواطف والمحبة ، فكانت رسالة شخصية بين الرسول وكنيسته المحبوبة ، وقد كتبها بمناسبة رجوع أيبثروتس إليهم . وكان أيبثروتس هذا عضواً من كنيسة فيلبي أرسلته الكنيسة إليه في روما في مجئته لكي يحمل إليه عطاياها ومعونته (٤ : ١٨) بل لقد طلبت الكنيسة منه أن يمكث مع الرسول لكي يخدمه ، ولكنه مرض مرضاً قاسياً وكان بين الحياة والموت ، ولقد سمع أهل فيلبي بمرضه فحزنوا حزناً عظيماً واهتموا كثيراً بالرسول ، ولكن الرب رحم أيبثروتس وشفاه ولهذا أرسله سريعاً إليهم لكي يطمئنهم عليه ولكي يشكرهم على جميع العطايا التي أرسلوها إليه . (فيلبي ٢ : ٢٥ - ٣٠) . ولكن الحقيقة لم تكن العطية هي السبب الأول والأساسي الذي دفعه ليكتب

هذه الرسالة ، والدليل على ذلك أنه يذكر هذه العطية في أواخر الرسالة ، وفي لغته كثير من الاستحياء ، وفوق ذلك فإنه يؤكد لهم أن العطية ليست هي كل ما يطلبه (٤ : ١١ - ١٣) . ويعتقد بعض العلماء أن الرسول قد حصل على مبلغ كبير من المال من مصدر خاص ربما كان ميراثاً من أحد أقربائه الأغنياء ويظهر ذلك من محاولة فيلكس أن يأخذ رشوة منه لكي يطلقه (أعمال ٢٤ : ٢٦) ومن غير المعقول أن يطلب حاكم فاسد رشوة من بئس فقير معدم كما كان بولس في أوائل خدمته . ثم يعد فليمون أن يدفع له كل ما سرقه أنسيموس العبد منه (فليمون ١٨ و ١٩) واستطاع أن يعيش في روما في بيت استأجره لنفسه (أعمال ٢٨ : ٣٠) فلم يكن الشكر لأجل هذه العطية هو السبب الأساسي لكتابة الرسالة ، وإن كان ذلك الأمر واحداً من الدوافع لكتابتها .

٢ - هناك سبب آخر من أجله يكتب الرسول هذه الرسالة وهو أن الفيليبين كانوا متألين وقلقين عليه وعلى خدمته ، فالحالة قد تغيرت بالنسبة له ، وهو الآن في السجن ولا يعرف أحد ماذا سيحدث له . فإن أى حكم يصدر عليه فلن يكن له نقض ولا إبرام فإما أن يطلق سراحه وإما أن يموت وهذا أمر مؤلم بالنسبة لهم (١ : ١٢ - ٢٦) .

ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك بل إنه هو نفسه مهتم بهم لأنهم أيضاً يجوزون في آلام كثيرة واضطهادات مريرة وأن أعداءهم يقفون ضدهم بكل قسوة (١ : ٢٧ - ٣٠) .

٣ - يبدو أيضاً أن بعض اليهود الذين كانوا يحيطون بهم كانوا يعيروهم بأنهم جماعة يتبعون إنساناً قد حكم عليه بالموت ، وهذه خسارة كبيرة ولا يستحق هذا الإنسان أن يضحوا من أجله كثيراً (٣ : ١ - ١٦) .

٤ - وهناك أشياء كثيرة أخرى تحدث في الكنيسة سببت بعض الضيق. للرسول بولس ولهم أيضاً ، فهناك جماعة يحسون في أنفسهم أنهم كاملون وأنهم أعظم وأحسن من غيرهم . ومن كل أعضاء الكنيسة (٢ : ١ - ٥) . وهناك أيضاً بعض الانقسامات التي سببها بعض السيدات في الكنيسة وقد كان لهن مركز ممتاز فيها . وكان هناك اثنتان هما أفودية وسنتيخي كان التنافس بينهما شديداً وسبباً بعض التعب للكنيسة .

هذه هي أهم الأسباب التي من أجلها يكتب هذه الرسالة فإذا يقول فيها ؟

١ - من الأمور الهامة التي يلاحظها القارئ أن الرسول لم يحاول أن يدافع عن رسوليته كما يفعل في معظم الرسائل الأخرى ، إنه يذكر أنه هو وتيموثاوس . « عبداً يسوع المسيح » (ع ١) ، وذلك لأنه ليس محتاجاً إلى أن يثبت لأهل فيلبّي أنه رسول يسوع المسيح ، فهم يقبلونه ويحبونه ولا يشكون دقيقة واحدة في ذلك . وعندما يرسل الرسالة فإنه يفتتحها ليس فقط بذكر الكنيسة ككل ، ولكنه يذكر قادة الكنيسة « أساقفة وشماسة » ، ولعله يفعل ذلك لأنهم الجماعة الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الجمع لأجل القديسين في أورشليم ، ولأجل الإنجيل الذي نخله هو (ع ٥) . وهو هنا يفعل ما لم يفعله بل يرفع عن أن يفعله في كنائس أخرى . فبينما هو يشكرهم على مشاركتهم في الإنجيل يقول لكنيسة كورنثوس « سلبت كنائس أخرى أجراً لأجل خدمتكم وإذا كنت حاضرًا عندكم واحتجت لم أثقل على أحد لأن احتياجي سده الإخوة الذين أتوا من مكدونية ، وفي كل شيء حفظت نفسي غير ثقيل عليكم وسأحفظها » (٢ كورنثوس ١١ : ٨ و ٩) . وكما سبق الإشارة فإنه يذكر تلك العطية التي أرسلوها له في رومية في (فيلبّي ٤ : ٨ - ٢٠) بكل فرح وبهجة مع أنه لا يريد أن يتثقل عليهم كثيراً ، إذ أنه قبل الكثير منهم

وأمتلا ، فهذه العطية لا تعبر فقط عن نفسها ولكنها هي ذبيحتهم التي يقدمونها
بشكر أمام الله للمساعدة في تقديم الإنجيل إلى العالم .

٢- أما قلقهم عليه فيجب أن يَحْتَقِ لأن هذه الساعة الحرجة التي يجوز
فيها يجب أن يتعظم الله فيها . ولماذا يحزنون ؟ إن الآمة الكثيرة قد آلت أكثر
إلى تقدم الإنجيل ، لقد عرف عنه الناس كثيراً وسمعوا عنه ثم جاءوا إليه
ليسمعوه ولذلك انتشر الإنجيل حتى في بيت قيصر نفسه أي بين عساكرة
وخدامه الذين يعملون في خدمته (٤ : ٢٢) . بل أن الإخوة الذين يعرفون
أنه مسجون لأجل الإنجيل يجترئون أكثر على الخدمة ، إنهم يتكلمون بلا
خوف (١ : ١٣ و ١٤) ولهذا ، فكلمة الرب تنتشر . وحتى أولئك الذين ينادون
بالمسيح عن حسد وعن خصام ، ولعله في ذلك يقصد جماعة اليهوديين
الذين ذهبوا وراءه في خدماته وإرسالياته ليتكلموا ضده ، فهما عملوا ومهما
كانت نيّتهم وقصدهم فإنهم يكرزون بالمسيح . وهذا ما يجعل الرسول يفرح
لأن كل ما هو موضوع لأجله هو تقديم الإنجيل إلى المحتاجين وهكذا يفعل
أصدقاؤه لكي يساعده وكذلك أعداؤه ظانين أنهم يضيفون على وثقة وثقاً
(١ : ١٣ - ١٩) .

ثم لماذا يقلقون عليه ؟ هل ستقرب الساعة ويموت بعد أن يحكم عليه
بالإعدام ؟ وهل هذا يؤلمهم ؟ إن المسيح وحده هو الذي يتعظم في دوته وفي
حياته إنه مشتاق أن يكون مع المسيح ويبقى معه هناك ؟ ولكن إن لم يحكموا
عليه فلسوف يبقى من أجلهم يخدمهم ويقويهم ويعظّمهم ، وكلا الأمرين عزيز
عليه ومحبوب لقلبه ، وجوده معهم في الخدمة أو انطلاقه إلى المسيح والبقاء
معه . إنه يطلب منهم أن يصلوا من أجله ، وليفعل السيد ما يريد لأن هذا
هو الخير أن تخضع لإرادته الكاملة (١ : ١٩ - ٢٦) . إن ما يفرح قلبه

ألا يهتموا بشئ ولا يقلقوا ولا تهتموا بشئ بل في كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع (٤ : ٦ و ٧) .

٣ - وبالمثل فإنه يطلب منهم أيضاً ألا يخافوا أو يضطربوا فى وجه كل الضيقات التى يواجهونها بل يجب أن يثبتوا (١ : ٢٧ - ٣٠) وفى هذا الجزء يذكر الفيليبين العسكرى بماضيهم المحيد ، ولقد انتصر فيليب المكدونى على كل بلاد اليونان وانتصر ابنه الاسكندر الأكبر على كل القوى بواسطة أبطالهم العظماء . فهكذا يجب أن يفعلوا هم كمتبعين ، إن قائدهم هو الرب نفسه ولا بد أن ينتصروا . ومن كلامه فى ٣ : ٢٠ و ٢١ يظهر أن عبادة الامبراطور كان لها شأنها فى فيلبى . نعم إن الوقت لم يكن قد جاء بعد حين أصبحت عبادة الامبراطور هى الديانة الوحيدة التى يجب أن يمارسها كل رومانى ، ولكن فيلبى كمدينة رومانية قد عرفت ذلك معرفة واضحة ، وتفشت فيها عبادة الامبراطور ، وكان الامبراطور يدعى المخلص ، ولذلك فالرسول يذكر أعضاء كنيسة فيلبى بأنهم جماعة لها رعوية سماوية . نعم إنهم فى الأرض وفى الدولة الرومانية ولهم الرعوية الرومانية ، ولكن دعوتهم الحقيقية هى فى السماء وسوف يأتى منها المخلص العظيم الذى ينتظرونه . فيجب ألا يفنكروا فى الأرضيات كما فعل قوم كذلك وأصبحوا بذلك أعداء صليب المسيح . إن كلمة رعوية تعنى أصلاً جالية أو مجتمع يعيش فى اكتفاء ذاتى وحكم ذاتى وسط المدن الكبرى ، كما كان يفعل اليهود ، وهكذا يجب أن يكونوا كمتبعين . إنهم وسط العالم ولكن لهم اهتمامهم الروحى ومخلصهم السماوى وحياتهم المحيطة التى يشهد لها الجميع .

٤ - ولعل من أهم الأمور التى تضاهيهم هم اليهود وتعبيراتهم لهم . وهذا

يظهر مما يذكره الرسول في ٣ : ١ - ١٦ . وفي هذا الجزء نجد أمرين ثارا حولها جدل كثير . الأمر الأول هو نوع اليهود الذين يضايقونهم ويقيدونهم ، هل هم جماعة اليهوديين أى جماعة المسيحيين الذين جاءوا من أصل يهودى وظلوا يدققون فى التمسك بالناموس حتى بعد إيمانهم بالمسيح ، والذين أثاروا القلاقل الكثيرة فى كنائس غلاطية وكورنثوس ، أم هم اليهود أنفسهم ؟ وأغلب الظن هم اليهود أنفسهم ، لأننا نجد التنبير الشديد على أنواع من الأطعمة أو الختان كما كان يفعل عندما يجابه اليهوديين ، إنها تعبيرات اليهود لهم بأن سيدهم قدم مات وصلب (٣ : ١٠) . أما الأمر الثانى فهو التغيير الفجائى الذى يظهر فى هذا الأصحاح بين عددى (١ و ٢) . فإن القارئ يجد تحولاً سريعاً جداً فى عدد ٢ . وقد ظن بعض العلماء أن هذا التحول يعنى فى الحقيقة أن الرسول قد كتب أكثر من رسالة إلى أهل فيلبى وأن هذا الجزء أى من ٣ : ٢ - ١٦ هو جزء من رسالة أخرى لعلها سابقة على هذه الرسالة التى نحن بصددھا الآن ، وأنه كتبها عندما كانت زوبعة اليهوديين فى أوج شدتها ، وأن هذه الزوبعة قد وصلت إلى فيلبى نفسها أو أنها كانت على وشك أن تصل إليها ، ولهذا كتب الرسول إلى فيلبى لكي يحذرهم منها . واحتفظت الكنيسة بالرسالتين ثم أضافها أحدهم ليكون الاثنى من قلم الرسول نفسه . ويقول أصحاب هذه النظرية إن الرسول كتب إلى كنائس كثيرة عدة رسائل بعضها فقد وبعضها أضيف بعضه إلى بعض مثل رسالته الثانية إلى كورنثوس فإنها كما يذكرون تتكون من رسالتين على الأقل دمجتا معاً (٢ كورنثوس ١٣ : ١) كما مر بنا ذكره .

ومع أن هذه النظرية لها وجاهاها وما يبررها لكن ليس من الضرورى كما سبق ذكره ، أن يكون هذا الجزء موجهاً ضد اليهوديين ، بل لعله يكون

أكثر معقولة وقبولاً إذا قلنا إنه موجه ضد اليهود أنفسهم الذين كانوا يضايقون ويضطهدون كنيسة ومسيحين فيلبى . أما التحول الفجائى فى نبرة الرسالة فلعل دافعه كان مرور فترة قصيرة من الزمن بين كتابة الجزء الأول من الرسالة (١ : ١ - ٣ : ١) . والجزء الأخير منها يحس القارئ منه أن هناك تحولاً فجائياً يحتاج إلى تفسير .

ولكن الأمر المهم هنا سواء أكان من يكتب عنهم وضدهم هم اليهود أنفسهم أم اليهوديين ، هو أنه فى كلا الحالتين يعطى نفسه كثال واقعى حتى وكقدوة للجميع . لقد كان هو نفسه يهودياً أصيلاً من نسل إبراهيم من سبط بنيامين الذى خرج منه أول ملك لإسرائيل وسُمى باسمه « شاول » ، وهو يتكلم الأرامية ، أى أنه ينتمى إلى يهود فلسطين (عبرانى من العبرانيين) من جماعة الفريسيين بل أنه كان متحمساً شديداً للتحمس للناموس واليهود ، ولهذا اضطهد الكنيسة بكل قسوة ومرارة ، وهذا ما لا يستطيع أى يهودى عادى أن يفتخر به ، لأن قليلين جداً قد وصلوا إلى هذا الحد فى اليهودية ، ولا بد أنه كان مثار الإعجاب بل والفخر للجميع . كان يمكنه أن يفتخر بذلك ولكنه عندما عرف المسيح أحس أن كل افتخاره بكل هذه الألقاب افتخار باطلا لا قيمة له . إنه نفاية لو قورن باختراره فى المسيح . هل مات المسيح نعم ولكنه قام ، وموته نفسه هو اختبار عميق للمؤمن لا يعرفه اليهود ولا يستطيعون أن يتعلموه ، إنه يقول عن سيده « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته (٣ : ١٠) . وهذا الاختبار مجيد وعظيم ونام ، فالرسول إذ ينسى ما هو وراء . . ينسى كل تلك الامتيازات الجسدية فإنه يمتد إلى ما هو قدام . . إن دعوة الله له لها جزاؤها ومجدها فإنه يتطلع إلى ذلك الحمد العظيم عندما يعرف سيده معرفة كاملة .

وهكذا يقدم الرسول نفسه مثالا لليهود والأمم على السواء ، أو للذين
يظنون أنهم يتألون بعيداً عن المسيح كل افتخار . . إنها افتخارات باطلة
والمسيح وحده هو فخره ومجده .

٥ - ومع أن الكنيسة في فيلبي كانت مصدر سرور وبهجة حتى أنه
يسميهم أخوة (١ : ١٢ ، ٣ : ١) أحياء (٢ : ١٢) ثم يقول في غمرة
حب واشتياق «إذن يا إخوتي الأحياء والمشتاق إليهم ياسرورى وإكليلي أثبتوا
هكذا في الرب أيها الأحياء » (٤ : ١١) هذه الكلمات التي لم يفعلها إلا لكنيسة
فيلبي ، إلا أنه كان يجد أن هناك بعض المنغصات فيها ، هناك بعض الأشياء
التي تعكر صفو الكنيسة بعض الشيء ، والرسول يلمس هذه الأشياء بكل لطف
ولكن بحزم أيضاً ، إنها المحبة العظيمة التي تدفعه لذلك .

فهناك جماعة يحسون أنهم متميزون عن الآخرين يحسون بعجب وكبرياء ،
فلأى سبب يا ترى ؟ هل يحسون أنهم أحق بالقيادة في الكنيسة من غيرهم ؟
هل حاولوا أن يقسموا الكنيسة إلى أحزاب ؟ إن أهم مثل لذلك هو سنتيخي
وأفودية اللتان كانتا تخدمان في الكنيسة ، وكان هناك ما يشبه التنافس الشديد
بينهما ، ولعلهما هما اللتان حاولتا خلق الأحزاب ، ربما لأمر لم يكن لها
دراية بها ، ربما لأنهما كانتا يفعلان بدون معرفة وتحتاجان إلى مساعدة خارجية
لتعرفا نوع العمل الذي تعملانه . إلى هؤلاء يكتب الرسول بكل حساسية
ومحبة أبوية ، إنه يوجه أنظار هؤلاء الجماعة إلى المسيح ، وهنا يضع الرسول
تلك التريمة السامية عن السيد التي فيها يسمو بعقيدته عن المسيح (Christology)
الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى
نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع
نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق
كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح

هو رب المجد الله الآب « (٢ : ٦ - ١١) . ومع أن لاهوت الرسول هنا يصل إلى قمة بعيدة في السمو . ولكنه لم يكن يفلسف أو يتكلم عن نظريات . إنه يصف حقيقة قد حدثت كشمس عن هذا اللاهوت السامى . إنه لاهوت عملى . فهو يصف عمل السيد قبل أن يكون فى قصده أن يصف طبيعته ، وإن شئت فقل إن عمله قد فتح لنا كوة بسيطة لنعرف تلك الصلة الأبدية التى بين المسيح وبين الله . إن السيد لم يتمسك بهذه المساواة مع أنها له وهو يمتلكها . ولكنه أخلى نفسه منها لكي يقوم بالخدمة العظمى . لعل الرسول كان يضع أمامه أيضاً آدم . وماذا عمل إذ حاول أن يكون كالله وهو أبعد ما يكون عن ذلك . . أراد أن يسرق ويستلب هذه المساواة وهو يجهل الفخ الذى وضعه الشيطان له فسقط فيه ، وكان سبباً فى ما نراه ونختبره من خطية وموت . أما فكر المسيح المستمر الذى كان ويكون وسوف يستمر فيه . هو أنه يخلى نفسه ويأخذ صورة عبد لأجل خدمة الفداء . . ومع أن الناس لم تر بعينها ذلك التنازل العجيب . إلا أنها اختبرت الرفعة المحيطة التى أضحت له بعد أن قام بالخدمة المقدسة . فقد أقامه الله ورفع وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجتو له كل ركبة ويعترف كل لسان بأنه رب المجد الله الآب « (٢ : ٦ - ١١)

هذه هى طريقة الارتفاع والتمجيد وليس التنافس والغيرة والعجب ومحاولة تكوين التحزب والأحزاب . إن الخدمة وحدها هى التى ترفع صاحبها . . إن التواضع الأصيل الحقيقى هو أساس التمجيد الذى يناله المؤمن كما أخذه سيده من قبل .

ولعل ستيخى وأفودية كانتا فى حاجة إلى هذا الدرس يشرحه لهما أحد القادة البارزين ، لعله راعى الكنيسة - لكي يعرفا الطريق الصحيح الذى يضعهما فى الإطار المسيحى والخدمة المضحية التى تقود إلى مجد المسيح .

* * *

الرسائل الرعوية

هذا الاسم « الرسائل الرعوية » ينطبق على ثلاث رسائل عليها اسم الرسول بولس : رسالتان إلى تيموثاوس ورسالة واحدة إلى تيطس . وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو توماس أكويناس ثم تبناه أحد علماء القرن الثامن عشر من الألمان واسمه أنطون وجعله شائعاً بين المسيحيين فإذا ما قيل الرسائل الرعوية فإن الجميع يعرفون مباشرة ماذا يقصد بهذا الاسم . وهذه التسمية لما ما يبررها فهي تكشف لنا قلب الرسول المحب لمن هم له واهتمامه بالتنظيم الكنسى مثلما كان اهتمامه بالكراسة والتعليم في رسائله الأخرى .

ولكننا إذ نطلق عليها هذه التسمية يجب أن نعرف أن هناك بعض المميزات في كل رسالة تجعلها متميزة عن الأخرى بل ورسالة قائمة بذاتها وليست صورة مطابقة للرسائل الأخرى . ومع أنها مكتوبة إلى أفراد وليست إلى كنائس لكن فيها من التعاليم ما يجعلها أكثر رسمية من رسالة فليمون مثلا التي كتبت لشخص بعينه مملوءة بالأمر والعلاقات الشخصية . أما هذه الرسائل فهي رسمية رغم ما فيها أيضاً من بعض الإشارات الشخصية التي يكتبها الرسول إلى تلميذه تيموثاوس وتيطس ، وخصوصاً تيموثاوس . ولكن قبل أن ندرس التفاصيل الخاصة بها والمشكلة الحادة الخاصة بنسبتها إلى الرسول بولس ، لندرس شيئاً عن الشخصيتين اللتين كتبت إليهما هذه الرسائل : تيموثاوس وتيطس . وماذا كانا يعملان في ذلك الوقت .

١ - تيموثاوس

من أحب الشباب إلى الرسول بولس ، تعرف عليه في رحلته التبشيرية الثانية في لسرة . وكان أبوه يونانياً وأمه مسيحية من أصل يهودى (أعمال ١٦ : ١ - ٣) . وعندما تعرف عليه الرسول كان قد قبل الإيمان عن طريق أمه وجدته وكان مشهوداً له من جميع الإخوة في لسرة . ولا يستبعد أن تيموثاوس قد تأثر بالرسول عندما كان يعظ في مدينتهم في رحلته التبشيرية الأولى . ولما رأى الرسول فيه صبيّاً نافعاً ويبشر بمستقبل طيب أخذه معه ليكون تلميذاً له وختنه من أجل اليهود الذين كانوا يعرفون أن أمة أصلاً يهودية . ومن ذلك الوقت أصبح رفيق الرسول الذي لا يفارقه ، يشترك معه في كتابة الرسائل (١ و ٢ تسالونيكي ، ٢ كورنثوس ، فيلبي ، كولوسي ، فليمون) ويضع عليه مسئوليات هامة لكي يقوم بها فينجح في عمله نجاحاً فياًضاً . إذ أرسله إلى كورنثوس (١ كورنثوس ٤ : ١٧) ثم إلى تسالونيكي (١ تسالونيكي ٣ : ٢) . ولذلك أطلق عليه الرسول ألقاباً كبيرة : فهو « العامل معي » (رومية ١٦ : ٢١) ثم « الذي هو ابني الحبيب والأمين في الرب » (١ كورنثوس ٤ : ١٧) . وعندما سافر الرسول في رحلته الأخيرة إلى روما كان يصطحب معه تيموثاوس (أعمال ٢٠ : ٤) وبقى معه هناك في كل مدة سجنه . وقد كتب إلى كنيسة فيلبي يصف حضوره معه وكم من التعزيات ينالها من وراء ذلك ، وقد فكر في أن يرسله في رحلة إلى كنيسة فيلبي نفسها (فيلبي ٢ : ١٩ - ٢٤) . ولكن مع ذلك كان الرسول يشعر أن هناك نقطة ضعيفة في تيموثاوس وهي الحجل ، ولذلك فهو يقول لكنيسة كورنثوس في موقفها منه « فلا يحتقره أحد بل شيعوه بسلام ليأتي إلى » (١ كورنثوس ١٦ : ١١) . ولا يتردد في أن يكتب إليه هو « لا يستهن أحد بمحادثتك بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في

الطهارة» (١ تيموثاوس ٤: ١٢). ويذكره في الرسالة الثانية أن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح فلا نخجل بشهادة ربنا ولا ي أنا أسيره بل اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل. .» (٢ تيموثاوس ١: ٧ و٨).

أما معرفتنا بتيطس فلا ترقى إلى مستوى معرفتنا بتيموثاوس ، ولعله قبل الإيمان على يدى الرسول بولس ، وأن الرسول أعجب به ووثق في شخصيته كثيراً . كان تيطس من أبوين أمميين ، ولذلك عندما صاحب الرسول في رحلته إلى أورشليم في المرة الثانية حاول بعض اليهوديين بكل قوة أن يجعلوه يمتحن ولكن الرسول رفض ذلك رفضاً باتاً حتى لا يتعارض مع اقتناعه بأن الأمم غير مطالبين بالمرة بالاختتان (غلاطية ٢ : ١ - ٥) . ولقد أرسله الرسول إلى كورنثوس إبان أزمة هذه الكنيسة ، وكانت الصلة بينه وبينها على وشك الانهيار ، وقد حمل تيطس خطابه الشديد للهجة إليها ، ولكن يغلب على الظن أن تيطس نجح في تخفيف حدة التوتر بل ونجح أيضاً في إزالة سوء الفهم ورجعت طاعة الكورنثيين للرسول مرة أخرى كسابق العهد . وبعد أن أخبر تيطس الرسول بذلك يلوح أنه أرسله مرة أخرى بالرسالة الثانية طالباً منه أن يهتم بالجمع للقديسين (٢ كورنثوس ٧ : ٦-١٦ ، ٨ : ٦ ، ١٢ : ١٧ و ١٨) . هذه هي خطوط الصورة العامة للشخصيتين إذا استقيناهما من سفر الأعمال والرسائل الأخرى من غير الرسائل الرعوية .

أما إذا درسنا الرسائل الرعوية فإننا نجد أن الاثنين الآن صاروا مبعوثين من قبل الرسول : تيطس في كريت وتيموثاوس في أفسس . ويبدو أيضاً أن تيموثاوس كان لا يزال صغيراً في السن (١ تيموثاوس ٤ : ١٢ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٢) ربما في العقد الرابع من عمره ، رجلاً حساساً يحتاج

إلى التشجيع ورفع روحه المعنوية دائماً . وكان بحسب الرسالة الأولى رئيساً لكنائس أفسس التي تركه فيها الرسول واعداد إياه أن يزوره مرة أخرى قريباً . وكان سبب وجوده في أفسس أن حركة تعليم غريبة بعيدة عن الإنجيل يصفها في كلمتين « خرافات وأنساب » كانت تسبب مباحثات غبية وطويلة (١ تيموثاوس ١ : ٣ و ٤ ، ٣ : ١٤ - ١٦) وفي نطاق محاربة هذه البدع كان عليه أن يرتب الخدمة الكنسية وإرساليتها ، ويضع تخطيطاً للحياة اليومية على الأساس الصحيح واللائق .

أما تيطس فيتضح من الرسالة إليه أنه قام مع الرسول بخدمة تبشيرية في كريت ولكن الرسول تركه هناك وذهب إلى اليونان (تيطس ١ : ٥) . وقد طلب منه الرسول أن ينظم الخدمة في الكنائس ويرتب الأمور الناقصة فيقيم شيوخاً في كل مدينة ثم يحارب التيارات التعليمية الخاطئة والمنحرفة . وقد طلب منه الرسول أيضاً أن يذهب إليه في نيكابوليس عندما يرسل إليه رسولا وهذا يعني أن إرساليته في كريت لم تكن طويلة المدى (٣ : ١٢) .

كاتب الرسالة :

من هو كاتب هذه الرسائل الثلاث ؟ لو اعتمدنا على الرسائل نفسها لما كان هناك شك في أن الرسول بولس هو الذي كتبها إلى تلميذه تيموثاوس وتيطس . وهذا ما اعتمدته الكنيسة على طول القرون حتى القرن التاسع عشر حينما انفجرت المناقشات حول صحة نسبتها إلى الرسول ، وإلى الآن لم تنته بعد ، فهناك جناح قوى جداً يرفض أن ينسبها كلها إليه وهناك جناح آخر يرفض أن ينسبها إلى غيره ، وهناك مجموعة من العلماء تشعر أن الرسائل تحوى أجزاء كتبها الرسول ولكنها كما هي الآن خرجت من يد معلم كان من أتباع

الرسول أو المعجبين به . وبين الفرق الثلاث تدور رحي المناقشات التي لم يدر مثلها حول رسالة أخرى من رسائل الرسول بولس .

١ - شهادة الكنيسة الأولى للرسول بولس :

ماذا تقول الكنيسة الأولى في التقليد المتوارث عنها ؟ إن هذه الرسائل بحسب هذه الشهادة عرفت منذ القدم ، والتقليد الذي يسند نسبتها إلى الرسول بولس يعتبر أقوى من أى تقليد خاص بأى رسالة أخرى فيما عدا رومية وكورنثوس الأولى :

ففي كتابات أكليمندس الروماني في أواخر القرن الأول الميلادي توجد عبارات « ملك الدهور » « مستعداً لكل عمل صالح » التي تتكرر في هذه الرسائل ولا تظهر في غيرها من كتب العهد الجديد ، وهناك عبارات أخرى مثل « أخدمه بضمير صالح » وغيره ، تدل على أنه كان يعرف هذه الرسائل .

أما بوليكاربوس (١٠٧ - ١١٧) فيقتبس في رسالته إلى فيليبي ثلاث عبارات هي (١ تيموثاوس ٦ : ١٠ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ٦ ، ١ تيموثاوس ٢ : ٢ و ١) وهذه موجودة في رسالته (٤ : ١ ، ٩ : ٢ ، ١٢ : ٣) ورسائل أغناطيوس تحتوي على الكثير من العبارات التي تظهر في هذه الرسائل الرعوية .

ويقول جيروم في مقدمته لرسالة تيطس إن تاتيان صاحب «الديايطرون» كان يعترف بأن الرسول بولس هو الذي كتب هذه الرسائل . مع أنه كان يرفض تيموثاوس الثانية . وهكذا نجد الأمر مع جاستن مارتير وغيره . ولعل ما كتبه مؤلف الموارتورين Muratorian Canon (١٧٠ - ١٨٠)

يستحق الاقتباس هنا إذ كتب يقول « إلى فليمون رسالة وإلى تيطس رسالة وإلى تيموثاوس رسالتان كتبها الرسول بولس في محبة وعاطفة ولكنها مع ذلك اعتبرت مقدسة وقبلتها الكنيسة في العالم كله لكي تأخذ منها النظام الصحيح في الكنيسة » وقد كانت كتابات بوليكا بوس الذي من سميرنا (١٥٥ +) تشابه هذه الرسالة حتى أن الدارسين ظنوا أنه هو الذي كتبها .

هذه شهادة قوية رغم الجانب الآخر لهذه القضية : فعلى هذا الجانب الآخر نجد أن مارسيون يرفضها وذلك إما لأنه لم يعرفها أو لأن فيها تعاليم ضد الهرطقة الذين اعتبره هو واحد منهم . أما ما يدعش حقاً في هذا الأمر هو أن بردية تشريتي Chaster Beaty (٤٦) p. لا تحتويها ولم يوجد هناك تفسير سوى أنه ربما كانت هذه الرسالة محشورة في ٧ ورقات ضائعة من هذه المخطوطة .

٢ - أسباب إنكار نسبتها للرسول :

ومع ذلك فقد تمسكت الكنيسة كلها بوجودها المبكر أو قبل انتهاء القرن الأول وبأنها من كتابات الرسول بولس نفسه إلى أن جاء القرن التاسع عشر وظهر علم نقد النصوص وبدأت الشكوك تحوم حول نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس ، وكانت حجة هؤلاء الرافضين تبنى على الأسباب التالية :

(أ) إن أسلوب ومفردات هذه الرسائل يختلف كثيراً عن المفردات التي يستخدمها الرسول في رسائله وعن الأسلوب الذي تعودناه منه . فعدد كلمات هذه الرسائل الثلاث ٨٤٨ كلمة بخلاف ٥٤ اسم علم . منها ٣٠٦ كلمة لا نجدها في الرسائل الأخرى ، ١٢٧ في تيموثاوس الأولى ، ٨١ في تيموثاوس الثانية ، ٤٥٠ في تيطس ، كل هذه لا تستخدم إلا مرة واحدة . وهناك

كلمات استخدمت مرتين في هذه الرسائل وحدها وعددها ٤٤ كلمة ،
وبعضها استخدم ثلاث مرات وعددها ٩ كلمات .

لكن هذه الشهادة لا يمكن أن تكون قاطعة لأن رسالة رومية التي لا يشك
إنسان ما في صحة نسبتها إلى الرسول بولس نجد فيها ٢٦١ كلمة (من مجموع
كلماتها ٩٩٣ كلمة) لا توجد إلا في رومية فتعداد الكلمات لا يمكن أن
يؤثر في نسبة الرسائل إلى الرسول بولس .

ومن الناحية الأخرى يقولون إن هناك اصطلاحات وعبارات خاصة
بالرسول بولس فقط دون كتاب العهد الجديد لكنها لا تظهر في هذه الرسائل
مثل كلمة « العهد . بر الله ، جسد المسيح ، إله وأبورينا يسوع المسيح . . .
وهكذا .

أما الأسلوب الذي كتبت فيه هذه الرسائل فهو يختلف في بعض جوانبه
عن الأسلوب المعهود من الرسول بولس . فليس هناك المخارج المتعددة التي
نجدها عند الرسول حينما يكتب عن فكرة معينة ، فهو يترك الفكرة الرئيسية
قبل أن ينتهي منها ليدخل في فكرة أخرى لها علاقة بها ثم يرجع إلى الفكرة
الرئيسية وهكذا دواليك . أما في هذه الرسائل فالكاتب لا يترك الفكرة إلى أية
أفكار جانبية حتى ينتهي من توضيحها تماماً وبعد ذلك ينتقل منها إلى غيرها .

هذا إلى جانب استعمال الحروف وأدوات الربط التي يشتهر بها الرسول
والتي يجب أن تظهر في كتابة الأمور الشخصية لا تظهر كثيراً في هذه الرسائل .

على كل حال لا يستطيع إنسان أن ينكر الاختلاف الواضح بين أسلوب
كتابة هذه الرسائل وغيرها من رسائل الرسول بولس ، ولكن هذا كله

لا يستطيع أن يبنى نسبة هذه الرسائل الرعوية إليه لأنها جميعاً يمكن تفسيرها على أساس اختلاف العرض والموقف والدين كتبت إليهم . ولقد نبى كثير من دارسى العهد الجديد فى العصر الحديث الرأى القائل إن الرسول بولس نظراً لظروف السجن القاسى وقت كتابة هذه الرسائل ، قد استخدم أحد معاونيه كلوقا أو أى واحد آخر ، أن يكتبها له ويعبر عن أفكاره التى أملاها له ، وهذا الأمر يفسر هذا الاختلاف الواضح فى الأسلوب ، مع أن آخرين ممن يعتقدون أن الرسول هو الذى كتبها يرفضون هذا الرأى لأنه لا داعى له .

(ب) هناك برهان آخر يقدمونه لرفضهم نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس وهو أن مسيحية هذه الرسائل تختلف عما تظهر عليه فى رسائل الرسول بولس . فهذه الرسائل تظهر مسيحية العقيدة السليمة والأعمال الصالحة . هذا لا يعنى أن هناك عدة نسخ من المسيحية ، ولكن تعنى أن التنبير فى هذه الرسائل يقع على أشياء غير التى ينبر عليها الرسول فى رسائله .

وهذا صحيح لأن هناك عبارات كثيرة تؤكد هذه الأمور مثل «التعليم الصحيح» (١ تيموثاوس ١ : ١٠ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ٣ ، تيطس ١ : ٩ أنظر ١ تيموثاوس ٦ : ٣ ، ٢ تيموثاوس ١ : ١٣ ، تيطس ٢ : ٨) «أصحاء فى الإيمان» (تيطس ١ : ١٣ ، ٢ : ٢) «صادقة هى الكلمة» (١ تيموثاوس ٣ : ١) «الارتداد عن الإيمان» (١ تيموثاوس ٤ : ١ و ٦ ، ٦ : ٢١) وغير ذلك . ولكن هذا نجده أيضاً فى الرسائل الأخرى للرسول بولس (١ كورنثوس ١١ : ٢ و ٢٣ ، ١٥ : ٣ ، ٢ : ٣ ، رومية ٦ : ١٧) . ويجب أن نعرف أن الرسائل الرعوية كتبت لى تجارب حركات انحراف حدثت فى قلب الكنيسة المسيحية ، وتجاهها بالتنبير

على العقائد والتعاليم المستقيمة الصحيحة . فالهرطقة هي مرض يضعف جسد المسيح وينهشه أما التعليم الصحيح فهو الحالة الصحية الصالحة . ولكي يوضح هذا كله كان الرسول يقتبس كثيراً من الترانيم الروحية وقوانين الإيمان التي نبتت في الكنيسة . وهذه لا يمكن أن تكون متقدمة عن تلك الموجودة في الرسائل الأخرى التي كتبها الرسول حتى نقول إنها كتبت بعد عصره (تيطس ٢ : ٥ و ٦ و ٨ ، ١ ، تيموثاوس ٦ : ١٣ - ١٦) .

أما الأمر الثاني الذي تنبر عليه هذه الرسائل هو الأعمال الصالحة (١ تيموثاوس ٢ : ١٠ ، ١٠ : ٥ ، ٦ : ١٨ ، ٢ ، تيموثاوس ٢ : ٢١ ، ٣ : ١٧ ، تيطس ٢ : ١٧) . ولكن هل هذا يعني أنها كتبت بعد عصر الرسول بولس ؟ ألم يشر الرسول في رسائله الأخرى إلى هذه الأعمال الصالحة ؟ (رومية ٢ : ٧ ، ١٣ : ٣ ، ٢ ، كورنثوس ٩ : ٨ ، ٢ ، تسالونيكي ٢ : ١٧ ، أفسس ٢ : ١٠ ، كولوסי ١ : ١٠) إن الرسائل الرعوية تظهر ، مثل كل الرسائل الأخرى ، إن الأعمال الصالحة هي ثمار قوة الحياة الجديدة التي تعطى للمؤمن (٢ تيموثاوس ٣ : ١٧) . وعندما تقول في تيطس ٣ : ٥ : « لا بأعمال في بر عملناها بل بمتنضي رحمته خلصنا . . » فإنما تعكس إنجيل الرسول بولس وتظهر مقابله بين الأعمال والنعمة (أنظر ٢ تيموثاوس ١ : ٩) . وهل هناك فرق بين قوله في تيطس ٢ : ١٤ « الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل أثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال صالحة » وبين قوله في غلاطية ٥ : ٢٢ حيث يذكر ثمار الروح الذي يسكن فينا بالإيمان ؟ إن الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان كما تظهر في (١ تيموثاوس ٦ : ١٨) لها نظيرها في الرسائل الأخرى في غلاطية ٦ : ٩ ، رومية ٢ : ٦ و ٧ .

(ج) أما الاعتراض الثالث ضد نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس

هو التنظيم الكنسى المتطور الذى يظهر فيها الذى لا يمكن أن يكون قد ظهر فى أيام الرسول بولس ، وخاصة وظيفة الأسقف التى يسميها أيضاً الشيخ (تيطس ١ : ٥ و ٧) ووظيفة الشماس والأرامل وغالباً الشماسات (١ تيموثاوس ٣ : ١١) . ويتضح فى الرسائل أن وظيفة الأسقف هى أن يحكم أى يدبر (١ تيموثاوس ٥ : ١٧) وأن يعنى بكنيسة الله (١ تيموثاوس ٣ : ٥) أى أنه يقود الجماعة وليس من الضرورى أن يعظ ويعلم (١ تيموثاوس ٥ : ١٧) وقد كونوا من أنفسهم مجمعاً خاصاً (١ تيموثاوس ٤ : ١٤) لكن لا يوجد دليل على أن هناك واحد منهم يقوم مقام الرئاسة فى هذا المجمع فالفرديّة التى يذكرها فى ١ تيموثاوس ٣ : ٢ يقابلها التعدد الذى يظهر فى العدد السابق له .

ولكن هذا التنظيم لم يكن جديداً بل كان فى عهد الرسول بولس ، فالأسقفية وظيفة عرفت مبكراً ، وكذلك الشموسية وكلاهما يذكران فى فيلبي ١ : ١ . وفى أعمال ٢٠ : ١٧ يستدعى الرسول قساوسة الكنيسة فى أفسس ، ويذكرهم فى خطابه الوداعى لهم أن الروح القدس قد أقامهم أساقفة ليدبروا كنيسة الله . (ع ٢٨) . وفى الرسائل الأخرى يظهر الرسول بولس أن هناك مدبرين لكنائس وجهات كنسية أى قادة فى مجتمعاتهم وكنائسهم (رومية ١٢ : ٨ ، ١٠ كورنثوس ١٦ : ١٦ و ١٧ ، ١ تسالونيكي ٥ : ١٢) نعم إن الوظيفة النسائية فى الكنيسة « الأرامل » ظهرت أول ما ظهرت فى ١ تيموثاوس ٥ : ٣ - ١٦ لكن هناك فى الرسائل الأخرى نجد سيدات لهن مكان الصدارة فى الكنيسة وكن يقدن المجتمعات مثل فيبي (رومية ١٦ : ١) و بريسكلا (ع ٣) . وأفودية وسنتيخي (فيلبي ٤ : ٢ و ٣) . نعم قد يكون

٥٢٩

(م ٣٤ - المدخل الى العهد الجديد)

هناك بعض التطور في الرسائل الرعوية ، ولكن من دراسة الرسائل نجد أنه تطور حديث ويحتاج إلى المتابعة والعناية التامة .

هناك نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها وهي أن الرسائل لا تشير إلى الخدام أصحاب الكارزما مثل النبي والمبشر والرسول وغيرهم ويظن الدارسون الذين يظنون أنها رسائل متأخرة، أن هذه الأعمال قد حلت محلها الوظائف التنظيمية مثل الأسقف والشيخ وغير ذلك . ولكن المدقق يجد أن هناك إشارات في الرسائل نستنتج منها أن هذه الشخصيات كانت لازالت موجودة ولها عملها ، فعندما يمنع الرسول أن تتكلم النساء في الكنائس (١ تيموثاوس ٢ : ١٢) هذا يظهر أن الرجال يتكلمون ، ويظهر أن هناك أناساً آخرين بجانب الأساقفة يعلمون (١ تيموثاوس ٥ : ١٧) . إن الرسائل الرعوية كانت تهدف أساساً على تنظيم الكنيسة وعلى الناحية الإدارية فيها . وحتى في كنيسة كورنثوس رغم العدد الكثير الذي كان يتمتع بموهبة ما ، فإنهم لم يستطيعوا أن يقوهوا بأعمال الأسقف أو الشيخ والشماس ، فهؤلاء لهم قوانينهم التي لا تنطبق على أصحاب المواهب . (١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ - ٣٦) .

(د) أما الأمر الرابع الذي يستند عليه الذين ينكرون نسبة هذه الرسائل إلى الرسول هو نوعية البدع التي تحاربها هذه الرسائل ، فهي بدع متطورة لم تظهر في عهد الرسول . وقد اعتقد باور أحد علماء القرن التاسع أن هذه البدع هي التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي وهي الغنوسية وخصوصاً بدع مارسيون ، الذي كتب كتاب المناقضات . وقد بنى باور رأيه على ما جاء في ١ تيموثاوس ٦ : ٢٠ « مخالقات - متناقضات - العلم الكاذب الاسم . ولكن هذه النظرية لم يعد يتمسك بها أحد الآن ويلاحظ هنا أن نوع البدع التي تذكرها الرسائل لا تنطبق على وقت محدد بالذات : المنع من

الزواج ومن أكل أطعمة خاصة (١ تيموثاوس ٤ : ٣) والانشغال بأنساب
وأساطير (١ تي ١ : ٣ و ٤ ، تيطس ١ : ١٤ و ١٥) محاولة تفسير
القيامة تفسيراً روحياً (٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) ، هذه كلها ظهرت في
أوقات كثيرة . ويبدو أنها بدع يهودية . ففي الأمانة التي يذكر فيها المعلمين
الكذبة (١ تيموثاوس ١ : ٣ - ١١ ، ٤ : ١ - ١٠ ، ٦ : ٣ - ٥ ، ٢٠ و
٢١ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ١٤ - ٢٣ ، ٣ : ١ - ٩ و ١٣ ، ٤ : ٣ و ٤ ،
تيطس ١ : ١٠ - ١٦ ، ٣ : ٩ - ١١) لا يراودنا شك في أنهم معلمون
يهود (تيطس ١ : ١٤ و ١٥) وكل بدعهم كانت تختص بوصايا وتعاليم
التطهير والأنساب وغيرها وهذه كلها ظهرت أيام الرسول بولس .

أما ما يذكره في ١ تيموثاوس ٤ : ٣ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ١٨) من
ثنائية غريبة على اليهودية الأصيلة فهي تتصل بالغنوسية التي ظهرت حتى في
أيام الرسول والتي حاربها في كورنثوس ٢ : ١٦ .

(هـ) أما السند الأخير الذي يستند عليه هؤلاء هو أن المواقف التي
تظهر في هذه الرسائل لا يمكن أن تتفق مع ما نجده في سفر الأعمال وفي
الرسائل الأخرى . . ولكن هذه القضية سنبحثها حالا لنعرف أي مواقف
تعكس هذه الرسائل .

مما تقدم نستطيع أن نقول إن الإنكار القاطع بأن الرسول بولس هو الذي
كتب هذه الرسائل لا يستطيع أن يقوم على أساس ثابت ، والشواهد التي
يتبناها أصحاب هذا الرأي كلها مشكوك في ارتقاؤها إلى مستوى البرهان الحاسم

٣ - أما النظرية الثالثة فتقول إن الرسائل تبدو مترابطة كتبها شخص
واحد ، وهو غير الرسول بولس ومتأخر في الزمان عنه - قد وجد في يده

بعض التنف من خطابات حقيمية أرسلها الرسول بولس من قبل إلى تيموثاوس وتيطس . فأخذ هذه التصاصات الباقية من هذه الرسائل ووضعها في الرسائل التي كتبها هو وسماها باسم الرسول . معنى هذا أن هذه الرسائل لا تحوى إلا شذرات شخصية كتبها الرسول بنفسه وقد ضاعت الرسائل الكاملة ولم يبق منها إلا هذه الشذرات فوضعها هذا الكاتب ضمن الرسائل الحالية . قد حاول أصحاب هذه النظرية أن يستخرجوا هذه الشذرات من بين الرسائل فقالوا (تيطس ٣ : ١٢ - ١٥) وهو - كما يقولون - بقية خطاب أرسله الرسول من مكثونية إلى تيطس بعد عدة شهور من إرساله الخطاب الشديد اللهجة إلى كورنثوس (٢ كورنثوس ص ١٠ - ١٣) وقبل أن يرسله بالرسالة الثانية المتضمنة في (٢ كورنثوس ص ٩) .

- (٢ تيموثاوس ٤ : ٩ - ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) ويقولون إن الرسول كتبها في نيكابوليس بعد أن تركها تيطس .

- (٢ تيموثاوس ١ : ١٦ - ١٨ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ ، ٤ : ١ ، ٢ ، ٥ - ٨ ، ١١ - ١٩) وهي جزء من خطاب بولس الأخير الذي كتبه من روما إلى تيموثاوس بعد أن سمع الحكم عليه سنة ٦٢ م . هذه هي بعض آراء الذين يتمسكون بهذه النظرية مع أنهم مختلفون كثيراً في الأجزاء التي يستخرجونها ظانين أنها من قلم الرسول بولس سابقاً .

ولكن لماذا يتمسكون بهذه النظرية ؟ إنهم ينكرون أيضاً أن الرسول هو الذي كتب هذه الرسائل ويستندون على الشواهد الخمسة التي ذكرناها سابقاً . ولكنهم في الوقت نفسه يرون أشياء شخصية لا يمكن أن يكتبها غير الرسول بولس ولا يستطيع واحد آخر أن يقلده فيها ، فكيف يوفقون بين إنكارهم السابق وبين ما يجدونه في الرسائل ؟ وكان هذا هو جوابهم ؛ الكاتب

الحقيقي وجد أجزاء من خطابات سابقة كتبها الرسول تيموثاوس وتيطس فاحتواها في رسائله هذه .

ولكن هذه النظرية تثير من المشكلات أكثر مما تحل ، ولم يجد الدارسون لها مثيل في الكتابات القديمة . ولنا أن نتساءل إذا كانت هذه التتف هي أجزاء من خطابات سابقة معروفة أنها للرسول فكيف يضعها هذا الكاتب في خطابه دون أن نجعل أمام الكنيسة ؟

وكيف تحفظ هذه الأشياء الشخصية فقط ؟ ولماذا يوزعها الكاتب هكذا في أجزاء مختلفة في الرسائل ؟ وهل هناك فرق يذكر في أسلوب هذه التتف وبين ما يحيط بها من هذه الرسائل إن هذه النظرية لا تبني على أساس يستطيع أن يوحى بالثقة واليقين على أنها نظرية صحيحة .

٤ - بعد هذا العرض للنظريات المختلفة لم يبق أمامنا سوى أن الرسول بولس هو الذي كتب هذه الرسائل اتفاقاً مع الشهادة القوية التي يحملها التقليد الكنسي ومع رأى الكنيسة كلها هذه القرون الطويلة ، واتفاقاً مع إعلان الرسائل نفسها . ولكن رغم ذلك فهناك سؤال هام جداً يجب أن نواجهه وهو : هل نستطيع أن نوفق بين ما جاء في هذه الرسائل من مواقف وبين المواقف التي نجدها في سفر الأعمال والرسائل الأخرى ؟ هل يمكن أن نضع هذه الرسائل في موقف معين معروف ؟ . إن الجواب الحقيقي هو أن هناك اتفاقاً عاماً بين الدارسين أن هذه الرسائل لا يمكن أن توضع في أى مكان أو زمان أو موقف سواء أكان ذلك في سفر الأعمال أو في الرسائل الأخرى التي كتبها الرسول . إنها تختلف اختلافاً كبيراً مع أى موقف معروف فكيف تكون الإجابة إذن على هذا السؤال ؟

(أ) في ١ تيموثاوس ١ : ٣ نجد عبارة نستطيع أن نبني عليها دراستنا

عندما يقول الرسول لتيموثاوس « كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكي توصي قوماً ألا يعلموا تعليماً آخر » . من هذه الكلمات نستطيع أن نستنتج أن الرسول نفسه كان موجوداً مع تيموثاوس في أفسس ثم تركها إلى مكدونية تاركاً تيموثاوس هناك لهذه المهمة الشاقة . هذا الموقف لا يمكن أن يتفق مع أعمال ١٩ لأننا لم نسمع عن تحركات كهذه عملها الرسول ، ولا عن حركات انحراف مثل هذه حدثت في أفسس . ولا يمكن أن تتفق مع أعمال ٢٠ : ١ لأن وجهة الرسول كانت مكدونية ثم كورنثوس ومنها إلى أورشليم . وكذلك لم نسمع أنه أبقى تيموثاوس هناك بل أرسله إلى مكدونية قدامه ، حيث كان سيمر هو في طريقه إلى أورشليم (أعمال ١٩ : ٢١ و ٢٢) . وكذلك لم تكن أفسس قد بلغت رشدها بعد وقامت فيها مثل هذه الانحرافات الفكرية والسلوكية .

وهذه الصعوبات نجدها أيضاً في الرسالة إلى تيطس ففيها يقول له الرسول إنه تركه في كريت لكي يكمل ترتيب الأمور الناقصة (١ : ٥) . ولسنا نقرأ عن زيارة الرسول لكريت في أعمال الرسل سوى في (ص ٢٧) عندما جاءوا إلى هذه الجزيرة في رحلته الأخيرة إلى روما ، ونسبة لهياج الجو والبحر مكثوا مدة في مدينة الموانئ الحسنة Fair Haven ، ولم يكن له فرصة للتبشير هناك ، وبعد ذلك قضى الشتاء في مالطة وليس في نيكابوليس كما يقول في تيطس ٣ : ١٢ أنظر أعمال ٢٨ : ١ . ولا نستطيع أن نجد أى مكان في سفر الأعمال يصلح لأن يكون هناك احتمال ذهاب الرسول إلى كريت .

فإذا كانت مواقف الرسائل لا تتوافق مع سفر الأعمال وغيره فتي

كتب الرسول هذه الرسائل ؟

من ٢ تيموثاوس ١ : ١٧ نتأكد أنه كان في روما . ثم في ٤ : ٦ و ١٨ نعرف أن الحكم قد صدر بأن يموت ، ولهذا فهو يطلب من تيموثاوس أن يأتي آخذاً معه مرقس (٤ : ٩ - ١١) ، ولثلاثي يظن بعض الناس أن هذا السجن هو سجنه المذكور في سفر الأعمال ، يجب أن يعرف أن مرقس وتيموثاوس كانا معه في روما في ذلك الوقت . فلا بد أن هذا السجن كان في وقت آخر غير ذلك المذكور في سفر الأعمال (كولوسي ١ : ١ ، ٤ : ١٠ ، فليمون ٢٤) . وهكذا يمكن أن نفحص تفاصيل هذه المواقف والمواقف التي نعرفها في سفر الأعمال ، ونجدها مختلفة . فهل هذه مواقف مختلفة ؟ كلا ومن الذي يجترعها هكذا ؟ إن الحقيقة أن الرسائل الرعوية تكشف عن فترة أخرى في حياة الرسول لم تذكر في سفر الأعمال وحدثت بعد (أعمال ٢٨ : ٣١) . وهذا معناه أن الرسول لم يستشهد في المرة الأولى التي سجن فيها في روما ، وهذا أمر أقرب إلى المنطق والحقيقة ، فالجسب الخفيف الذي يشابه ما نسميه في العصر الحديث « تحديده إقامة » ، ونوع الاتهامات التي أثرت ضده ، واقتناع فسثوس الوالى ببراءته (أعمال ٢٦ : ٣١ و ٣٢) ، والتقرير الذي أرسله إلى رومية بل وانتظار الرسول أن يرى أصدقاءه حالا (فيلبي ١ : ٢٥ و ٢٦ ، ٢ : ٢٤ ، فليمون ٢٢) ، هذا كله يجعل أمر استشهاده في تلك المرة بعيد التصديق . فلا بد إذن من الاعتقاد بأنه ترك سجنه وذهب إلى عمله مرة أخرى في آسيا الصغرى والبحر الأبيض حتى قبض عليه مرة أخرى ، وسجن ، وهناك استشهد على يد نبرون الطاغية في الفترة ما بين ٦٤ - ٦٧ م .

هذا الاستنتاج له ما يسنده من شهادة الكنيسة الأولى فهذا ما يؤكده يوسابيوس المؤرخ المسيحي ومن قبله أكليمندس الروماني في ١٠ أكليمندس • : ٧ وبعده في قائمة الموراتورى . وهذا كله وغيره

لا يمكن أن تبني على تخمين لا أساس له أو استنتاج تفسيري لبعض الأعداد والأقوال التي ذكرها الرسول مثل (رومية ١٥ : ٢٤ ، ٢٨) . إنها حقيقة أقرب إلى المنطق والواقع .

إذن يمكننا القول بأن هذه الرسائل كتبها الرسول بولس في سجنه الثاني الذي لم يذكر في سفر الأعمال بل حدث بعد أن خرج من سجنه الأول في أعمال ٢٨ .

مضمون الرسائل الرعوية ورسالتها :

هذه الرسائل الثلاث كتبها الرسول بعد أن بدأت المسيحية تمتد في كل العالم وبعد أن بدأ كثير من المعلمين الكذبة ينتشرون في الكنائس ويشوهون الإنجيل الذي بشر به مع جيش المؤمنين ، الذين شاركوا في الكرازة . ويأوح أن هؤلاء المعلمين الكذبة هم جماعة من الغنوسيين اليهود الذين دخلوا إلى المسيحية ، ولكنهم في تعليمهم جمعوا عناصر عقائدهم وتعاليمهم من الأساطير والفلسفة اليهودية والمسيحية . ولقد كانوا منحرفين ليس في تعاليمهم فقط بل في سلوكهم وحياتهم أيضاً .

ولأجل ذلك كان على الرسول أن ينبه في هذه الرسائل وينبر بشدة على صفات الخدام في الكنيسة ، دون أن يشير بوضوح إلى عملهم ، لأن المشكلة التي أمامه كانت تتمثل في حياتهم ، ثم نبر أكثر على عمومية الخلاص الذي عمله الله في المسيح يسوع . ولهذا فترى هذه الرسائل تحتوي على هذه المواضيع الثلاثة : الخدمة الكنسية - الحياة الصالحة - الإيمان المسيحي .

١ - الخدمة الكنسية :

كانت الكنيسة في ذلك الوقت الذي تنجعه فيه إلى التثبيت والاتساع

الجغرافي والعددي تحتاج إلى قيادة قوية وصالحة ، وكلها مرت السنون على الكنيسة كانت حاجتها إليهم واضحة أكثر حتى من خدام الموهبة Charismatics ولهذا يكشف الرسول هنا عن ثلاثة أنواع من الخدم الكنسية : الأسقف أو الشيخ ثم الشماس وأخيراً الأرملة . وكما سبق القول فإن الرسائل تظهر قليلاً من مظاهر خدمتهم ولكنهم ركزت على صفاتهم والأخلاق التي يجب أن يتحلوا بها . ولعل الرسول كان يخاطب تيموثاوس وتيطس على أنهما الخادمان البارزان في المنطقة التي يعمل كل واحد منهما فيها ، ولذلك يجب أن تكون حياتهما هي البارزة والواضحة المعالم والساوك المسيحي الحقيقي (٢ تيموثاوس ١ : ٨ و ١٣ و ١٤ ، ٢ : ١ و ٢ و ٢٢ - ٢٥ ، ٤ : ٢ ، تيطس ٢ : ١) إلخ . فحياة الخدام ومظهرها يتجلى في نصائح الرسول لها كما يظهر أيضاً في النصائح المباشرة التي يقدمها لؤلؤاء الخدام . والخدام المسيحي المقام في كنيسة الله يتميز بالأور التالية .

أولاً : إنه خدام صاحب سلطان كبير ، فقد أوثمن على إنجيل المسيح فهو الذي يستطيع أن يكرز ، وأوئمن أيضاً على التعاليم المسيحية أى الإيمان ولهذا فإنه يستطيع أن يوبخ ويعظ بكل أناة وتعليم ويستطيع أن ينهر أيضاً (٢ تيموثاوس ٤ : ٢) ، ولكن في هذا يجب أن يكون لطيفاً حتى يمكن أن يرجع الضالين إلى المسيح (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٥) ، يجب ألا يكون محابياً بل يحكم بالعدل (١ تيموثاوس ٥ : ١٩ - ٢٢) ، فسلطانه الذي أعطى له يجب ألا يشوهه ويستخدمه في أغراض شخصية ولكنه لكي يحمي الإيمان ، والتعاليم الصحيحة (١ تيموثاوس ٤ : ٦ - ١٢ ، ٦ : ١٤ ، ٢ تيموثاوس ١ : ١٣ ، ٢ : ١٤ - ١٦ ، تيطس ٢ : ١) ، ويجاهد جهاد الإيمان الحسن ثم يودع هذا الإيمان لأناس أكفاء مزينين قادرين أن يقووا بالخدمة المقدسة (٢ تيموثاوس ٢ : ١) .

ثانياً : إنه أقيم لكي يعظ بالكلمة في وقت مناسب وغير مناسب ولأجل ذلك يجب أن يكون عارفاً بالكتب المقدسة وأن يستمر فيها. تعلمه بل يتقدم أكثر (١ تيموثاوس ٤ : ١٢ - ١٦) . ويجب أن يتحذر من المعلمين الكذبة المدعين (١ تيموثاوس ٤ : ١ - ٣) ، لأنهم يضللون الناس ولكن عليه هو أن يكون عاملاً مزكياً مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة (٢ تيموثاوس ٢ : ١٥) .

ثالثاً : يجب أن يعرف الخادم أنه مرتسم وأن يد المشيخة قد وضعت عليه ، وقد أصبحت هذه الخدمة موهبة أعطها له الله واوئمن عليها (١ تيموثاوس ٤ : ١٤) ، ولأجل ذلك يجب ألا يهمل هذه الموهبة بل يجب أن يضررها ، ولعل هذه الكلمة يضرر معنى أن هذه الموهبة هي عطية الروح فهي موهبة روحية إلى جانب أن مركزه مركز إداري . فهذه الموهبة الروحية يجب أن تبقى مشتعلة وخدمته تستمر قوية ، حتى يقوم بالرسالة التي وضعت عليه (٢ تيموثاوس ١ : ٦ و ٧) .

رابعاً : أن يتحفظ لحياته في المحبة والإيمان « تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع » (٢ تيموثاوس ١ : ١٣) . يجب أن يكون له الضمير الصالح « ولك إيمان وضمير صالح الذي إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً » (١ تيموثاوس ١ : ١٩) ، يتعلم ألا يخضع لأى من الشهوات ، وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة مع الذين يدعون الرب من قلب نقي وعبد الرب لا يجب أن يخاضع بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق . (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٢ - ٢٥) . إن الحياة الطاهرة

تجعل صاحبها محترماً من الجميع « لا يستهن أحد بمحادثتك بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة » (١ تيموثاوس ٤ : ١٢) .

خامساً : يجب أن يتحمل المشقات والآلام من أجل الإنجيل أى مع إرساليته والتبشير بالإنجيل « فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بآنا أسيره بل إشتراك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله » (٢ تيموثاوس ١ : ٨) ثم « فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح . . وأيضاً إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً » (٢ تيموثاوس ٢ : ٣ و٥) .

هذه هي أسس الخدمة الكنسية في العصر الأول المسيحي وفي كل عصر مسيحي :

هذه الخدمة رأيناها في تيطس وتيموثاوس والتي يقودهم الرسول فيها وينصحهم بأن يستمروا سالكين فيها هي الخدمة المثالية للخدام المثالي ، ولكن إلى جانب خدمتهم هم ينصحهم بأن يقيموا مساعدين أو خدماً آخرين : أساقفة وشماسة وأرامل (تيطس ١ : ٥) وإذا رأينا الصفات التي يجب أن يكونها كل منهم نجدتها تختلف بعض الشيء عما يطلبه الرسول من تيطس وتيموثاوس . فالأسقف يجب ألا يكون أباً أو زوجاً غير مسيحي في حياته بل يكون بلا لوم كوكيل الله ، يدبر بيته حسناً ويعيش حياة التقوى (١ تيموثاوس ٣ : ١ - ١٣ ، تيطس ١ : ٦ - ١٠) . ونظراً للظروف التي تمر فيها الكنيسة وخصوصاً من الداخل حيث يوجد المعلمون الكذبة الضالون يجب أن يكون العامل في الكنيسة سواء أكان شيخاً (أسقفاً) أو شماساً أو أرملة في استعداد للخدمة ، في قوة الشخصية . في حياة التقوى .

هنا أيضاً يعطى الرسول نصائحه وفي عقله أولئك المعلمون الكذبة الذين يسببون أتعاباً كثيرة في الكنيسة ، ولذلك ينصح الكنيسة بحياة مقدسة تليق بالخدمة الكنسية .

فهو ينبر بشدة على الصلاة « فأريد أن يصلى الرجال في كل مكان رافعين أيدي ظاهرة بدون غضب ولا جدال (١ تيموثاوس ٢ : ٨) . هذه الصلاة يجب أن تكون من أجل الجميع وخصوصاً من أجل الذين هم في منصب « فأطلب قيل كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضى حياة مطمئنة في كل تقوى ووقار » (١ تيموثاوس ٢ : ١ و ٢) . وليس فقط لنقضى حياة هادئة ، ولكن لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » (ع ٣٤) . ولكن ، كما كانت عادة ذلك العصر فإن الرسول يطلب أن النساء لا يشتركن في قيادة العبادة في الكنيسة ، ولهذا فالأفضل لمن أن يفتبن إلى تزيين أنفسهن بلباس الحشمة والوقار (٢ تيموثاوس ٢ : ٩ - ١٢) . ومع أن الرسول يذكر هذه الإشارات لكنه لا يتكلم كثيراً عن حياة العبادة في الكنيسة .

ثم يلفت الرسول النظر إلى مشكلة أخرى في الكنيسة كان لها تأثيرها من بدء نشأة الكنيسة وهي مشكلة الأرملة (أنظر أعمال ٦ : ١) . هؤلاء كن لازلن في الكنيسة ولا زالت حاجتهن واضحة وهم يحتاجون إلى المعونة . ولكن الرسول يضع مبدأ هاءاً : وهو أن الأرملة التي ليس لها من يعولها فلنعمل الكنيسة على معونتها في ظروفها الصعبة ، إنها حقاً أرملة ، أما تلك التي لها أولاد أو حفدة وقادرون على أن يعولوها فلا يجوز أن تنفق عليها الكنيسة من أموال المحتاجين ، لأن الذين هم لها يجب أن يوفوا حقوق والديهم

عليهم (١ تيموثاوس ٥ : ٣ - ٥) ، ويشترط الرسول في أن من تنال معونة الكنيسة يجب أن تكون مؤمنة تقية لا تقل عن الستين سنة مشهوداً لها في أعمال صالحة وأمومة مشغولة ربت بنديها في خوف الله ، أما غير ذلك فلا (٦ - ١٦)

أما العبيد فيجب أن يكونوا مسيحيين في حياتهم حتى يمكن أن يتمجد الله بسببهم ويتمتع سادتهم بحياة الإيمان الحقيقية ، وكذلك يجب ألا يحاولوا استغلال سادتهم المسيحيين الذين يعاملونهم كإخوة فلا يلتزمون بعملهم بل يجب أن يخدمهم أكثر لأن الذين يتشاركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوون (١ تيموثاوس ٦ : ١ و ٢) والكلمة يتشاركون كلمة هامة تضع الأساس لزوال نظام الرق : لأن العبد الذي لم يكن له أى حق ، حتى حق الحياة لأنها ملك لسيدته ، أصبح الآن يعمل لدى سيده لأنه شريكه في الفائدة وما أبعد الشقة بين هذا القول وذلك النظام .

ثم يضع الرسول مجموعة من النصائح والتحذيرات القوية لمن يحاولون أن يستغلوا موهبتهم كعلمين لكي يضرروا بالأعضاء ويضللوه ، إن هذه الفتن تسبب الخصام والانقسام في الكنيسة وجوعهم إلى المادة والسلطة يجعلهم يقعون فريسة الأوجاع الكثيرة (١ تيموثاوس ٦ : ٣ - ١٠) . ليس هكذا إنسان الله بل يجب أن يكون متنبهاً للأخطار التي تحيط به فبهرت من هذه كلها ويجاهد الجهاد الحسن ويتمسك بالحياة الأبدية التي دعى إليها : فلا يبيعها من أجل أشياء هذا العالم . يجب عليه « أن يحفظ الوديعة بلا دنس ولا كوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح (ع ١٤) .

هذه الوصايا تنطبق على كنيسة الله في كل زمن ومكان .

٣ - إيمان الكنيسة :

هذه الرسائل تعطى صورة واضحة للعقيدة المسيحية ، وكان يجب على

الرسول أن يفعل ذلك نسبة لانتشار المعلمين الكذبة في ذلك الوقت . ومن عناصر هذه العقيدة :

(أ) الله :

وحدته (١ تيموثاوس ١ : ١٧ ، ٢ : ٥) وهو وحده الذى له عدم الموت (١ تيموثاوس ٦ : ١٥ و ١٦) ولا بد أن الرسول كان يحارب الغنوسية التى تمسكت بألهة كثيرة . إنه الملك ، ملك الملوك ورب الأرباب ساكن في نور لا يدنى منه ، ، قوى . إنه الصادق الحق الذى لا يكذب (تيطس ١ : ٢) . خالق كل شئ صالح (١ تيموثاوس ٤ : ٤) ويعطى الحياة لكل المخلوقات (١ تيموثاوس ٦ : ١٣) . وهناك عبارة خاصة بهذه الرسائل « الله مخلصنا » (١ تيموثاوس ١ : ١) وتأتى ٦ مرات في الرسالتين ، أما في ٢ تيموثاوس ١ : ٨ و ٩ فيقول « لأجل الإنجيل بحسب قوة الله الذى خلصنا ، ودعانا دعوة مقدسة » هذه الكلمة « مخلص » كلمة لا تأتى كثيراً في العهد الجديد ، ولعل أكثر المرات ظهوراً هو في هذه الرسائل . ولعل الرسول يضعها في مقابل ذلك التيار الذى بدأ يشتد في عهد نيرون وهو عبادة الامبراطور واعتباره المخلص الذى يخلص الناس . . بدلا من ذلك « الله هو مخلصنا » .

(ب) يسوع المسيح :

دائماً يشار إليه بالاسم « المسيح يسوع » ولم يشر إليه باسم واحد : أى يسوع أو المسيح . ونادراً ما سُمى يسوع المسيح . وهذا يشير إلى أن الرسول يتكلم عنه في مجده . وهنا ينبر الرسول على بشرية السيد ضد الغنوسيين : فهو الإنسان (١ تيموثاوس ٢ : ٥ أنظر ٣ : ١٦ ، ٢ تيموثاوس ٢ : ٨) ولكنه سابق الوجود (٢ تيموثاوس ١ : ٩) ، وتجسده سُمى « ظهوره »

(٢) تيموثاوس ١ : ١٠ أنظر ١ تيموثاوس ٣ : ١٦) ، وهو مات (١) تيموثاوس ٢ : ٦ ، تيطس ٢ : ١٤) ، وهو الوسيط الوحيد وهذا ضد ما يقوله الغنوسيون الذين ينادون بكثرة الوسطاء « (١ تيموثاوس ٢ : ٥) .

(ج) الروح القدس :

ذكر في الرسائل مرتين (١ تيموثاوس ٤ : ١ ، تيطس ٢ : ٥) وهو الذى يعمل في حياة الإنسان ويجدها .

(د) الإنجيل :

ذكر ٤ مرات (١ تيموثاوس ١ : ١١ ، ٢ تيموثاوس ١ : ٨ و ١٠ ، ٢ : ٨) وكما هي عادة الرسول فإنه يذكر أن الإنجيل كان سرّاً ولكنه أعلن في المسيح يسوع (١ تيموثاوس ٢ : ٦ أنظر ٣ : ١٦ ، ٢ تيموثاوس ١ : ٩ و ١٠ تيطس ١ : ٢ و ٣) ففي الإنجيل أعلن قصد الله الأبدى .

هذا الإنجيل هو لكل الناس (١ تيموثاوس ٢ : ٤) والله يدعو الناس ليخلصهم ويخلص الذين يؤمنون (١ تيموثاوس ٤ : ١٠) .

(هـ) الخلاص :

وعندما يتكلم عن الخلاص فإنه يذكر أنه ليس من الأعمال بل هي نعمة الله في المسيح منذ الأزل (٢ تيموثاوس ١ : ٩) أو كما يقول ، ولأننا كلنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين .. لكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس « (تيطس ٣ : ٣ - ٧) . ولعل الرسول هنا يشير إلى عملية الروح القدس في المعمودية عندما يعطينا ثمار ما عمله المسيح من أجلنا ويقبلنا في جسده أى كنيسته . أما عملية الخلاص فهي بالصليب حيث نموت مع المسيح لنقوم ونحيا معه (٢ تيموثاوس ٢ : ١١) ويشير إلى المسيح المقام (٢ : ٨) .

(و) الحياة :

إن وعد الحياة لنا هو في المسيح يسوع (٢ تيموثاوس ١ : ١) وكذلك في (تيطس ١ : ٢) يقول « على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المتزهر عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية » إنها ميراث لأن قد أصبحنا مبررين بنعمة الله (تيطس ٣ : ٧) . هنا نجد أن الحياة الأبدية هي الحياة التي سوف نتمتع بها عند ظهور ربنا . أى أنه عندما يتكلم القديس يوحنا عن «ظهر الحياة الأبدية في العصر الحاضر فإن الرسول هنا يتكلم عن «ظهرها الآتى المجيد عند مجئ مخلصنا .

هناك عناصر لاهوتية أخرى في الإيمان المسيحى ولكنه يلمسها ويمر عليها . ولكن العناصر السابقة هي ما نبر عليها في مواجهة المعاميين الكذبة الذين جاؤا من اليهود واليونانيين وانحرفوا عن الحق .

الباب الرابع

كتابات يوحنا

نأتى الآن إلى مدرسة أخرى فى التعبير عن الاختبار المسيحى وهى مدرسة: يوحنا . وتحت اسم يوحنا يقابلنا فى العهد الجديد خمسة كتب : إنجيل يوحنا ، ثلاث رسائل وأخيراً سفر الرؤيا . ولعل أهم سؤال يواجهنا فى هذه المجموعة ، هل الكاتب شخص واحد ؟ هل هو القديس يوحنا الرسول والتلميذ ؟ هل هى مدرسة فكرية أساسها القديس يوحنا ؟ سندرس هذه المجموعة من الكتب التى دخلت إلى الأعماق -- وخاصة الإنجيل ، فى تفسير معنى المسيح فى الاختبار المسيحى .

ونظراً لتقارب الإنجيل والرسائل فسوف ندرسها جميعاً معاً ثم ندرس بعدها سفر الرؤيا . .

الفصل الأول

الإنجيل والرسائل مقدمة الانجيل

كاتب الإنجيل :

ولكن من هو الذي كتب إنجيل يوحنا . هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة غالباً ما تنتهي بالعبارة « لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل . فالرأى قد انقسم على وجه العموم إلى قسمين :

القسم الأول : يقول إن يوحنا الرسول الذي كان تلميذاً للمسيح مع أخيه يعقوب ابني زبدي هو الذي كتب هذا الإنجيل .

القسم الثاني : هو أن يوحنا لم يكتب هذا الكتاب ولا بد أن شخصاً آخر غيره هو الذي كتبه . ولكل من هذين الفريقين من العلماء حججه وبراهينه مما لا يتسع المقام من سرد كل شيء ما لهم وما عليهم ، ولكننا سنوجز رأى كل فريق منهم .

يوحنا الرسول :

يقول بعض العلماء إن الذي كتب هذا الكتاب هو يوحنا الرسول . وقد استمر هذا الرأى سائداً مدة طويلة من القرون الأولى للكنيسة إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث كثرت الشكوك حوله . ولقد ارتكز هذا الرأى على دعامين : الشهادة الخارجية والشهادة الداخلية .

الشهادة الخارجية :

فأول مصدر لها هو إيريناوس ١٨٠ م الذي يقول إنه أخذ من بوليكاربوس بعض المعلومات عن كاتب هذا الإنجيل . وبوليكاربوس هذا الذي عاش في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادى قد عاصر يوحنا الرسول وكان تلميذاً له . ومن ذلك الوقت وكل الآباء تذكر أن يوحنا التلميذ هو الذي كتب هذا الإنجيل . أما قبل ذلك فلم يعترف بنسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول سوى فالتينوس الغنوسى المرطوقى لأنه كان يظن أن الإنجيل يصادق على تعاليمهم المرطوقية . ورداً على ذلك فقد أنكرت جماعة مسيحية هذا الإنجيل واعتبرته مع الرويا كتباً غنوسية هرطوقية . ولكن هذا الإنكار لم تقبله الكنيسة بل بالعكس فقد قبل كل الآباء بعد ذلك صحة قول إيريناوس . ووجدنا ذلك فى القائمة المسماة بالمورأتورى وكذلك أكليدس الاسكندرى وأوريجانوس وغيرهم .

وانظر Gultre (مقدمات العهد الجديد جزء ٣ إنجيل يوحنا) . وعلى هذا الأساس تكون نسبة الإنجيل إلى يوحنا كانت منتشرة فى الكنيسة قبل إيريناوس حتى وإن لم يشر بوليكاربوس إليه أو لم يقتبس منه .

الشهادة الداخلية :

وقد لحص وستكوت هذه الشهادة تلخيصاً وافياً فى هذه العناصر :
أولاً : أن الكاتب كان يهودياً وذلك يتضح من معرفته الوثيقة بالأعياد اليهودية والمواسم السنوية لهم كما يتضح من حوادث كثيرة نذكر القليل منها :
إنه يعرف عوائد الأفراح والزواج عند وصفه لعرس قانا الجليل (٢ : ١-١٠) .
يعرف أن اليوم الأخير فى أسبوع عيد المظال اسمه اليوم العظيم الذى فيه يذهبون ليستقوا ماء (٧ : ٣٧) . ويعرف أن هناك عيداً هاماً قد نشأ فى فترة

ما بين العهدين اسمه عيد التجديد (١٠ : ١٢) . وأن اليهود يذهبون إلى
أورشليم قبل عيد الفصح بعدة أيام حتى يتطهروا قبل العيد (١١ : ٥٥)
ويعرف عوائدهم في الجنازات كما يذكر ذلك في موت اليعازر (١١ : ١٩
و ٣١ - ٣٣) وغير ذلك من العوائد والمواسم اليهودية .

ثانياً : من فلسطين : وذلك لأنه يعرف جغرافياً الأرض : فيعرف أن
في عين نون مياه كثيرة حيث كان يوحنا يعمد (٣ : ٢٣) ؛ وأن يسوع
كان يمر على السامرة في ذهابه من اليهودية إلى الجليل (٤ : ٤ - ٦) .
ويعرف أن بركة بيت حسدا عند باب الضأن في أورشليم (٥٠ : ١ و ٢) .
وأن بيت عنيا قريبة من أورشليم بحوالي ١٥ غلوة (١٨ : ١١) ، وأن بحر
الجليل هو بحيرة طبرية (٦ : ١) وهكذا .

ثالثاً : وغالباً أنه كان من سكان أورشليم أو أن له في أورشليم صداقات
كثيرة فهو معروف في بيت رئيس الكهنة (١٨ : ١٥) وكان يعرف تلاميذ
يسوع الذين كانوا من سكان اليهودية ، وغالبيتهم من أورشليم مثل نيقوديموس
(٣ : ١) ويوسف الذي من الرامة الذي وهب قبره للمسيح (١٩ : ٣٨) .

رابعاً : وكان الكاتب شاهد عيان لأنه يصف الأمور والحوادث ووصفاً
دقيقاً : كأن يقول إن التلميذين اللذين تبعوا يسوع فعلاً ذلك في الساعة العاشرة
(١ : ٣٩) . ويعرف بالتدقيق الحادثة والحوادث التي صاحبت إشباع الجماهير
(٥ : ١٠ - ١٠) ، وأن يسوع عندما ذهب إلى العيد ذهب في الخفاء وليس
علناً (٧ : ١٠ - ١٢) ، وقصة اليونانيين الذين جاءوا اليه يسوع (١٢ :
٢٠ - ٢٣) ، وقصة سقوط الذين جاءوا للقبض عليه إلى الورا (١٨ : ٦ -
٩) ، إنه بنفسه يقول ذلك (٢١ : ٢٤) .

خامساً : بل كان تلميذاً للمسيح وهو يوحنا بن زبدي : ويظهر ذلك من وصفه بأنه التلميذ الذي كان يسوع يحبه (١٣ : ٢٣) . وأنه يذكر أشياء لم تذكرها الأناجيل الأخرى مثل غسل أرجل التلاميذ (١٣ : ١ - ١١) ثم اتصاله الوثيق ببطرس (١٣ : ٢٣ ، ٢٠ ، ٤ : ٢١ ، ٧ ، ٢٠ - ٢٤) ، وأخذ مريم أم يسوع إلى خاصته (١٩ : ٢٥ - ٢٧) وهذه الحادثة الأخيرة تؤكد تماماً أن يوحنا هو يوحنا بن زبدي .

الاعتراض على نسبه إلى يوحنا :

الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى التلميذ يوحنا بن زبدي بدأت - كما سبق القول ، في نهاية القرن التاسع عشر بشكل واسع وقد اعترض كثيرون على الشهادتين الخارجية والداخلية . فن جهة الشهادة الخارجية التي تركز أصلاً على إيريناوس ، لم يثق فيها العلماء لأن المصدر الوحيد الذي يمكن أن يكون قد أخذ عنه هو بوليكاربوس ، الذي كتب رسالته إلى فيلبى ولكنه لم يشر إلى هذا الإنجيل ، ولم يقتبس منه ، فهل يعنى هذا أنه لم يكن يعرفه ؟ إن عدم الاقتباس أو الإشارة . أى شهادة الصمت لا يمكن أن تكون قاطعة .

ويقولون إن هناك جماعة أنكرت نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول واسمها Alogoi أى الذين ينكرون الكلمة « ضد الكلمة » ولكن هذه الجماعة المعارضة التي اعتبرتها الكنيسة من الهرطقة قد كتب ضدهم هيوليئس مدافعاً عن الإنجيل وعن نسبه إلى الرسول .

نعم إن الشهادة الخارجية لا نستطيع أن نتبعها قبل إيريناوس - ولكن هذا أيضاً لا يمكن أن يكون قاطعاً ، لأن الأناجيل الأخرى لا نجد بالنسبة لها

إلا شهادة قليلة جداً ، ولكن وضع إنجيل يوحنا مع الأناجيل الثلاثة الأخرى تدل على أن الكنيسة قد أخذته من الأول بعين الاعتبار على أنه من وحى روح الله .

أما عن الشهادة الداخلية فالأمر أكثر تعقيداً .

(أ) فمثلا تلك الشواهد التي تبين أن الذي كتب الإنجيل كان شاهد عيان وحاضراً مع السيد نفسه ، وأنه يضع نفسه بين الشهود : فيقول . والكلمة صار جسداً . . . وحل بيننا . . . ورأينا (١ : ١٤) ثم يقول والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم (١٩ : ٣٥ أنظر ٢١ : ٢٤) . هذه الشواهد وغيرها قد تؤخذ على أن يوحنا هو الذي كتب الإنجيل ، وقد تؤخذ على العكس ، خصوصاً إذا وضعنا في الاعتبار أن يوحنا بن زبدي لم يذكر أبداً في الإنجيل ، مع أن يوحنا المعمدان قد ذكر ولم يذكر الكاتب لقبه « أي يوحنا فقط دون المعمدان » ، وكان يجب أن يذكر اللقب لو أراد الكاتب أن يميزه عن نفسه . ولقد اعترض البعض أيضاً على أن يوحنا كان لا بد وأن يذكر نفسه بلقب الرسول مثل كل الرسل ، وليس « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » . وهذا اللقب ، كما يقولون ، يجب أن ينسب إلى اليعازر وليس إلى يوحنا . (١١ : ٣ و ١١ و ٣٦) فهل هو اليعازر الذي كتب الإنجيل ؟

(ب) وهناك برهان آخر ضد نسبة الإنجيل إلى القديس يوحنا تلميذ المسيح وهو أنه لا يستطيع أن يكتب مثل هذا الكتاب لأنه بحسب أعمال ١٣ : ٦ ، والكتاب مملوء بالاصطلاحات الهلينية تجعل هناك تشابهاً كبيراً بينه وبين فيلو الفيلسوف الإسكندري مثل «الكلمة ، الحق ، النور ، الحياة الأبدية» وغير ذلك . . . ولكن هذا البرهان ليس قاطعاً فإن مخطوطات

الكرمان أيضاً تحمل تشابهاً للثقافة الهلينية ، ومن يقرأ أجزاء منها يشعر كأن الكاتب يقتبس من الفلاسفة الهلنيين غاية ما في الأمر أن هذه الاصطلاحات صارت تراثاً مشاعراً معروفاً عند كل الناس في كل الأمم المعروفة ، ولا بد أن كثيرين قد استعملوها . نعم إن الأسلوب القوي الواضح الذي يتميز به الكتاب قد يقف عقبة ضد كتابة يوحنا له ، ولكن قد يرد بأن أحد تلاميذه قد كتبه وهو الذي أملاه له .

(ح) أما أقوى برهان ضد كتابة الرسول يوحنا للإنجيل هو بقاء الكنيسة في قبول الإنجيل ، فالعلماء لم يستطيعوا أن يعتمدوا على إيريناوس في شهادته فجاستن مارترو وقد كتب في منتصف القرن الثاني الميلادي لم يذكر ولم يشير إلى الإنجيل . وعندما يتكلم عن يوحنا الرسول فإنه لا يشير إلى الإنجيل نفسه مع أنه ينسب إليه سفر الرؤيا . فيوحنا الرسول هو يوحنا المذكور في رؤيا ٤ : ١ و ٩ ولكنه ليس يوحنا الإنجيلي . كذلك في سنة ١٦٥ يقتبس فيلمو الذي من ساردس (عن آلام المسيح) من الإنجيل في عظامه ولكنه لا يشير إلى كتابه . وحتى قائمة المورتوري لا تعطى تأكيداً قاطعاً على أن الرسول يوحنا هو الذي كتبه . أما بابياس الذي يقتبس يوسابيوس منه أنه « كان يسأل كل من سمعوا المشايخ اندراوس وبطرس ومتي وفيلبس وتوما ويعقوب ويوحنا . . » ثم يقول « وكذلك ماذا يقول أرسطيون ويوحنا الشيخ تلميذا الرب » . ويقول يوسابيوس « الواضح أن بابياس يذكر اثنين اسمها يوحنا : الأول الرسول وقد مات والثاني الشيخ وهو حي . ويلوح أنه هو الذي كتب الإنجيل » . من هذا كله وغيره يظن العلماء أن يوحنا الرسول لا صلة له بالإنجيل .

هذا هو الموقف باختصار كامل ويمكننا أن نلخصه في الأمور التالية :

(أ) لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نفصل بين يوحنا الرسول وبين

هذا الكتاب . ولو شئت ألا تذكر اسم يوحنا ، فإننا نقول إن مصدر الكتاب كان حقاً شاهد عيان . ففي صفحات الكتاب شهادة تلو الشهادة على أن هذا المصدر قدرأى وسمع ولمس . وحيث أن الشهادة الخارجية مع ضعفها تربط هذا الكتاب باسم يوحنا الرسول ، فعلى الأرجح يكون هو الشخص الذى جاءت منه المعلومات هذه .

(ب) ولكن مع ذلك لا يمكن أن نزيل بحجة قلم تلك الاعتراضات القائمة التى جعلت أ كثرية العلماء فى العصر الحاضر ترفض أن الكاتب الفعلى للإنجيل هو يوحنا بن زبدي . وعلى ذلك فيمكن أن نذكر عدة احتمالات قد تلقى بعض النور .

الأمر الأول : هو أن الرسول يوحنا قد كتب هذا الكتاب بمعونة أحد تلاميذه الذين كانوا معه ، وهذا التلميذ لم يذكر اسمه وتحت ضغط الرسول لم يضع اسم الرسول واضحاً فى طيات الكتاب .

أما الأمر الثانى : فهو أن واحداً من تلاميذ يوحنا قد استخدم المذكرات او المواعظ التى سمعها من أستاذه وكتب هذا الكتاب .

أما الأمر الأخير : وهو الذى قد يكتسب أنصاراً كثيرين فهو أن هناك مدرسة اسمها مدرسة يوحنا انتشرت فيها الأفكار والمواعظ وذكريات الرسول عن سيده وأن هذه المدرسة هى المسئولة ، ليس فقط عن إنجيل يوحنا بل عن الرسائل أيضاً كما سيأتى ذكره فيما بعد .

وقبل أن نترك هذا الموضوع يجدر بنا أن نذكر ما قاله سيرادون هوسكتر عن هذا الكاتب فى كتابه عن إنجيل يوحنا ص ٥ « لأنه قد أحرق نفسه حتى أننا لا نعرف عنه أى شئ فى التاريخ المقدس . وفى نهاية دراستنا

لا نستطيع أن نعرف عنه إلا أنه صوت شاهد لمجد الله . لقد ترك كتابه بدون اسمه حتى لا نجد فيه غير اسم يسوع ابن الله . إنه محي نفسه بل إنه هو الذى أنقص نفسه وضحي بها لكي يعرف الحق وينشر وأن يتمتع المؤمنون بالحياة الأبدية .

بقى هناك سؤال « إذن من هو التلميذ الذى كان يسوع يحبه الذى نسب إليه الإنجيل ؟ ذكر هذا التلميذ فى أربعة مواضع :

١ - فى العشاء الأخير كان متكئاً على صدر يسوع (١٣ : ٢٣) .
٢ - عند الصليب عندما طلب منه السيد أن يأخذ أمه عنده وتصبح له أما (١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

٣ - عندما سمع من مريم المجدلية عن القبر الفارغ والقيامة فذهب يجرى مع بطرس إلى القبر ورأى وآمن (٢٠ : ٢ - ١٠) .

٤ - وفى الظهور الأخير عند بحيرة طبرية (٢١ : ٧ و ٢٠ - ٢٣) .
وإلى جانب هذا نجد هناك إشارة أخرى إلى تلميذ لا يذكر اسمه من ضمن تلميذى يوحنا اللذين تبعوا يسوع : اندراوس وهو يوحنا (١ : ٤٠) ومن سمي بالتلميذ الآخر الذى كان معروفاً فى بيت رئيس الكهنة (١٨ : ١٥ و ١٦) والذى شاهد الجندي وهو يطعن جنب يسوع بالحربة على الصليب (١٩ : ٣٥) ويلوح أن هذا الأخير هو نفسه الذى كان يسوع يحبه لأنه هو الذى عاين وشهد وشهادته حق (١٩ : ٣٥ مع ٢١ : ٢٤) . ومع ذلك فلا نعرف على وجه التحديد ما هى صلة التلميذ الذى كان يسوع يحبه بالتلميذين الآخرين فى (١ : ٤٠ ، ١٨ : ١٥ و ١٦) .

ومن هذه الشواهد يرى العلماء أمرين : الأول هو أن هذا التلميذ ظهر بهذه

التسمية في وقت العشاء الأخير ، فلماذا؟ والثاني هو أنه غالباً ما يظهر مقترناً
ببطرس . فهل يمكن أن نستنتج شيئاً من هذه الشواهد كلها ؟ يمكن أن
نستخلص هذه الأمور :

١ - إنه هو الشخص الذي شهد بهذا وكتب هذا وهذه شهادة الإنجيل
نفسه كما سبق القول .

٢ - قد يكون هو يوحنا بن زبدي ولكن هناك صعوبات جمّة أمام هذا
الرأى أهمها أنه إنسان من أورشليم وليس من الجليل كيوحنا بن زبدي ،
والدليل على ذلك أنه كان معروفاً لدى بيت رئيس الكهنة إذا كان هو نفسه
« التلميذ الآخر » (١٨ : ١٥) ، ولا بد أن كان يمتلك بيتاً أخذ إليه هذا
التلميذ العذراء في أورشليم وقت الصلب وبقيت معه (١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

٣ - قد يكون شاباً صغيراً من أورشليم ضم نفسه إلى جماعة التلاميذ
وكان محبوباً نشطاً ، وهذا يظهر من ظهوره المتأخر في الإنجيل (١٣ : ٢٣)
وأنه كان صغيراً في السن إذ استطاع أن يسبق بطرس في الجرى إلى القبر
الحلال (٢٠ : ٤) ، ولكن من هو ؟ لا أحد يعرف .

٤ - نظراً لهذا الغموض فقد ظهرت نظرية تقول إن التلميذ الذي كان
يسوع يحبه هو التلميذ المثالي الذي يمثل التلمذة الحقيقية ولكن لم يكن له
وجود حقيقى بين التلاميذ . وسرّجع إلى هذه النظرية في الصفحات المقبلة .

هدف الإنجيل :

إذا كان الكاتب قد أخفى نفسه وشخصه لكي يظهر مجد المسيح فما هو
الهدف الذى من أجله كتب إنجيله ؟ . في هذا الأمر يتشابه القديس يوحنا
والقديس لوقا في أن كلا منهما يذكر الهدف الذى لأجله يكتب إنجيله . مع

فارق واحد وهو بينما يضع القديس لوقا هذا الهدف واضحاً في بدء إنجيله ،
يؤجل القديس يوحنا ذكر هذا الهدف إلى الصفحات الأخيرة في كتابه فيقول
في ٢٠ : ٣٠ و ٣١ « وآيات أخر صنع يسوع لم تكتب في هذا الكتاب ..
وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي يكون لكم
إذا آمنتم حياة باسمه » . . في هذه الأعداد تتضح لنا عدة أمور :

(أ) إن الكاتب لم يقصد أن يكتب حياة كاملة ليسوع المسيح . . وذلك
يظهر في أنه ترك عدداً ضخماً من الآيات التي صنعها يسوع ولم يدونها في
كتابه . ويلاحظ القارئ أيضاً أن المادة التي يدونها الكاتب هي مادة منتقاة
من بين كمية كبيرة من المعلومات التي كانت تحت يده . ويرجع سبب انتقائه
لها لا لأنها أكثر صحة من غيرها ، ولكن لأنها تؤدي إلى الهدف الخاص الذي
كان يضعه نصب عينيه ، لكي يبرهنه ويقود الناس إليه : إن كل المعلومات
التي كانت لديه صحيحة ولكنه كان يهدف إلى شيء خاص به :

(ب) إنه كان يكتب كتابه وقد وضع نصب عينيه أيضاً أعضاء الكنيسة
الذين يحتاجون إلى تثبيت إيمانهم . إن الذين يكتب إليهم هم جماعة من
المسيحيين الذين قبلوا الإيمان وأضحوا أعضاء في جسد المسيح ، ولكنهم مع
ذلك كانوا في مسيس الحاجة إلى هذا التعليم الذي يهبهم النظرة الثابتة في تفهم
شخصية المسيح . . إنه المسيح « ابن الله » ، أو بحسب قراءة أخرى « أن
يسوع المسيح هو ابن الله (٢٠ : ٣٠) . فهو كتاب تعليمي بالدرجة الأولى
ويظهر ذلك بكل وضوح في نوعية المعجزات التي جاءت فيه وخطابات
السيد المطولة لليهود ، ففي كل معجزة أو آية نجد إعلانات جديدة وتعاليم
يذكرها الرب .

(ج) ولكنه مع ذلك لا يعتبر كتاباً نظرياً يذكر الحقائق المجردة وكفى ،
لكنه كتاب الحق المتجسد : كتاب عملي ، والحقائق التي تذكر فيه هي

حقائق فعالة والحق المعلن حق ديناميكي . إنه ليس حقاً يحفظ عن ظهر قلب أو يحدد معلومات نظرية ، ولكنه حق يعطي حياة ، بل وحياة ممتلئة بكل ما هو مبارك ، إذ يقول السيد « جئت لتكون لكم حياة وليكون لهم أفضل » كل من يؤمن به يعطيه سلطاناً أن يصير ابناً لله .

هذا هو الهدف الذي يذكره الكاتب ، وكان يجب أن نقف إلى هذا الحد لولا أن العلماء في دراستهم استطاعوا أن يكتشفوا أشياء أخرى مهمة ملازمة لهذا الهدف الأول ، نذكر منها ثلاثة ، شعروا أنها أهداف أخرى تظهر في طيات هذا الكتاب :

١ - الهدف الأول استنتجه أكليمندس الاسكندري يعبر عنه بقوله «إن البشير يوحنا ليكون هو الروح في مقابل الأناجيل الثلاثة الأولى التي هي الجسد . وهو يعنى بذلك أنه بينما تذكر الأناجيل الأخرى الحقائق والوقائع الملموسة في حياة الرب ، فإن إنجيل يوحنا يظهر روح رسالة السيد ، ويعلن شخصيته ، مع أن بعض العلماء ظنوا أن الجانب الروحي معناه الجانب الإلهي ، أو الجانب الغنوصي ، أي المعرفة الإلهية العميقة المتضمنة في قول السيد ليعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يوحنا ١٧ : ٥) .

٢ - أما الهدف الثاني الذي يراه العلماء في كتابه الإنجيل فهو هدف دفاعي فقد رأوا أن القديس يوحنا يهاجم جماعتين :

الجماعة الأولى هي جماعة اليهود ، هذا الأمر نجده أيضاً في الأناجيل الثلاثة الأولى ، ولكنه يظهر بكل وضوح في إنجيل يوحنا . ففيه يظهر أن اليهود هم الأعداء الحقيقيون للمسيح ، لأنهم ينكرون أنه المسيح ابن الله الذي أتى من السماء (٥ : ١٨ ، ٨ : ٤٠ - ٤٩) ، ولأنهم يدبرون المؤامرات

لكي يتخلصوا منه ويقتلوه (١٠ : ٣١ - ٣٩ : ١١ : ٨ - ٥٠) . بل أنهم
يجرمون جميع الذين يعترفون به مسيحاً من المجمع (٩ : ٢٢ ، ١٢ : ٤٢) ،
وأكثر من ذلك كانوا يعتقدون أن من يقتل تلاميذه فإنه يؤدي خدمة لله
(١٦ : ٢) ، وعلى هذا الأساس فإن كلمة «يهود» في هذا الإنجيل تعني
دائماً اليهودى غير المؤمن (٢ : ١٨ ، ٢٠ و ٢٤ ، ٥ : ١٠ و ١٦ ، ١٨ :
٦ و ٤١ - ٥٢ . . إلخ) . وقد امتلأ الإنجيل بالمقابلة بل والمجابهة مع اليهودية .
فالتناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فيسوع المسيح صاراً (١ : ١٧) .
ومجيئ المسيح معناه نهاية الطقسية اليهودية (٢ : ١ - ١٠) ، ونهاية الهيكل
والعبادة فيه (٢ : ١٣ - ٢٢ ، ٤ : ٢١ - ٢٣) ، وما أبعد الفرق بين
المسيح وموسى ، فموسى لم يستطع أن يعطيهم الخبز الحقيقي ، ولكن الآب
أعطاهم في ابنه الذي أرسله من السماء هذا الخبز (٦ : ٣٢) . واليهود أنفسهم
ليسوا أبناء إبراهيم حقيقة بل هم أبناء الشيطان (٨ : ٣٩-٤٤) ، ولا يستطيعون
أن يذهبوا إلى موسى لأنه سيدينهم (٥ : ٤٥) . ولكنهم مع ذلك لو أخلصوا
لكبهم وفتشوا فيها بكل حكمة لوجدوا فيها الحياة الحقيقية ، لأنهم سيكتشفون
أنها تشهد له وبذلك يعرفون من هو ولكن هل يفعلون؟ (٥ : ٣٩) .

أما الجماعة الثانية التي يواجهها الإنجيل فهي تلاميذ يوحنا المعمدان . وهذه
الجماعة كان لها مركزها الكبير وغالباً ما كان لها تأثيرها في أفسس ، وذلك
بشهادة سفر الأعمال (أعمال ١٩ : ١ - ٨) . ويذكر التاريخ الكنسى أنهم
استمروا حتى القرن الثالث الميلادى . ويلاحظ أن هذه الجماعة كانت تعتبر
يوحنا المعمدان الشخص الآتى وأنه أعظم من المسيح نفسه لسببين : الأول
أنه جاء قبله ، والثاني أنه عمده ولذلك فهو أعظم منه . ولكن القديس يوحنا
يذكر وعظ يوحنا ورسالته ولكنه يترك منها الجزء الخاص بالتوبة وغفران
الخطايا ، ويركز على تأكيدته القوي على أنه ليس المسيح ولا النبي . ولكنه

جاء ليشهد للآتى الذى هو أعظم منه ، وقد كان قبله وهو الذى يعتمد بالروح القدس . إنه ليس النور بل جاء ليشهد للنور . (١ : ٦ - ٨) . إنه ليس العريس بل صديقه الذى يفرح لفرحه . (٢ : ٢٨ - ٣٠) . إن عظمة يوحنا تكمن فى أنه عرف المسيح الذى هو حمل الله الذى يرفع خطية العالم (١ : ٢٩) :

وهكذا يظهر القديس يوحنا لهذه الجماعة أن يوحنا المعمدان هو الشخص الذى ينادى أمام الملك ويعلن عن ظهوره ومجيئه بالنور والحياة الأبدية .

أما الجماعة الثالثة التى يشهد التقليد عنها أن القديس يوحنا حاربها هى جماعة الغنوسية . وقيل إنه حارب شخصاً خاصاً اسمه سيرنتوس Cerinthus . ولقد ذكر الآباء هذا لأنهم كانوا يؤكدون أن الإنجيل والرسائل كتبها شخص واحد . وهما فى الحقيقة اتجاه واحد ومدرسة واحدة ، كما سيأتى فيما بعد ، ويذكر العلماء أن الرسالة هى هجوم شديد ضد الغنوسيين . والمرطقة التى يحاربها هى تلك التى تنكر أن يسوع هو المسيح (١ يوحنا ٢ : ٢٢ و ٢٣) . إن المسيا لا يمكن فصله عن ابن الله وإذا فصل المفهوم ان ذلك إنكار للتجسد (يوحنا ١ : ١) . إن يسوع قد جاء فى الجسد . والكلمة صار جسداً وحل بيننا (يوحنا ١ : ١٤ و ١٥) . إنه ابن الله صار بشراً حقيقياً ، ولم يسكن مؤقتاً فى الإنسان يسوع المسيح كما تقول هذه المرطقة :

هذه هى الضلالة التى يجابهها الكاتب المقدس . وقد ظهرت هذه المحابمة بكل قوة فى الرسالة الأولى والثانية ، أما الإنجيل فإنه يركز على الجانب البشرى فى حياة يسوع وآلامه ، ففيه يظهر المسيح أحياناً متعباً وعطشاناً (٤ : ٦ و ٧) ، بل ويبكى على قبر اليعازر (١١ : ٣٥) ، وهو فى أشد حالات العطش على الصليب (١٩ : ٢٨) ، وأنه يموت كأي إنسان موتاً

حقيقياً وينزل من جنبه بعد طعنه دم وماء (١٩ : ٣٤) . إنه كان إنساناً كاملاً وجسده جسد حقيقى بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

هذه هى أهم الجماعات التى يجابهها إنجيل يوحنا ويرد عليها .

٣ - أما الهدف الثالث فيختص ببناء الكنيسة نفسها . وهذا البناء كان يتطلب عدة أمور تتجاوز مع الظروف والعصر الذى كتب فيه الإنجيل .

الأمر الأول : هو أن الإنجيلي أراد أن يفسر الإنجيل فى لغة هلينية . وهذا رأى تمسكت به الكنيسة على مدى عصور طويلة . وقد عبر عن هذا الرأى بكل وضوح العالم تشارلس دور فى كتابه « تفسير الإنجيل الرابع The Interpretation of the Fourth Gospel فأبرز التشابه والتوازي الفكرى بين هذا الإنجيل وبين كتابات الهلنيين مثل هرمس والغنوسيين وفيلو الاسكندري . ولكن هذا لا يعنى أن الإنجيلي قد اقتبس أقوال هؤلاء الكتاب أو أخذ أفكارهم ، لأن الفرق بين وشاسع بينه وبينهم خاصة فى استعمال المصطلحات . فإذا قارنا استعمال الإنجيل للاصطلاح « الكلمة » نجد أن الإنجيلي يستخدم الاصطلاح ولكن فى معنى يختلف كثيراً . ولعل ذلك يتمثل فى قول يوحنا « والكلمة صار جسداً » (١ : ١٤) فهذا لا يمكن أن يتصوره أو يتخيله أى مفكر هلينى إذ لا يعقل أن الروح الإلهى يصير بشراً أو مادة . ومع وجود هذا الاختلاف ، لكن البشير أخذ هذه القوالب لكى يصيغ منها المفهوم الجديد الذى أعلن فى التاريخ البشرى ، مفهوم الإنجيل ومجى ابن الله لكى يطلب ويخلص ماقد هلك ، ولكى يهب الحياة الأبدية لمن يؤمن به . وبذلك يستطيع أن يخاطب العقل الهلينى . هذا بالضبط ما فعله الرسول بولس وكاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما فسرا الإنجيل بالمفاهيم اليهودية كالكفارة والفصح ورئيس الكهنة وغير ذلك . وعلى هذا الأساس فكل من يظن أن الإنجيل هو

عبارة عن مفاهيم هلينية ربطها الإنجيلي ربطاً بحياة يسوع دون أن تكون لها الصلة العضوية الأصلية ، فقد أخطأ فهم هذا الإنجيل وهدف كاتبه .

أما الأمر الثاني: الذي يراه كثير من العلماء في الإنجيل هو أن القديس يوحنا قد كتبه واضعاً نصب عينيه أن يصحح فكرة كانت قد تغلغت في الكنيسة مفادها أن المسيح سيرجع سريعاً مرة أخرى في مجد أبيه ويعلم ملكوت الله بقوة . وهذه ما يسمى في الدراسات الكتابية بالاسخاتولوجي . وهذه سوف نرجع إليها مرة أخرى في دراسة الفكر اللاهوتي في الإنجيل .

هذه هي لمحة سريعة تبين لنا الهدف أو الأهداف الأساسية التي كتب من أجلها هذا الكتاب السامي .

تاريخ ومكان الكتابة :

تأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل ما بين قبل ٧٠ م إلى ما بعد ١٦٠ أو ١٧٥ ميلادية ولكن هذين التاريخين - المبكر جداً والمتأخر جداً - لا يقبلهما كثير من علماء هذا العصر . ويبني جماعة التاريخ المبكر رأيهم على الترتيب الذي يجدونه في خطابات السيد والأمور الدقيقة المذكورة فيها . ويقولون إنه لا بد أن واحداً من الذين سمعوا خطابات المسيح دونها مبكراً . وقد فرق هؤلاء العلماء ما بين هذه التعاليم التي كتبها يوحنا الرسول وما بين كتابة الإنجيل نفسه . ولا يقتصر الجزء المبكر على خطابات السيد فقط بل يمتد أيضاً إلى العقائد واللاهوت الموجود في الكتاب حيث أن هذه العقائد والتعاليم المشابهة للتفكير الهليني وجدت مبكراً عند جماعات ظهرت قبل المسيحية مثل جماعة الكمران . ولربما كتب الكاتب هذه التعاليم مبكراً عن جماعة الكمران الذين كانوا في حالة من القلق والاضطراب والبلبل الشديدة تحت ظل الحرب القاتلة التي ضاعقت فيها أورشليم والهيكل سنة ٧٠ م .

لكن هذه النظرية بأشكالها المختلفة لم تلق ترحيباً عند الغالبية العظمى من العلماء ولم يأخذوا بها لأن الشهادات الخارجية التي تشير إلى الإنجيل تنفي هذا التاريخ المبكر .

أما الذين ينادون بالتاريخ المتأخر جداً لكتابة الإنجيل أى في الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي فهم أتباع مدرسة توينجن التي كان يقودها بور Bour الذي بنى رأيه على نظرية الصراع الذي كان موجوداً في الكنيسة الأولى ، ما بين اليهوديين والرسول بولس ، واستمر هذا النزاع تبعاً لنظرية هيجل في التاريخ إلى أن تكون منهما عنصر جديد وهو الكنيسة الكاثوليكية التي بدأت في كتابة إنجيل يوحنا في أواخر القرن الثاني .

ولكن هذا الرأي لم يعد مقبولاً في العصر الحاضر أيضاً نظراً لشهادة بعض الآباء مثل إيريناوس وبوليكاريوس وغيرهما واقتباساتهم من الإنجيل في عصر مبكر عن هذا التاريخ المذكور . أما الضربة القاضية لهذا الرأي فقد جاءت من بردية P. 52 ٥٢ من مجموعة Rylands Papyrus التي وجد منها ٥ أعداد من إنجيل يوحنا (يوحنا ١٨ : ٣١ - ٣٣ ، ٣٧ و ٣٨) . وقد وجدت في مصر في الفيوم وقد قدر تاريخ كتابتها في سنة ١٣٠ م . وهذا يعنى أن الإنجيل قد كتب قبل ذلك التاريخ .

وعلى هذا فقد قدر العلماء أن الإنجيل كتب في أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني إلى ما بين ٩٠ - ١١٥ م .

أما مكان كتابة الإنجيل فقد ارتبط دائماً بأفسس وذلك لأن التقليد يقول إن يوحنا الرسول عاش في أفسس ، وأن هناك كانت جماعة يوحنا المعمدان بتأثيرها القوي . وهناك أيضاً بدأت الأفكار التي تبلورت بعد ذلك العصر إلى

٥٦١

(م ٣٦ - المدخل الى العهد الجديد)

الغنوسية ، هذا إلى جانب أقوال الآباء الذين ذكروا أن الرسول كتب الكتاب في أفسس .

ولكن هناك من لم يقتنع بهذا الرأي . وبدأوا يفترضون إمكانية أخرى ، كان أولهم الآب أفرام السرياني الذي كتب تفسيراً على الديايطرون وذكّر في أحد الملاحق أن إنجيل يوحنا كتب في أنطاكية سوريا . وقد تمسك بعض علماء العصر الحاضر بهذه النظرية لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة أغناطيوس والإنجيل ، وأغناطيوس هذا أنطاكي . ولكن هذه النظرية لا تقوم على أساس قوى .

وقد اقترح علماء آخرون أنه كتب في الاسكندرية نظراً لوجود أوراق البردي في مصر ولأن فيلو الفيلسوف الاسكندري الذي تكلم بإفاضة عن « اللوغوس » أى الكلمة . ولكن هذا الرأي لا يستطيع أن يقنع الكثيرين . . لأن مصر أعطت للعالم أنواعاً كثيرة من أوراق البردي ، ولأن عقيدة اللوغوس ارتبطت بفلاسفة آخرين يونانيين غير فيلو الاسكندري .

وأخيراً ظن آخرون أن الإنجيل كتب في جنوب اليهودية في فلسطين نظراً لما في الإنجيل من عناصر يهودية بارزة وخصوصاً لمجاهاة الإنجيل معهم . ولكن هذا الرأي لا يمكن أن يقوم نظراً لأن المسيحية واليهودية بعد ٧٠ م وضياع أورشليم أضحت جماعة منعزلة عن بقية المسيحية ولم يعد لهم التأثير الذي كان لهم في الكنيسة الأولى .

هذه هي بعض الآراء المختلفة والتي لا يمكن يعطى الشخص رأيه فيها بكل يقين وتأکید إلا أننا نرجح أن الإنجيل كتب حوالي ١٠٠ م في أفسس لأن هذا الرأي يتفق وكثير من الأمور الحيوية الخاصة بالإنجيل .

خلفية إنجيل يوحنا :

عندما نذكر كلمة «خلفية» إنجيل يوحنا لا نقصد بها الظروف والدوافع التي جعلت الإنجيلي يكتب هذا الإنجيل ، ولكننا نقصد المصادر التي استخدمها في التعبير عما يريد أن يكتبه . من أين أتى بكثير من المادة التي يضعها في كتابه والصور التي يوضح بها هذه المادة ، والاصطلاحات والقوالب التي يصحبها فيها . لأن هذه الدراسة تعطى المفسر نوراً أوضح يستطيع به أن يفهم الهدف الذي يقصده الكاتب وما يريد أن يقوله . وفي دراستنا لكاتب العهد الجديد كان علينا أن ندرس هذه الخلفية ، خلفية الرسول بولس وكاتب العبرانيين ولوقا الإنجيلي ومتى ومرقس وكل الكتاب والكتابات ، وبدون شك تظهر لنا الخلفيات مركبة ومعقدة ، لكن إنجيل يوحنا يفوقها جميعاً في هذا الأمر ، مما يدفعنا إلى تحليل الكتاب لنرى إلى أي مصدر يصدر عنه هذا الاتجاه أو ذلك . . ولقد فرق العلماء ما بين ٣ مصادر هامة اعتمد عليها الكاتب عندما كتب كتابه : المصادر المسيحية ، المصادر اليهودية ، المصادر الهلينية .

١ - المصادر المسيحية :

هذه المصادر المسيحية التي يظن العلماء أن إنجيل يوحنا يرتبط بها هي ثلاثة : الأناجيل الثلاثة الأولى « متى ومرقس ولوقا » وهذه قد درسنا صلة الإنجيل بها في دراستنا لقضية الأناجيل الثلاثة ثم صلة الإنجيل بكتابات يوحنا الأخرى « الرسائل الثلاث والرويا » وهذه سندرسها فيما بعد ، أما المصدر الثالث فهو « الرسول بولس والكنيسة الأولى » .

١ - صلة الإنجيل بالكنيسة الأولى والرسول بولس :

اختار يوحنا الإنجيلي أن يكتب إنجيلاً ، وبذلك وضع نفسه في الخط المسيحي الأول للكنيسة الأولى . فهو يكتب ليقدم البشارة والحياة الأبدية

لمن يؤمن بأن يسوع هو المسيح (٢٠ : ٣١) . وعلى هذا فهو يبني على عقيدة واختبار الكنيسة الأولى في أبوة الله . وأنه هو الخالق لكل شيء : والمحاكم على كل شيء . والمدير للخلاص (يوحنا ٦ : ٤٤ : ١٥ : ١٦) . ويؤمن بأن يسوع هو المسيح وأنه قد جاء في الجسد فرآه الناس ولمسوه وعرفوه . (١ : ١٤) . وفي الإنجيل نجد الإشارة إلى المعمودية (٤ : ١) ، وإلى العشاء الرباني (٦ : ٥٢ - ٥٨) مما يضعه في وصف الكنيسة الأولى وعقائدها وإلى جانب ذلك فإنه ينبر على الإيمان في المسيح يسوع ، وعلى المحبة في الحياة المسيحية علاوة على طاعة المؤمن لسيده : هذه الأمور كلها يتفق فيها إنجيل يوحنا مع الكنيسة الأولى ، وكذلك مع بولس الرسول . لكن صلة يوحنا الإنجيلي بالرسول بولس تذهب إلى أعمق من ذلك ، ففي كتابات كل منهما نجد تفسيرات منطوية للمسيحية : فليس المسيح هو المسيا المنتظر فقط ولكن كلاهما يتكلم عنه كالسابق الوجود Pre-existent (يوحنا ١ : ١ - ١٨ ، كورنثوس ١ : ١٥ - ١٧) نعم يستخدم الرسول بولس في التعبير عن ذلك الاصطلاح اليهودي « الحكمة » بينما يستخدم يوحنا الاصطلاح اليوناني « الكلمة » ، ولكن ما يقصده كل منهما مواز للآخر . فالحكمة لها نفس صفات وأعمال الكلمة ، ولعل الاثنان كانا يحاربان نوعاً من المرطقة التي بدأت تظهر عن يسوع المسيح وشخصيته .

وإلى جانب ذلك فيعتقد الاثنان أن موت يسوع وقيامته يكونان مركز الفداء الذي أعده الله للناس بواسطته ، ولكن مفهوم الاثنان للخلاص والإطار الذي يوضع فيه يختلف أحدهما عن الآخر فبينما الرسول يعبر عن ذلك بالتبرير بالإيمان ولا تدخل لأعمال الناموس فيه (رومية ٥) فإن القديس يوحنا يفكر في إطار الانتصار على قوات الشر والخطية (يوحنا ١٢ : ٣١ و ٣٢ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ٣٣) . أما صلة الإيمان بالأعمال وموقف الاثنان من هذا كله .

فإن إنجيل يوحنا لا يظهر أى نوع من التعارض ، أو أن هناك أى إشارة إلى الصراع بين من يريدون أن يرجعوا بالمسيحية إلى أحضان اليهودية وبين من يريدون أن يحرروا الحياة المسيحية من أعمال الناموس كواسطة للبر والتبرير . كما ظهر ذلك فى عصر الرسول بولس . فإنجيل يوحنا يذكر الختان (٧ : ٢٢ و ٢٣) : ولكن لا أثر للفكرة أن الختان يمثل الناموس كواسطة للخلاص . . وإلى جانب ذلك فإن يوحنا يذكر أن العمل الحقيقي الذى يعمله الإنسان هو أن يؤمن بالذى أرسله الله (٦ : ٢٩) . فهل يختلف الاثنان إلى درجة التناقض ؟ كلا فإن مفهوم الإيمان هنا فى إنجيل يوحنا هو الاعتراف بأن يسوع هو المسيح ابن الله (٢٠ : ٣١ و ٣٢) . بينما الإيمان عند الرسول هو الثقة الكاملة فى عطية الله والتسليم المطلق لعمله الصالح فى المسيح (رومية ٤) . فكل منهما ينظر من زاوية مختلفة نظراً للظروف المختلفة التى عاش فيها كل منهما .

ويتكلم كل منهما عن اليهود . ولكن الإنجيلي يوحنا يتكلم عنهم كجماعة قد رفضوا الرسالة ووضعوا أنفسهم فى مكان الأعداء ، وانتهى الأمل فى قبولهم للمسيح ، أما الرسول بولس فإنه يتكلم عنهم بكل عاطفة ومحبة متألمة لدرجة أنه يود لو كان هو نفسه محروماً من أجل أن يقبلوا هم الرسالة (رومية ٩ : ١ - ٣) . وكان يرى الأمل الكبير فى رجوعهم عندما يغاروا من الأمم الذين يقبلون عطية الله فى المسيح يسوع (رومية ١١ : ٢٥) . وهكذا يرى فيهم الرسول بولس أبناء إبراهيم (رومية ٩ : ١ - ٦) ، بينما يرى فيهم يوحنا الإنجيلي أبناء الشيطان (يوحنا ٨ : ٤٤) .

ويشترك الاثنان فى شرح علاقة المؤمن بالمسيح . فالرسول بولس يضع ذلك فى أهم اصطلاح عنده « فى المسيح » (رومية ٨ : ١ ، ٢ كورنثوس

٥ : ١٧ إلخ) . وهذا ما يظهره القديس يوحنا في يوحنا ١٤ : ٢٠ ، ١٥ :
٥ . . . إلخ .

من هذا يظهر أن القديس يوحنا لا يعتمد على الرسول بولس في لاهوته ،
إن الاثنين يتشابهان في العقائد الأساسية المسيحية التي ورثاها عن الكنيسة
الأولى ، الله الآب والمسيح المسيا والروح القدس وعمله في المؤمنين بعد
صعود المسيح . وفي التريصتين المسيحتين المعمودية وعشاء الرب ، ولكنهما
بعد ذلك مستقلان كل الاستقلال في تفسير هذا اللاهوت وتطويره ومن
الأرجح أن القديس يوحنا كان يعرف شيئاً من تفكير الرسول بولس ولكنه
مع ذلك كان مستقلاً عنه في تفسيره للخبرة المسيحية .

٢ - الخلفية اليهودية :

عندها نتكلم عن الخلفية اليهودية لإنجيل يوحنا فإننا نقصد بذلك العهد
القديم ثم اليهودية بالمعنى الخاص ، ولكل من هذين المصدرين تأثير كبير على
إنجيل يوحنا .

العهد القديم :

كانت علاقة القديس يوحنا بالعهد القديم علاقة قوية ، فهي علاقة معرفة
عميقة . وفهم خاص واعتماد كبير . ويبدو أنه كان يستخدم الترجمة السبعينية
للعهد القديم ، ولكنه كان يستطيع أن يستخدم أيضاً الكتاب العبراني أيضاً .
ويتلخص استعمال القديس يوحنا للعهد القديم في الأمور التالية :

(أ) الاقتباس المباشر ، فمثلاً يوحنا ١٠ : ١٦ مأخوذة من حزقيال
٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٤ ، يوحنا ١٠ : ٣٤ مأخوذة من مزور ٨١ و
٨٢ : ٦ ، يوحنا ١٢ : ٣٨ من إشعيا ٥٣ : ١٠ ، يوحنا ١٦ :

٢٢ من إشعياء ٦٦ : ١٤ ، يوحنا ١٩ : ٢٤ من مزمو ٢١ ، ٢٢ : ١٩ .
وهناك اقتباسات كثيرة ومتعددة من العهد القديم ، يمكن أن يرجع الدارس
إلى كتاب مقدس بشواهد لمعرفة ، . ولكننا نلاحظ أن معظم الاقتباسات
تأتي في قصة الآلام ، ولقد اقتبسها بطريقة تختلف عما فعله كتاب الأناجيل
الأخرى الذين أخذوها كشواهد على صدق الرسالة التي جاء بها المسيح في
حياته وموته وقيامته وشخصيته ، فلا يبدأها بالقول « لكني يتم ما قيل بالنبي »
أو « لكي يتم المكتوب » . ولكنه يدخل الاقتباس في شرح رسالة السيد كجزء
من عمله ورسالته . إنها تفسير وليست برهان لشخص المسيح .

ولكن استخدام القديس يوحنا للعهد القديم لا يتوقف إلى هذا الحد وإلا
فلو توقفنا عند حد الاقتباس المباشر لرأينا أن يوحنا لا يهتم بالعهد القديم
كثيراً مثل الأناجيل الثلاثة الأخرى . ولكنه يتعدى هذا الاقتباس إلى
استخدام المواضيع الكاملة في العهد القديم . مثل الخليقة والظهورات في سيناء
(يو ١ : ١ - ١٨) وقصص الآباء (٤ : ١٢) ، ابن الإنسان والقيامة من
الأموات كما هي في دانيال ٧ و ١٢ (يوحنا ٥ : ١٩ - ٢٩) المن من السماء
والناموس (٦ : ٢٥ - ٥١) وهكذا . بل هو يذهب إلى ما هو أبعد فيضع
موضوعاً كاملاً على آية واحدة في العهد القديم فمثلاً : عندما يتكلم إشعياء عن
رياء بنى إسرائيل في إشعياء ٢٩ : ١٣ يقتبس القديس مرقس هذا العدد
لكن يصف رياء الفريسيين (مرقس ٧ : ٦ و ٧) . أما القديس يوحنا فإنه
لا يقتبس العدد من إشعياء ولكن يظهر معناه بطريقة حجة قوية في قصة
نيقوديموس (يوحنا ٣ : ١ - ٢١) في مناقشة شهادة العهد القديم وشهادة
يوحنا له ٥ : ٣١ - ٤٧ في ٧ : ١٩ - ٢٤ حيث يتختم اليهود أولادهم
يوم السبت ويشككون من يسوع لأنه يشقى في يوم السبت وفي ٨ : ٣٩ -
٤٤ يفكر أولاد إبراهيم أن يقتلوا إنساناً بريئاً . وهكذا يظهر يوحنا هذا

الرياء في حوادث وعبارات حية وقوية دون اقتباس العدد الذي يشرحه وقس على ذلك في مواضيع كثيرة .

هذا هو استخدام يوحنا للعهد القديم . .

اليهودية :

أما إذا جئنا إلى اليهودية فإننا نجد لدى القديس يوحنا معرفة ظاهرة واضحة بكل ما يتعلق باليهودية من بلاد وعادات وثقافة وديانة .

فهو يعرف جغرافياً البلاد في اليهودية معرفة جيدة ، وخصوصاً أورشليم وما حولها مما يوحى بأن الكاتب إما أنه كان شاهد عيان أو أنه حصل على معلومات وافية كاملة . وكذلك يعرف عادات وأعياد وهو اسم اليهود كالفصح وعيد المظال والتجديد والطقوس المرتبطة بها (٧ : ٣٧) وطقوس التطهير (٢ : ٦) . ثم أنه يعرف عن السامريين وعلاقتهم باليهودية الرسمية (٤ : ٢٠ - ٢٥) . ويمكنه أن يترجم الكلمات الفنية كالمسيا وربوني (٤ : ٢٥ ، ٢٠ : ١٩) وغير ذلك .

وكان القديس يوحنا يعرف النضايا اليهودية الحية في ذلك العصر كقضية السبت (٥ : ١٧) . وفي الأصحاح السادس يظهر الكاتب أنه يعرف أن إعطاء المن من السماء في البرية عند الربيبين اليهود يساوي إعطاء الناهوس تماماً . وفي (٦ : ٤٥) يعرف كيف يجادل كما يجادل المعلمون اليهود . ويعرف أيضاً قضية المسيا الذي يأتي متخفياً كما اعتقد هؤلاء المعلمون (٧ : ٢٧) ، ولكن ذلك لا يظهر في كتب العهد القديم . والمناقشة في ص ٨ هي مناقشة بأسلوب معلمى اليهود . هذا كله يبين أن القديس يوحنا كانت له معرفة كبيرة بالقضايا والمناقشات اليهودية والمسيحية مما يجعل بعض العلماء يقولون إن كتابة

هذا الإنجيل بدأت قبل طرد المسيحيين من المجمع اليهودي سنة ٨٥ م . وهذه النتيجة يؤكدها اختفاء الصادوقيين والغيورين من الإنجيل بناتاً (مع أن واحداً من الغنאים كان من سزيب الغيورين) (روم ١٨: ٣) ، ولا نقابل فيه سوى القرويين الذين أصبحوا بعد اختفاء الأحزاب الأخرى بعد خراب أورشليم هم القادة الحقيقيون للشعب .

وقد أظهر النديس يوحنا أيضاً أن له معرفة واسعة بجماعة الكهوان أو الاليسانيين (في الغالب) . وهناك اختلاف كبير بين التفكير المسيحي والتفكير هؤلاء كما يظهر في مخطوطات البحر الميت . مع أن هناك تقارباً كبيراً في بعض النواحي من التفكيرين . فهم كانوا يعتقدون كالمسيحيين أن فيهم وفي تاريخهم قد تمم الله قصده ووعده الواضح في الأنبياء : وكانوا ينتظرون المسيا الآتي من السماء . وكان لهم بعض تفسيراتهم الخاصة المتقاربة كثيراً من التفسيرات المسيحية للعهد القديم . وقد تأثروا بالتفكير الخارجي سواء أكان الفارسي أو الهليني سواء في المتابعة والمجابهة بين النور والظلمة الشيء الذي يظهر بوضوح في إنجيل يوحنا : وروح الحق وروح العرش والخطأ كما يظهر في يوحنا ٨ : ٤٤ . ١٤ : ١٧ . ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣ .

وهذا لا يدل على أن يوحنا تأثر بـ هؤلاء الجماعة نظراً لاختفائهم بعد خراب أورشليم ولكن مع ذلك فيلوح أن التفكير هم كان منتشرأ بين اليهود في ذلك العصر . ومع أن الربيين كانوا يمتقنون تلك الجماعة لكنهم أخذوا كثيراً من تعاليمهم وطوروها ووقفوها مع تعاليمهم ، فطوروا المجابهة بين الظلمة والنور وجعلوها مجابهة في الإنسان نفسه ، في طبيعته بين الميول الحسنة والميول الشريرة « بَصِيرَها طَوْفٌ » « بَصِيرَها رَعٌ » .

من هنا كان اتصال القديس يوحنا بهذه الأفكار التي كانت تكون جزءاً
من التفكير اليهودي العام (٢) .

٣ - الخلفية اليونانية :

هناك شبه إجماع على أن إنجيل يوحنا كتب لكي يفسر الرسالة المسيحية
لكي يفهمها المثقف اليوناني ، فقد أصبحت الثقافة الهلينية رباطاً يجمع العالم
كله في إطار فكري موحد . هذه الثقافة تتكون من مزج الحضارة اليونانية
الكلاسيكية والديانات الآتية من الشرق ، فأضحت بهذه الكيفية أكثر جذباً
للعقل اليوناني الذي لم يعد يكتفي أو يشبع بالحضارة اليونانية ولم تسلم اليهودية ،
وخصوصاً يهودية الدياسبورة من آثار هذه الثقافة الهلينية ، وأصبح يهود
الاسكندرية حقلاً خصيباً لهذه الثقافة ، وصار فيلو من الاسكندرية أهم مثل
للإيمان الهليني . وعندما انتشرت المسيحية في آسيا الصغرى لم يكن هناك
مفر من الاحتكاك بهذه الثقافة ، وكان لا بد أن يقتني بعض الفلاسفة المسيحيين
آثار فيلو الاسكندري . ولهذا السبب ظهر الإنجيل الرابع . . لإنجيل يوحنا ،
فكيف حدث ذلك ؟

فيلاو والإنجيل :

أراد فيلو - الفيلسوف اليهودي أن يفسر إيمانه اليهودي في ضوء الفلسفة
اليونانية ، أو فلسفته هو التي كانت مزيجاً من الأفلاطونية والرواقية . وتتلخص
فلسفة أفلاطون في الفصل بين عالمين : عالم الحقيقة وهو العالم الأبدي غير
المنظور ، ثم عالم المادة المنظور الملموس عالم الزمان والمكان الذي نعيشه نحن .
ولقد طبق الفلاسفة الذين تبعوا أفلاطون هذه المقابلة على العقل الذي يمثل
العالم الحقيقي ثم الجسد وهو يمثل عالم المادة الذي يخضع للتطورات الزمنية
والمكانية . وقالوا إن هذا العقل يستطيع أن يتحرر من الجسد عن طريق

التأمل والحياة الفكرية التأملية ، وبذلك يتحد مع الله الذي هو الخير الكامل .
أما الفلسفة الرواقية فتنادى باللوجوس وهو مادة غير محسوسة لا يمكن لمسه
ولكنه يتدخل في كل شيء في الكون . إنه إلهي ولكنه يعبر عن نفسه بأشياء
مادية حية كانت أم جامدة . فاللوجوس هو الله وهو الكون ، ونستطيع
أن نلمسه بشكل واضح في العقل البشري الذي هو جزء من الله – وهكذا
يظهر التوافق بين النفس البشرية والنفس الكلية التي هي الله أو هي الكون .
ومتى أراد الإنسان أن يعيش الحياة المثلى فعليه أن يتوافق مع اللوجوس أي
النفس الكونية التي تحيط بالإنسان وهي فيه ، وهكذا يصبح الإنسان ابناً لله .

هنا جاء بوسيدونيس Posidonus (١٠٠ ق . م) وخطت الفلسفتين
معاً ، فخلط اللوغوص (الرواق) بالعالم الأبدى الغير منظور (الأفلاطوني)
معاً ، وجعل اللوغوص هو الوسيط ما بين الأبدى أو الله والمادى المنظور .
ولكن الشخص الذي يهمننا في هذا الموقف هو فيلو الفيلسوف اليهودي ،
الذي بحكم يهوديته رفض الحلولية التي تميز مذهب الرواقين ، فإله منفصل
عن الطبيعة ، بل هو الذي خلقها ، ويرفض فكرة أفلاطون من جهة هذا العالم
المادى ولكنه يربط الاثنين بعقيدة أو فكرة اللوجوس . ويعتقد فيلو أن
اللوجوس يعنى أمرين : الأول : الفكرة أو الخطة التي في عقل الله ، أما المعنى
الثاني الكلمة التي ينطقها الله فتخرج منه وتعبّر عنه ، التي بها كل الأشياء .
ومن الطبيعي أن يجد فيلو سنداً لعقيدته هذه في العهد القديم كفكرة الحكمة
مثلا (أمثال ٨) .

اللوجوس إذن هو واسطة خلق العالم والعناية به ، وعن طريقه يحكم الله
هذا الكون ، ولذا أطلق عليه فيلو اسم « ملاك » أو « رئيس الملائكة » وكلها
أسماء من العهد القديم . ومن الناحية الأخرى صار اللوجوس واسطتنا لمعرفة

الله نفسه ، الذى لا يمكن أن نعرفه عن طريق آخر . إن هذه المعرفة المباشرة لله لا تتحقق إلا لجماعة كاملة لا عيب فيها ، أما الذين لم يصلوا إلى الكمال بعد فلن يعرفوه . وهنا يتدخل اللوجوس كإله للبشر الذين لم يكملوا فيكشف لهم عن الله ويعرفهم به . ويبنى فيلو هذا الرأى على ما ورد في خروج ٢٣ : ٢٠ « أرسل ملاكى قدام وجهك » فاللوجوس هو الذى يقود الشعب الذى لم يصل إلى الكمال .

هذه بعض ملامح الفلسفة اليونانية والهلينية وفيلاو ، فهل كان القديس يوحنا متأثراً بها؟ هل تأثر بفلسفة أفلاطون عندما فضل عالم الحقيقة عن عالمنا ، وهو الذى يقول « والكلمة صار جسداً » (يوحنا ١ : ١٤) ؟ وهل تأثر بالرواقية وهى تعتقد بأن الله هو الكون ، والكون هو الله ؟ وهل تأثر بفيلاو وعقيدته فى اللوجوس ؟ هناك أمران يفرقان ما بين يوحنا وفيلو . وهما : أولاً أن فيلو لا يعتقد بأن اللوغوص شخصية ولكنه فكرة فى عقل الله وكلمة يقولها ، أما القديس يوحنا فيقول إن اللوغوص شخصية : إنه كان عند الله . والفرق الثانى مبنى على الأول وهو أن اللوجوس صار جسداً وهو ما لا يمكن أن يتخيله فيلو .

إن الشئ الذى يشترك فيه يوحنا وفيلو هو أن كل منهما يرجع إلى العهد القديم ويستمد منه صور تفكيره . لكن فيلو حاول أن يحول العهد القديم عن طريق التفسير المجازى إلى جزء من الفلسفة اليونانية ، بينما فسر القديس يوحنا العهد القديم - كما فسرتة كل الكنيسة الأولى - فى ضوء المسيح المتجسد .

أسطورة الخالص :

لكن قبل أن نترك هذا الجزء من الدراسة يستحسن أن نعرض لفكر دينى آخر ملأ العالم الهليني وكانت فيه بعض العبارات نجد لها صدى فى

لإنجيل يوحنا . وكان يركز حول أسطورة المخلص وهو من ضمن الديانات السرية التي درسنا شيئاً عنها من قبل . وليس لنا أن نضيف شيئاً هنا إلى ما قيل سوى أن الخلاص الذي ينشده الإنسان في هذه الديانات السرية كان يأتي - كما كانوا يعتقدون - عن طريق مخلص . وهذا المخلص إما أن يوهبه الخلاص بطريقة طقسية Sacramental عن طريق اتحاد الإنسان بهذا الإله المخلص في موته وقيامته ، أو أن يوهبها كما تقول بعض أنواع الغنوسية التي ظهرت وقت كتابة هذا الإنجيل ، عن طريق معرفة خاصة سرية بواسطتها يرتفع الإنسان إلى المستوى الإلهي . وكانت هذه العظية - أي المعرفة - تجيء بواسطة نبي أو بواسطة المسيح كما صرح بذلك الدوسيتيون . هذا المسيح ظهر في يسوع كأنه إنسان مع أنه في الحقيقة لم يكن له إلا مظهر الإنسان حتى يستطيع أن يعطي المعرفة .

وقد ظن بعض العلماء أن يوحنا اقتبس بعض تفكيره من هذه الديانات حتى أنها تظهر في بعض آيات الإنجيل مثل ٣: ١٢ و ١٣ و ٣١ و ٣٢: ٦٠ و ٦٢: ١٦ و ٢٨: ٣: ١٧) . وظنوا أنه استقاها من تلاميذ يوحنا المعمدان الذين نقوا هذه التعاليم إلى أفسس . ولكن خطأ هذا الرأي يكمن في أن هذا النوع من التعاليم ظهر متأخراً عن ظهور تلاميذ يوحنا المعمدان فلا يمكن أن يكونوا واسطة نقلها . أما المعرفة التي يعطيها الإله الذي ينزل من السماء ويصعد إليها ، هي فكرة مسيحية مبنية على الكتاب المقدس ، لأن المسيحيين يعتقدون أن سيدهم جاء من السماء وصعد إلى السماء لأنه ابن الإنسان كما جاء ذلك في دانيال ٧: ١٣ وهكذا بنت الكنيسة لاهوتها في المسيح (فيلبي ٢: ٥ - ١١ ، أفسس ٤: ١ - ١٦ ، كولوسي ١: ١٥ - ٢٠) . لقد أرسل الله ابنه إلى العالم رومية ٨: ٣ ، غلاطية ٤: ٤) . وهذه ليست فكرة غنوسية بل فكرة مسيحية استخدمها القديس يوحنا (٣: ١٧ و ٣٤ ، ٥: ٢٤ ، ٣٦ و ٣٧) .

وهكذا يترأى لبعض الدارسين أن القديس يوحنا يستعمل لغة ترجع إلى أصل هليلي ، ولكنها في الحقيقة مبنية على العهد القديم واليهودية .

وهناك أسئلة أخرى وقضايا يقابلها دارس إنجيل يوحنا ، مثل قضية لغة الإنجيل الأصلية وهل كتب أصلاً باللغة الآرامية ؟ أم أن الكاتب اعتمد على مصادر مكتوبة بلغة سامية ، وذلك نظراً للسامية التي تظهر فيه ؟ أم أن الكاتب أصلاً كان سامياً ولكنه يكتب باللغة اليونانية ؟

وهناك قضية أخرى هي ترتيب مادة الإنجيل . فهل حدث اختلاف في ترتيب أوراق البردي الذي كتب عليها الكتاب فحدث بعض الاختلاف في الترتيب الأصلي كما يقول بعض العلماء ؟ فمثلاً ما هو الترابط الموجود ما بين ١٤ : ٣١ ، ١٥ : ١ ، فبينما ينقطع الخطاب في ١٤ : ٣١ نجده يبدأ ثانية في ١٥ : ١ كأنه لم يكن هنا انقطاع وكأن ١٤ : ٣١ لم يكن . ومثل آخر : إذا قرأنا ٧ : ١٥ - ٢٤ قبل ٧ : ١ - ١٤ قد يكون تتابع الحوادث أكثر منطقية وانسياباً .

وفي ص ١٨ إذا وضع العدد ١٨ : ٢٤ ما بين ١٨ : ١٣ و ١٤ تستقيم القصة . وهكذا أشياء كثيرة من هذا القبيل لا داعي لمناقشتها . لكن السؤال الذي نريد أن نواجهه الآن هو : ما هي الصلة بين إنجيل يوحنا وبقية الكتابات الأخرى المنسوبة إليه أي الرسائل الثلاث وسفر الرؤيا ؟ .

الصلة بين الإنجيل وبقية كتابات يوحنا :

إذا فتحنا الكتب الخمسة فلا يظهر إلا في سفر الرؤيا وحده اسم الكاتب وهو يوحنا (رؤيا ١ : ٤ و ٩) أما في الرسائل الثانية والثالثة فيذكر الكاتب نفسه بلقب الشيخ (٢ يوحنا ١ ، ٣ يوحنا ١) أما الرسالة الأولى فلا تذكر شيئاً من هذا القبيل . فما هي الصلة بين هذه الكتابات كلها ؟

١ - هناك شبه اتفاق بين علماء الكتاب المقدس على أن كاتب الإنجيل لا يمكن أن يكون هو نفسه كاتب سفر الرؤيا . وهذا الرأي ليس حديثاً ولكنه يرجع إلى أوريجانوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، الذي بنى ذلك على الاختلاف الواضح البين بين لغة الكتابين فبينما تظهر لغة إنجيل يوحنا وأسلوبه بسيطاً صحيحاً في تركيبه وقواعده اللغوية ، تأتي لغة سفر الرؤيا وأسلوبه على النقيض من ذلك . فالأسلوب قوى وحى ولكنه لا يلتزم بالقواعد اللغوية . وهناك اختلاف ثان بين السفرين إذ كل منهما يعكس شخصية تختلف عن الأخرى . فبينما يستمر كاتب إنجيل يوحنا في إخفاء اسمه وشخصيته ، يتكلم كاتب سفر الرؤيا عن عمله كنبى ويفصح عن اسمه (يوحنا) . زد على ذلك الثراء الواسع في الاصطلاحات والمواضيع الذى يشتهر به الإنجيل مثل النور والحياة والحق والنعمة مما لا يظهر في سفر الرؤيا .

ومع ذلك فهناك كثير من التشابه بين الكتابين يوحى بأن هناك ارتباطاً بينهما إذا لم تكن وحدة المؤلف فلا أقل من أن يكون الاثنان نتاج مدرسة فكرية واحدة ومن دائرة واحدة : تلتف حول مركز واحد في أفسس . فلنترك سفر الرؤيا الآن لدراسته على حدة .

٢ - فإذا انتقلنا إلى الرسائل فإننا نجد أن الرسالتين الثانية والثالثة من الصغر بحيث لا تؤثران كثيراً في دراستنا . . كل ما نستطيع أن نقواه هو أن كاتبهما في الأرجح جداً هو نفسه كاتب الرسالة الأولى لكنه كتبهما في موقفين مختلفين . فالرسالة الثانية كتبت إلى « كيرية المختارة » . ومع أن الاسم هو اسم علم يطلق على سيدة ، لكن وصفه لها في الرسالة يوحى بأنها كنيسة وليست سيدة ، فأولادها كثيرون ، بعضهم يسلك بالحق (ع ٤) . إنها محبوبة ليس من الشيخ فقط بل من جميع الذين يعرفون الحق ، وأولادها

هكذا محبوبون (ع ١) . لها أخت لها أولاد . وأختها هذه مختارة كما هي أيضاً (ع ١٣) . فالرسالة إذاً مرسله إلى كنيسة بذاتها « كنيسة محلية وأختها هي كنيسة أخرى . وتشبيه الكنيسة : أو الشعب : أو الأمة بسيدة ليس غريباً على الكتاب المقدس (إشعيا ٥٤ ، غلاطية ٤ : ٢١ - ٣١ ، ١ بطرس ٥ : ١٣) . ولعل « الشيخ » كتب هذا الخطاب ، بهذه الكيفية ، نسبة للظروف التي كانت تحيط بالكنيسة كما يظهر في ١ يوحنا ٣ : ١٣ ، من أن العالم يبغضها ، فأراد أن يجعل غطاء من السرية على الكنيسة والأعضاء فيها لدواعي أمنهم أما لماذا كتب لهم فهذا سيأتي في دراسة عن فكر الرسول في كل كتاباته .

أما الرسالة الثالثة فعلى العكس من الثانية فهي مكتوبة إلى شخص بالذات اسمه « غايس » : وكل الرسالة تنفق أنه لا يمثل جماعة أو كنيسة ، ولكنه شخص ، يشهد له جميع من عاينوه وقابلوه أمام الكنيسة كلها . كتب إليه يوصيه بالأخوة الغرباء الذين يأتون إليه . وقد قيل في التقليد إن الشيخ أقام غايس هذا أسقفاً على برغامس ولا اعتراض على هذا التقليد سوى أنه متأخر بعض الشيء (٥) .

٣ - بقيت أدهنا الرسالة الأولى ، ولكنها في ذاتها شيء يختلف عن الرسالتين الثانية والثالثة . وهذا الاختلاف لا يتوقف فقط عند حد طولها عن الرسالتين . ولكنها يتضمن أيضاً الشكل الخارجى لها . فبينما نجد الرسالتين مكتوبتين بالطريقة الكلاسيكية للرسائل المتبعة في ذلك الوقت ، أى أن الكاتب يذكر اسمه واسم المكتوب إليه والتحيات ، نجد أن الرسالة الأولى لا تظهر هكذا ، فلا يوجد فيها اسم للكاتب أو المكتوب إليهم . ولا توجد فيها خاتمة رسائل أيضاً . وأولا بصفة جمل تظهر فيها مثل أكتب إليكم أو كتبت إليكم لما اعتقد أى دارس أنها رسالة أصلاً (٢ : ١ و ٧ و ٨ و ١٢ - ١٤) .

كاتب الرسالة :

هذا هو السؤال الصعب في هذه الرسالة لأنها لا تكشف ، لا تصريحاً ولا تلميحاً ، عن الكاتب بخلاف الرسالتين الأخريين . وإذا كنا نرجح ترجيحاً كبيراً أن كاتب الرسالة الأولى هو نفسه كاتب الرسالتين . نظراً للتشابه الكبير بينهما جميعاً ، فما هي صلة الرسالة الأولى بالإنجيل في هذه القضية ؟ هل كاتبهما واحد ؟ لقد اتقسم العلماء إلى فريقين الأول يؤكد أن كاتب الاثنين هو يوحنا وبعضهم يرفض هذه النظرية ويقول إن لكل كتاب كاتباً مستقلاً ولكن الكاتبين يتبعان مدرسة فكرية واحدة . ويبني كل فريق رأيه على أساسين : الأول التشابه أو الاختلاف بين الاثنين في المصطلحات والأسلوب . والثاني التشابه والاختلاف في الأفكار الأساسية . وكل من الفريقين يستخرج من السفرين ما يؤيد به نظريته . . . ويستحسن أن نعرض لكل فريق على حدة وبكل اختصار :

كاتب السفرين واحد : (١) يبني هذا التشابه في الاصطلاحات وتركيب الجمل :

١ يوحنا ١: ٢ و ٣	١٠: ٣	١ يوحنا ٣: ١٦	مع يوحنا ١٠: ١٥
١ يوحنا ٤: ٤	مع يوحنا ١٦: ٢٤	١ يوحنا ٣: ٢٢	مع يوحنا ٨: ٢٩
١ يوحنا ١١: ٢	مع يوحنا ١٢: ٣٥	١ يوحنا ٣: ٢٣	مع يوحنا ١٣: ٣٤
١ يوحنا ١٤: ٢	مع يوحنا ٥: ٣٨	١ يوحنا ٤: ٦	مع يوحنا ٨: ٤٧
١ يوحنا ٥: ٣	مع يوحنا ٨: ٤٦	١ يوحنا ٤: ١٦	مع يوحنا ٦: ٦٩
١ يوحنا ٨: ٣	مع يوحنا ٨: ١٤	١ يوحنا ٥: ٩	مع يوحنا ٥: ٣٢
١ يوحنا ١٣: ٣	مع يوحنا ١٥: ١٨	١ يوحنا ٥: ٢٠	مع يوحنا ١٧: ٣
١ يوحنا ١٤: ٣	مع يوحنا ٥: ٢٤		

٥٧٧

(م ٣٧ - المدخل الى العهد الجديد)

هذه المتوازيات كافية – كما يقول أصحاب هذه النظرية – لأن تبرهن أن كاتب السفرين هو شخص واحد .

٢ – وبينون رأيهم أيضاً على التشابه في التفكير اللاهوتي المتضمن في هذه الاصطلاحات « النور » ، « الحياة » ، « المحبة » . الحياة الأبدية التي هي ملك للمفديين . . . الحق ، ثم ما يابها من الجهة الأخرى : الظلمة ، الموت ، البغضة ، الكذاب . ويتفق الاثنان في تقسيم الناس إلى فريقين : الذين في الظلمة والذين في النور ، الذين في الموت والذين في الحياة ، وهكذا . وهذا يدل على أن الكاتب يعرف تماماً ومتمرس في المتوازيات العبرية والسامية .

ويتفق الكتابان في استخدام القليل من أدوات الربط والأسماء الموصولة وكذلك في استخدام تركيبات مثل : هذا . . . لكي ، بهذا ، لأجل هذا . . . كل من وهكذا . وهذه جميعها شهادة قوية على أن كاتب السفرين واحد .

أما الذين لا يوافقون على ذلك فيتخذون نفس الطريق مع اختلاف الجمل والشواهد : هناك اختلاف في الأسلوب . فمع أن الكتابين يظهران لغة صحيحة في قواعدها إلا أن أسلوب الإنجيل أقوى ، وتنوعه أكثر من الرسالة . فبينما تستخدم الرسالة أفعالاً مركبة قليلة يستخدمها الإنجيل بكثرة . . . وهكذا من هذا القبيل مما لا نستطيع أن نذكره في هذه الدراسة أما البرهان الذي يعتبره دود Dodd ذا ثقل خاص في إظهار الاختلاف بين السفرين فهو المتضمن في الاختلافات اللاهوتية التي بينهما . وهذه الاختلافات يمكن جمعها تحت عنوانين ، الأول : هو أن رسالة يوحنا الأولى أقرب إلى العقائد المسيحية العامة من الإنجيل . أما الثاني أن الرسالة تتضمن فقرات أقرب كثيراً إلى الغنوسية من إنجيل يوحنا .

وتحت العنوان الأول يعطى دود Dodd مجموعة من العقائد التي يختلف فيها السفران مثل الأستخاتولوجى فيقول إن الرسالة تتمسك بقرب مجيئ المسيح الثانى تماما كما كانت تتمسك الكنيسة الأولى فى بدء عهدها، وهذا يختلف عن الإنجيل الذى أعاد تفسير الأستخاتولوجى بكيفية - كما يقول دود - أقرب إلى فكر يسوع منه إلى فكر الكنيسة الأولى البسيط . ولكن رداً على ذلك من يدرس الإنجيل فإنه يجد - رغم أنه طور فكرة الأستخاتولوجى ، ما زال يتمسك بمجىئ المسيح والقيامة (يوحنا ٥ : ٢١ - ٢٩ ، ١٢ ، ٤٧ و ٤٨) . أما أن الرسالة ركزت على المجيئ الثانى أكثر من الإنجيل فذلك لأن الكنيسة وقت كتابتها ، كانت تواجه أزمة عارمة فيها أطل ضد المسيح برأسه وبدأ يظهر مع جنوده (١ يوحنا ٢ : ١٨ - ٢٣) . وإذا كان الإنجيل يعتبر أن الحياة الأبدية حقيقة حاضرة يختبرها الإنسان الآن ، فالرسالة أيضاً تعلن ذلك (١ يوحنا ١١ - ١٣) .

ويقول دود إن فى مقدمة إنجيل يوحنا يظهر اللوغوص « الكلمة » على أنه شخص يشير إلى الابن الوحيد أما فى الرسالة فإن « الكلمة » تعنى شيئاً لا شخصياً . . إنها كلمة الحياة (١ يوحنا ١ : ١) . قد يكون هذا صحيحاً ، ومع ذلك فإن مقدمى الإنجيل والرسالة تنفقان بكيفية تجعل من هذه الملاحظة ضعيفة التأثير على النتيجة .

ويقول : إن البارقليط فى الإنجيل هو الروح القدس . إنه المعزى الذى يرسله المسيح (يوحنا ١٤ : ١٦) أما فى الرسالة فإن هذا اللقب يعطى للمسيح البار الذى هو شفيع فى السماء والأرض (١ يوحنا ٢ : ١) . ولكن هذا لا يشهد ضد وحدة الكاتب . لأن الروح القدس هو بارقليط أو معزى آخر . فكل الاتنين المسيح المقام والروح القدس شفيع ومعزى (يوحنا ١٤ : ١٦) .

ويقول : إن الإنجيل الرابع يظهر أن يسوع المسيح هو النور الحقيقي .
نور الناس ونور العالم (يوحنا ١ : ٤ و ٩ ، ٨ : ١٢) . أما في الرسالة فإن
الله هو نور العالم . (١ يوحنا ١ : ٥) . ولكن ما هو التناقض في هذه الحقائق؟
أن الله هو النور والمسيح هو النور .

ويقول : إن موت المسيح قد فسرت الإنجيل الرابع على أنه تمجيد للمسيح
ورفعه إلى أعلى (يوحنا ١٢ : ٢٣ - ٢٦) وهذا لا يظهر في الرسالة أبداً .
إن موت المسيح فسرت الرسالة على أنه كفارة (١ يوحنا ٢ : ٢ ، ٤ : ١٠)
وأنه يظهر الحياة (١ : ٧ ، ٤ : ٩) . ولكن الرد على ذلك هو أن موت
المسيح في الرسالة كان موضع مناقشات ومجادلات يظهر فيها الكاتب فائدة
موت السيد للناس في الخلاص . أما في الإنجيل فإنه يتكلم عن موت المسيح
بالنسبة له هو شخصياً . وهل يفعل الإنجيل الجانب الخلاص في موت المسيح ؟
كلا فغضب الله يأتي على غير المؤمن (يوحنا ٣ : ٣٦) والمسيح هو المخلص
أنظر (يوحنا ١ : ٢٩ ، ٣ : ١٤ - ١٦ ، ٦ : ٥١ ، ١٠ : ١١ و ١٥ ،
١١ : ٤٩ - ٥٥ ، ١٢ : ٢٤ - إلخ) .

إن هذه الاختلافات في التفسير وليست في أصل الفكر نفسه ، ولا يدل
هذا على اختلاف الكاتب بقدر ما يدل على اختلاف الموقف الذي كتب فيه
اختلاف الهدف والوقت والذين كتب لهم . . . وهكذا . . .

أما الأمر الثاني الذي يورده دود Dodd فهو أن الرسالة أقرب إلى
الغنوسية أكثر من الإنجيل وهذا لا يمكن إنكاره ، لأن الرسالة تستخدم
اصطلاحات ربما جاءت على لسان الغنوسيين مثل ما جاء في (١ يوحنا ١ :
٥ ، ٣ : ٩ ، ٢٠ : ٢٧) . ولكن الرسول يضع فيها معنى أعمق . فإذا

قال إن « الله نور » فهذا لا يعنى أنه يضع تعريفاً لله ولكنه يعنى إعلان الله لنفسه محبباً وقلوساً ، وكذلك إذا أظهر الكاتب في ١ يوحنا ٣ : ٢ معنى الشركة والوحدة مع الله فإنه لا يتنصد بذلك ذلك المفهوم الضحل الذى كان الغنوسيون يتبنونه ولكنه يذكر تلك البركة والشركة الكاملة التى يصل إليها المؤمن ويتمتع بها فى المستقبل . . . إنه رجاء .

من هذا نعلم أنه لا يمكن القطع بأن كاتب السفرين هو شخص واحد مع أنه رأى أكثر ترجيحاً من غيره بل هو أقرب إلى الحقيقة . . . وإلا فإن كان كاتب الرسالة شخصاً آخر غير كاتب الإنجيل فلا بد أن واحداً كان يقلد الآخر ويتبع آثاره .

انجيل القديس يوحنا ورسائله

يبنى إنجيل يوحنا على أساس أقسام ثلاثة : القسم الأول وهو المقدمة ويتضمنها الأصحاح الأول ، أما القسم الثانى فقد اتفق العلماء على تسميته بكتاب الآيات وتتضمنه الأصحاحات ٢ - ١٢ وهو الذى يحتوى على خدمة يسوع الجهارية ، أما القسم الثالث فهو من ص ١٣ إلى آخر الكتاب ويسمونه كتاب التمجيد. هذا التقسيم لم يبين على نوع من التسلسل أو التطور التاريخى أو اللاهوتى أو الفكرى ، ولكنها فكرة المؤلف نفسه التى سوف تتضح لنا عندما ندرس محتويات الكتاب ورسائله .

أولاً : المقدمة :

وهى كما سبق القول متضمنة فى الأصحاح الأول من الإنجيل . وتنقسم هذه المقدمة إلى قسمين : القسم الأول : البدء (١ : ١ - ١٨) ثم الثانى الاعتراف العظيم (١٩ - ٥١) .

البداء :

في البدء كان الكلمة . . هذا الجزء نظراً لترتيب الكلمات ، وللإيقاع الموجود في النص يعتبر قصيدة شعرية ، وضعها الإنجيلي في مقدمة إنجيله . ويرجع كثير من العلماء أنها ترنيمة كنسية كانت الكنيسة تقدمها للابن الكلمة ويجرى ترتيب الكلمات كالآتي :

ع ١ الكلمة . . الكلمة . . الله . . الله . . الكلمة ع ٤ و ٥ الحياة . . الحياة . . النور . . النور . . الظلمة . . الظلمة . . الظلمة . . ع ٦ - ٨ : الشهادة . . الشهادة . . النور . . النور . . الشهادة . . النور ع ١١ و ١٢ : خاصته . . خاصته يقبلونه . . قبلوه ، ولقد قيل إن القديس يوحنا نفسه هو الذي نظم هذا الشعر وقيل إن الكنيسة نفسها هي التي نظمته تمجيداً في الابن . . وقيل إن القصيدة كانت أصلاً قصيدة هيلينية رواقية أخذها أحد المسيحيين وحولها إلى قصيدة مسيحية ، وقيل إنها بنيت على أساس أمثال ٨ : ٢٢ - ٣١ . . ولندع العلماء يظنون ويفكرون في أصل القصيدة سواء أكانت قصيدة خارجية حولت إلى مسيحية أم نظمها القديس يوحنا ونرى ماذا تقول :

١ - ظن بعض المفسرين أن هذه المقدمة هي جزء منفصل عن الإنجيل ، ونقصد بالانفصال هنا أنها مقدمة كتبها الكاتب ولم يرجع إليها مرة أخرى . وقيل إن الكاتب كتبها بعدما انتهى من كتابة الإنجيل . لكن الحقيقة غير ذلك ، فهذه المقدمة هي الموضوع الرئيسي للإنجيل ، بل هي الملخص الوافي للإنجيل ، وبقية الإنجيل شرح مفصل لهذه المقدمة . فإذا أخذنا الأعداد من (٦ - ١٣) فإننا نجد أن الكاتب ينظر إلى إنجيل المخلص الذي تجسد في حياته وعمله : فالنور الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم . . إنه الذي كونه العالم وخلقه مع أن العالم لم يعرفه . . وعندما جاء إلى خاصته لم يقبله الذين كانوا

له ، وكان مفروضاً أن يقبلوه . . ولكن غيرهم قد قبله فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . . المولودين منه المؤمنين باسمه ، هذا هو كل الإنجيل .

زد على ذلك فإن هذه المقدمة تحتوي على مفاتيح الإنجيل كله . ففيها كل الاصطلاحات الرئيسية التي جرى شرحها فيه : النور . . الحياة . . الحق . . النعمة (مع أن هذه الكلمة لم تجيء إلا في المقدمة) . الولادة الجديدة . وما يقابل ذلك . الظلمة . . وغير ذلك . فإذا قلبنا صفحات الإنجيل نجد أن يسوع هو نفسه النور : نور العالم (٩ : ٥) . وهو خير الحياة . . بل هو الحياة (٦ : ٣٥ ، ١١ : ٢٥) وهو أيضاً الحق (١٤ : ٦) وهكذا . فبح أن هذه المقدمة لم تكرر ولكنها تحتوي كل الإنجيل .

٢- لم يعط القديس يوحنا تعريفاً لذلك الاصطلاح - الكلمة - قال «في البدء كان الكلمة . ولم يحدد معناه لكي يبني عليه إنجيله بعد ذلك ، كلاً لم يفعل ذلك . لأن الإنجيل لم يبن على مفاهيم عقلية ، أو اصطلاحات أخذت من هنا وهناك . على العكس من ذلك تماماً . إن هذا الاصطلاح - ليكون مصدره ما يكون - سواء من اليهودية أو من اليونانية قد أخذه القديس وفرغه من معناه الأصلي لكي يملأه بالمعنى الجديد ، ليس معنى فلسفياً كما كان من قبل ، ولكن بحياة يسوع نفسه . فيسوع المسيح هو الكلمة لأنه هو الذي تكلم كلمة الله النهائية بل هو كلمة الله القوية الذي خلق كل شيء ، (١ : ٣) والذي أعطى الحياة للناس (١ : ٤) والذي أعطاهم النور (١ : ٩) والذي أعطى النعمة والحق (١ : ١٧) وهو - فوق كل شيء - الذي أعلن الله نفسه (١ : ١٨) . فهذه «الكلمة» لم تحدد معنى المسيح بل هو الذي حدد معناها وأعطاهم مفهومها لأنه هو الذي عاشها وحققها في حياته .

٣- إن كان العلماء قد اتفقوا على أن القديس يوحنا قد أخذ هذا

الاصطلاح من مصدر خارجي مع أنهم اختلفوا عن يكون هذا المصدر : اليهودية أم اليونانية لكنهم نسوا شيئاً آخر هو في الحقيقة الهدف الأساسي الذي يقصده الإنجيلي . إن استعارته لهذه الاصطلاحات لم تكن للتقليد ، ولم تكن لمحاولة تقريب الإنجيل إلى العقول وتحويله إلى نسخة أخرى مما كان سائداً في ذلك العصر لكسب شعبية كبيرة لهذا الدين . كلا ، إنه على العكس من ذلك كان تحدياً صارخاً وصل إلى حد العثرة لليونانيين واليهود معاً .

فيو تحد لليونانيين : إن « الكلمة » عند اليونانيين على اختلاف مذاهبهم لم يزد على كونه فكرة سواء أكانت فكرة في عقل الله أم كلمة مقولة . ولعل أهم مظهر لها هو الحياة العقلية للإنسان وذلك إلى جانب تغلغلها في الطبيعة كلها بل الكون كله . ومع ذلك فإن الكلمة ما زالت فكرة ، وفكرة منضالة عن المادة وأنها تغلغل في كل جزء من الطبيعة ، فهل عندما يجي يوحنا بتلك العبارة الهائلة التي تمثل حقيقة تاريخية ملدوسة ومشهود لها « والكلمة صار جسداً » (١ : ١٤) . هل نظن أن اليونانيين يقبلونها هكذا ؟ إنهم يرفضونها بل إنهم لا يتخيلونها أبداً . إنهم يعتقدون أنها جهالة ، فإن اليوناني لن يتخيل أن السباوي أو الأسمي والأعلى يدخل في الأشياء السفلى الأرضية ، والمثالي لن يتحول إلى الصورة الأرضية التي لا تتصل بالكمال ولا تعرفه . إن الاثنين لا يمكن أن يتصلا معاً . إنها في نظر اليوناني جهالة أن يفكر يوحنا هكذا . وحتى إذا انتقلنا إلى الفلسفة الرواقية التي تعتقد أن الكلمة « اللوغوس » وهو المبدأ العقلي قد تغلغل في الطبيعة والإنسان ، وأن الهدف الأعظم للإنسان هو أن يكون واحداً مع هذه الطبيعة التي هي التعبير الفعلي « للوغوس » . حتى هذه الفلسفة لا يمكن أن تقبل ما يقوله يوحنا عن « اللوغوس » الذي صار جسداً ، لا لكي يتدخل في الطبيعة ويصبح واحداً فيها . ومعها كما يقولون .

ولكنه يتماثلنا في شخص اسمه يسوع الناصري . إن القديس يوحنا يعبر عن ذلك بكل قوة « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه (١ : ٩) . إن النور والحياة لم تنتشر في الطبيعة وتصبح واحداً فيها ومعها ولكنها تركزت في ذلك الإنسان . فيه صار الحق والنعمة . وعلى هذا فالطبيعة ليست هدفنا والاتصال بها والتناء فيها لا يمكن أن يعبر عن حياتنا . إنما الحياة والنور والمعرفة . إنما النعمة والحق في هذا الشخص بذاته . الذي ظهر في ذلك الوقت عينه وفي ذلك المكان المحدد ولمسته أيدينا ورأته عيوننا . نعم رأيناه في ذلك الإنسان حتى في ضعفه وجوعه وعطشه وموته . . هناك الحياة .. إنها غباوة بالنسبة لليوناني . ولكنها الحقيقة . . إنها الاختبار » .

ولم يكن نجد لليونانيين فقط ولكن لليهود أيضاً . . لقد كان عثرة لهم . لقد كانوا ينتظرون المخلص والخلص ولقد قسموا الوقت إلى « هذا الدهر » ثم « تلك الأيام » التي فيها يأتي المسيا ويعلن للجميع أن اليهود هم شعب الله . . ذلك سيكون بمثابة خروج جديد لهم أو قيامة من الأموات . هذا الانتظار يقول عنه الإنجيل الرابع أنه قد جاء . . إن « تلك الأيام » أصبحت الآن . . لقد أعان الابن الله الآب (١ : ١٨) القيامة الجديدة قد حدثت (٥ : ٢٥ - ٢٨) الجديد قد جاء الآن . إن وقت الخلاص قد حضر . . هذا شيء لا يمكن أن يصدقه يهودي . . . وكم تعثروا عندما سمعوا يسوع يعلن ذلك (٢ : ١٨ ، ٣ : ٤ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٤١ و ٥٢) . . إلخ .

زد على ذلك أن اليهودي إذا قرأ هذه المقدمة ووجد أن الكاتب قد نسب إلى هذا الشخص ، يسوع الناصري ، ما نسبه الحكيم إلى الحكمة (أمثال ٨ : ٣٥ و ٣٦) من مجد ، لأنها كانت أداة الله في الخليقة ، فإنه يعثر ، فكيف

ينسب ذلك إلى شخص تاريخي ؟ إن الحكمة في حقيقتها هي الناهوس نفسه فالناموس أبدى كامل له السلطة العليا في الديانة . . إنه الحكمة في كمالها . . فهل يمكن أن يكون يسوع الناصري ابن مريم هو السلطة العليا والنهائية في الديانة ؟ (١ : ١٧ و ١٨) ، إنه أعظم من الناهوس نفسه وهذا لا يمكن أن يعرفه يهودي أو يؤمن به . . إنها عثرة له ؟

إن المقدمة لا تنسب إلى يسوع أنه حكمة الله فقط بل أنه كلمة الله أيضاً . . إنه هو الذي أعلن الله للشعب وللأنبياء . ولكن هذه الكلمة رفضت . . رفضها الشعب من قديم (لإشعيا ١ : ٣) وهذا نفسه قد حدث في هذا العصر ، إذ جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله ، أما كل الذين قابوه فأعطاهم سلطان أن يصيروا أولاد الله (يوحنا ١ : ١١ و ١٢) . . هل يقبل اليهودي ذلك ؟

بل أن العالم كله يهتز عندما يسمع المقدمة « في البدء كان الكلمة . . والكلمة كان الله . . والكلمة صار جسداً وحل بيننا . . » في يسوع الناصري . . . من يستطيع أن يقبل ذلك ؟

من هذا كله نرى أن الإنجيل لم يقتبس من اليونانيين ولا من اليهود ولا من أي فكر عالمي ، لأن ما يقوله يقف أمام العالم كله وجهاً لوجه ، متحدياً إياه أن يقبل هذا الذي لم يستطع أن يتوصل إليه بعقله ، ولن يستطيع أن يفهمه ، ولكنه يستطيع أن يؤمن به لأنه يستطيع أن يختبره .

الشهادة :

أما الجزء الثاني في هذه المقدمة فهي الشهادة. وإن شئت التدقيق فقل الشاهد الأول للسيد وهو يوحنا المعمدان (١ : ١٩ - ٥١ ، ٣ : ٢٧ - ٣٦) وفي هذا الجزء نرى الأمور التالية :

١ - لو قارنا هذا الجزء بما قاله مرقس مثلاً لوجدنا هناك فرقاً واضحاً في قصة يوحنا المعمدان ، فإنجيل مرقس والإنجيلان الآخران يذكران شيئاً عن رسالة يوحنا المعمدان وعن كرازته . ثم معمودية المسيح على يديه ، وأخيراً مجيء المسيح إلى الجليل بعد أن أسلم يوحنا المعمدان (مرقس ١ : ١٤ ، متى ٤ : ١٢) .

أما يوحنا فإنه يذكر للسيد خدمة سابقة على القبض على المعمدان ، فهو يدعو تلاميذه بعد معمديته من يوحنا ، ثم يذهب إلى الجليل « قانا الجليل » ويصنع أول آية هناك : ثم يذهب إلى أورشليم مرة أخرى ، وينظف الهيكل من الباعة والتجار والصيارف ، ثم يناقش نيقوديموس ، وكان يعمد مع تلاميذه كل ذلك وكان يوحنا لا زال حراً طليقاً يعمد ، ولم يكن قد أسلم بعد ، بل أنه يشهد له شهادة قوية (ص ١ - ٣ ، أنظر ٣ : ٢٤) . وقد ذهب بعد ذلك إلى الجليل (٤ : ١) . هنا فترة لم نعرف عنها شيئاً في الأناجيل الأخرى ، ولسنا ندرى لماذا لم يذكرها مرقس . ولكن من إنجيل يوحنا نعلم أن أناساً كثيرين كانوا يأتون ليس فقط إلى يوحنا المعمدان ليعتمدوا بل إلى يسوع أيضاً ، ولعل أناساً أرادوا أن ينهزوا هذه الفرصة لكي يوجدوا نوعاً من التنافس والتحزب بين يسوع ويوحنا وهذا يظهر في ٣ : ٢٥ و ٢٦ ، ٤ : ١ ، وهذه الفترة قد تفسر الاستمرار الطويل لخدمة يوحنا المعمدان في تلاميذه والذين تبعوه . ولعل هؤلاء الذين كانوا يتبعون يوحنا في أفسس وفي غيرها (أعمال ١٩ : ١ - ٧) ، كانوا يظنون أن يوحنا هو المسيح نفسه (لوقا ٣ : ١٥) ولهذا عاشوا على معمديته . والسيد نفسه كان يعطي ليس فقط ليوحنا المعمدان بل لمعمديته أيضاً مركزاً سامياً مرتبطاً بخدمته هو وبسلطانه هو (مرقس ١١ : ٢٧ - ٣٣) .

٢ - على الأساس السابق نبنى تفسيرنا للطريقة التي بها يعامل الإنجيلي يوحنا خدمة يوحنا المعمدان ورسالته . إن الأناجيل الثلاثة الأخرى تظهر الجانب الوعظي من رسالة يوحنا . إنه كان يبشر بأعمال الصلاح . . بالتوبة لغفران الخطايا . وبتجموعة من الأعمال الصالحة للجماعات المختلفة (مرقس ١ : ٤ و ٥ ، متى ٣ : ٧ - ١٠ ، لوقا ٣ : ٧ - ١٤) . أما إنجيل يوحنا فإنه أغفل هذا بتاتاً وجعل كل كرازة يوحنا المعمدان تركز في الشهادة للمسيح . إنه جاء للشهادة ليشهد للنور (يوحنا ١ : ٧ و ٨) . أنكرك بشدة أنه المسيح ولا إيليا ولا النبي : إنه فقط الشخص الذي يعد الطريق للسيد كما قال إشعياء ١ : ١٩ - ٢٣ . وعموديته هي الإعداد والتوجيه لذلك الآتي الذي لا يستحق هو أن يحل سيور حذائه (١ : ٢٥ - ٢٨ و ٣١) وذكر إنجيل يوحنا عنصراً هاماً لم تذكره الأناجيل الأخرى في الشهادة للمسيح : وهو أنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم (١ : ٢٩ و ٣٦) . إنه عرف أنه المسيح بواسطة العلامة التي أعطاها له الله ، وهي أن الروح قد نزل واستقر عليه (١ : ٣٣) . فهو إذن ابن الله (١ : ٣٤) . وهو الذي يجب أن يتبعه الجميع حتى تلاه يذمه هو (١ : ٣٧) . إنه ، أمام هذا العظيم . يجب أن ينقص وأن ذاك يزيد لأنه ليس العريس بل صديقه ، ويجب أن تكون العروس للعريس (٣ : ٢٧ - ٣٦) هذا هو فرحه الكامل .

هذه الشهادة كلها لكي تفنع أولئك الذين كانوا يظنون أن يوحنا هو المسيح ، وأنه أعظم من يسوع الناصري ، لأنه جاء قبله وأنه عمده . بأن يوحنا ليس المسيح بحسب شهادته . وهو وإن كان قد جاء بعده لكنه في الحقيقة كان قبله وأعظم منه . وعمودية يوحنا نفسه كانت شهادة وإعداداً له . وحتى جاء هذا الآتي بطل ذلك التابع وصار له . ونلاحظ أيضاً أن متى كان يواجه نفس المشكلة ولذلك نبر على قول يوحنا المعمدان للمسيح عند المعمودية : « أنا

محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إلى (متى ٣ : ١٤) . وبهذا كان يوحنا هو الشاهد الأول والأعظم للسيد .

٣- وقد اقتنى أثر يوحنا المعمدان في شهادته للمسيح كثيرون : اندراوس تلميذ المعمدان نفسه عندهما وجد أخاه سمعان وقال له بعد أن مكث مع السيد يوماً كاملاً : قد وجدنا المسيا « (١ : ٤١) . وشهد فيلبس لثنائيل عنه أنه هو الذي تتم نبوات موسى في الناموس ثم نبوات الأنبياء (١ : ١٤ و ١٥) . وأخيراً شهد له ثنائيل وكانت هذه قمة الشهادات « يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل » (١ : ٤٩) . هذه الشهادات المتتالية قد يكون فيها بعض التطور : فمن معلم إلى المسيا إلى من كتب عنه موسى والأنبياء وأخيراً ابن الله . ولكن سواء أكان هذا تطوراً أو لم يكن فإن الشيء الواضح هو أن إنجيل يوحنا يختلف عن بقية الأناجيل في أن الاعتراف بالمسيح جاء منذ البداية . فإنجيل مرقس ومتى يظهران اعتراف التلاميذ « بسمانية » يسوع بعد مدة طويلة من خدمته وبالتحديد في قيصرية فيلبس (متى ١٦ : ١٦) ، مرقس ٨ : ٢٩ . .) ، مع أن لوقا يذكر هذا الاعتراف دون أن يذكر الإطار التاريخي لها (لوقا ٩ : ١٨ - ٢٢) . أما إنجيل يوحنا فيبدأ بالمسيح المسيا ابن الله ويبدأ السيد خدمته بهذا المفهوم ، ليس فقط أمام التلاميذ ، بل أمام الجميع . وفي هذا الإنجيل أيضاً لا نسمع السيد أبداً يطلب من تلاميذه أو من أى إنسان أن لا يفصح عن هويته ، كما فعل في إنجيل مرقس مثلاً (مرقس ١ : ٣٤ و ٤٤ ، ٣ : ١٢ ، ٥ : ٤٣ ، ٩ : ٩ . . إلخ) .

هذا الأمر يوضح لنا حقيقة أن يوحنا لم يكن يهدف أن يكتب قصة مرتبة ترتيباً تاريخياً عن يسوع ، بل كان قصده أن يظهر يسوع المسيح ابن الله موضوع الإيمان ونبع الحياة ، وذلك بإظهار بعض الحوادث التاريخية في

حياته . . (٢٠ : ٣٠ و ٣١) . فطوع المواقف التاريخية للهدف اللاهوتي ، بمعنى أنه اختار مجموعة من الآيات العملية والأعمال والخطابات لكي يكشف بها هدفه السامي ، في أن يسوع المسيح هو ابن الله . ويعتقد كثير من العلماء أن البشير يوحنا ذكر قصة الهيكل والباعة مبكراً جداً لأنه أراد أن يوضح أن السيد كان يواجه اليهود كابن الله . . المسيا الذي جاء إلى هيكله ، إنه لم يهتم بالتاريخ الذي حدثت فيه هذه الحادثة بقدر ما كان يهتم بمعناها وما أدت إليه . . إن السيد بدأ وله هدف سام أن يقيم هيكلًا جديدًا . . شعباً جديداً للرب . .

* * *

هذه هي المقدمة وفيها نرى الإنجيلي يبدأ بالإعلان « من هو المسيح » هو الكلمة الذي حل بيننا . الذي رأينا مجده مجد وحيد الآب مملوء نعمة وحقاً . . إنه المسيا ابن الله الذي أعلن الآب فهو الحق والحياة .

ثانياً - كتاب الآيات : (ص ٢-١٢) :

لماذا سمى هذا الجزء من إنجيل يوحنا بكتاب الآيات ؟ سمى كذلك لأن فيه تنتشر مجموعة من الآيات التي قام يسوع بعملها . وفي الحقيقة هناك سبع آيات بالتحديد وهي :

تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل ٢ : ١ - ١٢

شفاء ابن خدام الملك ٤ : ٤٧ - ٥٤

شفاء مشلول بيت حسدا ٥ : ١ - ١٦

إشباع الخمسة آلاف ٦ : ١ - ١٤

المشي على الماء ٦ : ١٥ - ٢١

فتح عينى الرجل المولود أعمى ٩ : ١ - ١٧

إقامة اليعازر من الأموات ١١ : ١ - ٤٤ .

وهذه هى كل القوات العظيمة التى ذكرها إنجيل يوحنا مع أن الكاتب المقدس يقول فى صراحة إنه اختار هذه الآيات فقط من بين آيات كثيرة صنعها يسوع ولم تكتب فى الكتاب . ومع ذلك فهذا الجزء (ص ٢ - ١٢) لم يقتصر فقط على ذكر هذه الآيات ولكنه يحتوى على مجموعة من القصص أو الأحداث Episodes مثل قصة يوحنا المعمدان عند عين نون قرب سليم (٢٣ : ٢٦ - ٢) وتطهير الهيكل (٢ : ١٣ - ١٦) ، والمرأة السامرية (٤ : ١ - ٨) ، وظهور المسيح فى عيد المظال فى أورشليم ، (٧ : ١ - ١٦) ومجى اليونانيين ليروا يسوع (١٢ : ٢٠ - ٢٣) .

وأحياناً يتصل بالآية أو القصة خطاب طويل أو قصير ، فمثلاً بعد آية شفاء الرجل المشلول فى بركة بيت حسدا نجد خطاباً للمسيح (٥ : ١٧ - ٤٧) وبعد قصة ظهور السيد فى الهيكل فى عيد المظال نجد خطاباً طويلاً (٧ : ١٦ - ٥٢ ، ٨ : ١٢ - ٢٩) . وقد نجد بعدها حواراً فمثلاً فى قصة المرأة السامرية نجد حواراً بين السيد والمرأة (٤ : ٩ - ٣٨) ، وكذلك بعد آية تفتيح عينى الرجل المولود أعمى (٩ : ٨ - ٤١) . وقد يصحب القصة حوار صغير مثل تطهير الهيكل (٢ : ١٣ - ١٦) ، وقد تأتى الآية بدون أى حوار أو خطاب مثل آية تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل . (٢ : ١ - ١٢) .

ومع ذلك فإن هذا الجزء من الكتاب ينقسم إلى سبعة أقسام ترتبط كلها معاً برباط واحد وهو إعلان شخصية ابن الله من خلال عمله ، سواء أكان آية أو خطاب أو حوار . فكما أن الكاتب المقدس أراد أن يعلن لنا السيد فى

الأصحاح الأول من خلال ذكر هويته أى من هو ، أراد هنا أن يجعل مجده يشع من خلال عمله ، تماماً كما قال فى ٢ : ١١ « هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فأمن به تلاميذه » (أنظر ١١ : ٤٢) . ولأجل ذلك سوف نمر مروراً بسيطاً على هذه الأقسام السبعة التى فيها ترتبط القصة أو الآية بالحوار أو الخطاب فتكون نقطة البداية لما أراد أن يقوله السيد للجموع ، ليعرفوا من هو ، أى أن السيد يعمل الآية ثم يشرح معناها ليس بالنسبة للمريض أو الميت مثلاً ، ولكن معناها بالنسبة له هو ولرسالته . وهكذا يفعل بالقصة ، وبذلك تكون القصة أو الآية المناسبة التى فيها يكشف السيد عن نفسه .

(أ) البداية الجديدة : (٢ : ١ - ٤ : ٤٢) .

هذا هو القسم الأول من الأقسام السبعة التى يتألف منها كتاب الآيات . وفى هذا القسم يعلن السيد أنه يقيم عصراً جديداً كله جديد وكل ما يتعلق به أيضاً جديد . وهذا يظهر فى :

١ - نظام جديد : (٢ : ١ - ١١)

وهذا يظهر فى الآية التى قام بها فى قانا الجليل ، إذ حول الماء إلى خمر فى ذلك العرس . وقيمة الآية أنها تعلن أن نظاماً جديداً قد أتى به السيد . وهذا الجديد هو أن ديانة النعمة والحق قد حلت مكان ديانة الناموس . فوجود الأجران الستة وما فيها من ماء كانت تمثل كل ما تمثله الديانة اليهودية من طقوس للتطهير الخارجى والأعمال الطقسية التى كان يقوم بها كل يهودى ليصير باراً على حسب ما كانوا يعتقدون . ولكن بدلا من هذا الماء وضع السيد الخمر الذى يمثل الفرح والسرور . وهذا ما يؤكد السيد بنفسه فى متى ٩ : ١٧ ، مرقس ٢ : ٢٢ . وهو الذى يعلن أيضاً أنه هو الكرمة

الحقيقية (يوحنا ١٥ : ١) . ومعروف أن الكرمة من أصل الخمر . وعلو هذا الأساس نعرف أن الآية الحقيقية تعني النظام الجديد الذي جاء به المسيح : لأن الزاموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فييسوع المسيح صارا (يوحنا ١ : ١٧) . فوجد المسيح الذي رآه تلاميذه ليس فقط عمل معجزة ولكن النظام الجديد الذي جاء . . النعمة والحق .

٣- هيكل جديد (٢ : ١٣- ٢٢)

في هذه القصّة أيضاً نجد العنصر الثاني الجديد . فبعد أن طهر السيد الهيكل نطق بعبارتين : الأولى « لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة » (٢ : ١٦ ب) وهي غالباً مأخوذة من زكريا ١٤ : ٢١ . لأن كلمة كنعاني معناها أو قد ترجم « بتاجر » . أما العبارة الأخرى فهي بعد أن تحداه اليهود وقالوا « أية آية تريننا حتى تفعل هذا » (٢ : ١٨) فقال لهم السيد « انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه » (٢ : ١٩) . كما هي العادة لم يستطع اليهود أن يفهموا قول السيد وإشارته فظنوه أنه يتكلم عن الهيكل ذاته ، الذي طهره . أما هو ، كما يقول الكاتب المقدس فكان يشير إلى هيكل جسده . إن اليهود كانوا يطلبون آية ولكن يسوع لم يعطهم آية بل جعل الآية في نفس ما فعله . . في نفس الحادثة . تماماً كما حدث بعد إشباع الآلاف فقد طلبوا منه أيضاً آية ، ولكنه لم يفعل بل حول نظرهم إلى ما فعل هو ومعناه الحقيقي . ففي حادثة تطهير الهيكل أشار لهم إلى المعنى العميق لتطهير الهيكل ، إنه ليس تطهير التقديم ولكنه الجديد . . الهيكل الجديد . . هيكل جسده . إن موت المسيح وقيامته لا يتعلق به هو فقط ولا بجسده المباشر فقط بل بجسده الكامل أى الكنيسة ، إنه يبنى هيكلًا جديدًا يسكن فيه الله . .

٥٩٣

(م ٢٨ - المدخل الى العهد الجديد)

وهكذا صارت حادثة تطهير الهيكل مثل آية قانا الجليل دليلاً على النظام
والهيكل الجديد الذى أقامه السيد . . . الديانة المسيحية وشعبه أو جسده الجديد .

٣- ولادة جديدة : (٣ : ١ - ١٣) .

هذه الحقيقة تظهر فى مقابلة المسيح لنيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً وهذا
الجزء ينقسم إلى قسمين الأول (٣ : ١ - ١٣) وهو حوار بين الاثنين :
أما الثانى فهو خطاب (١٤ - ٢١) . وفى هذا الجزء يظهر اصطلاح
« ملكوت الله » لأول مرة فى الإنجيل ، ولا تظهر بهذه الكيفية فى مكان
آخر . و« ملكوت الله » هو الاسم الذى أعطاه السيد للنظام الجديد الذى أعلنه
كما ظهر ذلك فى آية قانا الجليل . وفى هذا الجزء يكشف السيد النقاب عن
الكيفية التى بها يستطيع الإنسان أن يدخل هذا النظام الجديد أو ملكوت الله .
وذكر ذلك لمعلم اليهود العظيم نيقوديموس فقال له « الحق الحق أقول لك إن كان
أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (٣ : ٣) . وفى هذا
الموقف يمثل نيقوديموس كل الشعب اليهودى الذى استغلقت عليه شخص السيد
ورسالته لأنه كان يتمسك بالمظاهر والجسديات فقط . ولذلك أراد السيد أن يخبره
أن أعمال الناموس والطقوس لا يمكنها أن تدخله ملكوت الله ، فدخول
الملكوت هو عمل الله بروحه القدس ، وبغير ذلك لا يستطيع أن يرى
الإنسان ملكوت الله ، وهل يستطيع اليهودى المتمسك بالطقوس أن يفهم
ذلك؟ ولهذا فهو يتساءل بكل حيرة : كيف يمكن أن يكون هذا (ع ٩) ؟
وهنا يكشف له السيد أن هذا كله مرتبط ارتباطاً تاماً بإرسالته ، إنه هو
الذى أعلن الله المخلص ، الله الذى أحب العالم وأحبه فى ابنه ، ولهذا فهذه
الولادة وهذه الرسالة الجديدة هى فى المسيح يسوع وفى إرسالته ، إنه هو
المخلص وأنه الديان فى نفس الوقت إنه إعلان الله للناس وإعلان الناس

لأنفسهم ، فهو مخلص لمن يقبله ويقبل ذبيحة الله فيه وديان لمن يرفضه هـ
ولكن ما هي الولادة الجديدة التي يتكلم عنها السيد؟ يجب أن نفهم ذلك في
ضوء الأعداد اللاحقة « وكما رفع موسى الحية في البرية . . . هكذا أحب
الله العالم . . . » (١٤-١٧) ، وكذلك في ضوء ما قيل في ١ : ١٢ و ١٣
« وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين
باسمه الذين ولدوا لا من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من
الله» فالتفسير الصحيح للولادة الجديدة هي الإيمان باسم المسيح وضرورة
الإنسان ابناً لله . فهي ليست تغييراً في شخصية الإنسان وبنيته ولكنها تغيير في
موقفه ومركزه . هذه هي الولادة الجديدة التي بها ندخل ملكوت السموات.
ألم يقل السيد في كرازته « قد كمل الزمان واقترّب ملكوت السموات فتوبوا
وآمنوا بالإنجيل؟ (مرقس ١ : ١٥) .

٤ - عبادة جديدة : (٤ : ١-٤٢) :

في هذا الجزء يعلن السيد عبادة جديدة أو إن شئت فقل « كيفية القرب
إلى الله وعبادته » التي تليق به . وهذا الجزء ينقسم إلى قسمين كبيرين :
حوار المسيح مع المرأة السامرية ثم حوارهم مع تلاميذه (٤ : ٨-٢٦ ، ٣١-
٣٨) . وفي الحوار الأول يتخذ الماء أيضاً مكانته : ففي قانا الجليل كان
يمثل النظام القديم الأقل قيمة وعملاً ، وفي الحوار مع نيقوديموس كان يمثل
معمودية الماء ، أما هنا فهو يمثل الحياة الأرضية بكل ما يتصل بها . هنا
في هذه القصة يقول السيد إنه يعطى الماء الحى . وقد ظنت المرأة أن الماء الحى
هو هو الماء الجارى وهو أعذب وأنقى من هذا الماء المخزون في البئر . ولكن
المسيح كشف لها عن نوع آخر من الماء ينبع إلى حياة أبدية . وهنا يتكرر
موقف الجهل الذى أظهره نيقوديموس في عدم تفهمه للعنصر الجديد الذى

يدخل إلى مفهوم الحياة الروحية . فكما أظهر هذا الرجل جهلا في معنى الولادة الجديدة ، أظهرت المرأة السامرية جهلا بالماء الحي . وإلى جانب ذلك واجهت المرأة الدينونة التي يختبرها كل إنسان في مواجهة المسيح ، عندما قال لها « كان لك خمسة أزواج » (٤ : ١٦ - ١٨) . لم يكن قصد السيد أن يكشف سر المرأة ولكنه كان يريد أن يكشف سر الديانة التي تمثلها ، ديانة زنت بعيداً عن الإله الحي ، وتبنت عناصر غريبة جلبتها من كل مكان ، ومع ذلك تفاخر بها في مواجهة ابن الله ، وهي « لا تعرف من الذي يكلمها » وفي هذا الموقف أعلن السيد عن عبادة جديدة في الحياة الروحية لم يعرفها الإنسان من قبل ، إنها عبادة لا تهتم بأورشليم ولا تتوقف على جبل جرزيم ، عبادة حقيقية « ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (٤ : ٢٣ ر ٢٤) هذه هي العبادة الجديدة ولقد ظهرت الآن ، ومعنى ظهرت الآن أى جاءت بمجيئه هو . أى أن فيه هو العبادة الحقيقية الروحية ، فلا في جبل جرزيم ولا في أورشليم يتقابل الله مع الإنسان ، ولكن فيه هو تقابل الإنسان والله وجهاً لوجه وعرف الإنسان كيف يرى الله في وجه يسوع المسيح ولا يموت . هذه هي عبادة الروح . . في المسيح يسوع .

أما بقية القصة ومجيئ تلاميذه وإعلانه لهم أن طعامه هو أن يفعل مشيئة الذى أرسله وأن يتمم عمله (٣٤) وأن الحصاد كثير والحقول قد ابيضت . للحصاد (٣٥ - ٣٨) فتبين اهتمام المسيح بالعالم الذى تحت سلطان رئيس هذا العالم وأنه يريد أن يأتي بهم إلى هذا الجديد الذى أتى به هو . وقد حدث ذلك في رجوع السامريين وإيمانهم به .

(ب) الآيات التي تعان أن يسوع يعطي الحياة : (٤ : ٦٤ - ٥ : ٤٧) :

١ - هذا هو القسم الثاني من كتاب الآيات وفيه نجد قصتين أو آيتين عملهما يسوع ، الأولى هي شفاء ابن خادم الملك في كفر ناحوم وهي الآية الثانية بعد قانا الجليل : وقد صنعها يسوع بكلمة (٤ : ٤٣ - ٥٤) . والآية الثانية في هذا الجزء هي شفاء الرجل الذي مكث ٣٨ سنة مريضاً . وقد حاول أن يشفي في بركة بيت حسدا ولكنه لم يستطع فشفاه يسوع بكلمة (٥ : ١ - ٩) ويحیی بعد ذلك خطاب قاله يسوع في الهيكل أو في أمكنة مختلفة (٥ : ١٠ - ٤٧) .

ويلاحظ أن القصتين تظهران كيف كانت كلمة المسيح تمتلك قوة الشفاء ، فالسيد لم يمد يده إلى ابن خادم الملك الذي كان بعيداً ، ولا إلى الرجل المفلوج . ولكنه قال كلمة فعملت كلمته بقوة ، لأنه هو نفسه « الكلمة » (١ : ١) .

في القصة الأولى يقابل خادم الملك السيد في المكان الذي أظهر فيه مجده لأول مرة (٢ : ١٤) ، وهناك أيضاً ظهر مجده في كلمته ليس فقط في تحويل الماء إلى خمر بل في إعطاء الحياة لشخص مشرف على الموت .

أما القصة الثانية فقد ظهر فيها معطياً الحياة لإنسان كان يعيش مشلولاً مثل ميت . ومع أنه كان بجانب الماء الذي كان الملاك يحركه ، ولكنه لم يستفد منه ، ولعل ذلك كان رمزاً إلى الناموس والتوراة التي لم تستطع أن تشفي هذا الرجل العاجز الذي يشبه الخطاة والعشارين ، ولكن هذا العاجز شفى بكلمة يسوع القادرة . : بكلمة النعمة :

٢ - بعد هاتين الآيتين اللتين ظهر فيهما يسوع معطياً الحياة تأتي إلى خطاب المسيح ، وفي الجزء الأول منه تظهر مشكلة السبت : فالآية حدثت

يوم السبت ، وأمر السيد الرجل الذى شفاه أن يحمل سريره يوم السبت ، وهذه كانت مشكلة بالنسبة لليهود ، فكيف يكسر يسوع يوم السبت . ولكي نفهم رد يسوع المتضمن في ١٩ - ٢٤ نعود إلى قضية ضخمة شغلت مفكرى اليهود في فلسطين وفي الشتات ، وهى قول سفر التكوين «فاستراح الله في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل» (تكوين ٢ : ٢) . وكان السؤال الصعب هو هل يسكت الله عن العمل ؟ وهل يستطيع أن يستريح ؟ وقد قدمت تفسيرات كثيرة : إنه استراح أى انتهى من عمله الذى عمله خالقاً . أو أنه أمر كل عبده الملائكة الذين استخدمهم في الخلق - كما يقولون - أن يستريحوا . أما هو فلا . وبحسب العهد القديم فإن الله لا يمكن أن يسكت عن العمل لأنه هو الإله العامل النشط - ولكن ما هو العمل الذى يقوم به الله ؟ إنه يقوم بعملين : عملية الخلق . فهو في خلق مستمر لأنه منبع الحياة ولا بد أنه يعطى الحياة ، والعمل الثانى هو العناية ، أو حكم العالم وملكه عليه وهو لا يسكت عن هذين العملين لا في يوم السبت ولا في أى يوم آخر .

وعلى هذا الأساس جاء رد يسوع . « أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » (٥ : ١٧) . ومثلها يعمل الآب هو يعمل . إنه يعمل نفس العملين اللذين يعملهما الآب : إعطاء الحياة والدينونة أى الخلق والملك . « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء لأن الآب لا يدين أحداً ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (٢١ و ٢٢) . وكما أن الآب لا يستريح هكذا الابن لا يمكن أن يمتنع عن هذين العملين حتى في يوم السبت .

وهنا تواجه اليهود مشكلة أخرى : هل معنى هذا أنه مساو للآب ؟ فكيف يعيش مثل هذا الشخص الذى يقول هذا القول إنه يجب أن يموت

(١٨) ؟ ولكن يسوع لا يضع نفسه في تواز مع الآب كقوتين متساويتين
تعملان معاً . ولكنه يعمل ما عمله الآب في طاعة كاملة له . وفي نفس الوقت
الآب يحب الابن محبة كاملة ويريه جميع ما يعمل .

في هذا التصريح يضع السيد ذلك الحق العظيم الذي يقف أمامه الجميع
صاغرين . إنه وهو الذي لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله . . لكنه أنخل
نفسه . إنه يعمل مع الآب كما هو له ولكن في نفس الوقت في طاعة كاملة له ،
هذا السر عظيم .

٣ - ولكن السيد لا يدعى شيئاً ليس ملكه فهناك من يشهد له ، إنه
يؤجل شهادته عن نفسه في موقف قادم (٨ : ١٤) . ولكنه هنا يشير إلى
شهادة يوحنا المعمدان له (٥ : ٣٣ - ٣٥) . ولكن هناك شهادة أعظم من
يوحنا ، شهادة لا ينكرها إلا المكابر وهي شهادة الأعمال التي يعملها . فهي
تشهد أن الله قد أرسله . هذا ما قاله أيضاً نيقوديموس (٣ : ٢) . ولكن هذه
الشهادة لا يعرفها ولا يفهمها إلا الذين سكنت فيهم كلمة الآب وعرفوا
صوته . هناك شهادة ثالثة وهي شهادة الكلمة المقدسة ، شهادة العهد القديم ،
ومع أنها في أيديهم ولكنهم لا يريدون أن يقبلوا شهادتها (٣٩ و ٤٠) .

ولكن إذا كانت شهادة يوحنا والأعمال التي يعملها والكتب المقدسة ؛
قوية لدى اليهود لكنها ليست بذات القوة عند اليونانيين . فلکم رأوا وصدقوا
أناساً يقومون بالسحر وبأعمال ظنوها خارقة . لكن الشهادة الحقيقية ليست
فقط في إعطاء الحياة ، ولكنها في نوعية الحياة التي يعطيها المسيح . . الحياة
التي يعطيها لكل إنسان يسمع صوته . إنها الحياة الحقيقية . . الحياة الفضلى ،
هذه الشهادة هي التي يقتنع بها جميع الناس (٥ : ٢٥) .

(ج) خبز الحياة : (ص ٦) :

هذا هو الجزء الثالث من كتاب الآيات . ونجد في هذا الأصحاح ثلاث حوادث متتابعة تبني الوحدة على الأخرى ، وفي الجزء الثاني من الأصحاح نجد خطاب طويل للسيد (٢٦ - ٦٥) وهو أيضاً يبني على ثلاث أدوار متتالية كما سنرى فيما بعد .

١ - أما الحوادث المتتالية فهي قصة إشباع الآلاف ويذكر الإنجيل أن هذه الحادثة حدثت في ظلال عيد الفصح (ع ٤) وفي هذا رمز ، لأن فصحنا هو المسيح الذي يشبع حياتنا لأنه هو خبز الحياة ، كما أنه يشبع أجسادهم ، ويفسر السيد هذا الموقف في خطابه الذي ينصب على الشركة المقدسة أو عشاء الرب : وهكذا لا نجد فرقاً كبيراً بين إنجيل يوحنا والأنجيل الثلاثة الأخرى ، فتلك تضع عشاء الرب الذي عمله السيد في إطار الفصح اليهودي لكي تعرف الكنيسة فصحها الجديد ، وكذلك يوحنا ، فإنه يذكر خطاب السيد عن العشاء الرباني في إطار الفصح اليهودي .

ونتيجة لهذه القصة أو الحادثة التي لم يفهم الناس مغزاها حاولوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكاً (ع ١٥) . إذ ذرأوا هذه الآية الدلالة على أنه المسيا الذي يريدونه . إن الآية العظمى للمسيا هي أن ينزل لهم الخبز من السماء ، كما سيأتي ذكره في الخطاب ، وقد فعل هذا الرجل ذلك ، فجعل من أرغفة قليلة وسمك قليل مائدة أشبعت الآلاف . . إنه النبي الآتي . إنه موسى الجديد ، إذن فليكن ملكهم . هذه تكرار للتجربة الأولى التي واجهها السيد في البرية حسب ما تظهر الأنجيل الأخرى . (متى ٤ : ١ - ٤ ، لوقا ٤ : ٣ و ٤) .

وهنا قام يسوع بعمل حاسم ليوقف الجموع عند حداها وينتقد تلاميذه من هذا التفهم الخاطئ ، ففصلهم عن الجدوع وأرسلهم بعيداً . ثم ذهب هو إلى الجبل بعيداً عن هذه التجربة ، ولا بد أن التلاميذ كانوا في قمة التشويش ، وخصوصاً عند هياج البحر . كيف لم يرض يسوع بهذه الفرصة المتاحة ليأتي بملكوت الله ؟ ولكنه في هذه الفرصة الحرجة جداً أتاهم ماشياً على البحر وبهذا العمل الخارق للطبيعة أعطاهم السيد فكرة صحيحة عنه ، لأنه رجع بهم إلى قول المرنم « في البحر طريقك ، وسبلك في المياه الكثيرة وآثارك لم تعرف » (مزور ٧٧ : ٢٠) . ويؤكد ذلك قوله لم ليظمتهمم « أنا هو » . . . وهي العبارة التي ينطق بها الله نفسه في العهد القديم (إشعيا ٤٣ : ١٠) عندما يريد أن يعزى شعبه ويأتي لنجدته .

٢ - أما الجزء الثاني من الأصحاح فهو الخطاب وهو ينقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : (٢٦ - ٣٤) يشرح خبز الحياة في ضوء مفهوم المن الذي نزل من السماء لأبائهم في البرية . إنهم يريدون مثل هذه الآية حتى يؤمنوا به ويعملوا كل ما يطلبه منهم . وكان رد السيد أن الأب وليس موسى هو الذي يعطي الخبز الحقيقي الذي يحيي . أما المن فقد أتى حقيقة من السماء ، ولكنه لم يعط حياة أبدية دلالة على أنه ليس الخبز الحقيقي . وهكذا يوبخ السيد تلك المادية المتطرفة في مفهوم اليهود للديانة والعطايا الإلهية . ويذكر دود أن المن عند اليهود هو رمز للتوراة ، فإذا كان الأمر هكذا فيكون جواب السيد هكذا « موسى أعطاكم التوراة لكي تشبعكم لأن الناهوس بموسى أعطى (١ : ١٧) ، ولكن التوراة الآن لا تشبع فالخبز الحقيقي قد جاء من السماء وهو الخبز الذي يعطيه الله .

وهنا يبدأ القسم الثاني (٣٥ - ٥٠) وفيه يعلن السيد صراحة أنه هو خبز الحياة الذي نزل من السماء . وهذا الإعلان (٣٥) يوجه تفكيرنا إلى (٣ : ١٣) حيث يعلن أن ابن الله هو الذي صعد إلى السماء ونزل من السماء إلى الأرض . وهو الخبز الذي من يأكله لا يجوع . ولكن كيف يقول ذلك والجميع يعلمون من أين جاء؟ أليس هو ابن مريم؟ فكيف يقول إنه نزل من السماء؟ هنا يأتي الجواب الحقيقي الأبدى ، وهو أن الذين يعطيهم له الآب فلاه يقبلون ويعرفون من هو ومن أين أتى ، وكل من يراه أى يعرفه تكون له الحياة الأبدية وهو يقيمه في اليوم الأخير . وهنا يوضع المقارنة الواضحة : إنه هو وليس المن الخبز الحقيقي النازل من السماء والعلامة على ذلك أن الذين أكلوا المن ماتوا أما من يؤمن به فلن يموت فهو إذن الخبز الحقيقي .

ويصل الخطاب قته في الجزء الثالث (٥١ - ٦٠) . وفيه يعلن يسوع أنه الخبز الحقيقي وهو في نفس الوقت الذي يعطى الخبز ، وهذا يعنى أنه يعطى نفسه « والخبز الذي أنا أعطى هو جسدى (٥١) والجسد هنا ليس body أى جسم ولكنه البشرية Sarx Flesh » . وجاء السؤال المباشر السريع « كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناأكل » (٥٢) . ولكن يسوع لم يعطهم جواباً مباشراً كما فعل مع نيقوديموس الذى سأله « كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ (٣ : ٤) . إن عددى ٥٠ و ٥١ هما صورة مطولة من نفس الكلام الذى ذكره الرسول بولس في ١ كورنثوس ١١ : ٢٤ . أما معنى أن يعطى السيد جسده ليؤكل فيوضحه في ع ٥٦ بقوله « من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » أى أن الأكل هو الوحدة في المسيح . ولكنه يضيف عنصراً جديداً هو الدم : « إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (ع ٥٣ - ٥٦) وهذا يدل على أن السيد يشير إلى

العشاء الرباني وعن موته في نفس الوقت . فالوحدة في المسيح هي وحدة في موته ووحدة في حياته : تماماً كما يقول الرسول بولس عن المعمودية ، في رومية ٦ : ٣ - ٥ . فالسيد هنا يشرح اختبار الشخص الذي يتحد به ويكون فيه . . بالإيمان .

٣- يعلن يسوع أيضاً في ٤ : ١٠ - ١٥ إنه هو ماء الحياة وفي ٦ : ٢٧-٣٤ يعلن أنه خبز الحياة . وهذا يشير إلى الأسخاتولوجي اليهودي ، حيث يعتقد اليهود أنه كما أن موسى أعطاهم الخبز والماء ، الخبز من السماء والماء من الصخر في البرية ، هكذا في أيام المسيا سوف يكون لهم هنا بوفرة عظيمة . . ولكن السيد يقول عن نفسه إنه هو خبز الحياة وهو ماء الحياة ، وبذلك ترتفع هذه الأسخاتولوجية من المادية الخيطة على التفكير اليهودي . وهذا ما يقوله الرب نفسه « الروح هو الذي يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » (٦ : ٦٣) . وهنا يدخل عنصر جديد آخر في حديث السيد وهو الروح . وقد جاء الروح في كلامه مع نيقوديموس (٣ : ٥) فالميلاد الجديد من الروح والماء . وجاء في حديثه مع السامرية فالعبادة الحقيقية هي من الروح والحق (٤ : ٢٣) ، وهنا يتكلم عن الثبات في المسيح بالروح لأنه هو الذي يعطي الحياة (٦ : ٦٣) .

هذا الكلام صعب ، وقد تعثر منه اليهود ورجعوا إلى الوراثة لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموه وهم يعيشون بعقلية مادية ، فيقول السيد لتلاميذه الذين شاركوا بعض الشيء في التندر وعدم المقدرة على فهم ما يقول « إن رأيتم ابن الإنسان صاعداً حيث كان أولاً » (ع ٦٢) وهذا يعني أن هذا كله سوف يتضح لكم بعد أن يتمجد ابن الإنسان . وكما فهموا قوله لليهود « انقضوا هذا الهيكل . . » عرفوا أنه يقول عن هيكل جسده (٢ : ٢٢) هكذا سوف يكشف لهم الروح القدس عن معنى كلام السيد لهم في هذا الموقف ويذكرهم به (١٦ : ١٢ - ١٦) .

(د) « النور والحياة . . الإعلان والرفض » (ص ٧ و ٨) :

هذان الأصحاحان يخلوان من الآيات التي يقوم بها السيد لإعلان مجده ، ولكنهما يحتويان على كثير من الرموز التي تشير إليه . وفيهما القصص والحوار يتميزان بعضهما ببعض ، وكل هذا يتركز على شخصيته . ولعل أهم ما يميز هذا الجزء هو التوتر الشديد بين المسيح واليهود . ففيه يوجه اليهود كل الاتهامات الممكنة ضده وهو يجيب عليها بطريقته المعهودة ، وفي معظم الأحوال كانوا يتهجمون عليه ويقذفونه بالاتهام تلو الآخر ، حتى أن الإنجيل ذكر في عشر مواضع كيف كانت حياته في خطر ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد : (٧ : ١ و ١٣ و ١٩ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٤٤ ، ٨ : ٣٧ و ٤٠ و ٥٩) . ففي هذا الجو العنيف سارت المواجهة الضخمة بينه وبين اليهود .

هذا الجزء لا تظهر فيه الوحدة الأدبية الكاملة ، ولكنه ينقسم على العموم إلى تسعة أقسام منها ٧ حوارات : ١ - المقدمة (٧ : ١ - ١٠)
٢ - منظر في عيد المظال ويسوع غائب (١١ - ١٣) . ٣ - يسوع يجيئ إلى العيد وهنا يحدث الحوار الأول وموضوعه موسى والمسيح (١٤ - ٢٤)
٤ - الحوار الثاني يسوع يعلن ميسيانيته ومعارضة أهل أورشليم له (٢٥ - ٣٦)
٥ - الحوار الثالث (٣٧ - ٤٤) .
٦ - الحوار الرابع (٤٥ - ٥٢) .
٧ - الحوار الخامس (٨ : ١٢ - ٢٠)
٨ - الحوار السادس (٢١ - ٣٠)
٩ - الحوار السابع (٣١ - ٥٩) .

١ - هذا كله يحدث في عيد المظال . ويتميز هذا العيد بعدة أمور هامة :
منها ذلك الطقس الذي كان الكاهن يقوم به كل يوم من أيام العيد السبعة .

— وبعض الربيين يقولون إنها ثمانية أيام — كان الكاهن يذهب يملأ آنية ذهبية يأخذها من آنية الهيكل من بركة سلوام ثم يأتي بموكب عظيم ويسكبها على مذبح التقدمة ، وكان يصحب هذا العمل صلاة لأجل المطر لعل الرب يكثر لهم أمطار الحريف حيث يزرعون زرعههم .

أما الأمر الثاني فكان إنارة رواق النساء بنور قوى جداً يشع في كل الهيكل حتى أن هناك أقوال للربيين يؤخذ منها أن أورشليم نفسها كانت تنير من هذا النور .

والأمر الأخير هو ارتباط العيد وطقوسه باسم الله وهو « أنى » ، ه و ا « أى » أنا وهو « وهى تأتى من اسم الله الخفى العظيم « أنا هو » . ويقال إن حرف الواو أضيف لكنى يدل على ارتباط الله الحميم بإسرائيل . كأن طبيعة الله العميقة لا تظهر إلا بالتصاقه وارتباطه بإسرائيل .

٢ — وإليك الأمور التى تكون الخلفية لإعلان السيد عن نفسه فى هذين الأصحاحين ، الشئ الأول هو عدم ذهابه مع الناس إلى العيد ولكنه ذهب كأنه فى الخفاء . ولكنه ظهر فجأة فى الهيكل ، وهذا فى الحقيقة إتماماً لقول النبي ملاخى هانذا أرسل ملاكى فىهى الطريق قدامى ويأتى بغنة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به ، هو ذا يأتى قال رب الجنود (ملاخى ٣ : ١) . هذا هو اليوم العظيم الذى فيه يعيد الناس عيد المظال عندما يرجع الرب ويخلص إسرائيل (زكريا ١٤ : ١٦) وها هو قد جاء فجأة فى عيد المظال . إنه الرب .

أما الإعلان الثانى فهو ما قاله السيد فى اليوم الأخير العظيم إنه هو الماء الحى فى قوله « إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب . . . » (٧ : ٣٧) ويقول

بعض العلماء - وبحق - إن الكلام الذى يلى ذلك « إن عطش أحد فليقبل إلى -
وليشرب ، من يؤمن بي » كما قال الكتاب « تجرى من بطنه أنهار ماء حى » أما
من تجرى من بطنه أنهار مياه حية فهو ليس المؤمن - فهذه فكرة غريبة على
الكتاب المقدس . بل هو المسيح نفسه الذى هو الماء الحى . والماء الحى هو
ما يشير إليه النبى زكريا (١٣ : ١ ، أنظر حزقيال ٤٧ : ١ - ٥ ، إشعيا
١٢ : ٣) . وكما عرفنا فإن الربيين يعتبرون أن المياه تعنى البركات الروحية .
أما القديس يوحنا فإنه يربط أيضاً الماء الحى بالروح القدس كما هى الحال
فى أمكنة كثيرة .

ثم الإعلان الأخير المتضمن فى ٨ : ٢١ - ٣٠ :

يذكر السيد عبارة « أنا هو » (ع ٢٤) « لأنكم إن لم تؤمنوا أنى أنا
هو تموتون فى خطاياكم » وهذه العبارة شبيهة بقول الله فى العهد القديم « أنا هو »
وقد تكررت العبارة فى ع ٢٨ مع ع ٢٩ « والذى أرسلنى هو معى » . التى
تشابه « أنا وهو » التى تقال فى عيد المظال كأما أخذ السيد مكانة إسرائيل .

٣ - هذه الإعلانات الحيدة التى قالها السيد لليهود فى عيد المظال أثارت
اليهود ضده فوجهوا إليه ثلاثة انتقادات .

إنه إنسان جاهل لم يتعلم (٧ : ١٥) . ولكنه رد عليهم « تعليمى ليس لى
بل للذى أرسلنى . إن شاء أحد أن يعرف مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله
أم أنكلم أنا من نفسى » (١٦ و ١٧) . إن انتقادهم له بأنه غير متعلم نابع من
أنهم لا يعملون مشيئة الله . ولذلك فقد رأوا التناقض بين تعليمه وتعليم موسى
الذى أمر بحفظ السبت (٢٣ و ٢٤) .

أما الانتقاد الثانى فبنى على عقيدتهم فى أن المسيا عندما يأتى لا يعرف
أحد من أين أتى ، أما هذا فإنهم يعرفون من أين هو (٧ : ٢٧) . وكان رد

السيد عليهم « تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه أنا أعرفه لأني فيه وهو أرسلني » (٢٨ و ٢٩) . مرة أخرى يتهمهم بأنهم هم الذين لا يعرفون الله ولذلك فلا يعرفون من أين جاء السيد حقيقة .

أما الانتقاد الثالث فهو أن من يشهد لنفسه فشهادته لا يؤخذ بها وليست حق (٨ : ١٣) ، وكان رد السيد عليهم « وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب ، وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب . . . أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني » (١٤ و ١٨) إنهم بسبب جهلهم هم ، لأنهم لا يعلمون مشيئة الآب بل مشيئة أنفسهم ، لا يستطيعون أن يفهموا من هو ولا من أين جاء ولا يقدرّون شهادته أو شهادة الآب له .

هذا الجزء تلخيص لموقف اليهود تجاه السيد ومن إعلاناته عن نفسه أنه هو المسيا الحقيقي خبز الحياة . نور العالم . الماء الحى . « أنا هو » الألوهية .

(هـ) الدينونة التي للابن : (٩ : ١ - ١٠ : ٣٩)

هذا هو الجزء الخامس أو الآية الخامسة : وهي تغطى مع كل ما يتعلق بحوار المسيح وخطابه في الأصحاح التاسع كله ثم الأصحاح العاشر إلى العدد ٢١ . أما باقى ص ١٠ فهو ملحق لهذا الحق ، وكشأن البشير فإنه يضع هذه الملاحق لكي يختتم بها الجزء السابق الذى انتهى فيعطيه توضيحاً أكثر ولكي يجهز القراء للجزء القادم . فاذا نجد في هذا الجزء ؟

١ - رأى يسوع إنساناً أعمى منذ ولادته ، ورأى فيه فرصة لكي يعمل أعمال أبيه إذ يشفى هذا الإنسان . إنه لم ينف أن الرجل قد أخطأ ، وأن أبويه

قد أخطأوا . ولكنه ينظر إلى هذه العادة التي يقاسى منها على أنها فرصة يظهر فيها مجد الله . . واستخدم يسوع الماء هنا أيضاً مع أنه لم يكن الماء الطبيعي . فكما حول الماء إلى خمر ، وجعل منه مع الروح القدس مكاناً للولادة الجديدة ، وجعله إشارة إلى الماء الحى ، هكذا جعله أداة لإرجاع البصر إلى هذا الأعمى ، وشفى الرجل وكان شفاؤه سبباً فى انقسام حاد بين اليهود (٩ : ١٦) . قال الفريسيون هل يمكن أن يكون الشخص الذى يكسر يوم السبت من الله ؟ (ع ١٦) لماذا لم ينتظر إلى يوم آخر لكي يفتح عينى الرجل؟ إن حالته لم تكن ضرورية جداً وحاسمة حتى يشفيه يوم السبت . فهذا الإنسان إذن ليس من الله . آخرون نظروا بعمق وقالوا لو كان هذا الإنسان ليس من الله ما كان يصنع بواسطته المعجزات . وفى الحوار الذى حدث بين اليهود والرجل الذى كان أعمى تظهر طريقة البشير فى السخرية من اليهود . الرجل لا يعرف إذا كان الذى شفاه من الله أم أنه يعرف شيئاً واحداً أنه الآن يبصر (٢٥) . ثم رد على سؤالهم المتكرر « قلت لكم ولم تسمعوا . . أعلحكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟ » (ع ٢٧) إنه رد قاسٍ ولذلك شتموه . . ووصل إلى قمة المواجهة والسخرية منهم فى (٣٠ - ٣٣) ويبدأ القول « إن فى هذا عجباً . . . » وكانت النتيجة أنهم طردوه من المجمع أى حرموه من العبادة .

٢- فى هذه القصة نسمع صدى لما كان يحدث فى سنة ٨٠ - ٨٥ م بعد خراب أورشليم فإن اليهود بدأوا يتجمعون مرة أخرى وبدأوا ما سموه فى صلاتهم «لعنات على الهراطقة» . والهراطقة هم المسيحيون ، فقد اعتبروهم خارجين على الناموس وموسى وقطعوهم من المجمع ، ولم يصبحوا يهوداً مرة أخرى . . وكان هذا تكررأ لما حدث فى حادثة ذلك الرجل . عندئذ جاء إليه يسوع وأظهر له نفسه أنه هو الذى فتح عينيه وأنه هو المسيا ابن الله وآمن الرجل وسجد له .

وهنا يعلن السيد أنه نور العالم (أنظر ع ٥) ولكنه ليس فقط للانارة بل للدينونة أيضاً « للدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » . ويعرف التريسيون عمق ما يقوله السيد فقالوا « أعلنا نحن أيضاً عميان » (٤٠) قال لهم السيد « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية » (٤١) هذا يبين أن الذى يواجهه النور يرى نفسه فيه حتى ولو كان معانداً مثل التريسيين ، فيعلم أنه تحت الدينونة .

٣ - من هذا المنطوق أعلن السيد عن نفسه أنه هو الراعى الصالح . يمكن أن يفهم هذا القول تماماً إذا رجعنا إلى شئ مماثل له فى حزقيال ٣٤ . حيث يوبخ الله رعاة إسرائيل أنهم لم يرعوا الغنم ولم يعطوها طعاماً بل بالعكس ذبحوها وأكلوها . وبدلاً من أن يحموها تركوها تضل فتفترسها وحوش البرية ، ولهذا السبب يجب أن يطرد الرعاة ويصبح الله وحده الراعى لهذا القطيع المسكين . والله سوف يقودهم من السبى ويجمع القطيع المشتت ويدخلهم إلى الأرض حيث يجدون المرعى . سوف يطعمهم ويريحهم حتى يعرفوا أنه هو الرب . وبعد ذلك سوف يفصل بين شاة وشاة بين الجداء والخراف . وسوف يقيم عليهم راعياً هو داود (أى المسيا) . وسيقتل وحوش البرية فتبقى الخراف فى أمان . ويحتم التنبؤ هذه النبوة بالقول « وأنتم يا غنم غنم . رعائى أناس أنتم ، أنا إلهكم يقول السيد الرب » (حزقيال ٣٤ : ٣١) . هذه النبوة تشبه إلى حد كبير خطاب السيد فى يوحنا ١٠ : ١٨-١٩ . فالسيد يقول إن خرافه تركها لأجزاء لتفترسها الوحوش ، (١٠ : ١٢) ، أكلها السراق والاصوص (١٠) ولكنه كالراعى الصالح الذى يخلص رعيته ولذلك فهى تعرفه (٨) . وهو يدين الرعاة السابقين الاصوص (١) ويظهرهم على

٦٠٩

١ م ٣٩ - المدخل الى العهد الجديد

حقيقتهم للجميع ليعرفوا من هم . وعندئذ يجمع رعيته المشتتة لأن له « خراف
آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون
رعية واحدة وراعى واحد » (ع ١٦) . ولكن أعظم ما يعمله هذا الراعى
الصالح هو أنه يبذل نفسه عن هذه الرعية (١٧ و ١٨) .

من هذه المقارنة نستطيع أن نقول إن السيد كان يدين رعاة إسرائيل
الغاشين ، رعائهم الذين لم يعرفوا سوى نفع أنفسهم وخيرهم هم ، ولم يهتموا
بأمور الرعية بل سخروها لتفجعهم أليسوا سراقاً ولصوصاً ؟ . .

(و) نصرة الحياة على الموت (ص ١١ : ١-٥٣)

قصة إقامة اليعازر من الموت قصة متكاملة يذكرها الإنجيلي بتفصيل
وإلى . وفى كل القصة لا نجد مثلما مر علينا انفصالا بين القصة والخطاب أو
الحوار . . لكن نجد فيها الحوار المتكرر بين السيد وتلاميذه وبينه وبين
أختى اليعازر مرتبطاً بالقصة فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . ولعل الهدف
الأكمل لكل ما حدث يلخصه السيد فى قوله « هذا المرض ليس للموت بل
لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به » (ع ٤) . فى هذا الأصحاح نجد أن الكلمة
والعمل يكونان كلاً لا يتجزأ بكيفية لا نلاحظها فى أى جزء آخر من الكتاب
- لأنهما - أى الكلمة والعمل ، يشرحان عقيدة لاهوتية تظهر دائماً فى
يوحنا .

١- فى هذا الجزء تظهر فكرة الحياة بكل وضوح ، فإذا كان يسوع هو
نور العالم فهو أيضاً معطى الحياة وهو الحياة . وفى هذا الأصحاح تظهر هذه
الفكرة وتعتبر الفكرة الرئيسية فيه . وإذا رجعنا إلى الأصحاح الخامس حيث
يظهر الابن والآب كمصدر للحياة ، نجد أن هناك دورين فى إعطاء الحياة :
الدور الأول (٥ : ٢٥) وهى الحياة الأبدية التى يعطيها الابن الآن : أما

الدور الثاني (٢٨ و ٢٩) فهو في الساعة الأخيرة حيث يسمع الذين في القبور صوت ابن الله فيقومون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للدينونة . في هذا الأصحاح الذي أمامنا (١١) نجد مثالا للدور الثاني الذي فيه يسمع الذين في القبور صوت ابن الله وقام الميت . (١١ : ٤٣ و ٤٤) مع فارق واحد وهو أن القيامة الجسدية حدثت دون أن يكون لها صلة بالدينونة . ومن هذا نرى أن الذي يؤمن بالمسيح . . الذي يسمع كلمته سوف ينال الحياة الأبدية وسوف يقيمه في اليوم الأخير (أنظر ٦ : ٥٤) فالمسيح هو معطي الحياة الآن وفي الساعة الأخيرة . إنه الحياة وأنه القيامة . . الآن وفي اليوم الأخير وهذا ما قاله لمرثا « أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد » (١١ : ٢٥ و ٢٦) .

٢- إذن إقامة العازر معناها أن الساعة قد أتت لكي يتمجد الآب بالابن ويظهر الابن مجده . فعندما تأتي الساعة يعمل المسيح آية لإظهار مجده ، يقوم بها ، إنه لا يعملها إلا في هذا التوقيت . فعندما طلبت أمه العذراء منه أن يسعف أولئك الذين كانوا في العرس وفرغت الخمر منهم ، قال لها إن ساعته لم تكن قد جاءت ، ولكن عندما جاءت ساعته حول الماء إلى خمر (٢ : ٣ و ٧) . وبالمثل عندما سأله إخوته أن يذهب إلى العيد لكي يظهر مجده قال لهم إن ساعته لم تأت بعد (٧ : ٢ - ٦) ، ولكن لما جاء وقته ذهب إلى العيد في السر ، وعندئذ وقف يعلم علناً في الهيكل وفي اليوم الأخير العظيم في العيد أعلن نفسه أنه هو معطي المياه الحية للحياة الأبدية . هكذا يظهر في هذه الآية - إقامة العازر - مع أنها تنتمي إلى آخر الأيام إذ أقام الجسد من القبور ، لكن الساعة قد جاء لكي يظهر هذا الجسد كعلامة ورمزاً ، على أنه يعطي الحياة ويقيم الأجساد ، إنه هو القيامة كما أنه هو معطي الحياة .

٣ - هنا وفي هذا المكان الذى يظهر فيه المسيح معطياً للحياة، وأنه هو القيامة الذى انتصر على الموت . . فى هذا المكان نفسه ، كان يسوع يواجه خطر الموت . لأن اليهود بدأوا جدياً يدبرون المؤامرة لكى يقتلوه . وقد ظهر هذا واضحاً فى قول التلاميذ « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرحموك وتذهب أنت هناك » (ع ٨) . أليس هذا مصدر قوة وإيمان للمسيحيين . إن المكان الذى فيه ينتظرون الموت هناك تظهر آية المسيح ويعلن نفسه أنه هو القيامة وهو معطى الحياة بل إنه هو الحياة ؟ . إن الإعلان العميق الذى نكتشفه هنا هو أن السيد ذهب لكى يعطى الحياة لأنه ذهب لكى يبذل نفسه عن العالم . . إنه يعطى الحياة للناس لأنه هو أعطى حياته من أجلهم . . وهذا متضمن فى قول رئيس الكهنة « إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (ع ٥٠) فيفسره البشير « لم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة . وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » (٥١ و ٥٢) . إنه الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف (١٠ : ١١) .

(ز) الحياة من الموت - معنى الصليب (١٢ : ١ - ٣٦)

هذا هو آخر قسم من كتاب الآيات : وفى هذا القسم نجد قصتين . القصة الأولى دهن قدمى يسوع فى بيت اليعازر ومريم ومرثا (١ - ٨) والقصة الثانية هى قصة دخوله الانتصارى إلى أورشليم (١٢ - ١٩) . بعد تلك خطاب يسوع بعد مجيئ اليونانيين لكى يروه (٢٠ - ٣٦) وأخيراً نجد خاتمة كاملة لكتاب الآيات (٣٧ - ٥٠) .

١ - فى القصة الأولى . قصة دهن قدميه بقارورة الطيب غالية الثمن كانت تمتلكها مريم أخت اليعازر ، أعلن يسوع ، بعد أن سمع تدمر بعض

التلاميذ وخاصة يهوذا أنها إنما فعلت ذلك استعداداً لتكفيته . « أتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته » (٧) . في هذه القصة يؤكد المسيح أن عملها له هو ابتداء لتكفيته . . لموته ، ولكن هذا الذي كان يتكلم عن موته كان يجلس إلى جواره اليعازر الذي أقامه هو من الموت . ولكن اليعازر لم يظهر هنا في هذا الموقف فقط بل ظهر في موقف آخر ، في القصة التالية عندما دخل السيد إلى أورشليم راكباً على جحش أتان ، في هذه القصة دخل يسوع ملكاً فاتحاً ممجداً فهو الملك الذي تنتظره الأمة . ولكنه دخل بالنصرة والملك العظيم هذا بعد منظر تكفيته . . إنه يملك ويتمجد بعد أن يقدم نفسه لأجل الجميع .. إنه يبذل نفسه طائعاً لأجل الجميع لأنه هو الذي كسر الموت وانتصر عليه . . وهذا كما سبق القول يتضح في تكرار العبارة « إنه دعا اليعازر من الموت » (١٧) . فهو ملك لأنه قهر الموت ولأنه بذل نفسه . ولكن هناك عنصر

آخر اعترف به اليهود وهم لا يدرون عمق ما يقولون « هوذا العالم قد ذهب وراءه » إنهم يعلنون دون أن يدروا أن أتباع يسوع ليسوا فقط من اليهود بل من العالم كله . ما أشبه كلامهم هذا بكلام رئيس كهنتهم عندما قاله وهو لا يدري معناه العميق في ١١ : ٥٠ - ٥٢ . هذا يرينا أن قصة الدخول الانتصاري التي ترمز إلى الملك والانتصار العظيم يجب أن تتبع قصة دهن قدميه التي ترمز إلى موته ودفنه .

٢ - بعد ذلك تأتي قصة جماعة من اليونانيين الذين أرادوا أن يروا يسوع ويلوح أنهم لم يكونوا أصلاً من اليهود المثقفين بالثقافة اليونانية بل جماعة من الدخلاء أي الذين تهودوا . هؤلاء أرادوا أن يروا يسوع ، والرؤية هنا تعني أكثر كثيراً من مجرد المقابلة ، إنها المعرفة التي تعني الصلة بل العمق في هذه الصلة . هذه القصة كانت الإطار الذي فيه وضع السيد خطابه التالي . وهذا الخطاب يعطينا نفس المنظر الذي كان في بستان جثسياني . وفيه يعلن أنه

موته كان من أجل العالم كله ، فلا يقتصر على تلاميذه أو اليهود بل يتعدى ذلك إلى كل العالم « الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن إن ماتت فهي تأتي بشمر كثير » (٢٤) . ولقد أتت هذه الساعة الآن . إن وقوع الحبة وموتها ليس نظرية فلسفية ولكنها واقعة تاريخية ، وموت المسيح حقيقة واقعة وقد بدأت الآن لأن الساعة قد جاءت . فالحياة الأبدية ، والنور ، والحق المطلق لا تبنى كلها على نظريات ولكن على موت حقيقي . . . يجب أن يموت لكي يصير الحصاد كثير .

٣- في هذا الخطاب ينكشف لنا السر الذي كنا نترقبه ، السر الذي يتميز به إنجيل يوحنا . فهو إذ يصف ذلك المنظر القاسي الذي حدث في بستان جثسيماني ، الذي رسمه كاتب العبرانيين في أبعاده المؤلمة (عبرانيين ٥ : ٧-٩) ، يحوله هو إلى مكان للنصرة ، فعندما يصلي السيد يقول « أيها الآب نجني من هذه الساعة . . . ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة أيها الآب مجد اسمك » (٢٧ و ٢٨) . وجاء الرد من السماء « مجدت وأجد أيضاً » (٢٨ ب) . أي أن الآب قد مجد نفسه في إرسالية الابن ، وسوف يتمجد أيضاً في موته . وهذا الجزء الأخير هو سر إنجيل يوحنا ، وهو ارتباط المجد بموت المسيح : مجد الله وتمجيد المسيح . ويبدأ الكاتب في تقديم حقيقة المجد في كتاب الآيات من ٥ : ٤٤ إذ يقارن المجد الذي من الله والمجد الذي من البشر . ثم يتقدم في ٧ : ١٨ فيظهر أن المعلم الذي يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، ولكن من يطلب مجد للمدى أرسله فهو المعلم الصالح ، ولكن من هو المعلم الصالح هذا ؟ في ٨ : ٥٠-٥٥ نعرف أن يسوع هو المعلم الذي لا يطلب مجد نفسه بل مجد الله . ولكن كيف يأتي هذا المجد ؟ في ١١ : ٤ يربط مجد المسيح بمجد الله . ففي مجد الآب مجد المسيح . وقد

عرفنا أن يسوع قد أقام العازر وهو يواجه الموت لأنه يبذل نفسه . ومن هنا نستطيع أن نفهم تلك العبارة التي وردت في ١٢ : ٢٣ « قد أتت الساعة ليمجد ابن الإنسان » ، إذ بعد هذا الكلام يظهر أن تمجيد المسيح هو في بذله لنفسه ، في إعطائه لنفسه ، لكن إعطائه لنفسه قصد به أيضاً مجد الآب .. فمجد المسيح الذي هو مجد الآب هو في بذله لنفسه من أجل الجميع . وهذا هو سر إنجيل يوحنا : إن مجد المسيح وهو يظهر في تمجيد الآب يكمن في موته وقيامته . فتمت تكلم عن مجده فإنه يتكلم عن موته وقيامته ، ففي هذا مجد الآب والابن معاً .

٤ - ولكن تقديم السيد نفسه له مظهر آخر وهو دينونة العالم « الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً » (ع ٣١) . ودينونة العالم هي الآن ، وطرده رئيسه قد حدث ، لأن آلام المسيح بدأت وسوف تكمل بالقيامة وهي حقيقة مؤكدة . ولكن دينونة العالم ليست الكلمة النهائية ، إن هناك عملاً مجيداً آخر يقول السيد فيه « وأنا إن ارتفعت إلى العالم أجدب إلى الجميع » (ع ٢٢) إن كلمة الجميع هي الخراف الأخرى التي ليست من هذه الخطيرة (١٠ : ١٦ أنظر ، ١١ : ٣٢) . وقد فسر الإنجيلي هنا كلمة « ارتفعت » بعد أن كانت غير مفهومة في الأصحاحات السابقة ، وهي كلمة مأخوذة من إشعياء ٥٣ - ١٣ ثم تكررت في يوحنا ٣ : ١٤ ، ٨ : ٢٨ ، أي أن رفع ابن الإنسان معناه موته . وهنا يبلغ معنى موت المسيح وقيامته كتمجيد له فتمت ، فهو تمجيد للآب ودينونة للعالم وجذب الذين هم له إليه لكي يؤمنوا به ويكونوا معه . وبعد أن شرح السيد ذلك أراد السامعون أن يدخلوا في مناقشات تفسيرية عن المسيا ابن الإنسان وكيف أنه لن يموت ، لكن يسوع لم يهتم بمناقشتهم الكلامية بل طلب منهم أن يفتحوا أعينهم لكي يروا النور الذي أمام أعينهم ويسترشدوا به بالإيمان .

تكلم يسوع بهذا واختفى عنهم .

٥ - ينتهى هذا الفصل بجزء هو نهاية لكتاب الآيات كله ونرى فيه أمرين :

الأول : هو أنه مع هذه الآيات الواضحة التى قالها وعملها السيد فإن اليهود لم يؤمنوا به وبذلك تم قول إشعياء : يا رب من صدق خبرنا (ع ٣٧ و ٣٨) وهذا الاقتباس يستخدمه الرسول بولس نفسه فى رومية ١٠ : ١٦ وفى كل الأناجيل وحتى سفر الأعمال يذكر ذلك عملياً (٢٨ : ٢٥ - ٢٧)

الأمر الثانى : وهو تلخيص لكل ما سبق وأعلنه عن نفسه أنه مرسل من الآب نور للعالم وأنه دينونة لمن لا يقبل كلامه . .

ماذا نرى إذن فى هذه الأصحاحات (٢ - ١٢) من إنجيل يوحنا ؟ نرى مجموعة من الآيات والحوار والخطابات التى تظهر شخصية يسوع وعمله ورسالته . فالآية إذن هى عمل أو قول يشير إلى حق إلهى يعلن ، ولكن هذه الآية يمكن فصلها عن هذا الحق الإلهى ، لأنها ليست جزء منه ، إنها طريقة بها يعلن ويمكن أن يعلن بطريقة أخرى ، فمثلا حول المسيح الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل ، وكان هذا العمل آية بمعنى أنه يشير إلى أن يسوع قد أتى بنظام جديد ، خمر جديد . هذه الآية تشير إلى هذا الحق الجديد . ولكنها لا تكون جزءاً من هذا الحق بل هى مسألة توضيحية .

لكن كتاب الآيات هذا ينتهى بآية الآيات التى هى موت المسيح ، وهنا يختلف الموقف . إن موت المسيح آية وإشارة إلى محبة الله للعالم « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد . . » ولكن موت المسيح هو جزء لا يتجزأ من هذا الحق . إنه ليس إشارة فقط بل هو حقيقة تاريخية : إن موت المسيح

نفسه هو محبة الله للبشر ، وليست هناك طريقة أخرى بها يمكن أن تعلن تلك المحبة . كل آيات يسوع علامة وإشارة ما عدا موته ، فهو ليس آية أو علامة على أن المسيح بذل نفسه ولكنه البذل ذاته وهو الذى يريد السيد أن يقوم به . إن الأم في المنزل قد تلبس في يدها خاتماً ليشير إلى أنها الزوجة والأم ، ولكن الأمومة نفسها تظهر في حياة البذل والتضحية والعطاء . . هكذا آيات المسيح كلها علامة على أنه : نور العالم ، الحياة ، مجد الله وديان العالم . لكن موته ليس آية ككل الآيات بل هو نفسه نور العالم حياة المؤمنين ديان العالم ومجد الله . فوته إذن فيه شيء لم يكن في الآيات ، ففيه تحولت الفكرة إلى حقيقة واقعة . فالصليب هو الحقيقة ، وكان كل شيء محتاجاً إلى هذا الفعل الذى هو الحقيقة كاملة . وكم كان جوتيه صادفاً عندما قال « في البدء كان العمل » لأن كلمة الله هي عمل الله وعمله هو كلمة . .

وبهذا يكتمل كتاب الآيات ونأتى بعد ذلك إلى كتاب التمجيد .

كتاب التمجيد :

كثير من العلماء يسمون هذا الجزء بكتاب الآلام أى أنه الكتاب الذى يدور حول آلام المسيح وقيامته . ولكن بحسب إنجيل يوحنا ومفهومه اللاهوتى يعتبر هذا الجزء تمجيد الابن . لأن مجد الابن ينبع من تمجيد الآب بإطاعته إياه وبذله نفسه وقيامته وصعوده . . وعلى هذا الأساس سنطلق هذه التسمية كتاب التمجيد « على هذا الكتاب أى الذى يدور حول هذا التمجيد .

وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين : للقسم الأول هو خطاب الوداع (١٣ - ١٧) والقسم الثانى هى حوادث التمجيد (١٨ - ٢١) إذا اعتبرنا أن ص ٢١ الذى يسميه معظم العلماء « ملحق للإنجيل » . ولكن سواء أكان ملحقاً أم جزءاً أساسياً من الكتاب فإنه موجود فيه منذ البدء ولا يمكن أن نجد نسخة واحدة لم تذكره .

أولاً - خطاب الوداع :

يختلف هذا القسم من أقوال السيد عما سبق من خطاباته وحواره في أنه موجه إلى تلاميذه فقط ، بينما تلك الأقوال السابقة كانت موجهة إلى الجموع وخصوصاً رؤساء اليهود . هنا يجلس مع تلاميذه لوحدهم ، السيد مع كنيسة الراعي مع رعيته ؛ لا يوجد أى غريب بينهم ، حتى يهوذا ذهب ولم يكن معهم ، وفي هذه الحالة بدأ يكلمهم ويلخص لهم المستقبل والمشكلات التي تواجههم والاختبارات العميقة التي تجوز فيها كنيسته ، وأخيراً يرفع الصلاة إلى الآب لأجلهم ، لأجل كل الكنيسة التي دعاها وصارت جسده .

وتختلف هذه الخطابات الخصوصية للتلاميذ عن مثلها مما جاء في الأناجيل الثلاثة الأول من حيث الشكل . ففي تلك الأناجيل كان السيد أيضاً يكلم تلاميذه ويفسر لهم ما عصى عليهم عندما يكون معهم في مكان بعيد عن بقية الناس (مرقس ٤ : ١٠ ، ٧ : ١٧ ، ٨ : ٣١ ، ٣٣) وهكذا . ولكن هذه التعاليم كانت في سياق الخدمة والتعاليم ، فكانت متشورة هنا وهناك . أما هنا في هذا الإنجيل فهي حوار أو خطاب متصل ومستمر .

إطار هذا الخطاب :

١- كان هذا الخطاب أو إن شئت فقل «الحديث» كما يذكر إنجيل يوحنا في الليلة التي أسلم فيها يسوع . . لقد كان يسوع يأكل العشاء مع تلاميذه . وفي إنجيل يوحنا لا نرى واضحاً إن كان هذا العشاء عشاء الفصح أو كان مبكراً عنه بيوم واحد ، ومع ذلك فروح الخطاب هو روح الفصح ، وهو مملوء بأفكار الفصح الجديد الذي يأخذ طريقه إليهم الآن . وعشاء الفصح بحسب العادة اليهودية كان يتميز بشئ مهم وهو أن أصغر أفراد الأسرة التي تأكل الفصح يسأل رب الأسرة عن معنى ما يعملون ، فكان هذا الأخير

يتكلم طويلاً معهم عما فعله الله معهم . وهذا كان خطاب الفصح المعتاد الذى يذكره رب الأسرة لنا كل مرة . ولهذا الغرض وعلى أساسه قال يسوع هذا الحديث على العشاء ، فهو رب الأسرة ، وهو سيدها . ولكنه لا يكرر ما جاء فى أقوال رب الأسرة اليهودى ، عما حدث فى العهد القديم وكيف أن الرب عمل معهم خلاصاً عجبياً وأخرجهم من أرض مصر ، ولكنه ذكر لهم أخبار فصح جديد يقام الآن وعملية خلاص روحى عميق هو فى سبيل إكماله أو أنه قد أكمله فعلاً .

٢ - ولكن كان هنا عامل آخر يفسر هذا الخطاب الوداعى الطويل :
فى أمصحات ٢ - ١٢ أى فى كتاب الآيات كان يسوع ينظر دائماً إلى الأمام إلى تلك الساعة أى إلى ساعته . وهذه الساعة هى وقت موته وقيامته وصعوده أى ساعة تمجيده . فى تلك الساعة يأتى الإعلان النهائى لمجد الآب فيه . أما من ابتداء ص ١٣ فإننا نجد أن يسوع يعلن أن الساعة قد أتت « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب » (١٣ : ١ أنظر ١٣ : ٣١ ، ١٧ : ١) . لقد أتت الساعة التى كان ينتظرها من وقت طويل مضى . وهنا نلاحظ فرقاً بين هذا الخطاب والخطابات التى كانت تبني على الآية فى ص ٢ - ١٢ كتاب الآيات « فهناك كانت الآية تذكر أولاً ثم يتلوها الحديث سواء أكان خطاباً أو حواراً ، أما هنا فإن الآية أى « صلب السيد » فكانت لازالت فى المستقبل ، إنها لم تحدث بعد . . إنها على وشك الحدوث . ومع ذلك فإن يسوع يتكلم كأن كل شئ قد حدث ، إنه لا يتكلم كالمعلم ، بل كرب الكنيسة وسيدها الذى انتصر ، لقد أخذ السلطان من الله لكى يعطى حياة أبدية (١٧ : ٢) . فى تلك الساعة لم يكن يسوع يتكلم كأنه ينتظر شيئاً قادمًا مروعاً ولكنه يتكلم وكأن كل شئ قد انتهى وجاز فيه الابن الأبدى فى نصرته . إن جشيماني قد انتهت ، واضطراب

نفسه قد صار وانتهى (١٢ : ٢٧ و ٢٨) وهو الآن يتكلم في مجده وسلطانه الإلهي .

القضايا الهامة في الحديث :

ولكن ما هي المواضيع أو القضايا الهامة التي يلمسها هذا الحديث الطويل

للسيد ؟

١ - إن معظم القضايا التي فيه تتشابه مع القضايا والحقائق التي أعلنها السيد لتلاميذه في جلساته الخاصة ، معهم كما وردت في الأناجيل الثلاثة الأخرى وهي : تأتي تحت ٣ رؤوس :

(أ) نصائح وتحذيرات وواعيد للتلاميذ : عند الإرسالية (متى ٩ : ٣٥ - ١٠ : ١٦ وما يقابلها) وللسلوك مع الأخوة (مرقس ٩ : ٣٣ - ٥٠) ، الموعظة على الجبل (متى ٥ - ٧ وغيره) نبوات عن خيانة يهوذا وإنكار بطرس وهروب التلاميذ (مرقس ١٤ : ١٨ - ٢١ وما يقابلها) . تحذيرات من الاضطهادات (متى ١٠ : ١٧ - ٤٠ وما يقابلها) . وواعيد بالحماية والمعونة التي يقدمها الروح القدس (متى ١٠ : ١٨ - ٢٠ ، ٢٨ - ٣٣ وما يقابلها) :

(ب) نبوات عن موته وقيامته (مرقس ٨ : ٣١ و ٣٢ ، ٩ : ١٢ و ٣٠ - ٣٢ ، ١٠ : ٣٤ وما يقابلها) :

(ج) نبوات أمخاتولوجية النهاية (مرقس ١٣ : ٥ - ٢٣ وما يقابلها)
الجبني الثاني (مرقس ١٣ : ٢٦ و ٢٧) هذا هو ماخص التعاليم الخاصة التي قدمها السيد لتلاميذه في جلساته الخاصة . وإذا درستا خطاب السيد في إنجيل يوحنا فإننا نجد معظم هذه التعاليم ، ما عدا التعاليم التي تختص بالنهاية كما

جاءت في رقس ١٣ : ٥ - ٢٣ ، موجودة في يوحنا . ولكن لا يوجد هناك اهتمام كبير بالتعاليم الأخلاقية التي توجد في الموعظة على الجبل . أما بخلاف ذلك فكل التعاليم الخاصة بوجوده في هذا الحديث الطويل . ويلاحظ أيضاً أن أحاديث المسيح مع تلاميذه في الأناجيل الثلاثة لها صلة كبيرة بآلامه وآلام كنيسة وكذلك كانت تعاليم إنجيل يوحنا مع فارق واحد وهو أن إنجيل يوحنا لا يذكر الألفاظ المباشرة للموت والقتل والصلب كما تفعل الأناجيل الأخرى ولا يذكر اصطلاح القيامة ، ولكنه يضع عبارات أخرى : فبدلاً من الموت يذكر السيد « أضع نفسي وبدلاً من الصلب يضع كلمة « إن ارتفعت عن الأرض » أو يتمجد . . وهكذا .

وهكذا نجد التشابه بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة في المواضيع العامة ولا يختلف عنها سوى في بعض التعبيرات وعدم اهتمامه ببعض المواضيع القليلة كما ذكرنا .

٢ - لكن نلاحظ شيئاً آخر ، وهو أن المواضيع والحقائق التي يذكرها الإنجيل في كتاب الآيات يذكرها أيضاً في هذا القسم ولكن في ضوء جديد وبمعنى متطور : فمثلاً إن كان قد قيل هناك إن يسوع لم يكن قد مجد بعد ، (٧ : ٣٩) فإنه في ١٣ : ٣١ يذكر علناً أن « تمجد ابن الإنسان » . ومثل آخر : إذا كان كتاب الآيات يذكر أن معرفة الآب أو رؤيته . . لا يتم إلا في إعلان الابن فإنه في ١٤ : ٧ - ٩ نجد أن هذه الرؤيا قد تحققت . وهذه المعرفة قد حدثت في اختبار التلاميذ .

ومثل ثالث : فبينما يقول في ٦ : ٥٧ « . . وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي » يقول في ١٤ : ١٩ « إني أنا حي فأنتم ستحيون » أي أن الشخص الغائب قد تغير وأصبح بصيغة المخاطب أو الشخص الثاني ، معنى

ذلك أن العلاقة المحببة التي كان كتاب الآيات ينتظرها تم بين الناس والله في الابن المتجسد ، قد بدأت تتحقق الآن ، لأن الكلمة قد تمجد . . قد تم عمله ومجده الآب . فالمتكلم هنا هو المسيح الممجد لأنه قد تمجد حقيقة .

وهنا نجد أيضاً تغييراً هائلاً في استخدام الاصطلاحات . . فالاصطلاحات نور العالم وحياة الناس ، تصبح حقيقة واقعة في اختبار التلاميذ . . فيصبح التعبير الغالب الآن هو المحبة التي يظهر كمال التعبير عنها في العلاقة بين الآب والابن ثم تتجسم أيضاً في العلاقة بين التلاميذ الذين يمثلون كنيسة المسيح وبين المسيح (١٤ : ٣١ ، ١٥ : ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٣ ، ١٧ : ٢٣ - ٢٦ ، ١٣ : ٣٤ و ٣٥ ، ١٤ : ٢١ - ٢٣) . يظهر ذلك أيضاً في عدد المرات التي فيها تظهر كلمة المحبة في ص ١٣ - ١٧ . فبينما لم تظهر في ص ١ - ١٢ سوى ٦ مرات ظهرت هنا حوالي ٣١ مرة وبينما لم تظهر هنا كلمة « الحياة » أو « نحميا » سوى ٦ مرات ولم ترد فيها كلمة النور بتاتاً . ترد هذه الكلمات في ص ١ - ١٢ حوالي ٨٢ مرة . إن الهدف من ذلك هو إظهار الحقيقة المحببة وهي أن تحقيق الحياة والنور قد تم نهائياً في اختبار المحبة . ففي حياة المحبة يستطيع الإنسان أن يعرف الله ويشترك في حياته فيصبح ثابتاً فيه وهو فيه . وبذلك يصبح الجميع واحداً في الله بواسطة الكلمة الذي به صار كل شيء . وبغيره لم يكن شيء مما كان .

مضمون الخطاب الوداعي :

ينقسم الخطاب الوداعي إلى ثلاثة أقسام رئيسية : الأول : العمل العجيب الذي قام به السيد في غسل أرجل تلاميذه ، والحوار الذي يتدخل فيه (١٣ : ١ - ٣٠) . القسم الثاني الحوار الذي يحدث بين المسيح وتلاميذه وفيه يطول قول السيد رويداً رويداً إلى أن يصبح هو وحده المتكلم (١٣ : ٣١ - ١٦ : ٣٣)

وأخيراً الصلاة الفريدة التي يرفعها السيد بخصوص تلاميذه ومن خلالها من أجل كنيسته كلها (١٧) .

١ - أما القسم الأول وهو غسل أرجل التلاميذ فكان عملاً رمزياً .
والشيء الغريب ، أنه رغم أن إنجيل يوحنا يتسم بالميل إلى الرمزية فإنه لا يذكر قصة العشاء الرباني . إنه يذكر شيئاً آخر ، فهو يتخذ منشفة وبتزربها ثم يغسل أرجل تلاميذه . نلاحظ أن الإنجيلي يقدم لهذه الحادثة بقوله « وأما يسوع وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته أحبهم إلى المنتهى . . يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي . . » (١٣ : ١ - ٣) .
هذا العلم وهذا الفكر كان في عقل السيد وهو يواجه أخطر أزمة في حياته . أزمة الموت التي يقول عنها في «واجهتها الآن» (١٢ : ٢٧) .
ولكن رغم هذه الأزمة لم يكن لديه أدنى شك في رسالته وفي سلطانه . . إنه عرف أن ساعته قد جاءت لكي ينتقل إلى الآب ، إنها ليست ساعة الأعداء . لكي يقتلوه ولكنها ساعته هو لكي ينتقل إلى الآب . وفي قمة يقينه وثقته في الآب ، وعندما كان يعرف أن سلطانه على كل شيء . . في هذه الفرصة عمل عمل العبيد . . غسل أرجل تلاميذه . . إن يسوع لم يصر لهاً لأنه أطاع وقام بعمل العبيد هذا ، بل قام بهذا العمل لأنه إله ، ولأنه متسلط على كل العالم . فعمله هذا لم يكن فقط مثالا للتلاميذ ولكنه كان إعلاناً لحجد الألوهية .
ففي أقل وأتفه الأعمال والأشغال يمكن أن يظهر جلال الله . . فمن يستطيع إذن أن يحتقر أي عمل مهما كان صغيراً؟ فيه يستطيع الفرد أن يظهر مجد حياة الله فيه . . إن عمل السيد هو أساس عملنا وتفكيره هو الدافع لتفكيرنا (٢ كورنثوس ٨ : ٩) .

هنا أمر آخر وهو أن بطرس عندما رفض أن يغسل السيد رجله قال له السيد « إن لم أغسلك ليس لك معي نصيب . إن كانت الأعمال التي نعملها تبين مجد الله فينا فذلك لأننا أخذنا نصيبنا في المسيح . المسيح يغسل أرجلنا أولاً لكي نصبح له . . . إننا نحتاج إليه . لا يستطيع بطرس أن يعطى نفسه شيئاً المفروض أن يعطيه له السيد . هذه الحقيقة هي التي يجب أن يفهمها بطرس وكل التلاميذ . ومن هذا نعرف أن عمل السيد هذا وإن كان رمزياً في توقيته : إذ عمل وقت العشاء . : عشاء الرب وفيها نخله من أمور ، وفوق كل شيء في الإطار الإلهي الذي بنى عليه ، فإنه أيضاً مثال لنا حتى كما فعل هو نفضل نحن أيضاً (١٣ و ١٤) .

٢ - في الجزء الذي يبدأ من ١٣ : ٣١ وينتهي بالأصحاح الرابع عشر كله يتكلم السيد عن موته وقيامته ففي ذلك الوقت كان السيد يواجه حقيقة الموت ، وهي حقيقة تاريخية يعرفها كل الناس . ومع أن السيد كان للتلاميذ ولبطرس « حيث اذهب لا تقدر الآن أن تتبعني . . . » (١٣ : ٣٤ و ٣٦) وهو يعنى الكأس الذي كان عليه أن يشربه أى الموت ، مع ذلك قال لهم بعد ذلك « أنا أمضي لأعد لكم مكاناً . . . آتى أيضاً » (١٤ : ٢ و ٣) فإذا كان يعنى بكلمة آتى ؟ إن المضي عنهم يعنى موته ، وبالتالي فإن مجيئه يعنى قيامته . نعم إن الكنيسة فهمت من الحبي الذي يتكلم عنه السيد هنا الحبي الثاني ، عندما يأتي لينهى التاريخ ، ولكن في إنجيل يوحنا ، هذا الحبي يعنى شيئاً آخر غير الحبي الثاني . هذا المعنى يظهر في الآيات التالية « لا أترككم يتامى إلى آتى إليكم بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فتروني . . . إلى أنا حي فأنتم ستحيون . . . إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه تأتي وعنده نصنع منزلاً . . . بهذا كلمتكم وأنا عنديكم وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (١٤ : ١٨ - ٢٤) إن

يسوع يرجع إلى أولئك الذين هم في الأرض . . الذين يحبونه ويحفظون وصاياه . . إنه يأتي لكي يسكن معهم بروحه . . هذا الروح الذي يسأله الابن من الآب لكي يأتي إليهم ويسكن معهم إلى الأبد (٢٥ - ٢٨) . فرجوع المسيح إليهم معناه بالنسبة لهم ، هو اختيار روحه القدوس ، فمجى الروح القدس هو هذا المجى الذي يتكلم عنه السيد في هذا الخطاب . وهذا المجى مشروط . . أى أنه يأتي بشرط أن يحفظ المؤمنون وصية السيد التي أعطاهم لهم أى المحبة . إنه أوصاهم وأعطاهم المثال الحقيقي لهذه المحبة . . هذه المحبة الحقيقية التي يجب أن يعيشوها هم ، هي التي تقنع العالم أنهم له وهو لهم وأنه في وسطهم . (١٣ : ٣٤ و ٣٥) . ولكن هذا لا يعنى أن يوحنا ينكر المستقبل والأختانولوجى وقيامه الأموات ، فهذا نراه بوضوح في كلام السيد في ٥ : ٢٨ و ٢٩ . إنه المستقبل الذي تتكلم عنه الأناجيل الثلاثة الأولى وبقية كتب العهد الجديد . لكن المستقبل الذي يذكره في هذا الموقف هو المستقبل القريب عندما يرجع السيد إلى تلاميذه بعد قيامته في روحه القدوس . إنه سيأتى روحاً معطياً حياة جديدة ونوراً جديداً ورؤى جديدة في خدمته . إنه سيمكث معهم مع الروح المعزى . وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن النهاية التي تتكلم عنها كتب العهد الجديد الأخرى عندما يأتي السيد على السحاب ، لم تكن الشغل الشاغل للإنجيل يوحنا بل كان شغله أن يذكر أقوال السيد التي فيها يعزى تلاميذه ويذكرهم أنه سيكون معهم ويمكث فيهم . إنه سيذهب ثم سيأتى إليهم مرة أخرى وسيمكث فيهم وسوف يظهر ذلك في المحبة الكاملة التي تظهر في حياة تلاميذه الذين هم له .

٣ - أما ص ١٥ و ١٦ فيظهر فيهما قول السيد الذي تتضح فيه علاقته بكنيسته . فهذه الحياة التي فيها تتحقق الحياة الأبدية في حياة التلاميذ هي الشغل الشاغل لهذا الإنجيل . وما دام المجى الذي يذكره السيد هنا هو مجيئه إلى

٦٢٥

(م ٤٠ - المدخل إلى العهد الجديد)

من يحبونه ويحبون حياة جديدة . فالاهتمام كله كان بهذه الحياة التي يحبونها .
والعلاقة التي تربطهم بالسيد الذي يعيش بالروح في وسطهم . ويعبر السيد
عن علاقته بمن هم له بصورة معروفة جيداً في العهد القديم ، وهي صورة
الكرمة « كرمة من مصر فقلت طردت أممياً وعرستها هيأت قدامها فأصلت .
أصولها فلأت الأرض . . » (مزور ٨٠ : ٨ - ١٩) . ويأخذ السيد هذه
الصورة فيقول « أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام ، كل غصن في لا يأتي .
بشر يقطعه ، وكل ما يأتي بشمر ينقيه حتى يأتي بشمر أكثر » (١٥ : ١) .
فإذا قال السيد إنه الكرمة الحقيقية فهذا يعني أنه شعب الله الحقيقي . إنه أخذ
مكان إسرائيل ، فهو ومن له أصبح الكرمة والشعب الأمين . إنه إسرائيل
الحقيقي . وإذا كان إسرائيل هو كرمة الله في العهد القديم . فالله هو الذي
غرسها ونماها ، وهذا ما يذكره إشعيا في أنشودته الرائعة عن كرم الرب
(إشعيا ٥ : ١ و ٢ و ٧) . وإذا كان يسوع قد أخذ مكان إسرائيل فقد
خضع للآب وأطاعه . . وكإسرائيل الجديد والكرمة الجديدة يرتبط يسوع
بمن هم له ، فيكونون كلا واحداً معه ، فهو جزء منهم وهم جزء منه ،
وحياته تصعب في حياتهم ويحبون فيه وبواسطته . أما العلامة التي تبين ثبات
أولئك فيه - في الكرمة الحقيقية - هو الثمر الذي يظهر في الأغصان وذلك
الثمر هو في الحقيقة المحبة .

ولكن هذا المجتمع - مجتمع المحبة - مكروه من العالم . إنه يحتقرهم .
ففي كل الأزمان عندما يظهر مجتمع المحبة فإن رد الفعل عند العالم هو الكراهية
والاحتقار . ولكن المؤمن ليس في ذلك وحيداً ، فإن السيد سيرسل لهم مدافعاً .
آخر يدافع عنهم : الروح القدس . إنهم تحت حمايته يدافع عنهم ، يعزيمهم .
وفي نفس الوقت يدين العالم . إن عمل السيد معهم في حياته سيكمله الروح

القدس بعد تمجيده ، فالروح هو الذى سيرشد إلى المستقبل فى ضوء يسوع المسيح .

٤ - الصلاة الشفعية . ص ١٧ . إن ص ١٥ و ١٦ يصور السيد حياة الكنيسة وارتباطها به وارتباطه بها ، ولكن فى ص ١٧ فإنه يصور الكنيسة كما هى وكما يجب أن تكون فى المستقبل « لست أسأل من أجل هؤلاء بل من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني » (١٧ : ٢٠ و ٢١) . فوحدة المسيح مع الآب يجب أن تعكسها فى العالم ووحدة الكنيسة فى المسيح يسوع وبالله . ومحبة الله التى أعلنت فى المسيح يجب أن توضحها المحبة التى تتجسم فى حياة أتباعه . وبهذا تعلن الحياة الأبدية التى يتمتع بها المؤمنون « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته (١٧ : ٣) فالحياة الأبدية حياة تقاس بحياة يسوع الذى يعرف الآب وقد أعلنه الجميع »

ثانياً - حوادث التمجيد أو الآلام :

فى قصة آلام السيد أو تمجيده نجد أن الترتيب المعهود فى كتاب الآيات قد تغير ، فهناك كانت الآية تذكر أو تظهر أولاً وعلى أساسها وتفسيراً لها يتكلم السيد أو يجرى حواراً مع الآخرين فالآية أولاً ثم الحديث ثانياً . أما هنا فالحديث قد ذكر أولاً وذلك فى الأصحاحات ١٣ - ١٧ وبعد ذلك ذكرت آية الآيات أى موت السيد وقيامته أو تمجيده . ولعل السيد بعد أن شرح معنى موته وقيامته روحياً للتلاميذ فإنه يتوج هذا كله بقصة هذا الموت وهذه القيامة كأعظم وأمجى عمل قام به السيد . إن مجىء موت المسيح يقوم على أنه مات فعلاً وقام فعلاً ، وعمق معناه الروحى لا يتضح فى الخطابات إلا عندما

نجده قد تحقق فعلا في التاريخ ، فكان لا بد أن تذكر حوادث التمجيد بعد الخطابات لكي توضح لنا صدق روحيتها . وإذا درسنا قصة موت السيد وقيامته وقارناها بما ورد في الأناجيل الثلاثة الأخرى فإنها تتفق في كل خطوطها واتجاهاتها ، ومع ذلك فإننا نجد هناك علامات تميز قصة إنجيل يوحنا عن قصص الثلاثة أناجيل وتلخص هذه العلامات في أمرين .

١ - هناك أشياء جاءت في قصة الأناجيل الثلاثة للآلام لا تظهر في قصة إنجيل يوحنا مثل الحوادث الحارقة للطبيعة ، كإظلام الشمس وانشقاق حجاب الهيكل وحدوث الزلزلة وقيام كثير من أجسام القديسين وشفاء أذن عبد رئيس الكهنة ، وقصص أخرى كحلم زوجة بيلاطس ورشوة الحراس .

وفي إنجيل يوحنا لا نجد قصة عشاء الرب ، ولا ما حدث في بستان جثسياني ولا نجد اتهام يسوع بالتجديف في بيت رئيس الكهنة ولا قصة حمل الصليب بواسطة سمعان القيرواني ولا تقرير عن التعبيرات التي وقعت على يسوع .

كل هذه القصص لم تأت في قصة الآلام بحسب إنجيل يوحنا علماً بأن بعضاً منها نقرأ عنه في كتاب الآيات مثل عشاء الرب في ص ٦ وقصة جثسياني (١٢ : ٢٧ و ٢٨) والتجديف (١٠ : ٣٥ - ٣٩) ، كلها ذكرت هناك مع تفسيرها .

٢ - هناك أشياء يذكرها يوحنا ولكنها لا تأتي في الأناجيل الأخرى . وهي كثيرة نذكر منها :

(أ) التنبير الشديد على أن موت يسوع كان اختيارياً وبمحض إرادته .

وذلك حدث في بستان جثسياني (١٨ : ٦ - ٨) وفي توبيخه لبطرس عندهما ضرب عبد رئيس الكهنة (١٨ : ١١) . ولم يسلم روحه إلا بعد أن وجد أن كل شيء قد أكمل (١٩ : ٢٨ - ٣٠) .

(ب) كان ينبر على الاتهام السياسي ضد يسوع : فهو يؤكد أنه ملك (١٩ : ١٢ و ١٥) بينما يقول شيئاً غامضاً لبيلاطس بحسب الأناجيل الأخرى (متى : ٢٧ : ١١) .

(ج) في قصة الصلب يذكر مجموعة من النبوات التي تحققت لا توجد في الأناجيل الأخرى : مثل عظم منه لا يكسر (١٩ : ٣٦) ينظرون إلى الذي طعنوه (١٩ : ٣٧) .

(د) قصة أمه عند الصليب وطلبه من التلميذ الذي كان يحبه أن يأخذها عنده غير موجودة إلا هنا (١٩ : ٢٦ و ٢٧) وهذه تساوي قصة شق حجاب الهيكل . فذهاب مريم اليهودية إلى التلميذ المسيحي معناه أن اليهودية يجب أن تكون مسيحية .

(هـ) يذكر قصة طعن السيد بالحربة وخروج دم وماء من جنبه (١٩ : ٣٤ و ٣٥) وهذه آية ظاهرة في إنجيل يوحنا : الماء الحى من يشرب منه لا يعطش أى الروح القدس (٧ : ٣٩) والدم الذى هو مشرب حق . وهذا يعنى أن الحياة الأبدية التى تأتى من الروح القدس ومن المسيح قد ظهرت وارتبطت بموته والذى رأى شهد وشهادته حق .

(و) مع أن الأناجيل لا تشير إلى دهن جسد يسوع بالطيب لكن يوحنا يؤكد ذلك (١٩ : ٣٨ - ٤٠) .

(ز) الاهتمام بذكر قصة توما وغيابه عن التلاميذ في الظهور للتلاميذ

ثم حضوره بعد ذلك بأسبوع ورؤيته للرب تبين اهتمام الإنجيلي بالشهادة التاريخية وحقيقة القيامة، وصلة الرويا بالإيمان واعتراف توما بألوهية السيد.

وهكذا تؤخذ بعض التنبيهات في إنجيل يوحنا مما لا تراها في الأناجيل الأخرى . فهو ينبر على أن الشخص الذي جاؤا به ليقاضوه أصبح قاضياً عليهم ، على رؤساء الكهنة وعلى بيلاطس ، فهو في حقيقة الأمر ديان العالم ، ولقد أدانه في شخص هو لاء الحكام . وينبر على حرية يسوع ، لأنه لا ينتظر الأحداث لكي تجرفه ولكنه يذهب هو إليها بسلطانه ، بل يبلغ من حرته أنه يحدد نوع موته ، على الصليب لأنه إن ارتفع عن الأرض يجذب إليه الجميع . وهكذا يصبح السيد هو الفادي الذي يدين العالم ويفدى الذين قبلوه وأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله .

قيامة المسيح :

يتساءل بعض الدارسين : إذا كان موت المسيح هو في الحقيقة تمجيده فما فائدة ذكر قصة قيامته ؟ إن كل شيء قد أكمل على الصليب ، العمل الذي أعطاه له الآب أن يكمله قد انتهى ، وارتفع السيد إلى أبيه بالصليب ، فهل هناك داع إذن للقيامة بحسب إنجيل يوحنا ؟ إن إنجيل يوحنا بعد أن يذكر موت المسيح بذكر ظهوره أيضاً عدة مرات ، إنه يذكر أن مجد المسيح في أن يعطى نفسه ، وأن الآية العظمى هي موته . . وموته كان حقيقياً وتمجيده كان حقيقياً . ففي المفهوم اللاهوتي انتهى تمجيد السيد في موته ، هذه هي نتيجة إنجيل يوحنا ، ولكنه مع ذلك ، ومع صحة هذا المفهوم السابق فإنه يذكر قيامة السيد .

١ - لكي نفهم ذلك يجب أن نفرق بين المفهوم اللاهوتي لحادثة موت السيد والمفهوم التاريخي لها . ففي المفهوم اللاهوتي هي مجد وارتفاع للمسيح

وبعدها لا شيء . ولكن الموقع التاريخي لهذا الموت على الصليب يقول غير ذلك . إن الصليب تاريخياً هو الهزيمة هو الانكسار ، وعند الصليب ظهر خوف التلاميذ فهجروا سيدهم . وعلى الصليب عطش السيد وصرخ أنا عطشان وهو بين يدي الموت . فالذي يعرف موت المسيح معرفة حقيقية والذي يفسره لاهوتياً يرى مجد المسيح ، أو من يراه تاريخياً فقط ففيه يرى الهزيمة والانكسار ولأجل ذلك كان على يوحنا أن يذكر قيامة السيد لكي يحقق للصليب مجده من وجهة نظر التاريخ . إن القيامة في يوحنا ليست فرصة لإعلان سلطان المسيح المطلق كما يتضح ذلك في إنجيل متى (٢٨ : ١٦ - ٢٠) ولكن لكي يعلن أن المسيح تاريخياً أيضاً قد هزم الموت . فالقيامة ضرورية لكي تحول الحادثة التي كانت - من وجهة النظر التاريخية - كارثة مروعة إلى حادثة مجيدة لأنها نصره ، وبذلك يصبح موت المسيح تمجيدياً ونصرة لاهوتياً وتاريخياً معاً . ففي ذاته هو ارتفاع للمسيح ولكن ذلك المفهوم مفهوم لاهوتي ، ولكن أيضاً القيامة تحول الصليب إلى نصره في عين التاريخ والناس .

٢ - إذا كانت القيامة تعني أن السيد قد حول الموت ، الذي يعتبر في أعين الناس انهزاماً ، إلى نصره ، فإنها إلى جانب ذلك تعني بالنسبة للتلاميذ شيئاً أعمق . إنها تعني رجوع سيدهم إليهم مرة أخرى من الموت . فالقيامة تظهر في إنجيل يوحنا وفي خطاب السيد لتلاميذه تساوي المحيى الثاني . هذا ما يقوله السيد « لا أترككم يتامى إني آتى إليكم ، بعد قليل لا يراني العالم أما أنتم فسترونى . إني أنا حي فأنتم ستحيون في ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى وأنا فىكم الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبني ، والذى يحبني يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى ... وإليه تأتى

وعنده نصنع منزلاً» (١٤ : ١٨ - ٢١ و ٢٣) ، معنى القيامة هو مجيء السيد إلى الجماعة التي خلقها ، وخلقها بحبته وغفرانه . فالقيامة هي المحبة وعنوانها . ولهذا فقد نسي كل ما عملوه .. هربوا وتركوه وحده ، أنكروه بطرس ، وتفرق التلاميذ ، ولكن يسوع لمحبه لهم جاء إليهم فخلقهم من جديد جماعة قوية ، ولهذا فقد نبر إنجيل يوحنا بشدة على قيامة السيد بجسده ، وظهوره لمريم المجدلية وللتلاميذ ، ونبر بشدة على القبر الفارغ ، ولكنه لم يكن هذا القبر الفارغ شيئاً في ذاته لأن بطرس رآه ولم يفهمه ، أما التلميذ الآخر فرأى وفهم وآمن . فالمهم هنا لم يكن القبر الفارغ بل أهميته تركز في إيمان التلاميذ . وهذا ما نجده في قصة توما الذي رفض أن يؤمن دون أن يرى ويلمس . وجاء إليه الرب بنفسه فرآه وآمن وقال «ربي وإلهي» ولكن السيد قال « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (٢٠ : ٢٩) . إن الذي يؤمن دون أن يرى يؤمن على أساس شهادة الشهود الذين رأوا وهم تلاميذه ، هؤلاء هم التلاميذ الذين قدموا شهادتهم الحية للعالم . هؤلاء خلقتهم القيامة خلقاً جديداً . وفعلت ذلك بالمحبة الأبدية التي تدفقت من قلب يسوع المحب .

رسائل يوحنا

نأتى الآن إلى الرسائل الثلاث التي كتبها يوحنا ، وقد سبقت الإشارة في معرض دراسة الإنجيل الرابع إلى صاغة هذه الرسائل وخصوصاً الأولى به وبكاتبه ، وعرفنا أن الرأي بشكل عام ينقسم إلى فريقين ، واحد يؤيد وحدة المؤلف ، والثاني لا يؤيد ذلك ، ولكن الجميع يتفقون أن هناك صلة قوية بين الاثنين تؤكد أنها من مدرسة فكرية واحدة ، وراءها شخص يعتبر المنبع لتفكيرها . والرسالة الأولى هي الأهم ، من حيث طولها والأفكار التي فيها مع أنها لا تظهر كرسالة .

مميزات الرسالة الأولى :

١ - تكشف لنا الرسالة الأولى أن جماعة مضلة بدأت تبلبل أفكار أعضاء الكنيسة الآخرين بتعاليم تختلف وتناقض التعاليم التي تسلموها . وهذا يظهر في قول الرسول « منا خرجوا لأنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا » (١ يوحنا ٢ : ١٨ و ١٩) . وبهذا نرى أنه بينما كان الإنجيل يواجه مجابهات خارجية آتية من اليهود وتلاميذ يوحنا فإن الرسالة الأولى تواجه جماعة ناشقة عن الكنيسة . وسبب انشقاقها يكمن أساساً في أنها أنكرت التجسد (٤ : ١ - ١٠) ثم بنت على ذلك أو إلى جانب ذلك ، ساو كلاً لا يمكن أن يكون ساو كلاً مسيحياً أو يعكس الحياة الجديدة التي نالها المؤمن بولادته من الله : وتمثل هذه الحياة في الكراهية والبغضة للأخوة (٢ : ٩ ، ٣ : ١٣ - ٢٠) . ثم في حياة غير طاهرة تسير في الظلمة (١ : ٦ ، ٢ : ٩ ، ٣ : ١٠) إلخ .

ويقول التقليد أن سيرينتوس Cerin Thus (قصة يقولها بوليكار بوس) كان هو الشخص الذي زرع بذار هذه الضلالة ولم يستطع الرسول يوحنا أن يبتغي معه في مكان واحد خوفاً لئلا ينهدم المكان من ضلالة هذا الغنوسى . سيرينتوس هذا كان يقطن في أفسس وكان يقول إن الله غير معروف ولا يمكن معرفته ، وأنكر الصليب لأن المسيا لا يمكن أن يصاب ، ولعل الرسول كان يحارب هذه الضلالة في قوله « من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ، ومن يعترف بالابن له الآب أيضاً » (٢ : ١٣ و ١٤) .

٢ - من دراسة خلفية الرسالة ومن أقوال الرسول نفسه نستطيع أن

نعرف الهدف الذى من أجله كتبت هذه الرسالة . . إن غرضه يكشف عنه فى قوله « الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لئى يكون لكم أيضاً شركة معنا ، وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لئى يكون فرحكم كاملاً » (١ : ٣ و ٤) ويضيف على ذلك قوله فى فى ١٣ : ٥ « كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنون باسم ابن الله لئى تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكى تؤمنوا باسم ابن الله » وهذا الهدف يتشابه كثيراً مع الهدف الذى من أجله كتب الإنجيل كما هو موضح فى يوحنا ٢٠ : ٣١ . هدفه إذن هو هدف رعى ، إنه يكتب لجماعة الكنيسة الذين تحولت إليهم سهام الضلالة لئى تبعدهم ، ليس فقط عن التعليم الصحيح ، بل أيضاً عن مصدر حياتهم وعن شركتهم مع الآب وعن الحياة الأبدية . إنه يكشف عن الخطأ العقائدى والخطية السلوكية التى يبشر به هؤلاء الذين كانوا معهم ، ولكنهم ضلوا ، ويحاولون الآن أن ينجروا القطيع الهادى الوديع وراءهم ، إنهم ينجرونهم إلى البغضة والكراهية ، إلى الفساد والانحلال ، إلى الضلال وإنكار الآب والابن معاً . فإن كان جو الرسالة جواً مشبعاً بالمناقشات الحامية والدينونة على أولئك المضلين ، فهذا ينبع ويصدر من قلب الراعى الذى يحب الرعية ويريد أن يحفظها من الذئاب .

ولكن هناك شئ آخر كان متفشياً فى فريق آخر ، هو الكبرياء ، هذه الكبرياء الدينية هى التى جعلت قوماً يقولون « نحن ولدنا من الله » ، « نحن فى النور » ، « نحن لا نخطئ . . وبلا خطية » ، « نحن نثبت فى الله » ، « نحن نعرف الله » ، ولكن الرسول يأخذ شعاراتهم هذه التى لا يستحقونها لأنهم لا يظهرون فى حياتهم ما تقصده وما تعنيه بل يفعلون ما يناقضها ، يأخذ هذه العبارات ويضعها فى إطارها المسيحى الحقيقى ويعرفهم الطريق الحقيقى

الذى يسلكه الشخص الذى يقول هذا القول . كيف يظهر حالته المسيحية الحقيقية .

٣ - هناك حقيقة هامة . رت بنا عند دراستنا لرسائل القديس بولس هى « الحقيقة » ، « والأمر » أى أن الوصية (الأمر) التى ينصح بها الرسول كنائسه لها أساس لاهوتى تنبع منه ونبى عليه (الحقيقة) ، هذه الحقيقة نجدها هنا أيضاً فى رسالة يوحنا الأولى ، فهناك سلوك عملى يبني على حقيقة ووقف لاهوتى ، هناك أمر يبنى على حقيقة . وهاك بعض الأمثلة ،

(٢ : ١٠) « من يحب أخاه (أمر) يثبت فى النور (حقيقة) .

(٣ : ٧) « من يفعل البر (أمر) فهو بار كما أن ذلك بار (حقيقة)

(٣ : ٢٤) « من يحفظ وصاياها » (أمر) يثبت فيه وهو فيه (حقيقة)

(٤ : ١٥) « من اعترف أن يسوع هو ابن الله (أمر) » فالله يثبت

فيه وهو فى الله (حقيقة) .

هنا نجد الوصية والحقيقة . ترتبطين ارتباطاً كاملاً ولا يمكن فصلهما بعضهما عن البعض . السلوك ومصدره لا يمكن أن ينفصلا . وفى بعض الأحيان يذكر القديس يوحنا الناحية السلبية من هذه الحقيقة . مثل (٣ : ٨ و ١٤) . إن الحياة المسيحية هى حياة مصدرها الله نفسه

مضمون الرسالة :

فما هو مضمون هذه الرسالة ؟ تنقسم إلى ثلاثة أقسام وفيها ثلاث قضايا أو حقائق لاهوتية سلوكية . هذه الحقائق هى :

١ - السلوك فى النور (١ : ٥ - ٢ : ١٧) . ويتركز هذا القسم فى الجزء الأخير من العدد الخامس فى الأصحاح الأول « إن الله نور وليس فيه

ظلمة البتة » . وهذه عبارة يشترك في التمسك بها اليهودى واليونانى والمسيحى ، وعندما يؤكد القديس يوحنا أن ليس فى الله ظلمة فإنه يؤيد ما يقوله الآخرون لأنهم يقولون إن الله نور ولا يمكن أن تكون فيه ظلمة لأنها من سمات المادة الشريرة وهو أبعد ما يكون عن المادة ، ولكن هنا يختلف القديس يوحنا عنهم وعن المسيحيين الغنوسيين عندما يقول « إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولننا نعمل الحق (١ : ٦) وهذا القول يهدم دعوى الذين يظنون أنهم ما داموا قد خلصوا فالجسد لا قيمة له ولا داعى للاهتمام به ، فليعمل كل إنسان ما يعمل من كل أنواع الشرور فلا أهمية له . وهناك اختلاف آخر ينفرد به الإنجيل يعبر عنه القديس يوحنا فى الرسالة ٢ : ٨ « أن الظلمة قد مضت والنور الحقيقى الآن يضىء » . وهذه العبارة تعكس قول الإنجيل « والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه ، كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم » (يوحنا ١ : ٥ و ٩) . وهذا يعنى أن القديس يوحنا يضع هذه العبارة «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» فى إطار التاريخ ، إنها اختبار دخل إلى الحياة البشرية فى تاريخ الخلاص وليست فكرة أو عبارة نظرية فلسفية لا أساس تاريخى لها . إن الله نور لأنه أعلن نفسه هكذا فى عملية الخلاص الذى عمله فى المسيح يسوع .

ولكى يظهر المؤمن الحقيقى أن له شركة فى النور ، هناك مقياسان تقاس بهما حياته : المقياس الأول هو مقياس البر (١ : ٦ - ٢ : ٦) . وفيه يذكر القديس يوحنا خمس جمل شرطية . إن قلنا . . . منها الإيجانى (٢ : ٧ و ٩) ومنها السلبى (٢ : ٦ و ٨ و ١٠) . وهذه المتطلبات كلها لا تنبى ولا تطلب من المؤمن على غير أساس بل إنه متأكد أن خطاياهم قد غفرت وأن له شفيع أو معزى الذى هو يسوع المسيح . هذه الكلمة شفيع هى نفس الكلمة بارقليط التى استخدمت للروح القدس فى يوحنا ١٤ : ١٦ ، ١٥ : ٢٦ . الخ .

أما المقياس الثاني فهو مقياس المحبة (٢ : ٧ - ١٧) وهي مجموعة الوصايا (٢ : ٣) وهي الوصية القديمة التي كانت من البدء وهي في نفس الوقت الوصية الجديدة (٢ : ٧ و ٨) وهذه المحبة تظهر أيضاً في مجموعة من السلوك السلبي والإيجابي (٢ : ٩ و ١٠) . وينتهي هذا الجزء بالثقة والأساس الذي تبنى عليه هذه المتطلبات (٢ : ١٢ - ١٤) .

أما ٢ : ١٥ - ١٧ فهي فقرة انتقالية إلى القضية الثانية ، فيها يوجه القديس يوحنا نظر أولاده إلى العالم الذي يبغضهم ، فيجب عليهم هم ألا يحبوه . فماذا يعنى ذلك ؟ هذا ما تواجهه القضية والحقيقة الثانية .

٢ - الحقيقة الثانية وهي الحياة الأبدية (٢ : ١٨ - ٣ : ٢٤) القضية الأولى قضية النور ، القضية الثانية الحياة الأبدية . وفي هذا الجزء أيضاً يثبت القديس يوحنا العقيدة التي يتمسك بها (٢ : ١٨ - ٣ : ٣) ثم يعقبها الاختبار السلوكي الذي يبني عليها وهو البر (٣ : ٤ - ١٠) ثم المحبة (٣ : ١١ - ٢٧) وينتهي بكلمة تقوية وتأكيدي لإيمانهم (٣ : ١٨ - ٢٤) .

أما القسم العقائدي (٢ : ١٨ - ٣ : ٣) فهو يؤكد أن الساعة الأخيرة قد جاءت . وهذه الساعة الأخيرة بحسب المفهوم اليهودي هي تلك التي يحدث فيها المجاهدة بين الله وقوات الشر ، أن العهد الجديد قد جاء بالمسيح يسوع وتحققت فيه الحياة الأبدية ، هذه الحياة الأبدية هي نتيجة الإيمان بعمل الله فيه . كما يذكر الإنجيل (٣ : ١٦) وبحسب هذه الرسالة (١ : ٢) . وفي عصر هذه الحياة تظهر قوة الشر وقد تركزت هذه المرة فيما أسماه « بضد المسيح » . وقد ظهر اضداد للمسيح كثيرون ، وهم جماعة كانت في الكنيسة ولكنها ضلت وتركزت الحق وسارت وراء الكذب والكذاب ، فأنكرت الآب والابن (١٨ - ٢٣) . ظن أعضاؤها أنهم يعرفون كل شيء . . . اعتقدوا أنهم قد

أخذوا معرفة لا يتمتع بها غيرهم ، وهم مستعدون أن يعلموا الآخرين ، إنها معرفة أعمق من حق الإنجيل . ولكن القديس يوحنا يقول للمؤمنين : إن المعرفة الحقيقية تأتيكم من الروح القدس أى المسحة المقدسة التى تعلمكم عن حق الإنجيل فقط . ولذلك فأنتم متعلمون ولا تحتاجون للكذابين أن يعلموكم (٢٤ - ٢٧) . إذن فليس هناك تفريق ولا طبقات بين المؤمنين فى المعرفة ، لأن جميعهم متعلمون من الروح القدس ، وجميعهم أولاد الله فهم أسرة واحدة ، رفعهم الله بفرط محبته ليجعلهم أبناء (٣ : ١) . نعم كأولاد لله لا يعلمون كيف يكونون عند كمال الحياة الأبدية فيهم ، ولكنهم مؤمنون أنهم سيكونون كابن الله عندما يظهر فى مجده .

ويتكلم القديس يوحنا بشدة ضد من يفسد الأخوة وكنيسة الله ويكشف أنهم بعيدون عن البر وعن المحبة ، المقياسين اللذين يظهر بهما الحياة الأبدية الحقيقية . . إنهم أولاد إبليس فى مقابل المؤمنين الذين هم أولاد الله . ولا يمكن أن يكون هناك وسط بين الاثنين (٧ - ١٧) إن أولاد إبليس هم الذين يفعلون الخطية والكذب ، وأما أولاد الله فهم المبررون الذين يحبون الأخوة . ولكن هذا لا يعنى أنهم معصومون من الخطأ والخطية بل أنهم لا يعيشون فيها . إن البر الحقيقى هو ما يلخصه فى ٣ : ٢٣ « وهذه هى وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصيته » .

٣ - الحقيقة الثالثة : تصديق الحق (٤ : ١ - ٥ : ٢١) القضية الرئيسية هنا هى الإيمان وتصديق الحق . فالثبات فى الله والشركة معه يظهران فى مظهرين التمسك بالحق والإيمان به ، ثم ساوك البر والمحبة .
أما الحق الذى ينبر عليه القديس يوحنا فهو مركز ومحدد فى ٤ : ٢

« يسوع المسيح قد جاء في الجسد » هذا الحق يردده في الأصحاحين الأخيرين كثيراً (٤ : ٩ و ١٤ و ١٥ ، ١ : ٥ ، ١٥ و ٢٠) . إن مجيء ابن الله في الجسد هو الحق الذي لا يمكن أن يتغير ومن يغيره يكون من الشيطان ولا يحب الله . ويعبر الكاتب عن هذه الحقيقة بقوله « هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم » (٥ : ٦) . من هنا تظهر روح الضلال التي يماربها الكاتب . أولئك الذين ينكرون أن يسوع هو المسيح وأنه لم يصلب . إنه حل في يسوع عند المعمودية وتركه عند الصليب . لكن الرسول يقول إنه جاء بمعمودية وصلب ، بماء ودم . بشرية كاملة ومع ذلك فهو ابن الله . أما فصل الاثنيين فهذا ضلال . لقد فرق المضلون بين ابن الله وبين يسوع . وقد اتحد ابن الله بيسوع عند المعمودية ولكنه تركه عند الصليب . . الاثنان منفصلان . هذه هي عقيدتهم المضلة . إن الحق هو أن يسوع هو ابن الله الذي جاء في الجسد :

إن من يؤمن بذلك فهو يحب الله ويحب المولود منه ولكن من لا يؤمن
فإنه مضل وشرير ولا تثبت محبة الله فيه . فعلامة الثبات في الله أيضاً هي
حياة المحبة والبر .

الفصل الثاني

سفر الرؤيا

هذا الكتاب له موقف فريد في كتب العهد الجديد وتاريخه في الكنيسة. تختلف عن معظم هذه الكتب ، وموقف المسيحية منه في العصر الحاضر لا يعادله أى موقف تجاه الكتب الأخرى . أسلوب كتابته يقف وحده ولا يشابهه سوى جزء من أصحاح في إنجيل مرقس (مرقس ٦٣ و١٠ يوازيه) ، تشبيهات ورموز وصور ورؤى ، حروب ونضال وفرسان ، دينونة وخلاص وأشياء كثيرة من هذا القبيل مما يجعله أصعب كتاب في العهد الجديد من ناحية تفسيره وفهمه .

تاريخه في الكنيسة المسيحية :

ولعل دراستنا لتاريخه الكنسى وموقف الكنيسة منه تعطينا فكرة عامة عنه . لقد وقفت الكنيسة من قبوله ضمن الكتب المقدسة مواقف مختلفة ، وكان لكل كنيسة نظرتها الخاصة تملخص في الأمور :

١ - بخصوص الكنيسة الغربية فقد قبلته مباشرة من وقت ظهوره . فقد قبله إيريناوس أسقف ليون وهيبوليتس أسقف روما وكتب تفسيراً عنه ولكنه فقد . أما أول تفسير كتب عنه باللغة اللاتينية فقد كتبه فكتورينس في سوريا (٣٠٤ م +) ثم تبعته كتب أخرى مما يدل على أن الكنيسة الغربية قبلته وأنزلته منزلة كبيرة مثل كل الكتب الأخرى في العهد الجديد .

٢- أما موقف الكنيسة المصرية فكان مختلفاً بعض الشيء؛ فبينما قبله أكليمندس الاسكندري ومن بعده أوريجانوس . . وقبلوا أن يوحنا الرسول هو الذى كتبه . إذ بالحال يتغير بعد سنوات قليلة من موت أوريجانوس فقد اعترض عليه دينسيوس Dionysius أسقف الاسكندرية وتشكك كثيراً فى أصله الرسولى ، وذلك فى مناقشة مع أسقف الفيوم ، وكان أهم ما وجهه إلى الكتاب من اعتراضات هو مشكلة الألف سنة التى يتكلم عنها الكتاب ، ثم يقول إنه حول القيم الروحية إلى مادية . ومع ذلك فلم تتأثر عقيدة الكنيسة المصرية بفكرة دينسيوس وظلت تعتقد فى أصل الكتاب الرسولى ، وقد أكد ذلك أنناسيوس (٣٦٧ م) وديديموس (٣٩٤ م) وكيرلس الاسكندري (٤٤٤ م) .

٣- أما الكنيسة التى تأثرت برأى دينسيوس فهى الكنيسة اليونانية فقد ظل فيها بعيداً عن الكتب القانونية إلى سنة (٥٠٠ م) ، حتى يوسابيوس (٣٤٠ م) تشكك فى نسبتته إلى يوحنا الرسول . وكيرلس الأورشليمي لم يضعه بين الكتب القانونية . ثم مدرسة أنطاكية لم تعترف به . وكتاب القرن الرابع فى آسيا الصغرى لم يتفقوا على رأى فى ذلك . ولم يظهر سفر الرؤيا فى الكتب المقدسة فى الكنيسة اليونانية خارجاً عن مصر سوى فى أوائل القرن السادس .

٤- أما الكنيسة السريانية فلم تضعه من ضمن الكتب المقدسة إلا فى القرن الثانى عشر الميلادى .

هذا هو مجمل موقف الكنيسة تجاه سفر الرؤيا ومنه نرى أن بعض مناطق من الكنيسة ترددت كثيراً فى قبوله فى حين أن البعض الآخر قبله منذ أن عرف .

خصائص سفر الرؤيا :

لكي نستطيع أن نفهم شيئاً عن سفر الرؤيا يجب أن نعرف شيئاً عن خصائصه ، وبالأخص الأسلوب الذي كتب به ، ولقد سمي سفر الرؤيا « رؤيا يوحنا اللاهوتي » وغالباً ما ظهر الوصف « اللاهوتي » في القرن الرابع . أما العنوان الأصلي الذي عرف به هو « رؤيا يوحنا » : فما معنى كلمة « رؤيا » ؟ هذه الكلمة تترجم الاسم اليوناني apokalupsis والفعل منه apokalup Tō ومعناه يعلن أو يكشف سرّاً كان مخفي لا يعرفه سوى الله فقط . وقد استخدم في العهد الجديد بهذا المعنى : فالإبن يعلن الآب لإخوته الصغار (متى ١١ : ٢٧ ، لوقا ١٠ : ٢٢) . والآب يعلن ابنه للرسول بولس (غلاطية ١ : ١٦) . وابن الإنسان سوف يعلن في انتهاء العالم (لوقا ١٧ : ٣٠) ولكن قبل ذلك إنسان الخطية سيعلم نفسه (٢ تسالونيكي ٢ : ٣ و ٦ و ٨) . وسيعلم أبناء الله في المجد (رومية ٨ : ١٨) . أما هنا في العدد الأول في سفر الرؤيا فلإنها تعني كشف إعلانات المستقبل أو الاسخاتولوجي الذي منحه المسيح لعبده يوحنا ، وهذه هي المرة الوحيدة التي تستخدم في العهد الجديد بهذا المعنى (رؤيا ١ : ١) :

وهذه الرؤيا apokalupsis كوصف لهذا الكتاب لم تطلق عليه هو فقط بل هناك كتب كثيرة وصفت هكذا ، بعضها في العهد القديم كسفر دانيال وحزقيال وإشعيا (٢٤ - ٢٧) ، ولكن الكمية الوافرة من الكتب الرؤوية ظهرت في القرون المحيطة بميلاد السيد أي في القرنين أو الثلاثة التي تسبق وتلحق بمجيئه ، وهي تعبر عن فكر جماعة يهودية خاصة وأهم كتبها : كتاب أخنوخ الأول واليوبييل وعهد البطارقة الاثني عشر ومزامير سليمان

ورؤيا إبراهيم وغيرها . ولم تنشأ هذه الكتب في فراغ ، ولكنها ظهرت في بيئة خاصة وفي وسط جماعات خاصة كانت تعتقد في الأمور التالية :

١ - لأنها هي البقية البارة التي تمسكت بطرق الرب بينما العالم كله غيرها قد ضل وصار شريراً ولا فائدة ترجى منه .

٢ - الأمر الثاني هو عقيدتها بأن النبوة قد انتهت وقتها ، ولم يعد الله يكلم الشعب بواسطة الأنبياء الآن .

٣ - أما الأمر الثالث فهو الحالة الشديدة الصعبة التي يعيشها أفراد هذه البقية البارة ، فهي تعيش في ضيق وعنت واضطهاد ، ولكنها مع ذلك فهي تعرف أن الله في يده مقاليد الأمور ولا بد له بأن يتدخل لأجل مختاربه ويهزم الشر وينتصر لشعبه .

ولهذه الكتب ، التي ظهرت في هذا الوسط الضيق الصعب لتفوية البقية البارة ، خصائص هامة إذا انطبقت على كتاب سمي بأنه كتاب رؤى . هذه الخصائص هي :

١ - الإعلان :

وهذا يظهر من نفس الاسم . فبطل الرؤيا قد يسير مع ملاك أو يؤخذ إلى السماء وهناك تكشف له أسرار عن نهاية العالم ، وكيفية إقامة ملكوت الله ، أو عن الملائكة أو الشياطين أو عن الدينونة أو الحوادث المؤدية إليها . . . ويقول صاحب الرؤيا إنها إعلانات سرية يجب أن تبقى سرية ومخومة ولا يمكن أن يفهمها إلا الحكماء . ويختلف أصحاب الرؤيا عن الأنبياء في أن النبي يتكلم قائلاً « هكذا قال الرب » لأنه يتعامل مع الله مباشرة ، أما صاحب الرؤيا فله وسيط أو ملاك يكلمه ويشرح له الرؤيا ، ومع أن بعضهم قال إن الله هو الذي كلمه ولكن لم يكن له نفس سلطان النبي الذي حضر محفل الله نفسه .

٢- الرمزية :

وتنتقل الروايات في كلام بسيط واضح ، ولكن في رموز وصور يجب أن تفسر . فهناك الوحوش والحتوم والأنهار والجبال والنجوم وشخصيات ملائكية وشيطانية ، وقد تتغير الصور فيتحول النجم إلى الثور أو الثور إلى إنسان وهكذا . وقد تدل الوحوش على رجال والقرون تشير إلى ملوك والنجوم أو الرجال إلى ملائكة . . ولكن هذه الرموز ليست هلوسة بل هي اختبارات صحيحة تاريخية توضع في هذه الرموز ، أو هي خبرات شخصية نفسية تعكس شخصية الرائي . ومن أهم الرموز الأعداد مثل ٣ و ٤ و ٧ و ١٠ و ١٢ أو مضاعفاتها وخصوصاً العدد ٧٠ . ولكن للأسف لم يعد مفتاحها الآن معروفاً مع أنها كانت مكشوفة للذين كتبت لهم .

٣- اللشائمية :

هذا النوع من الكتابات كتب لأناس في ظروف صعبة قاسية . وكتابتها يؤمنون بأن الله سوف يتدخل ليحطم الشر ، ولكن إلى أن يتدخل لا يمكن أن يوجد حل للمشكلة ، ولا يوجد رجاء في طبيعة الأمور أو في مجهود البشر ، حتى الثورة لا يمكن أن تنفع ، وقد اتخذ بعضهم هذا الطريق أى الثورة فأدت إلى الحراب مثل ما حدث في سنتي ٧٠ ، ١٣٢ م فالله سوف يتدخل ، ولكن متى وكيف فهذا لا يعرفه إنسان . وإلى أن يتدخل الله تحل ما يسمى عادة « أهوال المسيا » وهي حروب ومجاعات وزلازل وأشياء أخرى وأخيراً يأتي الله بقوة لكي يخلص المختارين .

٤- انتصار الله :

يرى الرائي أن كل العالم يتأرجح والأعمدة تنقلب والمدنيات تتحطم ، ولكنه لا يقف عند ذلك الحد . إن الله هو الملك ، وهو صاحب السلطان

المطلق ، كما يعتقد كل الاسرائيليين ، ولذلك فهو يتدخل بطريقة حاسمة ، وقد يتدخل عن طريق واسطة هو المسيا ، وقد يتدخل بنفسه ، وقد يكون ملكه في الأرض وقد تتغير الأرض والسماء معاً . في هذه الأمور تتنوع أفكار الرويين ، ولكن الأمر المؤكد الذي يتفقون فيه كأساس لعقيدتهم وتفكيرهم هو أن الله يتدخل بقوة ويدين الأشرار والشر ويمجد مختاريه وشعبه .

ولكن الانتصار يبني على عقيدة أخرى ، وهي أن كل شيء مرسوم بقضاء إلهي ومدبر من البدء ، لقد رسم الله كل شيء ، الألم والشر وأخيراً النصر ، فلا يوجد شيء بعيد عن يدي الله ، فكل شيء تحت سيطرته ؛ وهذه العقيدة وإن كانت لا تعطى المؤمنين الأبرار أملاً في أن يتغلبوا على الشر إلا أنها لا تخلق فيهم روح الانهزامية ، لأنهم يعرفون أن الله سينتصر لهم ، وهذا كله قد دبره من قبل .

٥ - الثنائية :

من أبرز مميزات الكتب الرؤوية الثنائية الواضحة : الخير والشر ، النور والظلمة ، الأرواح الصالحة والأرواح الشريرة ، هذا الدهر والدهر الآتي ، وكل اثنين من هذه في تناقض تام . ولعل هذا ما يميز الكتب الرؤوية عن النبوات . فالنبوة تتطلع إلى تدخل الله وإصلاح العالم أو المجتمع في هذا الدهر لكن الرؤيا ترى أنه لا يمكن إصلاح هذا العالم فهو شرير بكامله ، وإصلاحه يعنى إبادته وخلق العالم الجديد . . إنها ثنائية تميز هذه الكتابات .

٦ - الاسم المستعار :

معظم الكتابات الرؤوية ، إن لم يكن كلها كتبت باسم مستعار : أخنوخ ، البطارقة الاثنا عشر ، موسى ، إبراهيم وغير ذلك . وهذا ناتج من أن كاتبها

كانوا يعتقدون أن النبوة قد انتهت وأن الله لم يعد يكلم الناس . ولذلك فقد أعطوا لكتبهم أسماء قديمة مجيدة حتى يعطوها سلطاناً ليس لهم .

تلك هي أهم خصائص الكتابات الرؤوية فهل يمكننا أن نضع سفر الرؤيا في مصاف هذه الكتب ؟ وهل تنطبق عليه الأوصاف التي مرت بنا ؟ الجواب على هذا السؤال له شقان : نعم ولا .

١ - هو كتاب له خصائص رؤية وحتى اسمه « رؤيا » يدل على الاتجاه العام لهذا الكتاب . وهذا الاسم مأخوذ من الكلمة الأولى في النص نفسه . ولكن إلى جانب الاسم هناك بعض المميزات الرؤوية :

(أ) لعل أبرز خاصية توجد فيه هي تلك الرموز والصور التي يمتلي بها الكتاب . وهي رؤى اختبرها الكاتب في حالة روحية غير عادية (٤ : ١ ، ١٧ : ٣ ، ٢١ : ١٠) . وبحسب ما جاء في ١ : ١ ، ٢٢ : ٨ جاءت هذه الرؤى والإعلانات على يد وسيط أى ملاك مع أنه هنا يختلف بعض الشيء عن الكتب الرؤوية الأخرى وهو أن الملاك أو الله لم يعطيه تفسيراً منظماً للحوادث والمناظر : فيما عدا المرأة والوحش الذى تركب عليه (١٧) .

(ب) إن موضوع الكتاب هو الحوادث الأخيرة ، كما هو الحال في الكتب الرؤوية الأخرى . والاضطهادات والأزمات العنيفة التي تحيط بشعب الله على يد النبي الكذاب والوحش والتنين وكل قوات الشر ، ولكن الله يتدخل بقوة ويدين قوات الشر ويمجد مختاريه .

(ج) الكتاب يمتلي بالنصائح الروحية والأخلاقية ، فالهدف الأساسى للكتاب هدف عملي كما هو الحال في الكتب الرؤوية . وهو يقوى عزيمته المضطهدين ويعزيمهم ويطلب منهم أن يظلوا على إخلاصهم في الإيمان في المسيح

ويتحملوا كل شيء حتى الموت في سبيل كلمة الله (١٣ : ٩ و ١٠ ، ١٤ :
١٣ ، ١٦ : ١٥ ، ١٩ : ٩ ، ٢٠ : ٦) .

٢- ولكن مع ذلك فهناك اختلافات كثيرة بين هذا الكتاب والكتب
الرؤوية ، مما يجعلنا نضعه أيضاً في مصاف الكتب النبوية . وهناك فرق كبير
بين الرؤيا والنبوة ، فالكتاب نفسه يسمى كتابه نبوة ويكرر ذلك عدة مرات
(١ : ٣ ، ٢٢ : ٧ و ١٠ و ١٨ و ١٩) .

ولا يمكن أن تكون النبوة والرؤية مترادفتين . ولذلك فهو يقول إن هذه
الرؤيا التي رآها تحتوى على « كلمة الله » ، وعلى شهادة يسوع المسيح (١ : ٢)
وتظهر خصائصه النبوية فيما يلي :

(أ) إنه كالأنبياء يدعو شعب الله إلى التوبة ويشدد على ذلك وهذا
لا يظهر كثيراً في الكتب الرؤوية التي تشدد أكثر على تعزية شعب الله ،
وبأكثر دقة يمكننا أن نقول إن سفر الرؤيا يشترك في الاثنين معاً . فهو يدعو
المؤمنين إلى التوبة في الخطابات الكنسية (٢ : ٥ و ١٦ و ٢١ و ٢٢ ، ٣ :
٣ و ١٩) وهو يعطي لشعب الله أيضاً التعزية . لقد رآهم مضطهدين مظلومين
فيأخذهم إلى داخل الحجاب لكي يريهم مقاصد العلي التي تقودهم في النهاية إلى
النصرة . وبذلك هو مع الرؤويين والأنبياء معاً :

(ب) هو كالرؤويين ينظر ويتكلم عن النهاية ، ولكنه يختلف عنهم في
مكان هذه النهاية . إن التاريخ بالنسبة للرؤويين لا صلاح ولا رجاء فيه فلا بد
أن يزول بتاتاً ، ولكن يوحنا لا يرى ذلك . فهو ليس شريراً بدرجة لا يمكن
إصلاحها حتى وإن كان هناك هجوم شيطاني في آخر الأيام . إن التاريخ
بالنسبة له هو مكان نشاط الله وعمه الفدائي . لقد حدث فيه أعظم عمل يدل

على شر الإنسان ولكنه في نفس الوقت العمل الفدائي لله . موت الحمل وقيامته ونصرته وهذا الحدث شارك فيه المؤمنون وهزموا الشيطان بدم الحروف وبكلمة شهادتهم (١٩ : ١١) . فالخلاص يبدأ في التاريخ ، ولهذا فقد خلى كتابه من التشاؤم واليأس من فداء تاريخ العالم كما يظهر في الكتب الرؤوية الأخرى .

(ح) وهناك اختلاف آخر : إنه بينما وضعت على كتب الرؤيا أسماء مستعارة ، فإن يوحنا يكتب اسمه (١ : ١ و ٤ و ٩ ، ٢٢ : ٨) . إنه يحتاج إلى اسم عظيم من البطارقة أو غيرهم ممن عاشوا في القديم . وهذا له دلالة عظيمة ، فالرؤويون كانوا يعرفون أن النبوة قد انتهت ، وأن الله ما عاد يكلم الناس بالأنبياء في أيامهم ولهذا فهم يحتاجون إلى اسم عظيم يعتقد الناس أن الله قد كلمه . أما يوحنا فإنه يكتب اسمه لأن النبوة عادت ، وجاء الله ثانية إلى الناس بكلمة التعزية والتوبة ، فلا حاجة إذن لتقديس قديم ، فالله قد أرسله هو أو أرسل ابنه إليه بكلمة الله .

(د) يتكلم الكتاب الرؤويون عن التاريخ بلسان الإنسان الذي عاش في القدم ونسب الكتاب إليه فتنبأ بحوادث التاريخ القادمة وإن لم تعدد الحوادث التالية لعصره حتى عصر الكاتب نفسه ، فإنه يعطى رأيه في التاريخ . أما يوحنا فإنه يتكلم كنبى ، إنه يتكلم عن عصره هو . يأخذ كلمة الله ويتكلم معاصريه . وبذلك يربط بين التاريخ والأبحاثولوجى كما فعل الأنبياء العظام من قبله : فمثلا كان الوحش هو روما ، ولكنه في نفس الوقت ضد المسيح الذى سوف يأتى . هنا الحاضر (روما) والأبحاثولوجى (ضد المسيح) ولم يكن الاضطهاد الذى وقع على كنائس آسيا الصغرى في القرن الأول بالشدة التى يصف بها يوحنا في سفر الرؤيا . وذلك لأنه كان ينظر من خلاله إلى الاضطهاد

الذى سوف يقع على المؤمنين عندما يأتي « ضد المسيح ». وبذلك فإنه يرى
النهاية من خلال الحوادث التاريخية المعاصرة كما يفعل الأنبياء : فإنهم كانوا
يكلمون الناس في عصرهم وفي نفس الوقت كانوا يربطون ذلك « بيوم الرب »
الذى سوف يأتي كما حدث مثلاً مع إشعياء ٧ : ١٤ مع متى ١ : ٢٣
وهو شح ١١ : ١ مع متى ٢ : ١٥ وإرميا ٣١ : ٣١-٣٤ مع عبرانيين
٨ : ١٢-٨ . وهذا ما يفعله القديس يوحنا في سفر الرؤيا .

من هذا نرى أن القديس يوحنا قد كتب كالرؤيين . استعار منهم صورهم
ورمزياتهم وروايتهم ، ولكنه مع ذلك لم يصف كتاباً رؤياً آخر إلى الكتب
المعروفة في ذلك الوقت . ولكنه كتب كتاباً متميزاً . إنه كتاب مسيحي
يظهر ما عمل الله في المسيح وما سوف يعمل ، مستخدماً في ذلك الطريقة التي
كان يستخدمها الرؤيون . ولكنه كان يضع أنظاره على الحمل المذبوح في
حادثة ماضية صارت مركزاً للرؤيا والإعلان ولكنها لا تظهر في كتب
الرؤيين الذين لا رجاء لديهم في الماضي ولا الحاضر بل ينتظرون دائماً إلى
النهاية . فسفر الرؤيا هو سفر نبوي كتب بطريقة رؤوية .

مؤلف الكتاب :

يقول الكاتب عن نفسه إنه يوحنا وذلك في أربعة أمكنة (١ : ١ ، ٤ :
٩ ، ٢٢ : ٨) وفي ١ : ٩ يقول عن نفسه « أخوكم وشريككم في
الضيق وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره » . وقد انقسم العلماء قديماً وحديثاً
فيما بينهم عن من هو يوحنا هذا : هل هو يوحنا الرسول تلميذ المسيح ؟ أم أنه
شخص غيره ؟ وهل هو نفسه كاتب إنجيل يوحنا ؟ أم أنه شخص آخر ؟
ولكن قبل أن ندرس رأى التقليد والدراسات الحديثة لنعرف ماذا يقول
الكتاب عنه .

١ - مع أنه يطلق على نفسه اسم يوحنا لكنه لم يشر من قريب أو بعيد على أنه واحد من الاثني عشر ، ولكنه يرغب أن يسمع القراء كلمته ككلمة نبي (١ : ١ - ٣ ، ٢٢ : ٦) ومع ذلك لا يذكر أبداً أنه كان نبياً ، بمعنى أنه كان في مركز كنسى سابقاً على كتابة كتابه هذا . ويلوح أنه صار نبياً في الوقت الذي دعى فيه لكي يكتب كتابه . وقد جاءت الدعوة في جزيرة بطمس التي تقع على الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى في مقابل جزيرة مالطة (١ : ٩ - ١١) ولعله كان متقياً هناك لأنه وضع « من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح » (١ : ٩) .

٢ - من واقع خطاباته إلى الكنائس السبع نرى أنه كان يعرف أحوال الكنائس هناك معرفة عميقة ، مما يدل على أنه كان من سكان تلك المناطق أو أنه عمل هناك لمدة تكفي لأن يتعمق في الظروف الداخلية والخارجية لكل كنيسة . وليس ذلك فقط بل كان يتمتع بسلطان واسع في هذه الكنائس لأنه تكلم بكل شجاعة وبدون تردد على الخطايا والغلطات التي تظهر فيها ، ويهددهم إن لم يتوبوا فإنه سيعاقبهم :

فمن هو يوحنا هذا الذي يكتب سفر الرؤيا ؟

أولاً - يوحنا الرسول :

هناك شهادات قوية تقول إنه يوحنا ابن زبدي التلميذ والرسول . وتبنى هذه الشهادات على الأمور التالية :

١ - شهادات الآباء المبكرين : كشهادة جاستن مارتير (١٥١ - ١٥٥) إذ يقول « رجل منا اسمه يوحنا أحد رسل المسيح تنبأ في رؤيا أعطيت له ، أن الذين يؤمنون في مسيحنا سيسكنون في أورشليم ألف سنة » (حوار مع

تريفو اليهودي) . ثم يكمل قوله « وبعد ذلك تحدث القيامة العامة الأبدية لكل الناس وسوف تكون الدينونة » وفي أواخر القرن الثاني الميلادي كتب أحدهم ضد ماركسيون في مقدمة إنجيل لوقا بأن كاتب الرويا هو يوحنا الرسول . . وقد صادق على هذا الأمر إيريناوس وترتيان وأكليمنديس الاسكندري وهيبوليتس الروماني . وفي أحد فقرات تفسيره لإنجيل يوحنا يقول أوريجانوس إن يوحنا الرسول كتب سفر الرويا وإنجيل يوحنا .

٢- وهناك أشياء داخلية في الكتاب نفسه يصعب تفسيرها إذا لم يكن يوحنا الرسول نفسه هو الذي كتب الكتاب ، فسلطانه على الكنائس ومعرفة الكنائس به تشير بالضرورة إلى شخصية لها وزنها كيوحنا الرسول . وإلى جانب ذلك عدم نسبة كتابه إلى شخصية قديمة كالرؤيين اليهود تدل على أن الكاتب قوى ومعروف وله سلطان نبوي رسولي . فإحساسه بأنه إنسان موحى إليه ، وأن كتابه يجب أن يوضع في مصاف الكتب المقدسة بحيث يجب ألا يزداد أو ينقص منه (٢٢ : ٨ و ١٩) وأنه هو شخصياً ، معدود من الأنبياء (٢٢ : ٩) ، وأنه يعطى الدرج ويأكله مثل الأنبياء عند دعوتهم للنبوة (١٠ : ١٠) هذا كله يدل على أن هذا الشخص له سلطانه النبوة الذي يقف على قدم المساواة مع الأنبياء القدامى : كإشعياء وإرميا وهوشع وغيرهم . ولا يمكن أن ينسب شخص هذا إلى نفسه إن لم يكن في مركز رسل المسيح .

ويعتقد بعض العلماء أيضاً أن سفر الرويا يعكس طبيعة القديس يوحنا تلميذ المسيح الذي سماه السيد مع أخيه بوا نرجس « أى ابني الرعد ، فقد طلبا يوماً ما أن تنزل نار من السماء لتحرق قرية السامريين ، وهذا ما نجده في سفر الرويا (لوقا ٩ : ٥٤ - ٥٦ ، رؤيا ٢ : ٩ ، ٣ : ٩) وهو يظهر تجاه كل الذين يحاربون شعب الله ، الوحش وروما وغيرهما موجة شديدة من الغضب والانتقام .

٣ - وهناك شواهد أخرى يبرزها الذين يعتقدون أن كاتب إنجيل يوحنا وسفر الرؤيا هو شخص واحد ، هذه الشواهد تتلخص في المشابهات التي بين الكتابين في المصطلحات وفي الأفكار ، فالمسيح لم يسم « الكلمة » إلا في كتابات يوحنا (يوحنا ١ : ١ ، رؤيا ١٩ : ١٣) وهو حمل الله مع أن إنجيل يوحنا يستخدم amnos وسفر الرؤيا يستخدم arnion . وفي كلا الكتابين نجد الصور الكلامية والتشبهات التي تتضمن المياه ، ينبوع وغيرها (يوحنا ٤ : ١٠ و ١١ و ١٤ ، ٧ : ٣٨ رؤيا ٢١ : ٦ ، ٢٢ : ١٧) وفيهما يوصف السيد بأنه الراعي (يوحنا ١٠ و ٢١ : ١٦ و ١٧ ، رؤيا ٧ : ١٦) وكلاهما يؤكدان أنه لا ضرورة للهيكل في العبادة (يوحنا ٤ : ٢١ ، رؤيا ٢١ : ٢٢) ويشيران إلى المن (يوحنا ٦ : ٣١ و ٣٢ ، رؤيا ٢ : ١٧) . وفي كلا الكتابين نجد ميلا إلى مقابلة الأشياء بعضها ببعض : النور والظلمة ، الحق والكذب ، قوة الله وقوة العالم . وهناك اصطلاحات متشابهة : الحقيقي . الشهادة ، حفظ الوصايا وغير ذلك .

هذه وغيرها قد تشير إلى أن الكتابين خرجا من يد كاتب واحد أو من مدرسة واحدة لها نفس التفكير .

ثانياً - كاتب آخر :

ولكن هناك اعتراضات قوية ضد نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا الرسول وضد صلته بالإنجيل الرابع ككتابين لكاتب واحد .

١ - لعل أقوى شهادة على هذا الأمر جاءت أيضاً من الآباء . فالكاهن الروماني غايس نسب هذا الكتاب إلى سيرنيثوس Cerinthus نظراً لما فيه من عقيدة الألف سنة . وكذلك فعل الجماعة المسماة alogi نظراً لما فيه - كما يقولون - من تناقض بينه وبين الكتب الأخرى في العهد الجديد .

أما الشهادة القوية التي جاءت من الآباء ولا زالت هي السند الذي يعتمد عليه كتاب العصر الحديث في إنكار نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا وعدم صلته بالإنجيل الرابع فهي شهادة ديونسيوس Dionysius أسقف الاسكندرية (٢٦٤ م) الذي أنكر بدوره نسبة هذا الكتاب إلى سيرنيثوس كما ذكر سابقاً ونسبه إلى شخص نقي قديس ولكنه ليس يوحنا الرسول الذي كتب الإنجيل والرسائل الثلاثة . ويؤيد ديونسيوس قوله هذا بالأمر التالي :

(أ) إن كاتب الرؤيا يذكر اسمه في كتابه منذ البداية مع أن الإنجيلي لم يذكر اسمه أبداً لافي الإنجيل ولا في الرسائل . ولو كان يوحنا الرسول هو الذي كتب الإنجيل لكان ذكر أنه التلميذ الذي أحبه يسوع أو الذي اتكأ على صدر يسوع أو أخو يعقوب أو الذي رأى يسوع بعينه ولمسه بيديه (١ يوحنا ١ : ١) ولكنه لم يفعل ذلك مما يدل على أنه ليس يوحنا الرسول بل شخص آخر :

(ب) في الإنجيل والرسائل نجد نفس المصطلحات والأفكار فكل من يقرأها جميعاً فإنه يجد مصطلحات « النور ، الظلمة ، الحياة ، يترك الظلمة ، الحق ، النعمة ، الفرح ، جسد ودم الرب ، الدينونة ، غفران الخطايا ، محبة الله لنا ، الوصية أن نحب بعضنا البعض ، وأن نحفظ كل الوصايا ، دينونة العالم والشريير وضد المسيح ، وعد الروح القدس ، بنوينا لله ، الإيمان المطلوب منا ، الآب والابن . وهكذا . وإذا قارنا سفر الرؤيا بذلك نجده يختلف كل الاختلاف فلا مشابة بينهما ، وفي الحقيقة لا صلة بينه وبين الكتب الأربعة .

(ج) وإلى جانب اختلاف الأفكار هناك اختلاف الأسلوب بين الكتب الأربعة وكتاب الرؤيا . فالكتب الأربعة كتبت في لغة خالية من الخطأ

اللغوى سهلة التعبير وتطور في التفكير وارتباط الجمل فلا يوجد فيها نوع من غلاظة الأسلوب وصعوبته . وعلى العكس من ذلك كله نرى في سفر الرويا لغة غير سليمة تستخدم فيها عبارات ليس من اللغة اليونانية الفصحى ، ولا يهتم بقواعد اللغة واستخداماتها .

٢ - وهناك شهادة داخلية ضد نسبة الكتاب إلى يوحنا الرسول ولعل أقوى عناصرها هو ما جاء في ١٨ : ٢٠ ، ٢١ : ١٤ والتي تشير إلى رسل الخروف وتلاميذه على أنهم عاشوا في وقت قد مضى . وكأن كاتب هذا الكتاب عاش في عصر لم يكن فيه الرسل على قيد الحياة فلا يمكن أن يكون هو يوحنا الرسول .^{١٤}

هذا هو مجمل الآراء التي تقال عن مؤلف هذا الكتاب ومنها نرى أن كلا من الفريقين يؤيد رأيه بأمور لا يقبلها الطرف الآخر أو يرد عليها ، وفي الحقيقة لا يوجد عالم وحيد يمكنه أن يؤكد هذا الرأي أو نقيضه تأكيداً تاماً . إنما الأمر نسبي . ولعل الرأي القائل إن يوحنا الرسول ابن زبدي تلميذ السيد هو كاتب سفر الرويا محل كثير أمن المشكلات ، ولكن ليس كل المشكلات . ولكن هل يأتي اليوم الذي يمكن فيه لعالم أن يؤكد أحد الآراء ؟ من يدري ، الله هو الذي يعلم .

تاريخ كتابة السفر :

القراءة السطحية لسفر الرويا تكشف أن السفر كتب لجماعة يعانون الاضطهاد الفظيع أو على وشك مواجهة هذا الاضطهاد . ودراسة تاريخ الكنيسة في القرن الأول تظهر أن هناك اضطهادين عرفتهما الكنيسة العالمية أو أجزاء منها . الاضطهاد الذي حدث في عهد نيرون ، ذلك الامبراطور

سبب السمعة في الستينات من ذلك القرن . أما الاضطهاد الأقصى فقد حدث في آخر هذا القرن على يدى الامبراطور دوميتيان الذى جعل عبادة الامبراطور ديانة رسمية في الدولة . والرأى الذى يتمتع بمساندة غالبية الدارسين هو أن هذا الاضطهاد كان في عهد دوميتيان ويستندون على الشواهد التالية :

١ - يقول أصحاب هذه النظرية إن الامبراطور دوميتيان كان أقسى على المسيحيين ، الذين كانوا يرفضون أن يسجدوا لتمثاله ويعبدوه ، من أى امبراطور آخر . وقد أطلق عليه سفر الروثيا لقب الوحش ، لا كلقب ولكن ليبدل عليه ، وقد ظهرت عبادة الوحش في سفر الروثيا بصورة واضحة . (١٣ : ٤ و ١٥ و ١٦ ، ١٤ : ٩ - ١١ ، ١٥ : ٢ ، ١٦ : ٢ ، ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ٤) . إن علامة الوحش التى كان يجب أن يحملها الجميع تعنى أن عبادة الامبراطور أصبحت ديانة الدولة ومع أن عبادة الامبراطور كانت شائعة ومطلوبة قبل المسيحية ، وخصوصاً في أيام كاليجولا الذى أراد أن يوضع تمثاله في الهيكل ، إلا أن سفر الروثيا يعكس عصرأ متقدماً جداً في عبادة الامبراطور يوافق عصر الامبراطور دوميتيان الذى فرض عبادته بالقوة وكان كل من لا يعبده يعتبر خائناً للدولة .

٢ - نوع الاضطهادات التى حاقت بالمسيحيين كما هي مدونة في سفر الروثيا تبين على أنها اضطهادات شديدة قاسية عامة ، وهى التى حدثت في عهد دوميتيان . فالكاتب نفسه كان متفياً في جزيرة بطمس وذلك لأجل كلمة الله وشهادة يسوع المسيح . وفي رسائله للكنايس السبع يعكس أنواعاً متعددة من الاضطهادات . ففي كنيسة رغامس قتل أنتيباس (٢ : ١٣) وكنيسة سميرنا تهددها موجة من السجن والسبي (٢ : ١٥) ، وكنيسة فيلادلفيا تنتظر ساعة الضيقة العظيمة الآتية على كل العالم (٣ : ١٠) . ويلوح من ٦ : ٩ أن

هناك جماعة شهداء قد ماتوا وهم يطلبون الدينونة والقصاص من الذين قتلوهم . وعندما يتكلم الرائي عن الزانية العظيمة وهي مدينة روما يصفها بأنها سكرى بدم القديسين (١٧ : ٦ ، ١٨ : ٢٤ ، ١٩ : ٢) . ولقد عرف عن عصر دوميتيان أنه كان عصر الاضطهاد العام المبني على اختلاف العبادة أى أن كل من لا يعبد الامبراطور فإنه يقتل ، وفيه قتل دوميتيان قريية فيلافيوس وزوجته دوميتيلا المسيحية . . وقد ذكر أكليمندس الروماني الذي كان يعاصر دوميتيان هذا الاضطهاد المرير ، وكذلك يوسابيوس المؤرخ المسيحي وترتيان وغيرهم . مما يعطى قوة لشهادة سفر الرؤيا وما ذكره عن هذا الاضطهاد الذي حدث في عصر دوميتيان .

٣ - أسطورة رجوع نبرون :

ويقول كثير من دارسى سفر الرؤيا إن الرائي في أصحاح ١٧ يتكلم عن أسطورة رجوع نبرون التي تقول إن نبرون لم يمت ولكنه هرب إلى الشرق وظل مختفياً إلى أن يرجع مرة أخرى بجيش عظيم ، ويفتح روما بالقوة ويأخذ العرش الذي أخذ منه . وفي ١٧ : ٨ الوحش الذي كان وليس الآن هو عتيد أن يصعد من الهاوية ويمضى إلى الهلاك هو بنبرون وهو واحد من السبعة ملوك . منهم ٥ سقطوا وواحد موجود وواحد آخر سوف يأتي ، ثم يأتي الوحش الذي كان ليكون الثامن مع أنه واحد من السبعة . . وهكذا كما وهو مكتوب في ص ١٧ . . ويقول الدارسون إن هذه الأسطورة التي ذكرت عن نبرون بهذه الكيفية كانت معاصرة أو تسبق قليلا عصر دوميتيان ، مما يدل على أن هذا السفر كتب في ذلك العصر .

٤ - حالة الكنائس السبع :

في الأصحاحين الثاني والثالث يوجه السيد رسائله إلى الكنائس السبع .

بوفى غضون هذه الرسائل نجد وصفاً لحالة هذه الكنائس . فهناك فتور وفشل في بعض الكنائس مثل أفسس وساردس ولاذقية ، وهذا معناه أن كنائس الرسول بولس قد أصابها الضعف ويشير كذلك إلى أن فترة طويلة قد مرت منذ أن رحل الرسول بولس إلى الأبدية . وهناك شاهد آخر من كنيسة سميرنا التي لم تنشأ قبل ٦٥ م ، وبوليكار بوس يشهد بذلك في رسالته إلى فيلبى : . وإذا كانت حالتها كما يصفها سفر الرؤيا فهذا يدل على أن الرسالة إليها كتبت في عصر متأخر يقارب العصر الذي نتحدث عنه وإذا رجعنا مرة أخرى إلى كنيسة أفسس فإن السيد يمدح ملاك الكنيسة على أنه يبغض تعاليم النيقولاويين (٢ : ٦) ، وكذلك يوبخ ملاك كنيسة رغامس على أن جماعة من عنده يتمسكون بهذه التعاليم (٢ : ١٥) . والكلام عنهم هكذا يدل على أن هذه الجماعة المنحرفة قد أصبحت لها تأثير معروف في الكنائس . لأن ذكر الاسم بدون ذكر التعاليم يدل على أنها معروفة معرفة تامة ، ولها مدة طويلة نوعاً ما في وسط الكنائس . . من هذه جميعها يظهر أن الكنائس التي كتبت إليها هذه الرسائل كانت كنائس وراءها تاريخ طويل وليست حديثة التكوين مما يدل على أن الرسائل كانت على الأقل في أواخر القرن الأول .

٥ - إلى جانب هذا كله فهذا التاريخ (أى أن الكتاب كتب في عصر دوميتان : يجد سنداً قوياً في شهادات الآباء . فشهادة إيريناوس والتقليد المتأخر كلها تعطى قوة لهذا التاريخ ، فيقول إيريناوس « إن هذه الرؤيا ظهرت في عصر قريب جداً يقارب عصرنا هذا » . على كل حال فإن التقليد يؤيد هذا التاريخ المتأخر .

ولكن في مقابل ذلك يعتقد بعض الدارسين أن السفر كتب مبكراً عن ذلك أى في عهد نيرون أى في الستينات الميلادية ويؤيدون كلامهم بالشواهد التالية :

٦٥٧

(م ٤٢ - المدخل الى العهد الجديد)

١ - من نفس أسطورة نبرون (١٧ : ١٠) : وإذا كان خمسة ملوك قد سقطوا فالأفضل أن نحسب الخمسة من أول يوليوس قيصر وليس من أول أو غسطس كما تعودوا أن يذكروا ؟ وإذا كان كذلك يكون نبرون هو الخامس . ومعنى ذلك أن سفر الرؤيا كتب وقت موته أو الوقت اللاحق لذلك مباشرة .

٢ - أما الشهادة الثانية فهي تشتق من العدد الرمزي للاسم ٦٦٦ (١٣) : (١٨) وقد بذلت محاولات كثيرة لفك هذا الرمز . وانطبق العدد على اسم نبرون باللغة العبرية . وقد اختلف العلماء كثيراً عما إذا كان الكاتب قصد العدد بالعبرية وهو يكتب اليونانية . أو أن العدد رمزي ولا يجب أن يؤخذ حرفياً . وهما يمكن من أمر فإن الذين يساندون هذا العصر المبكر لكتابة السفر يتمسكون بانطباقه على نبرون .

٣ - الشهادة الثالثة تأتي من ١١ : ١ - ١٤ . حيث يعتقد أصحاب هذه النظرة أن القياس كان لمدينة أورشليم وخصوصاً الهيكل . فهل هذا يعني أن الهيكل كان لا زال باقياً قبل أن يخربه تيطس الروماني سنة ٧٠ م ؟ مع أن هذه النبوة لا تحتاج إلى تفسيرها تفسيراً حرفياً .

من مراجعة ما سبق نجد أن الرأي الذي يقول إن سفر الرؤيا كتب متأخراً أى في أواخر القرن الأول يجد قبولاً أوسع ويقف على أرضية أكثر صلابة ويحل مشكلات أكثر من الرأي الذي يدعى أن سفر الرؤيا كتب مبكراً أى في الستينات من القرن الأول .

تفسير سفر الرؤيا :

لعل سفر الرؤيا هو الكتاب الذي قاسى أقسى التفسيرات وأكثرها :

اختلافاً بل وتناقضاً ، أكثر من أى كتاب آخر . ولكننا هنا لا نستطيع أن نمر على كل أنواع التفسيرات ، بل سوف نقتصر على أهمها لنعرف ماذا كان اتجاه المسيحية العام في معاملتها لهذا الكتاب .

١ - التفسير التاريخي :

وقد ظهر هذا التفسير في القرن الثالث عشر بدأه الكساندر البرماني الفرنسيسكاني ثم تطور على يدى نيقولاس الليرى (١٣٢ م . ونحسب هذا التفسير يتضمن سفر الرويا تاريخ العالم إلى وقت النهاية ، ليس ككل ، ولكن فيما يتعلق بصللة الكنيسة بالعالم . وتتضمن الروى التى فيه كل الحوادث العظيمة التى ظهرت وسوف تظهر في التاريخ ، والشخصيات العظيمة التى حددت مجرى هذه الأحداث ، وأهم المواقف فى الكنيسة ومعاملاتها مع العالم والقوى المؤثرة فيه . ويعتقد أصحاب هذا التفسير أن نهاية العالم ليست بعيدة بل هى قريبة ، ولهذا فهم يحاولون أن يعرفوا نوعية الحوادث القادمة بتفسير سفر الرويا . ويقسمون التاريخ إلى سبع حقبات تظهر جميعها فى الرسائل السبع إلى الكنائس السبع فى ص ٢ و ٣ وتعتبر هذه الرسائل ملخصاً للتاريخ والرسائل تمثل التطور التدريجى المؤدى إلى نهاية العالم والتاريخ .

هذا هو التفسير التاريخي ولا شك أنه خطأ كبير ، ولعل أكبر برهان يدل على خطئه هو أن تفسيره يتغير من قرن إلى آخر .

٢ - التفسير الإصغاطولوجي :

يرى أصحاب هذا التفسير أن سفر الرويا ليس ملخصاً لتاريخ العالم ولا لتاريخ الكنيسة ، ولكنه نبوة . تنصب على أواخر الأيام ومجيء الدهر الآتى ولذلك فيجب أن يفهم إصغاطولوجيا . ومقارنة ص ١٣ من سفر الرويا

مع ٢ تسالونيكي ٢ : ٣ - ١٢ مع ١ يوحنا ٢ : ١٨ نجدها جميعاً تتكلم عن ضد المسيح وأعماله القاسية وما يتسبب فيه من ضيقات عظيمة . وحيث أنه بحسب هذه الفقرات يظهر قبل مجيئ المسيح الثاني مباشرة ، فيكون سفر الرؤيا نبؤة مخصصة لهذا العصر الأخير . وابتداء من ١٤ : ٦ يصف سفر الرؤيا الدينونة في صور مختلفة ووجهاتها المتباينة وعندئذ يتكلم عن السماء الجديدة وملكوت الله . وبحسب هذا التفسير فإن سفر الرؤيا يتضمن تتابعاً زمنياً تبدأها الآلام والضيقات والدينونة التي تقع على المسيحية والعالم الغير مؤمن على السواء التي تقود إلى النهاية لهذا العالم الحاضر .

هذا التفسير فيه كثير من الصديق ، ولكن من يعتمد عليه فقط في فهم سفر الرؤيا فإنه مجرد هذا الكتاب من موضوعيته ، ويجرده من الهدف الذي كتب من أجله . لقد كتب الكتاب لجماعة عاشت في وقت كان أحوج فيه إلى كلمة تعزية وتشجيع ، وهذا ما قصده الكاتب . إنه لم يكتب لعصور وأجيال قادمة بل للمسيحيين المعاصرين له . وحيث أن المسيحيين الأوائل كانوا يعتقدون أن النهاية كانت قريبة وعلى الأبواب ، فكان على الرائي أن يخبرهم أن أشياء أخرى ستحدث قريباً وبعد ذلك المنتهى كما فعل الرسول بولس مع أهل تسالونيكي عندما أخطأوا وظنوا أن المسيح سوف يأتي بين لحظة وأخرى . (٢ تسالونيكي) .

٣- التفسير المعاصر :

ويقصد بالمعاصر أي أنه كان يشير إلى حوادث وشخصيات ومواقف معاصرة للكاتب نفسه ، وكان يصف الحالة السياسية والدينية التي كانت تسود في أيامه . ومعظم المفسرين يتفقون على أن الوحش الذي خرج من البحر (١٣ : ١) يشير إلى الدولة الرومانية ، وأن النبي الكذاب (١٣ : ١١) -

١٣ ، ١٦ ، ١٣ : ١٩ ، ٢٠) هو عبادة الامبراطور التي تؤله الحاكم ،
أما بابل ١٧ : ١ - فكانت عاصمة الدولة الفاسدة الوثنية روما .

فإذا دمجنا التفسيرين معاً الأسخاتولوجي والمعاصر فإننا نستطيع أن نفهم
الكثير من رسالة الكتاب فالجزء الذي ينصب على التاريخ المعاصر للكتابة
لا يتعدى الأصحاحات ١١ و ١٣ و ١٧ وفيه نجد أن الكنيسة تواجه صراعاً
عنيفاً . ويرى الرائي الصراع المقبل بينها وبين الدولة الرومانية بما يمثلها من
الوحش الخارج من الماء والوحش الآخر . ولكن الرائي عندما يرى ذلك في
المستقبل القريب فإنه يرى من وراء هذا الصراع قوتين أخريين هي قوة الله
الذي يصارع ليحطم قوة التنين الحية القديمة أي إبليس لكي يقيم على أنقاض
شره مملكة الله المحيدة الأبدية . فالصراع الظاهر بين الكنيسة والدولة الرومانية
يراه الرائي يشير إلى الصراع الأعظم ويمثله ، وفائدة هذا التاريخ تظهر في أنه
يبرز ذلك الدور الذي قد لا تراه عيون البشر في ذراع الله الممدودة التي
تحطم قوة إبليس الذي يقف وراء هذه الوحوش . فالنبوة التي يذكرها الكتاب
ليست فقط لذكرى الماضي أو الحاضر ولكن للمستقبل الذي يراه بعين
النبوة ... المستقبل القريب الذي بدأت ظواهره ولكن هذا المستقبل لم يذكر
لذاته أو لقصد التنبؤ بحوادث آتية وكفى بل لإعلان مجد الله في حربه ضد
قوات الشر وإزالتها لإقامة ملكوته . .

وهذا الأمر بالذات كان يميز الأنبياء العظام في العهد القديم فإنهم كانوا
يروون في الحوادث التي يتنبؤون بها لا هدفاً في ذاتها ، ولكنها تشير إلى عمل الله
وقوته لإقامة ملكوته فيرون التاريخ القريب الآتي ممزوجاً في الأسخاتولوجي
ومعراً عنه ومشيراً إليه . ولكن سفر الرؤيا يريد على النبوة بأنه يستعيد بعض

الصور الرؤوية التي انتشرت في الكتب الرؤوية في العصر اليهودي الذي ساد في القرون الثلاثة التي تحيط بميلاد المسيح .

وعلى هذا فالتفسير الحقيقي لسفر الرؤيا يجب أن يرى فيه روح نبوة العهد القديم زائداً صور التعبيرات اليهودية وذلك في إطار الإيمان المسيحي والحوادث الجارية في عصر القديس يوحنا الذي كتب السفر .

رسالة سفر الرؤيا :

سبق القول بأن سفر الرؤيا لم يكتبه صاحبه لكي يكلم أجيالاً قادمة ، ولكنه فعل ذلك لكي يكلم جيله الذي كان محتاجاً إلى كلمة النبوة هذه ، أنه ذهب إلى جزيرة بطمس لأجل « كلمة الله وشهادة يسوع المسيح » (١ : ٩) . وكلمة الله تعني أنه يتكلم كنبى للذين يسمعون ، ومن أجل هذه الكلمة نفي إلى هذه الجزيرة . إذاً فما هي رسالة هذا الكتاب ؟ ماذا يواجهنا عندما نقرأه ؟

١ - المسيح الرب :

عندما يقدم القديس يوحنا المسيح الرب فإنه لا يكتب مقالة لاهوتية عامة للدراسة والمناقشة . . ولكنه كان يكتب خطاباً إلى مجموعة من الكنائس في مسيس الحاجة إلى تقديم المسيح هكذا ، كان يكتب رسالة يبدأها بالمقدمة المعتادة « يوحنا إلى . . » كما يفعل الرسول بولس « يبدأها ويختمها بالنعمة » « نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين » . أما في المقدمة فهو يضيف « سلام » إلى النعمة ، وهذا أهم ما يحتاجون إليه . ولكننا نلاحظ هنا أنه يذكر التثليث المقدس بطريقة تختلف : فالكائن والذي يأتي هو الله الآب ، أما السبعة أرواح الله التي أمام عرشه فهو الروح القدس ذكر وهو يعمل في الكنائس السبع . وفي الآخر يسوع المسيح الشاهد الأمين . . » ويذكر عمله

العظيم ، وكما هي العادة تذكر «الآب . . الابن . . الروح القدس . .» وهنا يذكر الابن في النهاية مع كل ما عمل ويعمل من الكنيسة وذلك لتؤكد دور السيد المنتصر الذي جعلنا له وأصبحنا «من عهده» فلا يمكن أن يفرط في كنيسته . فلاجل حاجة الكنيسة ، والدور الذي يقوم به السيد فيها فإنه يذكره أخيراً .

وهناك شيء آخر يجب أن تأخذه في الاعتبار وهو أن القديس يوحنا يقدم السيد في معظم الأمكنة في العبادة ، أى أن العبارات لا تصاغ بطريقة لا شخصية impersonal ولكنها في صيغة المخاطب الذي تسجد له الكائنات كلها وبخاصة الكنيسة المقدسة ، ولهذا فكل ما تقوله الكنيسة هنا فإنما نقوله من الاختبار ، عن طريق شركتها معه وخبرتها فيه ، وهذا أعظم ما يقدهه الإنسان المقلد إلى سيده الذي جعله له . . أما مضمون تقديمه له فهو كما يلي :

(أ) عندما يقدم الرائي السيد إلى الكنيسة فإنه يرجع إلى العهد القديم في ١ : ٥ نجد العبارات « الشاهد الأمين . البكر من الأدوات . . رئيس ملوك الأرض » مأخوذة من مزمو ٨٩ : ٢٧ و ٣٧ « أنا أيضاً أجعله يكرأ أعلى من ملوك الأرض . . الشاهد في السماء أمين . . » ولكنها إذ تكمل في السيد فإنها تصل إلى عمق لم يستطع المرثم أن يراه في نسل داود « فيسوع ليس بكرأ أو رئيساً فقط ولكنه بكر من الأدوات ، وهو ليس أعلى من ملوك الأرض فقط بل هو ملك الملوك ورب الأرباب (رؤيا ١٧ : ١٤ ، ١٩ : ١٦) . . وهو شاهد أمين في حياته . . حياة الطاعة والمحبة إلى الموت . . ومن هذا نجد أن عبارات التسبيح في العهد القديم أبقاها الرائي ولكنه وصل بها إلى مستويات أعمق كثيراً بمقدار سمو الإعلان في السيد في مجيئه ودوته وقيامته . . نعم أعمق لأنها أعماق الإنجيل .

هذا الأمر : أى الاقتباس من العهد القديم والتفسير الأعمق له من حياة السيد ورسالته نجده فى ٥ : ٥ ، ٦ فقد بكى الرأى إذ لم ير من هو مستحق لفتح السفر المختوم ولكن واحداً من الشيوخ طمأنه قائلاً « لا تبك هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختمه ورأيت ماذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ حروف قائم كأنه مذبح له سبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أزواج الله المرسل إلى كل الأرض ». فنجد هنا أن « أسد يهوذا أصل داود » (٥ : ٥) . قد ارتبط بالحمل المذبح . . دلالة على أنه الفادى وفى نفس الوقت أعطى من المجد والعظمة ما يساوى الله الأب نفسه .

(ب) نأتى الآن إلى ترانيم التمجيد لرى كيف تقدم الرأى من مجد إلى مجد فى وصف خبره الأحياء فى المسيح يسوع السيد الموجودة فى أصحاح ٤ و ٥ .

(٤ : ١٠ و ١١) عندما يجر الأربعة والعشرون شيخاً معجودون الله قائلين « أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى بلرادتك كائنة وخلقت » هنا المجد والكرامة والقدرة لله لأنه الخالق والمعنى .

فى ٥ : ٩ - ١٠ عندما أخذ الأسد الخارج من سبط يهوذا السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة وعشرون شيخاً . وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختمه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض ». فى هذه الترنيمة كما فى الترنيمة الأولى يظهر أن الأب

والابن مستحقان لأن كلا منهما عمل عملاً مجيداً : الآب خلق والابن فدى .
فالترنيمة الأولى ترنيمة الخليقة لله الآب بينما الترنيمة الثانية هي ترنيمة الفداء
للمسيح .

(٥ : ١١ و ١٢) نجد ترنيمة الملائكة وهم ربوات قائلين « مستحق هو
الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد
والبركة . . » في هذه الترنيمة نجد أن الخروف هو الذى تقدم له العبادة والترنيم
وهو مستحق الآن ليس فقط أن يأخذ السفر ويمنح ختونه كما في الترنيمة
الثانية ، بل مستحق أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد
والبركة نفس الأمور التي قيلت عن الله الآب أنه مستحق أن يأخذها مع
أنها ضوعفت في طولها . فالله والحمل كلاهما مستحقان أن يأخذوا العبادة
الكاملة من الجنود السماوية .

(٥ : ١٣) كل خليقة مما في السماء وما على الأرض وتحت الأرض
وما في البحر كل ما فيها سمعتها قائلة « للجالس على العرش وللخروف البركة
والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين » هنا تصل المساواة بين الآب
والابن أقصى وضوح لها .

وهذا يبدأ الرأى في تقديمه للمسيح مبتدأً من الفكر اليهودى إلى أن
يصل إلى لاهوته ومساواته للآب وذلك في لغة بعيدة عن التخمين والنظريات ،
إنها لغة عبادة .

٢ - المسيح الرب في سلطانه :

هذا هو العنصر الثانى في رسالة سفر الرؤيا ، إن السيد الذى يساوى الآب
ليس ساكناً في السموات فقط ولكنه في الأرض أيضاً ، يجرى سلطانه ويظهر

قوته ورحمته في نشر الرجاء وتحطيم قوات الشر ، إنه سلطان للبركة وللدينونة ،
وذلك لأن سلطانه يظهر في مجالين عظيمين : سلطانه في الكنيسة وسلطانه في
التاريخ .

أولاً - سلطانه في الكنيسة :

قبل أن ندوس ما يعبر به الرائي عن سلطان الرب في الكنيسة يجب أن
نعرف حالة الكنيسة في ذلك الوقت ، ثم موقف السيد إزاء ذلك :

(أ) ماذا كانت حالة الكنيسة ؟ كانت الكنيسة في ذلك الوقت مهددة من
الخارج ومن الداخل . والتهديد الآتي من الخارج هو تهديد الدولة ومحاولة فرض
عبادة الامبراطور ، وكما سبق وعرفنا كان ذلك غالباً أيام الامبراطور دوميتيان ...
ويلوح أن التهديد قد ظهرت بوادره ، لأن الكنائس لم يكن فيها سوى عدد
محدود جداً من الشهداء ، ولكن الاضطهادات في أي لحظة (٢ : ١٠ و ٩٣ ،
٣ : ١٠) . ومع أن كثيرين يعتبرون الاضطهاد هو التهديد الأعظم ، لكن
الحقيقة هو أن التهديد الأخطر والأقسى يأتي من الداخل . ففي أفسس وبرغامس
وثياتيرا قام فريق يسميه الرب الثمولاويين الذين كانوا يفعلون ما فعله بليعام
وليزابل مع إسرائيل في القديم ، إذ جعلاهم يزنون ويبتعدون عن الرب إلى
آلهة غريبة ، إنهم أرادوا أن يدفعوا المسيحيين إلى أن ينجرفوا إلى عبادة
الامبراطور للمهادنة ، أو لتعاليم الغنوسيين الذين يحترقون الجسد ويجعلونه
يفعل ما يريد ما دام الروح تنقذ منه . على كل حال كان هذا خطراً يهدد
كل الكنائس . ولقد أعطاه الرائي اسم « أعماق الشيطان » (٢ : ٢٤) ، في
حين أنه يسمي الخطر الروماني « كرسي الشيطان » (٢ : ١٣) ، والخطر
اليهودي « مجمع الشيطان » (٢ : ٩ ، ٣ : ٩) . وكانت عوارض هذا

الخطر « برود المحبة كما في أفسس (٢ : ٤) والديانة الظاهرية كما في ساردس (٣ : ١ و ٢) والفتور كما في لاودكية (٣ : ١٥ و ١٦) .

وهكذا نجد الكنائس تواجه من الخارج خطر المجتمع الروماني الطاغى ومن الداخل خطر التعاليم المضلة والفتور الروحي .

(ب) وهنا يظهر للرأى السيد الممجّد المقام من الأوقات : فيصفه يوحنا في تلك الفقرة السامية التي تشابه ما جاء في رؤى دانيال (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) فيقول « شبه ابن إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجاءين متمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيبي نار ورجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون وصوته كصوت مياه كثيرة ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب وسيف ماضى ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها » (٢ : ١٣ - ١٦) في قوته ومجده يظهر السيد لكنيسته لكي يعينها في حاجتها . ولهذا السبب فإن كل رسالة إلى كل كنيسة فيها صفة للسيد من تلك الصفات التي يذكرها عنه مجتمعة معاً في الرؤيا : فهو يمسك في يده السبع الكواكب (٢ : ١ أنظر ١ : ١٦) وهو الأول والآخر (٢ : ٨ أنظر ١ : ١٧) وهو الذي له السيف الماضى ٢ : ١٢ أنظر ١ : ١٦ وهكذا ٢ : ١٨ مع ١ : ١٤ و ١٥) .

هذا السيد الرب يأتي إلى الكنيسة في أكنيتها المختلفة . . إلى السبع الكنائس ويكلمها كلها ولعل رسائله إليها تشترك كلها في خمس أمور :

الأول : إعلانه عن شخصه ومن هو « هذا يقوله . . . » .

الثاني : كشفه بالتفصيل عن حالة الكنيسة في العالم . « أنا عارف . . . »

الثالث : أمره إلى الكنيسة « أذكر . . تب . . كن أميناً . . إلخ » .
الرابع : وعده المظلمين للمسيحي المخلص « من يغلب فسأعطيهِ . . »
الخامس : دعوة إلى الجميع « من له أذن فليسمع ما يقوله الروح
للكنائس » .

ونلاحظ أن السيد وهو يمدح المخلصين في بعض نواحي الحياة أو في موقفهم من التهديد ، سواء الداخلي أو الخارجي أو كليهما ، فإنه يهدد أيضاً بالدينونة أولئك الذين خضعوا وينحدرون إلى المنجرف الفظيع : فهو يهدد بأن « أزحزح منارتك من مكانها » (٥ : ٢) ، أو « أخرجهم بسيف في .. » (٢ : ١٦) ، أو « إني أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (٣ : ٣) . وهكذا ، لأنه رب الكنيسة ويؤدبها ويدينها ، وفي نفس الوقت يمدح المخلصين ويعزيهم . . ومع هذا وذاك فإنه ينهي رسائله إلى الكنيسة بذلك الكلام الذي يعطى الرجاء وفي نفس الوقت يحذر « هنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي » (٣ : ٢٠) .

ثانياً - سلطانه في التاريخ :

هناك صورتان يرسمهما سفر الرؤيا : الصورة الأولى هي التي ختم بها رسالته إلى الكنيسة أعني وقوفه على الباب أما الصورة الثانية فهي في ١٩ : ١١ - ١٦ « ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب . . وهو متسربل بثوب مخموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله . . ومن فيه يخرج سيف لكني يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعضاً من حبيد وهو يدوس معصرة خمر سحق وغضب الله

القادر على كل شيء وله على ثوبه وعلى فخذيه إسم مكتوب « ملك الملوك ورب الأرباب » .

بين هاتين الصورتين يعلن السيد أن سلطانه يظهر لاني الكنيسة فقط بل في كل العالم وفي كل التاريخ وعلى كل الأمم والناس . ولكن إذ يظهر نفسه سيداً على كل التاريخ فذلك لأجل الكنيسة ، وهو إذ يكتب هذا الجزء فإنه يرسله أيضاً إلى الكنائس ، إن رسالته إلى الكنائس لم تقتصر فقط على ما كتبه في الأصحاحين ٢ و ٣ ولكنه يكتب باقي الكتاب إليها لكي يعلن لها أنه رب التاريخ ويشرح لها ماذا يعمل لكي يحل لها كل المشاكل . وقد أظهر سيادته في ثلاث سباعات هي سبعة الختوم (٦ : ١ - ١٧ ، ٨ : ١) السبعة أبواق (٨ : ٢ - ٩ : ٢١ ، ١١ : ١٤ - ١٩) السبع جامات (١٦ : ١ - ٢١) . فما هي صلة هذه السباعات بعضها ببعض ؟ هل هي أحداث متتالية أم متوازيات ؟ هذا ما سيظهر لنا في دراستنا .

(أ) هذا السفر المختوم بسبعة ختوم أخذه الأسد الخارج من سبط يهوذا لأنه هو الذي ذبح واشترانا ولا يستطيع أحد أن يفتح ختوم هذا السفر ، وقد فتح ختومه واحداً واحداً فظهرت حوادث متعددة :

فعندما فتح الختم الأول فرس أبيض والجالس عليه خرج غالباً ولكي يغلب .
أما في الختم الثاني راكب على فرس أحمر وهو يأتي بالحروب على الأرض .
والختم الثالث : راكب على فرس أسود وهو يأتي معه بالجماعات الشديدة .
والختم الرابع : راكب على فرس أخضر وهو يجز مع الموت بواسطة الأوبئة والجوع ووحوش الأرض .

والختم الخامس : أنفس الذين قتلوا من « أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم » يصرخون « أيها السيد القدوس والحق ألا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض » ؟ .

والختم السادس : زلزلة عظيمة . . إظلام الشمس وسقوط الكواكب .
لأنه يوم غضب الله والحمل .
والختم السابع : سكوت في السماء نحو نصف ساعة .

ولكن هذا كله لا ينبز من ضمن محتويات السفر ، إنها فقط حوادث بدائية عند فتح ختمه التي كانت تقفله ، أما محتويات السفر فإنها لم تكشف بفتح الختم . فهل يمكن أن نعرف ماذا يحوى ذلك السفر ؟ إن ما يحيط بالسفر والإطار الذي وضع فيه من وجوده على يمين الجالس على العرش أى الله جل جلاله ومن أنه استعصى على أى كائن من كان أن يفتح ختمه . وأن الذى استحق أن يأخذ السفر ويفتح ختمه هو الأسد المنتصر الذى انتصر على الموت والشربوته وقيامته ثم بتقديمه الفداء للخطاة . . من هذا كله نجد أن السفر يحوى إرادة الله وترتيبه وخطته . . هذه الخطة والعمل تتلخص فى « ملكوت الله » فضمون هذا السفر هو ملك الله وسلطانه القدائى . . هو إقامة ملكوته فى العالم وسيطرته المخلصة على المؤمنين . وهذا يتضمن الميراث الأبدى الذى لشعبه وأسماء الذين هم معينون للميراث . . أى للحياة الأبدية . ولقد أطلق على هذا السفر فى أكنة أخرى . إنه سفر الحياة : فمن يغلب فلن يحو اسمه من سفر الحياة (٣ : ٥) . ويسجد للوحش أو لتلك الذين « ليست أسماءهم مكتوبة منذ تأسيس العالم فى سفر حياة الحروف الذى ذبح » (١٣ : ٨ أنظر ١٧ : ٨) . ولن يدخل السماء إلا « المكتوبين فى سفر حياة الحروف » (٢١ : ٢٧) . . إلخ فهو سفر موجود على يمين الله فى عرشه أى من صنعه وهو سفر الحروف . . وهذا هو ملكوت الله . .

إذن فتدبير الله يتضمن مجئ المسيح الأول ونصرته على الموت والقوات الشريرة ثم هذه الحوادث التى هى عبارة عن دينوته التى ينزلها على قوات

النشر التي تعارض ملكوته الذي يعبر عنه السفر المختوم . ولكن فتح السفر وظهور هذه الحوادث لا يقصد به مبدئياً وأساساً ذكر التاريخ الفدائي بل قصد به أن يطمئن تلك الكنائس التي يكتب إليها ، إن كشف خطة الله تعطى لهذه الكنائس الاطمئنان من أن الله لا يؤخذ على غرة بل هو الذي رتب وعمل كل شيء . ولذلك فيجب أن يتقوا في حكمته ووهته للخلاص ، وبدلاً من أن ترتعب من الحوادث التي تصاحب فتح الختم يجب أن نعلم أن فتح كل ختم يقرب الوقت الذي فيه تظهر سيادة الله بكل قوة ، وتعيش في أمان واطمئنان وسلام . فهذه الحوادث ليست النهاية ولكنها قبل النهاية (مرقس ١٣ : ٧) . وهذه أيضاً ليست للحساب وعمل جداول الحساب متى يعلن ملكوت الله بقوة ، لأن هذه الحوادث كانت من خصائص عصر يوحنا وعصرنا ، إن الهدف من ذكرها هو إعلان سيطرة المسيح عليها .

(ب) عندما فتح السيد الختم السابع كنا ننتظر أن يعلن ملكوت الله ، ولكن الذي حدث هو أن سكوتاً حدث في السماء (٨ : ١) ، ولم ينقطع هذا السكوت السامى إلا عندما خرج كلمه الله على فرسه الأبيض (١٩ : ٣) . وفي أثناء هذا السكوت يذكر الرائي الأبواق والجمامات . هذه الأبواق والجمامات وما يصاحبها من حوادث قاسية على أهل الأرض ليست حوادث تنسب زمنياً بعد الختم السابع ، وليست هي مطابقة تماماً لها ، وتعتبر تفسيراً وتفصيلاً لما حدث في الختم . وخصوصاً الختم السادس ، الذي حدث فيه أشياء تعتبر مقدمات نهاية التاريخ إنها الدينونة الأصماتولوجية التي يجريها الله على العصاة ، إنها ليست بركات بل دينونة قاسية لمن فقدوا كل فرصة للرجوع لله . وهناك أشياء نلاحظها في دراستنا للحوادث التي ترافق الأبواق والجمامات نقرأها معاً : ففي كل الأبواق والجمامات نجد أن حضور الله واضح للدينونة وفي حضوره تظهر الرجوع والبروق والترازة الشديدة التي تهز الجبال

(روياً ٤ : ٥ ، ٨ : ٥ ، ١١ : ١٩ ، ١٦ : ١٨) وقد ظهر في العهد القديم عندما جاء الرب على جبل سيناء فكانت الرعود والبروق والزلزلة الشديدة التي اهتز منها الجبل (خروج ١٩ : ١٦ - ١٨) . ففي الدينونة يجيء الرب بنفسه لكي يدين هؤلاء الراضين .

ونلاحظ أيضاً أن الجمامات والأبواق تشتبك في أن البحار تنقلب مياهها إلى دم (٨ : ٨ و ٩ ، ١٦ : ٣) وتفسد الآبار والأنهار (١٠ : ٨ و ١١ و ١٦ : ٤ - ٧) وتظلم في الشمس والنجوم (٨ : ١٢ ، ١٦ : ٨ و ٩) . ويظهر الجراد الشيطاني المروع (٩ : ١ - ١٢) . الخ . هذه الضربات الشديدة ترجع بنا إلى الضربات العشر التي ضرب بها الله أرض مصر عندما أراد أن يخرج شعبه من هناك ، فصيرورة المياه دماً وجفاف الينابيع والظلام والجراد . . كلها كانت الضربات الإلهية على فرعون وهذه هي الضربات النهائية على العاصين ليدينهم ، ولكن في نفس الوقت ليخلص شعبه ويقيم ملكوت الله في سلام .

ونلاحظ أيضاً أن المخلصين يرمون ترنيمة موسى عبد الرب والحمل وذلك لأنهما المخلصان اللذان يخلصان شعب الله ، تقول الترنيمة « عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين . من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك لأنك وحدك قدوس ، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أظهرت » (١٥ : ٢ - ٤) .

ونلاحظ أيضاً أن هذه الضربات جاءت جواباً على صلاة القديسين الذين قتلوا وصرائحهم من تحت المذبح بعد فتح الختم الخامس (٦ : ١٠) ، وعندما بدأت الأبواق تعلن غضب الله كانت هناك صلاة القديسين أيضاً .

ترفع إلى الله (٨ : ٤ و ٥) ونفس هذا حدث عندما نزل الرب لكي يخلص شعبه من مصر فإنه فعل ذلك استجابة لصلاتهم ضد ظالمهم (خروج ٢ : ٢٤ و ٢٥) إن هذه النبوة التي يذكرها القديس يوحنا في صورة رؤى هي إعلان أن الله يسمح لهذا الشعب أن يتعذب ويسجن ويضطهد لأجل كلمة الله وشهادة يسوع المسيح، ولكنه مع ذلك لا يقف ساكناً بل أذناه إلى صراخهم دائماً ويأتي لكي يخلصهم .

وهناك أمر مهم نلاحظه وهو أن هناك التكثيف المتدرج في الضربات التي ينزل بها الله على هؤلاء المضايقين : فالأربع ضربات الأولى كانت تختص بالأرض والسماء وتظهر سلطان الله على كل الخلائق ، وبعدها يأتي ملاك بتحذير ومناداة للرجوع والتوبة ويقول في هذه البشارة الأبدية لكل قبيلة ولسان وشعب « خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته واحملوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه » (١٤ : ٦ و ٧) . ولكنهم ، مثلهم في ذلك مثل فرعون ، تقسى قلوبهم ورفضوا أن يصدقوا الرسالة وأن يتوبوا (٩ : ٢٠ و ٢١ ، ١٦ : ٩ و ١١) . ولهذا السبب فقد جاءت الضربات الثلاث الأخيرة لتمس الإنسان نفسه لأنه تقسى ولم يتب . (٨ : ١٣) . وهكذا حدث عندما سكبت الملائكة الجمامات . . لقد كان هناك تكثيف في الضربات متصاعد ، ولكن الناس لم تنب ولم ترجع إلى إلهها .

(ح) ولكن في وسط هذه الدينونة الرهيبة التي فيها يظهر سلطان الله والحمل في التاريخ لا يمكن أن تهمل العناية بجماعة الله في وسط العالم . ولهذا فإننا نرى فقرات اعتراضية في وسط سرد الدينونة هذه في سخرات وأبواق وجماعات تبين حرص السيد الشديد على شعبه .

الفقرة الأولى بعد الختم السادس (ص ٧) حيث يعد أسباط إسرائيل

٦٧٣

(م ٤٣ - المدخل إلى العهد الجديد)

المتخبي الذي يتكون من كل القديسين قديماً وحديثاً ويختتمهم على جباههم لكي يعلن أنهم ملك للسيد وهو الذي يجرسهم ولأجل ذلك كان الجمع الغفير المتخبي جاء من الضيقة العظيمة التي تحيط بالعالم وبيضوا ثيابهم وغسلوها في حمام الخروف . . يصرخون بصوت عظيم « الخلاص لإلهنا الجالس على العرش والخروف وترد عليهم جميع الكائنات السماوية بالترنيم .

أما الفقرة الثانية فجاءت بعد البوق السادس (١١ : ١ - ١٦) وهي تتخبي على قياس بيت الله وعلى الشاهدين . وقد اختلف المفسرون إذ قيل لثيما بطرس ويولس (وهذا يعني أن سفر الرؤيا كتب مبكراً) . ولكن بمقارنة ١٦ : ٥ مع ٢ ملوك ١ : ١٠ ومقارنة ١١ : ٦ مع خروج ٧ : ١٩ أنظر عرقس ٩ : ٢ - ٨ نستنتج أنه يقصد موسى وإيليا أحدهما يمثل الناموس والآخر يمثل الأنبياء . . هذان الشاهدان الناموس والأنبياء اللذان يشهدان لله وبره في المسيح يسوع (رومية ٣ : ٢١) يرفضان فتزل الدينونة على الأمة اليهودية ولكنهما يعودان مرة أخرى للشهادة لله . إذ تدخل فيهما روح .

فأما الفقرة الثالثة (١٢) فتختص بالمرأة وابنها ومخاربة الشيطان الساقط من السماء لها وسيأتي ذكرها فيما بعد عن حفظ الله لها .

والفقرة الرابعة والأخيرة وهي تختص بالخروف المذبوح والذين هم له قلة والأربعة والأربعون ألفاً وهم عدد مضاعف الكمال لشعب الله الذين يعيشون في قداسة تامة الذين يترنمون لله ترنيمة لا يعرفها غيرهم لأنهم هم الذين اختيروا (١٤ : ١ - ٥) وهنا تتضح هوية هؤلاء ، هم ليسوا من شعب إسرائيل فقط بل هم كل شعب العريس الذين اختارهم عروساً له لا تقس عليها ولا غضن .

من هذه الإشارة نرى كيف يدين الله الأرض ومن عليها ولكنه يحفظ
الذين هم له وهذه نعمة الكتاب المقدس كله يكشفها في وسط الضيقات
(مرقس ١٣ : ٢٠) .

٣- الحجابة الخفية وراء الصراع التاريخي :

سلطان السيد في الكنيسة وعلى التاريخ لا يعنى أنه لا يواجه تحدياً من
قوات الشر . فهو في ذاته قد واجه هذا الصراع ، ويواجهه الآن في كنيسته .
وهو عندما يدين العالم فإنما يدينه لأجل شره وموقفه من الكنيسة . ولا بد
السؤال الذى طرحه صاحب المزامير في قوله « لماذا ارتجت الأمم
ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه . . . » (زمور ٣٢ :
١ - ٣) يجد جواباً في ما يكتبه الرأى هنا في سفر الرؤيا . لقد كان جواب
العهد الجديد دائماً أنهم قاموا لأن هناك قوات خفية وراء هؤلاء الملوك
(الشيطان طلب أن) . . . وراء هذا الصراع التاريخي الظاهري (أفسس ٣ :
١٢ ، اتسالونيكي ٢ : ٣-١٢)

وهذا الجواب يتضح في هذه النبوة والحوادث التاريخية التى يبيها
الرأى في ص ١٢ .

(أ) الحجابة الخفية :

في الجزء الأول من الأصحاح الثانى عشر يكشف لنا الرأى عن هذه الحجابة
الخفية التى قد لا يراها الناس ولكنها حقيقة وقعت ويتمسك بها الإعتقاد
المسيحى . فقد ظهرت آية عظيمة امرأة متسرولة بالشمس والقمر تحت
رجليها وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً . . . وقد ولد لها طفل ذكر .
هذا الولد عتيد أن يرعى جميع الأمم بعضها من حديد . وهنا ظهرت آية
أخرى تينين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رأسه سبعة تيجان

أراد أن يتلع الاين متى ولدته ، ولكن الحرب انتهت بأن اختطف إلى عرش الله ولم يقدر أن يفعل التنين شيئاً . وهذه الآيات معروفة لأن المرأة هي شعب الله في مجده وكماله والولد الذكر هو يسوع الناصري أما التنين فهو الشيطان بكل قوته وجبروته وهذه الحرب الخفية هي تفسير ذلك القول الذي قاله الله قديماً « وأضع عداوة بينك وبينها وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحق عقبه (تكوين ٣ : ١٥) . هذه حقيقة تاريخية لكنها خفية ، يشنها الشيطان الشرير ضد ابن الله وشعبه ، ولكنه ينكسر ويطرد من السماء فيشرع في مجابهة الكنيسة ونسلها . ويلاحظ هنا أن كلمة نسل تأتي في المفرد والجمع . المفرد يعنى المسيح وقد انهزم أمامه ، أما الجمع فهو يعنى المؤمنين . . . لقد جاءهم الشيطان ليقوم ضدهم بتلك المجابهة المعلنه . . . في الحرب الشديدة . . .

(ب) المجابهة العلنية :

في المجابهة العلنية يستخدم الشيطان وحشين : الأول جاء من البحر (١٣ : ١) وقد أعطاه التنين كل قوته وسلطته ، ولا يشك أى مفسر أن هذا الوحش هو الدولة الرومانية التي انتفخت وجعلت الناس يسجدون ويعبدون الشيطان والوحش معاً ونلاحظ هنا أن الراى يذكر في الحرب الأولى مدة « ألفاً ومئتين وستين يوماً . وفي الضيقة الثانية ٤٢ شهراً . وهما مدة واحدة كذلك مدة ٣ سنوات ونصف ، هذه فى لغة الرومى تعنى الضيقة العظيمة ، لأن اليهود اعتبروا أن المدة التي أدخل فيها أنطيوخوس أيبفانس (١٦٩ ق م) العبادة الوثنية فى الهيكل هى الضيقة التي لم يكن مثلها فى كل الأرض وكانت هذه المدة ثلاث سنوات ونصف ، وأصبحوا يعبرون عن كل ضيقة بهذه المدة دلالة على شدتها .

ويضع القديس يوحنا لغزاً لعله كان معروفاً فى عهده هو عدد اسم

الوحش « ٦٦٦ » (١٣ : ١٨) ولقد استخدم كل المدارس كل ما لديهم من مواهب لمعرفة هذا الاسم ، وعلى من يدل هذا الرقم ، وهل العدد يسير بحسب الحروف العبرية أم اليونانية ، وقد قيل إنه نيرون قيصر ، وربما هو شخص شبيه بنيرون وخصوصاً أن فظائع نيرون كانت عالقة في الأذهان وكانت هناك أسطورة نيرون ورجوعه مرة أخرى بعد موته - كما سبق القول .

ولكنه لن يكون نيرون فقط بل سيكون ضد المسيح . وذلك يتضح في وصفه فهو يشابه المسيح الذي هو الحمل المذبوح (ص ٥) فهو كذلك فيه جرح مميت ولكنه لم يزل عائشاً (١٣ : ٣) ويشابه الله الذي هو « الكائن والذي يكون والذي يأتي » (١ : ٤ و ٨) فهو كان وغير موجود وهو يصعد من الهاوية ويمضي إلى الهلاك « (١٧ : ٨) . فالوحش بذلك هو ضد المسيح الذي يريد أن يأخذ مكان المسيح ومكان الله ولكنه غشاش ومخادع ، فظهره يدل على شيء عظيم ولكن حقيقته كاذبة وهو مخادع ، إن اسمه ٦٦٦ أقل من الكمال الذي يعبر عنه بالعدد « ٧ » ثلاث مرات .

فالوحش إذن سيكون نيرون الجديد والمسيح الكاذب وهو الذي يحارب المؤمنين ويخادع العالم ليسجدوا له وللتنين .

وهنا نسرع للقول إنه وإن كان هذا الوحش يدل على حقيقة تاريخية ظهرت في عصر القديس يوحنا فهذا لا يعني أنه لا يتكرر فقد تكرر حتى في عصر العهد الجديد « مسحاء كذبة كثيرون » (١ يوحنا ٢ : ١٨) أو « سر الأثم الذي يعمل الآن » (٢ تسالونيكي ٢ : ٧) .

ولكن في ١٣ : ١١ - ١٧ نقابل وحشاً آخر له قرنان مثل الحروف ولكنه يجبر العالم على أن يعبدوا الوحش الأول . ويلوح أنه يمثل الديانة كما أن

الأول يمثل السلطة السياسية ولأجل ذلك سمي في مكان آخر النبي الكذاب (١٦ : ١٣ ، ١٩ : ٢٠ ، ٢٠ : ١٠) ، ولعله كان يمثل القوة التي كانت تجبر الناس أن يعبدوا الامبراطور ويسجدوا له .

(ح) تجسيم الخبايا :

رأينا في الأصحاح الثاني عشر المرأة المتسريلة بالشمس (١٢ : ١ و ٢) ، وعرفنا أنها كنيسة الله الكاملة في كل العصور ، ولكن النبوة تظهر لنا امرأة أخرى زانية على النقيض من تلك المرأة المقدسة (ص ١٧) . هذه المرأة كما هو واضح من كلام الملاك الذي كشف سرها لأول مرة ليوحنا هي روما المبنية على سبعة تلال (١٧ : ٩) وهي بابل الجديدة الضالة التي أذلت شعب الله الجديد كما أذلت بابل في القدم (١٧ : ١٨) وأقامت نفسها نداً لله فأعلنت ثورة عليه (ص ١٦) ولكن الله يحطمها في هزيمة منكرة بيد المسيح المنتصر (١٨ : ١٠) .

في مقابل روما الضالة هناك مدينة أخرى يسميها الرائي أورشليم مدينة الله ، إنها تظهر من السماء عندما يأتي ابن الله من السماء راكباً على فرس أبيض وسيف الكلمة يخرج من فمه ويعاقب ويحطم كل الأعداء المدينة الشريرة أولاً (١٦ : ١٩ ، ١٧ : ١٦ - ١٨ و ٢٤) وبعد ذلك يبيد الوحشيين (١٩ : ١٧ - ٢١) وأخيراً الثنين مصدر كل شر (٢٠ : ١ - ١٠) . عندئذ تظهر في بهائها ومجدها حيث يسكن الله فيها كمدينة محبوبة (٢٠ : ٢٩) وفيها يملك المسيح وشعبه ألف سنة (٢٠ : ٤ - ٦) وحيث تظهر إرادة الله بكل وضوح ويخضع لها الجميع ويسرون بموجبها (٢١ : ١ - ٨) .

هاتان هما المدينتان روما والكنيسة مسكن الظلمة ومسكن النور تظهر الأولى في ظلامها وشرها وغرابها في ص ١٧ و ١٨ وتظهر الأخيرة في

بمجدها وبهائها في ٢١ : ٩ - ٢٢ : ٥ . كل منهما تظهر كامرأة : الأولى زانية وهي روما والثانية عروس الحمل وهي الكنيسة وهنا ينظر النبي من خلال النبوة فيرى مجد روما الزائل ويجد الكنيسة المحيطة التي بمجدها ويظهر فيها الحمل .

إنه صراع تاريخي معلن ولكنه يشير إلى الصراع الخفي بين الله والأسد الذي هو الحروف المدبوح الذي خرج منتصراً ولينتصر من ناحية وبين التنين والوحشيين : الشيطان وعملائه : السياسة والدين الضال الذي يعبد الإنسان من ناحية أخرى .

أما مسألة الألف سنة فهي لغة رمزية تعني أن الله بعد أن يحطم الأعداء يعطي الكنيسة عروس الحمل أن تعيش في سلام ومجد حول عريسها - وهذا ليس وصفاً للساء ولكن هنا في الأرض وفي التاريخ لأن خارج هذه المدينة التي يسكن فيها الله ما زال يوجد الأمم والعالم أي التاريخ (٢١ : ٢٤ ، ٢٢ : ٢) وأن المدينة تقفل في وجه النجاسة والكذب . فالله هو المنتصر في الصراع الخفي والمعلن ، وشعبه سيسكن مطمئناً ، يعبده ليل نهار .

* * *

وأمانة الله لشعبه أساس لما يطلبه هو من الإنسان أن يكون أميناً . ولعل هذا الطلب الإلهي من الإنسان يتلخص في قوله « هنا صبر القديسين وإيمانهم » (١٣ : ١٠ أنظر ١٤ : ١٢) أبو في قوله لملاك كنيسة سميرنا « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » (٢ : ١٠) .

إن الشهادة بحسب سفر الرؤيا لا تعني موت المؤمن ، كلا ، إن المؤمن هو شاهد للمسيح ولذلك قتلوه .. الشهادة للمؤمن في حياتهم وقد يموت

يسببها . . . وإلى جانب هؤلاء الشهود الذين يقتلون من أجل شهادة يوجد الأعداد التي لا حصر لها من الذين يشهدون ويعيشون شاهدين رغم كل الثمن الذي يدفعونه .

وكتاب سفر الرؤيا هو كتاب النصره لأنه يعلن نصره يسوع المسيح الشاهد الأمين (رو ٣ : ٢١ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٢) وهو يدعو القارئ لمشاركته نصرته « من يغلب . . . » ؛ إن صرخة ٦ : ١٠ نالت الجواب في ٢ : ٤ إذ ملك هؤلاء مع المسيح ألف سنة . . . هنا حقيقة صبر القديسين وإيمانهم .

الباب الخامس

الرسائل العامة

بقيت لنا في العهد الجديد خمس رسائل وقد أطلق عليها اسم « عامة » نظراً لعدم تحديده المرسل إليهم . وهذه الرسائل بدورها تنقسم إلى جزئين . الرسالة إلى العبرانيين وهي عامة ولكنها ليست جامعة بمعنى أنها أرسلت إلى جماعة محددة مع أننا لا نعرفها ثم أربع رسائل وهي الرسائل الجامعة أي إلى كل المؤمنين وهي رسالة يعقوب ورسالتا بطرس ورسالة يهوذا .

الفصل الأول

الرسالة التي العبرانيين

رسالة العبرانيين من أهم رسائل العهد الجديد وأكثرها إثارة للأسئلة . ومع أن أسلوبها رفيع المستوى لا يدانيه إلا القليل من كتابات العهد الجديد ، ومع أن طريقة عرضها للحقائق عميقة ومفصلة ومعرفة كاتبها بالعهد القديم والأسلوب اليوناني معرفة أصيلة ، إلا أن هناك قضايا معقدة لم يستطع أي عالم أن يعطي فيها رأياً فاصلاً ، مثلاً : ما نوع هذا السفر ؟ ومن هو كاتبه ؟ ولماذا كتبه ، ولبن كتبه وغير ذلك مما يتطلب منا أن ندرسها دراسة تفصيلية .

أولاً : ما نوع هذا السفر ؟

هل هو رسالة ؟ أم عظة ؟ أم نبذة لاهوتية ؟ فقدّمته لا توحى بأنه رسالة خاصة ، فالكاتب لا يذكر اسمه كما كانت العادة في كتابة الرسائل وكما كان يفعل الرسول بولس في رسائله كلها . ولكن من يتأمل الأصحاح ١٣ يجد أن الكاتب يكلم جماعة خاصة ، له بهم علاقة قوية ، وكان معهم يوماً ما ، وهو يريد أن يزورهم مرة أخرى (١٣ : ١٨ و ١٩) ثم يختم الكتاب بإرسال تحياته إليهم (١٣ : ٢٤ و ٢٥) .

وهناك من يظن أن هذا الكتاب عبارة عن عظة وضعها الكاتب في كتاب وأرسلها إلى جماعة خاصة وهذا الرأي مبني على ما نقرأه فيها من تكرار كلمات السمع والقول مما يدل على أنها نبذة وعظة وليست رسالة مقرّوة .

وهناك من قال بأن هذا السفر مقالة أدبية مسيحية كتبها شخص ولكن لم يوجهها إلى جماعة خاصة بل إلى اليهود عامة . ولكن الموقف التاريخي الذي يظهر في الرسالة والأمور الشخصية لا تتفق مع هذا الرأي ولا تؤيده .

أما رأينا هنا فإن هذا السفر يغلب عليه طابع الرسالة الخاصة التي كتبها شخص ما إلى جماعة ما يعرفها . أما عدم ذكره اسمه ولا تحياته فليس دليلاً قوياً ضد هذا الرأي . ولذلك فسوف نسميها « الرسالة إلى العبرانيين » .

ثانياً : السؤال الثاني من هو كاتب الرسالة ؟

هو أصعب الأسئلة جميعاً وهو الذي يتعلق بمؤلف الرسالة ، ولقد انقسم العلماء إلى فريقين : الفريق الأول ينسبها إلى الرسول بولس . وأهم من فعل ذلك هم علماء بمدرسة الاسكندرية والفريق الثاني ينكر نسبتها إلى الرسول بولس . وأهم من تبني هذا الرأي هم علماء الكنيسة الغربية . وبدلاً من الرسول بولس فقد نسبوها إلى أشخاص مختلفين فمنهم من نسبها إلى أكليمندس : أو بولس أو أكيلا وبريسكلا أو لوقا وغير ذلك .

أما من نسبها إلى الرسول بولس فقد استند إلى الشواهد التالية :

١ - إن مدرسة الاسكندرية وراء هذا الاعتقاد . ولكن لهذه المدرسة بعض التحفظات على هذه النسبة وخاصة أوريجانوس الذي رأى أن هناك اختلافاً واضحاً بين أسلوب هذه الرسالة وبين أسلوب الرسول بولس كما نقرأه في الرسائل الأخرى . ومع ذلك فلم ينكروا أن الرسول هو الذي كتبها . أما اعتراض الكنيسة الغربية على هذه النسبة فهو اعتراض متأخر أي في القرنين الثالث والرابع . ويؤيد ذلك : أن أكليمندس أسقف روما في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني اقتبس منها وكذلك الترجمة اللاتينية

تحتوى على هذه الرسالة . وفوق كل ذلك فقد أيد جيروم بكل ثقله العلمى نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بولس مما كان له أكبر الأثر فى الكنيسة الغربية بعد ذلك .

٢- ولكن البرهان الداخلى له ثقله الأكبر فى هذا الاتجاه . ويتكون هذا البرهان الداخلى من عدة عناصر :

(أ) هناك بعض المواقف التى ترد فى الرسالة مما يتفق تماماً مع حياة الرسول بولس دون أدنى تعارض . وهناك أجزاء أيضاً يستشف منها القارى أنها كتبت قبل خراب أورشليم وهدم الهيكل (٨ : ٤ ، ٩ : ٦ و ٧ ، ١٣ : ١١ - ١٣ . ولو أن هذه الحادثة المروعة حدثت قبل كتابة هذه الرسالة لما أمكن لهذا الكاتب أن يتناساه أو يغفله .

وكذلك تدل العبارة الواردة فى ١٢ : ٤ على أن هذه الرسالة كتبت قبل استشهاد يعقوب أى حوالى ٦٢ أو ٦٣ م .

لكن أهم عبارة وردت فى هذه الرسالة تعطى احتمالاً أكبر على نسبتها للرسول هى ما جاءت فى ١٣ : ١٩ و ٢٣ التى فيها يطالب منهم الصلاة من أجله لكي يرد إليهم وأن يزورهم تيموثاوس . وهذا يعنى أنه كتبها مباشرة بعد سجنه الأول فى رومية . وهذا يفسر ما جاء فى ١٣ : ٢٤ من أن أهل إيطاليا يسلمون عليهم لأنه كان فى ذلك الوقت فى إيطاليا .

(ب) هناك تشابه كبير فى التفكير اللاهوتى بين هذه الرسالة وبين كتابات الرسول بولس . وهذا ما أبرزه أوريجانوس المصرى . وهذه هى بعض الأفكار المشتركة بين هذه الرسالة والرسول :

عبرانيين ١ : ١ - ٣ تقارن مع ٢ كورنثوس ٤ : ٤ ، كولوסי .
١٥ : ١ و ١٦

عبرانيين ١٠ : ١٢ و ١٣ تقارن مع ١ كورنثوس ١٥ : ٢٥

عبرانيين ٢ : ١٤ تقارن مع ١ كورنثوس ١٥ : ٥٤ - ٥٧

عبرانيين ٨ : ٥ و ١٠ : ١ تقارن مع كولوسي ٢ : ١٧

عبرانيين ٧ : ٢٦ تقارن مع أفسس ٤ : ١٠

وهكذا :

٥ - أما الاعتراض على صحة نسب هذه الرسالة إلى الرسول والاستناد على اختلاف الأسلوب فهو اعتراض مردود ، لأن الاختلاف في الأسلوب لا يدل على اختلاف الكاتب بل اختلاف الموقف ، فكثيراً ما يغير الكاتب أسلوبه في موقفين مختلفين وما أبعد الشقة بين كتابة العبرانيين عندما يكتب الرسول آخر رسالته تقريباً وهو يكتبها بكل عناية وتؤدة وبين كتابة رسالة غلاطية وهو يكتبها في نار الغيرة على الإنجيل والكنيسة في موقفين كهذين قد يستخدم الكاتب الكلمة في معنيين مختلفين ، وهذا خليق بشخص كالرسول بولس صاحب العقل الحصب والفكر الواسع .

هذه هي أهم البراهين التي يسوقها الذين يعتقدون أن الرسول هو الذي كتب هذه الرسالة . ولكن هناك من يعتبر ضنون على ذلك وينكرون أن الرسول هو الذي نخط هذه الرسالة . ربما كتبها إنسان من المعجبين بالرسول ولكنه ليس الرسول نفسه على كل حال . ويوردون على رأيهم هذا أدلة نذكر أهمها :

(١) عدم ذكر اسم أي من الرسل ككاتب لهذه الرسالة ، إننا لا نجد أي علامة على السلطان الرسولي الذي يظهر في الرسائل المختلفة في العهد الجديد .

رسالة يظهر عليها اسم رسول نجد فيها علامة الرسولية والسلطان المعطى لهم
وأنظر ١ بطرس ١ : ٥ ، ١ : ٢ ، بطرس ١ : ١ ، ٣ : ١ ، ١ : ١ يوحنا
١ - ٢ - ٤ ، يعقوب ١ : ١ وهكذا) ناهيك عن الرسول بولس في رسائله
وهكذا فإنه يكون من المستغرب جداً وغير الطبيعي أن يكون الرسول بولس
كاتباً لهذه الرسالة ولا يذكر فيها شيئاً من هذا القبيل .

(ب) هناك اعتراض ثان على صحة نسب هذه الرسالة إلى الرسول بولس
وهو غياب ذكر خبره الرسول في طريقه إلى دمشق وكيفية قبوله للمسيح رباً
وخلصاً ، وإن كان هناك مكان هو أحق بذكر هذه الخبرة فهو رسالة
الغبرائيلين ، فإن كان يذكرها للأمم أفلا بالأولى يذكرها للعبرانيين ، فيبرهن
لهم عن عظمة المسيح عن كل العهد القديم والناموس ؟ لقد ترك طريق آباءه
وكان واجباً عليه أن يشرح بكل وضوح لماذا فعل ذلك . ولكن هذا لا نجده
في هذه الرسالة مما يضع علامة استفهام ضخمة أمام صحة نسبها إليه .

(ج) هناك أيضاً الاعتراض الكبير وهو اختلاف أسلوب هذه الرسالة
عن كتابة الرسول بولس ، إن الاختلاف لا يتوقف على اختلاف الموقف
ولكن الاختلاف يبين بالضرورة الاختلاف الشخصيتين اللتين كتبنا رسالة
العبرانيين ورسائل الرسول بولس . فمثلاً عندما يكتب الرسول بولس رسالة
كرومية لا تقل في تفكيرها وتسلسلها عن رسالة العبرانيين إن لم ترد
بعض كل العناية التي أولاهم للأفكار التي فيها ، والرسالة التي ضمنها
إلا أنه كان يمسك بالفكرة ويدرسها وفجأة ينتقل إلى فكرة ثانية وثالثة
وقد يرجع إلى الفكرة الأولى ليكملها . وهذه سمة للرسول لا تتغير في كل
رسائله فمثلاً يبدأ في وصف الحياة المسيحية الروحية في رومية ٥ : ١ - ١١
ولكنه ينتقل فجأة إلى التكلم عن الخطية والموت وعطية الله في المسيح ثم

يتمثل إلى التحذير من السلوك الجسدى فيتكلم عن المعمودية وكيف يموت فيها المؤمن مع المسيح وبخيا معه في وحدة الحياة ص ٦ ، ثم يتكلم عن الخطية وعربدتها في ص ٧ وفجأة يعود إلى وصف الحياة الروحية في ص ٨ . هل تعلم الرسول بولس . أما كاتب العبرانيين فإنه عندما يمسك بالفكرة فإنه لا يتركها دون أن يدرسها من كافة جوانبها ومتى انتهى منها تركها إلى غيرها - وهكذا مما يدل على أنه شخص وشخصية أخرى غير الرسول بولس .

(د) أما لاهوت الاثنتين فهو مختلف كل الاختلاف . ويظهر هذا الاختلاف بكل وضوح في النظر إلى شخصية المسيح وطبيعة عمله والعلاقة بين العهدين القديم والجديد . فلم يذكر كاتب العبرانيين العبارة المركبة « يسوع المسيح ربنا » أو « ربنا يسوع المسيح » مرة واحدة ، وهي التي يذكرها الرسول حوالي ٧٠ مرة في كتاباته . إن كاتب العبرانيين يذكر الأسماء معترفاً « يسوع » أو « الرب » أو « ربنا » أو « المسيح » . أما عن عمله فبينما يركز الرسول بولس على قيامة المسيح تركز العبرانيين على تمجيده ، وبينما يوجه الرسول على عمله القدائى فإن كاتب العبرانيين يركز بكل قوة على كهنته المسيح بكيفية لا نجد لها فى أى مكان آخر فى العهد الجديد ولا عند الرسول بولس .

ولعل هذا الاختلاف كان نابعاً من نظرة الشخصين إلى العهد القديم بكل مشتملاته (العهد القديم كعهد وليس كتب العهد القديم) فالرسول بولس ينظر إلى اليهودية كنظام ناموس تشريعى يقصد به نوال امتيازات لدى الله ، أما كاتب العبرانيين فاليهودية عنده هى نظام طقسى يبنى على الذبائح التى تقدم إلى الله حتى يمكن فتح الطريق إليه . وتصل ذروة الاختلاف بينهما في تقييم العهد القديم ، فكاتب العبرانيين يعتقد أن هذه الذبائح والطقوس لا يمكن أن تخلص لأنها ليست كاملة ولا مطلقة مثل العهد الجديد ، إنها تعالج

• منه قوة وكمالاً فقط . وهذا يختلف تماماً عن رأى الرسول بولس الذى يقول
إن العهد الجديد ليس فقط أفضل من العهد القديم بل إنه يناقضه ويزيله
• ولا يمكن أن يجتمعا معاً . إن الطقوس لا تخلص لأنها ضعيفة عند كاتب
العبرانيين ، ولكن الرسول يزيد على ذلك بأن الناموس يزيد الخطية ويجلب
الحكم بالموت (رومية ٥ : ٢١ ، غلاطية ٣ : ١٩) .

(هـ) ولعل الموقف التاريخي يشكل اعتراضاً يصعب الرد عليه ففي
عبرانيين ٢ : ٣ يضع الكاتب نفسه من ضمن الجيل الثانى من المسيحيين
الذين سمعوا كلمة الإنجيل من الذين كانوا من البدء معانين وخداماً للكلمة .
وهذا ما لم يفعله الرسول بولس الذى كان ينبر بكل قوة وشدة على أنه أخذ
إنجيله من المسيح مباشرة (غلاطية ١ : ١٢) ولو تنازل عن كل شئ فلن
يتنازل عن الإعلان المباشر الذى أخذه من المسيح دون أى واسطة .

هذه هى الأسباب التى جعلت الغالبية العظمى من علماء العصر الحاضر
لا تقبل نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بولس .

وإلى جانب ذلك فإنهم يقترحون عدة أسماء كاحتمالات كتابة هذه الرسالة
منها :

لوقا :

وأهم ما يذكر عنه فى هذا الاتجاه هو تشابه هذه الرسالة مع خطاب
إسطفانوس فى أعمال ٧ . ولكن هذا قد يظهر أسلوب مدرسة أو الكنيسة
اليونانية وليس أسلوب شخص واحد .

برنابا :

وهذا رأى ترتليان الذى ذكره كتقليد كنسى فى أعمال ٤ : ٣٦ سمي

ابن الوعظ أو التعزية وهذا واضح في الرسالة (عبرانيين ١٣ : ٢٢) وكان لاوياً يعرف كيف يفسر الطقوس اليهودية في ضوء المسيح . وهو من سكان قبرص وله دراية واسعة باللغة اليونانية . ولكن هذا التقليد الكنسي لم يكن له شعبية متسعة بل هو رأى كنيسة شمال أفريقيا . أما بقية البراهين فلا تقوى على البرهنة على ذلك الرأى .

وهناك أسماء مثل أكليمندس أسقف رومية للتشابه الكبير بين رسالته التي كتبها إلى كورنثوس وبين رسالة العبرانيين . ومثل سيلا أوسلوانس رفيق الرسول بولس وكاتب رسالة بطرس الأولى (١ بطرس ٥ : ١٢) ثم أبولس الاسكندري كما يتمسك بذلك لوثر . وأخيراً بريسكلا زوجة أكيليا ، وهكذا ربط العلماء أسماء كثيرة بهذه الرسالة . ولكن الرأى الذي يجب أن نخرج به هو أن « من كتب هذه الرسالة » فالله وحده هو الذى يعلم كما قال أوريجانوس المصرى .

ثالثاً - المكتوب إليهم :

وهذا سؤال ثالث لا يقل جوابه صعوبة عن أجوبة الأسئلة السابقة . ولعل عنوان الرسالة الأصيل « إلى العبرانيين » هو السبب الأساسى فى هذه البلبلة . فهذا العنوان الأصيل لا يعبر عن مكان جغرافى أى المكان الذى وجد فيه القراء فهل يشير إلى الأمة اليهودية كلها ؟ أم إلى اليهود الذين يتكلمون العبرية ؟ إن الرسالة ترينا أن المكتوب إليهم كانوا جماعة مؤمنة فضت وقتاً طويلاً فى المسيحية وذاقت الاضطهادات لأجل إيمانها (٣ : ١ و ١٤ ، ٤ : ٢ ، ٦ : ١ و ٢ و ٩ - ١٢ .. إلخ . ونفس هذا القول يؤكد أن الرسالة لم تكتب إلى كل المسيحيين الذين من أصل يهودى ، لأنهم جماعة محدودة تربط الكاتب

٦٨٩

(م ٤٤ - المدخل الى العهد الجديد)

بها برباط خاص (١٠ : ٣٢ - ٣٩ ، ١٣ : ٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٢ - ٢٥) فن
هي هذه الجماعة إذن ؟

(أ) جماعة لها تاريخ واضح وصلة خاصة بالكاتب : وهناك عبارات
خاصة تظهر ذلك مثل « الأيام السابقة » (١٠ : ٣٢) ، ووصف الاضطهادات
بصورة دقيقة (١٠ : ٣٣ و ٣٤ ، ١٢ : ٤) وقبل ذلك الكيفية التي بها:
قبلوا الإنجيل (٢ : ٣) وصلته بهم واشتياقه أن يراهم (١٣ : ١٩ و ٢٣) ،
ويطلب منهم الصلاة لأجله (١٣ : ١٨) .

(ب) جماعة لها ظروف حاضرة خاصة : لقد نالوا بركات وفيرة من
الله : خلاص أبدى (٢ : ٣) مواهب الروح القدس (٦ : ٤ و ٥) معرفة
الحق (١٠ : ٢٦) ومع ذلك فهم في حالة ضنك شديد وخطر الارتداد
(٢ : ١ ، ٣ : ١٢) حتى أنهم يشابهون الإسرائيليين قديماً (٤ : ١ و ١١)
إنهم في خطية الضلال التي صلبت المسيح نفسه (٦ : ٦) وقد تركوا
اجتماعهم (١٠ : ٥) وقد أضحوا بطيئ الفهم (٥ : ١١ - ١٤) .

(ج) إنهم قسم من مجتمع أكبر : يقول الكاتب لهم إنه كان ينبغي
أن تكونوا معلمين (٥ : ١٢) وهذا دلالة على أنهم وسط جماعة كبيرة. ومع
ذلك فهم ليسوا الفئة الأهم في الكنيسة فازالوا لهم مرشدون (١٣ : ١٧ و ٢٤) ،
ومن يدرى فلعلهم تركوا اجتماعهم وأنشقوا على الجماعة الكبيرة (١٠ : ٢٥) .

هذه بعض صفات الجماعة فهل هناك تخمين عن هويتهم لقد ظهرت
آراء ونظريات كثيرة منها :

١ - جماعة مسيحية من أصل يهودي : وهو الرأي الذي حاز وما زال
يحوز على موافقة قسم كبير من علماء العهد الجديد ، لأن الرسالة نفسها

والمادة التي تحتويها والأفكار التي تدرسها ، لا تفهم إلا في هذا الإطار ، لأنها كلها تنصب على الديانة اليهودية بكل ما يتعلق بها . (أنظر ٢ : ١٦ ، ٩ : ١٥ ، ١٣ : ١٣) بل لعل الكاتب نفسه تأثر بالقراءات الجمعية وخصوصاً من سفر المكابيين عندما كتب ص ٢١ .

ولكن هذا الرأي لم يسلم من الاعتراضات : فقد اعترض بأن أسلوب الرسالة أسلوباً يونانياً لا يلائم اليهود والاقتراسات أخذت من الترجمة السبعينية وهذا لا يشجع للدارس على أن يأخذ بهذا الرأي . ولكن رغم ذلك فهذان الاعتراضان لا يمكن أن يكونا برهاناً على أن القراء ليسوا من أصل يهودي .
(ب) جماعة مسيحية من أصل أمي . وتمسك بهذا الرأي علماء لهم وزنهم في الدراسات الكتابية مثل موفات وجير هارد فوس . وبنوا رأيهم على الأمور التالية :

- إن مركز الثقل في الرسالة خيمة الاجتماع وليس الهيكل بخلاف ما كان سيكون لو أن المكتوب إليهم يهود لما للهيكل من إعزاز في قلوبهم .
- لا ترى في الرسالة أي أثر للمناقشة الحادة بين اليهود والأمم المسيحيين وهي قضية حساسة لليهود جداً وخصوصاً المسيحيين منهم .
- عندما ينبر الكاتب على بشرية المسيح فإنه كان يحارب أفكار أممية منحرفة .
- الاقتباسات كانت من السبعينية وليست من النسخة العبرية ؟
- أما أن للدراسة كلها كانت من العهد القديم فذلك لأن الأمم المسيحيين كانوا يقدسون أيضاً هذا الكتاب لأنهم ورثوه أيضاً عن اليهود (غلاطية ٣)

بـ إن مسألة الارتداد تدل على أن المرتدين كانوا من الأمم لأنهم يرتدون عن الله الحي وليس عن المسيحية . والأعمال الميئة هي أعمال في في أساسها أممية (عبرانيين ٣ : ١٢ ، ٦ : ١ ، ٩ : ١٤) .

ومع أنه رأى جماعة لا يستهان بها إلا أن ضعف هذا الرأي يكمن في أن المتمسكين به حماوا براهينهم أكثر مما تختمل لأنها تنطبق على اليهود أو الأمم على السواء .

(ح) جماعة يهودية من أورشليم نفسها ، وليسوا كل مسيحيي أورشليم ولكن هم جماعة يذكرهم لوقا في أعمال ٦ : ٧ إذ يقول إن جمهوراً كبيراً من الكهنة قبلوا الإيمان ولعلمهم هاجروا إلى رومية ، ولكنهم جازوا في اختبار صعب مرهق ووقفوا في مفترق الطرق ، فكتب لهم الكاتب هذه الرسالة مبيناً لهم مجد المسيح وعظمته وكمالاته كوسيط للعهد الجديد عن كل ما سبق .

ولقد اختلفت الآراء أيضاً على مكان هذه الجماعة فقيل إنهم كانوا في فلسطين وقيل إنهم كانوا في روما لأن الرسالة عرفت في روما قبل أي مكان آخر . وقيل إنهم كانوا في الاسكندرية نظراً لوجود اليهود المثقفين في هذه المدينة . . وقيل إنهم سكنوا في أفسس أو فيما حولها نظراً لتشابه بعض أفكار الرسالة بما جاء في كولوسي خصوصاً في مقارنة المسيح بالملائكة والأطعمة وغير ذلك ، وهكذا لا يستطيع المرء أن يعرف جزماً أين سكنت تلك الجماعة . كيف نحدد موقف هذه الرسالة :

أين تقف هذه الرسالة أو كاتبها في تيار الفكر المسيحي في الكنيسة الأولى؟ هل هو يعبر عن فكر الكنيسة اليهودية أم الكنيسة الهلينية؟ إن هذا الكاتب.

كان لاهوتياً أصيلاً ، ولكنه مع ذلك لم يصنع كل شيء جديداً من عنده بل هناك الكثير من تفكير الذى أخذ من الكنيسة . ومن يقارن هذه الرسالة بخطاب اسطفانوس يستطيع أن يحدد موقف الرسالة ويعرف أن تعبير متطور ومركب لتفكير الكنيسة اليونانية التى يمثلها اسطفانوس خير تمثيل .

إن الأساس الفكرى فى خطاب اسطفانوس هو أن الله يتدخل فى التاريخ لى يقود الأحداث إلى نقطة محددة تشير إليها كل المواعيد التى قالها لقدسيه وعندما عبر اسطفانوس عن هذه الحقيقة كان هناك عنصران فيها يوضحاها ، عنصر الموعد وعنصر الغربة والتغرب . فكل الآباء تغربوا فى الأرض – أرض الموعد – وذلك لأنهم كانوا ينتظرون موعد امتلاكها : تغرب إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف (أعمال ٧ : ٢-١٩) وحتى الشعب نفسه كان شعباً متغرباً فى البرية منتظراً إتمام الوعد (٢٨ - ٣٩) .

هذا العنصر الأساسى نجده أيضاً فى رسالة العبرانيين ولكن بتفصيل أكبر وتطوير لفكرته إذ يبرز الكاتب أن حياة المسيحى هى غربة تتجه نحو مدينة الله الحى . ويظهر ذلك فى أصحاحات ٣ و ٤ . وفيهما يصف رحلة شعب إسرائيل فى البرية وفشلهم أن يدخلوا الراحة التى أعدها الله لهم وذلك لعصيانهم وقساوة قلوبهم . أما فى ص ١١ فلإننا نجد غربة جماعة آخريين أتقياء يطيعون دعوة الله ويسرون ورائه ولذلك فهم ككل المؤمنين يجب أن يقتنى آثارهم . ويعلم الكاتب صراحة أن المسيحى ليس له موطن فى الأرض ولكنه يطالب العتيدة (١٣ : ١٤) . مثله فى ذلك مثل الآباء وخاصة إبراهيم (١١ : ١٠) و١٤ و١٦) . فالتغرب هو صفة تميز كل القديسين فى العهدين القديم والجديد وهذه الغربة ليست عبثاً لأن الله أعد لهم مدينة (١١ : ١٠ و ١٦) . وهنا يختلف المسيحى عن الآباء الذين لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها

وحيوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض (١١ : ١٣ - ١٦) ، إذ أنه قد نال الموعد بكيفية خاصة بعد صيرورته لسيدته كما يقول الكاتب « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربواتهم محفل ملائكة ، (١٢ : ٢٢) ولكن كمال الموعد وامتلاك مجد المدينة فسوف يكون في المستقبل عندما تزلزلت السموات » (١٢ : ٢٦) .

وإذا كان الكاتب يرى فكرة التغرب في العهد القديم فإنه بالأكثر يراها في حياة المسيحي نفسه وموقفه الجديد . فإن كان مفهوم العهد القديم مفهوماً حرفياً أو تغرب الآباء حقيقة تائبين في الأرض ، إلا أن مفهومها في حياة المسيحي أنها دعوة تأتي من الله ويسير هو وراءه سيراً روحياً . هذا ما نراه أيضاً في خطاب اسطفانوس ، ولكن كاتب العبرانيين يسلط عليه الضوء الشديد إذ يوضح أن حياة الإنجيل هي حياة غربة وأن المسيحي يجب أن يتقدم لكي ينال الموعد . إنها حياة الإيمان والطاعة المبينة على وعد الله (٤ : ١ - ١٤) ،
.. (١٨ : ٢٤) .

هذا المفهوم العميق للحياة المسيحية أعطى للكاتب نظرة جديدة للمعنى الإيمان . فما هو مفهوم الإيمان لدى رسالة العبرانيين ؟ إذا ألقينا نظرة - عن طريق المقارنة - إلى مفهوم الرسول بولس للإيمان فإننا نراه يعتبر الإيمان هو تسليم كلي وكامل لعمل الله في المسيح يسوع وخصوصاً في صلبه وقيامته (أنظر رومية ٤ : ١٧ - ٢٥) . أما كاتب العبرانيين فإنه يرى الإيمان من وجهة نظر أخرى فهو انفتاح على المستقبل يولد ثقة في الله الذي قدم الوعد ، وثقة كاملة فيه وفي نفس الوقت معرفة كاملة للحق الذي يتضمن في الموعد حتى وإن كان لم يتحقق بعد . إنه إيمان يشمل المستقبل والحاضر أيضاً . هذا الإيمان هو الذي أعطى موسى الجرأة على مواجهة التحدي القاسي لفرعون ، وإنقاذ

إسرائيل من مصر ، لقد تحمل كل المشقات لأنه كان يرى الله غير المنظور (١١ : ٢٦ و ٢٧) . فهو إيمان في المستقبل وثقة فيه تدفع المؤمن على أن يعمل في الحاضر دون خوف أو تراجع . هذا هو الإيمان الأبحاثولوجي الذي يحتاجه المتغرب في هذا العالم .

وهناك أمر آخر تشابه فيه رسالة العبرانيين مع خطاب اسطفانوس فهما الاثنان يظهران سجل حياة إسرائيل مع الرب كسجل الثورة والعصيان والمقاومة لقصده (ص ٤٣) : ولكن الرسالة تنبر على شيء آخر ، فيينا يركز اسطفانوس على هذا السجل ويتبعه إلى نهايته عندما أسلموا الرب يسوع للموت ، فإن كاتب العبرانيين يهتم بالأكثر بتحذير الجماعة المسيحية التي يكتب إليها ، فهو يخاف عليهم لثلاث تنصل بهم حالتهم هذه إلى التردى في مثل حالة الاسرائيليين قديماً من العصيان والتصلب الشرير . وبذلك يدعو الكاتب قراء مرات كثيرة في رسالته أن يتمسكوا بثقتهم متمثلين بالرب يسوع الذي تؤمن به (٣ : ١) ويحلرهم من أن يقلدوا إسرائيل في عصياتهم ولكن عليهم أن يسيروا في الطريق الجديد الذي فتحه يسوع حديثاً بدمه إلى الله ، ويعلمهم أن الفشل في ذلك والتردى في حفرة الارتداد والوقوع في الخطية عمداً بعد أن أخذوا معرفة الحق ، هذا معناه الوقوع الخفيف في يد الله الحى ، وقبول دينونة مروعة (١٠ : ٢٧) . ما أقسى أن يواجه الإنسان الله الذى قال « لى النعمة أنا أجازى يقول الرب ، (١٠ : ٣٠) . إن الكاتب يستخرج النتائج المحتومة التي يتجه إليها خطاب اسطفانوس أمام اليهود ويصل بها إلى النهاية ، ليس فقط مع الاسرائيليين بل مع المسيحيين الذين يرتدون ، لأنهم يصلبون ابن الله مرة ثانية ويشهرونه لأنفسهم (٦ : ٦) . بهذا يظهر أن كاتب العبرانيين يرى أن المسيحيين الذين يرتدون بعد أخذ المواعيد والمشاركة

في قوات الدهر الآتي هم ورثة الإسرائيليين العصاة الذين صلبوا المسيح فعلا .

هذه المقارنة تبين لنا أن خطاب اسطفانوس ورسالة العبرانيين تعبران عن تفسير الكنيسة الهلينية للحياة المسيحية بأنها حياة تغرب روحى كما كانت غربة إبراهيم والآباء وإسرائيل تغرب حرفى ، ولكن هناك أمر آخر يظهر في رسالة العبرانيين ولكنه لا يظهر في خطاب اسطفانوس وهو تفسير كهنوت المسيح على أنه على رتبة ملكى صادق ، فإننا لا نجد ثباتاً أى اتجاه في العهد الجديد إلى هذا الأمر ، فهل هذا التفسير هو إعلان من الروح لهذا الكاتب أو هو ميراث أخذه أيضاً من كنيسة اليهود الهلنيين ؟ إن الحقيقة التى يمكن أن نستنتجها هي أن هذا التفسير كان ملكاً للكنيسة الهلينية ، أما الكاتب فقد شرحه بالتفصيل وطوره ، والدليل على ذلك هو أنه لما استقدم حقيقة كون المسيح رئيس كهنة لم يحتج إلى وقت أو وقفة فيها يشرح غرضه مما يدل على أن السامعين كانوا يشتركون معه في هذا الأمر (٢ : ١٧ و ١٨ ، ٣ : ١ ، ٤ : ١٤ - ١٦ . .) . فكهنوت المسيح . . أو كون المسيح هو رئيس كهنة ، وهو كذلك على رتبة ملكى صادق ، لم تظهر في العهد الجديد في غير هذه الرسالة بهذه الكيفية من الوضوح والتعمق في مفهوم عمل المسيح .

ثانياً : وإذا كان قراء الرسالة في خطر الارتداد فهم أيضاً في خطر الاضطهاد المرير . لقد جازوا في اضطهادات قاسية (١٠ : ٣٢-٣٥) ، ولكن هناك اضطهادات أقسى في الطريق إليهم ، وذلك يظهر في قولهم « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية . . » (١ : ١٢ - ١٠) . ولهذا يحثهم قائلاً « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطل »

(١٠ : ٣٥ - ٣٧) . هذه الآيات تدل على أنهم مقبلون على أزمة شديدة ، ولكننا لا ندرى ماهية تلك الأزمة ، أما حثه لهم فهو « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله فتمكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في أنفسكم » (١٢ : ٢ و ٣) .

إذن هو يحثهم على أن ينظروا إلى رئيس إيمانهم . والكاتب يستعمل اصطلاحاً يصف به المسيح كان يستخدم في ذلك العصر ليشير إلى البطل الذي يدخل إلى المعركة بجانب الضعيف لكي يدافع عنه ضد الوحوش أو ضد الجرمين ، كأنما المسيح هو ذلك البطل الذي يدخل إلى الساحة إلى جوار هؤلاء المضطهدين الذين يلقون في وجه الوحوش لكي يدافع عنهم . ولقد فسرت هذه الصورة على أنها صورة رزية ، ولكن كثير من المفسرين يظنون أن المسيحيين كانوا على وشك أن يسقطوا في براثن الحكام القساة الذين كانوا سيحكمون عليهم بالموت في داخل الساحة لمواجهة الوحوش أو الجرمين المحترفين للقتل ، ولكن الكاتب يقول لهم لا تخافوا لأن بطلهم ورئيس خلاصهم سيقف إلى جوارهم ويدافع عنهم .

لقد سمى من قبل برئيس خلاصهم وذلك لأنه هو نفسه جاهد كما قيل عنه لأنه لاقى بذلك ... أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام . . . فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو كذلك فيهما لكي يبني بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كلى حياتهم تحت العبودية . . . لأنه فيما قد تألم مجرباً يقدر أن يعين الجرمين » (٢ : ١٤ - ١٨) . فهو قد خلصهم من الموت ومن الخوف من الموت ، ومن الطبيعي عندها نذكر الموت هنا فإنه يقصد الموت الروحي . فإذا كان قد خلصهم

من الموت الروحي فهو لا يتباطئ بل يأتي ويخلصهم من آلام الموت الجسدي ويقف بجوارهم كالبطل الذي يدافع عنهم .

بهذه الكيفية يتم يسوع النبوة القديمة أو الوعد القديم الذي أعطاه الله لشعبه فيقول « هل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور فإنه هكذا قال الرب حتى سبي الجبار يسلب وغنيمة العاقى تفلت وأنا أنخاصم مخاصمك وأخلص أولادك وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف فيعلم كل بشر أني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب » (إشعيا ٤٩ : ٢٤ - ٢٦) . الله هو بطل شعبه وقد وعد أن يخلصه وقد تم هذا الوعد في المسيح يسوع . وعلى ذلك فهم لن يخافوا لأنهم يعرفون بطلهم يسوع رئيس خلاصهم ويعرفون أنه قد انتصر على الموت وعلى الخوف وهو دائماً مستعد أن يدخل معهم في ساحة الصراع القاسي لكي يحمي عنهم ويحميهم من كل عدو سواء أكان عدواً روحياً أم جسدياً .

العهد الجديد وسيظه :

هذا هو قلب الرسالة بل هو الهدف الأساسي للكاتب من كتابتها . ولا يخفى أن الرسالة مكتوبة لجماعة في ظروف خاصة ، كما سبق القول ، وهذه الظروف تتلخص في أن جماعة كانت سترتد إلى الوراء إلى اليهودية أو هي في طريقها إلى الارتداد . ولكن هل يمكن أن يتركوا المسيحية إلى اليهودية مرة أخرى ؟ إن الكاتب يستخدم عبارات شديدة مرعبة ليصف نتيجة هذا الارتداد « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً ، هذا مقداره » . (٢ : ٣) ثم يوجههم « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه نجاب منه » (٤ : ١) . ويردف ذلك بأقسى تحذير « لأن الذين استنبروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله

الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه لأن أرضاً قد شربت المطر الآتى عليها مراراً كثيرة «ولكن إن أخرجت شوكتاً وحسكاً فهي مرفوضة وقرية من اللعنة التى نهايتها للحريق» (٦ : ٤ - ٨) . ولا يقل قسوة عن هذه الكلمات ما قيل فى ١٠ : ٢٦ - ٣١ فلماذا هذا كله ؟ وأى خطية هذه التى نسميها الارتداد ؟ وهل هناك فرق هائل كهذا بين المسيحية واليهودية حتى أن من يرتد عن المسيحية يستحق أن يوصف هكذا ؟ إن الكاتب بنى ذلك كله على ما أوضحه من سمو المسيحية وكماها عن اليهودية ، وعلى ما أعلنه من أن الخلاص الحقيقى هو ما قدمه العهد الجديد لا العهد القديم وأن ذلك كله مبنى على مجد وسمو وسيط العهد الجديد عن وسطاء العهد القديم . ويتقدم الكاتب فى مناقشته هكذا :

(أ) إن الفرق الواضح بين الديانتين يكمن أساساً فى الإعلان . فالديانة اليهودية قامت على إعلان الله وكذلك قامت الديانة المسيحية . وليس هناك أى فرق فى إعلان الله فكلاهما سام وكلاهما واحد . ولكن الفرق الكبير يظهر فى واسطة الإعلان . فهو بعد أن «كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه . . .» وما أبعد الشقة بين الواسطتين . فالأنبياء الذين كانوا واسطة الإعلان لم يستطيعوا أن يظهروا الإعلان الأعظم فتعددت الطرق والأنواع . ولكنه بعد ذلك كلمنا فى ابنه ، وهل هناك من يستطيع أن يعلن الله حقيقة سوى الابن الذى هو وارث كل شئ ؟

(ب) هناك ينتقل الكاتب سريعاً إلى مقارنة الابن بالملائكة ، وقد ندهش إذ نراه وكأنه يزوج بموضوع الملائكة زجاً ، ولكن الأمر ليس كذلك . ففى العهد القديم كان الاسرائيليون يعتقدون أن الناموس وهو إعلان ارادة الله

السامية جاء بواسطتين متتاليتين : الملائكة ثم موسى ، فالملائكة كانوا واسطة للإعلان ، وإذا كان المسيح أعظم من الملائكة فإعلان العهد الجديد بالتالي أعظم من إعلان العهد القديم . ولقد ظهرت هذه الفكرة مرتين في العهد الجديد إلى جانب ما ذكر هنا في هذه الرسالة . ففي خطاب اسطفانوس يذكر سفر الأعمال عن موسى « هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء » . (أعمال ٧ : ٣٨) . وجاء أيضاً في رسالة الرسول بولس إلى غلاطية إذ يقول « فلماذا الناموس ؟ قد زيد بسبب التعديت إلى أن يأتي النسل الذي وعد له ، مرتباً بملائكة في يد وسيط » (غلاطية ٣ : ١٩) وذكرت في هذه الرسالة في ٢ : ٢ . فالملائكة هم الذين أخذوا الناموس ليعلنوه عن طريق موسى إلى الشعب ، وما أجدد المسيح عن الملائكة . إنه الابن وهم الخدام ، إنه الخالق وهم المخلوقين ، إنه الذي تخضع له كل الأشياء وهم الذين يتممون غرض الله (١ : ٥ - ٢ : ١٨) . فإذا كان قد وضع عنهم قليلاً في فترة تجسده فلكن يتمم قصد الآب وينقذ إخوته من كل خطية .

(ح) وإذا كان المسيح أعظم من الملائكة فهو كذلك أعظم من موسى . (٣ : ١ - ٦) . وعظمته عن موسى تتضح في مركزه ، فهو أولاً باق البيت ، وغالباً يقصد بالبيت هنا كل ما يتعلق بإعلان الله لنفسه لشعبه أي بالديانة كلها . وهو في داخل هذا البيت ابن ، أما موسى ففيه خادم . وبهاتين الصفتين يعتبر السيد أعظم من موسى مهما عظمه اليهود . ولهذا السبب فكل من لا يصيخ أذنه إلى هذا الإعلان السامي في الابن السامي فسوف يرى من العقاب ما هو أشد من ذلك الذي رآه الذين عصوا على موسى وتمردوا عليه في البرية هو وخادمه يشوع عندما كان يقودهم إلى أرض كنعان .

(د) هنا يقدم الكاتب نظريته الأساسية في تفسيره للديانة اليهودية على أنها كإعلان تقوم على النظام الطقسي الكهنوتي وكان يمثل الكهنوت فيها هرون كرئيس كهنة ، وفي هذا الأمر أيضاً كان المسيح أعظم من هرون وكان كهنوته أجد من كهنوته .

ويتميز الكاهن كما يظهر هنا بثلاثة أمور : الأول هو أنه مدعو من الله من وسط الناس لأجل هؤلاء الناس . الثاني أن يكون شفوفاً ورحيماً بإخوته لأنه مثلهم محاط بالضعف ، ولذلك فهو يقدم عن نفسه ذبيحة كما يقدم عن الآخرين . الأمر الثالث هو أنه يتقدم لله وفي يده شيء أى قرابين وذبائح وليس بيد فارغة (٥ : ١ - ٤) . هذه الصفات كانت تميز الكاهن وقد امتلكها المسيح نفسه ، فهو لم يسلب هذه الوظيفة مع أنه كان من سبط آخر غير سبط لاوى ، ولكن الله دعاه (٥ : ٦ و ٧) وإذا كان الكهنة من البشر هكذا هو أيضاً كان محاطاً بالضعف (٥ : ٧ و ٨) . وهكذا صار للذين يطيعونه سبب خلاص أبدي (٥ : ٩) ولكن هذه المشابهة تحمل في طياتها عظمة المسيح التي لا تحد عن هرون ونسل هرون . فالمشابهة لا تعنى أن الاثنين متساويان ولكن المسيح أسمى بكثير في الأمور التالية :

١ - رتبة كهنوته :

فالمسيح لم يكن في رتبة كهنوت اللاويين بل كان على رتبة ملكي صادق ، هذا الإنسان كان أعظم من إبراهيم نفسه فهو الذي بارك إبراهيم ، وهو الذي أخذ من إبراهيم عشراً دلالة على أنه أكبر منه ، وبالتالي فيكون ملكي صادق أعظم من لاوى نسل إبراهيم (٧ : ٤ - ١٠) . وهناك أمر آخر وهو أن ملكي صادق يمثل البقاء الأبدي في كهنوته لأنه بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بإبن الله (٧ : ٣) ، وهذا يظهر

أن كهنوت المسيح كهنوت أبدى لا يأخذه من أحد ولا يسلمه لأحد يخلفه
بعكس كهنوت اللاويين الذين يموتون (٧ : ٢٣) .

أدا الأمر الثالث الذى فيه تظهر عظمة المسيح كرئيس كهنة عن اللاويين
هو أنه دعى من الله بواسطة قسم « اقسام الرب ولن يندم أنت كاهن إلى
الأبد على رتبة ملكى صادق » (٧ : ٢٠ و ٢١) . وهذا القسم ضمان لثبات
الكهنوت وعدم تغيره ، لأن الرب عندما أراد أن يعلن أن قضاءه باق غير
متغير توسط بقسم . هذا يدل أيضاً على عدم بقاء الكهنوت اللاوى وكان
لا بد له أن يأتى إلى نهاية محتومة .

أما الأمر الأخير الذى فيه تظهر عظمة المسيح كرئيس كهنة عن اللاويين
فهو أنه كان ملكاً إلى جانب كونه رئيس كهنة . لقد تغير الكهنوت اللاوى
وخرج عن سبط الكهنوت ولم يعد باقياً لهم . ولأنه جاء من سبط يهوذا ،
ولأنه على رتبة ملكى صادق يستلزم أن المسيح جمع الاثنين معاً الكهنوت
والملك مما لم يظهر فى الكهنوت اللاوى (٧ : ١١ - ١٧) .

وهناك أمر أخير وهو كمال المسيح الشخصى وعصمته ، ولهذا فهو
كرئيس كهنة ليس له احتياج أن يقدم عن نفسه ذبيحة ثم عن خطية الشعب ،
إنه انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات دلالة على قداسه المطلقة .
ولهذا السبب فهو ليس فى احتياج إلى أى نوع من الذبائح ، إن رئيس كهنة
اللاويين كان يقدم عن نفسه الذبيحة وإلا لما أمكنه أن يدخل إلى الرب فى
قدس الأقداس ليكفر عن خطية الشعب ، لأنه كان يستلزم أن يدخل بدم عن
نفسه أولاً وعن الكهنة إخوته حتى يمكن أن يمثل أمام الرب
(٨ : ٢٦ - ٢٨) .

٣ - سمو ذبيحته :

إلى جانب سمو شخصية الكاهن وسمو كهنوته هناك عنصر آخر يسمو فيه عن الكهنوت اللاوى وهو سمو الذبيحة التى يقدمها . ويظهر ذلك السمو فى أمرين : الأمر الأول هو أن ذبيحته التى يدخل بها إلى الله لم تكن من تيبوس أو عجول لا فهم لها ولا إدراك ، أما هو فقد قدم ذبيحة نفسه ، دخل طائعاً مختاراً إلى قدس الأقداس فى المسكن الأعظم بدم نفسه . وما أبعد الفرق وأعظمه بين الذبيحتين ، يعبر عنه الكاتب بقوله « لأنه إن كان دم ثيران وتيبوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدر على طهارة الجسد فكيف بالحرى دم المسيح الذى روح أزل قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (٩ : ١٣ و ١٤) .

أما الأمر الثانى : فهو ما ذكر فى الآية السابقة من قوله « الذى روح أزل قدم نفسه » فهذا يدل على أن ذبيحة السيد لم تكن لها قيمة مؤقتة ولكنها أزلية ، عملها عمل لانهاى باق إلى الأبد يطهر كل المنجسين . ولهذا السبب فهى ذبيحة لا تكرر ولا يمكن أن تقدم مرة أخرى لأنها قدمت روح أزل . وهكذا يقول الكاتب « ولا يقدر نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر ، فإذا ذاك كان يجب أن يتألم مراراً منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليطلع الخطية بذبيحة نفسه ، وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح أيضاً بعدما قدم مرة لئلا يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » (٩ : ٢٥ - ٢٨) .

٣ - سمو المسكن :

إن المسكن الذى كان يقدم فيه رئيس الكهنة اللاوى كان مسكناً أرضياً

بنى على مثال المسكن الأعظم . هذا المسكن بما فيه سمي « أشباه الحقيقة (٩ : ٢٤) . إنه مسكن مصنوع بيد . هذا في مقابل المسكن الأعظم وهو السماء نفسها ليظهر الآن أمام وجهه الله لأجلنا » . ثم يقول الكاتب موضحاً ذلك « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير مصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة . . » (٨ : ١١) .

هذا هو سمو المسيح الكهنة : فى شخصه ، فى كهنوته ، فى ذبيحته وفى المسكن الذى دخل إليه ، إنه يسمو عن الكهنوت اللاوى ولذلك فهو وسيط لعهد جديد ، فما هو الفرق بين العهدين ؟

العهد الجديد :

يقول الكاتب « ولأجل ذلك هو وسيط عهد جديد لكى يكون المدعوون إذ صار موت لعداء التعديات التى فى العهد الأول يناولون وعد الميراث الأبدى » (٩ : ١٥) . إن العهد الجديد أكمل وأعظم فى مقابل نقص العهد القديم ، ولذلك فى القديم عيب كان يجب أن يحل محله عهد أعظم منه . وفى مقابل الناموس الذى هو أهم صفات العهد القديم يضع الكاتب عناصر العهد الجديد التى وعد به الرب (فى إرميا ٣١ : ٣١ - ٣٤) وقد اقتبس الكاتب هذا القول فى موضعين (٨ : ٧ - ١٣ ، ١٠ : ٦ - ١٨) . هذا العهد الأكمل يعدهم بأن يكتب نواميسه على قلوبهم ويغفر لهم خطاياهم ، وهذا الأمر يعنى أنه يعطيهم سلطاناً بأن يتطهروا من الخطية . وهذا هو سمو العهد الجديد لأن الناموس فى العهد القديم لم يستطع أن يفعل شيئاً غير أن يكشف الإنسان ويظهر خطيته دون أن يطهره . هكذا يفعل الناموس الأدنى ولهذا فقد أدهم الرب رغم كل الناموس (٢ : ٢) . وهكذا يفعل الناموس الطمقس كما سبق القول ، وهكذا يفعل الناموس الاجتماعى . إنه غير كامل ، ليس له سلطان أن يحرر الإنسان من الخطية .

ويذكر الكاتب عبارة هي توضيح لنتيجة عظيمة المسيح وسمو خدمته
فيقول « فإذلنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً
كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله لتتقدم
بقلب صادق في يقين الإيمان ورشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا
بماء نقي ، لتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين » (١٠) :
١٩ - ٢٣ .

هذا المقدار يظهر سمو المسيح وسمو العهد الجديد .

٧٠٥

(م ٤٥ - المدخل الى العهد الجديد) :

الفصل الثاني

الرسائل الجامعة

مقدمة

بقيت لنا أربع رسائل اتفق دارسو الكتاب المقدس على تسميتها بالرسائل الجامعة ، اثنتان منهما كتبهما بطرس كبير الرسل ، والاثنتان الأخرتان كتبهما يعقوب ويهوذا أخو الرب . وسميت بالجامعة لأنها - على خلاف رسائل الرسول بولس مثلاً - وجهت إلى مجموعة كبيرة من الكنائس أو إلى المسيحيين عامة في كل أنحاء العالم ، وليس إلى شخص واحد أو كنيسة واحدة . فقد كتبت رسالة يعقوب إلى « الاثني عشر سبطا الذين في الشتات » (يعقوب ١ : ١) . ورسالة بطرس الأولى وجهت إلى « المتغربين من شتات بنطس وغلطية وكبدوكية وآسيا وبثينية المختارين » (١ بطرس ١ : ١) . أما رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا فيلوح أنهما وجهتا إلى جماعات أوسع . فبطرس الثانية « إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً ببر إلهنا . . » (٢ بطرس ١ : ١) ويهوذا إلى « المدعوين المقدسين في الله الآب والمحفوظين ليسوع المسيح » (يهوذا ١) . هذه الرسائل تكشف عن الآتي :

١ - في رسالة يهوذا يكتب الكاتب عبارة يكشف فيه عن الكثير من موقف هذه الرسالة الجامعة . فهو يقول « أيها الأحباء إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك اضطررت أن أكتب إليكم واعظاً

أن يجهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقديسين لأنه دخل خلصة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة فجاء يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة وينكرون السيد الوحيد إلهنا وربنا يسوع المسيح « (٣ و ٤) يكشف الكاتب هنا أن الأمر الطبيعي - إذ أنه يكتب رسالة عامة إلى المدعوين المقدسين .. - فليكتب عن مواضيع عامة وأساسية في الإيمان المسيحي ، مثل المحبة والرجاء والإيمان والنعمة والصليب والروح القدس وغير ذلك . . لكن أمراً ما خاصاً قطع عليه تفكيره وجعله يكتب في موضوع خاص وهو محاربة المنحرفين ، والذين دخلوا خلصة إلى الكنيسة ، والذين يريدون أن يحولوا نعمة إلهنا إلى الدعارة . أى أن هناك شداً وجذباً بين الهدف الأساسي الذي يجب أن يكتب فيه وبين الموضوع الذي اضطر أن يكتب فيه محذراً ومنذراً . ولم تكن رسالة يهوذا هي الفريدة في ذلك ، فكل الرسائل الجامعة الباقية سارت على هذا المنوال أيضاً . ومع أن كاتبها يعرفون أنه يجب أن يكتبوا في المواضيع العامة إلا أنهم كانوا يحسون بالأزمة الشديدة التي تمر فيها الكنيسة ، أو ينظرون إلى أزمة قادمة فيسرعون إلى التحذير منها . فرسالة بطرس الثانية ، مثلها مثل رسالة يهوذا تحذر من التعاليم والمعلمين الضالين داخل الكنيسة . أما رسالة بطرس الأولى فالأزمة التي تظهر فيها تتركز في الاضطهادات الآتية من الخارج ، وأخيراً رسالة يعقوب التي فيها يحذر من الاسترخاء الروحي والاستهتار في الأخلاق والقيم المسيحية والظلم الذي يوقعه الغنى على الفقير .

٢ - هذه الكتب الأربعة نستطيع أن نعتبرها مقالات أربع ، لأنها أميل إلى المقالات منها إلى الرسائل . مقالات كتبت في وقت أزمة من الأزمان . ولعل صغر حجمها جعل الكنيسة تتردد بعض الوقت في قبولها ضمن الكتاب المقدس . وظهور هذه الكتب الأربعة يعطينا فكرة عن حركة الكتابة في الكنيسة .

الأولى التي طالما ظننا أنها حركة بسيطة لا تتعدى نشاط الرسول بولس في أسلوب الرسائل التي كان يرسلها إلى الأفراد أو الكنائس لهدف محدد خاص بالكنيسة في جهة ما . وهذه الفكرة جعلتنا أيضاً نظن أن هذه « الرسائل » الجامعة هي نمط من أنماط الرسائل وتقليد عمله الرسول بولس . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فوجود هذه الكتب الأربعة علمتنا أن حركة الكتابة والشهادة المكتوبة في الكنيسة أوسع وأعمق مما نظن ، إنها أوسع من أن تقتصر على رسائل الرسول بولس . فسفر العبرانيين الذي هو أميل إلى الكتاب منه إلى الرسالة ، وظهور الأناجيل الثلاثة ، ثم الإنجيل الرابع ثم سفر الرؤيا . كل هذه تدل على أن أنماطاً كثيرة من الكتابة ، وطرقاً متعددة للشهادة المكتوبة وإعلان الإنجيل قد ظهرت في الكنيسة الأولى . ومع ذلك فهي لم تكن متناقضة ولكنها متكاملة ، فالرسائل متكاملة مع سفر الرؤيا ومع الأناجيل ومع المقالات اللاهوتية أو العظات ، فكلها تشهد بعمل واحد قام به الله في شخص ربنا يسوع المسيح . وكلها تشابه في أنها تستخدم شهادة الكنيسة الأولى التي استخدمها الرسول بولس نفسه مكتوبة في ترانيم روحية، وعبارات عقائدية وتعاليم أخلاقية . وتحذيرات ضد الهرطقة . إنها تتفق في الاقتباس من العهد القديم ومن كلمات الرب يسوع (قارن ١ بطرس ١ : ٦ و ٧ مع يعقوب ١ : ٢ - ٤ ، ١ بطرس ٥ : ٥ - ٩ مع يعقوب ٤ : ٦ - ١٠ مع متى ٢٣ : ١٢ ، أمثال ٣ : ٣٤) . ولكن هذا التشابه في استخدام العهد القديم وكلمات الرب يسوع وكل عقائد الكنيسة لا يعني أن هذه الكتب الأربعة تكرر أفكاراً وتشابهة تكراراً مملأً ، لكن كتابها يطبقون هذه الاقتباسات على المواقف التي يجدون أنفسهم فيها . فبينما نجد يعقوب الرسول يستخدم الاقتباسات السالفة في التحذير والإنذار يستخدم الرسول بولس في التعزية والتشجيع . . . وهكذا .

٣ - إذن فهذه الكتب الأربعة تهتم بما هو موجود الآن وتعمل على تثبيته. إنها تهتم بالكنيسة كما هي الآن ، أما روح النبوة التي كانت تميز الكنيسة الأولى - فيقول كثير من العلماء - إنها بدأت تضعف ، ويقولون إن روح الخلق والحياة المتدفقة خف صداها . ولكن هذه مبالغة ، فالكنيسة وما فيها من نظم وروتينية ليست موجودة في هذه الرسائل . نعم قد ورد فيها ذكر الشيوخ ولكن لا نعرف كم كان سلطانهم ، وكل ما نعرفه عنهم أنهم يصلون من أجل المريض (يعقوب ٥ : ١٢) ولكن في مقابل ذلك يقول « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » (٥ : ١٦) ؛ وهذا يعني أن السلطان الروحي للقادة لكي يعترف لهم المؤمنون، لم يكن قد وجد بعد ، وإذا كان بطرس الرسول يطلب من الشيوخ أن يهتموا بالرعية ويطلب من الأحداث أن يخضعوا لهم (١ بطرس ٥ : ١ - ٥) ففي مقابل ذلك يطلب من كل مؤمن أخذ موهبة ما أن يخدم بها البقية كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة (١ بطرس ٤ : ١٠ و ١١) . هذا يعني أن روح النبوة لازالت باقية في هذه الرسائل . نعم إنها تعمل على حفظ الإيمان المسلم لنا من القديسين (يهوذا ٣ و ١٧ ، ٢ بطرس ٣ : ٢) نظراً لما يجابهونه من المنحرفين المضلين ، تماماً كما فعل الرسول يوحنا في رسائله إذ يعلن أنها الساعة الأخيرة نظراً لظهور هؤلاء الأنبياء الكذبة (١ يوحنا ٢ : ١٨) . خلاصة القول هو أن هذه الرسائل الأربعة تتمتع أيضاً بروح الكنيسة الأولى المشتعلة ، إلى جانب أنها تريد تثبيت ما قاله الأنبياء والرسل القديسون . إنها روح النبوة المشبعة بالروح المحافظة . والآن لنذهب إلى كل رسالة على حدة :

رسالة يعقوب

رسالة يعقوب من الرسائل القليلة جداً التي ظلمها الدارسون في كل العصور ، فمن تردد الكنيسة الأولى في قبولها . . إلى اعتبار لوثر لها أنها كومة من القش إلى قسوة النقد الذي وجه لها في القرن التاسع عشر إذ اعتبرت أنها مناقضة لرسائل الرسول بولس الديناميكية . . كل هذا وقع ظلماً على هذه الرسالة . ولكن ذلك لم يمنع قيام من دافع عنها مثل أوريجانوس وغيره واعتبارها أحد كتب العهد الجديد القانونية . ولكن قبل أن ندرس تاريخ هذه الرسالة في الكنيسة يجب أن نعرف أنها في الحقيقة ليست رسالة ولكنها كتاب أو مجموعة من المواعظ وجهت إلى الأسباط الإثني عشر الذين في الشتات ، وفي الغالب كان يقصد بها المسيحيين في كل العالم ، ولكننا جرياً على العادة نسميها رسالة .

تاريخ الرسالة في الكنيسة :

مع أن بعض الدارسين يظنون أن هناك اقتباسات في الديداسكي ورسالة برنابا وأكليمنندس الروماني وغيرها ، من رسالة يعقوب ، إلا أن هذا الرأي لم يصادف قبولاً عند أكثرية العلماء . وعلى النقيض من ذلك نجد أشياء كثيرة تظهر تأخر الكنيسة في قبول هذه الرسالة .

كان أول من قبل الرسالة بكل تأكيد هو أوريجانوس المصري واعتبرها رسالة يعقوب أخي الرب . ومع ذلك ففي واحد من اقتباساته يلقى بعض الشك على ذلك ، مما جعل بعض العلماء تردد في تأكيدات . ولكن كثرة اقتباساته منها والمرات التي فيها يؤكد أن الرسول يعقوب هو الذي كتبها ، تجعل من الصعب جداً أن نهم بذلك الاقتباس المتشكك .

أما الكنيسة الغربية فكانت وقفتها الأولى هو عدم قبول الرسالة وذلك لعدم ورودها في قائمة الموراتوري - مع أن هذه القائمة لم تحتو أيضاً على رسالة

العبرانيين - ولكن مما يزيد الشكوك في رسالة يعقوب هو أن الجناح الآخر للكنيسة الغربية وهو شمال أفريقيا لم يرد هذه الرسالة في كتبها .

أما الكنيسة السريانية فكثت أطول مدة معروفة لم تقبل فيها رسالة يعقوب فلم ترد في أية مخطوطة من هذه الترجمة سوى في البشته حوالى ٤٠٠ م .

أما شهادة الآباء: في الغرب وضعها جيروم في قائمة الكتب القانونية ولكنه كان يعلن أن شكوكاً كثيرة تحوم حولها .

وكان هذا نفس موقف يوسابيوس فقد وضعها من ضمن الكتب التي يدور حولها شك في أنها كتاب قانوني antilegomena ولكنه هو كان يقتبس منها على أنها من ضمن الكتب المقدسة ويقول « يقال عن هذه الرسالة أن كاتبها هو يعقوب الرسول أخو الرب ولكن بعضهم يقول إنها رسالة مشكوك فيها » .

إن مصدر التردد ، في الحقيقة ، في قبول هذه الرسالة هو عدم التأكد من شخصية يعقوب الذي يذكر اسمه في أول الرسالة ، وهذا يأتي بنا إلى قضية كاتب الرسالة .

الكاتب :

من هو كاتب الرسالة ؟ يقول هو « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » (١ : ١) ويصف نفسه أنه معلم بين المعلمين (٣ : ١) . ولكن جو الرسالة يوحي أنه شخص له سلطان خصوصاً في الأوامر التي يذكرها للعالم المسيحي . فمن هو يعقوب هذا ؟ هذا الاسم كان شائعاً جداً في الكنيسة الأولى واليهودية ، ويمكن أن يدل على كثيرين من المسيحيين . ولكن بساطة العنوان في ذكر الاسم « يعقوب » يدل على أنه كان شخصاً معروفاً في الكنيسة العامة . وإذا فتشنا العهد الجديد نجد أن هناك شخصين أو ثلاثة بهذا الاسم .

الأول هو يعقوب أخو يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح والرسول . ولكن هذا الرجل لا يمكن أن يكون كاتب الرسالة لأنه قتل مبكراً بيد هيرودس (أعمال ١٢ : ٢) . أما الرجل الثاني فهو يعقوب أخو الرب . وهذا الرجل صار مشهوراً وقصته جاءت في العهد الجديد كما جاءت في مصادر أخرى خارجة . ومن المناسب أن نذكر قصته في هذين المصدرين حتى يمكن أن نعرف إذا كان من الممكن أن يكون هو الكاتب .

بحسب العهد الجديد لم يكن يعقوب أخو الرب واحداً من الرسل الاثني عشر لأنه لم يؤمن بيسوع المسيح أثناء خدمته في الجسد (يوحنا ٧ : ٥) وقد ذكر عنه أنه من ضمن إخوة يسوع في رومس ٦ : ٣ ، تى ١٣ : ٥٥ . ويقول بعضهم إنه هو نفسه المسمى يعقوب الصغير واسم أمه مريم (رومس ١٥ : ٤٠) . وفي هذه الحالة تكون كلمة أخ الرب لا تعنى أكثر من أنه « قريب ليسوع » . وهذا ما يجعلنا أميل إلى الاعتقاد بأنه هناك ثلاثة بهذا الاسم وليس اثنين فقط ، وأحدهم هو يعقوب الصغير هذا ، ولعله هو يعقوب بن حلفى (أعمال ١ : ١٣) . أما بقية قصة يعقوب فقد ذكرها الرسول بولس في ١ كورنثوس ١٥ : ٧ إذ يذكر أن الرب المقام قد ظهر له ، ومن ذلك الوقت صار ملازماً للكنيسة مع بقية إخوته (أعمال ١ : ١٤) . وبعد ذلك بدأ يعقوب يظهر كأحد الأعمدة في الكنيسة الأولى ، بل أنه صار رئيساً لكنيسة أورشليم (أعمال ١٢ : ١٧ ، غلاطية ١ : ١٩ ، ٢ : ٩ و ١٢) . وقد وضع ذلك في مجمع أورشليم العام ، وخصوصاً في القرار الذى اتخذته الكنيسة ، وكان هو الشخص الذى كان وراء ذلك (أعمال ١٥ : ١٣ - ٢١) . وبحسب التقسيم الذى حدث في غلاطية ٢ : ٩ أصبحى الرسول بولس مسئولاً عن تقديم الإنجيل للأمم بينما صار بطرس ويعقوب ويوحنا مسئولين عن أهل الختان أو اليهود . ولهذا فكان هو أول من نه على أن الأمم يجب

أن يطيعوا وصايا هامة في الناموس (أعمال ١٥ : ٢١) ، وكان أول من طلب من الرسول بولس أن يظهر ولاءه للناموس (أعمال ٢١ : ٢٠ - ٢٢) . وإذا كان الرسول بولس يعنى أن إخوة الرب والرسل الآخرون كانوا يقومون برحلات تبشيرية عندما يقول « أعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كياتي الرسل وإخوة الرب وصفا » (١ كورنثوس ٩ : ٥) ، لكننا لا نعرف شيئاً عن رحلات يعقوب ، بل نعرف أنه كان يرسل مبعوثين من قبله إلى أنطاكية لكي يتأكدوا من أن الأمم لم يسيئوا استخدام حريتهم (غلاطية ٢ : ١٢) . لقد كان يعقوب يمثل الجناح المحافظ ، بينما كان متى وبطرس يمثلون الجناح المتحرر في جماعة اليهود المسيحيين ، ولكن سواء كان هؤلاء أم الرسول بولس فإن الاختلاف بينهم جميعاً لم يكن على مبدأ بل على الأولويات . فكلهم كانوا يؤمنون ويعملون على أن الإنجيل يقدم للجميع ، لليهود والأمم على السواء ، وكان يجب أن يكون ذلك بواسطة البقية المخلصة من اليهود ، ولكن الرسول عرف بإعلان من الله « أن المساواة قد حدثت لليهود جزئياً في إسرائيل إلى أن يدخل ملأ الأمم (رومية ١١ : ٢٥) . أما يعقوب فقد استمر على التنبيه على الجانب الإيجابي للدور اليهودي في عملية الخلاص ، فالرب قد تم قصده بأن أقام خيمة داود الساقطة (عاموس ٩ : ١١) وآمن آلاف منهم رغم مساواة الكثيرين وقبلوا يسوع الناصري مسيحاً مخلصاً لهم (أعمال ٢١ : ١٠) .

ومن هذا كله نستطيع أن نقول إن يعقوب لم يكن رجلاً مقفلاً على نفسه وعلى يهوديته ولكنه كان رجلاً مفتوح العينين على العالم مع التنبيه القوي على الدور اليهودي في عملية الخلاص .

أما المصدر الثاني الذي يمدنا ببعض المعلومات عن يعقوب فهو خارج

الكتاب المقدس . وهذا المصدر يجيء من جهات متعددة ؛ منها يوسيفوس المؤرخ اليهودى الرومانى الذى يقول إن حنانيا رئيس الكهنة المعين سنة ٦٢ م أراد أن يفتح عهده بعمل يهودى متعصب فقتل يعقوب أخا الرب وكثيرين معه رجماً بالحجارة .

وهناك مصدر آخر استقى منه يوسايبوس المؤرخ المسيحى . هذا المصدر هو شخص يهودى قبل المسيح فى القرن الثانى المسيحى اسمه هيجيسبوس Hegesippus يقول إن يعقوب كان اسمه « يعقوب البار » وكان مقدساً من بطن أمه وكان نذيراً للرب وكان دائم الصلاة فى الهيكل حتى أن ركبته صارتا كركبتي الجمل من كثرة الركوع والصلاة أن يغفر الله للشعب . هذا الرجل المقدس رفض طلب رؤساء اليهود أن يمنع الناس من اتباع المسيح بل زاد على ذلك أن حث الجميع على قبوله فى حياتهم ، فما كان من اليهود إلا أن قتلوه ، قد تكون هناك بعض المبالغة فى التفاصيل ولكن هذا المصدر يتفق فى خطوطه العامة مع ما كتبه يوسيفوس المؤرخ اليهودى .

هذان المصدران يذكران أن يعقوب كان يذهب إلى الهيكل وإلى المجمع ، ويلوح أن بعض المسيحيين والقادة منهم من أصل يهودى كانوا يفعلون ذلك إلى أن أزيل الهيكل سنة ٧٠ م . وبعضهم استمر يذهب إلى المجمع إلى سنة ٩٠ م حيث انفصل الجمعان اليهودى والمسيحى انفصالاً تاماً أبدياً .

هذا هو الشخص الذى تؤهله حياته ومواقفه بأن يكتب مثل هذه الرسالة التى بين أيدينا . . رسالة يعقوب .

الاعتراضات ضد نسبتها إلى يعقوب أخى الرب :

لكن هناك من العلماء من لا يقبلون نسبة الرسالة إلى يعقوب أخى الرب ويبنون اعتراضاتهم على عدة أسباب نذكر منها ثلاثة فقط وهى أهمها :

١ - يقولون إن أسلوب الرسالة بما فيه من يونانية فصيحة ، ومقاطع شعرية وطريقة الأسئلة والأجوبة لا يمكن أن يكتبها شخص عاش طفلة حياته في فلسطين ، ولم نعرف عنه أنه تثقف بالثقافة اليونانية كي يعقوب . إن كاتبها لا بد وأن يكون مسيحياً هلينياً كتبها في أواخر القرن الأول .

٢ - إن التردد الكثير الذي رأيناه من الكنيسة في قبول هذه الرسالة يعطى الإحساس بأن كاتب هذه الرسالة لم يكن معروفاً في الأوساط الكنسية ، وهذا الأمر لا يمكن أن ننتظره أو نتوقعه لو أن الكنيسة كانت تعرف أن الذى كتب هذه الرسالة هو يعقوب أخو الرب . لو عرف الآباء ذلك لكان موقفهم خلاف ما يظهره تاريخ الرسالة مع الكنيسة .

٣ - لو كان يعقوب الرسول أخو الرب هو الذى كتب الرسالة لما تردد في أن يلمس تلك المناقشات التى هزت الكنيسة ، وهى محاولة بعض اليهوديين أن يوقفوا المسيحية إلى حد اليهودية المصلحة ، وسببوا متاعب كثيرة في إرسالية الأمم وخصوصاً مع الرسول بولس . وكان ليعقوب الرسول نصيباً كبيراً في معالجة هذه المشكلة (أعمال ١٥) . لكننا لا نرى شيئاً من ذلك في الرسالة ، لا تصريحاً ولا تلميحاً ، ولا أى إشارة حتى إلى العلاقة بين اليهود والأمم في الكنيسة .

ومع أن هذه الاعتراضات قوية ويجب ألا نستهن بها ولكنها ليست قاطعة ولا يمكن أن تنفى نفياً قاطعاً أن يعقوب الرسول أخو الرب هو الذى كتبها . فالجو العام للرسالة لا يمكن إلا أن يكون مسيحياً من أصل يهودى ، وهناك بعض الإشارات تؤكد أن الذى كتبها هو فلسطينى يعرف عادات اليهود هناك . ففي ٥ : ٤ يقول « هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبعوضة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود » لأن

الذين كانوا يعملون في الحقل كانوا في كل العالم من العبيد ، ولا يستثنى من هذا الأمر إلا فلسطين حيث كان الفلاحون العاملون في الحقول أجراء وليسوا عبيداً .

وإلى جانب ذلك فإن الرسالة لا تعكس أى إشارة أو نوعاً من القلق الذى ينتج من جو الحروب والثورة مما يدل على أن الرسالة كتبت قبل قيام ثورة اليهود وخراب أورشليم . أما القلق الذى تعكسه فهو قلق الناس فى أيام السلام وليس الحرب .

زد على ذلك ما نجده فى ٢ : ٢ حيث يذكر لفظ المجمع ، فإن هذا اللفظ يناسب تماماً الأجيال الأولى للكنيسة المسيحية حيث لم يكن قد انفصلت الكنيسة فى اليهودية عن اليهودية تماماً إلا فى سنة ٩٠ م كما سبق القول .

ولهذه الأسباب يقول جزء كبير من العلماء إنه إذا لم يكن الرسول يعقوب قد كتبها بنفسه فإن واحداً من تلاميذه المخلصين قد جمع جزءاً كبيراً من مواعظه ووضعها هكذا كما تظهر فى الرسالة . فالمادة التى فى الرسالة هى التى خرجت من فم يعقوب ولكن كتبها شخص آخر بأسلوب يونانى جميل .

بعض مميزات الرسالة :

هناك بعض الخواص التى تجعل من هذا الكتاب نوعاً فريداً بين كتب العهود الجديد وخصوصاً الرسائل :

١ - هذه الرسالة هى فى حقيقتها ليست رسالة بل وعظة أو مجموعة من المواعظ . نعم نجد افتتاحيتها تشابه افتتاحية الرسائل ، ولكن فى باقى الكتاب لا نجد أية إشارة تدل على أنها رسالة . إنها وعظة أو وعظ ألقىت لسامعين

ربما كانوا مسيحيين من أصل يهودي ، وربما كانوا مسيحيين من كل الأجناس . أسلوبها من النوع التطبيقي والوعظي . ففيها حوالي ٦٠ فعل أمر في مجموع أعدادها الـ ١٠٨٨ عدداً . وهذا يدل على أن عقلية الكاتب كانت عملية تركز على الأخلاق والسلوك المسيحي دون أن يضع لها أساساً من العقيدة أو اللاهوت ، كما كان يفعل الرسول بولس مثلاً . أما فقراته القصيرة من الحث والدعوة فلا ترتبط ارتباطاً منطقياً ، أي أن الفكرة تبنى على فكرة سابقة أو ترتبط بها ارتباطاً سببياً ، ولكنها ترتبط على أساس كلمة معينة قيلت فتقترح لفظاً آخر يشابهها أو يناقضه ، إن الرباط يعتمد على اللفظ وليس الفكرة أو المعنى ، وهذه طريقة الدارسين والرييين اليهود في أورشليم ، مما كان يسهل عليهم حفظ الأمور في الذاكرة

٢ - ترتبط هذه الرسالة (نسميها رسالة تجاوزاً) بالعهد القديم ارتباطاً لفظياً ومعنوياً . ويظهر ذلك إذا درسنا الكتاب المقدس بالشواهد . ومن دراستها يتضح أن الكاتب يعرف أسفار الحكمة معرفة كبيرة سواء أكانت تلك التي نجدها في الكتاب المقدس أو تلك التي تسمى (« الأبوكريفا ») . فعندما يقول « . . . ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلم مبطئاً في الغضب » (١ : ١٩) ، فإنه يعكس قول يشوع بن سيراخ (٥ : ١١) « كن مسرعاً في الاستماع ولكن مبطئاً في الإجابة » . وعندما يتساءل « لأنه ما هي حياتكم ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (٤ : ١٤) فإنه يذكرنا بقول أحد الكتب الرؤوية المسمى حكمة سليمان « فإن حياتنا ستمر كما يمر الغمام وسوف تتناثر كما يتناثر الضباب » (٢ : ٤) . فعرفته بكتب العهد القديم والابوكريفا معرفة كبيرة .

٣ - هناك أمر آخر يميز هذه الرسالة هو أنها فيما عدا الأناجيل الأربعة

تحتوى على أكبر عدد من الأقوال المتشابهة لأقوال السيد نفسه وخاصة الموعظة على الجبل (متى ٥ - ٧) . ومن أبرز المتوازيات توبيخه للسامعين فقط (١ : ٢٢ و ٢٥ مع متى ٧ : ٢٦) . واذم الآخرين وانتقادهم وإدانتهم (٤ : ١١ مع متى ٧ : ١ - ٥) والقسم والحنث « (٥ : ١٢ مع متى ٥ : ٣٤ - ٣٧) . وكلامهم عن الخضوع للعالم (١ : ١٠ ، ٢ : ٥ و ٦ مع متى ٦ : ٩ و ٢٤) . والتعليم عن الصلاة (١ : ٥ مع متى ٧ : ٧) . والقلق من أجل الأمور التي يحتاجها الإنسان في العالم ، (٤ : ١٣ مع متى ٦ : ٣٤) . والإشارة إلى العث والصدأ (٥ : ٢ و ٣ مع متى ٦ : ١٩) . والشجرة ونوع ثمرها (٣ : ١٢ مع متى ٧ : ١٦) .

وهكذا نرى أنها تعكس معرفة بأقوال الرب معرفة واسعة وتتضمن الكثير منها .

هذه هي أهم الخصائص التي تميز رسالة يعقوب والآن لنرى ما هو مضمونها .

محتويات الرسالة :

رسالة يعقوب تظهر في شكلها الكلي على أنها خطاب عام يرسله الكاتب إلى جماعة المسيحيين من كل مجمع يهودي ، ويطلق عليهم عادة اسم المساكين . وهو يخاطبهم بقوله « يا إخوتي » (١ : ٢ و ١٦ ، ١٢ : ١ و ٥ و ١٤ ، ٣ : ١ ، ٤ : ١١ ، ٥ : ٧ ، ٩ : ١٢ و ١٩) . ولكنه يخاطب ، إلى جانب إخوته هؤلاء ، جماعة أخرى ، ولعلمهم اليهود الذين لم يقبلوا المسيح ، ويسميتهم الأغنياء (٥ : ١) : هذا التقسيم : بين الأغنياء والمساكين يتمشى مع ما نطق به السيد في لوقا ٦ : ٢٠ - ٢٦ فالؤمنون به وأتباعه هم المساكين

أما البعيدون فهم الأغنياء ، فقياس الغنى والمسكنة ليس هو المال والثروة :
ولكنه الإيمان .

وفي دراستنا لهذه الرسالة يواجهنا سؤال أساسي بالنسبة لما وهو :
كيف يمكن أن نحكم عليها أنها رسالة مسيحية ؟ ما الذى يميزها عن الرسائل
غير المسيحية ؟ إننا لا نقرأ فيها شيئاً من العقائد المسيحية الأساسية الخاصة
بالمسيح أو الصليب أو القيامة وغير ذلك ، فكيف نحكم على طابعها المسيحي ؟
إن ما يميز هذه الرسالة ، كرسالة مسيحية ، ليس تعاليمها عن يسوع ولكن
تعاليم يسوع نفسه فيها كما يختبرها ويعبر عنها الرسول . فهي رسالة تختص
بالسلوك لا بالعقيدة . وهذا ما يجعلها تظهر وكأنها أحد كتب الحكمة الموجودة
فى العهد القديم أو كتب اليونانيين الرواقين . ولكن الحقيقة هى أنها رسالة
مسيحية بنيت على بعض أقوال المسيح الشهيرة ، أخذها الكاتب وبنى عليها
مجموعة من المواعظ التى تظهر نوعية السلوك المسيحي الجديد . وهذا الأمر
يميزها عن كل أسفار العهد الجديد فيما عدا الأناجيل . إنها تحتوي على أكبر
كمية من تعاليم المسيح ، أكثر من كل رسائل الرسول بولس مجتمعة معاً .
وبهذه الكيفية يمكن أن نعتبرها كتاب تفسير لكلمات السيد . نعم إنه لا يقتبس
كلمات السيد حرفياً ، ولا يقدمها بالقول « هكذا قال الرب » ، ولكنه
يكتب عنها ويشير إليها على أنها بديهيات يعرفها القارئ مسبقاً . ومع أنه
لا يتبع أسلوباً أو ترتيباً خاصاً فى معاملة كلمات المسيح إلا أننا نثق أن هذه
الكلمات هى المركز الأساسى الذى تدور حوله هذه الرسالة :

ولقد اختلف كثير من الدارسين فى تقسيم الرسالة نظراً لصعوبة هذا
التقسيم ، إلا أن أغلبية الدارسين يرون فيها أربع مواعظ يتخذ الكاتب لكل
موعظة منها أحد أقوال السيد المسيح أساساً . ولأجل ذلك فسوف نتبع هذا
التقسيم .

الموعظة الأولى : التجربة : (١ : ٢ - ١٨)

يتخذ الرسول أساساً لهذه العظة قول السيد في الصلاة الربانية « ولا تدخلنا
في تجربة » (متى ٦ : ١٣ (أ)) .

ينظر الكاتب - وهو المفسر الذي يهتم بالحياة والسلوك أكثر من اهتمامه
باللاهوت والعقيدة - إلى موضوع التجربة من زاويتين مختلفتين فيظهر كأنه
يتناقض مع نفسه . ففي الجزء الثاني أي ع ١٣ - ١٩ يظهر كأنه يتناقض
مع مقاله في الجزء الأول أي ٢ - ١٢ . فإذا تكلم في هذا الجزء الأخير
عن منافع التجربة فإنه يتكلم في الجزء الثاني (١٣ - ١٩) عن مضار التجربة .
كل هذا لأنه لا يبني لاهوتاً بل يبين اتجاهات الحياة . في الجزء الأول (٢ -
١٢) يبين الكاتب على أن المسيحي لا يعنى من الآلام والضيقات التي تجرى
على كل الناس : مؤمنين وغير مؤمنين . ولكن المسيحي المؤمن يختلف عن
الآخرين من غير المؤمنين في أمر واحد أساسي : هو أنه يرى الله واقفاً إلى
جانبه يقويه لكي ينتصر ويتزكى . فتكون تجربته - بهذه الكيفية - عاملاً على
تقوية إيمانه وحياته ، وهنا يولد الإيمان فيه صبراً وثباتاً يجعله رجلاً حكيماً
كاملاً في المسيح ومواظباً على الصلاة .

وفي هذا الجزء يحدد الكاتب على أن التجربة هي « الظلم الذي يجريه
الأغنياء على الفقراء (١ : ٩ - ١١ أنظر ٢ : ٦) . ويضع في إطار هذا
التحديد بعضاً من المفاهيم التي سوف يفصلها في الأصحاحات التالية : إنه يذكر
الصبر (١ : ٣ و ٤) ، والعمل (٣ و ٤) ، الكمال (ع ٤ مرتين) :
يعوز (٤ و ٥) ، يطلب (٥ و ٦) ، إيمان (٣ - ٦) ، مراتب (ع ٦
مرتين) . وعندما يتحم هذا الجزء فإنه يرجع إلى تلك العبارة التي بدأها مع

زيادة التطوية فيقول « طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تركى يقال
على كليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه » (ع ١٢ أنظر ع ٢ و ٣) .

أما الجزء الثانى فى هذه العظة الذى يلوح أنه يتناقض مع ما سبق فهو
يحدد مضار التجربة (١٣ - ١٨) . ويبدأ الرسول هذا الجزء بجواب لسؤال
يتطلبه المعنى الذى محتويه الجزء الأول من العظة ، هذا السؤال يمكن وضعه
بهذه الكيفية إذا كانت التجربة نافعة فهى إذن من عمل الله . ولكن ، خلافاً
لكل توقع - يجيب الرسول على هذا السؤال بالنفى . كلاً « إن الله غير مجرب
بالشروع وهو لا يجرب أحداً » (ع ١٣) . ولكن كيف ؟ يجيب الرسول
بقوله : إن امتحان الإيمان قد لا ينتج صبراً وتحملاً ونضوجاً فى المسيح ،
ولكنه قد يقود إلى الخطية ، وهذه الكيفية لا يمكن أن تكون التجربة من
عمل الله ، بل تنبع من نبع ردى هو نفوسنا . وعندما تنبع من هنا حينئذ
يختلف مسارها اختلافاً كلياً بل ومتناقضاً مع المسار الأول . فأساس التجربة
هنا يكون الرغبة الشريرة أو الشهوة فى قلب الإنسان (ع ١٤) . هذه الشهوة
تلد خطية ، متى كملت الخطية تنتج موتاً (ع ١٥) . هذا يختلف مع مسار
المؤمن الذى يبدأ بالله نفسه الذى يقول عنه الرسول « كل عطية صالحة وكل
موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير
بولا ظل دوران شاء فولدنا بكلمة الحق . لكنى نكون باكورة من خلائقه »
(ع ١٧ و ١٨) .

فالتجربة إذن تصبح حقيقة ، وحقيقة مرة ، إذا انخرقت بها شهوة
قلوبنا ، وتغلبت على القصد الصالح منها ، وبذلك تهزمنا وتقودنا إلى الخطية
والموت . ليس هكذا ما يفعل الله .

٧٢١

(م ٤٦ - المدخل الى العهد الجديد)

الموعظة الثانية : ناموس المحبة (يعقوب ١ : ١٩ - ٢ : ٢٦)

آية العظة « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها . تحب قريبك كتحب نفسك بهاتين الوصيتين يتعلق ناموس كله والأنبياء » (متى ٢٢ : ٣٧ - ٤٠) .

يشير الأصحاح الثاني من هذه الرسالة مناقشات كثيرة نسبة لاختلاف الرأي في صلة الإيمان والأعمال . لكن هذه المناقشات نتجت أصلاً من عدم إدراك ما يقصده الرسول من هذه المفاهيم : « العمل ، الكلمة ، الناموس » وصلتها بعضها البعض . « فالكلمة » أو « كلمة الحق » التي ترد في ١ : ١٨ التي يصبح بها الإنسان ابناً لله ، هي نفسها التي يسميها « الكلمة المغروسة » التي تخلص الإنسان وتؤكد له خلاصه (١ : ٢١) ، وهي نفسها التي يجب أن يعملها الإنسان ولا ينساها حتى يكون مغبوطاً في عمله (١ : ٢٥) ، وهي نفسها الناموس الكامل . . ناموس الحرية (١ : ٢٥ ، ٢ : ١٢) أي الناموس الملوكي (٢ : ٨) . وهنا تتضح الصلة الحقيقية بين هذه المفاهيم : فالناموس الكامل الملوكي . . ناموس الحرية هو الكلمة التي يجب أن يعملها الإنسان . وبهذا المعنى هو يختلف عن الناموس اليهودي ، أو الناموس بالمعنى اليهودي الذي يعتبره المسيحيون ناموس العبودية لأن نيره ثقيل . إنه الناموس الملوكي الذي يهب العاملين الملوكوت الذي وعد به الله الذين يحبونه (٢ : ٥) .

وبهذا المعنى يكون العمل الذي يتطلبه الرسول يعقوب هو عمل المحبة . ويعطى أمثلة لذلك : (١ : ٢٧) « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في خبيثتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم » .

وكذلك (٢ : ١ - ٩) أى عدم المحاباة والتمسح بالغبى ومحاولة إرضاء الغنى على حساب الفقير . .

وكذلك ٢ : ١٤ - ١٦ « ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ إن كان أخ أو أخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي ، فقال لها أحديكما إمضيا بسلام استدفنا واشبعنا ولكن لم يعطهما حاجات الجسد فما المنفعة » ؟ . ألم تكن أعمال إبراهيم هى محبته الكاملة لله ؟ (٢ : ٢١ - ٢٤) ؟ ألم تكن أعمال راحب الزانية هى محبتها للقريب « (٢ : ٢٥) ؟

فالإيمان المسيحى بحسب يعقوب هو براءة ، هو سماع كلمة الله الحية . . تاموس الرب الكامل ثم القيام بأعمال المحبة ، وهذا هو منطوق العهد الجديد كله ، أليس هذا ما يقوله الرسول بولس فى رومية ١٠ : ٨ - ١٥ ؟ ألم يقل لأهل تسالونيكى « متذكّرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم » (١ تسالونيكى ١ : ٣) ؟ فالإيمان بدون أعمال هو إيمان ميت (يعقوب ٢ : ٢٦) والتسليم الداخلى للرب إن لم يظهر خارجاً ويمتد فى أعمال المحبة الظاهرة لا نفع فيه . فبرهان الإيمان هو المحبة العاملة « فإن كنت أتكلم بالسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أبو صنجاً يرن ، وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً ، وإن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١ كورنثوس ١٣ : ١ - ٣) إن التاموس الذى أتممه هو تاموس المحبة ، التاموس الملوكى ، تاموس الحرية . إنه ليس التاموس اليهودى الذى قد يأمرنى بأن أطعم الفقراء والمساكين ولكن تكون هذه أعمالاً ثقيلة

روتينية نفعية ، أعملها لكي أنتفع شيئاً لنفسى ، أما ما يريدنى السيد المسيح والرسول بولس والرسول يعقوب أن أعمله لأظهر إيمانى وأتممه هو أن « أحب الرب إلهى . . وأخى كنفسى . هذه هى المسيحية – الديانة الطاهرة النقية . . ناموس المحبة .

الموعظة الثالثة : الكلام الشرير (يعقوب ٣ : ١ ، ٤ : ١٢)

آية العظة « ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان (متى ١٥ : ١١) .

هل يعتبر الكلام السابق لغزاً ؟ إذن فتفسيره هكذا « إن كل ما يدخل الفم يمضى إلى الجوف ويندفع إلى الخارج وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ، قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف ، هذه هى التى تنجس الإنسان » (متى ١٥ : ١٧ - ٢٠) .

هذا ما يريد أن يضعه الرسول يعقوب أمام سامعيه الذين يريدون أن يأخذوا القيادة ليصبحوا معلمين للناس ، فطلبهم هذا ليس سهلاً ولكنه مسئولية ، إنها مسئولية هائلة نظراً لما قد يحدث منهم ولهم (٣ : ١) ، إنهم قد يؤدون خدمة عظيمة للخير والصلاح للمتعلمين وقد ينحرفون فى كلامهم فيفسدون كل شئ ، ويضعون عثرة هائلة للناس . . إن عملهم هو الكلام ولكنه عمل خطير . . ولسانهم قد ينقذ السفينة ويقودها إلى الأمان كما تفعل الدفة ، وقد تحوّلها إلى الصخور حيث تلقى حتفها . . فما أخطر وأقسى اللسان . .

ولكن لماذا ؟ لأن اللسان ، الذى يعبر عن الإنسان كله ، قد تتصارع فيه مظاهر الخير والشر ، فتخرج منه الصلاة والبركة وتعضها اللعنة فى معاملته

مع الناس ، وكأنه ينبوع تخرج منه مياه نظيفة تروى الظمأ ثم ينقلب فيلطف
مياهاً قدرة فيها الموت ، فهل هذا يليق بمن هم لله ؟ هل يليق بالتبنة أن تصنع
زيتوناً أو الكرمة أن تصنع تيناً؟ (٣ : ٨ - ١٢) .

إذن فهناك حكمتان يظهرهما المعلمون . . هناك الحكمة الوديعه وهى حكمة
سماوية ، هى طاهرة ثم مسالة مترفقة مدعنة مملوءة رحمة وأعمالاً صالحة
عديمة الريب والرياء . تجعل صاحبها يزرع البر والسلام . ثم هناك الحكمة
الأرضية التى تنبع من الإنسان نفسه لا صلة لها بالسما بل بالشيطان ، وثمارها
غيره مرة وتحزب فى القلب وكذب على الحق . . لأنها تجعل صاحبها يزرع
التشويش وكل أمر ردى (٣ : ١٣ - ١٨) .

وهنا يلقي الرسول يعقوب نظرة عامة على المجتمعات اليهودية كلها . .
من فيها من أتباع موسى ومن تلاميذ السيد المسيح ويحذرهم بكل شدة على
ما يبدر منهم من خصومات وشقاق ، يتشائمون ويحاربون ويريدون أن
يمتلكوا ولكنهم لا يملكون . . إن هذا المجتمع الذى ينهش بعضه البعض هو
ذات المجتمع الذى كلمه الرب يسوع . . مجتمع الكبرياء ومحبة العالم ، مجتمع
الحسد والتظاهر مجتمع المرآتين الذى يحتاج إلى تنقية اليد والقلب معاً (٤ :
١ - ١٠ أنظر مرقس ٧ : ٧ - ٢٣) .

وهنا يرجع الرسول مرة أخرى إلى أصل البلاء وفى نفس الوقت الدواء
الناجع . . إنه الناموس الملوكى ، فهناك من يكسر هذا الناموس ويكذبه بأن
يذم أخاه ويدينه ، وهناك من يخضع لهذا الناموس ناموس الحرية فيحب الله
ويحب أخاه (٤ : ١٢ و ١٣) .

الموعظة الرابعة : الصبر (٤ : ١٣ - ٥ : ٢٠)

الآية (مرقس ١٣ : ١٣) « ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » .

غالباً كانت هذه الآية ، التي قبلت في إطار الخطاب الروئوى أو الأستخاتولوجى المذكور في مرقس ١٣ وما يقابله ، في عقل الرسول وأمام ناظره عندما كتب أو وعظ هذه العظة الأخيرة ، لأنه يقول في عظته « فتأنوا أيها الإخوة إلى مجئ الرب » (٥ : ٧) . لقد رجع مرة أخرى إلى الوصية الأولى التي بدأ بها عظاته إذ قال « طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة . لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب الذين يحبونه » (١ : ١٢) . ولكن هنا يقدم هذه النصيحة مع مثال مشهور هو أيوب الذي احتمل المشقات كواحد من الأنبياء المشهورين الذين تأنوا وصبروا ، ولأجل ذلك كافأهم الرب بعاقبة مجيدة . لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف .

وفي هذه العظة يبرز الرسول الموقف الذي فيه يجب أن يظهر صبر الإخوة وهو الموقف الاجتماعى ، وخاصة الناحية الاقتصادية فيه . فالصبر ضرورى للإخوة نظراً للظلم الاقتصادى الذى يقع على الإخوة . (٥ : ٧ - ٢٠) . فالأغنياء يظلمون الإخوة ولذلك فهو يخاطب الاثنين . :

إنه يخاطب الأغنياء الظالمين (٤ : ١٣ - ٥ : ٦) فيوجه إليهم أقسى الكلمات لأنهم ظلموا الإخوة الذين عملوا معهم في الحقول ولكنهم لم يعطوهم أجرتهم (٥ : ٤ - ٦) ، وهناك من المفسرين من يعتبرون أن هذا الظلم هو ظلم دينى أكثر منه ظلم اجتماعى . وأن الفعلة ليسوا هم فعلة حقول القمح الفعلية بقدر ما هم فعلة الإنجيل كما قال سيدنا « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » (متى ٩ : ٣٧) . وقال في موضع آخر « لأن الفاعل مستحق أجرته » (لوقا ١٠ : ٧) . وهذا الفاعل هو في الحقيقة المرسل الذى يحمل كلمة الإنجيل إلى الناس (أنظر ١ تيموثاوس ٥ : ١٨) . إذا كان الأمر كذلك فيكون الهدف الذى يقصده

الرسول بهذه الكلمات القاسية هم اليهود « الأغنياء » البعيدين عن الله الذين حمل إليهم هؤلاء الفعلة « المسيحيون » كلمة الإنجيل ، ولكنهم قابلوهم بالرفض والمعاملة القاسية (أنظر متى ١٠ : ١٣ - ٣١) . ولكن إذ يضطهدونهم فإنهم يضطهدون البار نفسه (يسوع) الذي يتكلم فيهم (٥ : ٦ أنظر أعمال ٩ : ٤ و ٢٥) .

ثم يتكلم إلى الإخوة (٥ : ٧ - ٢٠) . ويخاطبهم كفلاحين . والفلاح ينتظر الثمر متأنياً إلى مجيء المطر المبكر والمتأخر ، وهكذا هم فليتأنوا إلى مجيء الرب وهو قد اقترب (٧ - ٩) . وليكن صبرهم مملوء بالرجاء وعدم الأين (٩) . إن صبرهم هو صبر المصلين ، الذين إن واجهوا المرض أو الاضطهاد فليكن لهم الرجاء الكامل في إلههم ، الذي يتحكم في العالم ويساند شعبه. ألم يفعل ذلك مع إيليا الوحيد أمام الملك وقواته ؟ لقد أجابه الرب إلى طلبه في منع المطر ثم إرساله مرة أخرى (١٧ و ١٨) ، وهكذا سوف يأتي المطر الأسمخاتولوجي بمجيء الرب (٧ و ٨) . ولهذا فليرنموا بدلاً من الأين ويفرحوا بدلاً من الانكسار (٩ ، ١٢ و ١٣) . . إن أغنياء الشتات لا يمكن أن يهزموا فقراء الإخوة ، فلا يأس ولا خوف ، بل بالحجة يجب أن يخدموا بعضهم البعض وبالأكثر أن يحاولوا منع من يضل من الهلاك بل يردونه عن ضلاله لكي ينقذوا نفسه من الموت وهذه هي الخدمة المحيطة للرب . (١٩ - ٢٠)

رسالة بطرس الأولى : « الكهنوت الملوكي »

رسالة يعقوب تتكلم عن الناموس الملوكي وتنبئ عليه ، أما الاهتمام الأول لرسالة بطرس الأولى فهو الكهنوت الملوكي ، وهو الموضوع الذي اتخذه الكاتب أساساً لرسالته . هذه الرسالة هي إحدى رسالتين تفسبان إلى الرسول بطرس ، ومع أنه كان تلميذاً ورسولاً له الأولوية بين التلاميذ إلا أن رسالتيه

صغيرتان بين كتب العهد الجديد ، وليس ذلك فقط بل أن العلماء يندهشون عندما لا يقرأون فيهما شيئاً عن حياة وعمل السيد ، الذى قضى معه الكاتب سنوات فى شركة تلمذه مما حدا بكثيرين منهم أن ينكروا نسبة هاتين الرسالتين إليه . . ومع ذلك فالرسالة الأولى مع صغر حجمها فهى عظيمة الأهمية ؛ لأنها تتكلم إلى كل العصور ، ولكل المؤمنين ، وتحثهم على أن يعيشوا لله فى وسط عالم يعيش بعيداً عن الله .

تاريخ الرسالة :

رسالة بطرس الرسول الأولى لها تاريخ طويل وراءها فى الكنيسة ، ولكتنا سنجمله هنا فى الأمور التالية :

(أ) رأى كثير من العلماء أن هناك تشابهاً بين هذه الرسالة ورسالة أكليمندس الرومانى إلى كورنثوس . ويعتقدون أن أكليمندس قد اقتبس منها ، ومع ذلك فهو لا يذكر أنه يقتبس ، ولا يذكر اسم كتاب يقتبس منه ؛

(ب) بدأ الآباء يقتبسون منها - وهذا أمر مؤكد - منذ عصر إيريناوس ، وكانوا يذكرون أنهم يقتبسون من رسالة الرسول بطرس . ولعل أسماء مشهورة كترتليان وأكليمندس الاسكندرى وثاوفيلس الأنطاكى كافية على أنها تعطى شهادة قوية لصحة نسبة هذه الرسالة .

(ج) ومع ذلك فإننا نقابل شهادة نبي قوية وذلك فى قائمة الموراتورى من الكنيسة الغربية ، فالرسالة غير موجودة فى هذه الوثيقة الهامة ، ولكن الرد على ذلك هو أن هذه القائمة لا تحتوى على الرسالة الثانية ولا الرسالة إلى العبرانيين ولا رسالة يعقوب . ويلوح أن نهاية هذه القائمة قد تهرأت فلم تظهر فيها هذه الرسائل .

من هذه الأمور نستطيع أن نستنتج أن شهادة التاريخ الكنسى يرجع نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس . . وهذا تقليد قوى .

مؤلف الرسالة :

عرفنا سابقاً أن كثيراً من علماء العصر الحديث ينكرون نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس ، رغم قوة شهادة التقليد الكنسى الذى يدعم العكس ، ورغم المقدمة التى تعلن ذلك بكل وضوح (١ بطرس ١ : ١) . ويوردون البراهين التالية على إنكارهم هذا .

(أ) لغة الرسالة وأسلوبها :

تشهد لغة هذه الرسالة وأسلوبها على أن كاتبها كان رجلاً ضليعاً فى اللغة اليونانية بحيث يكتبها مثل أى واحد من أبنائها . وهناك تشابه كبير بينها وبين الترجمة السبعينية ، مما يدل على أن الكاتب قد تأثر بها فى صياغة العبارات والجمل ، واقتبس منها اقتباساً مباشراً . وإلى جانب ذلك فإنه يتميز بغزارة مفرداته وسهولة تعبيره وصحة لغته من حيث القواعد والتراكيب ، حتى أن أسلوبه اعتبر أكثر سهولة ويسراً من أسلوب الرسول بولس نفسه .

هذا الأسلوب لا يمكن أن يصدر عن شخص جليلى كبطرس عرف عنه أنه عاى (أعمال ٤ : ١٣) ويشهد عنه التقليد الكنسى الذى يسجله يوسابيوس أنه كان يحتاج إلى مترجم فى أحاديثه وقد كان مرقس يقوم بهذه المهمة .

على أن هذا الاعتراض ليس قاطعاً ويمكن الرد عليه . فالرسالة نفسها تشهد بأن الرسول قد استعان بسلوانس الأخ الأمين (١٢ : ٥) ولعله هو نفسه « سيلاً » رفيق الرسول بولس الذى كان ضليعاً فى اللغة اليونانية .

(ب) الصعوبة التاريخية :

وفي الحقيقة ليست هي صعوبة واحدة بل هناك عدة صعوبات نقتصر منها على أهم اثنتين : الأولى تختص بالاضطهادات التي يشير إليها الكاتب ، ولا شك أن المكتوب إليهم كانوا يجوزون في أتعاب كثيرة ومريرة : (١ : ٢ ، ٢ : ١٢ و ١٥ ، ٤ : ١٢ و ١٤ - ١٦ ، ٥ : ٨ و ٩) . وهذه نتيجة للاضطهادات التي كانت تقع عليهم لأنهم مسيحيون ، وهو يصفها مرة بأنها بلوى محرقة (٤ : ١٢) ونستخلص من الرسالة أن المسيحية كلها كانت تجوز في هذه البلوى (٥ : ٩) ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان الاضطهاد اضطهاداً رسمياً بمعنى أن الامبراطورية أو أجزاء منها كانت ضالعة فيه رسمياً . وتاريخ المسيحية يذكر أن هذه الاضطهادات الرسمية المبكرة كانت في عهد نيرون (٦٥ م) ودوميتيان (٨١ - ٩٦ م) وتراجان (٩٨ - ١١٧ م) . فهل هذا الذي تصفه الرسالة يشير إلى واحد من هذه ؟ إنه لم يكن في عهد نيرون ، وهذا أمر مقطوع به ، لأن اضطهاد هذا الطاغية لم يتعد روما ، في حين أن هذه الرسالة كتبت إلى « المتغربين من شتات بنفس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيتينية » (١ : ١) ، فالاضطهاد المقصود هنا - إذا كان حقاً اضطهاداً - كان أوسع مدى من الاضطهاد الذي شنه نيرون . ولهذا فلا بد وأن الرسالة كانت تقصد اضطهاداً متأخراً عن عهد نيرون الذي فيه قتل بطرس الرسول نفسه ، وهذا يدل على أنه لم يكتب هذه الرسالة .

ولكن هذا الاعتراض التاريخي ليس له ما يسنده في الرسالة نفسها . فالمسيحيون يتألمون ويجوزون في تعبيرات وأتعاب من أجل أنهم كذلك منذ أيامها الأولى (أعمال ٤ : ٢ و ١٧ . . . إلخ) . في حين أنه لا يوجد في الرسالة على أن هذا الألم نتيجة اضطهاد رسمي منظم . والبلوى الحارقة قد تكون

إحدى الحوادث الفردية التي منى بها المسيحيون في مكان ما نتيجة لكرهية الناس لهم ، إذ لم يعودوا يشاركونهم في أعيادهم وعبادتهم الوثنية وعاداتهم القبيحة ، فاعتبروهم لذلك مصدرآ لعدم الراحة والقلق .

أما الصعوبة الثانية في المجال التاريخي فتتعلق بصلة الرسول بطرس بهذه الكنائس التي وجهت إليها هذه الرسالة . فالرسول لم يكن له أية علاقة بها ، فهي كنائس نشأت وقويت بفعل تبشير الرسول بولس ومجهوده ، فكيف يكتب إليهم الرسول بطرس ؟ وهذا أيضاً اعتراض ضعيف ولا يمكن أن يكون قاطعاً ، لأنه ليس مستبعد أن يكتب الرسول إليهم معزياً وخاصة بعد أن فقدوا رسولهم العظيم بولس ، وإذا لم يفعل بطرس الرسول ذلك فمن ذا الذي يفعل وهو الشخصية المروقة المعروفة في الكنيسة كلها ؟

(ج) الصعوبة العقائدية :

ويتلخص هذا الاعتراض في أن هذه الرسالة تعكس جزءاً كبيراً من أفكار ولاهوت الرسول بولس . فهناك ، مثلاً ، تشابه بين افتتاحيتها وافتتاحية الرسالة إلى أهل أفسس . وهناك الأهمية الخاصة التي للصليب في هذه الرسالة كما هو موجود في رسائل الرسول بولس ، وتحتوي أيضاً على بعض الاصطلاحات التي يستخدمها الرسول بولس مثل تشبيه الكنيسة بالبناء وتسميتها « بأهل بيت الله » . وغير ذلك مما يجعل الدارس يشك في أن الرسول بطرس هو الذي كتبها ، لكن واحداً من تلاميذ الرسول بولس كان يعكس تفكير مدرسة معلمه العظيم .

ولكن هناك من الشواهد التي تقف ضد هذا الاتجاه ، منها أن هناك أفكاراً هامة جداً وأساسية عند الرسول بولس لم تظهر في هذه الرسالة ،

ويعتبر عدم ظهورها مستغرباً جداً لو كان كاتبها أحد تلاميذ مدرسة الرسول بولس مثل التبرير بالإيمان ، الحرية من الناموس ، الحياة في الروح . ومنها أيضاً ظهور أفكار في هذه الرسالة لم يشر إليها الرسول بولس بالمرّة مثل طاعة العهد ، الكنيسة ككهنوت ملوكي ، تبشير المسيح للأرواح التي في السجن ، وغير ذلك .

أما وجود بعض التشابه فهو أمر لا يستغرب خاصة وأن الرسول بطرس قد استعان بمرقس وسلوانس رفيق الرسول بولس . ومع ذلك فإن طابع هذه الرسالة يدل على عقل خلاق ومفكر أصيل مثل الرسول بطرس . هذا كله يرجح الرأي التقليدي الذي يؤكد أن الرسول بطرس هو الذي كتب هذه الرسالة .

تاريخ كتابة الرسالة :

يتوقف تحديد تاريخ كتابة الرسالة على تحديد الاضطهاد الذي يجرى وصفه في الرسالة ، كما سبق ذكره . هناك بعض الشواهد تظهر في الرسالة تؤيد تاريخها المبكر دون أن ترتبط بأي تاريخ للاضطهادات ، ومنها النظام الكنسي الذي تظهره الرسالة . فأى قارئ لا يستطيع أن يلمح أى تطور متسع في التنظيم الكنسي أو في وظائفها مثلما ظهر في أواخر القرن الأول ، بل كان التنظيم بسيطاً يتفق مع التاريخ المقترح للرسالة أى حوالي ٦٠ م .

ولكن الرسالة تعكس صدى حادث ضخم جعل المسيحيين يهربون هنا وهناك ، فيسميهم الرسول « المتغربين من شتات بنتس وغلطية .. (١ : ١) . ويعتقد بعض العلماء أن ذلك الحادث هو قتل يعقوب أخى الرب بيد اليهود ، وهو أمر حدث قبل خراب الهيكل سنة ٧٠ م ، أى أنه يقارب الوقت الذي كتبت فيه هذه الرسالة بحسب الرأي السابق .

وهناك شاهد ثالث يدل على أن التاريخ الذي كتبت فيه الرسالة كان مبكراً وهو موقف الرسول من الدولة إذ يقول « فاحضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاية فكمسليين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير » (٢ : ١٣ و ١٤) . هذا الموقف كان مقبولاً لكل الكنيسة والرسول إلى سنة ٦٤ م حتى بدأ فيرون اضطراره المرير .

وعلى هذا فيمكننا أن نرجح التاريخ المبكر للرسالة ، أى في أوائل الستينات الميلادية .

مكان الكتابة :

يقول الرسول « تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم » (٥ : ١٣) . ولعله بهذا يكشف أنه يكتب لهم من بابل ، والتي تسلم عليهم هي الكنيسة هناك . فأى بابل يقصد ؟ ليست بابل الحرفية ، أى تلك التي تقع فيما بين النهرين ، لأننا لم نسمع عن أى تقليد يؤكد أو حتى يشير إلى أن الرسول بطرس ذهب إلى هناك . وقد قيل إنه يقصد مكاناً في مصر اسمه بابليون . ولكن كنيسة الاسكندرية لم تشر بتاتا إلى هذا الأمر ، ولم تظهر فيها أية إشارة على أن الرسول بطرس قد زارها أو سكن هناك ، وهذا حدث لا يمكن أن نسكت عليه أو نخفيه .

إن الغالبية العظمى من العلماء توافق على أن الرسول كتبها من روما . أما اسم بابل فقد كان اسماً شائعاً عنها بين المسيحيين ، كما يظهر ذلك في سفر الرؤيا (ص ١٧) ويلوح أنه أطلق عليها كرمز إما لأن الكاتب أراد أن يتجنب أى زيادة في توتر الناس وإثارتهم ضد المسيحيين ، أى من قبيل

الأمان واتقاء ثورة الشعب أو الدولة ، أو لأن بابل هي رمز السبي والتغريب ، والرسول يكتب إلى المتغربين وشتات بنئس وغللاطية (١ : ١) . وهناك تقليد قوى عن استشهاد الرسول بطرس يؤكد أنه حدث في هذه المدينة ، ولعله بقى هناك إلى أن استشهد بعد انفجار الاضطهاد ضد الكنيسة في أيام نيرون الطاغية في وسط الستينات .

مضمون الرسالة :

يعتبر الرسول بطرس ، بحسب التقسيم التبشيري في العهد الجديد ، رسول الختان ، بينما كان الرسول بولس رسول الأمم (غلاطية ٢ : ٨) . ومع ذلك فالرسول بطرس يوجه رسالته هذه إلى الأمم وليس إلى اليهود (١ : ١) ، وهذا الأمر يعطيها أهمية خاصة . ومن أبرز المميزات التي تتميز بها هو أن الرسول يضع الأمم فيها في الخط القديم ، أى أنه يصفهم على أنهم قد صاروا من ضمن شعب الله الجديد ، الذى لم ينفصل عن تدبير الله وعهوده ومواعيده التى أعطاهما لشعبه قديماً . لقد أدخلوا في تلك الخطيرة لينعموا بكل ما فيها من امتيازات ، وعلى هذا فقد أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل الجديد بكل عهوده وكهنوته ودعوته . وهكذا نرى الكنيسة ، في هذه الرسالة ، في هذه الصورة الجديدة ، صورة إسرائيل الجديد ، بكيفية لم يظهر مثيل لها في أى سفر من أسفار العهد الجديد في عمقها ووضوحها . هذه الصورة هي التى سنتتبع خطوطها ومعالمها في الصفحات التالية :

١ - شعب في الشتات :

يبدأ الرسول بطرس رسالته بنفس المقدمة التى تظهر في رسالة يعقوب ، إذ يكتب كلاهما إلى شعب الله الذى في الشتات ، ولكن مع فارق واحد هام : وهو أن الرسول يعقوب يكتب إلى المؤمنين الذين من أصل يهودى

تجى كل العالم (يعقوب ١ : ١) بينما يقصد الرسول بطرس المؤمنين الذين من أصل أمي في مناطق محدودة « بنتس وغلطية وكيدوكية وآسيا وبثينية » (١ : ١) ، جاءوا وافتدوا من عبادة الأوثان (٤ : ٣ و ٤) ، الأمر الذي لا يمكن أن يقال لليهودى . هذه الحقيقة تكشف على أن الرسول بطرس يستخدم كلمة « الشتات » لا في معناها الحرفى ، بل فى معنى مجازى ، أخذها الرسول بطرس من العهد القديم وأطلقها على فوضى العهد الجديد من أعضاء الكنائس الأمية التى يكتب إليها . ولأنهم فى الشتات فهم إذن غرباء عن هذا العالم الذى يعيشون فيه (٢ : ١١) ، ومسكنهم الحقيقى ليس أورشليم ولا هيكلها ولكن السماء ، وفى هذا المقام يقدم الرسول على تسمية الشتات الجديد بلقب لم يطلق عليهم من قبل ، أخذه من العهد القديم إذ يقول « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملاوكى أمة مقدسة شعب اقتناء . . . وأما الآن فأنتم شعب الله » (٢ : ٩ و ١٠ أنظر خروج ١٩ : ٦) . وإذا كانوا غرباء فلائهم ينتظرون ميراثاً لا كالميراث الأرضى الذى انتظره إسرائيل فى القديم ولكنه « ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم » (١ : ٤) وهذا الميراث سوف يتألونه بعد أن يذوقوا خلاصاً سماوياً « مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير . . . عند استعلان يسوع المسيح » (٢ : ٥ و ٧) . ومع ذلك . . . ومع كل غربتهم وما يحيط بهم فيها فإنهم يعيشون فى « نعمة الله الحقيقية التى فيها تقومون » (٥ : ١٢) . نعم لإنهم شعب الله فى شتات العالم غرباء ولكنهم غير متروكين .

٢ - شعب الطاعة :

ماذا يرى رسول يسوع المسيح فى هذا الشعب المتغرب فى وسط عالم شرير مملوء بالفساد والخلاعة والنجاسة (٤ : ٣ - ٥) ، عالم مغاير عدو

لا يستريح بأن يرى المؤمنين في سلام ، بل يجدفون ويشتمون سيرتهم الصالحة (٣ : ١٦ ، ٤ : ١٤) ؟ إن الرسول يرى فيه جماعة قد دخلوا مع الله في عهد هو عهد الطاعة ، فهو يخاطبهم على أنهم المختارون « بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح » . . (١ : ٢)

هذه النظرة تبنى على ما حدث في العهد القديم في البرية (خروج ٢٤) ، عندما جاء موسى إلى الشعب بكلمة الله ووصيته ، فقال الشعب له كل ما أمر به الرب نفعله ونطيعه (ع ٧) ، وعندئذ ذبحوا ثيران ، وأخذ موسى الدم في طسوت ورش على المذبح ثم رش النصف الباقي منه على الشعب لكي يقدسهم ، وقال لهم « هوذا دم العهد الذي عمله الرب معكم بحسب كل هذه الكلمات . . (ع ٦ و ٨) . هذا ما فكر فيه الرسول بطرس ، وهذا ما رأى أن الله أيضاً قد عمله في العهد الجديد مع شعب إسرائيل الجديد . ولكن ليس بدم ثيران وتيوس ولكن بدم ثمين كما من حمل بلا عيب دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم (١ بطرس ١ : ١٩) . ولأجل ذلك ، فكما قال الشعب في العهد القديم ، هكذا قال شعب العهد الجديد إنهم يطيعون كل ما قاله الرب : فهم إذن « أولاد الطاعة » (١ : ١٤) . هذه الطاعة هي التي تطهرهم كما يقول لهم « طهروا أنفسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة » (١ : ٢٢) . كان في عقل الرسول أيضاً عندما يقول ذلك : اختبار يجوز فيه مؤمنو العهد الجديد وهو المعمودية ، ففيها قد دخلوا مع الله في عهد الطاعة ، فالمعمودية في حقيقتها « لا لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (٣ : ٢١) . ففي هذه الاختبار يعترف المؤمن أن يسوع المسيح الذي قام من بين الأموات هو الرب الذي يخضع له في طاعة كاملة لا يشوبها أي نوع من الرجوع إلى الوراء ولا العصيان . إنها الرد الحقيقي على كلمة الله

التي تثبت إلى الأبد . . . الكلمة التي بشروا بها (١ : ٢٥) فآمنوا بقلوبهم .
واعترفوا بفهمهم وحياتهم بسلطان المسيح عليهم . وعلى هذا الأساس يقول لهم
الرسول « فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة وكأطفال
مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا منه . . . إن كنتم قد
ذقتم أن الرب صالح » (٢ : ١ - ٣) . إن المؤمنين الذين دخلوا مع الرب
في عهد الطاعة يجب أن يظهروا هذه الطاعة لكلمة الله . . . كلمة الحق التي
بشروا بها في وسط العالم الشرير المعادي .

شعب الكهنوت والهيك (٢ : ١ - ٣) :

هذا الجزء من الرسالة ينقسم إلى قسمين : القسم الأول لاهوتي (٢ : ١ - ١٠)
والقسم الثاني تطبيقي يبني على الجزء الأول (٢ : ١١ - ٣ : ٢٢) .

١ - في القسم اللاهوتي يستخدم الرسول عدة اصطلاحات هامة يبني
عليها لاهوته : منها الحجر - البيت الروحي - الكهنوت المقدس . أما الحجر
فإنه يشير به إلى المسيح إذ يقول عنه « إذ تأتون إليه حجراً حياً مرفوضاً من
الناس ولكن مختاراً من الله كريم » (٢ : ٤) ثم يقول « . . . حجر زاوية -
مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخزي . . . وأما الذين لا يطيعون فالحجر
الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة »
(٢ : ٦ - ٨) . هذه اقتباسات أخذت من العهد القديم : في (إشعيا ٢٨ :
١٦) يصفه على أنه مختار وحجر زاوية كريم . وفي مزمو ١١٨ : ٢
يصفه على أنه حجر قد رفضه البنائون . وفي (إشعيا ٨ : ١٤) يصفه على
أنه حجر عثرة . على هذا الحجر الحي الكريم الذي رفضه البنائون بني
المؤمنون « كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية يتأروحيها كهناً مقدساً »
(٢ : ٥) . لهم أيضاً حجارة حية تبنى على أساس المسيح لا بيتاً عادياً ولكن

٧٣٧

(م ٤٧ - المدخل الى العهد الجديد)

هيكل مقدس فيه تقدم العبادة والذبايح . وعلى هذا فالسيد ، الذى رفضه
 البناؤون الذين ظنوا أنهم يستطيعون أن يبنوا ويحموا هيكل الله ، هو نفسه قد
 صار أساس الهيكل الجديد . وفي هذا الهيكل الجديد الذى بنى يعمل كهنوت
 جديد كهنوت مقدس . وهذا الكهنوت المقدس يقدم ذبايح جديدة ليس
 من حيوانات أرضية ولكنها « ذبايح روحية مقبولة عند الله يسوع
 المسيح » (٢ : ٥) . ولكن ما هى هذه الذبايح الروحية ؟ إنه يقول لهم
 « لكى تخبروا بفضل من دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب » (٢ : ٩) .
 إذن فالذبايح المسيحية تفهم الآن معنى جديد وهو الشهادة لله الذى دعاكم من
 الوثنية ومن الحياة المنحلة حياة الظلمة إلى القداسة والكرامة والنور فى المسيح
 يسوع . هنا المعنى الحقيقى الذى يستخرجه الرسول بطرس للحياة المسيحية ،
 والمعنى الصحيح لإظهارها فى العالم . . المعنى الصحيح للقداسة المسيحية ،
 إنها ليست الخروج من العالم والانفصال عنه ، إنها ليست التطهير الطقسي
 الذى كان فى العهد القديم . . إنها الحياة الحقيقية فى وسط العالم ، إنها القداسة
 فى الحياة وسط الناس والصراع معهم ، فالكهنوت الحقيقى ليس ذلك
 الكهنوت الذى يحتفى داخل المعابد ، ولكنه الكهنوت الذى يواجه العالم فى
 شهادة ناطقة حية لعمل المسيح ، وللتغيير الذى يحدث فى الحياة ، ولهذا يصرح
 بكل قوة « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء »
 (٢ : ٩) هذا ما قاله السيد لشعب العهد القديم (خروج ١٩ : ٥ و ٦)
 «والآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لى خاصة من بين جميع
 الشعوب ، فإن لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » .
 فالكهنوت هنا ليس جماعة خاصة من بين شعب ما ، إنهم الشعب كله . .
 الشعب الذى يطيع صوت الله ويحفظ عهده . . وبذلك يكونون أداة مصالحة
 للعالم كله . . هؤلاء هم أيضاً المؤمنون فى العهد الجديد إنهم كهنوت ملوكى

لكي يحملوا كلمة المصالحة إلى العالم كله لكي يقبل الجميع إلى المسيح كما جاءوا هم واختبروه .

٢- هذا الهيكل المقدس المبني على حجر الأساس المسيحي . هذا الكهنوت المملوكي . هذه الأمة المقدسة ، تظهر قداستها في مواقف عملية مملوسة . ويذكر الرسول منها مجموعة من المواقف في ٢ : ١٣ - ٣ : ٩ . وهذه المواقف تبني على الطاعة والخضوع لمن له السلطان سواء أكان ذلك في الخارج أو في الداخل . فهناك السلطان للحكومة العامة أو الحكومة المحلية . « فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين للانتقام من فاعلي الشر والمدح لفاعلي الخير » (٢ : ١٣ و ١٤) . والعبيد للسادة ، « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيئة للسادة ليس للصالحين المترفين فقط بل للعتقاء أيضاً لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أجزائاً متألماً بالظلم » (٢ : ١٨ و ١٩) ، الزوجات لأزواجهن . « كذلك أيها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة . . » (٣ : ١) . في هذه جميعها يفهم الرسول بطرس المعنى الحقيقي للطاعة والخضوع المسيحيين : إنهما طاعة وكذلك خضوع في إطار أوسع وأشمل هو الطاعة لله نفسه ، فالعبيد مثلاً يخضعون لسادتهم سواء أكانوا سادة مسيحيين أو غير مسيحيين من السادة القساة . . ليس لأنهم عبيد لهم بل لأنهم عبيد لله يخافون الله . . والزوجات لا يخضعن لأزواجهن إلا لأنهن يظعن الله وبذلك يكن مرسلات من الله لربح هؤلاء الأزواج الذين لم يقبلوا المسيح ويؤمنوا به بعد . وكذلك يفهم الخضوع لكل الترتيب البشري أى للحكومة ، إنهم يخضعون لهذا الترتيب البشري لا لأنهم مجبرون في روح العبودية ولكن من

أجل الرب . إنهم مرسلون من الله فالخضوع لهم هو الخضوع لله نفسه . هذا يظهر أن الرسول بطرس يعرف تماماً أن الدولة الرومانية في ذلك الوقت كانت تعمل على حفظ المجتمع البشرى فتنتم من فاعلي الشر ، وتكافيء فاعل الخير . إن الرسول في هذا الموقف يقول « فاضعوا » ولكنه لا يقول « أطيعوا » . فالطاعة لا يمكن أن تكون إلا للرب الذي دخلوا معه في عهد الطاعة ، أما للملك البشرى فله الإكرام والخضوع ، ولكن طالما هو يؤدي الخدمة التي وضعها الله له . ولكن إذا ما حاد الحكام عن الطريق الصحيح ، وإذا ما أصبحت طريقتهم تتناقض مع الطريق الإلهية ، وإذا ما صارت أوامره تقود إلى ما لا يمجده الله . . عندئذ يقول الرسول بطرس مع سائر الرسل « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس » (أعمال ٥ : ٢٩) :

٤ - شعب الطاعة في البلوى الخارقة :

الأمر الملاحظ هو أن الرسالة تبدأ من ٣ : ١٣ في اتجاه آخر تسيطر عليه روح التحذير من آلام كثيرة واضطهادات ، ومن يقارن العددين ٣ : ١٣ و ١٤ يبتدئ تغييراً واضحاً فهو يقول في ٣ : ١٣ « فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير » كأنه يقول إن القانون والحكام المعينين من قبل الدولة الرومانية تحميكم إذا كنتم تفعلون الخير . ولكنه عندئذ يقول « ولكن وإن تألمتم من أجل البر فطوبواكم » (٣ : ١٤) فهل كان الرسول يلمح أن هناك شرراً يتطاير في الجو ، وأن المؤمنين سوف يتألمون أيضاً ، لا من أجل الشر بل من أجل الخير الذي يعملونه ؟ ومن المفهوم هنا أن هذا الخير ليس هو مجموعة من الأعمال الطيبة ، ولكنه يتمثل في كون الإنسان مؤمناً ومسيحياً . ولكن حتى ولو حدث ذلك فإنه يقول للمسيحي « وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا بل قدسوا الرب الإله في قلوبكم مستعدين دائماً لحجوبة كل من

يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف» (٣ : ١٤ و ١٥) . إن كان الاضطهاد من أجل البر فالمسيحي الذي قطع عهداً من الله بدم المسيح ، عهد الطاعة ، فإنه يقدر الله بطاعة كاملة له رغم كل من يحاول أن يستجوهم من الناس أو الحكام عن سبب إيمانهم بالمسيح . إن طاعتهم للعهد تعطيهم القوة للوقوف في وجه كل مضايقة . (٣ : ١٥) .

هذه الشجاعة تأتي من الرجاء في الله ، وأن هذه الضيقات والمساءلة ليست هي النهاية في كل شيء . . . إن الله وحكم الله نفسه سوف يقف وراء كل عمل ، وهو الذي يستطيع أن ينهي الأمور لشعبه . فالذين يشتمون سيرتهم الصالحة من أجل مسيحتيتهم ، والذين يجرؤونهم إلى المحاكم لا لسبب إلا لأهم للمسيح ، سوف يقابلونهم أنفسهم تلك المحاكمة الشديدة أمام الديان العادل الذي لا يندع بشهود زور كما خدعواهم كحكام الأرض ، إن الله سوف يحاكمهم ويخزيهم (٣ : ١٦) . أما أولئك الذين يفتحون عيونهم على ما في المسيحيين من خير وبر ، فالله سوف يكافئهم « وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكي تكونوا فيها يفترون عليكم كفاعلي شر يمجدون الله في يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها » (٢ : ١٢) .

وفي هذا الموقف يضع الرسول أمامهم السيد نفسه مثلاً لهم : إنه تألم من أجل الخطايا ، تألم البار من أجل الأئمة وبواسطتهم . . . أماتوه جسدياً ، ولكن الله لم يتركه هكذا بل أقامه أمام الجميع ورفع وأعطاه اسماً فوق كل اسم (٣ : ١٨) . وهكذا كما تألم المسيح بالجسد لناخذ مثلاً لنا (١٤ : ١) .

وهنا يذكر الرسول بعض الآيات الغامضة الصعبة (٣ : ١٩ و ٢٠) . ويلوح أن الرسول بطرس كان يعتقد — كما كان ذلك موجوداً في اليهودية ، أن سبب خطية الناس في العهد القديم هو الأرواح الشريرة بانين عقيدتهم

هذه على ما ورد في تكوين ٦ : ١ - ٤ . هؤلاء الذين عصوا ودفعوا الناس إلى العصيان لم يتركهم السيد بل كرز لهم أيضاً لعلهم يرجعون (٢ بطرس ٢ : ٤ ، يهوذا ٦) . ولكن كما خلص نوح وأسرته في وسط الهلاك العظيم هكذا نخلصنا نحن من الضيقات المريرة المظلمة .

فجأة يقول الرسول « أيها الأحياء لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم جاذبة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب » (٤ : ١٢) فهل يعنى هذا أن الرسول وهو يكتب هذه الرسالة وصله خبراً أن الاضطهاد المير الذي أحدثه نيرون قد بدأ ؟ على كل حال من كل ما يكتبه بعد ذلك نجد أن الاضطهادات لم تكن لأجل مسيحيهم فقط بل لأنهم في أعمالهم الحسنة يقلقون العالم . . وأن الشيطان يفتح عينه « كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو » . . ويحثهم على أن يقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين في العالم » (٥ : ٨ و ٩) . هل يمكن أن نقول إن ١ : ١ - ٤ : ١١ كتبها الرسول وهو يعلم أن اضطهاداً آتياً ، ثم بعد ذلك كتب بقية الرسالة عندما عرف أن الاضطهاد قد بدأ ؟ هذا ما لا يمكن أن نجزم به غير أن اللغة التي أمامنا تظهر ذلك .

ففي ٣ : ١٤ يقول « إن تألمتم . . » وفي ٣ : ١٧ يقول « لأن تألمكم إن شاءت مشيئة الله . . . » أما في ٤ : ١٤ نترجم « نحن نعرف أنكم تعيرون « إن عبرتم » . (٤ : ١٦) « ولكن إن كان كمسيحي . . » أى أنه يتألم الآن كمسيحي . .

إن هذه الآلام هي فرصة لتمجيد الله . . هي فرصة لإظهار الكهنوت المقدس . . الشعب الذي يطيع الله وحده . . .

رسالة بطرس الرسول الثانية

هذه الرسالة الثانية التي تنسب إلى الرسول بطرس واجهت من المعارضة ما لم يواجهه أى سفر آخر في العهد الجديد، فنادرًا ما يظهر دارس روتستانتى يوافق على نسبتها للرسول . . ولكن قبل الخوض في هذه الدراسة لنبحث عن تاريخها في الكنيسة لأنه يعطى نوراً أوضح بالنسبة لهذه القضية .

تاريخ الرسالة :

لا تظهر في القرنين الأول والثاني أية آثار لاقتباسات منها في أى من كتب آباء ذلك العصر ، سوى في كتابين مرفوضين ومنسوبين أيضاً إلى الرسول بطرس وهما « أعمال بطرس » ثم « رؤيا بطرس » الأول يكتب في سنة ٢٠٠ م والثاني ظهر في النصف الأول من القرن الثاني .

أما الشخص الأول الذي اقتبس منها وسماها باسمها فهو أوريجانوس المصرى . . ومع ذلك أعلن أن كثيراً من المسيحيين لا يقبلونها . ولهذا فلم تقبلها كنيسة الاسكندرية ككتاب قانونى إلا حوالى سنة ٢٠٠ م . وقيل إن أكليمندس الاسكندرى كتب تفسيراً لها ولكن لم يعثر له على أثر .

أما يوسابيوس فيضعها في قائمة الكتب المشكوك فيها ، ورأيه الشخصى أنها ليست من ضمن كتابات الرسول بطرس .

ورفضتها كذلك مدرسة أنطاكية والقسطنطينية ، واستمر الحال كذلك إلى سنة ٤٠٠ م ولكن ذلك كان موقفهم تجاه كل الرسائل الجامعة .

أما المدرسة الغربية فلم تعتبرها قانونية إلا حوالى سنة ٣٦٠ م . ولهذا السبب لا تظهر في قائمة الموراتورى ولا يشير إليها إيريناوس ولا برتليان ولا كبريانوس .

من هذا كله يتضح أن تاريخها الكنسي ضعيف ولا يشجع الدارسين على قبول نسبتها إلى الرسول بطرس ، وبدلاً من ذلك فإنهم يتجهون اتجاهها قوياً إلى اعتبارها رسالة كتبها شخص غير معروف ، نسبها إلى الرسول العظيم . وكان هذا الأمر شائعاً في ذلك العصر ولم يكن هناك من يعترض عليه .

هل هناك صلة بين الرسالة والرسول بطرس :

هناك ثلاث إجابات على هذا السؤال :

١- الجواب الأول يخرج من جماعة المحافظين جداً في البروتستانتية ومن دائرة واسعة من علماء الكنيسة الكاثوليكية ، وهؤلاء كلهم يؤكدون أن الرسول بطرس هو الذي كتب هذه الرسالة ويؤيدون رأيهم بمجموعة من الأدلة منها :

(أ) الشهادة الخارجية - أي شهادة الكنيسة الأولى أنها ليست جازمة في نبي نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس . ومن أهم هذه الشهادات شهادة أوريجانوس (٢٢٠ م) التي يعلن فيها أن بعض الناس يشكون في صحة نسبتها إلى الرسول ولكنه هو لم يؤيد ولم ينف هذا الشك ، لأنه لم يقطع برأيه .

(ب) الإشارات الشخصية التي تمتلئ بها الرسالة هي أقوى دليل على أن كاتبها هو الرسول بطرس . ففي مقدمتها يذكر الكاتب اسمه ويعتبر نفسه عبداً ليسوع المسيح ورسوله (١ : ١) . ويؤكد أنه كان حاضراً وشاهداً لحمد المسيح على جبل التجلي وقد سمع الصوت السماوي الذي جاء من السماء . (١ : ١٦) ، ثم يذكر أن هذه الرسالة هي الرسالة الثانية التي يكتبها لهم ، مشيراً بذلك إلى رسالته الأولى (٣ : ١) . وأخيراً ينسب لنفسه أرفع المراكز في الكنيسة - وهو مركز الرسولية . وبهذا المنطق يتكلم عن الرسول بولس

على أنه « أخونا الحبيب » (٣ : ١) ويدافع عن رسائله ويوبخ الكثيرين الذين يسيئون فهمها .

(ح) الفرق الشاسع بين هذه الرسالة وبين الكتب الأخرى التي نسبت إلى الرسول مثل « أعمال بطرس » و « إنجيل بطرس » و « رؤيا بطرس » وغيرها في الأسلوب والروح المسيحية والمعلومات المطابقة للأناجيل والتقليد الكنسي الأول ، مما يدل على أن كاتبها لم يكن بعيداً عن الأحداث ، ولهذا السبب وجدت قبولا ضخماً من الكنيسة حتى وإن كان قد جاء متأخراً . هذا الفرق وهذا القبول الكنسي وضمها إلى الكتب القانونية يؤيد الشهادة أن كاتبها هو الرسول بطرس .

٢ - أما الجواب الثاني فيجئ من الغالبية العظمى من العلماء البروتستانت وبعض من علماء الكاثوليك : ويتلخص في أن هذه الرسالة لا صلة لها بالرسول بطرس ، ولكن كاتبها شخص آخر غير معروف جاء في وقت لاحق بعد موت الرسول ، ولذلك لم يكتب اسمه عليها بل نسبها إلى نفسه ، وهذا - كما سبق ذكره - إجراء كان شائعاً في تلك العصور ولم تكن هناك غضاضة عليه . ويبنى هؤلاء العلماء رأيهم على الشواهد التالية :

(أ) الإشارات المتعددة التي يذكر فيها الكاتب أنه هو سمعان بطرس ويعدد بعض الحوادث التي حدثت في حياة الرسول ، ليست شهادة لصحة نسب الرسالة إلى الرسول بطرس بل على العكس من ذلك دليل قوي على أن كاتبها شخص آخر جاء متأخراً عن عصر الرسول ونسب هذه الرسالة إليه . إنه يحاول جاهداً ، عن طريق ذكر هذه الإشارات ، أن يدفع القارئ إلى تصديق زعمه هذا . ولم يكن هذا الكاتب وحيداً في ذلك بل كانت تلك هي العادة المتبعة عندما يكتب آخر كتاباً وينسبها إلى شخص عظيم سبقه في الوقت .

(ب) هناك سبب آخر يبنون عليه رفضهم نسبة هذه الرسالة إلى الرسول بطرس وهو صلة هذه الرسالة برسالة يهوذا . فمن يقرأ هذه الرسالة يجدها تحتوي على غالبية رسالة يهوذا ، خصوصاً الأصحاح الثاني . فمن بين أعداد رسالة يهوذا الخمسة والعشرين توجد ١٩ عدداً في الأصحاح الثاني من رسالة بطرس ، بنفس الفكرة ونفس الترتيب . ومعظم الألفاظ المستخدمة . وهذا لا يقتصر على الأصحاح الثاني فقط بل يتعداه إلى الأصحاح الأول والثالث اللذين يشتركان مع رسالة يهوذا في بعض الأفكار والعبارات . هذا كله يقطع بأن إحدى الرسالتين تعتمد كثيراً على الأخرى . فهل نظن أن يهوذا اقتطع الأصحاح الثاني من رسالة بطرس وبنى عليه رسالته هذه ، أم أن العكس هو الذي حدث ؟ أن الرأي السائد بين العلماء هو أن رسالة يهوذا كانت سابقة على رسالة بطرس الثانية وأن هذه الأخيرة احتوت على رسالة يهوذا مع بعض الحقائق الأخرى التي تعتبر أساسية في رسالة بطرس ، فقد كتبت أصلاً لكي تعالج الرفض والارتباك الذي اتصل بمجيء الرب الثاني وتأخيرته إلى ذلك الوقت ، فداها إذن أوسع من رسالة يهوذا مما يرجح أنها كتبت بعدها ، فليس من المعقول أن يأخذ يهوذا الأصحاح الثاني ويقتطعه من رسالة بطرس الثانية ويعمل منه رسالة قائمة بذاتها . . وعلى هذا فلا مفر من الاعتقاد بأن رسالة بطرس الثانية كتبت في عصر متأخر عن العصر الذي استشهد فيه الرسول بطرس ولا يمكن نسبتها إليه .

(ج) أما السبب الثالث لرفض نسبة الرسالة إلى الرسول بطرس فهو موضوع الرسالة نفسه . سبق أن ذكرنا أن هذه الرسالة كتبت أساساً لتحارب الإنكار الذي أعلنه جماعة من الكنيسة ضد مجيء السيد الثاني ، ولعل ما أورده الراضون من حديث يبين الوقت الذي يرجح أن الرسالة كتبت فيه: فيم يقولون « أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من

بدء الخليفة « (٣ : ٤) . هذا النوع من الرفض لم يظهر في مكان آخر في العهد الجديد ، ولا يمكن أن يكون قد ظهر قبل خراب أورشليم سنة ٧٠ م . إذ من المحتمل جداً أن يكون خراب أورشليم وعدم مجيء المسيح في ذلك العصر سبباً قوياً لهذا الإنكار . ولا يوجد في الكتابات المسيحية المبكرة ما يعكس هذا الإنكار أو يحاربه سوى رسالة أكليمندس الروماني ، ويذكر عبارة قد تكون اقتباساً من هذه الرسالة أو قد يكون ترديداً لقول شائع يذكره الاثنان دون أن يقتبس أحدهما من الآخر . تقول رسالة أكليمندس « لقد سمعنا هذا حتى من أيام آبائنا وها نحن قد تقدمنا في الأيام ولكن شيئاً من هذا لم يحدث » . والمقصود بالآباء سواء في هذه الرسالة أو في رسالة بطرس (٣ : ٤) المسيحيين من الجيل الأول ، الذين رقدوا منذ مدة طويلة . وهنا يلاحظ أن التلاميذ لم يطلق عليهم لقب الآباء إلا بعد مدة طويلة من انتقالهم . وهكذا يرى الدارس إنكاراً واضحاً للمجيء الثاني نظراً لمرور وقت طويل دون أن يحدث شيء . هذا بينما يظهر في الرسالة الأولى نوع من الانتظار والتطلع إلى هذا الحادث المرتقب دون أن يحظر على بال أحد من الكنيسة هذا الإنكار الواضح الذي يظهر في الرسالة الثانية ، وهنا يحق التساؤل : هل يعقل أن يحدث هذا التغيير الجذري ، من الانتظار الواثق إلى الإنكار الشديد في مدة وجيزة كهذه ، التي تفصل بين كتابة الرسالة الأولى (٦٤ م) وبين استشهاد الرسول بطرس . هذا يدل على أن هذه الرسالة كتبت متأخراً عن ذلك الوقت .

(د) هناك سبب رابع وهو الاختلاف الكبير بين رسالتي بطرس الأولى والثانية ، مما يقطع أن كاتب الاثنتين ليس واحداً . ومن هذه الاختلافات نذكر الآتي :

١ - اختلاف الكلمات : كلمات الرسالة الأولى ٤٦٩ كلمة أما الرسالة الثانية فكلماتها ٣٣٠ ولكن لا تشترك الرسالتان إلا في ١٠٠ كلمة أي أقل من سبع عدد الكلمات . وإلى جانب ذلك فالرسالتان كثيراً ما تعبران عن المعنى الواحد بكلمتين مختلفتين : فمثلاً كلمة الشاهد (١ بطرس ٥ : ١) وكلمة يعانين (٢ بطرس ١ : ١٦) يعنيان شيئاً واحداً مع اختلاف الكلمتين ، وكذلك كلمة عبرة أو مثال (١ بطرس ٢ : ٢١ ، ٢ بطرس ٢ : ٦) وغير ذلك (ومن الأور الطيبة أن الترجمة العربية تضع لكل كلمة ترجمة مختلفة كما في الأصل) .

والرسالتان تختلفان أيضاً في عدد الاقتباسات من العهد القديم . فبينما تقتبس الرسالة الأولى ٣١ اقتباساً ، لا يظهر في الرسالة الثانية سوى ٥ اقتباسات والعجيب أن الفلك يظهر في الرسالتين ولكن في معنيين مختلفين : ففي الرسالة الأولى يرمز إلى المعمودية (١ بطرس ٣ : ٢١ و ٢٢) أما في الثانية فيعني الطوفان والموت (٢ بطرس ٢ : ٥ ، ٣ : ٥ - ٧) ، وتختلف الرسالتان أيضاً في العمق اللاهوتي وخصوصاً فيما يختص بعقيدة المسيح . فالرسالة الأولى أكثر عمقاً من الثانية ، فبينما تقدمه هذه الأخيرة كموضوع الإيمان فقط ، تقدمه الرسالة الأولى مثلاً للحياة المسيحية بكيفية يصبح معها المركز الحقيقي لهذه الرسالة والعنصر الحقيقي الذي يربطها من الأول إلى الآخر :

أما الاختلاف الهام بين الرسالتين فيتمثل في موقف كل منهما من الحجب الثاني للمسيح : وهذا يظهر في استخدام لفظين مختلفين لتعبران عن نفس الحقيقة ، فالأولى تستخدم كلمة « استعلان » A Poka Lupsis (١ و ٧ : ١٣) ، الثانية فنستخدم كلمة « مجيء » Parousia (٢ بطرس ١ : ٤ : ١٣) . وكذلك في نظرتهما إلى تحقيق هذا الحادث ، ففي

الرسالة الأولى ترقب للمجيء بين ساعة وأخرى (١ بطرس ٤ : ٧ و ١٧ ، ٥ : ٤) أما الثانية فتهاجم موقف الإنكار المتفشي بين جماعات كنسية لأن المجيء قد تأخر ، وتعزو هذا التأخير إلى طول أناة الله (٢ بطرس ٣ : ٨ و ٩) ، وأخيراً تختلف الرسالتان في تفسير معنى المجيء الثاني ، فبينما تراه الأولى مجيء الدينونة والمجازاة (١ بطرس ٤ : ٥ و ١٧) ، فيه يهب الرب للمؤمنين فرحاً أبدياً ومجيداً (١ : ٧ - ٩ ، ٤ : ١٣ ، ٥ : ٤ و ١٠) ، تراه الرسالة الثانية حدثاً عالمياً تصاحبه كارثة كونية تحترق فيه العناصر وتتحل وتلدوب ، وهذه فكرة لا مثيل لها في التفكير المسيحي الأول (٢ بطرس ٣ : ٧ ، ١٠ - ١٤) .

هذه هي أهم الاختلافات التي تظهر بين الرسالتين وهي التي دفعت بالكثيرين من العلماء أن ينكروا وحدة المؤلف لهما لأن وراء كل منهما - كما يقولون - عقلية تختلف عن الأخرى . أما جيروم فإنه يقبل هذه الاختلافات ولكنه يرى أساسها ليس في اختلاف المؤلف بل في اختلاف القراء .

(هـ) الدليل الأخير على التردد في قبول نسبة هذه الرسالة إلى بطرس الرسول هو إشارتها إلى رسائل « الأخ الحبيب بولس » في معرض إشارة الكاتب إلى المجيء الثاني . وهذا الأمر يدل على أن هذا الكاتب كان يعرف مجموعة هذه الرسائل التي لم تظهر معاً إلا في وقت متأخر من القرن الأول . وهذا دليل على أن الرسول بطرس لم يكن حاضراً وقت كتابة هذه الرسالة ، لأنه كان قد رقد قبل ذلك بوقت طويل .

بناء على هذه الشواهد القوية اتجه رأى قوى جداً في المسيحية إلى اعتبار الرسالة الثانية ، المتسوبة إلى الرسول بطرس رسالة كتبها شخص آخر ونسبها إلى الرسول حتى يمكن قبولها في الكنيسة كلها ، ولم يكن ذلك التصرف معيباً في عصره .

٣ - وهناك جواب ثالث يقف بين الاثنين السابقين ، لجماعة لا تريد أن تستهين بما هو موجود في الرسالة من شهادة قوية وتصريحات لا يمكن أن تتؤخذ بأي حذر على أن كاتبها هو الرسول بطرس وفي نفس الوقت تعترف بوجاهة الاعتراضات التي توجه إلى هذه الرسالة ، كما سبق ذكر كل ذلك ، فاعتبرت أن كاتب هذه الرسالة شخص آخر غير الرسول بطرس . لكنها بنيت على أقوال الرسول . وغالباً كان الكاتب تلميذاً له سمعة وتعلم منه ، مثله في ذلك مثل مرقس الإنجيلي ، وكتب هذه الرسالة مستخدماً تعاليم الرسول ووصيته وذلك بعد أن استشهد الرسول بوقت كاف يفسر ما في الرسالة من شواهد تدل على تأخر وقت كتابتها . هذا الرأي لا يتمسك به الكثيرون لأنه يتفق والرأي الثاني وهو أن كاتبها نسبها إلى الرسول .

هذه هي الآراء الثلاثة بالنسبة لصلة الرسالة إلى الرسول بطرس .

مكان وزمان الكتابة :

يتوقف الجزم في هذين الأمرين على موقف الدارس من شخصية المؤلف ، فإذا كان يتمسك بالرأي الأول وهو أن كاتب الرسالة هو الرسول بطرس ، فيكون من السهل تحديد مكان كتابة الرسالة وهو روما ، وزمانها قبل استشهاده بوقت قصير (١ : ١٤) .

أما إذا كان يعتقد بأن الكاتب شخص آخر ، سواء أكان تلميذاً مباشراً للرسول أو لم يكن ، فن الصعوبة بمكان تحديد الزمان والمكان حيث كتبت هذه الرسالة . ويعتقد بعض علماء الكاثوليك أنها كتبت سنة ٨٠ م لأن إنكار الحجى الثاني لم يظهر إلا بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م . أما علماء البروتستانت فإنهم يبنون تكهناتهم على جمع رسائل الرسول بولس وعلى تقنين أسفار

الكتاب المقدس وعلى صفة الجماعة التي تحاربها الرسالة ، ويعطون تاريخاً يتراوح ما بين ١٢٠ - ١٨٠ م وهذا أمر مبالغ فيه جداً .

مضمون الرسالة :

ما هي رسالة هذه الرسالة ؟ وما هو مضمونها ؟ وماذا يريد أن يقول كاتبها ؟

(أ) هذه الرسالة هي رسالة وداع ، فيها يعلن الكاتب قرب نهاية حياته الأرضية فيقول « عالماً أن خلع مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً (١ : ٤) . ولهذا فهي شهادة الرسول الأخيرة . وبهذه الكيفية فهي إحدى النموذج خاص من الخطابات أو الرسائل يظهر كثيراً في الكتاب المقدس : ولعل أهم خطاب وداع ذكره العهد الجديد هو خطاب السيد لتلاميذه قبل ساعات من صلبه كما يظهر في إنجيل يوحنا (يوحنا ١٤ - ١٦) . وهناك أيضاً خطاب الرسول بولس لشيخ كنيسة أفسس (أعمال ٢٠ : ١٧ - ٣٥) وكذلك رسالته الثانية إلى تيموثاوس . والعهد القديم يحتوي أيضاً على الكثير من هذه الخطابات : كخطاب يعقوب أبي الأسباط لأولاده (تكوين ٤٩) ، وخطاب موسى النهائي عندما دنت اللحظة الأخيرة (تثنية ٣١ - ٣٣) وغير ذلك كثير ، هذا النموذج من الكتابات أو الخطابات يتميز بعدة مواصفات تجعل منها أسلوباً خاصاً موحداً سواء أكان كتابة أو كلاماً . فهي تتكون عادة من أربعة عناصر : الإنباء عن الموت أو الفراق القريب الذي يعرفه الكاتب عن طريق إعلان سماوي أو شواهد قاطعة يراها أمامه .

(ب) يذكر الشخص المودع بعضاً من الحوادث والذكريات الماضية .
تربط بينه وبين من يودعهم .

(ح) نبوة عما سيحدث في المستقبل ، وغالباً ما يتنبأ عن أيام صعبة تقريبة المحيى وضلالات ضد إيمانهم ومعتقداتهم .

(د) حث السامعين أو المكتوب إليهم أن يثبتوا في الإيمان وأن يعيشوا حياة تليق بدعوتهم .

هذه العناصر الأربعة نجدها في هذه الرسالة . فهي تذكر أن الرسول يتنبأ بموته كما أعلن له السيد (١ : ١٣ - ١٥) . وهو يذكر الأيام السالفة التي فيها كان مع السيد ورأى مجده (١ : ١٦ - ١٨) . ثم تنبأ بالأيام الصعبة القاسية ودخول الضلالات والمضلين (ص ٢ ، ٣ : ٣ - ٧) . وأخيراً حث المكتوب إليهم أن يعيشوا بالإخلاص وفي الفضيلة (١ : ١ - ١٢ ، ٣ : ١١ - ١٨) . سواء أكان الكاتب هو الرسول بطرس أم أنها شهادة الرسول جمعها واحد أو مجموعة من تلاميذه الذين سمعوا منه ودونوها بعد موته ، لكنها هي شهادة حقيقية لواحد له سلطان رسول يهتم بالرعية وبالكنيسة في حياته فيقول « ولكني أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة » (١ : ١٣) . وليس ذلك فقط بل حتى بعد فراقه لهم سيكون قد عمل عملاً يساعدهم على الثبات وتذكر هذه الأمور فيقول « فأجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتمذكرون كل حين بهذه الأمور » (١ : ١٥) . ويقول بعض الدارسين إن الإشارة هنا بالأخص إلى إنجيل مرقس ، كان الرسول يقول لهم إنه سيرى أن هذه الأمور كلها ستوضع لهم مكتوبة لكي يتذكروها على الدوام ، فهو بعد ذلك يذكر بعض الحوادث في حياة المسيح المحيية على الأرض .

٢ - يقول السيد في إنجيل لوقا « وكما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان . . . كذلك أيضاً كما كان في أيام لوط . . » (لوقا ١٧ : ٢٦ - ٢٨) . هذان الشاهدان نوح ولوط يظهران في الرسالة في

الإصحاح الثاني (٢ : ٥ - ٨) ثم يردف ذلك بقوله « يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأئمة إلى يوم الدين معاقبين » (٢ : ٩) . فهل كان قصد الكاتب أن يذكر العالم بالعناية والتدبير الفائق للذين يصنعون البر والذين يؤمنون ، ثم يدينونته القاسية على هؤلاء الفجار والعالم الشرير الذي يعيش فيه هؤلاء القديسون متألمين من كثرة ما يرون ويسمعون من الفساد . هذا ما يظهر في هذه الأعداد وغالباً ما كان يضعه الكاتب أمام القديسين في عصره .

ولكن المتأمل في الرسالة كلها يرى فيها نوعاً من التفسير اللاهوتي للتاريخ الذي يسير لا بحسب أهواء الناس وصرعاتهم بل بحسب تدبير عناية كبرى وراءه . ولذلك يقسم الكاتب الناس إلى قسمين متمايزين : جماعة هم لله ، وجماعة الأشرار الذين يعيشون في العصيان والشر . ومع أن الجماعتين تعيشان معاً في عالم واحد ، وتحت ظروف واحدة لكن الاثنتين تختلفان اختلافاً كلياً . فالذين هم لله يميزهم بأمرين هاميين : الأول سلبي ، فيقول عنهم « هارين من الفساد » (١ : ٤ ، ٢ : ١٨ و ٢٠) . والأمر الثاني إيجابي فقد « وهب لنا المواعيد العظمى والثمينه لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية . . . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (١ : ٤ و ١١ ، أنظر ٣ : ١٣) . هؤلاء هم القديسون وفي مقابلهم يقف أولئك الضالون المضلون الذين يتكلم عنهم بشدة في الأصحاحين الثاني والثالث .

وبحسب تفسير الكاتب أيضاً ينقسم التاريخ إلى ثلاثة أقسام : ما قبل نوح ويسميه « العالم القديم » (٢ : ٥ ، ٣ : ٦) ثم من بعد نوح إلى مجيء المسيح الثاني ويسميه « السموات والأرض الكائنة الآن » (٣ : ٧) ، ثم ما بعد المجيء الثاني ويسميه « الملكوت الأبدى » أو السموات الجديدة والأرض

٧٥٣

(م ٤٨ - المدخل الى العهد الجديد)

الجديدة التي يسكن فيها البر « (١ : ١١ ، ٣ : ١٣) . وفي هذا المجال فهو يسمى نوحاً « نوحاً الثامن » (٢ : ٥) . والثامن معناه ، في المفهوم اليهودي وكذلك المسيحيين الأوائل ، بدء حياة جديدة ، فالسبعة هي عدد الكمال ، والثامن بدء شيء جديد . وبهذا المعنى كان يوم الأحد في المفهوم المسيحي هو يوم ابتداء الخليقة الجديدة إذ يتبع اليوم السابع أي يوم السبت . وهكذا كان نوح بدءاً لعهد جديد . وكما كان نوح ينتظر يوم الخلاص من وسط عالم شرير وفاسق ، هكذا أيضاً المسيحيون الذين يعيشون في « السموات والأرض الكائنة الآن » ينتظرون الخلاص من هذا العالم الذي هربوا منه في يوم يشابه يوم نوح عندما أهلك الله العالم ، ولكن في هذه المرة ليس بالطوفان بل بالنار كما فعل أيام لوط . إنه يوم يطلق عليه « يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها » (٣ : ١٢ أنظر ٣ : ٧) .

٣- ولقد لاحظ الدارسون غرابة هذا التقسيم ، فإن الكاتب يقسم التاريخ على أساس تغييرات جذرية ملحوظة وملموسة في العالم مثل غرقه بالطوفان في أيام نوح ، ثم انحلال العناصر محترقة في مجيء المسيح الثاني . بينما يقسم المسيحيون التاريخ على أساس التغييرات الروحية التي يعرفونها بالإيمان : فالعهد الجديد يرى التاريخ يتركز في نقطة حاسمة هي الفاصل النهائي فيه وهي التجسد كما يسميه الرسول بولس « ملء الزمان » (غلاطية ٤ : ٤) . أما هنا فالأمر يختلف . فلماذا ؟ السبب الأساسي الذي جعل الرسول يفعل ذلك هو المواجهة مع جماعة لا يعترفون إلا بالمظاهر الخارجية . والشئ المعروف هو أن الذين بدأوا المواجهة كانوا اليهود الذين كانوا يعبرون المسيحيين والذين كانوا يدعون أن لهم « المواعيد العظمى والثمينة » . إنه لا يوجد أي تغير ملموس .

في العالم « لأنه من حين رقد الآباء فكل شيء باق هكذا من بدء الخليقة »
(٣ : ٤) . إن المسيا - على زعم اليهود - لا بد وأن يعمل تغييرات هائلة
وجذرية في العالم ، ففي عهده سيسكن الذئب مع الحمل ، بل وسوف تنبت
الصحراء وتزهر ، فاذا فعل يسوع الناصري ، الذي يزعم أتباعه أنه المسيا ؟
لم يفعل شيئاً فالحالة كما هي من أيام إبراهيم وإسحق ويعقوب . .

على أن المواجهة - بمرور الأيام - تغير رجالها فأصبحوا من داخل
الكنيسة نفسها لا من خارجها ، وبدلاً من أن يتخذوا مجيئ السيد في الجسد
هدفاً لهجومهم اتخذوا وعده بالمجيئ الثاني هدفاً لذلك الهجوم . ويقولون إن
الكنيسة منذ بدء ظهورها كانت تنتظر المجيئ السريع للسيد ، ولكن أين هو
موعد مجيئه ؟ منذ أن رقد الجيل الأول في الكنيسة كل شيء باق كما هو ،
الطبيعة لم تتغير والتاريخ لم ينته . . والمسيح لم يأت ولن يحدث شيء .

هذه المواجهة باقية أيضاً إلى الآن . . إنها تفرض في وجه المؤمنين
الذين يتمسكون بمواعيد الرب الثمينة الذين ينتظرون سماء جديدة وأرضاً
جديدة . . ولكن أين هي ؟ إن كل شيء باق كما هو من يوم أن بدأت
الخليقة . . فاذا حدث ؟ . . أين الله ؟ إن هذه الرسالة تكلم كل عصر وكل
جيل .

٤ - ولكن الرسالة لا تترك العصر الحاضر بدون آية أو علامة ، فهناك
العلامة العظمى التي رآها الرسول بعينه وهي حادثة التجلي . هذه الحادثة
هي البرهان الأعظم على « أننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا
يسوع المسيح ومجيبته بل قد كنا معانين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة
ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من الجسد الأسنى هذا هو ابني الحبيب الذي
أنا سررت به ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل

المقدس » (١ : ١٦ - ١٨) . في هذه الحادثة يرى يسوع يملك ويتوج بالجد والبهاء فتحقق القول الوارد في مزمور ٢ وخاصة قوله « أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي » (مزمور ٢ : ٦) . وهذا هو السبب الذي من أجله يصف الرسول جبل التجلي « بالجبل المقدس » لأن عليه توج المسيح . وحادثة التجلي أيضاً تعطى العربون والإشارة الواضحة إلى معنى امتيازات المؤمنين في « القدرة الإلهية » (١ : ٣) . والمشاركة في الطبيعة الإلهية (١ : ٤) وفي الدخول في الملكوت الأبدي (١ : ١١) .

هذه الحادثة لا تقنع أولئك الناكرين المتحدين ، وهذا أمر ليس بغريب لأنهم لم يصدقوا لآل نوح ولا لوط إلى أن جاءهم الهلاك . ولكن لها تأثير آخر مع المؤمنين : فالرسول يحث المؤمنين لأجل هذه المواعيد العظيمة والثمينة التي جسمتها لهم وجعلتها في موضع اليقين حادثة تجلي السيد ، أن يبذلوا « كل اجتهاد قدموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة وفي المعرفة تعفناً وفي التعفف صبراً وفي الصبر تقوى وفي التقوى مودة أخوية وفي المودة الأخوية محبة » (١ : ٥ - ٧) . هذه القائمة التي تتوج بالحبة هي الحياة التي تليق بالدعوة الإلهية للمؤمنين . وهذه أيضاً شهادة الرسول بطرس التي ينبر عليها ويذكرهم مراراً وتكراراً بهذه الأمور (١ : ٨ و ٩ - ١٢ و ١٥) .

٥ - بقي هناك سؤال واحد يجابه الدارس في هذه الرسالة وهو : هل يمكن أن نحدد شخصية هؤلاء المنكرين الذين يصفهم الرسول بأشد الأوصاف في الأصحاح الثاني والثالث ؟ للإجابة على هذا السؤال يجب أن نحدد خطاياهم وأعمالهم الشريرة ، وهذه يمكن تلخيصها في الأمور التالية :

(أ) المعلمون الكذبة ينادون بالإباحية وهم أنفسهم إباحيون (٢ بطرس ٢ : ٢ و ١٣ و ١٤ و ١٩) .

(ب) إنهم مدعون مملؤون بالكبرياء يظنون أنهم يستطيعون أن يفعلوا شيئاً (٢ بطرس ١٨ : ٢) .

(ج) إنهم طماعون يجرون وراء المكاسب (٢ : ١٤ و ١٥) .

(د) يجدفون على ذوى الأجداد والملائكة (٢ : ١٠ و ١١) .

(هـ) قد وضعوا للهلاك (٢ : ١ و ٣ : ٩ و ١٢) .

هنا يتضح أن مشكلتهم الكبرى هي مشكلة أخلاقية ولم يتضح فيها أى أمر عقائدى إلا إنكار مجيئ الرب يسوع المسيح ورفضهم لهذه العقيدة . أما ما بقى من شرهم فهو سلوكى وحياة دنسة ومنجسة ومتكبرة ، ولقد حاول كثير من العلماء أن يحددوا هوية هذه المرطقة الأخلاقية وظن كثير من العلماء أنهم أتباع سيمون الساحر الذى وجدته بطرس فى السامرة ووبخه بشدة لأنه أراد أن يشتري الموهبة بدراهم ، وقد وبخه الرسول بطرس توبيخاً شديداً وقيل إنه ضل فى حياة شريرة مع أتباعه .

على كل حال هم جماعة شريرة تستمر فى شرها إلى أن يفاجئهم مجيئ الرب الذى أنكره وسوف يأتى عليهم الهلاك بغتة .

هذه هي شهادة الرسول بطرس ومن يدرى هل كتبها هو أو كتبها شخص كان تلميذاً له ؟ سواء أكان هذا أم ذلك فإن هذه هي شهادة بطرس الرسول .

رسالة يهوذا

هذه الرسالة الصغيرة لها موقف مع الكنيسة الأولى أقوى من رسالة بطرس الرسول الثانية . فى سنة ٢٠٠ م كانت واحداً من الكتب القانونية فى العهد الجديد . فقد قبلتها الكنيسة الغربية ولذلك ظهرت فى قائمة الموراتورى

ومن الآباء ترتليان . ثم قبلتها مدرسة الاسكندرية أكليمندس وأوريجانوس وإلى جانب ذلك فقد قبلها كيرلس الأورشليمي ويوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير ، ووضعت في الكتب القانونية . ومع ذلك فقد شهد علماء الاسكندرية ويوسابيوس أن هناك دوائر كنسية وضعت هذه الرسالة في قائمة الكتب المشكوك في صحتها ، ولعلمهم يقصدون بذلك علماء كنيسة أنطاكية الذين لم يقبلوا أربعة رسائل صغيرة (يهوذا ، يوحنا الثانية والثالثة وبطرس الثانية) وجعلوها في قائمة المشكوك فيها حتى سنة ٤٠٠ م حين قبلتها الكنيسة العامة .

مؤلف الرسالة :

يذكر المؤلف عن نفسه أنه «يهوذا عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب» (١). وهو يبنى سلطته على أنه أخو يعقوب ، فلا بد أن يعقوب هذا كان شخصياً صاحب مركز سام في الكنيسة ، وغالباً هو يعقوب أخو الرب وأسقف أورشليم وأحد الأعمدة العظمى في الكنيسة (غلاطية ١ : ١٩ ، ٢ : ٩ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٧) ، وبذلك يكون يهوذا أيضاً أخاً للرب في الجسد . أما لقبه الأول « عبد يسوع المسيح » فيشير إلى أن يهوذا لم يكن يحسب نفسه واحداً من الرسل الأوائل ، ويؤيد ذلك قوله « وأما أنتم أيها الأحباء فاذكروا الأقوال التي قالها سابقاً رسل ربنا يسوع المسيح » (ع ١٧٤) . ولقد ذكر اسم يهوذا على أنه واحد من إخوة الرب في مرقس ٦ : ٣ . ولكن الكاتب لم يحاول أن يستثمر هذا الشرف العظيم لنفسه بل اكتفى بقوله إنه « عبد يسوع المسيح » .

ولعل ما يؤكد أنه هو يهوذا أخو الرب وأن الرسالة هي حقاً رسالته وليست رسالة شخص آخر كتبها في زمن متأخر ووضع عليها اسم يهوذا ، هو أن الكاتب لم يذكر صلة النسب بالرب هذه ، ولم يحاول أن يستغل بعضاً

من الحوادث لكي يعطى للقراء الانطباع الجاد بأنه يهوذا أخو الرب . زد على ذلك أن الكاتب الذي يريد أن يجعل لكتابه شهرة واسعة كان لا بد له وأن يختار اسماً معروفاً له رنة عالية في الكنيسة مما لا نجده في اسم يهوذا الذي يعرف نفسه بأنه أخو يعقوب .

ومع ذلك فقد أنكر كثير من العلماء نسبة هذه الرسالة ليهوذا أخي يعقوب يزعم أنها تعكس جواً وزمناً لا يتفق والزمن الذي عاش فيه يهوذا هذا . فالرسالة تحارب نوعاً من الغنوسية التي ظهرت متأخراً عن ذلك العصر الأول . ولكن هذا لا يمثل الحقيقة فالرسالة تحارب جماعة خاصة ظهرت في الكنيسة وليست تياراً غنوسياً عاماً .

لمن كتبت الرسالة :

مقدمة الرسالة تبين أنها كتبت إلى جماعة غير محددة ، فالعبارة العامة « إلى المدعوين المقدسين في الله الآب والمحفوظين ليسوع المسيح » (١) لا تشير إلى جماعة بعينها بل كأنها لكل المؤمنين وحتى نهاية الرسالة لا تظهر كأنها نهاية رسالة . ومع ذلك فلا يمكن أن تكون قد وجهت إلى كل الكنيسة بل إلى مجموعة من الجماعات الكنسية . ويعتقد كل العلماء تقريباً أن قراءها كانوا من المسيحيين من أصل يهودي نظراً لأن الاقتباسات جاءت من العهد القديم ومن الكتب اليهودية الغير قانونية ، هذه لا يفهمها ولا يقتبس منها إلا اليهود ، ولو وجهت إلى أمم فإنهم لا يعرفونها ولا تساءلهم على فهم مضمون الرسالة .

ولكن هناك قليل من العلماء من يعارضون هذا الرأي العام ، ويقولون إن مجموعة الخطايا التي تظهر في الرسالة ، والموقف الذي يدينه الكاتب لا يمكن أن يكون موقف يهود ولا مسيحيين من أصل يهودي ، بل ينطبق على الأمم .

وقد اعتقد بعضهم إنه ربما وجهها إلى جماعة من يهود الشتات الذين يمكن أن يخرج منهم هؤلاء المعلمون الكذبة . على كل حال لا يستطيع الدارس أن يكون جازماً في تحديد نوع المکتوب إليهم .

مضمون الرسالة :

يعترف الكاتب من الأول أنه غير الموضوع الذي أراد أن يكتب عنه . فهو يقول « أيها الأعباء إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك ، اضطررت أن أكتب إليكم واعظاً أن تجهدوا لأجل الإيمان المسلم مرة للقيسين ، لأنه دخل خلصة أناس قد كتب من القديم لهذه الدينونة . . . » (٢ - ٤) . فمن هم هؤلاء الذين دخلوا خلصة إليهم فأجبروه على أن يغير هدف كتابته من التشجيع إلى التحذير ، ومن التعزية إلى الدينونة ؟ هذه الجماعة التي يكتب عنها ظهرت حديثاً في الكنيسة ، لم يكونوا من البدء ولكنهم جاؤا إلى المسرح في وقت قريب ، ولأجل ذلك اضطر أن يغير من هدف كتابته . ولكنهم لم يكونوا غرباء ، لقد كانوا من الكنيسة ويشركون مع كل الأعضاء في وئمة المحبة المسيحية التي كان يعقبها الاشتراك في عشاء الرب (ع ١٢) وهذا أمر له خطورته لأنهم كالمرض الذي يظهر في الداخل . ولكن من أهم صفاتهم أنهم ضد كل ناموس ، ولا يظهرون أي نوع من الحياة المنضبطة بل هم كالحوانات غير الناطقة يفسدون . وينصفهم الكاتب بصفات مرعبة في نوع من الإباحية المنفلتة . ومع ذلك فلا يمكن أن يعرف الدارس نوع عقائدهم إلا إذا ترجم (ع ٤) بالقول « . . . وينكرون الإله الوحيد المسيطر ربنا يسوع المسيح » فإذا أضيف إليها القول « يتهاونون بالسيادة . . . » (ع ٨) فهذا يعني أنهم ينكرون سلطان السيد المسيح ويقفرون على كل سلطان . ولكن هذا الإنكار قد يكون إنكاراً لا هوتياً ، وقد يكون

إنكاراً عملياً يظهر في حياتهم وفي سلوكهم ، فيعنى أنهم لا يخضعون لوصية المسيح ولا يسلكون بحسب المحبة .

وإلى جانب ذلك فإنهم يفترون على ذوى الأجداد « (ع ٨) وربما يقصد بـ «ذوى الأجداد» الملائكة ، وقد كان لهم المركز العظيم إذ كانوا واسطة في إعطاء التاموس (أعمال ٧ : ٣٨ و ٥٣ ، غلاطية ٣ : ١٩ ، عبرانيين ٢ : ٢) . ومعنى هذا أنهم لا يهتمون ولا يقيمون وزناً لأى تاموس . هذه هى الجماعة الفاسدة . وقد ظن كثير من العلماء أن هؤلاء الجماعة قد يشخصوا بأولئك الذين يطلقون على أنفسهم «الروحانيين» الذين يرتبطون بالنظام والتاموس الأبدى الذى يحكم العالم ولذلك فهم أحرار ولا يمكن أن يقيدوا أنفسهم بأى تاموس آخر ويقاومون أوامر الله (ع ١٥) ويتكلمون بكلمات صعبة فاجرة (ع ١٥) ، والسبب فى كل إنكارهم هذا هو أنهم لا يتمتعون بعطية الروح القدس (ع ١٩) . فلا يعرفون إلا الأمور الطبيعية (ع ١٠) . هؤلاء قد يكونون النيقولاويين المذكورين فى (روثيا ٢ : ٦ و ١٤ و ١٥ و ٢٠) .

ولكن الرب لن يتركهم بل سوف يدينهم بكل قوة وشدة وبعاقبهم عقاباً أبدياً .

٢- يتميز هذا الكاتب بأنه يقتبس من التقليد القديم كله من العهد القديم ومن كتب الأبوكريفا ومن كتب السيدوجرافا مثل كتاب أخنوخ (ع ١٤ و ١٥ من أخنوخ ٦٠ : ٨) . أما قصة الملاك ميخائيل وإبليس فلم يرد ذكرها فى كتب معروفة وإن كان أكليمندس الإسكندرى يقول إنها جاءت فى كتاب (صلاة موسى) Assumption of Moses . نحن لا نعرف سواء اعتبر هذه الكتب من ضمن الكتب المقدسة ولكننا نعرف

أنه كان يحترم كل كتاب لأنه جاء من الآباء ، إنه لم يكن ينظر إلى الكتاب بصفته قانونياً ، ولكن على أنه جاء من القديم . وللقدم هيئته وصدقه عنده .

٣- أما الأعداد الأخيرة في هذه الرسالة (٢٠ - ٢٤) فهي تكشف لنا ماذا كان سيكتب إلى القديسين لو لم يكتب لهم هذا التحذير ومحثهم على مجاهدة هؤلاء المنسدين في وسطهم ، إنه في هذه الأعداد يكشف عن إيمان العهد الجديد ويقول لقارئه « وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصليين في الروح القدس واحفظوا أنفسكم في محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية » (٢٠ - ٢١) هذه الكلمات تكشف عن إيجابية الكاتب ومعرفته الأساسية بالإيمان الأقدس الذي يبنى عليه المؤمن ، وأن ما يشعر به القارئ عندما يبدأ في قراءة الرسالة من غرابة يكون إحساساً وخيلاً ، فالكاتب يكتب في وسط أزمة خاصة يجابهها بكل شدة ، ولكن عندما يكتب للمؤمنين مشجعاً وبنياً فإنه يكتب في مستوى العهد الجديد . . في مستوى الرسول بولس والرسول يوحنا والرسول بطرس وغيرهم .

المراجع

حيث أن المراجع التي رجعنا إليها لم تذكر في هوامش الكتاب ، فقد
استحسننا أن نذكر جزءاً كبيراً من هذه المراجع مرة واحدة هنا .

- The Interpreters Dictionary of the Bible, 5 Vols., Nashville, 1954.
The Interpreter's Bible, 7 Vols. of New Testament, Nashville, 1954.
Peak's Commentary on the Bible, London, 1962.
International Standard Bible, Encyclopedia, Grand Rapides, 1947.
Theological Dictionary of the Bible. Commonly known as Kittile.
The New Bible Dictionary, Inter-Varsity Press, 1976.
-G. Barker, W. Lane, J. Michaels: *The New Testament*, New York,
1969.
Barnett : *The New Testament, its Making and Meaning*, New York,
1946.
C.K. Barrett : *The New Testament Background. Selected Documents*,
London, 1956.
E.F.F. Bishop : *Apostles of Palestine*, London, 1958.
F.F. Bruce : *New Testament History*, London, 1969.
E.W. Baumann : *An Introduction to the New Testament*, Philadel-
phia, 1961.
G. Bornkamm : *Early Christian Experience* London, 1961.

- H. Conzelmann : *A History of Primitive Christianity*, Nashville, 1978.
- F.R. Crawnfield : *A Historical Approach to the New Testament*, New York, 1960.
- W.D. Davies and D. Daube : *The Background of the New Testament and its Eschatology*. Cambridge, 1956.
- W.D. Davies : *Christian Origins and Judaism*, London, Darton, Longman and Todd, 1962.
- W.D. Davies : *Invitation to the New Testament*, London, 1967.
- C.H. Dodd : *According to the Scripture*, London, 1952.
- : *The Apostolic Preaching and its Development*, London, 1936.
- : *History and Gospel*, London, 1964.
- F.V. Filson : *Opening the New Testament*, Philadelphia, 1952.
- Donald Guthrie : *New Testament Introduction*, 3 Vols., Chicago, 1961.
- J. Dunn : *Unity and Diversity in the New Testament*, London, 1977.
- T. Henshaw : *New Testament Literature*, New York, 1957.
- Archibald M. Hunter : *Interpreting the New Testament*, Philadelphia, 1963.
- : *Introducing New Testament Theology*, London, 1963.
- : *Introducing the New Testament*. London, 1957.
- J. Philip Hyatt : *The Bible in Modern Scholarship*, New York, 1965.
- F.G. Kenyon : *The Text of the Greek Bible*, 3rd ed., A.W. Adams, London, 1975.

- W.L. Knox : *Some Hellenistic Elements in Primitive Christianity*, London, 1944.
- K.G. Kummel, *Introduction to the New Testament*, 1975.
- Ralph P. Martin : *New Testament Foundations*, 2 Vols., Grand Rapids, 1978.
- A.H. McNeile and C.S.C. Williams : *Introduction to the New Testament* 1953.
- Bruce M. Metzger : *The New Testament, its Background, Growth and Content*, New York, 1965.
- : *The Text of the New Testament*, New York, 1964.
- G. Milligan, *The New Testament Documents*, London, 1913.
- J. Moffatt : *Introduction to the Literature of the New Testament*, 1912.
- C.F.D. Moule : *The Birth of the New Testament*, London, 1962.
- E.F. Scott : *The Gospel and its Tributaries*, Edinburgh. 1928.
- A. Souter : *The Text and Cannon of the New Testament*, London, 1913.
- Stewart Perowne, *The Life and Times of Herod the Great*, London, 1956.
- V. Taylor : *The Formation of the Gospel Tradition*, New York, 1960.
- : *The Text of the New Testament*, London, 1963.
- L. Wikenhauser : *New Testament Introduction*, New York, 1958.
- Zahn : *Introduction to the New Testament*, 3 Vols., Edinburgh, 1909.

الأنجيل الثلاثة الأولى وسفر الأعمال

- F.F. Bruce : *The Acts of the Apostles*, 2nd ed., Grand Rapids, 1953.
- Bornkamm, Barth and Held : *Tradition and Interpretation in Matthew*, London, 1963.
- H. Conzelmann : *The Theology of St. Luke*, London, 1960.
- W.D. Davies : *The Setting of the Sermon on the Mount*, Cambridge, 1964.
- C.H. Dodd : *The Parables of the Kingdom*, London, 1961.
- John Drury : *Tradition and Design in Luke's Gospel* London, 1976.
- Xavier Léon-Dufour : *The Gospels and the Jesus of History*, Fountana Library, 1976.
- E.E. Ellis : *The Gospel of Luke*, London, 1974.
- J. Jeremias : *The Central Message of the New Testament*, New York, 1965.
- : *The Parables of Jesus*, London, 1954.
- W. Manson : *The Gospel of Luke (M.C.)*, 1930.
- J. Munck : *The Acts of the Apostles*, New York, 1967.
- D.E. Ninham : *St. Mark. Penguin Book*, 1963.
- B.H. Streeter : *The Four Gospels*, New York, 1956.

كتابات الرسول بولس

- C.K. Barrett : *The Epistle to the Romans*, New York, Harper, 1957.
————— : *A Commentary on Paul's First Letter to the Corinthians*,
New York, 1968.
- F.W. Beare : *The Epistle to the Philippians*, New York, 1968.
- E. Best : *A Commentary on the First and Second Epistles to the
Thessalonians*, New York, 1972.
- F.F. Bruce : *Paul, A Free Spirit*, Paternoster Press, 1977.
————— : *1-2 Corinthians*, London, 1971.
- H. Conzelmann : *First Corinthians*, Philadelphia, 1975.
Bornkamm : *Paul*, London, 1971.
- W.D. Davies : *Paul and Rabbinic Judaism*, London, SPCK, 1948.
- C.H. Dodd : *The Epistle of Paul to the Romans*, New York, 1932.
- G.S. Duncan : *The Epistle to the Galatians*, 1934.
- P.N. Harrison : *The Problem of the Pastoral Epistle*, London, 1921.
- A.M. Hunter : *Interpreting Paul's Gospel*, London, 19554
————— : *Paul and his Predecessors*, London, 1961.
- J.N.D. Kelly's : *The Pastoral Epistles*, London, 1963.
- T.W. Manson, on *Paul and John*, London, 1963.
- J. Munck : *Paul and the Salvation of Mankind*, 1959.
- H. Ridderbos : *The Epistles to the Churches of Galatia*, Grand Ra-
pids, 1976.
- Scott : *Paul's Epistle to the Romans*, London, 1947.

كتابات يوحنا

- C.K. Barrett : *The Gospel according to Saint John*, New York, Macmillan, 1955.
- R.E. Brown : *The Gospel according to John*, Garden City, N.Y., 1966.
- F.F. Bruce : *The Epistles of John*, London, 1970.
- C.H. Dodd : *The Interpretation of the Fourth Gospel*, Cambridge, 1953.
- : *Historical Tradition in the Fourth Gospel*, Cambridge, 1963.
- : *The Johannine Epistles*, New York, 1946.
- E. Hoskyns : *The Fourth Gospel* rev. ed., F.N. Davey, London, 1947..
- W.F. Howard : *Christianity according to St. John*, London, 1943.
- L. Morris : *Revelation*, Tyndale, 1973.
- J.W.R. Stott : *The Epistles of John*, Tyndale, 1964.
- B.F. Westcott : *The Gospel according to St. John*, Grand Rapids, 1950.

العبرانيين والرسائل العامة

- F.W. Beare : *First Peter*, Oxford, 1970.
- E. Best : *First Peter*, London, 1971.
- F.F. Bruce : *Commentary on the Epistle to the Hebrews*, Grand Rapids, 1966.
- D. Guthrie : *The Epistle to the Hebrew in Recent Thought*, London, 1956.
- Dibelius and Greeven : *James*, Philadelphia, 1976.
- T. Hewitt : *Hebrews*, Tyndale, 1975.
- T.W. Manson : *The Problem of the Epistle to the Hebrews*, London, 1951.
- : *Studies in the Gospels and Epistle*, Philadelphia, 1962..
- W. Manson : *The Epistle to the Hebrews*, London, 1951.
- J. Moffatt : *The Epistle to the Hebrews*, ICC, 1924.

Ge... nization of the Alexandria Lib... GOAL
S... ..

